١٧

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي جل عن مطارح اضواء الفكر جلاله وارتفع عن مواقع انوار النظر كماله عجزت ١
المدارك والعقول عن كنه كمال حكمته وكلت السن الفصحاء عن وصف جلال عظمته اشهد
ان لا اله الا هو الواحد القهار القادر المختار العزيز الجبار جاعل الملائكة والمدبرات
وسايط ليظهر فضله وجوده وباعث الانبياء والرسل ليهتدي الناس الى معرفة ذاته و
جوده فاعل كل محسوس ومعقول وغاية كل مطلوب ومسئول واهب حيوة العالمين وناظم
السموات فوق الارضين مدبر الاسباب والامور ومقدر الازمنة والدهور محصل ما في الصدور و
باعث من في القبور يوم ينفخ في الصور ويطوي السماء للنشور جاعل الظلمات والانوار
ومطلعه الليل والنهار ومحرك الفلك الدوار ومزين السماء بزينة الكواكب والاقمار
اوحى في كل سماء امرها بالوحي والتسخير والتسبيح والتقدير للملائكة الابرار المطهرين
عن شوائب النفوس لاشرار المسبحين الليل والنهار مع انهم دون الملائكة المحتجب
المقربين المهيمين في نور جلال رب العالمين فما ظنك بصور لم تعرف تجددا في
يكون تعينها خلودا وتأبدا والعلماء لما احتوا بهذا المعاد راموا المخلص عن الاشتداد
والتجرد عن المواد وحين شاهدوا من الدار بابها وسدانها حاولوا
ان يحلوا ساحتها وايوانها يوم يقوم الناس لرب العالمين وينشر صحايف

النفوس والدواوين واصلي على صفوة عباد الله المرسلين
وسفرائه الصادقين وانبيائه المصطفين واوليائه الكاملين سيما سيد
الانبياء وقطب الاولياء محمد خاتم الاولين والاخرين وعلى امير المؤمنين وامام
المتقين واكرم الانصار والمهاجرين وخليفة رسول رب العالمين وابي الائمة
المعصومين والاخيار المطهرين والشهداء والصالحين صلى الله وملائكته على
النبي وآله صلوة دائمة وتسليما كثيرا ونور قلوبهم وارواحهم بنور المحبة والولاية
تنويرا وطهر نفوسهم واشباحهم عن الرجس تطهيرا اما بعد فيقول احوج
خلق الله وافقرهم الى عفو ربه الكريم محمد بن ابراهيم الشيرازي الشهير بصدر الدين
اذاقه الله من كاس المعرفة ومشرب التحقيق واليقين اعلموا اخواني المؤمنين واحباء
الصالحين هداكم الله الى مسلك اليقين ومنهج المتقين ان السعادة ربما يظن بها
ان الفوز باللذات الحسية والوصول الى المشتهيات الحيوانية وما تبين لمن
تحقق الامور وذاق مشرب المعرفة والنور وتفطن بالسلامة عن الشرور والخلاص
عن دار الغرور وموطن اصحاب القبور ان شيئا منها ليس سعادة حقيقية وانما
هي حجب ظلمانية واستحالات جسمانية ومنامات خيالية وصور لمرائي وهمية
كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا او كظلمات بعضها فوق
بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور الم تر ايها البصير
الى الذي يتعاطيها منهمكا فيها كيف انقطعت الالهامات والسكينات الالهية
عن حواليه وامتنعت المعارف والعلوم الحقيقية عن النزول فيه وتعذر عليه خلاص
النية الالهية وصدق القصد والهمة في شيء مما يفعله ويؤديه من صور الاعمال

الحسنة والعبادات وما تعده من الخيرات والطاعات من غير معاوقة بهمة دنياوية
او مصادمة طلبة نفسانية حتى كانه لم يعرف الآخرة الا كالدنيا ولم يطلب في الحقيقة
الا ما يكون فيها ولم يبتغ لقاء الله والتقرب اليه ورضوانه لعدم استيناسه بالفيض
العلوي ولا ارتباط بالروح الالهي الذي يزال به العمى عن القلب المعنوي والصمم
عن السمع العقلي لسبب انجذابه في المنزل الادنى وانسداد باب المعرفة على سمعه و
قلبه كالاصم والاعمى وانحصاره في سجن الدنيا واخلاده في ارض السفلى والقرية
الظالم اهلها دار الاموات ومنزل الدواب والحشرات ومعدن الشرور والظلمات
فاحتجب عن ملاحظة الابد ومعاينة جمال السرمد لانهم صم عن السمع لمعزولون
بكم فهم لا ينطقون عمي فهم لا يبصرون وسواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون
كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ثم انه لا شك في
ان اقصى ما يتأتى لكل احد ان يستعد به ويفوز بالوصول اليه هو الكمال المختص به
والملائم المنسوب الى نوعه وفصله وكلما انحط عنه فهو نقصان فيه وشقاوة لجهة
وتغريه وان كان كمالا وسعادة لمن هو في رتبة الوجود دونه وتاليه فاذن
لكل نوع كمال يختص به وبه سعادته فللاجسام في حصول الحيز والفضاء وللنبات
في التغذية والانماء وللحيوان في حيوته بانفاسه وحركته بارادته واحساسه وللفلك
في دورانه بشوقه ووجدانه وللملك في تسبيحه وتحميده وطوفانه حول العرش تمجيده
وللشيطان في اغوائه واضلاله لاقرانه واعوانه فما من دابة وما دونها وما فوقها
الا ومن شانها البلوغ الى اقصى ما لها من الكمال ما لم يعقها عائق فلهذا النوع ايضا
كمال خاص به سعادته وبدونه شقاوته ان وصل اليه لا يفوقه فائق ولا يسبقه سابق

الى لهم

تحميده

[illegible]

وبه يستحق

وبه يستحق خلافة الله في الارض والسماء وان كانت له مشاركة مع ساير الاشياء
بحسب ما اودع الله فيه من الآلات والقوى والخوادم والاعضاء فله درجات
في الوجود واطوار ونشأت من ادنى الامور الى اقصى ما حصل من الوجود وكمالات قال
وقد خلقكم اطوارا الظلمات والانوار وكماله الخاص بجوهر ذاته انما هو الاحاطة بالعلو
والتجرد عن الماديات والتخلص عن الشرور والظلمات فاذا انحط عن كماله وانخفض
له في مآله وابطل استعداده ليوم معاده وزال رأس ماله بزوال حيوته الاولى
وفقد آماله فهو اضل ضلالا من الانعام والحشرات واسوء حالا من الدواب و
الجمادات لكونه من المردودين الى اسفل سافلين بعد ما له قوة الارتقاء الى
اعلى عليين ومجاورة المقربين وذلك هو الخسران المبين والعذاب المهين فبمقتضى
العقل الصريح المؤيد بالنقل الصحيح يجب على كل انسان خلقه الله خلقة صحيحة
سالمة من النقايص الفطرية والقصورات الخلقية وافاده قوة بها يدرك حقايق
الايمان وآيات القرآن ويعرف بها الحق الاول والملائكة والرسل والكتب
والميزان والحساب والمعاد والنشر والجنة والرضوان والعقاب والنيران لا يقف من العمل
ولا يعافه الكسل من تحصيل العلم والعرفان والتخلص عن شرور هذه النفوس
والابدان بمطالعة آيات الله والعلوم المنزلة بالوحي والالهام على النبي وآله
عليهم السلم الذينهم خزاين اسرار الوحي والتنزيل ومعادن جواهر العلم والتأويل
وحفظة اسرار اليقين والايمان وسدنة انوار الحكمة والبرهان لانهم صلوات
الله عليهم اجمعين معصومون عن الخطاء والنسيان مطهرون عن السهو والنقصان
بما اذهب الله عنهم من رجس العصيان وطهرهم من دنس الجهالة وغواية الشيطان

الصريح

على رسم

فجعلهم الله حججاً على بريته وانصاراً لدينه واوعية لاسرار علمه ومستودعاً لانوار حكمته
واركاناً لتوحيده ودليلاً واَدلاء على صراطه وسبيله وارواحهم وانوارهم واحدة
بعضها من بعض وطينتهم واسرارهم متصلة واحد بعد واحد والداً وما ولد خلقهم
الله من عليين وجعلهم بعرشه محدقين في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر
فيها اسمه فبولايتهم يسلك سبيل الجنة والرضوان وعلى من جحد نورهم غضب
الرحمن وعذاب النيران وهم العلماء الربانيون والحكماء الالهيون والاولياء
الكاملون وعباد الله المكرمون المحجوبون واهل الذكر الذين عنهم يسئلون لقوله تعالى
فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ثم ان احسن احاديث مذكورة رويت
لنا منهم وابهى درر كلمات منثورة نقلت الينا عنهم تحلى الآذان بجواهر حقايقها
وتجلى الاذهان في زواهر حدايقها احاديث كتاب الكافي التي الفها وجمعها امين
الاسلام وثقة الانام الشيخ العالم الكامل والمجتهد البارع الفاضل محمد بن يعقوب
الكليني اعلى الله قدره وانار في سماء العلم بدره لقد ساق الله ماء العلم الفرات
الطيب من انهار كتابه وجداول فصوله وابوابه الى اراضي القلوب الزكية الطيبة
ليخرج به ثمرات هي اصول اغذية القلوب والارواح وفروع فواكه العقول و
الالباب تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ولكن ربما يقع الماء
على السباخ اليابسة والصخور القاسية والبقاع المالحة لسعة رحمة الله وشمول
فيضه فاذا وقع العلم في غير اهله ومستحقه ممن غلقت على قلوبهم ابوابه غير مفتحة لهم
يجعل صدره ضيقاً حرجاً كانما يصعد في السماء ويكون حجة عليه يوم القيمة يدحض
الله به باطله فيغلق عليه طريقه ويسد عليه ابوابه فربما كفر واضعه وربما شتم طالبه
كذلك

كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار نار الحسد والاستكبار
وشرارة الجحود والانكار وعذاب الجهل والاصرار مثلهم كمثل الذي استوقد
ناراً فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم
عمي فهم لا يرجعون ولقد رأينا كثيراً من اولي العلم والعرفان ومتعلمي الحديث و
القرآن مكبين اولاً اليه بتمام الجد والكد ثم عن قليل يشبعون عن كل فن برغمه و
يقنعون عن كل ذي نجعة لعدم وجدانهم فيه ما حداهم اليه من الاغراض الفاسدة و
المآرب الباطلة ولهذا لم ينالوا من العلم نصيباً ولا الشقي منهم يصير سعيداً بصيراً
يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به الا الفاسقين بل نرى من المشتغلين
ما يرجي طول عمره في البحث والتكرار آناء الليل واطراف النهار ثم يرجع بخفي
حنين ويصير طرحاً للعار والشين وهم المذكورون في قوله تعالى قل هل
ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم
يحسنون صنعاً نعوذ بالله من الغي والغباوة ونستعيذ بنوره من شر الغواية
ما يضلنا عن طريق الهداية فاقول معتصماً بحفظه وكرمه شاكراً لجوده ونعمه اني
قد صادفت من هذه الاحاديث اصدافاً علمية في بحار الحكمة والعرفان مشحونة
بجواهر زواهر حقايق الايمان مكنونة لآلي معاني القرآن مدغمة بدعائم قوانين فيهام
البرهان وكنت برهة من الزمان متأملاً في اسرار معانيها متعمقاً في بحار
مبانيها مستخرجاً بقوة الفكر والبرهان فرايد جواهر لآليها شاهداً بنور البصيرة
والعرفان وجوه عرايس ابكار لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وكنت اشاور
نفسي واردد قداحي في ان اشق للاخوان الصالحين تلك الاصداف الثمينة

واستخرج للطالبين السالكين دررها الثمينة واشرح لها شرحا يذلل صعابها
ويميز من القشر لبابها وارزق لهم بمصفاة الفكر صفاها من عكرها وانخل
بمنخل العقل لبابها من قشرها وانقد جواهر معانيها واحصل حقايق مبانيها
حتى يكون كتابا جامعا لشتات اصول الدين كاشفا عن دقايق
اسرار اليقين توجد فيه خلاصة اقوال العلماء الراسخين ونقاوة اذواق
الحكماء المتألهين وفيه رموز الآيات القرآنية وكنوز الانوار الفرقانية
وتاويل الاحاديث النبوية واسرار الولوية الواردة من اهل بيت النبوة
والولاية سلام الله عليهم في البداية والنهاية ولكن العوايق تمنع عن المراد
وعوادي الدهر تضرب دون بلوغ الامل بالاسداد لما رايت من قصور
الطبايع والاذهان وجمود القرايح على ما سمعوا من الامثال والاقران ومشاهير
الزمان واسانيد الدوران مع ما نشاهد من معاداة الايام بتربية اللئام
وتوقير الجهلة والارذال وشعشعة نيران الجهالة والضلال وتعظيم اعداء العلم
والعرفان وخفافيش انوار الحكمة والبرهان ولقد ابتلينا بجماعة يرون التعمق
في الامور الربانية بدعة والتدبر في الآيات الالهية خدعة كانهم الحنابلة من
كتب الحديث المتشبه عليهم الحق والخلق والقديم والحديث لم يتعد طورهم
عن طور الاجسام ولم يرتق نظرهم عن الهياكل والاجرام فاعرضوا عن العلوم الالهية
والاسرار العظيمة الربانية التي جاءت به الانبياء ونزلت بها اليهم الكتب
من السماء مما مدح الله عليها واثنى على متأمليها في مواضع عديدة من كتابه
المجيد الذي هو تنزيل من عزيز حميد فكنت بقيت على هذا الحال ممسكا عنان
الاشتغال

الراسخين
الكلمات

الاشتغال حتى التمست مني جماعة من الاخوان ورفقة من الخلان المستفيدين عني
لكشف الاقوال المستضيئين لنور الاحوال وكلما زدت في الاعتذار زادوا
في الاقتراح وكلما ابيت ابوا الا المراجعة في طلب الانجاح حتى اوهنوا عزمي
على الاستنكاف ورجحوا ميلي الى الاسعاف علما مني بان الرحمة الالهية
مقتضية لان لا يهمل امرا ضروريا يحتاج اليه الاشخاص بحسب الاستعداد والعناية
الربانية لا تبخل بشيء نافع في مصالح العباد وذخرا ليوم المعاد فربما اقتضت رحمته ان
لا تخفى في بطون الاستتار هذه العلوم المنكشفة من عالم الاسرار ولا تبقى في الكتمان
والاحتجاب الانوار الفايضة من نور الانوار فالهمني الافاضة مما شربنا من علم القرآن
والحديث وسكرنا به من تاويل الاحاديث جرعة للعطاش الطالبين ولمعة
لقلوب السالكين ليحيى بها نفس من شرب منه جرعة ويتنور قلب من وجد منها
لمعة فرايت ان اشرع في شرح الاحاديث مستمدا من الله مستعيذا به من
شر كل عنيد وخبيث واخرج تلك المعاني من القوة الى الفعل والتكميل مبرزا لها
من الخفاء الى الوجود والتحصيل فاعملت فيه فكري وجمعت على ضم شوارده امري وسالت
الله ان يشد به ازري ويحط بكرمه وزري ويشرح لاتمامه صدري فنهضت عزيمتي
بعد ما كانت قاعدة وهبت همتي عنها كانت راكدة واهتز الحال من نشاطي وتموج
السكون من انبساطي وقلت لنفسي هذا اوان الشروع وشرح اصول يستنبط
منها الفروع وتحلية الاسماع بجواهر المعاني الفايقة وابراز الحق في صورته البهجة
الرايقة غير مبال بانكار المنكرين واستنكار الجاحدين المتكبرين توكلا على الله وجاه

ابا كردن ١٢
لتحيى
عزيمتي
المعجبة

منه في اعانة الصابرين واغاثة الملهوفين ودفع شرور المعاندين ورد كيد الحاسدين
كما قال تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون قل الحق من ربهم فمن شاء فليؤمن
ومن شاء فليكفر والرجل المؤمن المتيقن فيما جاءه من الحق وهو على بينة من
ربه لا يلتفت الى المشهور ولا يبالي اذا اصاب الحق من مخالفة الجمهور فان
الجمهور ساكنون في بيت حجابهم مقيمون في اول نشأتهم ومقامهم وهو مسافر من
مقامه مهاجر الى الله ورسوله والمسافر لابد له من مخالفة المقيم فان وافق ذلك نظر
ابناء الزمان واصحاب البحث والبيان فهو الذي نرومه منهم ونهواه وان لم يوافق
نظرهم ولم يهتدوا بهداه فمعلوم ان الحق لا يوافق عقول قوم فسدت قرائحهم بامراض
وعلل اعيت اطباء النفوس من علاجهم حتى خوطب النبي الهادي عليه السلام بانك
لا تهدي من احببت فلا جرم اذا شرعوا في تحصيل العلم واقتباس النور ما زادهم الا
نفورا وغرورا استكبارا في الارض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ الا باهله وليس
لنا مع هؤلاء واشباههم كلام وكتاب ولا بحث وجواب ولا نداء وخطاب
حيثما قال تعالى ولو جئتهم بكل آية لا يؤمنوا بها وفي الحديث عنه صلى الله وآله ان من
العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا الراسخون فاذا نطقوا به لم ينكره الا اهل الغرة بالله ثم
اعلموا يا اخواني المؤمنين ان علم الحديث كعلم القرآن مشتمل على ظاهر وباطن ومجمل
ومبين وتفسير وتأويل ومحكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وكما ان القرآن يوجد فيه
من علوم المكاشفة ما يختص بدركه اهل الله خاصة وهم اهل القرآن وهي غوامض
علم التوحيد وعلم الملائكة والكتب والرسل وعلم المعاد وحشر النفوس والاجساد كذلك

يوجد فيه من القصص والاحكام وعلم الحلال والحرام والعقود والمناكحات والبيوع
والمعاملات والمواريث والقصاص والديات ما يعم ادراكه وينتفع به
عامة الخلق هذه للدنيا وتلك للآخرة هذه للابدان وتلك للارواح متاعا
لكم ولانعامكم فهكذا حال الحديث حيث يوجد فيه القسمان علم الدنيا و
علم الآخرة وعلم المعاملة وعلم المكاشفة وهو يختص بدركه اهل الله وهم
المرادون بقوله تعالى ومن عنده علم من الكتاب وقوله والراسخون
في العلم والى هذا العلم اشار بقوله ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا
وبقوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وهو العلم
الممدوح في الكتاب والسنة بفنون من المدائح وصنوف من الاثنية
ويستغفر لصاحبه كل من في السماء والارض من الملائكة والخلائق اجمعين
حتى الحيتان في الماء وهو الذي به يرجح في ميزان الآخرة مداد العلماء على دماء
الشهداء الى غير ذلك من المدائح والاثنية مما لا يعد ولا يحصى لا الذي اكب
عليه الاكثرون وتقرب به الى الله المترسمون من حفظ الاقوال والروايات
وضبط احوال الرجال ثم الاشتغال بمعرفة الفروع الغريبة وطلب ادلتها وعللها
واستكثار الكلام فيها وحفظ الخلافيات حتى ان من كان اشد تعمقا فيها
واكثر بحثا واستعمالا لها فهو الافقه عندهم وربما سألته عن معرفة شيء من
اركان الايمان الذي دل على وجوبها صريح آيات القرآن واحاديث رسول
الانس والجان والائمة عليه وعليهم صلوات الله الرحمن كعلم التوحيد وعلم
الآخرة وعلم الملائكة وكيفية انزال الوحي والكتاب ومعرفة النفس ومقاماتها

ونشأتها ونشو الآخرة ومواطنها من القبر والبعث والصراط والميزان والحساب
والموقف والعرض والجنة والنار والثواب والعقاب فلم تجد عنده منها خبراً
اصلا الا مجرد الفاظها المسموعة المستعملة واستوت حاله مع ساير الناس
وكذا لم تصادفه مراقباً لاحوال قلبه مراعياً له عما يشوشه في الاخلاص حارساً
له عما يفسده ويهلكه او يمرضه ويكدره من الاغراض النفسانية والشهوات
الدنيوية بل تراه مشحوناً بامراض مهلكة واخلاق لغوية مردية وهو لم يجد بها قادحة
في علمه وحاله ولا مانعة عن سلامته في معاده ومآله كانه لم يقرء قوله تعالى الا
من اتى الله بقلب سليم ولم يسمع قوله قد افلح من زكيها وقد خاب من
دسيها والحاصل ان العلم علمان علم مكاشفة وعلم معاملة الاول يطلب لذاته
لا لشيء آخر فانه العلم بالله وصفاته وآثاره والثاني يطلب للعمل به فغاية العلم
وغاية العمل ايضاً صفاء الضمير وسلامة النفس عن التعلقات وصقالة
مرآة القلب عما يكدره ويرين عليه ويطبع وهذه الصفاء والسلامة ايضا امر عدمي
ليس مقصوداً بالاصالة وانما يطلب لكونه وسيلة الى ما هو المقصود الاصلي
وهو ارتسام صور الحقايق فيه او تجلي الحق ونعوته وآثاره عليه ومن ظن ان علمه بكيفية
الاعمال يكفيه في سلامة العاقبة والمآل والخلاص عن العذاب وبه ينال درجة
اهل الفضل والكمال لكان كمن به مرض شديد وكان يعلم كيفية العلاج وتركيب
الادوية فظن ان ذلك يكفي في خلاصه عن مرضه الجسماني ويشفيه بدون العمل به وبذلك
يزداد مرضه حتى يهلكه وقد وردت تشديدات عظيمة للعالم التارك للعمل بعلمه
فعن امير المؤمنين عليه السلم العلماء رجلان رجل عالم اخذ بعلمه فهذا ناج وعالم

تارك

لفظ العاقبة

عالم صح

تارك لعلمه فهذا هالك وان اهل النار ليتأذون عن ريح العالم التارك لعلمه
عليه السلم من اراد الحديث لمنفعة الدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب وقال
اذا رأيتم العالم محباً لدنياه فاتهموه على دينكم فان كل محب لشيء يحوط ما احب
وقال عليه السلم اوحى الله الى داود عليه السلم لا تجعل بيني وبينك عالما
مفتونا بالدنيا فيصدك عن طريق محبتي فاولئك قطاع طريق عبادي المريدين
ان ادنى ما انا صانع بهم ان انزع لذيذ مناجاتي من قلوبهم وقال عليه السلم
من طلب العلم ليباهي به العلماء او يماري به السفهاء او يصرف وجوه
الناس اليه فليتبوء مقعده من النار الى غير ذلك من الاحاديث والاخبار
الكثيرة في ذم علماء الدنيا الراغبين في مالها وجاهها ومن عجيب ما ذكر في هذا
الباب ما نقله الشيخ الفاضل العامل ناهج مسلك الورع واليقين قدوة
المجتهدين زين الملة والحقيقة والدين العاملي طاب ثراه في بعض رسائله ناقلا
عن بعض المحققين انه قال العلماء ثلثة عالم بالله غير عالم بامر الله وعالم بامر الله
غير عالم بالله وعالم بهما جميعا فالاول عبد استولت المعرفة الالهية على
قلبه فصار مستغرقا بمشاهدة نور الجلال والكبرياء فلا يتفرغ لتعلم علم الاحكام
الا ما لا بد منه والثاني هو الذي يعرف الحلال والحرام ودقايق الاحكام
ولكنه لا يعرف اسرار جلال الله واما الثالث فهو جالس على الحد المشترك
بين عالم المحسوسات وعالم المعقولات فهو تارة مع الله بالحب وتارة
وتارة مع الخلق بالشفقة والرحمة فاذا رجع من ربه الى الخلق صار فيهم كواحد
منهم كانه لا يعرف الله فهذا سبيل الصديقين وهو المراد بقوله صلى الله

تارك صح

النار عنه

عليه وآله سائل العلماء وخالط الحكماء وجالس الكبراء المراد بقوله سائل العلماء
العلماء بامر الله غير العالمين بالله فامر بمسائلتهم عند الحاجة الى الاستفتاء
واما الحكماء فهم العالمون بالله الذين لا يعلمون اوامر الله فامر بمخالطتهم و
اما الكبراء فهم العالمون بهما فامر بمجالستهم لان في مجالستهم خير الدنيا والآخرة و
لكل واحد من الثلث ثلث علامات فللعالم بامر الله الذكر باللسان دون
القلب والخوف من الخلق دون الرب والاستحياء من الناس في الظاهر
ولا يستحيي من الله في السر والعالم بالله ذاكر خائف مستحي اما الذكر فذكر القلب
لا ذكر اللسان والخوف خوف الرجاء لا خوف المعصية والحياء حياء ما يخطر على
القلب لا حياء الظاهر واما العالم بالله وبامر الله له ستة اشياء الثلثة المذكورة
للعالم بالله فقط مع ثلثة اخرى كونه جالسا في الحد المشترك بين عالم الغيب والشهادة
وكونه معلما للمسلمين وكونه بحيث يحتاج اليه الفريقان الاولان وهو مستغن عنهما
فمثل العالم بالله وبامر الله كمثل الشمس لا يزيد ولا ينقص ومثل العالم بالله فقط
كمثل القمر يكمل تارة وينقص اخرى ومثل العالم بامر الله كمثل السراج يحرق نفسه
ويضيء غيره انتهى وليعذرني اخواننا اصحاب الفرقة الناجية ما افعله في اثناء
الشرح وتحقيق الكلام وتبيين المرام من الاستشهاد بكلام بعض المشايخ المشهورين
عند الناس وان لم يكن مرضي الحال عندهم نظرا الى ما قال امامنا امير المؤمنين عليه
السلام لا تنظر الى من قال وانظر الى ما قال فها انا اشرع في المقصود مستمدا من واهب
العلم ومفيض الوجود وباسط الخير والجود مبتديا بشرح خطبة الكتاب لاشتماله على
فوايد نفيسة وفرايد لطيفة مع حسن البيان ولطف الخطاب فاقول وبالله التوفيق

الخطاب

والهداية

والهداية وبه الاستعاذة من الغباوة والغواية بسم الله الرحمن الرحيم
قال الشيخ رضي الله عنه الحمد قيل هو الوصف بالجميل على وجه التبجيل فيختص باللسان
وللمناقشة في هذا الاختصاص مجال وقيل بل هو بالحقيقة فعل يشعر بتعظيم المنعم
من جهة كونه منعما فيعم مورد اللسان والاركان والجنان وعن بعض المحققين
الحمد اظهار الصفات الكمالية لاحد فيعم حمد اللسان وغيره ومن هذا القبيل
حمد الله جل ثناؤه على ذاته وذلك حيث بسط بساط الوجود على ممكنات
لا تعد ولا تحصى ووضع عليه موائد كرمه التي لا تتناهى فقد كشف عن صفات كماله
بدلالات قطعية تفصيلية غير متناهية فان كل ذرة من ذرات الوجود تدل عليه
ولا يتصور مثل هذه الدلالات في الالفاظ والعبارات ومن ثم قال صلى الله
عليه وآله لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ثم اللام للاختصاص
ولام الحمد لام الجنس ولا يبعد ان يراد ان جنس الحمد مختص به تعالى لان النعوت
الكمالية كلها ترجع اليه لانه فاعلها وغايتها كما حقق في مقامه ولانه الموجود الحقيقي
كما يعرفه العارفون وثبوت الصفة فرع على ثبوت الموضوع ولذلك انهم رأوا
كل قدرة مستغرقة في القدرة بالذات وكل علم مستغرقا في العلم بالذات و
هكذا في كل صفة كمالية فاذن المحامد كلها راجعة اليه تعالى ولهذا ذكر اسم الله
دون غيره من الاسماء لدلالته بحسب المفهوم على جامعية الاوصاف الجمالية
والجلالية كلها وربوبية انواع الاشياء كلها وكل اسم غيره انما يدل على صفة
واحدة وربوبية نوع واحد ثم لما كان الحمد فعلا اختياريا حادثا لا بد له من علل اربع
دل على بعضها بالالتزام احدها الفاعل وهو الحامد وهو المفهوم منه بالالتزام وثانيها

8

القابل وهو اللسان في المعنى الاول والثلثة في المعنى الثاني والموجودات كلها في المعنى الثالث
وثالثها الصورة وهي المحمود بها التي اتصف بها الحامد واظهرها من الصفات الكمالية والنعوت
الجلالية لكل محمود بحسب حاله وكماله ورابعها الغاية ويقال لها المحمود عليه واليه اشار
بقوله المحمود لنعمته لكن لما تقرر في العلوم العقلية ان العلة الغائية لها وجود في الذهن وبه
صارت علة للفاعل في فاعليته ولها وجود ايضا في الخارج وبه يسمى غاية والغاية في
الحقيقة ما يلحق الفاعل وينتهي الى نفسه والذي وقع من التقسيم في المشهور من ان الغاية قد
تكون في نفس الفاعل كالفرح وقد تكون في القابل كصورة البيت في مادته وقد تكون
في غيرهما كمن يفعل فعلا لرضاء فلان غير مستقيم الا ان يراد بها منتهى الحركة لا الغاية الحقيقية
فان الباني للبنيان والمحصل لرضاء فلان لا يبني ولا يحصل الا لمصلحة يعود الى نفسه فالقسمان
الاخيران يرجعان الى القسم الاول وعليه المعول فمن حمد الله لا يحمده الا لغاية تعود اليه
وهي التقرب اليه بالعبودية اذ لا غاية للعبد فوقها ولا كمال له اعلى منها ولذلك قدمت
في التشهد على الرسالة ولا يمكن عبوديته الا بعرفانه والعلم بالهيته وصفاته العليا واسمائه
الحسنى ولهذا قال المعبود لقدرته اللام في قوله لقدرته لام التعليل اي يعبده العابدون
لكونه قادرا على الاشياء فاعلا لما يشاء في حقهم فيعبدونه اما خوفا وطمعا او اجلالا
وتعظيما المطاع في سلطانه يطيعه الموجودات وما في الارضين والسموات لقوله حكاية
عن الكل قالتا اتينا طائعين ولقوله ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم
بالغدو والاصال المرهوب لجلاله المرغوب اليه فيما عنده الرهبة والرغبة لازمتان فيمن له
غاية العظمة والجلال ونهاية اللطف والجمال بل لا يخلو جمال عن جلال ولا جلال عن جمال
اما الرهبة من الجمال فليهمان الحاصل من الجمال الالهي ولانبهار العقل منه وتحيره فيه واما الرغبة

في الجلال

في الجلال فللطف المستور في القهر الالهي كما قال تعالى ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب
وقال امير المؤمنين عليه السلام كما روي عنه سبحان من اتسعت رحمته لاوليائه في شدة
نقمته واشتدت نقمته لاعدائه في رحمته ومن ههنا يعلم سر قوله صلعم حفت الجنة بالمكاره وحفت
النار بالشهوات النافذ امره في جميع خلقه المراد به امر التكوين لا امر التشريع
فلله تعالى امران امر تكوين وهو الذي بلا واسطة مخلوق وامر تشريع بواسطة الكتب
والرسل عليهم السلم والاول نافذ في جميع الخلق ولا يسعهم الا الطاعة كما قال انما
امره لشيء اذا اراد ان يقول له كن فيكون والثاني مختص بالثقلين فمنهم من اطاع
ومنهم من عصى علا فلا رتبة فوق رتبته فاستعلى اي فتنزه عن صفات المخلوقين
ودنى فتعالى اما دنوه فلانه اقرب الى كل شيء من كل شيء اذ لا ذرة من ذرات
الوجود الا ونور الانوار محيط به قاهر عليه اما تعاليه فلارتفاعه عن صفات الاكوان
وسمات الحدثان فهو العالي في دنوه والداني في علوه وارتفع فوق كل منظر
اي لا يصل اليه نظر النظار ولا ينتهي اليه سير الافكار الذي لا بدء لاوليته ولا غاية
لازليته لارتفاعه عن الازمنة والزمانيات كارتفاعه عن الامكنة والمكانيات
وحيث لم يكن مكانيا كانت نسبته الى الامكنة واحدة فحيث لا يكون زمانيا
يكون نسبته الى الازمنة واحدة فيستوي عنده البدء والغاية والازل والنهاية
فازله ابده وابده ازل بحسب الزمان كما علوه دنوه ودنوه علوه بحسب المكان فهو
الاول والاخر والظاهر والباطن القائم قبل الاشياء والدائم الذي به قوامها
يعني انه تعالى قائم بذاته لا بغيره لانه واجب الوجود ولو قام وجوده بغيره لكان ممكنا
مفتقرا الى الغير ولزم الدور ايضا وهو قبل الاشياء ولافتقارها اليه اما بواسطة

او بغير وسط لانها ممكنة فينتهي سلسلة افتقارها اليه تعالى دفعاً للدور والتسلسل
وهذه القبلية قبلية بالذات لتعاليه عن الزمان فهو دايم الذي به قوام الموجودات
فهو القايم بذاته المقوم لغيره وهذا هو معنى القيوم والقاهر الذي لا يؤده حفظهما
لا يؤده اي لا يثقله ولا يشق عليه حفظ الاشياء يقال اوده يوده اذا اثقله و
اجهده واودت العود اودًا اذا اعتمدت عليه حتى املته وفي ايراد صفة القهر
ههنا اشارة الى الدليل على كونه مما لا يتعبه ولا يكله حفظ الاشياء لان
ايجاده وادامته لها على سبيل الترشح والفيض لا على وجه الاستكمال و
الانفعال كما في غيره من الفاعلين اذ ما من فاعل غيره الا ويفعل لغرض زايد على
ذاته ويستكمل في فاعليته بذلك الغرض الذي يعود اليه وينفعل منه والانفعال
يلزم التعب والكلال والانتقال من حال الى حال والقادر الذي بعظمته
تفرد بالملكوت وبقدرته توحد بالجبروت الملكوت من الملك بالكسر وهو كالملكة
في المعنى كما ان الملكة كالملك بالضم فيه وخص استعماله في المملكة الباطنة فيقابل
الملك اي المملكة الظاهرة والجبروت ايضًا فعلوت من الجبر وانه تعالى جبار لانه
يجبر نقايص الممكنات بافاضة الخيرات عليها ويكسو العناصر صور المركبات فيجبر
نقصانها وخص استعماله في عالم الالهية وقيل الجبروت فوق الملكوت كما ان
الملكوت فوق الملك والمراد انه متفرد بالكية الاشياء ظاهرها وباطنها
لان الملك بالحقيقة هو الغني مطلقا الذي لا يستغني عنه شيء من الاشياء والقادر
الذي لذاته كل شيء لانها حصلت اما منه او مما منه فكل شيء غيره فهو له مملوك وليس له
الى شيء فقر وبحكمته اظهر حججه على خلقه الحكيم هو المحكم خلق الاشياء والاحكام هو الاتقان

التدبير

التدبير وحسن التصوير والتقدير والحكيم ايضًا الذي لا يفعل قبيحًا ولا يخل بواجب
والذي يضع الاشياء مواضعها والحكيم ايضًا العالم لاشتقاقه من الحكم بمعنى
التصديق او من الحكمة والحكمة لغة العلم ومنه قوله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء
وعن ابن عباس الحكيم الذي كمل في حكمته والعليم الذي كمل في علمه والحجج جمع
الحجة وهي في اللغة اولًا بمعنى القصد ومنه المحجة جادة الطريق ثم غلب على قصد
الكعبة للنسك والحجة ايضا بمعنى الغلبة فحجه اي غلبه والمحجوج المغلوب فاستعمل
بمعنى الدليل اذ به يحصل الغلبة على الخصم كما في قوله ولقد حاج ابراهيم وقوله وتلك
حجتنا آتيناها ابراهيم نرفع درجات من نشاء ثم استعملت بمعنى الرسول والامام
اما من باب المبالغة مثل زيد عدل او لان ذواتهم ادلاء الى الحق فيكونون
حججًا على الخلق والمعنى ان حكمته تعالى اقتضت اظهار الحجج على الخلايق ببعثة الانبياء
ونصب الاوصياء عليهم السلم ليكمل الخلقة ويتم النعمة اذ بدون ذلك لا يتمشى
النظام ويقع الهرج والمرج والانثلام والانهدام كما بين في موضعه اخترع الاشياء
انشاء وابتدعها ابتداء بقدرته وحكمته لا من شيء فيبطل الاختراع ولا لعلة فلا
يصح الابتداع الاختراع والابتداع لفظان متقاربان في المعنى وهو ايجاد الشيء
لا عن اصل ولا على مثال ومن اسمائه تعالى البديع وهو فعيل بمعنى المفعل
كالاليم بمعنى المولم والبديع قد يجيء بمعنى المفعول ايضًا والبديع هو الذي يكون
اولًا في جنسه ومنه قوله تعالى ما كنت بدعًا من الرسل اي لست باول مرسل
والمراد انه تعالى اوجد الاشياء بنفس قدرته لا عن مادة وبمحض حكمته لا لغرض
اذ لو اوجدها بواسطة اصل وعنصر لافتقر في فاعليته الى السبب الاخر منه الاصل فلم يكن

الفبلية

ذ شرمرادك الشيا م

بدعًا

مختر … صنعه … فرد … واحد … لكان ناقصا في فاعليته …

مبتدعا لانّ الغرض وهو العلّة الغائية ما يجعل الفاعل فاعلا فالاوّل اشارة الى
نفي العلّة المادّيّة عن فعله والثاني الى نفي العلّة الغائية عنه خلق ما شاء كيف شاء
لما نفي الغاية عن فعله توهّم انّه ليس فاعلا بالاختيار فازاح ذلك بانّه يفعل الاشياء
كما شاء فيكون بمشيّته اي بارادته يفعل الخلق لكن مشيّته كقدرته ليست غير
ذاته ليلزم ان يكون لغيره تاثير في فعله فانّ من فعل فعله بارادة زائدة على ذاته كان
محتاجا في قدرته وارادته الى مرجّح زائد عليه يرجّح احد طرفي مقدوره لتعلّق الارادة
به فكانت ذاته مستكملة بذلك المرجّح لحصول اولويّة لها بسببه والّا لم يفعل
به وكل مستكمل بغيره ناقص في ذاته والله منزّه عن النقصان وايضا اذا كانت
المشيّة زائدة عليه يلزم في ذاته تعالى جهتا قوّة وفعل وحيثيتا امكان ووجوب
فلم يكن واحدا حقّا واشار الى نفي الزيادة بقوله متوحّدا بذلك لاظهار حكمته وحقيقة
ربوبيّته يعني خلق ما شاء حال كونه وحدانيّا ذاتا وصفة اذ لم يخلق الّا لاظهار عليه
بالنظام الاكمل الذي هو حقيقة الهيّته وربوبيّته لا لغاية اخرى وداع آخر دعوه الى
الخلق والايجاد لا تضبطه العقول ولا تبلغه الاوهام ولا تدركه الابصار الادراك على
ثلثة اقسام اقسام لانّه عبارة عن حضور شيء عند المدرك وهو امّا جسماني او مفارق
عن الاجسام والمفارق امّا مفارق بالكلّيّة عنها او متعلّق بها مضاف اليها فالاوّل
هو المحسوس وادراكه بالحسّ واقوى اقسامه واجلاها هو البصر والثاني هو المعقول
وادراكه بالعقل والثالث هو الموهوم وادراكه بالوهم يريد نفي كونه تعالى مدركا
لغيره بنحو من الانحاء الثلثة والبرهان عليه انّ كل ما له صورة مساوية لحقيقته فهو محتمل
الشركة بين كثيرين والله منزّه عن المثل والشريك وممّا ورد في الحديث انّ الله
احتجب

احتجب عن العقول كما احتجب عن الابصار وانّ الملأ الاعلى يطلبونه كما انتم تطلبونه
ثمّ المدرك بالحسّ لا يخلو من حيّز ومقدار واليه اشار بقوله ولا يحيط به مقدار لتنزّهه عن
الجسميّة وما يكتنفها عجزت دونه العبارة وكلّت دونه الابصار بفتح الالف اي
قصرت دون وصفه عبارة البلغاء وحسرت من عن ادراكه ابصار البصراء وضلّ
فيه تصاريف الصفات اي ضلّ في طريق نعته نعوت الناعتين وصفات الواصفين
بفنون تصريفاتها وانحاء تغاريرها وتعبيراتها اي كلّما حاولوا ان يصفوه تعالى باجلّ
ما عندهم من صور الصفات الكماليّة واعلى ما في عقولهم من مفهومات النعوت
الجماليّة فاذا نظروا اليه وحقّقوا امره ظهر لهم انّ ذلك دون وصف جلاله واكرامه
وسوى نعوت جماله واعظامه فلم يصفوه بما هو وصفه ولم ينعتوه بما هو كما حقّه بل
رجع ذلك الى وصف امثالهم واشباههم من الممكنات كما في الحديث المشهور من الصحيح
عن الباقر عليه السلم كلّما ميّزتموه باوهامكم في ادقّ معانيه الى آخره وذلك معنى ما في
الادعية السجّاديّة من قوله عليه السلم ضلّت فيك الصفات وتفسّخت فيك النعوت
احتجب بغير حجاب محجوب واستتر بغير ستر مستور يعني انّ احتجابه عن البصائر
والابصار واستتاره عن العقول والانظار ليس من جهة خفائه في نفسه لانّه
اظهر الاشياء واجلى الموجودات ولا من جهة مانع يحجبه او ساتر يستره اذ لا حجاب
بينه وبين خلقه الّا قصور الغرائز ونقصان المدارك والعقول بل غاية ظهوره سبب
بطونه ونهاية جلائه منشأ خفائه فهو من حيث هو ظاهر باطن ومن حيث هو متجلّ
محجوب ومن حيث هو مشهور مستور قوله حجاب محجوب الاولى كونه بالاضافة بمعنى
اللام لا بالتوصيف وكذا قوله ستر مستور عرف بغير رؤية قد تقرّر في العلوم العقليّة

ان كلّ ما لا سبب ولا جزء له لا يمكن عرفانه بطريق الفكر البرهاني بل انّما مجهول محض مأيوس
عن معرفته وانّما مستدلّ عليه من جهة الآثار والافعال والعلم الحاصل من طريقها علم
ناقص لا يعلم به خصوصيّة ذات المعلوم بل بوجه عام مشترك بينه وبين غيره اذ الاثر
والمعلول لا يستدعي الّا سببًا مّا وعلّة مّا مطلقا وامّا معروف بالمشاهدة الحضوريّة
لا بصورة زائدة كما هو حال العرفاء الكمّل من الانبياء والاولياء على نبيّنا وآله وعليهم السلم
عند انخلاعهم عن هذه النشاة ولكن لا على سبيل الاحاطة والاكتناه لانّها ممتنع بل لكمال
بل على وجه الاستغراق والاندكاك وفي بعض النسخ بغير رؤية بالهمزة والتخفيف
يريد نفي الابصار ومعناه ظاهر ويلائم الاوّل قوله ووصف بغير صورة اشارة
الى نفي الحدّ له عنه كما الاوّل اشارة الى نفي البرهان عليه عنه اذ حدّ الشيء هو
الصورة المساوية لذاته وكلّما يوصف بحدّ لا بدّ ان يكون له ماهية كليّة مركّبة من
جنس وفصل والحق تعالى بسيط الحقيقة وجوده عين ذاته بلا ماهيّة فلا حدّ له كما لا برهان — فلا حدّ له
عليه ونعت بغير جسم ولا جسماني هذا من قبيل عطف العامّ على الخاصّ اللّهم الّا ان
يراد من الصورة الشكل ونحوه وهو كما ترى لا اله الّا الله الكبير المتعال لمّا ذكر
من صفات التنزيه وعدّ من نعوت التقديس ما دلّ على التوحيد ونفي المثل والشريك
واثبات العظمة والتقديس صرّح بالمقصود واتى بكلمة التوحيد والتنزيه التي بها
يمتاز الموحّد عن المشرك ثمّ اردفها بصفات اخرى توجب زيادة المعرفة وقوّة
الايمان وشدّة نور العرفان فقال ضلّت الاوهام عن بلوغ كنهه وذهلت العقول
ان تبلغ غاية نهايته لا يبلغه حدّ وهم ولا يدركه نفاذ بصر النفاذ والنفوذ بمعنى واحد
من نفذ السهم من الرميّة ونفذ الكتاب الى فلان وامره نافذ اي ماض وهو السميع
العليم لا بآلة ولا بقوّة زائدة بل سمعه عبارة عن علمه بالمسموعات وكذا بصره

علمه

علمه بالمبصرات وعلمه عبارة عن احاطة ذاته بالاشياء على وجه الانطواء من غير — الانطواء
ان يصير اجزاء ذاته كما هو التحقيق لمّا ذكر من المعارف ما يدلّ على الالهيّة والتوحيد
اخذ فيما يدلّ على الرسالة والبعثة فقال احتجّ على خلقه برسله واوضح الامور بالدلائل
ولمّا كلّف الله العباد بمعرفته وعبادته لانّ المعرفة به غاية وجودهم وغرض خلقهم
كما في قوله وما خلقت الجنّ والانس الّا ليعبدون اي ليعرفون ومعرفتهم
بالله وباليوم الآخر لا يحصل الّا من طريق النبوّة والرسالة لانّ عقولهم غير
كافية فيها سيّما ما يتعلّق منها باحوال المعاد وحشر الاجساد فيحتاجون الى
معلّم بشري وهو النبيّ والرسول عليهم السلم او من يستخلفه فالمعرفة موقوفة
على بعثة الرسل عليهم السلم لانّ ما لا يتمّ الواجب المطلق الّا به فهو واجب فالبعثة
واجبة عليه تعالى ليكونوا حججًا من الله على عباده ثمّ لا يحصل العلم بالرسل عليهم السلم
الّا بالدلائل فيجب على الله تعالى نصب الدلائل والبيّنات على حقيّتهم بعين ما
ذكرناه من توقّف الواجب عليه وابتعث الرسل مبشّرين ومنذرين
صيغة ابتعث متعدّية الى المفعول يقال بعثه وابتعثه اي ارسله ليهلك
من هلك عن بيّنة ويحيى من حيّ عن بيّنة اي ليموت من يموت عن بيّنة عاينها
ويعيش من يعيش عن حجّة شاهدها لئلا يكون حجّة على الله بل يكون لله الحجّة البالغة
على خلقه او ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بيّنة على سبيل
استعارة الهلاك والحيوة للكفر والايمان او لانّ الكفر سبب للهلاك
الحقيقي الاخروي والايمان سبب للحيوة الحقيقيّة الابديّة فيكون من باب
المجاز المرسل تسمية للمسبّب باسم السبب والمراد بمن هلك ومن حيّ

المشارف للهلاك والحيوة او من هذا او ذاك حاله فى علم الله وقضائه وليعقل
العباد عن ربهم بتعليم الانبياء وارشادهم عليهم السلم ما جهلوا من احوال المبدء
والمعاد فيعرفوه تعالى وتقدس بربوبيته بعد ما انكروه بترك عبادته وطاعته
ويوحدوه بالالهية بعد ما اضدوه بالتشريك وعبادة الاصنام والهياكل لما ذكر
اولا حمد الله تعالى على نعمه العامة التى اشترك فيه الخلق المسلم والكافر ثم ذكر
من نعوته وصفاته تعالى ما يتعلق بايضاح الحجج وانبعاث الرسل عليهم السلم
ولا شك ان هذه نعمة خاصة جليلة شريفة اجل واشرف مما تقدم فيقتضى حمدا
وشكرا اخص واتم من الاول فلذلك استانف الحمد مرة اخرى فقال
احمده حمدا يشفى النفوس ويبلغ رضاه ويودى شكر ما وصل الينا من سوابغ
النعماء وجزيل الالاء التى من جملتها بعث الانبياء واقامة الحجج والادلاء و
السبوغ بمعنى الاتساع والكمال وسبغت النعمة اى كملت والاسباغ
الاتمام والجزل ما عظم من الحطب ويبس وعطاء جزل وجزيل عظيم والاضافة فيهما
من اضافة الصفة الى الموصوف اى النعماء الواسعة والالاء العظيمة وجميل
البلاء هو بمعنى الاختبار والامتحان من بلاه وابتلاه وابلاه وتبالاه اى اختبره
وخبره وهو يكون فى الخير والشر اى بلاء حسنا جميلا فيكون من النعم الخاصة ثم لما
حمد الله وشكره على النعم الخاصة المتعلقة بامر الرسالة والهداية كر راجعا
الى كلمة التوحيد مضموما اليها الاقرار بافضل الانبياء وخاتم الرسل عليه وعليهم
السلم فاقر بالشهادتين اللتين هما جزء الاسلام فقال واشهد ان لا اله
الا الله وحده لا شريك له الها واحدا احدا صمدا لم يتخذ صاحبة ولا ولدا واشهد ان
محمدا

اخذه غضب ق

اعظم م

فيهما لصح

محمدا صلى الله عليه وآله عبد انتجبه اى اختاره ورجل نجيب اى كريم بين النجابة
ورسول ابتعثه على حين فترة من الرسل الفترة فى الاصل بمعنى الضعف
والانكسار ويقال لما بين الرسولين من رسل الله عليهم السلم
وطول هجعة من الامم الهجوع النوم ليلا وانتبه بعد هجعة من الليل اى
بعد نومة قليلة منه والمراد ههنا غفلة الامم بفقدهم عليهم السلم وانبساط من
الجهل واعتراض من الفتنة وانتقاض من المبرم المراد منه تطرق الخلل الى
القوانين الشرعية ووقوع القصور فى الاحكام الدينية يعنى انه ظهر احوج ما كان
الناس الى من يهدى الصراط المستقيم ويدعو الى الدين القويم بنظم الامور
وضبط حال الجمهور وذلك من جهة تفرق السبل وانحراف فى الملل و
اختلال للدول واشتعال نار الضلال واشتغال الناس بالمحال
فالعرب على عبادة الاوثان ووأد البنات والفرس على تعظيم النيران
ووطى الامهات والترك على تخريب البلاد وتعذيب العباد والهند على
عبادة البقر والسجود للحجر والشجر واليهود على العناد والجحود والنصارى جارى
فيمن ليس له ولد ولا مولود وعمى عن الحق واعتساف من الجور وامتحق من الدين
محقه محقا اى ابطله ومحاه وتمحق الشئ وامتحق اى بطل افيليق بحكمة الملك
الحق المبين ان لا يرسل رحمة للعالمين ولا يبعث من يجدد الدين ويكشف
عن وجه اليقين فلا جرم ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو
كره المشركون وانزل اليه الكتاب فيه البيان والتبيان قرانا عربيا غير ذى
عوج لعلهم يتقون قد بينه اى بين الله تعالى او الرسول عليه السلم القران للناس

انه اظهر م

لصح
للدول

[illegible] البنات [illegible]

لصح
وسجود

فيمن ليس له ولد
ولا مولود لفظ

١٤

كلما خفى عليهم من امر الدين ونهجه بالتخفيف اى اوضح طريقه وابان لهم من نهجت
الطريق ابنته واوضحته وقد يجئ نهجته بمعنى سلكته بعلم قد فصّله اى بسبب
علم الهى ازلى افاد تفصيله عليهم فى القرآن ان كان فاعل بيّن هو الله او بعلم
نبوى فصّل به مجملات الكتاب ان كان الفاعل هو الرسول ودين قد اوضحه
والاول اشارة الى علم الحقيقة والايمان والثانى اشارة الى علم الطريقة
والعمل بالاركان ولهذا عقّبه وعطف عليه توضيحاً بقوله وفرايض قد
اوضحها واوامر قد كشفها لخلقه واعلنها اى اعلن تلك الفرايض والاوامر
فيها دلالة مبتداء قدّم عليه خبره للظرفية الى النجاة متعلق بالمبتداء وكذلك
قوله ومعالم عطف على دلالة وقوله تدعوا الى هداه صفة لمعالم والهدى عطف
ما يهتدى به والضمير المجرور اما لله اى هدى الله وهو دينه الحق او للرسول او
للكتاب او القرآن والاضافة على الاخيرين بيانية فبلّغ صلى الله عليه وآله
ما ارسل به الباء للملابسة اى ارسل الى الخلق ملتبساً به من القرآن او الرسالة
وصدع بما امر كما قال تعالى فاصدع بما تؤمر اى اظهر دين الاسلام والصدع
الشق وقد صدعته فانصدع وصدعت الفلاة قطعتها وصدعت الشيء
اظهرته وبيّنته وصدعت بالحق تكلمت به جاراً وادّى ما حمل من اثقال النبوة
الاثقال جمع الثقل ضد الخفة كما فى قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها اى اجساد الخفة
بنى آدم وقد يجئ على جمع الثقل بمعنى المتاع وقد يحمل عليه ايضاً معنى الآية والمراد ههنا
هو الاول وفيما ذكره اشعار بان المراد من الامانة فى قوله تعالى انا عرضنا الامانة
الى قوله وحملها الانسان هى النبوة لا العقل كما قيل لانتقاض الحكم بالملك وحملها

ولا التكليف

ولا التكليف لشموله للجن ولا المجموع لاجل ذلك ولا الهيئة الاجتماعية التى
فى الانسان لحصولها فى العالم الكبير وصبر على المحن والشدايد والاذى
من قريش واليهود وغيرهما لربه اى للتقرب اليه وجاهد مع اعداء الله
فى سبيله ونصح لامته ودعاهم بالحكمة والموعظة الحسنة الى النجاة
وحثّهم اى حضّهم على الذكر اى ذكر الله تعالى بالقلب واللسان ويحتمل ان
يكون المراد به الصلوة والدعاء ودلّهم على سبيل الهدى من بعده بان
استخلف بعده كتاب الله واهل بيته عليه وعليهم السلم كما فى قوله صلى الله
انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى واليه اشار بقوله بمناهج اى الطرق
الواضحة ودواع اى اسباب بها يسلك طريق النجاة وسبيل الحق
اسّس للعباد اساسها اى اصل تلك المناهج والدواعى ومناير جمع
منارة مفعلة بفتح الميم من الاستنارة يقال لما يوضع عليه السراج و
لما يؤذن عليها وقياس جمعها مناور لكن قد تورد بالهمزة تشبيهاً للاصلى
بالزايد كما فى مصايب والمراد ههنا ما يتضح ويستنير بها طريق الحق رفع
لهم اعلامها اى نصب للامة اعلام تلك المناير ففيه اشارة الى التشبيه الهداة
بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وهم اهل بيته عليهم السلم اولاً بما يوضع عليه
السراج على سبيل الاستعارة الجامع من الاضاءة الحسية والعقلية
ثم شبه تارة اخرى نصبهم للخلافة برفع الاعلام على طريقة التمثيل لكيلا يضلوا
بفتح الياء من بعده فى طريق الآخرة بفقد الدلايل والاعلام والقواد وكان
بهم صلى الله عليه وآله رؤفاً رحيماً الواو اما للعطف على الافعال الماضية او

للجاليّة والجملة حال عن ضمير المرفوع المستكن في واحد واحد منها او عن المرفوع البارز في يفضلوا فلمّا انقضت مدّته اي مدّة عمره واستكملت ايّامه اي ايّام بقائه وحيوته في الدّنيا توفّاه الله اي اخذه كلّه وفيه اشعار بانّ الرّوح سيّما روح الكمّل يبعض قواه في البدن والدّنيا لا بكلّها كما يعرفه المحقّقون وكذا في حالة النّوم بشيء منها في البدن كما سينكشف من بعض الاحاديث فيما سيأتي وقبضه اليه اي قبض روحه بتمامه اليه سبحانه وهو عند الله مرضيّ عمله حال من الضمير المفعول او عن الفاعل وافر حظّه عظيم خطره اي قدره ثمّ مضى صلى الله عليه وآله وخلّف في امّته كتاب الله ووصيّه امير المؤمنين وامام المتّقين صلوات الله عليه صاحبين اي متصاحبين لا ينفكّ احد بها عن الآخر مؤتلفين يشهد كلّ منهما بالآخر بوجه اذ يشهد كلّ منهما لصاحبه بالتّصديق فيشهد الكتاب بانّ عليّاً صلوات الله عليه وليّ الله لقوله انّما وليّكم الله الآية ولقوله اطيعوا الله واطيعوا الرّسول واولي الامر منكم ولقوله هو مولاه وجبرئيل وصالح المؤمنين وغير ذلك من الآيات ويشهد هو عليه السّلم بانّ القرآن بما فيه حقّ لعلمه بظاهره وباطنه ومحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه ومفهومه ومنطوقه وعامّه وخاصّه وهو المراد في قوله تعالى ومن عنده علم الكتاب وقوله فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقوله لعلمه الذين يستنبطونه ينطق الامام عن الله في الكتاب بما اوجب الله فيه على العباد من طاعته وطاعة الامام وولايته ووجب حقّه الذي اراد الموصول وخبره صفة لحقّه اي من واجب حقّ الله الذي اراده واوجبه على العباد في الكتاب وهو المبيّن بقوله من استكمال دينه اي

دين الله

انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكاة وهم راكعون

واوجب

دين الله وانفاذ امره والاحتجاج بحججه لا بغير تلك الحجج التي عيّنها للاحتجاج والاستضاءة بنوره الذي اودعه في معادن تلك المعادن اهل صفوته اي خلّص عباده فانّ صفو كلّ شيء خالصه ومختاره اطلق عليه المصدر مبالغة لكنّه ههنا على الرّسم لا بمعنى المفعول لاضافة الاهل اليها اللّهمّ الّا ان تكون بيانيّة ومصطفى اهل خيرته اي المختار من مختاريه ومصطفى مصطفيه فاوضح الله بائمّة الهدى من اهل بيت نبيّنا عن دينه ما خفي على النّاس من معالم الدين ومعارف الحقّ اليقين وابلج اي اضاء والبلوج الاشراق وقد بلج الصّبح اي اضاء وصبح ابلج اي بيّن البلج اي مشرق مضيء وكذلك الحقّ اذا اتّضح يقال الحقّ ابلج كذا في الصّحاح وقد يستعمل متعدّيا كاضاء واشرق بهم عن سبيل مناهجه وطريق معالمه من آيات الكتاب وشواهد السّنّة فانّها مناهج الى الله اتّضحت سبيل معرفتها بتعليمهم عليهم السّلم وفتح بهم عن باطن ينابيع علمه اي ينابيع علم الله تعالى او العلم به تعالى شبّه العلم بالماء استعارة بالكناية واثبت له الينبوع تخييلا ولعلّ المراد بالينابيع آيات القرآن وجعلهم مسالك لمعرفته اذ بسبب معرفتهم يوصل الى معرفة الله فهم عليهم السّلم بوجه الزوّار بها يستضاء طريق الحقّ والرّضوان وبوجه آخر طرق ومسالك الى الله وبوجه آخر معالم لدينه لانّهم اعلام ومنائر يستدلّ بها على الطّريق وبوجه آخر صاروا حججا بينه تعالى وبين خلقه لانّهم وسائط بين الخلق والحقّ وبوجه آخر جعلوا الباب المؤدّي الى معرفة حقّه اذ بهم يتأدّى العارف الى مدينة المعرفة كما في قوله صلى الله عليه وآله انا مدينة العلم وعليّ بابها وكذا حكم اولاده المعصومين عليهم السّلم اطلعهم الله اي جعلهم مطّلعين

والطهار

مختاريه

من قولك اطلعتك على سري والاطلاع بالتشديد الاشراف والوقوف على
المكنون من غيب سره مما لا يمكن الاطلاع عليه لغيرهم فهم حفظة لسره وخزنة لعلمه
وودايع لحكمته وانهم اركان لتوحيده وشهداء على خلقه واعلام لعباده ومنائر
في بلاده وادلاء على صراطه فاحتاج الخلايق الى وجودهم اذ بهم يتم النظام ويكمل
بتعليمهم دين الاسلام فلا جرم لا تخلو الارض منهم جميعا كلما مضى منهم امام نصب لخلقه
من عقبه اي من بعده ان كان المكتوب حرف جر ومجرور بها او من عقب الله
الماضي ان كان موصولا وصلة اماما اما حال من الموصول او مفعول لنصب
بينا بين صفة للامام اي بين الامامة لظهور الآيات والكرامات منه مع دعوى الامامة
وهاديا نيرا يضيء القلوب بهدايته وارشاده واماما قيما بامر الامة يهدون بالحق
اما صفة او حال او خبر مبتدا اي هم يهدون الناس محققين او بكلمة الحق او يهدون
الى الحق ويرشدون اليه وبه اي وبالحق يعدلون بين الناس في الحكم وبه يحكمون
ويعدلون في حكمهم وهم كلهم حجج الله على خلقه ودعاته لهم الى الحق والدين ورعاته
جمع الراعي وكذا الرعيان والرعاء كما في قوله تعالى حتى يصدر الرعاء والراعي هو الوالي
والرعية العامة كانهم شبهوا بالاغنام لانهم قبل ان يتكلموا كالانعام في الحيرة و
الضلالة على خلقه بالحراسة والارشاد فيحرسونهم ويرشدونهم الى سبيل الخير
والنجاة ولولاهم لضلوا وهلكوا الذين يهديهم العباد ويستهل اي يتبين بنورهم
البلاد جعلهم الله حيوة للانام لانهم سبب ايمانهم الذي به حيوتهم الباقية تسمية
للسبب باسم المسبب ومصابيح الظلام اذ بنورهم يهتدون في ليالي حجب
الاجسام وظلمات مدة الابدان فيسلكون سبيل الحق والظلام اول الليل
ومفاتيح الكلام اي القرآن اذ بتعليمهم ينفتح باب فهمه على القلب ودعائم للاسلام

بحفظ

بحفظ بنائه بواحد منهم بعد واحد كمن يمسك سقفا بدعامات يقيم كلا منها بدل
الآخر وجعل نظام طاعته وتمام فرضه على العباد التسليم اي ان يسلموا اليهم
فيما علم اي فيما هو معلوم والرد اليهم فيما جهل اي ان يردوا اليهم عليهم السلم
فيما هو مجهول على الناس اي يرجعوا اليهم لا الى غيرهم في وقايعهم المجهولة ولا
ان يعملوا بالقياس فيها لقوله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
واليه الاشارة بقوله وحظر اي حجر وحرم على غيرهم التهجم هو الوقوع
على الشيء من غير ملاحظة والهجوم الدخول على الشيء بغتة من غير استيذان
على القول بما يجهلون ومنعهم جحد ما لا يعلمون كما في قوله تعالى فلم تحاجون فيما
ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون لما اراد الله تبارك وتعالى تخليص
المذكورات في حقهم عليهم السلم بما تقرر في سابق علمه تعالى وتعلقت به مشيته
من بيانية استنقاذ من شاء من خلقه اي نجاتهم وتخليصهم من ملمات
الظلم اي نازلاتها من قوله الم به اي نزل به ومغشيات البهم اي مغطياتها
من الغشاوة وهي الغطاء قال تعالى فاغشيناهم فهم لا يبصرون اي غطيناهم
والبهمة الجيش والفارس الذي لا يدرى من اين يؤتى من شدة الباس
والجمع بهم وكلام مبهم لا يعرف له وجه وصلى الله على محمد واهل بيته الاخيار
الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا عطف على قوله الحمد لله
الخ كما عطف الصلوة على التحميد في ساير الخطب بان ادرج نعت النبي و
اهل بيته عليه وعليهم الصلوة والسلم في حمد الله تعالى والثناء عليه وجعل نعوتهم
متعلقة بحمده وثنائه اشعارا بغاية قربهم لديه وكمال منزلتهم عنده اما بعد

جعل

حجر

خلاف

فقد فهمت يا اخي ما شكوت من اصطلاح اهل دهرنا اي تصالحهم وتوافقهم
من قولهم اصطلحوا وتصالحوا اذا تراضوا ولم يتخاصموا والتصالح والمصالحة خلاف
التخاصم والمخاصمة على الجهالة اي كونهم يتوالفون ويتحابون لاجل الجهالة المشتركة
التي استحسنوها وتوازرهم اي تعاونهم بهموز الفاء من آزرته عاونته والمشهور
وازرته وسعيهم في عمارة طرقها بارتكاب الشهوات واقتراف السيئات واقتناء
الاموال وتقرب السلاطين ومعاشرة الارذال ومباينتهم العلم واهله اي استنكافهم
عن طلب العلم وتنزههم عن صحبة العلماء ومجلس العلم اذا اتفق حتى كاد العلم معهم
اي بسببهم وشومهم ان يأرز اي ينضاء وينقطع مواده لما قد اعرضوا عنه
ورضوا ان يستندوا الى الجهل صريحا من غير مبالاة ويضيعوا العلم واهله برفع اعلام
الجهالة ورايتها وخفض علامات العلم وآياته واستنزالهم العلماء والحكماء واستعظامهم
الجهال والاغبياء كما هو حال اهل زماننا هذا بعينه من انصرافهم عن المعرفة والحكمة فيجحدونها
معاندين ويمنعونها مكابرين اذ قد توحشت طبايعهم عن نورها واشمأزت عنها
اشمئزاز المزكوم عن رايحة الورد واستيحاش الخفافيش ضوء الشمس وكل من كان
في بحر الجهل اولج وعن باب العلم والكمال اخرج كان عند ارباب الزمان افضل
والى اوج القبول والجاه اوصل كما قيل كم عالم يلج الابيات وسئلت بل بسع
الناس المقام على الجهالة في امر الدين وطريق العبودية لرب العالمين وسلوك
صراط المستقيم والتمسك بشريعة سيد المرسلين صلوات الله عليه وعليهم وآله
اجمعين والتدين بغير علم اذ كانوا داخلين في الدين بمجرد القول واللسان
مقرين بجميع اموره على جهة الاستحسان او العادة والاستيناس من غير حجة

الدين

وبرهان

وبرهان ومن جهة النسق بالتحريك عليه وفي بعض النسخ والنشو عليه وفي نسخة
والنشق بالقاف يقال رجل نشق اذا كان دخل في امور لا يكاد يتخلص منها
والتقليد للآباء والاسلاف والكبراء وهذا حال اكثر ابناء الزمان من المنتسبين
الى العلم المتوسمين بالفقه اذا اقيم عليه البرهان فيما خالف رأيه من بعض قواعد
العقايد واصول المعارف لم يأت الشئ بسمن ويغني الا بالنقل من بعض
المشايخ والاسلاف ولم يعلموا ان هذا بعينه ما ذمه الله تعالى في مواضع
عديدة من القرآن والاتكال على عقولهم في دقيق الاشياء وجليلها واصول
المعارف وفروعها اشارة الى ان الاتكال على عقول الاسلاف انما يجوز
في المحسوسات والفروع لا غير فاعلم يا اخي شروع في الجواب عن استفتائه
خلق بتمهيد مقدمة وهي ان الله تبارك وتعالى خلق عباده وهي افراد البشر خلقة اي
فطرة منفصلة عن البهايم في الفطن في اكثر النسخ بالنون جمع الفطنة وهي الفهم
والذكاء وفي بعضها الفطر بالراء جمع الفطرة وهذه اولى لان الكلام في اصل الخلقة
والفطنة والفطانة من الامور العارضة ولانها انسب بقوله كل مولود يولد
على الفطرة لانها جعلت اسما للخلقة القابلة لدين الحق على الخصوص ثم جعلت اسما
صاحبها للملة الاسلام نفسها لانها حالة من احوال صاحبها وعليه قوله صلى الله عليه
وآله قص الاظفار من الفطرة والظاهر ان الصورة الاولى من تصرف الكتاب
والعقول المركبة فيهم هذا مبتداء موصوف خبره قوله محتملة للامر والنهي بخلاف
البهايم فانها لا تفهم الخطاب لنقصان نفوسها وانحطاطها عن درجة الدعوة
جعلهم بالامر والنهي الا صوتا ونداء وخلقهم جل ذكره مع اشتراكهم بينهم فيما يتمازون

عن سائر الحيوانات في اصل الفطرة صنفين صنفاً منهم نصبه على البدل والاولى
كونه مرفوعا كما هو المتعارف في مثل هذا الموضع بان يكون مبتدأ خبره اهل الصحة
والسلامة واما اذا كان منصوبا على كونه مفعولا ثانيا لخلق فلم يبق لهذا الكلام محل
من الاعراب وكذا قوله وصنفاً منهم اهل القفر والزمانة وكانهم ضرار وزمناء
في الجوهر الباطني والاول اشارة الى قصور القوة النظرية التي يقال لها
العقل النظري والثاني الى اختلال القوة العملية التي يقال لها العقل العملي
فان قلت ما سبب هذا الانقسام وما الباعث على هذا التفاوت بين
الانام بعد ان كان الكل مقدوراً له مخلوقاً بامره وقضائه وقدره فما بالنا لا
نتساوى في الخيرات والشرور في التوفيق والخذلان والثواب والخسران
في الكمال والقصور ولم لا نتشاكل ولا نتعادل ولا نتماثل فاين عدل الله
فينا وقد قال تعالى وما انا بظلام للعبيد وقال وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين
قلنا ان في الجواب عن هذا السؤال تفصيلا لا يليق بهذا الموضع وانما يطلب
في كتبنا المبسوطة لتوقفها على علوم كثيرة شامخة ولا يمكن الجواب بما يقوله الاشاعرة
ومن يحذو حذوهم من انه تعالى يفعل بالاختيار والعالم ملكه وملكه وللمختار ان يفعل
في ملكه وملكه ما يشاء ويتمسكون بقوله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فانه تعالى
اجل واعظم من ان يفعل باختياره لا لحكمة وغاية بل بمجرد الارادة الجزافية
نعم لا يكون لفعله المطلق ولا لما يبدعه اولا علة غائية غير ذاته فذاته غاية قريبة
له كما انه فاعل قريب له وهو غاية الغايات المتوسطة كما انه فاعل الفواعل

ومبدع

بظلام لهم

ومبدع البدايع ولو لم يكن السؤال بلم صحيحا لما وقع من داود على نبينا وعليه السلام
في قوله لما خلقت الخلق ولما وقع الجواب عنه تعالى بقوله خلقت الخلق لاعرف
على طبق ما قال في القرآن وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وكلمة لام للتعليل
واما القدر المناسب لهذا الموضع من الجواب فهو انه كما ان الانواع متخالفة في
الحقايق بعضها في الطبقة الاولى من الممكنات لقربها من الله تعالى كالملائكة المقربين
وبعضها في الطبقة الثانية كمدبرات السموات وهكذا حتى ينتهي الى الارضيات
فلا يرد السؤال بانه لم كان العقل اشرف من الجسم ولم كانت السموات افضل
من الارض ولم صار الانسان اشرف من الحمار والكلب ولم صار عين الكلب
نجساً وعين الماء طاهراً لان الاعيان والمهيات غير مجعولة وانما الحق افاضة
الوجود عليها فهذه التفاضل من لوازم الوجود والايجاد والمحال غير مقدور فكذلك
نقول في اختلاف الاصناف الانسانية بان الارواح الانسانية بحسب الفطرة
الاولى مختلفة في الصفاء والكدورة والضعف والقوة وفي الفقر والزمانة
والصحة والسلامة ودرجات القرب والبعد من الله تعالى والمواد السفلية
التي بازائها بحسب الخلقة متباعدة في اللطافة والكثافة ومزاجاتها متباينة
في القرب والبعد من الاعتدال الحقيقي فقدر الله تعالى بازاء كل روح ما يناسبه
من المواد فحصل من مجموعها استعدادات مناسبة لبعض العلوم والادراكات
دون بعض موافق لبعض الاعمال والصناعات دون آخر على ما قدر لها في العناية
الاولى والقضاء السابق كما قال صلى الله عليه وآله الناس معادن الحديث
فلاجل ذلك تختلف الدواعي والارادات وتتفنن الاشواق والادراكات فينزع

موافقة

١٨

بعضهم بطبعه الى ما ينفر عنه الآخر ويستحسن احدهم بهواه ما يستقبحه غيره ومع ذلك العناية
الالهية تقتضي نظام الوجود على احسن ما يمكن واتم واكمل فلو امكن احسن من ما هو عليه
لوجد ولكن لا يمكن قال تعالى ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها ولكن حق القول
الآية اى ولو شئنا لجعلناهم على نهج واحد ولكن بنا فى الحكمة لبقائهم على طبقة واحدة
وبقاء ساير الطبقات الممكنة فى حد الامكان مع عدم الظهور ابداً وخلو اكثر
مراتب هذا العالم عن اربابها فلا يتمشى الامور الخسيسة والدنية المحتاج اليها فى
العلم التى يقوم بها اهل الحجاب والقسوة والظلمة البعداء عن الرحمة والمحبة
والنور والعزة فلا ينضبط نظام المسلمين ولا يتم صلاح المهتدين ايضاً لوجود الاحتياج
الى ساير الطبقات فلو كان الناس كلهم انبياء واولياء وسعداء لاختل الامر بعدم
النفوس الغلاظ وشياطين الانس القائمين بعمارة العالم فوجب فى الحكمة الالهية
التفاوت فى الاستعدادات بالقوة والضعف والكمال والنقص ولهذا ورد
فى الخبر انى جعلت معصية آدم سبباً لعمارة العالم وفى الخبر لولا انكم تذنبون لذهب الله
بكم وجاء بقوم يذنبون وعن رسول الله صلى الله وآله حكاية عن ربه انين المذنبين
احب الى من زجل المسبحين ولذلك قال لاملان جهنم من الجنة والناس
اجمعين فخص اهل الصحة والسلامة بالامر والنهى بعد ما اكمل لهم آلة التكليف
وهى العقل الحاصل لهم فى سن البلوغ خالياً عما يعرضه من الجنون والاغماء و
شبههما ووضع التكليف عن اهل الفقر والزمانة اذ قد خلقهم خلقة غير محتملة
للادب والتعليم اى التأدب بالاداب العقلية والنسك الالهية والتعلم
بالعلوم الحقيقية والمعارف اليقينية العلمية والا فالقسمان كلاهما مكلفان

بالاوامر

بالاوامر والنواهى الشرعية والاعمال الظاهرة من الصلوة والطواف والزكوة
والصيام وغيرها من الاعمال البدنية والطاعات المالية وجعل عز وجل سبب
بقائهم وغاية خلقتهم والغرض من وجودهم اهل الصحة والسلامة وكذلك
جعل بقاء اهل الصحة والسلامة بالادب والتعليم لانهما غاية خلقتهم والغرض من
وجودهم لان سبب وجودهم وكونهم فى الدنيا مدة هو ان تتنزه بالادب بواطنهم
وتصفوا ارواحهم ويتجردوا عن الدنيا وتتنور عقولهم بالعلوم الالهية و
الصفات الملكوتية والاخلاق النبوية ليلتحقوا بالملاء الاعلى ويتخلصوا
عن المنزل الادنى فلو كانت الجهالة جايزة لاهل الصحة والسلامة جاز وضع
التكليف عنهم وفى جواز ذلك اى وضع التكليف عنهم واهمالهم سدى كباقى
الناس من الجهال والسفهاء بل كساير الحيوانات بطلان الكتب والرسل
والآداب لصيرورتها حينئذ عبثاً وهباء لان الغرض من ارسال الرسل
وبعث الانبياء وانزال الكتب ونصب الاوصياء هو تكميل العباد وتعمير
الآخرة بارواح العلماء ونفوس العباد والزهاد فاذا بطل الغرض والغاية
بطل السبب والعلة وفى ابطالها اعنى رفع الكتب والرسل والآداب
فساد التدبير لان نظام الكاينات وبقاء الخلايق لاجل الانسان وكمال
الانسانية وحيوته الدايمة وبقاؤه لا يتم الا بالكتب والرسل كما بين
وحقق فى الحكمة والكلام من حاجة الخلق الى بعثتهم وايجاب طاعتهم وتأييدهم
بالآيات والمعجزات والرجوع الى قول اهل الدهر ومن يحذو حذوهم
من الطباعيين والمنجمين المنكرين للنشأة الآخرة والبعث وقولهم كما حكاه

الله تعالى ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر فوجب فى عدل الله
وحكمته ان يخص من خلق من خليقة خلقة محتملة للامر والنهى بالامر والنهى اى يخص
هذا الصنف بالخطاب ويأمرهم بامور مخصوصة وينهاهم عن امور اخرى مخصوصة
لا يحتملها الصنف الاخر لئلا يكونوا سدى مهملين عما من شأنهم وفى غرائزهم ان
يكتسبوه ويستكملوا به من العلم والطهارة وليعظموه بانه ليس بجسم ولا جسمانى ليس
بخارج من العالم ولا داخل فيه ولا فى وهم ولا فى عقل ولا يوصف بكم ولا كيف
ولا صفة ولا صورة ويوحدوه بانه لا يقبل القسمة بالاجزاء والحد ولا بالافراد
والعد ويقروا له بالربوبية لكل شئ فى السموات والارضين وليعلموا انه خالقهم
ورازقهم وخالق جميع الموجودات ورازقها اذ شواهد ربوبيته دالة ظاهرة
على ذوى الالباب وحججه نيرة واضحة على اولى الايدى والابصار واعلامه لائحة
على هؤلاء تدعوهم الى توحيد الله عز وجل تضطرهم الى الاقرار بالهيته والاعتراف
بوحدانيته وعلمه وقدرته وجوده وكرمه ولطفه ورحمته وصفاته العظمى والائه
الكبرى واسمائه الحسنى واياته العليا وتشهد عطف على تدعوهم اى تشهد
تلك الشواهد والحجج والاعلام على انفسها اى انفس تلك الموجودات
التى هى الشواهد والاعلام لصانعها بالربوبية والالهية لما فيها من اثار صنعه و
عجايب تدبيره كما يدل عليه علم الهيئة وعلم التشريح وعلم الحيوان وعلم النبات
وعلم اثار الكاينات وعلم خواص الادوية والمركبات وعلم عجايب المخلوقات
وادل واشهد من هذه العلوم كلها علم النفس الادمية وتشريح قواها الروحانية
والجسمانية لاشتمالها على زبدة ما فى العالمين وفيها انموذج من كل شئ يوجد
فى النشأتين

في النشأتين كما قيل ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم فى واحد فندبهم
الى معرفته اى امرهم اليها لئلا يبيح لهم ان يجهلوه اى ليعلموا انه لا يجوز لهم الجهل
بمعرفته ويجهلوا دينه وهو دين الاسلام واحكامه لان الحكيم تعالى شأنه لا يبيح
الجهل به والانكار لدينه لمن له اهلية العلم وقوة الاجتهاد فقال جل ثناؤه الم
يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق دلت الاية على انه
تعالى اخذ على اهل الكتاب الميثاق اى اوجب عليهم القول الحق وحرم
عليهم ان يقولوا فى صفات الله وافعاله واحكامه الا الصواب وان يفتروا
على الله كذبا ويجترؤا عليه تعالى بما تنزه عنه من الولد والصاحبة والتجسيم والتحديد
والتشبيه وغير ذلك مما منشؤه الجهل بالله واياته وقال بل كذبوا بما لم
يحيطوا بعلمه وبخهم وذمهم بالتكذيب والانكار لما جاءت به الكتب والرسل
بسبب ما لم يعلموا ولم يحيطوا به علما من احوال المبداء والمعاد بل القرآن
مشحون بمذمة الذين لا يعلمون والذين يتكلمون بغير علم ويحكمون من غير حجة
وبرهان والذين يقولون امنا ولم يؤمن قلوبهم وقد شبه الله تعالى الجهال تارة
بالانعام بل هم اضل سبيلا وتارة بالدواب وتارة بالحمار ومرة بالكلب
ومرة مسخهم قردة خاسئين ومرة الحقهم بالشياطين وطورا دعا عليهم
بقوله قاتلهم الله انى يؤفكون وقوله فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا كما انه
مشحون بمدح العلم والحكمة والامر بالتفكر والتدبر فى ايات لا تحصى
وكانوا محصورين بالامر والنهى اى امر الله ونهيه محدودين بحدود الشرع
مكلفين بمعرفة الله واياته وكتبه ورسله مأمورين بقول الحق اى بان يقولوا

الحق او مامورين بالاوامر والنواهي بسبب قول الله وحكمه في الكتاب والاول
اولى لدلالة قوله غير مرخص بكسر الخاء لهم في المقام على الجهل لانه سبحانه امرهم بالسؤال
والتفقه في الدين فقال فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا
قومهم اذا رجعوا اليهم وقال فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون استشهد بالآية
الثانية على وجوب السؤال وبالآية الاولى على وجوب التفقه في الدين اذ فيها
الامر به على ابلغ وجه لان معناها فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كاهل بلدة او قبيلة جماعة
ليتكلفوا الفقاهة في الدين والمعرفة باصول الايمان وقواعد العقائد على اليقين
ويتجشموا المشاق تحصيلها وقوله لينذروا قومهم اذا رجعوا معناه وليكن غاية نفرهم وسعيهم
بعد تحصيل المعرفة واليقين النصيحة لقومهم والوعظ لهم والانذار عند الرجوع كما هو
داب السالكين الى الله من الانبياء والاولياء عليهم السلم فانهم شرعوا اولا
في استكمال نفوسهم وطلب القربة اليه تعالى ثم اذا فرغوا من التحصيل ورجعوا
الى مواطن النفوس وايفاء الحقوق اشتغلوا بالتكميل والارشاد وبعد التكميل
والارشاد واما الذي ذكر صاحب الكشاف بقوله وليجعلوا اهم غرضهم ومرمى همهم
في التفقه انذار قومهم وارشادهم والنصيحة لهم لا ما ينتحيه الفقهاء من الاغراض الخسيسة
ويؤمونه من المقاصد الركيكة من التصدر والترأس والتبسط في البلاد والتشبه
بالظلمة في ملابسهم ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا وفشو داء الضرائر بينهم وانقلاب
حماليق احدهم اذا لمح ببصره مدرسة لآخر قد جثا بين يديه جماعة وتهالكه على
ان يكون موطأ العقب دون الناس كلهم فما ابعد هؤلاء من قوله تعالى تلك الدار
الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا انتهى ففيه مع اشتماله على
كلمات

والتفقه صح

ببصره صح

كلمات رشيقة ونكات بليغة موضع نظر حيث جعل الانذار والنصيحة
آخر القصد ومرمى الهمة في التفقه وجرى على منهاجه البيضاوي ايضا ولم
يتفطن ايضا بانه مما لا يساعده اللفظ لوجود العاطف في التعدي فيكون
لينذروا عطفا على ليتفقهوا باعادة لام العلة ولو لم يكن الواو كان لما ذكره وجه
ولكن ليس كذلك فلا وجه لجعل الانذار غاية العلم والفقاهة لفظا ولا معنى
اللهم الا ان يكون المراد بالفقه مجرد العلم بالفتاوى الفرعية واحكام المعاملات
والمبايعات وقسمة المواريث والمناكحات والحدود والقصاص
ونحوها مما يخوض فيه المتاخرون وسموه فقها ذكر شيخنا البهائي وسندنا
في العلوم النقلية روح الله روحه في كتابه الاربعين عند شرح قوله صلى الله
عليه وآله من حفظ على امتي اربعين حديثا يحتاجون اليه في امر دينهم بعثه الله
عز وجل يوم القيمة فقيها عالما ليس المراد بالفقه فيه الفقه بمعنى الفهم فانه لا يناسب
المقام ولا العلم بالاحكام الشرعية الفرعية الفقهية من ادلتها التفصيلية فانه
معنى مستحدث بل المراد البصيرة في امر الدين والفقه اكثر ما يأتي في الحديث
بهذا المعنى والفقيه هو صاحب هذه البصيرة واليه اشار النبي صلى الله
عليه وآله بقوله لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله وحتى
يرى للقرآن وجوها كثيرة ثم يقبل على نفسه فيكون لها اشد مقتا ثم هذه البصيرة
اما موهبية وهي التي دعا بها النبي صلى الله عليه وآله لامير المؤمنين عليه السلم
حين ارسله الى اليمن اللهم فقهه في الدين او كسبية وهي التي اشار اليها
امير المؤمنين عليه السلم حيث قال لولده الحسن عليه السلم وتفقه يا بني في الدين

بالفتاوى صح

يمقت صح

٣٦

قال بعض الاعلام اراد به الشيخ الغزالي صاحب كتاب الاحياء ان علم الفقه
في العصر الاول انما يطلق على علم الآخرة ومعرفة دقايق آفات النفوس ومفسدات
الاعمال وقوة الاحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع الى نعيم الآخرة واستيلاء
الخوف على القلب ويدلك عليه قوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة الآية وما به الانذار
والتخويف هو هذا العلم وهذا الفقه دون تعريفات الطلاق واللعان والسلم
والاجارة فذلك لا يحصل به انذار وتخويف بل التجرد على الدوام يقسي القلب
وينزع الخشية كما نشاهد من المتجردين له فمعلوم ان ذلك لا يترتب الا على
تلك المعارف لا على ما ذكروه من معرفة فروع الطلاق والمساقات والسلم
وامثال ذلك واما العلم فالمراد به قريب مما يراد من الفقه لا المعاني المصطلحة
المستحدثة كحصول الصورة او الصورة الحاصلة عند العقل او ملكة يقتدر بها
على ادراكات جزئية وما اشبه ذلك فان العلماء ورثة الانبياء وليس من
هذه المعاني ميراث الانبياء وقد قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء
فقد جعل العلم موجبا للخشية والخوف لتعليق الحكم على الوصف فجميع ما ارتسم
في ذهنك من التصورات والتصديقات التي لا يوجب لك الخشية والخوف
وان كان في كمال الدقة والغموض فليست من العلم في شيء بمقتضى الآية الكريمة
بل هي جهل محض بل الجهل خير منها انتهى كلامه قال ولعمري انه كلام دقيق انيق
يليق ان يكتب بالنور على صفحات خدود الحور انتهى كلام شيخنا البهائي
طاب ثراه ولنرجع الى ما فارقناه فلو كان يسع اهل الصحة والسلامة المقام
على الجهل لما امرهم بالسؤال ولم يكن يحتاج الى بعثة الرسل بالكتب والآداب

والتالي

والتالي باطل لما تقدم من انه يستلزم فساد العالم وبطلان النظام وايضا
لو صح ذلك كانوا اي اهل الصحة والسلامة يكونون عند ذلك اي عند المقام
على الجهل بمنزلة البهايم وبمنزلة اهل الفتر والزمانة والفرق ان هؤلاء لهم عذاب
اليم في القيمة لمكنة استعدادهم التي ابطلوها وقوة مرآة بصيرتهم التي افسدوها
دون الطايفة الاخيرة لانهم مختوم على قلوبهم في الازل سواء عليهم أانذرتهم ام
لم تنذرهم فليس عذابهم اليما وان كان عظيما كعذاب الزمن بالقياس الى
عذاب الملسوع ولو كانوا كذلك لما بقوا طرفة عين اي لو كانت هذه الطايفة
كالطايفة الاخرى حتى صار الناس كلهم كالبهايم لهلكوا دفعة من غير مهلة لما سبق
من ان النظام لا يتم الا باهل الشريعة والدين واصحاب المعرفة واليقين فلما لم يجز
بقاؤهم الا بالادب والتعليم وجب انه لا بد لكل صحيح الخلقة كامل الآلة من مؤدب ودليل
ومشير وآمر وناه وادب وتعليم وسؤال ومسألة حتى يخرج بهذه الامور جوهر
عقله من حد النقص الى حد الكمال ومن القوة الى الفعل ويصفي عين قلبه عن غشاوة
الظلمات وحجب الجهالات ويخرج من ظلمات هذا العالم الى عالم النور كما في
قوله تعالى والذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور فاحق ما اقتبسه العاقل
من مشكوة النبوة والولاية والتمسه المتدين الفطن واستخرجه من الكتاب والسنة
وسعى له الموفق المصيب العلم بالدين اي باصوله واركانه ومعرفة ما استعبد الله
به خلقه اي معرفة ما كلف الله به عباده سواء كان علما او عملا وقوله من توحيده
بيان للعلم بالدين او للدين نفسه وقوله وشرايعه مع ما عطف عليه بيان لما
استعبد الله وامر به خلقه والمراد من التوحيد عند اهل الحق هو العلم بالله ووحدانيته

العالم
المتدبر

وصفاته وافعاله وتندرج فيه معرفة ملٰئكته وانبيائه واوليائه وكتبه ورسله وكيفية
الوحي والرسالة والانزال والتنزيل والالهام والعلم بالآفاق والانفس ومعرفة
النفس الانسانية وقواها العلمية والعملية وكيفية استكمالها بالعلم والعمل
وما الذي يسعدها من العلم وما الذي يشقيها وما الذي ينفعها يوم الآخرة من العلوم
والاحوال والملكات والاعمال ومعرفة يوم القيمة ومعنى قيام الساعة ومعرفة
القبر والبعث والحساب والميزان والكتب وكرام الكاتبين والحفظة لاعمال
بني آدم وملٰئكة اليمين وملٰئكة الشمال وملٰئكة الرحمة والرضوان وملٰئكة العذاب
والمالك وكيفية نشو الآخرة من الدنيا ومعرفة الجنة واصحابها والنار واهلها
والشفاعة لاهل الكبائر من المؤمنين وان الايمان وان كان ضعيفا لايخلد صاحبه
في النار وان مع فقده لاينفع شيء من الطاعات وان كان اكثر من رمل البطحاء
وقطر السماء الى غير ذلك من الامور التي ليست عند اكثر المتسمين بالعلماء
الا الفاظها او مدلولاتها اللغوية وكذا بعد اتقان هذه الاصول العلمية معرفة
شرايعه السليمة واحكامه الفرعية واوامره ونواهيه اي ما امر به ونهى عنه وزواجره
وآدابه اذ تحليل على التعلم والتأدب وان هذه الامور احق واولى بالاقتباس
والالتماس كانت الحجة ثابتة على اهل الصحة والسلامة والتكليف لازما والعمر
يسيرا والزمان للتحصيل والاكتساب قصيرا فلايسع الا لما هو الاحق والاهم
وهو ما ذكر من الامور والتسويف غير مقبول والشرط من الله جل ذكره فيما
استعبد به خلقه ان يؤدوا جميع فرايضه بعلم ويقين وبصيرة لان المقصود من
وظايف الفرايض والطاعات ان يكون تأديها وسيلة التقرب الى الله تعالى
والزلفى

والزلفى لديه فلابد ان تتأدى بعلم وبصيرة فالعلم بما يتقرب بها اليه روح
العمل لايحصل الا به ولا يتقوم دونه فانما الاعمال بالنيات اي بالعلم بها وبما
تؤدي اليه ليكون المؤدي لها محمودا عند ربه مستوجبا لثوابه وعظيم جزائه
لان الذي يؤدي بغير علم وبصيرة لايدري ما يؤدي ولا يدري الى من يؤدي
فغير العارف بربه لايمكنه قصد التقرب اليه ولان المؤدي للفرايض اذا
كان جاهلا لم يكن على ثقة مما ادى ولا مصدقا بان ما يفعله من صورة الاعمال
والطاعات نافعة له يوم القيمة منجية له من العذاب لان المصدق لايكون
مصدقا حتى يكون عارفا بما صدق به من غير شك ولا شبهة لان للتصديق
مراتب ادناها ان تكون بمجرد التقليد كايمان العوام بما يسمعون من غير دليل
واوسطها ما يكون بحسب دليل ظني يرجح احد الطرفين على الآخر واعلاها ما يكون
ببصيرة قلبية وبرهان عقلي وهو اليقين ويسمى بالعرفان وصاحبه بالعارف
وهذا هو التصديق بالحقيقة دون الاولين لان كلا منهما يزول بادنى تشكيك يطرء
وادنى شك يقدح على الضمير سيما عند تقادم الاهوال وظهور مبادي الآخرة
وناصية ملك الموت وضعف الاعتقاد وايضا اذا لم يكن التصديق عن بصيرة
ويقين لم يترتب عليه الآثار والغاية التي لاجلها كما ينبغي لان الشاك كالمتزلزل
الغير المتثبت ولا الواثق بدين الحق لايكون له من الرهبة والرغبة والخضوع
لله تعالى وطلب التقرب اليه مثل ما يكون من العالم وفي بعض النسخ العارف
بدل العالم المتيقن وقد قال الله عز وجل الا من شهد بالحق وهم يعلمون
فجعل العلم وهو اليقين شرطا للشهادة لانها لا تتم بدونه فصارت الشهادة

مقبولة لعلة العلم بالشهادة وبما يشهد به ولولا العلم بالشهادة وما يشهد به
لم تكن الشهادة مقبولة والامر في الشاك المؤدي بغير علم وبصيرة كالمقلدين
والجهال الى الله جل ذكره اي الى مشيته وارادته من غير وجوب ولزوم
بل ان شاء تطول عليه فقبل عمله وان شاء رد عليه لان الشرط عليه من الله
ان يؤدي المفروض بعلم وبصيرة ويقين كي لا يكونوا ممن وصفه الله فقال تبارك
وتعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف اي على طرف من الدين لا ثبات
له كالذي يكون على طرف من الجيش فان احس بظفر قام والا فر فان اصابه قرآن
خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة بذهاب
عصمته وبطلان عمله بالارتداد او بتعبه في الدنيا بارتكاب التكاليف وعذابه
في الآخرة بكفره ذلك هو الخسران المبين اذ لا خسران مثله واعلم ان في قوله
ان شاء تطول عليه فقبل عمله وان شاء رد عليه موضع نظر بحسب الظاهر مشية الله
اذ ليست مشية الله وارادته عند هذه الطائفة الفائزة مما يصح تعلقها
بشيء من الطرفين الا لداع ومرجح لا يسنح له الترجيح عندنا من غير مرجح و
التحقيق في المقام ان الايمان ايمانان تقليدي كايمان العوام ومن يجري مجراهم
وايمان علمي كشفي يحصل بانشراح الصدر بنور الله الموهوب او المكسوب
كما قال الله عز اسمه افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه
فينكشف له بهذا النور وجود الحق وصفاته وافعاله كما هو عليه فيتضح له ان
الكل من الله ومرجعه ومصيره اليه تعالى فهذا الصنف من المؤمنين هم النازلون
في الفردوس

في الفردوس الاعلى في غاية القرب من الملاء الاعلى من العليين وهم ايضا
على اصناف بحسب درجات معرفتهم وقوة ايمانهم وشدة يقينهم واعداد
تلك الدرجات لا تعد ولا تحصى اذ الاحاطة بكنه المعرفة لا يمكن وبحر المعرفة
ليس له ساحل ولا لعمقه نهاية وانما يخوض الغواصون فيه بقدر قواهم
واما المؤمن ايمانا تقليديا فهو من اصحاب اليمين ان بقي على ايمانه الى
حين الموت ودرجته دون المقربين هذا حال من اجتنب الكبائر وادى
كل الفرائض اعني الاركان الخمسة واما من ارتكب كبيرة او اهمل بعض اركان
الاسلام فان تاب واصلح قبل الموت التحق بمن لم يرتكب لان التائب من
الذنب كمن لا ذنب له وان لم يتب فهذا امره مخطر عند الموت اذ ربما يكون
موته على الاصرار سببا لزوال ايمانه فيختم له بسوء الخاتمة فان الايمان
اذا كان تقليديا وان كان جزما فهو قابل للانحلال بادنى شبهة وخيال
واعلم ان سوء الخاتمة والختم على الشك والجحود والمقت والشقاوة
يتصور على نحوين وينحصر سببه في وجهين احدهما يتصور مع تمام الورع
والزهد كالمتبدع الزاهد فان عاقبته مخطرة جدا اذا اعتقد في ذات الله و والزهد
صفاته وافعاله خلاف ما هي عليه اما برايه وقياسه الفاسدة واما اخذا
بالتقليد ممن هذا حاله فاذا قرب الموت وظهرت له ناصية ملك الموت
واضطربت النفس بما فيها فربما ينكشف له في حال السكرة بطلان ما اعتقده
وكان واثقا برايه متيقنا في اعتقاده فيكون انكشاف بعض اعتقاداته سببا
لبطلان وثوقه بساير اعتقاداته بالله ورسوله والائمة عليهم السلام فان اتفق زهق

24

روحه في هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء وخرج روحه من الدنيا على الشك نعوذ
بالله وهم المرادون بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وثانيها
ان يغلب على قلبه عند الموت حب امر من امور الدنيا وشهوة من شهواتها
فيتمثل ذلك في قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره فيتفق
قبض روحه في تلك الحالة فيكون استغراق قلبه بذلك منكسا راسه (رحمه)
الى الدنيا وصارفا وجهه اليها ومهما انصرف الوجه عن الله حصل الحجاب (ومهما)
ومهما حصل الحجاب استحق العقاب ونزل العذاب اذ نار الله الموقدة
لا تاخذ الا المحجوبين فاما المؤمن السليم قلبه عن حب الدنيا ولا يمكن اكتساب [illegible]
صفة اخرى للقلب بعد الموت تضاد الصفة الغالبة على الانسان اذ لا تقرب
في القلوب الا باعمال الجوارح وقد بطلت بالموت الا ان اصل الايمان
وحب الله اذا كان راسخا في القلب وتاكد ذلك بالاعمال الصالحة (فان رحمه)
فان هذه الحالة العارضة يمحو عن القلب وذلك الرسوخ لا يمكن الا بان يكون
الايمان عن بصيرة وكشف وبرهان لا عن تقليد او تعصب او جدل كلامي
فهذا معنى قوله اثبت الله تطول عليه فيقبل عمله وان شاء رده عليه اي مشيته تعالى (في رحمه)
غير معلومة في حقه اذ لم يكن ايمانه متثبتا بل متزلزلا غير مامون الغائلة ولا معلوم
العاقبة لامكان زواله بالشك والجحود او بالاحتجاب وانتكاس الراس الى
اسفل سافلين والى ما ذكرنا اشار بقوله لانه كان داخلا فيه بغير علم ولا يقين فلذلك
صار خروجه بغير علم ولا يقين وقال العالم هو الامام الهمام ابو الحسن موسى الكاظم
عليه السلم فانه المراد بالعالم اذا اطلق وكذا الفقيه والعبد الصالح وكذا اذا اطلق
ابو الحسن

ابو الحسن واذا قيد بالثاني فالمراد به الرضا عليه السلم واذا قيد بالثالث فالهادي
واذا اطلق ابو عبد الله فهو الصادق عليه السلم من دخل في الايمان بعلم ثبت
فيه ونفعه ايمانه ومن دخل فيه بغير علم خرج منه كما دخل فيه اي خرج من الايمان
بغير علم بل بادنى شبهة او تقليد لمن يغويه ويضله وقال عليه السلم من اخذ
دينه من كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله عليه وآله زالت الجبال قبل
ان يزول ومن اخذ دينه من افواه الرجال ردته الرجال والمراد من الاول
ما يكون اخذه منهما على بصيرة وفهم ومع قوة له على الاستنباط منهما ومن الثاني
ما يكون اخذه بمجرد التقليد وسماع اللفظ من غير تعلم وتفقه والا فرب علم اخذ
من المعلم كان احكم واتقن مما يستنبطه الانسان بفهمه من الكتاب
والسنة وقوله عليه السلم من افواه الرجال اشارة الى ما ذكر وبالجملة ملاك
الامر هو صفاء القلب وجلاء البصيرة التي بها يتمكن ان يهتدي ويتنور بنور
القرآن والحديث هداية من الله وقال عليه السلم من لم يعرف امرنا من
القرآن لم يتنكب الفتن اي لم يمكنه التنكب عن طريق الفتن كفتنة الشبه
والشكوك وفتنة القبر وفتنة الدجال ونحوه من المضلين والمغوين ولهذه
العلة اي ولاجل عدم اقتباس العلم والمعرفة من طريق الحق ومنهج القرآن
والحديث بل بالرأي والقياس او بطريق التقليد والاقتداء بالناس
والاخذ من افواه الرجال من غير بصيرة وكشف وبينة من الرب انبثقت
على اهل دهرنا بثوق هذه الاديان الفاسدة اي انشقت عليهم شقوق هذه الاديان
الباطلة وانخرق اجماعهم الذي كان في عهد النبي صلى الله عليه وآله وتفرقت

الامة على نيف وسبعين فافترقوا زمراً وتقطّعوا امرهم بينهم زبراً من بثق السيل
موضع كذا بثقاً وبثوقاً اذا خرقه وشقّه فانبثق اي انفجر وانخرق والمذاهب
المستشنعة التي قد استوفت شرائط الكفر والشرك كلها لقوله صلى الله عليه
وآله ستفترق امتي على ثلث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة يعني ان
غير الواحدة الناجية كلهم هالكون مخلّدون في النار ولا معنى للكفر والشرك الا ما يوجب
الخلود في النار والا فالدخول بلا دوام قد يجامع الايمان مع الاصرار على الكبائر
وذلك اي الافتراق في الدين والانقسام على الناجي والهالك او المتثبّت و
المتزلزل وهو اوفق بما سيأتي بتوفيق الله جلّ وعلا وخذلانه المسبّبان
عن عناية الله وقضائه اذ التوفيق جعل الاسباب بعناية الله متوافقة ومؤدّية
الى المطلوب والخذلان بخلافه كما في قوله فمن اراد الله توفيقه وان يكون ايمانه
ثابتاً مستقراً سبّب له الاسباب التي تؤدّيه الى ان ياخذ دينه من كتاب الله
وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله بعلم ويقين وبصيرة فذاك اثبت في دينه من
الجبال الرواسي ومن اراد الله خذلانه وان يكون دينه معاراً مستودعاً
وفي بعض النسخ مستعاراً والاول اولى لاغنائه قوله معاراً عنه وقوله نعوذ
بالله منه اعتراض وقع بين الشرط والجزاء من قوله سبّب له اسباب الاستحسان
والتقليد والتأويل من غير علم وبصيرة فذاك في المشيّة ان شاء تبارك وتعالى
اتمّ ايمانه وان شاء سلبه اياه ولا يؤمن عليه ان يصبح مؤمناً ويمسي كافراً او يمسي
مؤمناً ويصبح كافراً كما وصف الله به المنافقين في قوله ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا
فطبع الله على قلوبهم فهم لا يؤمنون وقوله ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا

كفراً لم يكن الله ليهديهم الآية لانه كلّما رأى كبيراً من الكبراء مال معه وكلما رأى شيئاً
استحسن ظاهره قبله لعدم بصيرته الباطنة وفقد نور القلب عنه فلا يدرك
من الاشياء الا الظواهر المحسوسة ولا يستحسن من الانسان الا الاعمال
البدنية او عموم اعتراف الخلق له بالفضل والامامة وان كان مع افلاس
قلبه عن العلم والحال بل مع تلطّخه بالجهالات والظلمات وتدنّسه بادناس
الملكات المهلكات واعلم ان من هذا القبيل من ياخذ العلوم من الالفاظ
المنقولة المأوّلة والعمومات المخصّصة فكان الضلال والاضلال عليه اغلب
فلم يهتد بنور الله الى ادراك الامور على ما هي عليه كما في قوله تعالى ومن لم يجعل الله
له نوراً فما له من نور وقوله وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقوله ومن
يهد الله فهو المهتدي وقوله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء وآيات
كثيرة كلها تدلّ على ان الايمان نور رباني قذفه الله في قلب المؤمن بحسب ما قدّره
وقضاه وكذا مقابله من ظلمة الكفر والجهالة لكن لكلّ من الطرفين مراتب متفاوتة
في الكمال والقصور والشدة والضعف فالكاملون في النور والهدى
والقرب من الله هم الانبياء ثم الاوصياء ثم الامثل فالامثل والبالغون
في ظلمة الكفر والضلال والبعد عن رحمة الله هم الفراعنة والدجاجلة ثم ائمة
الضلال ورؤس الكفرة والمنافقين ثم الاشبه فالاشبه فبين هذين
الطرفين اوساط كثيرة لا تحصى عددهم اكثر من عدد الاقوياء وهم الكاملون
في نور البصيرة وقوة اليقين او البالغون في ظلمة النفس ورسوخ الجهل فعلى
هذا انقسمت النفوس على الاجمال الى ثلثة اقسام احدها الكاملون الراسخون

قلبه بصيرته صح

لا تعد و

في العلم والنور وثانيها الراسخون في الكفر والظلمة الجاحدون للنور والحق
وثالثها الناقصون في الطرفين المترددون بين السعادة والشقاوة والاولان
معلوما العاقبة دون الثالث كما يعلم من هذا الحديث وقد قال العالم ع ان
الله خلق النبيين على النبوة فلا يكونون الا انبياء وخلق الاوصياء على الوصية
فلا يكونون الا اوصياء وهم الراسخون في العلم والايمان واعار قوما ايمانا فان شاء
تممه لهم وان شاء سلبهم اياه قال وفيهم جرى قوله فمستقر ومستودع وانما يعلم
منه حال الطرف الآخر اذ الشيء يعرف بضده فيستفاد من حال الانبياء والاوصياء
حال اضدادهم فكانه قال عليه السلم ان الله خلق الفراعنة ومن يليهم من الجاحدين
على الكفر والفساد والاضلال فلا يكونون الا كفرة مفسدين وهم الراسخون
في الكفر والجهل واعار قوما الكفر ان شاء تممه لهم وان شاء سلبهم اياه واعلم ان
تمام التحقيق في هذا المقام يفتقر الى بسط الكلام وان يستمد من بحر عظيم من علوم
المكاشفة ولعلنا نرجع اليه في مستأنف الكلام عند تحقيق الخير والشر والسعادة
والشقاوة والتوفيق والخذلان والجبر والقدر في شرح الاحاديث الواردة
في هذه الابواب وذكرت ان امورا قد اشكلت عليك لا تعرف حقايقها لاختلاف
الرواية فيها وانك تعلم ان اختلاف الرواية فيها لاختلاف عللها واسبابها من
الاغراض النفسانية والدواعي الدنياوية لاقوام استولت عليهم محبة الجاه والرياسة
او استيفاء اللذات والشهوات والتقرب الى الحكام والولاة من اهل الجور
فوضعوا الاحاديث وحرفوا الكلم عن مواضعها كل قوم على وفق مقاصدهم ومآربهم
فلاجل هذه العلل والاسباب الدنيوية والامراض القلبية والاسقام النفسانية

اختلفت

اختلفت الروايات وتناقضت الاحاديث وذكرت انك لا تجد بحضرتك
وفي جوارك وبلدك من تذاكره وتفاوضه ممن تثق بعلمه فيها اي في الرواية وتحقيق
الامر فيها ورفع الاختلاف عنها وقلت انك تحب ان يكون عندك كتاب كاف
يجمع من جميع فنون علم الدين اصولها وفروعها واعتقادياتها وعملياتها ما يكتفي
به المتعلم ويرجع اليه المسترشد فيكون تبصرة للمبتدي وتذكرة للمنتهي ويأخذ منه
من يريد علم الدين والعمل به لكونه مضبوطا موثوقا به معتمدا عليه مثبتا
بالآثار الصحيحة عن الصادقين عليهم السلم والسنن القايمة التي عليها العمل
وبها يؤدي فرض الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وآله يعني من عمل
بمقتضاء هذه الآثار والاحاديث في الفرايض والنوافل ادى المفروضات والسنن
على وجهها وبرئت ذمته عن الواجبات وترتب له الثواب بفعلها وفعل المندوبات
لكون الرواية فيها صحيحة ثابتة والحجة قائمة والمروي عنهم معصومون عن الخطاء والنسيان
مطهرون بتطهير الله عن الغلط والعصيان فيجب العمل بما روي عنهم والاهتداء
بهديهم والاستضاءة بنورهم عليهم السلم وقلت لو كان كذلك رجوت ان يكون ذلك
اي كون ذلك الكتاب عندنا سببا يتدارك الله بمعونته وتوفيقه اخواننا
المؤمنين واهل ملتنا من الشيعة الفائزة ويقبل بهم الى مراشدهم اي يوجب
اقبالهم اليه الى هاهنا كلام السائل الملتمس تصنيف كتاب الكافي فاجاب
بقوله فاعلم يا اخي ارشدك الله انه لا يسع احدا تمييز شيء مما اختلف الرواية
فيه عن العلماء عليهم السلم برأيه الا على احد اوجه ثلثة الاول ما اطلقه العالم
عليه السلم بقوله اعرضوها على كتاب الله فما وافق كتاب الله عز وجل فخذوه

قوله

وما خالف كتاب الله فردوه والثاني قوله دعوا ما وافق القوم المراد به علماء الدنيا
واتباعهم الراغبون في الشهوات والحظوظ العاجلة فان الرشد في خلافهم ومن
هذا الباب عرض الامور المشتبهة فيه الصواب والخطاء على النفس فما وافق
النفس فالرشد في خلافه لانها بطبعها ميالة الى الشهوة والبطالة والكسل
وهكذا حال الطالبين للدنيا لكونهم في مقام النفس ليسوا من اصحاب القلوب
والثالث قوله عليه السلم خذوا بالمجمع عليه فان المجمع عليه لا ريب فيه ثم انه لا يسع
لكل احد من الناس فهم القرآن وعرض المقاصد عليه وكذا الاطلاع على المجمع عليه لانه
ان اتفق في قليل من المسائل واما المخالفة والموافقة مع القوم فهي ايضا قد لا يطرد
في بعض الامور فلاجل ذلك قال ونحن لا نعرف من جميع ذلك الا اقله اي لا يحصل
المعرفة لنا من جميع ذلك المذكور الا في اقل موضع من المواضع التي وقع اختلاف
الرواية فيها او نحن لا نعرف للاعتماد والتعويل عليه لكل احد من المتعلمين من جميع
ما ذكر الا ما هو اقله اتباعا واسهله عليهم ماخذا وهو المشار اليه بقوله ولا نجد شيئا
احوط ولا اوسع من رد علم ذلك كله الى العالم عليه السلم اي الذي علم اصول المذهب
وفروعه ببصيرة وبرهان او العالم من اهل البيت عليهم السلم ويؤيد الاول انسياق
كلامه اليه من قوله وقد يسر الله الخ والثاني ما في النسخ من لفظ عليه السلم وقبول
ما وسع من الامر فيه بقوله اي قبول كلما وسع لذلك العالم وصح له من التحقيق
والتوفيق فيما اختلف الرواية فيه بمجرد قوله للاعتماد عليه فيما صححه او رده من الروايات
والفتاوى والاحكام تسليما عنه وتسليما له بايما اخذتم من باب التسليم وسعكم
الجملة استينافية مبتداء وخبر تقديره ايما اخذتم به من اقواله تسليما وقبولا وسعكم

العمل

العمل به ويحتمل ان يكون الجملة مفعولا لقوله بقوله ويكون حديثا منقولا عن العالم
اذا اريد به المعصوم عليه السلم ذكره للاستدلال به على المطلوب فعلم
مما ذكره ان الذي التمس عنه تصنيف الكتاب درجته درجة الاتباع
والمقلدين ولهذا ما رخص اياه الرجوع الى الكتاب والعمل بالاجماع ونحوه
بل اوجب عليه الاخذ من باب التسليم في جميع ذلك وما وسع له الا الاخذ
بقول العالم كيف كان وقد يسر الله وله الحمد تاليف ما سالت وارجو ان
يكون بحيث توخيت اي قصدت فمهما كان من تقصير فلم تقصر نيتنا في اهداء
النصيحة اذ كانت واجبة لاخواننا واهل ملتنا يعني لو وقع تقصير في شيء من المقاصد
لم يقع من جهة تقصيرنا في العزم والنية او من جهة الاهمال وقلة المبالاة وعدم
السعي في اهداء النصيحة الواجبة لاخواننا الشيعة المؤمنين بل جردنا النية و
بذلنا الوسع فان لم يكن على حد الكمال كان الحكم يتعدى في ذلك مع ما رجونا ان
يكون واقعا على ما ينبغي ونكون مشاركين لكل من اقتبس منه وعمل بما فيه
في دهرنا هذا وفي غابره الى انقضاء الدنيا اذ الرب عز وجل واحد تعليل
لما ادعاه من استمرار الاقتباس من هذا الكتاب والعمل بما فيه الى آخر
الزمان بوحدانية الله تعالى ووحدة رسوله صلى الله عليه وآله وبقاء دينه
الى قيام الساعة من غير نسخ وانتقال كما قال والرسول محمد خاتم النبيين صلى الله
عليه وآله واحد لا نبي بعده ولا امة بعد ملته ولا شريعة تنسخ شريعته بان تحل حراما
وتحرم حلاله فكما لا يجوز نسخ القرآن لان الذي انشاه وانزله اله واحد لا شريك له
باق لا يزال فكذلك لا ينسخ السنة لان الصادع بها محمد رسول الله صلى الله عليه وآله

٢٨ واحدٌ فشريعته باقيةٌ ما دامت السموات والارض الى قيام الساعة واكّد ذلك
بقوله حلال محمّدٍ حلالٌ الى يوم القيمة وحرامه حرامٌ الى يوم القيمة وقد وسعنا اى تيسّر لنا
قليلا كتاب الحجّة وهو الكتاب الثانى من كتب الكافى بيان انّ الحجّة باقية الى يوم
الدين وانّ لا تخلو الارض ما دامت الدنيا عن حجّة وساير ما ينوط بذلك من احوال
النبى والائمة عليهم السلم وان لم نكمله على استحقاقه كما ينبغى اذ بقى من هذا الباب ما لم
نورده من الاحاديث والاخبار لانا تعليل لارادة هذا القدر اليسير بقوله كرهنا ان نبخس
حظوظه كلّها اى ننقصها ونتركها جميعا فانّ ما لا يدرك كلّه لا يترك كلّه وارجو ان يسهل الله
امضاء ما قدّمناه من النيّة يعنى اتمام كتاب الكافى ان كان وضع الديباجة قبل الشروع
والّا فالمراد ما اشار اليه بقوله ان تاخّر الاجل صنّفنا كتابا اوسع واكمل منه اى من الكافى
او من كتاب الحجّة توفية حقوقه نصب على الحالية او العلّية اى موفّين حقوقه او لتوفيتها
كلّها ان شاء الله تعالى وبه الحول والقوّة واليه الرغبة فى الزيادة فى المعونة والتوفيق
والصلوة على سيّدنا محمّد النبى وآله الطّيّبين الاخيار واوّل ما ابتدأنا به وافتتحنا كتابى هذا
يعنى الكافى **كتاب العقل وفضايل العلم** وارتفاع درجة اهله وعلوّ قدرهم ونقص
الجهل وخساسة اهله وسقوط منزلتهم اذ بيان لوجه تقديمه على ساير الكتب المذكورة
فى الكافى بانّه كان العقل فى الانسان هو القطب الذى عليه المدار فى الحركات
الفكريّة والانظار العقليّة وهو اصل القوى المدركة والمحرّكة وهو المركز الذى يرجع
اليه المدارك والحواسّ والنور الذى به يهتدى فى ظلمات برّ الدنيا وبحر الآخرة وبه
يحتجّ على تصويب المصيب وتخطئة المخطى وتحقيق الحقّ وابطال الباطل وله الثواب
وعليه العقاب يوم الحساب والمآب فى دار الجنّة ودار العذاب والله الموفّق وهذا الكتاب

مشتمل

مشتمل على سبعة عشر بابا الباب الاوّل **باب العقل والجهل** وفيه اربعة
وثلثون حديثا الحديث الاوّل حدّثنى شيخى واستادى ومن عليه فى
العلوم النقليّة استنادى عالم عصره وشيخ دهره بهاء الحقّ والدين
محمّد العاملى الحارثى الهمدانى نوّر الله قلبه بالانوار القدسيّة عن والده
الماجد المكرّم وشيخه الممجّد المعظّم الشيخ الفاضل الكامل حسين بن عبد الصمد
افاض الله على روحه الرحمة والرضوان واسكنه دار الجنان عن شيخه
الجليل واستاده النبيل عماد الاسلام وفخر المسلمين الشيخ زين الملّة
والدين العاملى طاب ثراه وجعل الجنّة مثواه عن الشيخ المعظّم المفخّم
المطاع المؤيّد المكرّم عالى النسب سامى اللقب المجدّد للمذهب على بن
عبد العالى الكركى قدّس الله روحه عن الشيخ الورع الجليل على بن هلال
الجزايرى عن الشيخ العالم العابد احمد بن فهد الحلّى عن الشيخ على بن الخازن
عن الشيخ الفاضل النحرير الكامل السعيد الشهيد محمّد بن مكّى اعلى الله رتبته
ح وعن الشيخ زين الملّة والدين عن الشيخ الفاضل على بن عبد العالى
الميسى روّح الله روحه بالفيض القدسى عن الشيخ السعيد محمّد بن داود
المؤذّن الجزينى عن الشيخ الكامل ضياء الدين على عن والده الافضل الاكمل
المحقّق المدقّق الجامع بين الفضيلتين الحاوى للمنقبتين رتبة العلماء ودرجة
الشهداء الشيخ شمس الدين محمّد بن مكّى رفع الله قدره واكمل فى سماء
الرضوان بدره ح واخبرنى سيّدى وسندى واستادى واستنادى
فى المعالم الدينيّة والعلوم الالهيّة والمعارف الحقيقيّة السيّد الاجلّ

29 الانور العالم المقدس الازهر الحكيم الالٰهي والفقيه الربانی سيد عصره وصفوة دهره الامير الكبير والبدر المنير علامة الزمان اعجوبة الدوران المسمى بمحمد الملقب بباقر الداماد الحسيني قدس الله عقله بالنور الرباني عن استاده وخاله المكرم المعظم الشيخ عبد العالي رحمه الله عن والده السامي المطاع المشهور اسمه في الآفاق والاصقاع الشيخ علي بن عبد العالي مسنداً بالسند المذكور وغيره الى الشيخ الشهيد محمد بن مكي قدس سره عن جماعة من مشايخه منهم الشيخ عميد الدين عبد المطلب الحسيني والشيخ الاجل الافضل فخر المحققين ابو طالب محمد الحلي قدس الله روحه عن شيخه المحقق رئيس الفقهاء والاصوليين نجم الملة والدين ابي القاسم جعفر بن الحسن بن سعيد الحلي عن السيد الجليل النسابة فخار بن معد الموسوي عن شاذان بن جبرئيل القمي عن ابن ابي القاسم الطبري عن الشيخ الفقيه ابي علي الحسن عن والده الاجل الاكمل شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي نور الله مرقده ح وعن العلامة جمال الملة والدين عن استاده افضل المحققين سلطان الحكماء والمتكلمين خواجه نصير الملة والحكمة والحقيقة والدين محمد الطوسي روح الله روحه بالنور القدسي عن والده محمد بن الحسن الطوسي عن السيد الجليل فضل الله الراوندي عن السيد المجتبى بن الداعي الحسيني عن الشيخ الطوسي عن الشيخ الاعظم الاكمل المفيد محمد بن محمد بن النعمان الحارثي سقى الله ثراه عن الشيخ الاجل ثقة الاسلام وقدوة الانام محمد بن علي بن بابويه القمي اعلى الله مقامه عن ابي القاسم جعفر بن قولويه عن الشيخ الجليل ثقة الاسلام سند

المحدثين

المحدثين ابي جعفر محمد بن يعقوب الكليني قال الشيخ عظم الله قدره ونور مرقده حدثني عدة من اصحابنا منهم محمد بن يحيى العطار ابو جعفر القمي في الخلاصة وغيرها شيخ اصحابنا في زمانه ثقة عين كثير الحديث عن احمد بن محمد بن عيسى بن عبد الله بن سعيد بن مالك الاحوص بالحاء والصاد المهملتين يكنى ابا جعفر القمي شيخ قم ووجهها وفقيهها ولقي ابا الحسن الرضا وابا جعفر الثاني وابا الحسن العسكري عليهم السلم وكان ثقة وله كتب عن الحسن بن محبوب السراد ويقال له الزراد يكنى ابا علي كوفي ثقة عين روى عن الرضا عليه السلم وكان جليل القدر يعد في الاركان الاربعة في عصره قال الكشي اجمع اصحابنا على تصحيح ما يصح عن هؤلاء وتصديقهم واقروا لهم بالفقه والعلم وذكر الحسن بن محبوب من الجماعة وقال بعضهم موضعه الحسن بن علي بن فضال عن العلا بن رزين بتقديم الراء على الزاء وكان ثقة جليل القدر وجها عن محمد بن مسلم بن رباح ابو جعفر وجه اصحابنا بالكوفة فقيه ورع صاحب ابا جعفر وابا عبد الله عليهما السلم وروى عنهما وكان من اوثق الناس روى الكشي مسنداً عن العلا بن رزين عن عبد الله بن ابي يعفور قال قلت لابي عبد الله عليه السلم ليس كل ساعة القاك ولا يمكن القدوم ويجيء الرجل من اصحابنا فيسالني وليس عندي كلما سالني عنه قال فما يمنعك عن محمد بن مسلم فانه قد سمع من ابي وكان عنده وجيها وعن ابي جعفر بن قولويه مسنداً الى علي بن اسباط عن ابيه اسباط بن سالم عن ابي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلم ان محمد بن مسلم من حواري ابي جعفر محمد بن علي وابنه جعفر بن محمد الصادق عليهما السلم

قال الكشي انه ممن اجتمعت العصابة على تصديقه والانقياد بالفقه عن ابي جعفر
عليه السلم قال لما خلق الله العقل استنطقه ثم قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر
فادبر ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو احب الي منك ولا اكملتك الا
فيمن احب اما اني اياك آمر واياك انهى واياك اعاقب واياك اثيب **الشرح**
اعلموا ايها الاخوان السالكين الى الله بقدم العرفان ان هذا العقل اول المخلوقات
واقرب المجعولات الى الحق الاول واعظمها واتمها وثاني الموجودات في الوجود
وان كان الاول تعالى لا ثاني له في حقيقته لان وحدته ليست عددية من جنس
الوحدات وهو المراد فيما ورد في الاحاديث عنه صلى الله عليه وآله من قوله
في رواية اول ما خلق الله العقل وفي رواية اول ما خلق الله نوري وفي رواية
اول ما خلق الله روحي وفي رواية اول ما خلق الله القلم وفي رواية اول ما خلق
الله ملك كروبي وهذه كلها اوصاف ونعوت لشيء واحد باعتبارات مختلفة
فبحسب كل صفة يسمى باسم آخر فقد كثرت الاسماء والمسمى واحد ذاتاً
ووجوداً اما الماهية والذات فهي جوهر لا تعلق له بالاجسام بوجه لا وجوداً كالاعراض
ولا فعلاً وتصرفاً كالنفوس ولا بالجزئية والامتزاج كالمادة والصورة و
باطلة فالمجعولات الجوهرية على ثلثة اقسام متفاوتة في درجات الوجود اعلاها
واولها هو الذي لا افتقار له في شيء الا الى الله ولا نظر له الى ما سواه ولا التفات
له الا اليه تعالى وثانيها هو الذي لا افتقار له في اصل الوجود الى غيره تعالى ولكن يفتقر
في استكمال وجوده الى ما سواه ويكون كمال وجوده بعد اصل وجوده وبوجه
قبله وثالثها هو الذي يفتقر الى غيره تعالى ايضاً في كلا الامرين اعني في اصل الوجود
وكماله

وكماله جميعاً فالاول هو العقل والثاني النفس والثالث الجسم او جزؤه
واما الوجود والحقيقة فالبرهان عليه وجود الحق تعالى لانه لما كان بسيط الحقيقة
عالماً قادراً جواداً رحيماً ذا فضيلة عظيمة وقوة شديدة وقدرة غير متناهية
وفيه جميع الفضائل والخيرات والكمالات لم يجز في كرمه ورحمته وجوده ان
يمسك عن الفيض والرحمة ويضن بالخير والجود على العالمين فلا بد من ان
يفيض عنه المخلوقات على النظام الافضل والترتيب الاجود وان يبداء
بالاشرف فالاشرف كما يدل عليه قاعدة الامكان الاشرف ولا شك ان
اشرف الممكنات واكرم المجعولات هو العقل كما علمت فهو اول الصوادر
واقربها من الحق واحبها اليه ولهذا قال ما خلقت خلقاً هو احب الي منك
وسنعيد القول الى تحقيق محبة الله لخلقه وهذا الموجود حقيقة الروح الاعظم
بعينها المشار اليه بقوله تعالى قل الروح من امر ربي وقوله الا له الخلق والامر
وانما يسمى بالقلم لانه واسطة الحق في تصوير العلوم والحقايق على الالواح
النفسانية القضائية والقدرية فان قلم الله ليس قصباً ولا حديداً ولا جسماً
آخر وكذا اللوح ليس خشباً ولا قرطاساً ولما سماه قلماً قال اجر بما هو كائن
الى يوم القيمة ولكونه وجوداً خالصاً عن ظلمة التجسم والتجسد وعن ظلمات
النقايص والاعدام يسمى نوراً اذ النور هو الوجود والظلمة هي العدم
وهو ظاهر لذاته مظهر لغيره ولكونه اصل حيوة النفوس العلوية والسفلية
يسمى روحاً وهو الحقيقة المحمدية عند اعاظم الصوفية ومحققيهم لكونه كمال
وجوده صلى الله عليه وآله الذي منه يبتدى واليه يعود كما سيظهر من بعض

الاحاديث المروية عن الائمة عليهم السلم ولهذا التحقيق ربما نبي يطول الكلام بذكره
وسنعود اليه في شرح تلك الاحاديث ومن امعن النظر في هذا المقام وجد
كل ما وصف به العقل الاول وحكى عنه كان من خواص روحه صلى الله عليه
وآله فقوله عليه السلم استنطقه اي جعله ذا نطق وكلام يليق بذلك المقام
وقوله ثم قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر هذا حال روحه صلى الله
عليه وآله اذ قال له اقبل الى الدنيا واهبط الى الارض رحمة للعالمين
فاقبل فكان نوره مع كل نبي باطنا ومع شخصه المنعوت ظاهرا كما روى
عنه نحن الآخرون السابقون يعني الآخرون بالخروج والظهور كالثمرة
والاولون بالخلق والوجود كالبذر فهو بذر شجرة العالم ثم قال له ادبر
اي ارجع الى ربك فادبر عن الدنيا ورجع الى ربه ليلة المعراج وعند المفارقة
عن دار الدنيا ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا هو احب الي منك وهذا
حاله صلى الله عليه وآله لانه كان حبيب الله واحب الخلق اليه والوجه العقلي
في ذلك ان المحبة تابعة لادراك الوجود لانه خير محض فكلما وجوده اتم كانت
خيريته اعظم والادراك به اقوى والابتهاج به اشد فاجل مبتهج بذاته هو
الحق الاول لانه اشد ادراكا لاعظم مدرك له الشرف الاكمل والنور الانور
والجلال الارفع وهو الخير المحض وبعده في الخيرية والوجود والادراك والابتهاج
هو الجواهر العقلية والارواح النورية والملائكة القدسية المبتهجون به
تعالى وبذواتهم من حيث هم مبتهجون به فهم العشاق الالهيون وبعد مرتبتهم
مرتبة النفوس المشتاقين اليه تعالى بقدر نيلهم عنه وادراكهم له وهم الملائكة السماوية

وبعد

وبعد هولاء في الشوق اليه تعالى النفوس البشرية والسعداء من اصحاب اليمين
على مراتب ايمانهم بالله تعالى واما المقربون من النفوس البشرية وهم اصحاب
المعارج الروحانية فحالهم بالآخرة كحال الملائكة المقربين في العشق والابتهاج
به تعالى اذا عرفت هذا فمحبة الله تعالى لعباده راجعة الى محبته لذاته
لانه لما ثبت ان ذاته احب الاشياء اليه تعالى وهو اشد مبتهج به
وكل من احب شيئا احب جميع افعاله وحركاته وآثاره لاجل ذلك
المحبوب وكل ما هو اقرب اليه فهو احب اليه وجميع الممكنات على
مراتبها آثار الحق وافعاله فالله محبها لاجل ذاته واقرب المجعولات
اليه الروح المحمدي صلى الله عليه وآله المسمى بالعقل ههنا فحق انه
احب المخلوقات اليه ومن المتكلمين من انكر محبة الله لعباده كالزمخشري
واترابه زعما منهم ان ذلك يوجب نقصا في ذاته ولم يعلموا ان محبته
تعالى للخلق راجعة الى محبة ذاته وقوله في رواية اخرى بك اعرف وبك آخذ
وبك اعطي وبك اثيب فهذا كله حال النبي صلى الله عليه وآله لانه من
لم يعرف النبي صلى الله عليه وآله بالنبوة والرسالة لم يعرف الله كما ينبغي
ولو كان له الف دليل على معرفة الله فمعناه بمعرفتك اعرف اي من عرفك
بالنبوة عرفني بالربوبية وبك آخذ اي آخذ طاعة من اخذ منك ما اوتيته
من الدين والشريعة وبك اعطي اي بشفاعتك اعطي الدرجة لاهل الدرجات
كما قال الناس يحتاجون الى شفاعتي حتى ابراهيم عليه السلم وبك اعاقب
وبك اثيب وذلك قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب

وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءاقررتم واخذتم
على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين وذلك
لان الله تعالى اخذ ميثاق كل نبي بعثه على قوم بان يؤمن بمحمد وآله عليهم الصلوة
والسلم ويوصي امته بالايمان به ونصرة دينه فمن آمن به من الامم الماضية قبل
بعثته والامم الغابرة فهو من اهل الثواب ومن لم يؤمن به من الاولين والآخرين
فهو من اهل العقاب فصح قوله بك اعاقب وبك اثيب واما قوله في هذه الرواية
اما اني اياك آمر واياك انهى واياك اعاقب واياك اثيب فيحتمل ان يكون لفظة
اياك بمعنى بك ولاجلك على سبيل التوسع وان حملت اللفظ على الحقيقة فهو ايضا
صحيح حق لان حقيقة العقل ملاك التكليف والامر والنهي والثواب والعقاب الا
ان هذه الحقيقة ذات مقامات ودرجات اذ وحدة العقل ليست وحدة
عددية فكونه احب الاشياء اليه تعالى باعتبار غاية كماله ودنوه من الاول تعالى
وكونه معاقبا معذبا باعتبار غاية بعده منه تعالى وكونه مكلفا مأمورا ومنهيا باعتبار
باعتبار وقوعه في دار التكليف وكونه مثابا باعتبار كونه في الآخرة في بعض درجات
الجنان الحديث الثاني علي بن محمد بن ابراهيم بن ابان الرازي الكليني المعروف بعلان
ابو الحسن ثقة عين عن سهل بن زياد الادمي ابو سعيد الرازي ضعيف في الحديث
غير معتمد عليه عن عمرو بن عثمان الثقفي الخزاز وقيل الازدي ابو علي كوفي ثقة وكان
نقي الحديث صحيح الحكايات صه قال النجاشي له كتب عنه عن علي بن الحسن بن
فضال واحمد بن محمد بن خالد عن مفضل بن صالح ابو جميلة الاسدي النخاس
مولاهم ضعيف كذاب يضع الحديث عن سعد بن طريف من اصحاب الباقر عليه السلم

منهيا

مولى

مولى بني تميم الكوفي ويقال سعد الخفاف صحيح الحديث روى عن الاصبغ بن
نباتة قال العلامة في صه قال ابن الغضائري انه ضعيف عن الاصبغ بن نباتة
بالغين المعجمة بعد الباء الموحدة تحتها ونباتة بضم النون وبعد الالف تاء
مفتوحة مثناة فوقها مشكور من خاصة امير المؤمنين عليه السلم عن علي عليه السلم
قال هبط جبرئيل عليه السلم على آدم عليه السلم فقال يا آدم اني امرت ان اخيرك
واحدة من ثلث فاخترها ودع اثنتين فقال له آدم يا جبرئيل وما الثلث فقال
العقل والحياء والدين فقال آدم اني قد اخترت العقل فقال جبرئيل للحياء
والدين انصرفا ودعاه فقالا يا جبرئيل انا امرنا ان نكون مع العقل حيث كان
قال فشأنكما وعرج البيان هذا الحديث وان كان ضعيف السند لوقوع
لوقوع الضعفاء مثل سهل بن زياد ومفضل بن صالح وغيرهما في طريقه الا ان
ذلك لا يقدح في صحة مضمونه لانه معتضد بالبرهان العقلي وكذلك كثير من الاحاديث
الواردة في اصول المعارف ومسائل التوحيد وغيره وقوله هبط جبرئيل سيرجع
الى معناه فيما بعد ان شاء الله تعالى وتأنيث واحدة وكذا ثلث واثنتين باعتبار
الخصلة او نحوها وقوله انصرفا ودعاه اي انصرفا عن آدم ودعاه او انصرفا ودعا
العقل لآدم وقوله انا امرنا هذا الامر امر تكويني لا امر تشريعي كما في قوله تعالى اذا
اردناه ان نقول له كن فيكون وقوله فكونوا قردة خاسئين وفي هذا الامر لكونه
وجوديا بلا واسطة لا يمكن التعصي والتمرد بخلاف الامر بالواسطة فيجوز فيه الامران
فمنهم من اطاع ومنهم من عصى واعلم يا اخي ان للانسان قوة بها يدرك الحقائق
وهي المسماة بالعقل وقوة بها ينفعل عن ما يرد على القلب وهي المسماة بالحياء

الضعفاء

وقوة بها تقتدر على فعل الطاعات وترك المنكرات وتسمى بالدين وهذه الالفاظ
الثلثة كما قد تطلق على هذه المبادي اعني القوى والاخلاق كذلك تطلق على آثارها
والافعال الناشية منها فيقال ان العقل ادراك المعقولات والحياء انفعال
القلب عما يرد عليه والدين فعل المعروفات وترك المنكرات والحياء على
قسمين حياء نشأت من ضعف القلب وقلة الاحتمال لعجزه وهي ليست بممدوحة
وحياء نشأت من استشعار العظمة والهيبة فالاولى حياء من الخلق والثانية
حياء من الحق وهي من محاسن الاخلاق ومكارم الخصال ولهذا ورد الحياء من
الايمان وقال بعض العرفاء الحياء وجود الهيبة في القلب مع خشية ما سبق
منك الى ربك وقال بعضهم ان العباد عملوا على اربع درجات الخوف والرجاء
والتعظيم والحياء واشرفهم منزلة من عمل على الحياء لما ايقن ان الله يراه على كل
حال فاستحيى من حسناته اكثر مما استحيى العاصون من سيئاتهم وهذه الخصال
الثلث لكل منها ضد فضد العقل هو الجهل بالمعنى الوجودي اعني ادراك الشيء
خلاف ما هو عليه وهو من اسوء الاخلاق السيئة وافسدها اذ الكفر شعبة
منه وضد الحياء الوقاحة وضد الدين الفسق اذا تقررت هذه المقدمات فنقول
في هذا الحديث مطالب ثلثة احدها وجه الاقتصار على هذه الخصال الثلث
والثاني وجه كون العقل هو المختار منها والثالث علة استلزامه للاخيرتين
اما الاول فان للانسان قوتين فعلية وانفعالية والاولى اذا كانت فاضلة
يصدر منها فعل الطاعات والعبادات وتسمى بالدين تسمية للسبب
باسم مسببه والثانية اما انفعالها بالصور الادراكية فهي العقل اذا كانت

فاضلة

فاضلة او بغيرها من الامور الحسنة فهي الحياء اذا كانت فاضلة واما الثاني فلانه
في ان العقل اشرف الخصال واكرمها اذ به يعرف الحق ويتميز عن الباطل
وبه يكمل الايمان ويتقرب اليه تعالى وهو الذي يحب الله ويحبه الله واما
الثالث فلانه اذا حصل العقل استشعر القلب عظمة الله وجلاله فلزم منه
الحياء واذا حصل العلم بالله واليوم الآخر وقعت خشية الله في القلب لقوله
تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء واذا حصل الخشية اياه والخوف من عذابه
كمل الدين وتم العمل الحديث الثالث احمد بن ادريس وهو ابو علي الاشعري
القمي كان ثقة في اصحابنا فقيها كثير الحديث صحيح الرواية اعتمد على روايته عن
محمد بن عبد الجبار وهو ابن الصهبان بالصاد المهملة المضمومة والباء المنقطة
تحتها نقطة والنون اخيرا قمي من اصحاب ابي الحسن الثالث الهادي عليه السلم
ثقة عن بعض اصحابنا رفعه الى ابي عبد الله عليه السلم قال قلت له ما العقل
قال ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان قال قلت فالذي كان في معوية
فقال تلك النكراء تلك الشيطنة وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل
البيان ان الناس قد اختلفوا في حد العقل اختلافا كثيرا واضطربوا في تحقيق
معناه لما راوا تارة يطلق اسمه على اول ما خلقه الله كما سيجي في رواية
سماعة بن مهران عن ابي عبد الله عليه السلم من ان الله خلق العقل وهو اول
خلق من الروحانيين عن يمين العرش من نوره وتارة يطلق على ما هو خصلة
من خصال الانسان وملكة من ملكات نفسه كما في الحديث السابق
وتارة يطلق على الغريزة الانسانية التي بها يفارق الانسان ساير الحيوانات

وتارة يطلق على جودة الرويّة في استنباط ما ينتفع به وان كان في باب الدنيا
وفي الامر العاجل فيقال لمثل معوية انه عاقل وتارة يطلق على غير هذه المعاني
ايضاً والحقّ الكاشف للغطاء انّ اسم العقل يقع على معان بعضها بالاشتراك
وبعضها بالتشكيك امّا التي بالاشتراك فهي ستّة معانٍ الاوّل الغريزة التي
بها يمتاز الانسان عن البهايم ويستعدّ لقبول العلوم النظريّة وتدبير الصناعات
الفكريّة ويستوي فيها الاحمق والذكي ويوجد في النايم والمغمى عليه والغافل وكما انّ
الحيوة غريزة في الحيوان يفعل بها ويتهيّأ جسمه للحركات الاختياريّة والادراكات
الحسيّة فكذلك هذا العقل غريزة يتهيّأ بها الانسان لاكتساب العلوم النظريّة
فليس لاحد ان يقول انّ الانسان يساوي الحمار في الغريزة ولا فرق بينهما الّا
انّ الله يخلق بحكم اجراء العادة فيه علوماً وليس يخلقها في الحمار والبهايم اذ لو
جاز ذلك لجاز ان يسوّى بين الحمار والجماد في الغريزة والحيوة من غير فرق الّا انّ
الله يخلق في الحمار حركات مخصوصة بحكم اجراء العادة وكما امتنع ان يكون مفارقة
الحيوان عن الجماد بحركات مخصوصة جرت العادة بصدورها عنه لا عن الجماد
بل انّما هي بغريزة خاصّة به ليست في الجماد فكذلك استحال ان يكون حصول العلوم
النظريّة والتدابير الفكريّة من الانسان بمجرّد اجراء العادة من الله في خلقها فيه
لا لاجل غريزة فطره الله عليها بها يكون مفارقاً عن البهايم وبها تقع عنه تلك العلوم
والتدابير وكما انّ المرآة تمتاز عن ساير الاجسام بصفة مخصوصة كالصقالة بها
تحصل فيها حكاية الصورة والالوان وكذلك العين يفارق الاعضاء بصفة
غريزة بها استعدت للرؤية فنسبة هذه الغريزة في استعدادها لانكشاف

العلوم

العلوم كنسبة المرآة الى صور الالوان ونسبة العين الى صور المرئيات
والعقل بهذا المعنى يستعمله الحكماء في كتاب البرهان ويعنون به قوّة النفس
التي بها يحصل اليقين بالمقدّمات الصادقة الضروريّة لا عن قياس وفكر بل
بالفطرة والطبع ومن حيث لا يشعر من اين حصلت وكيف حصلت فاذن
هو جزء مّا من النفس تحصل بها اوايل العلوم الثاني العقل الذي يردّده الجمهور
من المتكلّمين في السنتهم فيقولون هذا ما يوجبه العقل وهذا ما ينفيه العقل
وانّما يعنون به المشهور في بادي الرأي المشترك عند الجميع او الاكثر فهذا
ممّا يسمّونه العقل كما يظهر من استقراء استعمالاتهم هذا اللفظ فيما يتخاطبون
به او يكتبون في كتبهم العلميّة ومن هذا الباب العلوم الضروريّة كالعلم بانّ
الاثنين ضعف الواحد وانّ الاشياء المساوية لشيء واحد متساوية وانّ
الجسم الواحد لا يحصل في حيّزين وانّ الحيّز الواحد لا يحصل فيه الجسمان الثالث
العقل الذي يذكر في كتاب الاخلاق ويراد به جزء من النفس الذي يحصل بالمواظبة
على اعتقاد شيء شيء وعلى تجربة شيء شيء من الامور الارادية التي لنا ان نؤثرها
او نتجنّب عنها فانّ ذلك الجزء من النفس يسمّى عقلاً والقضايا التي تحصل للانسان
بهذا الوجه وفي ذلك الجزء من اجزاء النفس هي مبادي الرأي فيما سبيله
ان يستنبط من الامور الارادية التي شأنها ان نؤثرها او نتجنّب ونسبة
هذه القضايا الى ما يستنبط بها من تلك كنسبة تلك القضايا الضروريّة
الى ما هي مبادي لها من العلوم النظريّة التي غايتها ان تعلم لا ان يفعل بها
شيء وهذا العقل يتزيّد ويشتدّ مع الانسان طول عمره فانّ من حنكته

صح لا يشعر

صح طول عمره

صح الضروريّة

التجارب وهذبته المذاهب يقال في العرف انه عاقل ويتفاوت ويتفاضل
فيه الناس تفاضلاً كثيراً الرابع الشئ الذي به يقول الجمهور في الانسان
انه عاقل ومرجعه الى جودة الروية وسرعة التفطن في استنباط ما ينبغي ان يؤثر
او يجتنب وان كان في باب الاغراض الدنياوية وهوى النفس الامارة
بالسوء فان الناس يسمون من له هذه الروية المذكورة عاقلاً ويعدونه
معدوداً من جملة العقلاء واما اهل الحق فلا يسمون هذه الحالة عقلاً بل اسماء اخر
كالنكراء او الشيطنة او الدهاء او شبه هذه الاسماء والوجه في ذلك ان
النفس الانسانية متى كانت نشأتها غير مرتفعة عن عالم الحركات وكان الغالب
على طبعها الجزء الناري التي شأنها سرعة الحركة وقوة الاشتعال فمثل هذه
النفس النارية شديدة الشبه بالشيطان في استنباط الحيل والمكر
والاستبداد بالرأي والعمل بالقياس الفاسد والاباء والاستعلاء
والغواية والاغواء بخلاف النفوس النورية المطمئنة الطبع المعتدلة الخلقة
العالية الجوهر عن هذا العالم فان شأنها الانفعال عن الملكوت الاعلى والتوكل
على الله في امر دنياها واستعمال الروية والفكر على سبيل القصد فلا يكون
مكاراً ولا بليداً فخير الامور اوسطها فهذا معنى العقل المستعمل في هذا الموضع
ومرجعه الى التعقل للامور والقضايا المستعملة في كتب الاخلاق التي هي مبادٍ
للآراء والعلوم التي لنا ان نعقلها لنفعلها او نجتنب عنها ونسبة هذه القضايا
الى العقل المستعمل في كتب الاخلاق كنسبة تلك العلوم الضرورية الى العقل المستعمل
في كتاب البرهان فهذانك العقلان جزءان للنفس الانسانية احدهما جزء انفعالي
علمي

علمي ينفعل عن المبادي العالية بالعلوم والمعارف التي غايتها انفسها وهي الايمان
بالله واليوم الآخر وثانيهما جزء فعلي عملي يفعل فيما تحته بسبب الآراء
والعلوم التي غايتها ان يعمل بمقتضاها من فعل الطاعات والاجتناب عن
المعاصي والتخلق بالاخلاق الحسنة والتخلص عن الاخلاق الذميمة وهو
الدين والشريعة فاذا حصلت الغايتان حصل التقرب الى الله والتجرد
عما سواه الخامس العقل الذي يذكر في كتاب النفس وهو يطلق على اربعة
انحاء مراتب عقل بالقوة وعقل بالملكة وعقل بالفعل وعقل مستفاد
فاولها هو قوة من قوى النفس بل هي النفس من حيث نشأتها الاولى
التي ليس فيها كمال وصورة عقلية كمالية ولا ايضاً استعداد قريب لها
لكن في قوتها ان ينتزع مهيات الموجودات كلها وصورها وثانيها قوة من
النفس او هي النفس من حيث استعدت بواسطة العلوم العامية والادراكات
الاولية لان يحصل فيها صور الموجودات المنتزعة عن موادها الخارجية صايرة
اياها متحدة بها اتحاد المادة بالصورة كما رأيناه واليه ذهب بعض اعاظم الحكماء
وثالثها مرتبة كونها بالفعل كل المعقولات او اكثرها بان يتبدل وجودها الكوني
الاول الذي كانت به صورة لمادة حسية الى وجود ثانوي وفطرة ثانية
مستأنفة بها يتحد في ذاته المعقولات المنتزعة التي كانت اولاً في موادها الكونية
فحصلت ثانياً في تلك الذات وتلك الذات انما صارت عقلاً بالفعل بالتي
هي بالفعل معقولات ومعنى كونها معقولة في انفسها وكذا معنى كونها معقولة
لتلك الذات وموجودة لها وتلك الذات عاقلة لها كلها معنى واحد ووجود واحد

٤٦ فاذن كونها عقلا وعاقلة ومعقولة شيء واحد بلا اختلاف حيثية توجب كثرة في الذات
والوجود بل في المفهومات ومعاني الالفاظ وتلك المعقولات من قبل ان تنتزع
من موادها كانت وجودها وجوداً دنياوياً وكونا مادياً وهي كانت تابعة في وجودها
لما يقترن بها فهي مرة اين ومرة متى ومرة ذات وضع ومرة ذات كم واحيانا مكيفة
بكيفيات جسمانية واحيانا تفعل وآنا تنفعل واذا حصلت معقولات ارتفعت
عنها كثير من المفهومات الصادقة عليها من قبل فصار وجودها وجوداً آخر فتبدلت
الارض غير الارض والسماء غير السماء فصارت الارض مشرقة والسموات
مطويات في نظر هذا العارف كما في يوم الآخرة بالقياس الى جميع الخلايق ورابعها
مرتبة من هذه الذات متى شاءت ان تعقل هذه المعقولات مفصلة احضرتها من
غير ان يحتاج الى نزع وتجريد وتجشم كسب جديد كيف وقد انتزعتها سابقا وتجردت
واختزنت بل لما حصلت له ملكة الاتصال بالعقل الفعال فمتى نظرت الى العقل
الفعال استحضرتها لانها مادامت باقية التعلق والتدبير لهذا العالم لم تكن دائمة
الاستغراق لشهود الحق الاول والاتصال به وبما يتلوه من واهب الصور
باذنه وفعال المعقولات بقوته التي تمسك الارض والسموات واما الذي لها
في هذا العالم ملكة الاتصال على وجه السادس العقل المذكور في كتاب الالهيات و
معرفة الربوبيات وهو الموجود الذي لا تعلق له بشيء الا بمبدعه وهو الله القيوم فلا
تعلق له بموضع كالعرض ولا بمادة كالصورة ولا ببدن كالنفس وليس له كمال بالقوة بموضوع اصح
ولا في ذاته جهة من جهات العدم والامكان والقصور الا ما صار منجبراً بوجوب وجود
الحق تعالى ولهذا اقيل لعالمه عالم الجبروت وكله خير ونور لا يشوبه شوب ظلمة وشر
الا ما احتجب

الا ما احتجب بسطوة الضوء الاحدي والشعاع الطامس القيومي وهو امر الله الطامس
وكلمته وهو المنعوت بما جرى في الحديث الاول وما سيأتي في حديث
آخر يذكر فيه جنوده وجنود الجهل فهذه معاني العقل المشتركة في الاسم واما
معانيه المختلفة بالتشكيك فمنها العقول الاربعة المذكورة في كتاب النفس
فانها متفاوتة بالشدة والضعف والكمال والنقص ومنها مراتب العقل العملي
المذكور في كتب الاخلاق اولها تهذيب الظاهر باتيان العبادات والاجتناب
عن المنهيات وثانيها تطهير الباطن عن الرذايل حتى تصير النفس كمرآة مجلوة
من شأنها ان تتجلى فيها الحقايق في كسوة الامثال وثالثها ان يشهد المعلومات
كلها او جلها ورابعها ان يغني عن نفسه ويرى الاشياء كلها صادرة من الحق راجعة
اليه وهناك التخلق باخلاق الله كما ورد الامر به في قوله صلى الله عليه وآله تخلقوا
باخلاق الله وهذه آخر الدرجات لكلا العقلين فيتحدان في هذه الغاية وليس
وراء عبادان قرية ومنها ان العقل بالمعنى السادس عند طائفة من الحكماء كثير
العدد فتلك الكثرة لو تحققت كما يقولون فليست كثرة تحت نوع واحد ولا ايضا
كثرة بالفصول كما هو عندهم ولا بالعوارض الخارجية حاش العالم القدسي عنها لانها
تستلزم الحركة والمادة بل انما هي مراتب وجودية بسيطة متفاوتة بالاشد
فالاشد والانور فالانور فهي كانوار واشعة متفاوتة في الكمال والقرب الى نور
الانوار ومنها ان الفرق بين الصور العقلية المنتزعة عن المواد بتجريد ونزع وبين
الصور العقلية التي هي مفارقة عن المواد في اصل الفطرة فرق ايضا بالكمال والنقص
لا بشيء آخر ومنها ان العقل الذي هو عبارة عن الغريزة الانسانية التي بها يمتاز

الانسان عن البهائم ليس امرا مساويا في افراد الناس كلها بل الحق ان جواهر النفوس
الانسانية في اصل الفطرة مختلفة في الاشراق والكدورة والضياء والظلمة فبعض النفوس
في صفاء الجوهر وقوة الذكاء واستعداد الاستضاءة بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم
تمسسه نار فلا يحتاج الى معلم بشري لان يستكمل ذاته بانوار المعرفة والهدى وبعضها في
كدورة الجوهر وخمود نور القريحة بحيث لا ينجع فيه تعليم ولا تاديب فاذا انكشفت
عليك ايها السالك هذه المقدمات والاحكام وتمثلت في ذهنك هذه المعاني
والاقسام علمت ان العقل باي المعاني يقع الاشتباه بينه وبين النكراء والشيطنة
ومنشاء الاشتباه ان كلا منهما مشترك في انهما جودة الروية وسرعة التعقل في امور
وقضايا هي مبادي آراء واعتقادات فيما يجب ان يؤثر او يجتنب سواء كانت في
باب الخير والآجل او في باب الشر والعاجل لكن المتعلق بالدنيا من التعقلات والحركات
الفكرية لا يخلو عن افراط وتفريط واعوجاج وتشويش واضطراب وعجلة كما هو من فعل
الشياطين وعبدة الطاغوت واما الصادر من عباد الرحمن المتعلق بامور الدين
والعرفان فيكون على سبيل اطمينان وسكون واحكام واستقامة فهذا افضل الاخلاق
الحسنة وذاك ارذل الملكات الردية النفسانية المسمى بالجربزة والبلاهة احسن منه
لانها كما قيل ادنى الى الخلاص من فطانة بتراء فقوله عليه السلم ما عبد به الرحمن واكتسب
به الجنان هو تعريف العقل بهذا المعنى وهو المقابل للشيطنة بوجه وللبلاهة بوجه
آخر وقول السائل في معوية اما مبتداء محذوف خبره او خبر مبتداء محذوف تقديره
فالذي في معوية ما هو او ما الذي في معوية تنبيه اعلم ان جميع معاني لفظ العقل على تباينها
وتشكيكها يجمعها امر واحد يشترك الكل فيه وهو كونه غير جسم ولا صفة لجسم ولا جسماني بما هو

فالذي مع

جسماني

جسماني ولاجل اشتراكها في هذا المفهوم يصح ان يجعل موضوع العلم واحد وان يوضع
له كتاب واحد يبحث عن احوال اقسامه وعوارضها الذاتية كما في هذا الكتاب
الذي نحن فيه من كتب الكافي الحديث الرابع محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن
عيسى عن ابن فضال وهو الحسن بن علي بن فضال يكنى ابا محمد روى عن الرضا
عليه السلم وكان خصيصا به وكان جليل القدر عظيم المنزلة زاهدا ورعا ثقة في
رواياته كذا في الخلاصة وقال ابو عمرو الكشي كان الحسن بن علي فطحيا يقول
بامامة عبد الله بن جعفر فرجع والذي ثبت من حاله انه كان في جميع عمره فطحيا
مشهورا بذلك حتى حضره الموت فمات راجعا الى الحق قائلا به رضي الله
عنه عن الحسن بن الجهم بن بكير بن اعين ابو محمد الشيباني ثقة روى عن ابي الحسن
موسى والرضا عليهما السلم قال سمعت الرضا عليه السلم يقول صديق كل امرئ
عقله وعدوه جهله البيان هذا العقل يراد به المعنى الثالث او الرابع من معاني
العقل وهما متقاربان اذ ليس المراد به الغريزة الانسانية المشتركة ولا العلوم
الضرورية التي هي مبادي النظريات ولا الآراء المشهورة ولا العقل الكلي
اول المخلوقات وانما صار العقل صديق المرء والجهل عدوه لان بالعقل
يكتسب الانسان الاصدقاء ويهتدي الى الخيرات وبه يدفع الاعداء ويجتنب
عن الشرور وباشارته يفعل الطاعات والحسنات ويترك المعاصي والسيئات
ويسلك سبيل الرضوان ويعبد الرحمن وبالجهل يعكس هذه الامور كلها
ويتبع اضدادها فيكتسب به الاعداء وينفر الاولياء وينكب عن طريق الخير الى
طريق الشر ويفعل المعاصي ويعصي الاله ولا معنى للتصديق الا ما كان مبداء لتلك

الامور ولا للعدوّ الّا ما كان مبداء الاضداد سوآء كان جوهراً او عرضاً جسماً او
غير جسم داخلاً في الشخص او خارجاً عنه فانّ كلّاً من خصوصيات هذه الاشيا خارج
عن حقيقة الصداقة والعداوة بل حقيقة الصديق والصداقة وما يتحقق به وروح
معناها هي مصدر ما ينتفع به العبد ومنشاء ما يهتدي به الى ما هو من باب الخير
والسلامة وحقيقة العداوة وروح معناها هي مصدر ما يتضرّر به العبد ومنشاء
منه الشرّ والشقاوة والعقل والجهل كذلك فحريّ ان يسمّى العقل صديقاً للمرء
والشرّ عدوّاً له ومن هذا الباب ما روى عن امير المؤمنين عليه السّلم الجاهل
عدوّ لنفسه فكيف يكون صديقاً لغيره وعن رسول الله صلى الله عليه وآله اعدى
عداك نفسك التي بين جنبيك اراد بها النفس قبل ان تستكمل وتكتسب العقل
وتتأدّب بالآداب الشرعيّة والعلوم الحقيقيّة فانّ اكثر النفوس في اوايل الخلقة
جاهلة مكدّرة بالادناس الطّبيعة والارجاس الجسمانية فيجب الاحتراز عن دواعيها
واغراضها الفاسدة والمجاهدة معها كما اشار اليه بقوله صلى الله عليه وآله عند
المراجعة عن بعض الغزوات رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر سمّى الجهاد
مع الكفّار وهي الاعداء الخارجيّة اصغر ومع النفس وهي العدوّ الداخلي اكبر
ووجه كون هذا الجهاد اعظم كون العدوّ داخلاً في المملكة الانسانيّة ولانّ مكايدها
كثيرة ومع كثرتها دقيقة خفيّة ولانّ اكثر جنودها من القوى والاعضاء مشتركة
بينها وبين العقل في الاستعمال ولانّ الشرط في مجاهدتها ومحاربتها ان لا يؤدّي
الى هلاكها وموتها بالكليّة بل ان تصير مسخّرة مطيعة لامر الله مسلمة كما قال صلى الله
عليه وآله اسلم شيطاني على يدي واعانني الله عليه وكيفيّة هذه المجاهدة مع النفس

والهوى

عدوك نفسه

والهوى وجنودهما بالعقل وجنوده بالمطاردة بين الجندين جند الشيطان
وحزب الرّحمن ممّا سيجئ الاشارة اليه في الحديث الثاني عشر ان شاء الله
تعالى ومعركة هذه المحاربة هي القلب الانساني المعنوي الّذي يتمثّل فيه صور الاشياء
واشباحها الحديث الخامس وعنه عن ابن فضال عن الحسن بن الجهم قال قلت لابي الحسن
الرّضا عليه السّلم انّ عندنا قوماً لهم محبّة وليست لهم تلك العزيمة يقولون بهذا القول
فقال ليس اولئك ممّن عاتب الله عزّ وجل انّما قال فاعتبروا يا اولي الابصار
الشرح انّ قوماً لهم محبّة اي للائمة صلوات الله عليهم وليست لهم تلك العزيمة
المعهودة من الشيعة الموالي والرّسوخ في المحبّة بحيث يسهل معها بذل
المهج والاولاد والاموال في طريق مودّة اولي القربى وموالاتهم يقولون بهذا
القول اعترافاً باللسان تقليداً وتعصّباً لا بحسب البصيرة والبرهان فقال
ليس اولئك ممّن عاتب الله عزّ وجل مفعول عاتب ضمير راجع الى الموصول
اي اولئك ليسوا ممّن كلّفهم الله بهذا العرفان او عاتبهم بالقصور عن دركه
ولا من الّذين عوقبوا في القيمة بعدم بلوغهم الى نيل رتبة الموالاة وحقيقة المحبّة لهم
عليهم السّلم فانّ المحبّة والموالاة لهم فرع على المعرفة بحالهم وشأنهم ومعرفة اولياء
الله امر غامض لطيف لانّها من جنس معرفة الله لا بدّ فيها من فطرة صافية و
ذهن لطيف وطيب في الولادة وطهارة في النفس وبصيرة ثاقبة وعقل
كامل ولهذا قال الله في مواضع من كتابه فاعتبروا يا اولي الابصار فاعتبروا
يا اولي الالباب وامثال هذين تبيين قد استفيد من هذا الحديث انّ
عامّة النّاس وضعفاء العقول مع كونهم مكلّفين بحقيقة الايمان الآن كما

عن احمد بن محمد

كما قال صلى الله عليه وآله امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ولو انهم قالوا في الدنيا بالاسلام فهم غير مكلفين

منهم لہ ۲۹

منهم له قوة عقلية و مكنة استعدادية يكنه بها الارتقاء الى درجة العرفان والايمان
فالتكليف بمعرفة حقايق الايمان متوجه اليه و هو يثاب بها على قدر عرفانه و
ايمانه و بالاعراض عنها والجحود لها يكون في عذاب اليم وعقاب شديد على قدر
جحوده وكفرانه ومما يؤيد هذا ما قاله الشيخ المفيد عظم الله قدره في شرح كتاب
الاعتقادات المنسوب الى محمد بن علي بن بابويه قدس الله روحه الذي
ثبت من الحديث في هذا الباب ان الارواح بعد موت الاجساد على ضربين
منها ما ينقل الى الثواب والعقاب ومنها ما يبطل فلا يشعر بثواب ولا عقاب
وقد روى عن الصادق عليه السلام ما ذكرناه في هذا المعنى وبيانه فسئل عمن
مات في هذه الدار اين يذهب روحه فقال من مات وهو ماحض الايمان
محضا او ماحض الكفر محضا نقلت روحه من هيكله الى مثله في الصورة و
في ح جوزى باعماله الى يوم القيمة فاذا بعث الله من القبور انشأ جسمه ورد روحه
الى جسده وحشر ليوفيه اعماله فالمؤمن ينزل روحه من جسده الى مثل جسده في
الصورة فيجعل في جنة من جنان الله يتنعم فيها الى يوم المآب والكافر ينتقل روحه
من جسده الى مثله بعينه ويجعل في نار فيعذب بها الى يوم القيمة وشاهد ذلك
المؤمن صح في قوله تعالى قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وشاهد
ما ذكرناه في الكافر قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة
يخلد في النار والضرب الآخر ممن يلهى عنه ويعدم نفسه عند فساد جسده فلا يشعر
بشئ حتى يبعث وهو ممن لم يمحض الايمان محضا ولا الكفر محضا انتهى كلامه و
في هذا المقام تحقيق سنعود اليه في موضع آخر ينكشف به كيفية بقاء النفوس

العامية

العامية بعد فناء الاجساد فان كثيرا من متقدمي الحكماء رأوا انها باطلة بالكلية و
ليس الامر عندنا كما ذكروه وقد دلت على بعث الجميع النصوص القرآنية
كقوله تعالى وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا
كما خلقناكم اول مرة وقوله ويوم نحشرهم جميعا وقوله يوم ينفخ في الصور فتاتون
افواجا الى غير ذلك من الآيات واما الذي استدل به شيخنا المفيد رحمه الله
من قوله وقد بين الله ذلك عند قوله اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا عشرا فبين
ان قوما عند الحشر لا يعلمون مقدار لبثهم في القبور حتى يظن بعضهم ذلك عشرا وبعضهم
ربهم م بعثه او ان ذلك كان يوما وليس يجوز ذلك من وصف من عذب الى بعثه او نعم الى بعثه
لان من لم يزل منعما او معذبا لا يجهل عليه ما له فيما عومل به ولا يلتبس عليه الامر
في بقائه بعد وفاته انتهى فهو منظور فيه لعدم دلالته على ما ادعاه من عدم نفوس
هذا القسم وبطلانها كيف والمعدوم لا يعاد كما دلت عليه القواطع البرهانية بل
انما يدل على كونهم غير معذبين ولا منعمين تعذيبا او تنعيما لا بد من بقائه في الذكر
وعدم بقاء الشعور في الذكر لا يستلزم عدم الشعور رأسا كما في كثير من المنامات
والاحلام التي يراها الانسان ثم يمحو عن الذاكرة بحيث لا يمكن استرجاعها او
ليس الامر في اصحاب الكهف كذلك الذين ذكرهم الله في هذه الآية حيث قالوا
لبثنا يوما او بعض يوم وبالجملة قد ظهر من هذا الحديث وغيره من الاخبار والآيات
والآثار مع شواهد الانظار ومكاشفات اولي الابصار ان التكاليف القلبية على
حسب قوة العقل وضعفه والثواب والعقاب بمقدار ما اوتي العبد من العقل
الحديث السادس احمد بن ادريس عن محمد بن حسان وهو ابو عبد الله الرازي قال الشيخ

يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما

يعرف بالرازي يعرف وينكر من يروي عن الضعفاء كثيراً وقال ابن الغضايري
محمد بن حسان الرازي ابو جعفر ضعيف صه عن ابي محمد الرازي مهمل مجهول عن سيف
بن عميرة بفتح العين المهملة النخعي عربي كوفي ثقة روى عن الصادق والكاظم عليهما السلم
صه عن اسحق بن عمار بن حيان كان شيخاً من اصحابنا ثقة روى عنهما عليهما السلم
وكان فطحياً قال الشيخ ثقة واصله معتمد عليه وكذا قال النجاشي صه قال قال ابو عبد
الله عليه السلم من كان عاقلا كان له دين ومن كان له دين دخل الجنة الشرح
كلامه عليه السلم في صورة قياس منطقي اقتراني شرطي من الشكل الاول من اعلى
ضروبه لان المراد كل من كان عاقلا كان له دين وكل من كان له دين دخل الجنة ينتج
كل من كان عاقلا دخل الجنة اما بيان الصغرى فلان المراد من العاقل من كان جيد الروية
صحيح الفكر في امر معاشه ومعاده فكان عاملا بمقتضى رأيه الصحيح ونظره الصائب فلزم
ان يكون متديناً اذ لو لم يكن فكره صحيحاً ورأيه صواباً في امر عاقبته لم يكن عاقلا بل جاهلا
ولو لم يعمل بمقتضى فكره الصحيح ورأيه الصواب كان سفيهاً غير عاقل فثبت ان كل عاقل
متدين واما الكبرى فلان من كان عاقلا بصيراً متديناً عاملا بمقتضى عقله وايمانه كان
مستحقاً بفضل الله ورحمته مستاهلا لجواره وجنته والله سبحانه اجل من ان يمنع
المستحق عن فضله واحسانه وهو الذي اعطى الخلق وافاد الوجود بلا استحقاق سابق
فمع الاستحقاق وحصول الايمان والعمل بمقتضى العقل والعرفان كيف يقع الحرمان
عن المغفرة والرضوان والفوز بالجنان الحديث السابع عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد
ابن خالد بن عبد الرحمن بن محمد بن علي البرقي ابو جعفر في الخلاصة كوفي ثقة غير انه اكثر
الرواية عن الضعفاء واعتمد المراسيل قال ابن الغضايري وطعن عليه القميون

وليس

(margin: اسحق بن عمار ... [illegible] ... وكان فطحيا قال الشيخ انه ثقة واصله معتمد عليه)
(margin: بمقتضى — مستاهلا — واعتمد)

(margin: [illegible])

وليس الطعن فيه انما الطعن فيمن يروي عنه وعندي ان روايته مقبولة صه
عن الحسن بن علي بن يقطين هو ابن موسى مولى بني هاشم كان ثقة فقيهاً
متكلماً روى عن ابي الحسن موسى والرضا عليهما السلم عن محمد بن سنان ابو
جعفر الزاهري من ولد زاهر مولى عمرو بن الحمق الخزاعي وقد اختلف علماؤنا في
شانه فالشيخ المفيد رحمه الله قال انه ثقة واما الشيخ الطوسي رحمه الله
فانه ضعفه وكذا النجاشي وابن الغضايري قال انه ضعيف لا يلتفت اليه
وروى الكشي فيه مدحا عظيما واثنى عليه قال العلامة والوجه عندي التوقف
فيما يرويه عن ابي الجارود هو زياد بن منذر الهمداني الخارفي زيدي اعمى اليه
ينتسب الجارودية من اصحاب الباقر عليه السلم روى عنهما عليهما السلم وتغير
لما خرج زيد قال ابن الغضايري حديثه في حديث اصحابنا اكثر منه في الزيدية واصحابنا
يكرهون ما رواه محمد بن سنان عنه ويعتمدون ما رواه محمد بن ابي بكر الارجني عنه
عن ابي جعفر عليه السلم قال انما يداق الله العباد في الحساب يوم القيمة على قدر
ما آتاهم من العقول في الدنيا الشرح المداقة في الحساب هي المناقشة فيه وقد
سبق ان عقول افراد البشر متفاوتة في اصل الجوهر قوة وضعفاً وكذا عقولهم
المكتسبة متفاضلة كمالا ونقصاً وعلمت ايضاً ان التكاليف واقعة على حسب
العقول فالاقوى عقلا اشق تكليفاً من الاضعف عقلا فاذن نوقش في الحساب
يوم القيمة مع اهل الفطانة والاقويا بما لا يناقش به في الحساب مع الناقصين
والضعفاء الحديث الثامن علي بن محمد بن عبد الله ابو الحسن القزويني القاضي وجه من اصحابنا
ثقة عن ابراهيم بن اسحق الاحمر قال العلامة في الخلاصة ابو اسحق الاحمري النهاوندي

(margin: [illegible] — الغضايري)

ضعيف متّهم في دينه وقد ضعّفه الشيخ رحمه الله في الفهرست عن محمد بن سليمن
هو ابو عبد الله الديلمي ضعيف عن ابيه وهو سليمان بن زكريا الديلمي قيل
كان غاليا كذّابا وكذلك ابنه محمّد لا يعمل بما انفرد به للرواية وكذا قال ابن الغضايري
قال قلت لابي عبد الله عليه السلم فلان من عبادته ودينه وفضله فقال كيف عقله
قلت لا ادري فقال انّ الثواب على قدر العقل انّ رجلا من بني اسرائيل كان يعبد الله
في جزيرة من جزاير البحر خضراء نضرة كثيرة الشجر ظاهرة الماء وانّ ملكا من الملائكة مرّ به
فقال يا رب ارني ثواب عبدك هذا فاراه الله ذلك فاستقلّه الملك فاوحى الله
اليه ان اصحبه فاتاه الملك في صورة انسي فقال له من انت قال انا رجل عابد بلغني
مكانك وعبادتك بهذا المكان فاتيتك لاعبد الله معك فكان معه يومه ذلك فلما
اصبح قال له الملك انّ مكانك لنزه وما يصلح الّا للعبادة فقال له العابد انّ لمكاننا
هذا عيبا فقال له وما هو قال ليس لربنا بهيمة فلو كان له حمار رعيناه في هذا الموضع
فانّ هذا الحشيش يضيع فقال له الملك وما لربك حمار فقال لو كان له حمار ما كان يضيع — ما ح
مثل هذا الحشيش فاوحى الله الى الملك انّما اثيبه على قدر عقله **الشرح** قوله فلان
من عبادته ودينه وفضله فلان مبتداء خبره محذوف كانّه قال فلان كامل او معروف
او نحوهما من هذه الجهات المذكورة قوله عليه السلم في جزيرة الجزر والجزر خلاف — الجزر ضد المد [illegible] ق
انقطاع المدّ وهو رجوع الماء الى خلف والجزر ايضا نضوب الماء وانكشافه عن الارض
وانفراجه حين غار ونقص ومنه الجزيرة واحدة جزاير البحر نضرة صفة بعد صفة للجزيرة
ويحتمل ان يكون صفة للخضراء والنضرة بمعنى الحسن والرونق وقد نضر وجهه من باب طلب
نضرة اي حسن ونضر الله وجهه يتعدّى ولا يتعدّى وفي الحديث نضر الله امرأ سمع مقالتي

فوعاها

فوعاها ظاهرة الماء بالظاء المعجمة والاهمال تصحيف لا وجه له ارني ثواب عبدك اي جزاء
عبادته يوم الآخرة فاستقلّه الملك اي رآه قليلا بالقياس الى كثرة عمله وسعيه بلغني
مكانك اي منزلتك في العبادة فكان معه اي كان الملك مع ذلك الرجل يومه ذلك
اي في ذلك اليوم له والمراد اليوم بليلته بدلالة فلما اصبح اي اليوم الغد عليه وما لربك
حمار يحتمل النفي والاستفهام اي اليس لربك حمار لانّه اجلّ واعلى من ان يكون له ذلك
او ما لربك حمار وهيهنا سؤالات الاوّل انّ هذا الرجل وله هذا الاعتقادات
الفاسدة هل يلزم تكفيره ام لا والجواب انّ صاحب هذا الاعتقاد لو كان مستبدّ برايه
راسخا في اعتقاده كان كافرا ولكن هذا الرجل ليس كذلك بل حاله القصور عقله كحال
النساء والصبيان فلا يوجب ذلك تكفيره والثاني انّ مشاهدة الملك وتكلّمه
مرتبة جليلة كيف حصل لهذا الرجل الناقص العقل والايمان والجواب انّ جواهر
النفوس الانسانية من سنخ الملكوت في اصل الفطرة فلها ان ينكشف عليها شئ
من الملكوت وانّما العايق لها من ذلك انّما شواغل الحواس الخارجية والافكار
الداخلية فاذا ارتفع الشغلان امّا بالفطرة كما للنفوس الساذجة او بالرياضة
كما للسالكين او بالنوم وشبهه كالمرض والدهشة فربما لاح لها شئ من الملكوت
وبالجملة كلما يوجب للحواس تعطّلا وللذهن حيرة فيمكن ان يتجلّى فيه للنفس امر
ملكوتي في كسوة مثالية الثالث انه كيف يترتّب الثواب في الآخرة على عبادة
هذا الرجل وشرط صحّتها وهو نيّة التقرّب الى الله مفقود لانّ نيّة التقرّب فرع
معرفة المتقرَّب اليه والجواب انّ ثوابه على قدر عقله وانّ ادنى المعرفة مع نفي
التشريك يكفي في ترتّب الاجر على عمل مثله وانّ العبد اذا سلمت نفسه عن الصفات

٤٧

الذميمة والسيّئات كان قابلاً للرحمة الالهيّة الواسعة ثم مع اشتغاله بصورة العبادة
من غير تكدّر وآفة من كبر او عجب او غيرهما قوى استحقاقه لانّ مع الامكان وتساوي
الطّرفين كان جانب الرّحمة ارجح فاذا اردف بصورة الطّاعات صار الرّجحان
اقوى فالنّجاة مبذولة على مثله في الآخرة والوجود البحت السّالم عن العقاب غير خال (الاخروي)
عن سرور ونعيم اقلّ مراتبه اعظم من نعمة الدّنيا بحذافيرها **الحديث التّاسع** علي بن ابراهيم
بن هاشم القمّي ابو الحسن ثقة في الحديث ثبت معتمد صحيح المذهب سمع واكثر وصنّف
كتباً عن ابيه هو ابراهيم بن هاشم ابو اسحق القمّي اصله من الكوفة وانتقل الى قم قال العلّامة
في صه لم اقف لاحد من اصحابنا على قول بالقدح فيه ولا على تعديله بالتّنصيص و
الرّوايات عنه كثيرة والارجح قبول قوله عن النوفلي حسين بن يزيد بن محمّد بن عبد الملك
النّوفلي نوفل النّخعي كوفي ابو عبد الله كان شاعراً اديباً وسكن الرّي ومات بها وقال
قوم من القمّيين انه غلا في آخر عمره عن السّكوني اسمه اسمعيل بن ابي زياد الشعيري له (القمّيين)
كتاب روى عنه النّوفلي وكان عامّياً عن ابي عبد الله عليه السّلم قال قال رسول الله (عامّياً)
صلى الله عليه وآله اذا بلغكم عن رجل حسن حال فانظروا في حسن عقله فانّما يجازى بعقله
الشرح قد اشرنا فيما سبق انّ العقل بالمعنى الاوّل وهو الغريزة الانسانيّة الّتي
بها يفارق الانسان البهايم امر متفاوت في افراد النّاس بحسب الفطرة الاولى وكذا يتفاضل
النّاس في عقولهم المكتسبة بحسب استكمال كلّ من العقلين المذكورين في علم النّفس وفي
علم الاخلاق وهذا الاستكمال ليس الّا اشتداداً في اصل الجوهر الفطري فكلّما كان جوهر
النّفس في اوّل الفطرة اقوى وانور كان تأثير العلوم والطّاعات فيه اشدّ وابين وكماله
العقلي الثانوي من جهة احدى القوّتين النّظريّة او العمليّة اشرف واعلى والى العقل الاعظم
الكلّي

الكلّي اوصل والى الحقّ الاوّل تعالى اقرب فظهر انّ افراد الانسان متخالفة بحسب الهويّات
العقليّة تخالفاً عظيماً في الكمال والنّقص والشّرف والخسّة ومعلوم انّ الاحوال تابعة
للذوات فحسنها وبهاؤها تابع لحسن الذّات وشرفها ولذا روى عن امير المؤمنين
عليه السّلم انّ العقل عقلان مطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع اذا لم يكن مطبوع كما لا ينفع
نور الشّمس وضوء العين ممنوع وروى ايضاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله لامير المؤمنين
عليه السّلم يا علي اذا تقرّب النّاس الى خالقهم بابواب البرّ فتقرّب انت بعقلك وممّا
ورد في هذا الباب في طريق العامّة انّه قال صلى الله عليه وآله لواحد من الصّحابة
اجتنب محارم الله وادّ فرائض الله تكن عاقلاً وعن سعيد بن مسيّب انّ عمر وابيّ
بن كعب وابا هريرة دخلوا على النّبي صلى الله عليه وآله فقالوا يا رسول الله من اعلم
النّاس فقال العاقل فقالوا من اعبد النّاس فقال العاقل فقالوا من افضل النّاس
قال العاقل قالوا اليس العاقل من تمّت مروّته وظهرت فصاحته وجادت كفّه
وعظمت منزلته فقال صلى الله عليه وآله انّ ذلك لما متاع الحيوة الدّنيا الآية انّ العاقل (ظ لمتاع)
هو المتّقي وان كان في الدّنيا خسيساً دنيّاً ويشبه ان يكون اسم العقل في الاصل
لتلك الغريزة ثم استعمل لكمالها الحاصل في بعض الافراد كما يطلق السّواد اوّلاً
على كيفيّة قابضة للبصر بوجه ثم يطلق ثانياً على ما فيه شدّة في معنى السّواديّة بالاضافة
الى ما دونه فاذا قيس سواد الفيل الى سواد القير يقال انّ القير اسود وانّ الفيل
ليس باسود وكذا الحرارة والنّور وغيرها ممّا يشتدّ تارة ويضعف اخرى بحسب
هويّات افرادها فاذا يطلق العاقل على من كملت غريزته في خاصيّته الانسانيّة من
العلم والتّقوى اي الاحاطة بالمعقولات والتّرفّع عن الجسمانيّات والشّهوات

الحيوانية وهذا التفاوت في افراد الناس اعني الاختلاف من الناقص والكامل
منها تفاوت عظيم ازيد من البعد من السماء والارض ومعلوم ان سعادة
كل نوع وشقاوته على حسب رتبة ذلك النوع فحسن الاحوال تابعة لحسن
تابعة لحسن الذوات فقوله صلى الله عليه وآله اذا بلغكم عن رجل حسن حال الى
آخره المراد انه اذا اخبرتم او حكى لكم عن رجل انه حسن الاحوال لكثرة عبادته
من صلوة وصيام او زهد او ورع او كرم او جود او غير ذلك من محاسن الاحوال
فلا تحكموا بمجرد الافعال والاحوال الظاهرة على حسن عاقبته وصحة عقيدته وسلامة
قلبه عن الآفات ما لم تنظروا اولاً في حسن عقله وكمال جوهره وذاته فان النتايج
والثمرات تابعة للاصول والمبادي ومراتب الفضل في الاجر والجزاء على حسب
درجات العقول في الشرف والبهاء **الحديث العاشر** محمد بن يحيى عن احمد بن
محمد عن ابن محبوب عن عبد الله بن سنان بن طريف مولى بني هاشم وقيل
مولى بني ابو طالب وقيل مولى بني العباس كوفي ثقة من اصحابنا جليل لا يطعن
عليه في شئ روى عن الصادق عليه السلم وقيل روى عن ابي الحسن موسى عليه السلم
ولم يثبت صح قال ذكرت لابي عبد الله عليه السلم رجلاً مبتلى بالوضوء والصلوة
وقلت هو رجل عاقل فقال ابو عبد الله عليه السلم واي عقل له وهو يطيع الشيطان
فقلت له وكيف يطيع الشيطان فقال سئله هذا الذي يأتيه من اي شئ هو فيقول
لك من عمل الشيطان **الشرح** مبتلى بالوضوء والصلوة اي بالوسواس
في فعلهما من جهة الشك في وقوع النية او غيرها والوسوسة في النية بسبب
خبل في العقل او جهل بالشرع لان امتثال امر الله كامتثال امر غيره وتعظيمه
كتعظيم

العقول وحسن العقول ظ

صدقه ظ

وقلت له

كتعظيم غيره في باب ما يتعلق بالقصد فمن دخل عليه عالم فقام له تعظيماً فلو قال
انتصبت قائماً تعظيماً لدخول هذا الفاضل لاجل فضله قائماً مقارناً لدخوله
مقبلاً عليه بوجهه لعد سفيهاً في عقله لان هذه المعاني والصفات محظورة
بالبال لا يستدعي حضورها جملة في القلب طولاً في الزمان وانما يطول زمان
نظم الالفاظ الدالة عليها اما تلفظاً باللسان او حديثاً بالنفس فمن لم يفهم
نية الصلوة على هذا الوجه فكانه لم يفهم معنى النية فليس معناها الا انك دعيت
بامر الله الى ان تصلي في وقت معين فاجبت وقمت فالوسوسة محض
الجهل فان هذه القصود وهذه العلوم مجتمعة في النفس في حالة واحدة ولا تكون مفصلة
مشروحة في الذهن وفرق بين حضور الشئ في النفس وبين حضور تفصيله في الفكر
وقد يتصور الانسان شيئاً بصورة واحدة يتضمن معاني كثيرة وقد يحكم عليه بحكم
واحد يتضمن احكاماً كثيرة كقولك الانسان حادث فتصور الانسان يتضمن تصور
الموجود والممكن والجوهر والجسم والمتحيز والنامي والمتغذي والحساس والعاقل و
والمختار والمتحرك وذا الاعضاء من الرأس واليد والرجل وغيرها من الصفات
والاعضاء وكذا الحكم بانه حادث حكم بانه موجود وانه في زمان وان لعدمه زمان
سابق ولوجوده زمان لاحق فهذه احكام متعددة يتضمنها الحكم بانه حادث ولكن
ليست هذه التفاصيل حاضرة في الذهن متميزة بعضها عن بعض فهكذا القياس
في قصد ايقاع الصلوة وغيرها ثم الوسوسة في غير النية كاعمال الوضوء والصلوة
اشنع وافحش قوله عليه السلم فيقول لك من عمل الشيطان هذا قوله بلسانه ولم
يؤمن به قلبه اذ لو عرف على وجه البصيرة ان الذي يأتيه من عمل الشيطان لكان بطلانه

محظورة له

دعيت له

بعضها له

عاقلا لاموسوس وانما يقوله تقليداً او اضطراراً وذلك على وزان ما حكى الله
عن الكفار ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله بهذا اقوالهم بافواههم
ولم يؤمن به قلوبهم اذ لو علموا ذلك لم يكونوا كفاراً وانما قالوا ذلك تقليداً وسماعاً
من الناس على العادة والرسم لا تحقيقاً وعرفاناً فلذلك لا ينفعهم لا في الدنيا
ولا في الآخرة فهكذا قول الموسوس في جواب من سأله من اي شيء لك بهذا فان قلت
ما معنى الوسواس وما سببه القابلي وما مبدأه الفاعلي قلنا هذا من علوم المكاشفات
التي تقتبس انوارها من مشكوة النبوة والولاية وتقصر عن ادراكها العقول الرسمية
بانظارها الفكرية ولكن انموذج منه مذكور في كتب العرفاء ونحن نلخص حاصل ما ذكروه
على النظم الحكمي والقانون العقلي بعد تمهيد مقدمة هي ان اللطيفة الانسانية المسماة
بلسان الشريعة بالقلب وعند طائفة بالنفس الناطقة جوهر روحاني متوسط
في اوايل النشأة بين العالمين الملك والملكوت كانها نهاية هذا وبداية ذلك
يفعل فيما دونه وينفعل عما فوقه فالقلب بمثابة ارض تتكون فيها انواع المخلوقات
على صورها المثالية او مثل مرآة منصوبة تجتاز عليها اصناف الصور المختلفة
فتتراءى فيها صور بعد صور ولا تخلو دائماً عنها ومداخل هذه الآثار المتجددة
في القلب اما من الظواهر كالحواس الخمس واما من البواطن كالخيال والفكر والاخلاق
النفسانية كالشهوة والغضب وغيرهما فاذا ادرك بالحواس شيئاً حصل منه اثر
في القلب وكذلك اذا هاجت الشهوة بسبب كثرة الاكل او بقوة في المزاج
حصل منها اثر فيه وان كف عن الاحساس فالخيالات الحاصلة في النفس
لا تنقطع وتنتقل الخيال من شيء الى شيء وبحسبه ينتقل القلب من حال الى

حال

حال فثبت ان القلب الآن في محل الحوادث الادراكية وموضوع الاحوال
النفسانية وهذه الاحوال هي الدواعي والارادات التي هي بواعث للافعال
المقدورة الصادرة بالقدرة والقلب في التغير والتأثر دائماً من آثار تلك
الاسباب الخارجة والداخلة واخص الآثار الحاصلة فيه هي المسماة بالخواطر وانما
هي ادراكات وعلوم اما على سبيل التجدد او على سبيل التذكر وتسمى بالخواطر
لانها تخطر بالبال بعد ان كان القلب غافلاً عنها فالخواطر محركات الارادات
والاشواق وهي باعثات ودواعي للقوى والقدر وهي فاعلات اي محركات
للاعضاء والجوارح وبها تظهر الافاعيل في الخارج فمبدأ الفعل البشري هو الخاطر
والخاطر يحرك الرغبة وهي تحرك العزم والنية وهي تبعث القدرة والقدرة تحرك
العضو فيصدر الفعل من هذه المبادي المترتبة كل ذلك باذن الله ومشيته وقدرته
بهكذا جرت مشية الله في افعال عباده ومن انكر هذه الوسايط وعزل الاسباب
عن فعلها فقد اساء الادب مع الله مسبب الاسباب حيث اراد رفع
ما وضعه الله وعزل ما نصبه فاذا تمهد ما ذكرناه فنقول ان الخواطر المحركة للارادات
تنقسم الى قسمين يدعو الى الشر اعني الى ما يضر في العاقبة وقسم يدعو الى الخير
اعني ما ينتفع في الآخرة فهما خاطران مختلفان فافتقرا الى اسمين مختلفين فالخاطر
المحمود يسمى الهاماً والخاطر المذموم يسمى وسواساً ثم انك قد علمت ان هذه
الخواطر حادثة والحادث لا بد له من سبب محدث ومهما اختلفت الحوادث دل
على ان اسبابها القريبة مختلفة سيما الاختلاف بالذات والنوع هذا ما عرف
ايضاً من سنة الله في ترتيب المسببات على الاسباب فمهما استنار حيطان

البيت بنور النار واظلم سقفه واسود بالدخان علمت ان سبب السواد غير سبب
الاستنارة كذلك لانوار القلب وظلماته سببان مختلفان فسبب الخاطر
الداعي الى الخير يسمى ملكا وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا واللطف
الذي يتهيأ به القلب لقبول الهام الملك يسمى توفيقا والذي به يتهيأ لقبول
وسوسة الشيطان يسمى اغواء وخذلانا فان المعاني المختلفة يفتقر في التعبير عنها الى
اسامي مختلفة فالملك عبارة عن خلق خلقه الله شانه افاضة الخير والهام الحق وافادة
العلم والوعد بالمعروف وقد خلقه وسخره لذلك والشيطان عبارة عن خلق شانه
ضد ذلك وهو الاغواء والايحاء بالغرور والوعد بالشر والامر بالمنكر والتخويف والايعاد
بالفقر عند الهم في الخير فالوسوسة في مقابلة الالهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق
في مقابلة الخذلان واليه الاشارة بقوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين والله الواحد
لا مقابل له ولا ضد ولا ند والممكنات امور متقابلة وهو الواحد الفرد الخالق للازواج
والاضداد والانداد والقلب ما دام كونه قلبا متجاذب بين الشيطان والملك وقد
ورد عن النبي صلى الله عليه وآله في القلب لمتان لمة من الملك وعد بالخير وتصديق
وتصديق بالحق ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير وعنه صلى
الله عليه وآله قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن والله سبحانه اجل من
ان يكون له اصبع جسماني لكن معنى الاصبع وسره وروحه الواسطة المقدرة التي بها
يقع سرعة التقليب والتحريك سواء كانت الواسطة جسما او امرا آخر وكما انك باصابعك
تتقاضى الافعال فالله سبحانه انما يفعل ما يفعله في هذا العالم باستسخار الملك والشيطان
وهما مسخران لقدرته في تقليب القلوب كما ان اصابعك مسخرة لك في تقليب الاجسام والقلب

بقوله تعالى

الآية بالهم الحسن والرهب في الوسوسة والدنس لم احد ...

باصل

باصل الفطرة صالح لقبول آثار الملكية ولقبول آثار الشيطان قبولا متساويا وانما
يترجح احد الجانبين على الآخر اما باتباع الهوى والاكباب على الشهوات او بالاعراض
عنها ومخالفتها ولكل من الملائكة والشياطين جنود واحزاب كما سياتي في حديث
الهشام فان اتبع الانسان مقتضى الشهوة والغضب والهوى والدواعي الذميمة
والاخلاق السيئة ظهر تسلط العدو بواسطة الهوى والجهل وصار القلب عش الشيطان
وملكه وان جاهد الهوى والشهوات وسلك سبيل الله وتشبه باخلاق الملكية
بالعلم والطهارة والتقوى وذكر الحق وآياته واشتاق الى الآخرة وزهد في الدنيا
صار قلبه كالسماء مستقر الملائكة الكرام ومهبط الالهامات ومعدن المعارف الالهية
والاشراقات العقلية فقد ظهر لك معنى الوسوسة وقابلها ومبداها الفاعل الذي
هو الشيطان ومعنى الالهام الذي يقابلها وقابله ومبداه الفاعل وهو الملك وعلمت
اسباب كل من الطرفين ومباديه وغاياته فان قلت الداعي الى المعاصي شيطان
واحد او شياطين مختلفة قلنا الذي يتضح بنور الاستبصار وعليه شواهد الاخبار
انهم كالملائكة جنود مجندة وان لكل نوع من المعاصي شيطانا يخصه ويدعو لها اما
طريق الاستبصار فذكره يطول ويكفيك القدر الذي ذكرناه من ان اختلاف الآثار
يدل على اختلاف المؤثرات كما مر في نور النار وسواد الدخان واما الذي ذكرناه
~~من ان اختلاف الآثار يدل على اختلا~~ الاخبار فقال مجاهد ان لابليس خمسة من
الاولاد قد جعل كل واحد منهم على شيء من امره فذكر اساميهم بثور والاعور ومسوط
وداسم وزلنبور فاما بثور فهو صاحب المصائب الذي يامر بالثبور وشق
الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية واما الاعور فهو صاحب الزناء يامر به ويزينه

شياطين

مسوط ...

واما ...

الزنا ...

واما مسوط فهو صاحب الكذب واما داسم فيدخل مع الرجل الى اهله ويريه العيب
فيهم ويغضبه عليهم واما زلنبور فهو صاحب السوق وبسببه لا يزالون متظلمين وشيطان
الصلوة يسمى حنزب وشيطان الوضوء الولهان وقد ورد امثال ذلك في اخبار
كثيرة وكما ان الملئكة فيهم كثرة لا تحصى كذلك في الشياطين وتولد شيطان من آخر
كتكون شرر نار كثيرة الدخان من نار اخرى مثلها وتولد ملك من ملك كحصول نور من
نور او كحصول علم من علم آخر وروى عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك للبصر سبعة
املاك يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذبان في اليوم الصايف وما لو بدا لكم
رايتموه ~~للبصر سبعة املاك~~ على كل سهل وجبل كلهم باسط يده فاغر فاه وما لو وكل
العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين وقال يونس بن يزيد بلغنا انه يولد
مع ابناء الانس من ابناء الجن ثم ينشؤا معهم قال جابر بن عبد الله ان آدم لما اهبط
قال يا رب هذا العبد الذي جعلت بيني وبينه عداوة الا تعينني عليه لا اقوى عليه قال
لا يولد لك ولد الا وكل به ملك قال رب زدني قال اجزي بالسيئة وبالحسنة عشرا
الى ما اريد قال رب زدني قال باب التوبة مفتوح ما دام في الجسد الروح فحينئذ قال ابليس
هذا العبد الذي كرمته علي الا تعينني عليه لا اقوى عليه قال لا يولد له ولد الا ويولد لك ولد
قال رب زدني قال تجري منهم مجرى الدم قال رب زدني قال اجلب عليهم بصوتك ورجلك
الى قوله غرورا الحديث الحادي عشر عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد عن
بعض اصحابه رفعه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما قسم الله للعباد شيئا
افضل من العقل فنوم العاقل افضل من سهر الجاهل واقامة العاقل افضل من شخوص

الجاهل

(margin: حنزب — الملئكة لاح — يونس لاح — روح لاح)

الجاهل ولا بعث الله نبيا ولا رسولا حتى يستكمل العقل ويكون عقله افضل من
جميع عقول امته وما يضمر النبي صلى الله عليه وآله في نفسه افضل من اجتهاد المجتهدين
وما ادى العبد فرايض الله حتى عقل عنه ولا بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم
ما بلغ العاقل والعقلاء هم اولوا الالباب الذين قال الله تعالى وما يتذكر الا
اولوا الالباب الشرح قوله صلى الله عليه وآله فنوم العاقل افضل من سهر
الجاهل وذلك لوجهين احدهما ان قصده في النوم لمصلحة مركب البدن لطريق
السفر الى الدار الاخرى ودفع السامة عنه وتحصيل القوة له كما في قول علي بن
الحسين عليهما السلم فخلق لهم الليل ليسكنوا فيه من حركات التعب ونهضات
النصب فيكون ذلك جماما وقوة وثانيهما ان نومه لا ينفك عن رؤيا صالحة هي
جزء من اجزاء النبوة كما ورد عنه صلى الله عليه وآله ان رؤيا المؤمن جزء من ستة
واربعين جزءا من النبوة وقوله ايضا رؤيا المؤمن كهانة وستعلم من تضاعيف
ما نذكره فيما بعد انشاء الله تعالى وجه كون الرؤيا الصادقة حصة من النبوة قوله
عليه الصلوة والسلم من شخوص الجاهل المراد به الذهاب من البلد طلبا للخير والثواب
لجهاد او حج او طلب الحديث او غير ذلك من شخص من بلده الى بلد شخوصا ذهب
واشخصت واشخصنا اي حان شخوصنا والوجه في كون اقامة العاقل افضل
من شخوص الجاهل الى الغزو وغيره ان روح الاعمال بالنيات وقصد التقرب
الى الله تعالى وذلك بعد المعرفة واليقين والجاهل بمعزل عنها قوله ولا بعث الله
نبيا ولا رسولا الفرق بين النبي والرسول وحقيقة معناهما مما سيجي في كتاب الحجة
وجملة القول ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا قوله عليه السلم وما يضمر النبي

٤٧

فى نفسه افضل من اجتهاد المجتهدين اعلم انه قد ثبت عند الحكماء الكاملين والعرفاء
المحققين انّ للعقل مراتب واعلى مراتبه هو الّذى يقال له العقل البسيط والعقل
الاجمالى والعقل القرآنى وبعد مرتبته هو العقل النفسانى والعقل التفصيلى والعقل
الفرقانى وهو ايضاً عقل بالفعل وبعد مرتبتهما مراتب العقل بالقوّة والعقل بالملكة
والعقل المستفاد والفرق بين الاوّلين انّ الاوّل حقيقة واحدة بسيطة موجودة
بوجود واحد عقلى وهو مع وحدته وبساطته كلّ العقول والمعقولات والعلوم المعلومات
وهو مبدأ يصدر عنه مفصّل المعقولات وعلمه تعلّق بالموجودات التى عليها من هذا
القبيل كيلا يلزم كثرة فى ذاته وعلمه الّذى هو عين ذاته وهو موهبة من مواهب الله
لخواصّ عباده ليس للكسب اليه سبيل وامّا العقل الثانى فهى تلك المعقولات المفصّلة
المستمدّة عن ذلك العقل البسيط القرآنى ونسبة الاوّل الى الثانى كنسبة البذر
الى الشجر وكنسبة الكيميا الى الدّنانير وقد يكون المعقول الواحد فينا متضمّنا لمعقولات
كثيرة كالمحدود بالقياس الى حدّه التفصيلى وقد يكون المعقول البسيط عندنا علّة
للمعقولات الكثيرة المفصّلة كالفقيه ذى الملكة الفقهيّة اذا كان بينه وبين رجل مناظرة
فاذا تكلّم ذلك الرّجل معه بكلام كثير خطر بباله جواب مسائله جملة ثم اذا اخذ فى الجواب
يفصّله شيئا بعد شئ على الترتيب الى ان يملأ كتابا ولم يكن تلك العلوم المفصّلة حاضرة
فى ذهنه ولكن الحاضر فيه اوّلا امر بسيط هو مبدء تلك المفصّلات فهذا مثال العقل
البسيط الّا انّ العقل البسيط اتمّ بساطة واشدّ تجريدا وهو نور من انوار الله
يختصّ به الانبياء عليهم السّلم وبعض الاولياء فهذا معنى قوله وما يضمر النبى فى نفسه
افضل من اجتهاد المجتهدين لانّ غاية سعيهم واجتهادهم هى تحصيل العلوم التفصيليّة على سبيل

النظر

النظر والاستدلال واين هذا من ذاك وفى قوله تعالى سنريهم آياتنا فى
الآفاق وفى انفسهم حتّى يتبيّن لهم انّه الحقّ اشارة الى طريق المجتهدين المستدلين
الّذين يعرفون الحقّ بالخلق وبملاحظة آيات الآفاق والانفس يستدلّون
على وجوده تعالى وقوله تعالى اولم يكف بربّك انّه على كل شئ شهيد اشارة
الى طريق النبى صلى الله عليه وآله فانّه بلغ الى مقام فيه يرى الحقّ وبه يستشهد على
كل شئ وفى كلام سيّد الاولياء امير المؤمنين عليه السّلم ما رأيت شيئا الّا ورأيت
الله قبله وقال بعض الاولياء رأيت ربّى بربّى ولولا ربّى ما رأيت ربّى وقوله
صلى الله عليه وآله والعقلاء هم اولوا الالباب الى آخره يعنى انّ العقل المذكور
ههنا ليس ما يتعارفه الجمهور عندهم فيقولون لمن له كياسة فى امور الدنيا انّه عاقل
ولا المراد به الغريزة التى يتميّز به الانسان عن البهايم ولا المذكور فى علم الاخلاق
بل المراد منه ما يستفاد من قوله تعالى وما يتذكر الّا اولوا الالباب فعلم منه انّ العقلاء
هم المخصوصون بانّهم اهل الذكر اى اهل العلم والعرفان كما فى قوله فاسئلوا اهل الذكر
ان كنتم لا تعلمون وهم الراسخون فى العلم كما دلّ عليه قوله والراسخون فى العلم
يقولون آمنّا به كلّ من عند ربّنا وما يذكّر الّا اولوا الالباب وهم الحكماء الالهيّون
لقوله تعالى يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وما يذكّر الّا اولوا
الالباب وبالجملة المراد بالعاقل ههنا الموصوف بجميع ما وصفه الله به اولو الالباب.
وذلك لا يكون الّا العالم الحكيم الرّاسخ فى العلم الكامل فى الحكمة والايمان فالعقل الذى
فيه هو آخر العقول المذكورة فى معرفة النفس والله اعلم بالصّواب الحديث الثانى
عشر بعض اصحابنا رفعه عن هشام بن الحكم هو ابو محمّد مولى كنده روى عن ابى عبد الله وابى الحسن

٤٨

موسى عليهما السلم وكان ثقة في الروايات حسن التحقيق بهذا الامر ورويت له مدايح
جليلة عن الامامين الهمامين عليهما السلم وكان ممن فتق الكلام في الامامة وهذب المذهب
بالنظر وكان حاذقا بصناعة الكلام حاضر الجواب وروى الكشي بسنده عن داود بن
الجعفري قال قلت لابي جعفر عليه السلم ما تقول في هشام بن الحكم فقال رحمه الله ما كان اذبه
عن هذه الناحية ورويت روايات اخرى في مدحه واورد في خلافه روايات اجيب عنها
قال العلامة عندي عظيم الشان رفيع المنزلة وفي الفهرست سئل يوما عن معوية
اشهد بدرا قال نعم من ذلك الجانب قال قال لي ابو الحسن موسى بن جعفر عليه السلم
يا هشام ان الله تبارك وتعالى بشر اهل العقل والفهم في كتابه الحديث **الشرح**
هذا الحديث مشتمل على بيان حقيقة العقل بالمعنى المذكور اعني المرتبة الرابعة من العقول
الاربعة المذكورة في علم النفس ومحتو على معظم صفاته وخواصه ومدايحه ومتضمن لمعارف
جليلة قرانية ومقاصد شريفة الهية لم يوجد نظيرها في كثير من مجلدات كتب العرفاء
ولم يعهد شبهها في نتايج انظار العلماء النظار ذوي دقايق الافكار الا منقولا
عن واحد من الائمة الاطهار او مسندا من طريقهم او طريق العامة الى الرسول المختار
عليه وآله سلام الله الملك الغفار والحديث مشتمل على خطابات ذكر في كل
منها بابا عظيما من العلم بعضها من العلوم الالهية وبعضها من علم السماء والعالم
وبعضها في علم الفلكيات وبعضها في علم الاكوان والمواليد وبعضها في كاينات
الجو وبعضها في علم النفس وبعضها في تهذيب الاخلاق وتطهير النفوس عن
الرذايل وبعضها في السياسات المدنية وبعضها في المواعظ والنصايح وبعضها
في علم الزهد وذم الدنيا وبعضها في علم المعاد والرجوع الى الله وبعضها في مذمة

الكفرة

هاشم صح

الكفرة والجهلة وسوء عاقبتهم وانقلاب نشأتهم الى نشأة البهايم وانهم صم بكم عمي
لانهم لا يعقلون الى غير ذلك من العلوم والمعارف ففي هذا الحديث فصول خطابية
هي مشاهد للعرفان وشواهد للايمان فلنشرح كل خطاب او عدة خطابات
متناسبة في فصل واحد على ترتيبه مترجما في عنوانه ما ذكر فيه **المشهد الاول**
في بشارة اهل العقل من جهة بداية حالهم من كونهم مستعدين للتعليم قابلين لنور
الهدى من الله طالبين للارشاد ليكون تشويقا لهم الى طلب الهدى وتحسينا لهم
على ما فعلوا قوله عليه السلم فقال فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون
احسنه اولئك الذين هديهم الله واولئك هم اولوا الالباب اعلم ان هذه الاية
تدل على فوايد الاولى وجوب النظر والاستدلال وذلك لان الهداية والفلاح
مربوطان بما اذا سمع الانسان اشياء كثيرة يختار منها ما هو الاحسن والاصوب
وان يميز القشر عن اللباب والاحسن الاصوب عما يخالفه في كل باب وذلك
لا يحصل بمجرد السماع وانما يتاتى بحجة العقل وذلك يدل على ان الموجب للاستحقاق
متابعة حجة العقل وبناؤها على النظر والاستدلال الثانية ان الطريق الى تصحيح
المذاهب والاقوال قسمان احدهما اقامة الحجة والبينة على صحتها على سبيل
التفصيل وذلك لا يمكن الا بالخوض في واحد واحد منها وثانيهما ان نعرض قبل الخوض
والبحث عن الدلايل وتزييف الشبهات تلك المذاهب على العقول والاذهان
فكل ما حكم به العقل السليم بانه افضل واحسن كان اولى بالقبول والاتباع مثاله
صريح العقل شاهد بان القول بان اله العالم حق عالم قادر حكيم في افعاله بري عن
النقايص رحيم بالعباد اولى من انكاره وكذا القول بان الله لا يجري في ملكه وسلطانه

من كل

الا ما كان على وفق علمه ومشيّته اولى من القول بخلافه وانّ القول بانّه واحدٌ فردٌ
لا تركيب فيه ولا شريك له ولا شبه ولا ندّ اولى من القول ~~بخلافه وانّ القول~~ بانّه
مُبعّض مؤلّف ذو مشاركة وايضا القول بانّه مستغنٍ عن الزمان والمكان اولى
من القول بافتقاره اليهما والقول بانّه قد يعفو عن الكباير والسّيئات اولى بانّه لا
يعفو عنها البتّة وامثال هذه الابواب كثيرة جدّاً وكلّها داخلة تحت قوله تعالى الذين
يستمعون القول فيتبعون احسنه الفايدة الثالثة انّ في الآية دقيقة عجيبة وهي انّ
حصول الهداية في العقل والرّوح اثر حادثٌ فلابدّ له من فاعل وقابل كما مرّ امّا الفاعل
فهو الله سبحانه ولذلك قال اولئك الّذين هداهم الله وامّا القابلون فاليه الاشارة
بقوله اولئك هم اولوا الالباب فانّ الانسان ليس من جهة جسمه ولا من جزء
جسمه ولا من جهة قوّة قائمة بعضو منه كالحواس وغيرها الّتي توجد في البهايم قابلٌ للمعرفة
والهدى فما لم يكن الانسان عاقلا كاملَ الفهم امتنع حصول هذه المعارف في قلبه
والبرهان على انّ الفاعل لهذه الهداية هو الله هو انّ جوهر النّفس مع ما فيها من
نور العقل كما انّه قابل للاعتقاد الحقّ قابلٌ ايضاً للاعتقاد الباطل واذا كان الشيء
قابلاً للضدّين كانت نسبته اليهما على السّواء ومتى كان كذلك امتنع ان يكون
هو المقتضي او المرجّح لاحدهما لا يقال يجوز ان يكون ذات النّفس او العقل مرجّحاً
لاحدهما وان لم يكن مقتضيا بان يريد تحصيل احد الطرفين فتصير تلك الارادة سبباً
لذلك الرّجحان لانّا نقول ذات النّفس كما انّها قابلة لهذه الارادة كذلك قابلة لارادة
مضادّة لها فتمتنع ان تكون سببا فاعلا لتلك الارادة فثبت انّ حصول الهداية
لابدّ لها من فاعل ومن قابل فالفاعل يمتنع ان يكون جوهر النّفس بل الفاعل هو الله

قابلا

سبحانه

سبحانه وامّا القابل فهو جوهر النّفس بكماله العقلي فلاشارة اليهما قال اولئك
الّذين هديهم الله واولئك هم اولوا الالباب **المشهد الثاني** في انّه تعالى اكمل نفوس
حججه وانبيائه بالعقول الكاملة المدركة لحقايق الاشياء الدالّة على ربوبيّته وتوحيده
باعلام الله لهم الآيات والدلايل ونصرته وتأييده ايّاهم بها قوله عليه السلم يا هشام
انّ الله تبارك وتعالى اكمل للناس الحجج بالعقول ونصر النّبيّين بالبيان ودلّهم على
ربوبيّته بالادلّة فقال والهكم اله واحد لا اله الّا هو الرحمن الرحيم اي اكمل نفوس الانبياء
عليهم السلم بالعقول الفاضلة العلّامة ليكونوا حججاً على عباده وهداة لهم الى النّجاة عن
حيرة الضلالة ونصرهم ببيان الحقّ واعلام الصّدق ودلّهم على ربوبيّته وعلّمهم طريق
معرفته وتوحيده بادلّة شاهدة على ذاته وآيات كاشفة عن الهيّته وتوحيده وتلك
الادلّة والآيات لابدّ ان يكون من آثاره وافعاله ولوازمه فانّ طريق المعرفة بالشيء
احد امور ثلثة امّا من جهة العلم باسبابه وعلله وامّا من جهة العلم بآثاره ولوازمه
وامّا بمشاهدة صريح ذاته لانّ ما لا يكون نفس الشيء ولا علّته ولا معلوله فلا تعلّق
له بذلك الشيء فلا دخل له في كونه وسيلة الى معرفته امّا العلم به تعالى من جهة السبب
والعلّة فهو ممتنع اذ ليس لذاته سببٌ خارجٌ اذ لا فاعل له ولا غاية ولا سبب داخل
في وجوده كمادّة او صورة لانّه بسيط ولا في مهيّته كجنس او فصل اذ لا مهيّة له لانّ
كلّ ذي مهيّة معلول والله سبحانه صريح الوجود الحقّ بلا مهيّة ومحض الشهود والحضور
بلا عموم وابهام وامّا العلم به بصريح شهوده ورؤية ذاته فذلك لا يمكن الّا بفناء
هويّة الممكن واندكاك جبل انيّته ولم يتيسّر لاحد من الانبياء عليهم السلم في دار الدنيا
وانّما وقع لنبيّنا صلى الله عليه وآله ليلة المعراج مكالمة الحقّ وشهوده بلا حجاب فبقي

الاشياء

[illegible]

الشق الثاني كما قال تعالى في حق الخليل عليه السلم وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات
ليكون من الموقنين واعلم ان المذكور ههنا آيتان احديهما في ذكر الحق وتوحيده والثانية
في ذكر الآيات الدالة عليه فقوله تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو بمنزلة مطلوب قدم ذكره
على وجه تصوير الدعوى ليستدل عليه بوجوه من الدلايل والبينات وقوله
ان في خلق السموات الى آخره بيان للادلة والآيات فلنتكلم نحن ايضا اولا
في تصوير هذه الدعوى وشرح مفهوم هذا التوحيد المذكور في الآية الاولى
وتفسير الفاظها ثم ناخذ في تفسير الآية الثانية التي هي في بيان الادلة فان مطلوب
ما الشارحة للشئ التي هي للسؤال عن شرح اسمه ومفهومه مقدم على مطلوب
هل البسيطة التي للسؤال عن اثبات وجوده او سلبه اذ ما لا يعلم شرح اسمه
ومفهومه لا يمكن البحث عن اثبات وجوده او سلبه فنقول في الآية الاولى
مبحثان الاول في قوله تعالى والهكم اله واحد وفيه مقاصد الاول فيما يتعلق بلفظ
الاله من انه اسم او صفة جامد او مشتق علم او غيره عربي او سرياني وهو مشهور
وفي الكتب مسطور الثاني فيما يتعلق بلفظ الواحد من وجوه لفظية ومعنوية احدها
ان الواحد اسم جرى في كلامهم على وجهين احدهما ان يكون اسما والآخر ان يكون
وصفا فالاول هو كالواحد المستعمل في باب العدد فيقال واحد اثنان ثلثة من غير ان
يوصف شئ اي ما كان حتى من العدد لانك اذا قلت عشرة واحدة او خمسة واحدة
فقد جعلت الواحد صفة لا اسما والثاني كما يقال انسان واحد او فرس واحد
وثانيها انه اذا اجرى هذا الاسم على الحق تعالى جاز عند العقل ان يكون وصفا كالعالم
والقادر وهذا بحسب جليل النظر وجاز ان يكون اسما وهذا هو الثابت بالنظر
الدقيق

الدقيق واعلم انه ليس كلامنا اذا قلنا ان الواحد عين ذاته في نفس هذا المفهوم
الكلي المفهوم من لفظ الواحد فانه مما يدركه كل احد وذاته تعالى مجهول الكنه بل
المراد منه مطابق هذا المفهوم ومصداقه وذلك عين الذات فيه تعالى زائد عليها
في غيره وهكذا قياس ساير صفاته واسمائه وسنزيدك ايضاحا وثالثها
ان الواحد هو الشئ الذي لا ينقسم من الجهة التي هو بها لا ينقسم وكلما هو موجود
لا يخلو عن وحدة فالانسان الواحد يستحيل ان ينقسم الى انسانين ولكن ينقسم
من وجوه اخرى كما لا يخفى وعندنا وحدة كل شئ هو وجوده الخاص الذي به يوجد
وكما قيل في خلافه ابطلناه ورابعها ان الله واحد من كل الوجوه مع كونه موصوفا
باسماء وصفات لا تعد ولا تحصى وجهات وحدته ترجع الى اعتبارين البساطة
والفردانية فالاول ان ذاته غير مؤلفة من اجزاء لا في الخارج ولا في العقل ولا من
المهية والوجود كما مر والثانية انه ليس في الوجود ما يشاركه في وجوب الوجود
ولا في المبدئية والالهية فالحق سبحانه واحد في ذاته اذ لا قسيم له وواحد في
صفاته اذ لا تزيد صفاته على ذاته وواحد في افعاله اذ لا شريك له في فعله اذ جميع
الموجودات منتسبة اليه اما بلا وسط او بوسط هو فعله ايضا فكل ما في الكون اما
فعله او فعل فعله او فعل فعل فعله وهكذا الى آخر الكون على ترتيب الاشرف
فالاشرف والاقرب فالاقرب الى الاخس فالاخس والابعد فالابعد فلو لم
يكن جوده على هذا النظام لما كان لايقا بالحكيم ذي الجلال والاكرام وبطل عدل الله
في خلق السموات والارض وانهدم النظام وبطلت الغايات والرجوع الى المبادي
وانتقال النشأة من الاولى الى الاخرى فجاء العبث والجزاف تعالى عما يقوله الظالمون

علوا كبيرا والعامة والاشاعرة ومن يحذو حذوهم مع جهلهم بكيفية الصنع والايجاد
حاولوا ان يثبتوا توحيده تعالى في الافعال واين هم مع قصورهم وجهلهم وهذا العلم
الشريف والمقام الرفيع فالتجأوا الى نسبة القبائح والشرور اليه تعالى ونسبة
الامور الخسيسة الدنية كافعال القوى النباتية وغيرها كالاحالة والهضم ودفع الفضول — والامر لم
وما يجري مجراها ابتداء بلا واسطة الى ما هو مبدع الخلق والارض وخالق القوى والقدر
وهذا في الحقيقة تكثير الفاعلية والالهية لا توحيد لها اذ الترتيب يجمع الكثرة في وحدة
فحيث لا ترتيب في الايجاد لا توحيد الا ترى ان الوحدة مبداء للاعداد والكثرات
كلها بلا مشاركة غيرها وذلك من جهة ان حصول تلك الكثرات عنها على ترتيب الوحد
والاثنين والثلثة وما بعدها على ترتيب واحد فواحد الى غير نهاية ولو لم يكن على هذا
الاتساق والانتظام لم يكن حصول الكثرة عن الوحدة لعدم المناسبة لاجل فقد الواسطة
بينهما فلا وجه لكون الواحد مبداء الخمسة ولا لكون الثلثة مبداء للعشرة الا بواسطة حدوث — للخمسة لم
عدة وحدات بينهما مناسبة للطرفين بها يرتبط ذي المبداء بمبدئه واعلم ان هؤلاء
واتباعهم كما لم يعرفوا توحيد افعاله تعالى مع اعترافهم بانهم عرفوه فكذلك لم يعرفوا توحيد
صفاته ولا توحيد ذاته اما الذات فقد زعموا ان وجوده ووحدته زائدتان على ذاته
وكلاهما وجوده زائد عليه فهو قابل له وزعموا ان ذاته علة وجوده فذاته قابل وفاعل
وهما جهتان مختلفتان لا بد في حصولهما من كثرة وكذا زعموا ان له ارادة زائدة ممكنة
التعلق بالطرفين للمقدور امكانا ووقوعا وهو ينافي الوجوب الذاتي فلزم التركيب بل — للمقدور لم
التناقض في ذاته تعالى عما يقولون واما الصفات فذكر رئيسهم بعد ابي الحسن الاشعري
وهو القاضي ابو اسحق انه تعالى واحد في صفاته بمعنى ان لا شبيه له في صفاته بوجوه

الاول

الاول ان صفات غيره ليست ناشئة من ذاته بل من غيره واما صفاته تعالى فهي من
نفسه لا من غيره الثاني ان صفات غيره مختصة بزمان دون زمان لانها حادثة وصفات
الحق تعالى ليست كذلك الثالث ان صفات الحق غير متناهية بحسب التعلقات
فعلمه يتعلق بجميع المعلومات وقدرته متعلقة بجميع المقدورات وصفات غيره ليست
ليست كذلك الرابع ان صفاته غير معلومة الكنه كذاته بخلاف صفات غيره فهذا
عرفانهم في توحيد الصفات **المقصد الثالث** في كيفية اتحاده تعالى بصفة الوحدة والاشارة
الى تحقيق عينية الصفات للذات الاحدية واستدل المسمى بالامام الرازي على
نفي عينية الصفات بوجوه احدها ان صفاته تعالى معلومة لنا وذاته غير معقول لنا والمعلوم
مغاير لما ليس بمعلوم فصفاته تزيد على ذاته وثانيها ان هذه الصفات لو كانت نفس — فصفاته لم
الذات لكان قولنا في الذات انها عالمة قادرة جاري مجرى قولنا الذات ذات
فاستحال ان يكون ذلك في محل البحث وان يقام البرهان على نفيه واثباته
فان من قال الذات ذات علم بالضرورة صدقه ومن قال الذات ليست — بالضرورة لم
بذات علم بالضرورة كذبه ولما كان قولنا الذات عالمة او ليست بعالمة — الذات ليس
ليس بمثابة قولنا الذات ذات او الذات ليست بذات علمنا ان هذه
الصفات امور زائدة على الذات وثالثها انه لو كان المرجع بهذه الصفات
الى شيء واحد لانها يرجع الى ذاته وذاته شيء واحد فكان الاستدلال على كونه
قادرا يغني عن اقامة الدليل على كونه عالما وعلى كونه حيا فلما لم يكن كذلك بل
افتقرنا في كل صفة الى دليل خاص علمنا انه ليس المرجع بها الى الذات فثبت
ان الصفات امور زائدة على ذاته تعالى واستدل ايضا على كون صفاته

٥٢

تعالى كالعلم والقدرة والارادة زائدة بانها ليست سلبية بل ثبوتية فهي امور
حقيقية زائدة على ذاته قائمة به ثم قال فالاله عبارة عن مجموع الذات والصفات
ثم استشكل على نفسه بان حقيقة الاله مركبة من امور كثيرة فكيف القول فيه قال
واشكال آخر وهو انا قد دللنا على ان الوحدة صفة زائدة على الذات قائمة
بالذات واذا كان حقيقة الحق واحدة فهناك امور ثلثة تلك الحقيقة وتلك الواحدية
وموصوفية تلك الحقيقة بتلك الواحدية وذلك تثليث ثلثة فاين التوحيد واشكال
ثالث وهو ان تلك الحقيقة موجودة واجبة الوجود فهو بوجوده يشارك الموجودات
وبمهيته يمتاز عن ساير الموجودات فهناك كثرة حاصلة بسبب الوجود والمهية
واتصاف المهية بالوجود وكذا القول في الوجوب بمثل ما ذكر ولانه كيفية انتساب
الموضوع الى المحمول والانتساب بين شيئين يغاير لكل منها فاما ان يكون صفة
ذلك الانتساب مغايرا لها اولى وايضا فالذات قائمة بنفسها ويستحيل ان
يكون صفة الوجوب (وهذا الوجوب) امرا قائما بنفسه ولانا نصف الذات بالوجوب ووصف
الشئ بنفسه محال فثبت ان وجوب الوجود صفة زائدة على ذاته فهناك ذات
ووجوب وجود مع موصوفية الذات به فقد عاد التثليث واشكال رابع وهو
ان هذه الحقيقة البسيط هل يمكن الاخبار عنها ام لا والثاني محال لان كل شئ مخبر
عنه ولو بالشيئية ونحوها وايضا لا مخرج عن النفي والاثبات فتعين الاول فهناك
امران مخبر به ومخبر عنه لا امر واحد قال فهذه جملة من الاشكالات في هذا المقام
ثم اراد التفصي عنها فقال والجواب عن الاول انه تعالى ذات موصوفة بهذه
الصفات ولا شك ان المجموع مفتقر في تحققه الى تحقق اجزائه الا ان الذات قائمة

بنفسها

بنفسها واجبة بنفسها ثم انه بعد وجوبها بعدية بالرتبة مستلزمة لتلك النعوت
والصفات فهذا مما لا امتناع فيه عند العقل واما الاشكال الثاني وهو ان
الوحدة صفة زائدة يلزم منها التثليث فالجواب ان الذي ذكرته حق لكن فرق
بين النظر من حيث انه هو وبين النظر من حيث انه محكوم عليه بانه واحد فاذا
نظرت اليه من حيث انه هو مع ترك الالتفات الى انه واحد فهناك يتحقق الوحدة
وهنالك حالة عجيبة فان العقل ما دام يلتفت الى الوحدة فهو بعد لم يصل الى
عالم الوحدة فاذا ترك الوحدة فقد وصل الى الوحدة فاعتبر بذهنك اللطيف هذه
الحالة لعلك تصل الى سره فهذا هو الجواب عن اشكال الوجود واشكال الوجوب
واما اشكال الرابع فالجواب انك اذا نظرت اليه من حيث انه هو من غير ان
يخبر عنه بنفي او اثبات فهناك حق الوصول الى مبادي عالم التوحيد اقول تحقيق
عينية الصفات يتوقف على مقدمة وهي ان اكثر الناس سيما الاكياس
وجمهور العلماء لم يعرفوا الوجود وافراده ولم يفرقوا بين المفهومات والمهيات
الكلية والجزئية وبين الوجودات والهويات البسيطة الشخصية وانت ان
عرفت ذلك فاعلم انه قد يكون وجود واحد بسيط بذاته مصداقا لمعاني كثيرة و
بنفسه من دون قيام صفة او اعتبار شئ زائد عليه مطابقا لحمل مفهومات عديدة
لا يوجب تكثرها في المعنى او المفهوم تكثرا او اثنينية في الذات ولا في الحيثية والاعتبار
ولهذا امثلة كثيرة مثلا الجوهر المفارق العقلي يصدق على نفس وجوده من غير
قيام شئ به او اعتبار امر معه مفهوم الوجود ومفهوم الحقيقة ومفهوم الجوهر ومفهوم
العقل ومفهوم المعقول ومفهوم العاقل ومفهوم المدرك والعالم والفاعل والحي

والمجعول ولكن بعضها بالبرهان وبعضها بالحدس وبعضها بالبديهة ولا شك
انّ هذه المفهومات متغايرة وُضعت لها الفاظ مختلفة ليست مترادفة ومع ذلك
كلّها موجودة بوجود واحد بسيط فاذا كان وجود العقل المفارق بهذا الشأن مع
كونه زايدًا على مهيّته وفيه شوب تركيب عقلي من امكان ووجوب ومهيّة ووجود
فما ظنّك فيما هو اشدّ بساطة واتمّ كمالًا واشدّ حيطة وجمعًا فاذا علمت هذا
فنقول انّ معنى كون صفاته تعالى عين ذاته هو انّ مفهوماتها المتغايرة بحسب المعنى كون صح
موجودة بوجود واحد بسيط حقّ فذاته بذاته وجود صرف وهو بعينه وجوب ووحدة
وعلم وقدرة وارادة وحيوة وباعتبار آخر موجود وواجب وواحد وعالم وقادر
ومريد وحيّ وغير ذلك فذاته بذاته من حيث انّه لا كثرة فيه واحد ومن حيث انّه منشأ
وحدانيّة ليست صفة زائدة فهو وحدة وهكذا في ساير الصّفات وليس من شرط
صدق المشتق على الشئ كالعالم مثلا ان يكون بازائه في الخارج امور ثلثة موصوف
وصفة واتّصاف ولا معروض وعارض وعروض فلو فرض بياض مجرّد قايم بذاته بياض صح
لكان ابيض كما كان بياضًا فالصّورة العقلية اذا كانت قائمة بذاتها كانت
عاقلة من حيث حضور صورة عندها ومعقولة من حيث انّها صورة حاضرة
عند شئ وان كان ذلك الشئ نفسها وعقلا ايضًا من حيث انّها نفس ما يعقل،
وهذه الحيثيات الثلثة وان تغايرت في مدلولات الالفاظ ومعانيها الّا انّها
لا توجب كثرة في الوجود ولا اختلافا في جهات الوجود وحيثياته لا عينًا ولا ذهنًا
وقول القائل صفاته تعالى معلومة لنا وذاته مجهولة فكيف يكونان واحدة قلنا
ما نعلمه من كل صفة هو مفهومه الكلّي مطلقا او في ضمن كيفية نفسانيّة هي نحو وجوده

فينا

فينا ولكن كلامنا في انّ هذه الصّفة كالعلم مثلا هل لها نحو آخر من الوجود في غاية
الجلالة هو مصداق لمفهومها ام لا فاذا ثبت لنا بحسب البرهان ذلك الفرد
بخصوصه حكمنا انّه في تأكّد الوجود بحيث لا يمكن الاكتناه به فهو بخصوصه غير معلوم
كما انّا نعلم مفهوم النّور بديهيّة الّا انّه من المفهومات المشككة ونعلم بالبرهان انّ
بعض انحاء وجوده وافراده ذاته في شدّة النّورية بحيث لا يمكن للحسّ ولا للعقل
ادراكه بخصوصه اذا تقرّر هذا فقوله هذه الصّفات لو كانت كلّها واحدة و
هي عين الذّات لكنّا اذا ادركنا واحدة منها لادركنا الجميع ولكان اثبات واحدة
منها مغنيًا عن اثبات غيرها فما الحاجة الى تكلّف الاستدلال في اثبات
واحدة واحدة منها ولكان ايضا قولنا الذّات عالمة بمنزلة قولنا الذّات ذات
مدفوع بان نقول بناء هذه الشّبهات ونظايرها على الخلط بين المفهوم والفرد
فالعينيّة بين الافراد لا ينافي التّغاير بين المفهومات والمغالطة انّما نشأت من
سوء اعتبار الحمل ايضًا فانّ المفهومات المتغايرة لا تحمل بعضها على بعض بالحمل
الاوّلي الذّاتي وقد يحمل كلّ منها على افراد الباقي بالحمل المتعارف فنفس مفهوم
الموجود لا يحمل عليه مفهوم الواحد ولا بالعكس بان يقال مفهوم الموجود مفهوم
الواحد ولكن يقال كلّ موجود واحد وكذا العكس فهكذا قياس صفات كل صح
الله الكمالية ولو امكن لاحد ملاحظة وجوده تعالى بالشّهود الحضوري لعلم انّه
بنفس ذاته موجود واحد عالم قادر مريد حيّ سميع بصير من غير تكلّف الاستدلال
وامّا الاجوبة التي ذكرها ذلك النّحرير المسمّى بالامام عن لزوم التثليثات مع التثليثات صح
قوله صريحا بزيادة الصّفات كلّها واصراره عليه ففي غاية الركاكة ومع ذلك

مشتمل على التناقض حيث جعل الذات الخالية عن الوحدة واحدة والذات المعرّات عن الوجود والوجوب موجودة واجبة وهكذا في ساير الصفات وابرد من كل بارد تكلّمه بكلام العارفين ولو تأمّل قليلا لعلم انّ الذى اجرى الله على لسانه لجارٍ في كلّ مفهوم بالنسبة الى وجوده الذاتي ومصداقه العيني فانّ من نظر الى مفهوم الانسانية فهو من حيث هذا النظر غير واصل الى حقيقة الانسانية ومن نظر الى عين وجوده وان قطع النظر عن ذلك المفهوم فهو واصل الى الانسانية وذلك انّ الانسان في الحقيقة هو احد الوجودات الشخصية الذى هو بذاته انسان واما مفهوم الحيوان الناطق او مفهوم الانسان فهو ليس بانسان بالحمل المتعارف وكذا مفهوم البحر ليس ببحر ومفهوم السلطان ليس بسلطان ومفهوم اللذة ليس بلذة وعلى هذا القياس ولكن كل وجود وموجود متحد في حد ذاته بطايفة من المعاني بمعنى صدقها عليه فيقال انها عين ذاته ومن هذا القبيل صفاته تعالى عين ذاته اى عين وجوده لا انها عين ماهية كلية له كما توهّموه اذ لا ماهية له تعالى ولا اتحاد من الكليات والمفهومات كما مرّ المبحث الثاني في قوله لا اله الا هو وفيه مقاصد الاول انه لما ذكر قوله والهكم اله واحد وكان ورود لفظ الواحد بعد لفظ الاله مشعرا بان تلك الوحدة معتبرة في الالهية لا في غيرها وان الاله لا يكون الا واحدا امكن ان يتوهم احد ويقول الهنا واحد فلعل اله غيرنا غير الهنا فلا جرم ازال هذا الوهم ببيان التوحيد المطلق وقال لا اله الا هو فان النكرة في سياق النفي يفيد عموم النفي لان قولنا لا رجل تقتضي نفي هذه المهية ونفي المهية يستلزم نفي جميع الافراد اذ يكفي في تحققها تحقق واحد منها فثبت ان لا رجل يقتضي النفي العام فاذا قيل بعده الا زيدا افاد التوحيد

التام

المحقق المقصد الثاني في تحقيق كلمة هو اعلم ان الاسماء على قسمين مظهرات ومضمرات اما المظهرات فهي الفاظ دالة على مهيات كلية او جزئية كالانسان والفرس وكزيد وعمرو واما المضمرات فهي الفاظ دالة على الوجودات اعني الهويات الشخصية ولذلك هي معارف بنفسها لا تحتاج الى تعريف وتخصيص كالوجود يتعين ويتشخص بذاته وهي منحصرة في المتكلم والمخاطب والغايب كانا وانت وهو واعرفها انا ثم انت ثم هو والدليل على هذا الترتيب ان تصوري لنفسي من حيث اني انا لا تشتبه بغيري بخلاف انت فانك قد تشتبه بغيرك عندي وهو اولى بالاشتباه من انت فاعرف الضماير انا وبعدها انت وبعدهما هو وههنا دقيقة شريفة وهي اني اذا قلت انا مشيرا الى ذاتي وجدت جميع المفهومات غايبا عن ذاتي حتى اجزاء مهيتي الانسانية لان جميعها مما اشرت اليه بهو حتى فصلي الناطق فانه ايضا وان تخصص بالف تخصص اشرت اليه بهو ولا شك ان انا غير هو فاذن يكون ذاتي عين الوجود البسيط الذى لا حد له ولا جزء له اذ لم اجد في علمي بذاتي هذا العلم الشهودي الا انيتي الوجودية الحية الادراكية واجد البدن وساير الاعضاء كالقلب والدماغ خارجا عن ذاتي لاني اشير الى كل منها بهو واذا كان ذاتي على هذه البساطة وهذا التجرد فالعقول اولى فما فوقها اشد جلالة واعظم تقدسا بما لا يتناهى فان قلت اذا امكنت الاشارة الى المفهومات الكلية بهو فكيف حكمت بان الضماير كلها للوجودات لا للمهيات والمفهومات

فلان الاشارة اليها بهو لا يستلزم ان يكون موضوعا بازائها ولكن الوجه ان الاشارة
اليها ليست من حيث طبيعتها الكلية بل من حيث حضورها الذهني وتعينها العقلي
الذي هو نحو من الوجود فاذا عرفت ما قررناه فظهر ان عرفان كل شيء بذاته اتم
من عرفانه بغيره سواء كان حاضرا او غايبا فالعرفان التام بالله ليس الا لله لانه
هو الذي يشير الى ذاته تعالى بانا فلما لم يمكن لاحد ممن سواه ان يشير الى ذاته
بالضمير الذي هو اعرف الضماير وهو انا الا له تعالى علمنا ان العرفان التام به سبحانه
ليس الا له فبقي الطريقان الاخران وهما انت وهو اما انت فللحاضرين في مقام
المكاشفات والمشاهدات الذين فنوا عن جميع الحظوظ البشرية على ما اخبر الله عن
يونس عليه السلم بعد ان فني في ظلمات عالم الحدوث عن آثار الحدوث والامكان
والانانية ووصل الى مقام الشهود فقال فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت
وهذا ينبهك على انه لا سبيل الى الوصول الى مقام المشاهدة والمكالمة الا بالغيبة
عن كل ما سواه وقال نبينا محمد صلى الله عليه وآله لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت
على نفسك واما هو فللغايبين المقصد الثالث ان اشرف الاسماء في حقه تعالى
اسم هو بوجوه احدها ان الاسم اما كلي اي دال على مفهوم كلي او جزئي اي علم
اما الاسماء التي لها مفهومات كلية كالاسماء المشتقة مثل الرحمن الرحيم العليم
الحكيم فلا يدل على خصوص ذاته تعالى ولا يتناول حقيقة الاحدية اذ لا مهية له واما
الاعلام الشخصية فهي قائمة مقام الاشارة فلا فرق بين قولك يا زيد وقولك يا هو
ويا انت واذا كان العلم قائما مقام الاشارة فالاشارة اصل والعلم فرع
والاصل اشرف من فرعه فقولنا يا انت ويا هو اشرف الاسماء الا ان الفرق

ان انت

ان انت للحاضر وهو للغايب ثم انك قد علمت انه انما يصح التعبير عن شيء بهو
اذا كانت صورته حاضرة عند العقل فعاد الى ان المشار اليه هو الامر الوجودي
الحاضر عند العقل فاذن ثبت ان هو ايضا كانت لا يتناول الا الحاضر وثانيها
انه قد مر ان حقيقته تعالى منزهة عن جميع انحاء التركيب والفرد المطلق لا يمكن
الاخبار عنه بشيء لان الاخبار يقتضي مخبرا عنه ومخبرا به وهو مفهوم كلي لا محالة وذلك
ينافي الاحدية الخالصة فثبت ان جميع الاسماء المشتقة قاصرة عن الوصول
الى كنه حقيقة الحق فاسم هو اشرف منها لانه يصل الى كنه حقيقته المبراة عن جهات
الكثرة وثالثها انك قد علمت فيما مر ان لكل من اسماء الله وصفاته
حقيقة الهية غير معلومة الكنه لنا وانا نعلمها من جهة آثارها الظاهرة في عالم الحدوث
وهي مختلفة فان آثار العلم ههنا شيء وآثار القدرة شيء آخر وآثار الارادة آخر و
هكذا في ساير الصفات لان هذا العالم عالم التفرقة ومقام الجمعية فاذا هذه الصفات عالم القدس صح
لا يمكن تعقلها الا بآثارها المختلفة فلا يفيد كمال الاستغراق في مقام معرفة
الحق بل كانها لاختلاف مفهوماتها تصرفها عن العبد من الاستغراق
في معرفة الرب بخلاف لفظ هو فانها تدل على هوية ذاته تعالى من حيث
كونه هو هو لا من حيث له صفات لازمة الاضافة الى عالم الحدوث فكانت حيث صح
كلمة هو اشرف الاذكار ورابعها انك اذا قلت هو الرحمن الرحيم الملك القدوس
السلم فلفظ هو بمنزلة الذات وغيره من الاسماء بمنزلة الصفات والذات
اشرف من الصفات فلفظ هو اشرف من جميع الاسماء وهذه الوجوه مما
ذكره الفخر الرازي في تفسيره الكبير واعلم ان هذه الاقوال والوجوه انما يليق

٥٧ [margin]

للمتوسّطين في معرفة الله وصفاته وامّا الكاملون في العرفان فحقيقة كلّ اسم عندهم
هي حقيقة الذّات الالهيّة فحقيقة علمه تعالى عندهم واجب لذاته واحد حقيقي فاعل للممكنات
مرجّح لها مريدًا بانّه حيّ سميع بصير متكلّم مقدّس حكيم رحيم الى آخر الصّفات فانّهم يعلمون
بالبرهان انّ علمه تعالى بهذا القدر يكون من نفس علمه بما يدركه غيرهم من كلّ صفة وهكذا
يعلمون حال وجوده ووحدته وقدرته وارادته وحيوته وقد اشرنا سابقا انّ صفة
تعالى سيّما الثّبوتيّة لها حقيقة واحدة الهيّة فيترتّب على كلّ منها ما يترتّب على غيره
ولهذا ذهب بعض العرفاء انّ كلّ اسم من الاسماء هو الاسم الاعظم فاذن
هذا التّفاضل والاختلاف بين الاسماء والصّفات انّما يكون بحسب اوايل مفهوماتها
الكلّيّة وعلى حسب مرتبة المريدين والمتوسّطين في السّلوك لا المتوغّلين في العرفان
والله وليّ التّوفيق فهذا ما ذكرنا في الآية الاولى في تصوير مطلب التّوحيد وتقرير
هذه الدّعوى وفيها مباحث اخرى كثيرة آثرنا الاختصار على هذا القدر حذرًا عن
التّطويل والاسهاب وملال الطّلّاب وامّا الآية الثّانية المشتملة على ذكر الدلايل
والآيات فهي قوله تعالى انّ في خلق السّموات والارض واختلاف اللّيل والنّهار
والفلك الّتي تجري في البحر بما ينفع النّاس وما انزل الله من السّماء من ماء فاحيى به
الارض بعد موتها وبثّ فيها من كلّ دابّة وتصريف الرّياح والسّحاب المسخّر بين السّماء
والارض لآيات لقوم يعقلون اعلم انّ الله تعالى ذكر في هذه الآية تعليمًا للعباد ثمانية
انواع من الدّلايل الّتي يمكن ان يستدلّ بها على وجوب وجوده ووحدانيّته
وبرائته عن النّقايص والاضداد والانداد ولنذكرها في ثمانية فصول اوّلها
في خلق السّموات والاستدلال بها من وجوه ونحن قبل الخوض في كلّ منها نذكر

وجوهًا

منها لسع [margin]
ا ظ [margin]

وجوهًا ذكرها بعض متكلّمي الاسلاميّين ونظهر وجه خللها وقصورها ثمّ نخوض فيما
افادنا الله من لطفه واحسانه واعلم انّ من عادة هؤلاء القوم انّهم اذا حاولوا
ان يعرفوا صانع العالم وقدرته ابطلوا الحكم والغايات وعطّلوا الطّبايع الّتي
سخّرها الله لبعض الافعال عن فعلها وكلّما لم يعرفوا وجه الحكمة فيها من الامور
نسبوها الى الفاعل المختار والقدرة الجزافيّة الّتي ليس لها داعٍ ومرجّح ولم
يعلموا انّ ذلك جهالة محضة وسوء ادب بالنّسبة الى البارى جلّ اسمه
حيث ابطلوا حكمته وعزلوا المسخّرات بامره عن ما خصّها الله به من الافعال
مثلا الشّيطان شأنه الاضلال والاغواء لمن سلّط عليه الشّهوات والاهواء
وقد نصبه الله لذلك فهل يمكن عزله عن فعله او نسبة فعله الى غيره من ملائكة
الرّحمة فهكذا الامر في طبايع النّار والماء والهواء والشّجر والحيوان والانسان
والجنّ والسّماء والشّمس والقمر والنّجوم والملائكة العمّالة المحرّكة لها والملائكة
العلّامة المشوّقة لها فطريقة معرفة الله انّما هي بالسّلوك العقلى من ظواهر الموجودات
وقشورها الى بطونها واسرارها ومن ادانى الكاينات الى عواليها ومن ملكها الى
ملكوتها ومن ملكوت كلّ شيء الى الّذي بيده الملك والملكوت واليه يرجع الامر كلّه
اذا تقرّر هذا فنقول انّ الوجوه الّتي ذكرها الفخر الرّازى في الاستدلال على
وجود الصّانع ووحدانيّته من جهة خلق السّموات كثيرة احدها انّ مقادير الافلاك
مختلفة مع انّ جميعها مشتركة في الطّبيعة الفلكيّة فاختصاص كلّ منها بمقدار مخصوص
مع انّه لا يمتنع في العقل وقوعه على ازيد من ذلك او انقص فلا بدّ له من مخصّص
وليس ذلك طبيعة او نفس او عقل وبالجملة سبب موجب لانّ الموجب نسبته

لسع الاسلاميّين [margin]
لسع الامر [margin]

٥٧

الى الامور المتشابهة متساوية فاذا ثبت وجود قادر مختار مدبر وثانيها بالنظر الى احيازها فان كل فلك يماس بمحدبه فلكا آخر فوقه وبمقعره فلكا آخر تحته ثم ذلك الفلك متشابه الاجزاء فطبيعة كل من طرفيه كطبيعة الطرف الآخر فكلما صح على محدبه صح على مقعره فصح على كل منهما ملاقاة ما يلقاه الآخر من صيرورة جزئه العالي سافلا وجزئه السافل عاليا فاختصاص كل جزء من الفلك بحيزه المخصوص يحتاج الى فاعل مخصص يخصصه بالقصد والاختيار وثالثها ان كل كوكب حصل في نقرة من فلكه اختص بها جانب خاص من الفلك دون غيره من الجوانب وحصولها في كل جانب جائز لتشابه اجزاء الفلك فلا بد فيه من مخصص يخصص حصول النقرة بذلك الجانب على الوجه المذكور ورابعها ان كل كرة تدور على قطبين معينين فاذا كان الفلك متشابه الاجزاء كان جميع النقط المفروضة عليها متساوية فاختصاص نقطتين معينتين بالقطبية دون ساير النقط مع استوائها في الطبيعة يكون بامر فيقتضي العقل بافتقاره الى المقتضي وهكذا القول في تعيين دائرة معينة من دوايرها بان تكون منطقة وخامسها ان الاجرام الفلكية مع تشابهها في الطبيعة الفلكية كل واحد منها مختص بنوع معين من الحركة في البطوء والسرعة فانظر الى الفلك الاعظم مع هيئة اتساعه ثم انه يدور دورة تامة في اليوم بليلته والفلك الثامن الذي هو اصغر منه يدور الدور التام في ستة وعشرين الف سنة على ما هو قول الجمهور ثم الفلك السابع الذي تحته يدور في ثلثين سنة فاختصاص الاعظم بمزيد السرعة والاصغر بمزيد البطوء مع انه على خلاف حكم العقل فانه كان ينبغي ان يكون الاوسع ابطاء حركة لعظم مداره والاصغر اسرع حركة لصغر دوره فيقتضي العقل بان كل واحد منهما انما اختص بما هو عليه بتقدير العزيز العليم

فيقتضي لم

وسادسها ان الفلك الممثل اذا فصل عنه الخارج المركز بقي متممان احدهما حاوي الخارج المركز والآخر محوي وكل منهما متشابه الطبيعة ثم احد جوانبها بغاية الثخن والآخر بغاية الرقة واذا كان كذلك وجب ان يكون نسبة الثخن والرقة الى الطبيعة متساوية فاختصاص احد جانبيه بالرقة والآخر بالثخن لا بد وان يكون بتخصيص المخصص المختار وسابعها انها مختلفة في جهات الحركات فبعضها من المشرق الى المغرب وبعضها من المغرب الى المشرق وبعضها شمالية وبعضها جنوبية مع ان جميع الجهات بالنسبة اليها على السوية فلا بد من الافتقار الى المدبر وثامنها انا نراها الآن متحركة فاما ان يقال انها اولا متحركة او ما كانت متحركة ثم ابتدأت بالحركة والاول وهو انها كانت اولا متحركة محال لان ماهية الحركة تقتضي المسبوقية بالغير لان الحركة ممتنعة البقاء والابتداء بالحركة بعد عدمها يقتضي الافتقار الى مدبر قديم فهو سبحانه وتعالى يحركها بعد ان كانت معدومة او ساكنة قال وهذا المأخذ احسن المآخذ واقواها وتاسعها ان يقال حركاتها اما ان تكون من لوازم جسميتها وهو محال لانها منفكة عن كل واحد من اجزاء تلك الحركة فاذن كل واحد من اجزاء الحركة ليس من لوازمها فافتقرت الافلاك وايتلاف حركاتها الى مدبر اترى انها مبنية على حكمة او هي واقعة بالعبث اما الثاني فبعيد عن العقل فان من جوز في بناء رفيع وقصر مشيد ان التراب والماء انضم احدهما الى الآخر ثم تركبت منها اللبنات ثم تركبت تلك اللبنات وتولد من تركيبها قصر مشيد عال فانه يقضي عليه بالجنون ونحن نعلم ان تركيب هذه الافلاك وما فيها من الكواكب وما لها من

احد لم

الحركات ليس اقلّ من ذلك البناء فثبت انّه لا بدّ من رعاية حكمة وعاشرها انّها
لا يخلو امّا ان تكون احياء ناطقة فهي تتحرّك بانفسها او يقال انّها يحرّكها مدبّر قاهر والاوّل
باطل لانّ حركتها امّا ان تكون لطلب استكمال او لا لهذا الغرض فان كانت
لطلب الكمال فهي ناقصة في ذاتها طالبة لكمالها فتحتاج الى مكمّل فهي مفتقرة وان لم يكن
لغرض فهي عابثة في افعالها فيعود الامر الى انّه لا يبعد في العقول ان يكون مدار هذه
الاجرام المستعظمة والحركات الدائمة على العبث والسّفه فلم يبق في العقول قسم
هو اليق بالذّهاب الّا انّ مدبّرا قاهرا على الدّهر يحرّكها لاسرار خفيّة وحكمة لطيفة
وليس عندنا الّا الايمان بها على الاجمال كما قال ويتفكّرون في خلق السّموات والارض
ربّنا ما خلقت هذا باطلا فهذه هي الوجوه الّتي ذكرها وكلّها ضعيفة سخيفة واكثرها
مبتنية على انّ الفاعل المختار يفعل فعلا بلا مرجّح وذلك باطل كما مرّ واكثر ما ذكره مغالط
لها اجوبة مذكورة في الكتب العقليّة وفي كثير منها مقدّمات مقدوحة او خطابيّة لا
تعويل عليها مثل ما ذكره في الوجه الاوّل انّ مقاديرها مختلفة والجميع مشتركة
في الطّبيعة الفلكيّة والحقّ كما دلّ عليه البرهان انّ طبايعها متخالفة الانواع وانّ
كلّ فلك وكلّ كوكب نوع منحصر في شخصه وكذا ما ذكره في الوجه الثّاني مقدوح بانّه
ليس للفلك جزء بالفعل لبساطته الّا باحد اسباب القسمة من الوهم او القطع
او الكسر والّذي يصحّ فيه هو الانقسام الوهمي فاذا قسمه الوهم وفرض فيه جزء مماسّ
لمحدّبه وآخر مماسّ لمقعّره فهذا من ضرورات القسمة بهذا الوجه وهذا جار في
كلّ مقدار متّصل وجود جزءه بعد وجود كلّه ولا خصوصيّة له بالفلك وكذا ما ذكره في
الوجه الخامس انّ الافلاك مشتركة في الطّبيعة الفلكيّة وكلّ منها مختصّ بنوع من الحركة

فمدفوع

فمدفوع بانّها متخالفة الانواع والطّبايع فجاز ان يكون طبيعة بعضها تقتضي نوعا من
الحركة وقدرا من السّرعة لا تقتضيه طبيعة الآخر ولولا مخافة التّطويل لاوردنا
في كلّ واحد واحد من الدّلايل الّتي ذكرها ما يكشف عن وجه بطلانه وفساده
بقي الكلام في وجه اختصاص موضع من الفلك بالمنطقة او بالقطبيّة او بالكوكب
وهذا الاشكال في نفسه لا يدفع بما ذكره اذ نسبة الفاعل المختار نسبة واحدة
وهو اجلّ وارفع من ان يكون له مشيّة او عناية بجزء من الفلك دون غيره
ونحن بفضل الله وعنايته قد فككنا عقد هذه الشّبهة في رسالة مفردة ذكره يؤدّي
الى التّطويل فلنرجع الى الوجوه الّتي وعدنا ذكرها وهي اربعة براهين البرهان
الاوّل من جهة اجسامها وهو انّ اجسامها ممكنة الوجود فهي مفتقرة الى سبب وعلّة
وذلك لتركّبها من مادّة وصورة ولقبول الجسميّة الانقسام والتّكثّر وليست
علّتها مادّتها لانّ القابل يمتنع ان يكون فاعلا ولا صورتها لانّها محتاجة في وجودها
اليها حاجة الحالّ الى المحلّ وهو ظاهر ولا ايضا نفوسها لانّ النّفس لا تفعل
شيئا الّا بشركة البدن وايضا انّ الجسم لا يفيد جسما آخر اذ لو افاد فامّا ان
افاد من حيث جسميّته وهي طبيعة مشتركة بين الاجسام كلّها فيكون كلّ
جسم علّة ويكون الجسم علّة لنفسه وهو محال وان افاد بواسطة خصوصيّة
صورة او قوّة جسمانيّة او نفس وكلّ قوّة جسمانيّة لا تفعل شيئا الّا بشركة
وضع لمادّتها بالقياس الى ذلك الشّيء ولا وضع للشّيء بالقياس الى جسم لم
يوجد بعد وايضا الايجاد فرع على الوجود والمستغني عن الشّيء في فاعليّته مستغن
عنه في وجوده فلو استغنى النّفس او القوّة في فعلها عن الجسميّة والاوضاع لكانت

مجرّدة عنها لذاتها غير مفتقرة اليها بوجه وهو ممتنع ثم الاجسام الفلكيّة بعضها حاوٍ وبعضها
محويّ والحاوي لا يصح كونه علّة للمحوي والّا لكان مع وجوبه امكان المحوي لانّ وجوبه
على هذا الفرض بعد وجود الحاوي لا في مرتبته وامكان كونه مع امكان لا كونه فيلزم
امكان الخلاء والخلاء ممتنع لذاته كما ثبت والمحوي ايضاً لا يمكن ان يكون علّة للحاوي
لانّه اصغر منه ولانّه يحتاج اليه في تحديد جهته ولا يصح وجود الجسم الّا بعد تعيّن وضعه
وحيّزه ولا يتعيّن ذلك الّا بما هو فوقه ويحيط به وايضاً الاجسام الفلكيّة اشرف
الاجسام لانّها كائنة لا عن استعداد وتركيب مزاج واستحالة والكوكب
اشرف ما فيها وهي مع ذلك متكافئة ليس لبعض الكواكب شرف مطلق
على البواقي لانّ بعضها اعظم جرماً واصغر فلكاً وبعض آخر اصغر جرماً واعظم
فلكاً والشمس اعظم جرماً واكثر نوريّة من العلويات ولذلك فانّه يتوهّم فيها
ان تكون علّة لغيرها والعلويات بعضها يحتمل ان لا يكون اصغر جرماً منها كزحل
مثلا ولكن كلّ منها اعظم فلكاً من الشمس حتى انّ تدويرها هو اسفل منها وهو
مريخ اعظم من ممثّل الشمس فاذا كانت كذلك فليس بعضها سبباً لوجود
البعض ثم انّ الشمس التي يتوهّم فيها الربوبيّة يحتاج في تحيّزها الى فلك حامل
تتركز فيه والى فلك حاوٍ يحدّد جهتها وايضاً قد علمت بالبرهان انّ جسميّتها
ليست علّة لجسم وحال صورتها وطبيعتها ونفسها كما سبق فاذن الافلاك
كلّها مفتقرة الى اسباب فعّالة مفارقة عن عالم الاجسام ونفوسها لانّ
واجب الوجود واحد بسيط لا تركيب فيه وتلك الاسباب هي ملئكة
الله المقرّبين والكلّ مفتقر اليه سبحانه فهذه طريقة الخليل عليه السلم فانّه لما
نظر

(في الحاشية: فلكاً)

نظر الى السموات ورأى ما فيها من الاجرام النيّرة التي هي اشرف منها
والشمس هي اشرف النيّرات واضوئها وعلم تجدّدها وافولها في مهوى
الافتقار والامكان من الحاجة الى الموجد حكم بانّ للكلّ خالقاً بريّاً من التغيّر
والتجسّم فقال وجّهت وجهي للذي فطر السموات والارض وذلك بالهام
الله تعالى وتعليمه اياه كما قال وكذلك نُري ابراهيم ملكوت السموات
والارض ليكون من الموقنين وهو اوّل من هدى الناس الى طريق توحيد
الرب تعالى ومنعهم عن عبادة الهياكل العلويّة والاصنام الارضيّة وفتح
لهم بهذه الطريقة باب التوحيد البرهان الثاني من جهة غاية حركتها فنقول انا
ندّعي اوّلاً انّ السماء حيوان ناطق يتحرّك بالارادة دائماً طاعةً لله تعالى وله
جسم ونفس ولنفسه عقل وحكم جسمه بجميع اجزائه البسيطة والمؤلفة يجري
مجرى حكم بدن الانسان بجميع اعضائه المختلفة الصور والاشكال وانّ
حكم نفسه بجميع قواها السارية في جميع اجزاء جسده والمحرّكة والمدبّرة لقواها عضو
عضو وحاسّة حاسّة من بدنه وذلك قول الله سبحانه ما خلقكم ولا بعثكم الّا
كنفس واحدة وانها متحرّكة عن نفسه لا عن طبيعته وانّ لها تصوّر الجزئيّات
ولها التعقّل للكليّات وانها ليس غرضها في الحركة الاهتمام بالسفليّات
بالقصد الاوّل وان ترتّب عليها نظام السفليّات بالتبع بل قصدها التشوّق
الى الله والتقرّب اليه بواسطة جوهر مقدّس نوري لا علاقة له بالاجسام و
عوارضها يسمّى بلغة الاوائل عقلاً مجرّداً وبلسان الشرع ملكاً مقرّباً ثم نثبت
هذه الدعاوي على التفصيل الدعوى الاولى انها متحرّكة بنفس وقد دلّ عليه البرهان

(في الحاشية: جسمه المحرّكة والمدبّرة لانواع الموجودات حكم نفس انسان واحد السارية في جميع اجزاء بدنه ومفاصله)

اللمي وهو انها لو فرضت ساكنة كان لها وضع مخصوص حتى يكون نصف منها
فوق الارض ونصف آخر تحتها ولو فرض الاول تحت الارض والآخر فوقها
كان ممكنا لتشابه الاجزاء وعدم تمايزها في الاقتضاء فاذن هي قابلة للحركة وكل ممكنا لم
قابل للحركة لابد ان يكون في طبعه ميل كما بين في موضعه وذلك بالدور حول الوسط
لامتناع المستقيمة في السماء اذ الجهة قائمة بها فلو تحركت تحركت الى لاصوب ولاجهة تحركت لم
وهي محال فوجب في طبعه ميل مستدير حتى يمكن لها الدوران واذا وجد المبدأ
والقابل لزم الفعل والحركة اذ لامزاحم ولا قاسر لها ثم يستحيل ان يكون هذه الحركة بالطبع
المحض الخالي عن الارادة لان حركة ما يتحرك بالطبع المحض كالميت والجماد لا يكون
فيها رجوع وانعطاف بل على سمت واحد فالحركة الطبيعية هرب من موضع وطلب
موضع آخر فاذا وصل الى الموضع الطبيعي استقر فيه ولا يعود وما وضع للسماء يفارقه
الا ويعود اليه وهي دائرة حايدة على الدوام فلا يكون بالطبيعة بل بالارادة والاختيار
وهي لا تكون الا بالتصور وكل ما له تصور وارادة فانا نسميه نفسا فاذا حركة الافلاك بالتصور لم
نفسانية الدعوى الثانية ان هذه الحركة ليست حيوانية محضة غير عقلية لان حركات
الحيوانات اما شهوية او غضبية والاولى لجذب الملايم للجسم وطلبه والثانية لدفع
المنافر له والهرب عنه وجسم الفلك تام في كماله الجسمي في اول الفطرة لا حاجة له
الى اغتذاء ونمو حتى يشتهي ولا ضد له حتى يغضب وايضا كل من الجذب والدفع
والطلب والهرب انما يمكن بالحركة المستقيمة وهي غير جايزة عليه فحركاتها اذن
لغرض عقلي الدعوى الثالثة انها ليست تحرك اهتماما بالعالم السفلي بل غرضها
امر اجل منه واشرف لان ما يراد لشيء او يفعل لشيء فذلك الشيء اشرف منه

وهو اخس

وهو اخس من ذلك الشيء لا محالة فيؤدي الى ان يكون العلويات اخس
من السفليات وهي ناقصة متغيرة بالقوة دائما وجملة الارض بما فيها محسوسا لم
جزء يسير لا قدر لها خصوصا بالنسبة الى فلك الشمس وما فوقها فضلا عن
الفلك الاقصى فكيف يكون هذه الامور الخسيسة غرضا لتلك النفوس
العالية واما العقول الكاملة الانسانية فهي من حيث صيرورتهم عقولا
خارجة عن هذا العالم واما الداخل في هذا العالم اجسادهم العنصرية و لم
قواها المتعلقة بها وحكمها في الجنة كحكم غيرها مع ادنى تفاوت بحسب اعتدال المتعلقة
المزاج الدعوى الرابعة ان حركاتها شوقية عقلية للتقرب الى معبود خارج
عن عالم الاجسام كلها قد علمت ان حركاتها ليست حيوانية شهوية او
غضبية بل عقلية وليست مطلوبها من السفليات فاذن مطلوبها امر
علوي اجل من نفوسها وذلك لان غرضها لو كان نفوس بعضها لزم
توافق الحركات وقد دلت المشاهدة والارصاد على انها متخالفة الحركات
قدرا وجهة شرقا وغربا شمالا وجنوبا وايضا لما كان عددها متناهية ينقل
الكلام الى نفس الفلك الذي هو آخرها اليه التشوق والقصد على ان
النفس ما دامت كونها ناقصة بالقوة تحتاج الى كمال ومكمل غير ذاتها فثبت
ان المتشوق اليه والمقصود في حركات الافلاك امر خارج عن عالم الارض
والسموات فمقصودها اما نيل ذات ذلك المتشوق او صفاته او نيل التشبه
به على التدريج والاول والثاني باطلان لانها ان نالت بعينها فسكنت وان
لم تنل اصلا فقنطت فسكنت ايضا والحركة دائمة ما دامت ذاتها باقية فاذن

٩١

حركتها لينيل تشبهاً تدريجياً بموجود كامل بالفعل ليس فيه امر بالقوة والا لزم التسلسل
او الدور وهما محالان فذلك المعشوق المتشوق اليه اما الباري جل اسمه
بلا واسطة او جوهر قدسي وملك مقرب من عالم امره وكلمته والاول ليس
بصحيح والا لما اختلفت الحركات واتفقت الجهات فبقي الثاني والحق ان
كل واحد منها له محرك نفساني مباشر لحركاتها لان الحركة لها جزئيات شخصية
ففاعلها القريب لكونه فاعلاً بالارادة له ارادات جزئية تابعة لتصورات
خيالية وله محرك آخر عقلي تفيض منه على نفسه تلك التصورات تشويقاً لها اليه
وهو المحرك العقلي على سبيل الغائية والمحرك النفساني محرك على سبيل الفاعلية
ولما اختلفت الكرات والحركات فلها غايات ومعشوقات متكثرة هم
الملئكة المقربون ولما اتفقت كلها في الطبيعة الفلكية وفي دورية الحركات الملئكة لم
فللكل معشوق واحد وغاية واحدة وهو غاية الغايات ومنه مبدأها واليه
منتهيها به تدور رحاها وباسم الله مجريها ومرسيها فقد علمت او تحدست
بان هذه الحركة الفلكية عبادة ما فلكية او ملكية تقرباً الى الله وعبودية له وتشوقاً
الى عالم ملكوته الاعلى البرهان الثالث ايضاً من جهة النظر في حركتها من حيث
مبدأها فنقول ان الحركة على الاطلاق تدل على وجود مبدأ مفارق خارج عن هذا
العالم وذلك لان الحركة خروج من القوة الى الفعل ففيها جزء سابق وجزء لاحق
وكلها حادثة ووجود الحادث بغير سبب محال وسببه لو كان موجوداً قبله
لم يمكن حدوثه فيفتقر الى مزيد حالة او شريطة بها يصير سبباً بعد ما لم يكن فاذن لا تحدث
السبب بما هو سبب ما لم تحدث تلك الحالة والسؤال في تلك الحالة لازم

فيفتقر

فيفتقر الى سبب آخر وهكذا فتتسلسل الاسباب فيفتقر الاحداث
بالضرورة الى اسباب لا نهاية لها ولا يخلو اما ان يكون موجودة معاً او
متعاقبة والاول محال لنهوض البراهين على بطلان اللاتناهي في الاسباب
والعلل المجتمعة معاً فلم يبق الا التلاحق على وجه الاتصال اذ لو انفصلت
الحوادث عاد المحذور الاول وذلك لا يكون الا بحركة دائمة ولا يحتمل شيء
من الحركات الدوام الا الدورية ومحلها ليس الا الفلك وايضاً حدوث
الحوادث وتكون الكائن ههنا لا يمكن الا بالحركة المستقيمة وهي دلت على
اختلاف الجهتين ولا يمكن اختلافهما الا بجسم محيط وهو السماء فثبت وجود
السماء وانها متحركة دائماً ما دامت موجودة وكل متحرك له محرك غير ذاته المتحركة
بوجوه من البراهين مذكورة في الكتب لا نطول الكلام بذكرها ويكفي ما سبق
ذكره من كون قابل الشيء غير فاعله فنقول ان فاعل هذه الحركة يجب ان يكون
ذا قوة غير متناهية في التأثير وليس شيء من الاجسام وقواها السارية فيها
ونفوسها المتعلقة بها كذلك فمحرك الافلاك وفاعلها ليس بجسم ولا جسماني
بل امر مقدس عن التغير والتجسم وهو الباري جلت عظمته او ملك مقرب
هو امره لكن الافلاك لكثرتها واختلافها نوعاً وشرفاً واختلاف حركاتها جهة
وقدراً ينبغي ان يكون اسبابها القدسية متكثرة حسب تكثرها كما دل عليه قوله
تعالى واوحى في كل سماء امرها والله سبحانه مبدع الامر والخلق وموجد
العقل والجسم البرهان الرابع وهو مما افادنا الله بالهامه وهو انا اقمنا
البرهان على حدوث الاجرام الفلكية وطبايعها ونفوسها في كل آن ولحظة

وانّ لها في كلّ آنٍ خلعٌ ولبسٌ جديد وخلق وبعث عتيد وهذه المقدّمة
ممّا قد احكمناها بوجوه برهانية ومقدّمات حكمية يحكم كلّ عاقل منصف بصحّتها
بعد (بعد النظر) الامعان ممّا يطول ذكره ههنا ويدلّ عليه شواهد قرآنية من قوله كلّ يوم هو
في شأن وقوله وترى الجبال وغير ذلك فاذن بعد تمهيد ما نقول انّ الافلاك
لتجدّد ذواتها وحركتها الجوهرية المستلزمة لهذه الوضعية تفتقر كلّ منها الى مبدءٍ
عقلي خارج عن عالم الكون والتجدّد فان قلت اذا كانت ذواتها متجدّدة
فلابدّ في تجدّدها من تجدّد علّتها القريبة فيعود الكلام في تجدّد علّتها ويتسلسل الامر
الى ما لا نهاية قلت التجدّد والحدوث اذا كان زائداً على ذات الشيء ونحو
وجوده فهناك يعود الكلام الى سبب الحدوث وامّا اذا لم يكن الحدوث زائداً
على ذات الشيء بل يكون وجوده على نحو التجدّد والانقضاء فلا يحتاج الّا الى علّة نفس
ذاته المتجدّدة لا التجدّد كما هو المشهور في نفس الحركة لكنّ الحركة عندنا امر عقلي عبارة
عن مفهوم التجدّد والانقضاء وما به التجدّد هو شيء آخر وهو المقولة التي يتجدّد ذلك
ولمّا كانت الاعراض تابعة للجواهر فتغيّرها مع ثبات الجواهر كلّها غير جائز فيجب
في الوجود جوهر متجدّد الذات وهي لا تكون الّا الطبايع الجسمانية وذلك لتركيبها
من مادّة شأنها القوّة والزوال ومن صورة شأنها الفعلية والحصول فتتقاربان
معاً الى ما شاء الله كما فصّلناه في مقامه ونقول انّ حركتها الذاتية متوجّهة نحو غاية
ذاتية منتقل اليها هي اعلى منها فينتقل نشأتها في كلّ لحظة من هذا العالم الى عالم
الآخرة وجوار القدس والله معقّبها بالبدل ويحفظ نوعها بتعاقب الامثال و
بوجود صورة عقلية هي موجودة عند الله دائماً وكذا كلّ نوع جسماني والصورة
المفارقة

المفارقة هي خزائن علم الله وعالم امره وقضائه فكلّ ما سوى الله حادث وانها ليست
ممّا سوى الله لانّها غير مباينة الذوات عنه تعالى وانّما هي باقية ببقاء الله
لا بابقاء الله كما انّها موجودة بوجوده لا بايجاده ولعلّ الكلام خرج عن نطاق
الافهام والذي ذكرناه مجمل له تفصيل شارح له مذكور في رسالتنا في حدوث
العالم فهذه هي بوجوه من التفكّر في خلق السموات ولنا انحاء كثيرة من ابواب
التدبّر في حكمة الصانع في خلق الافلاك وما فيها من العجايب الروحانية في لامح
والجسمانية بحيث يقضي العاقل آخر العجب تركنا ذكرها مخافة التطويل
وانت ايّها العاقل المتفكّر لو نظرت الى آثار رحمة الله في هذا العالم
لقضيت العجب من انّ الرحمة الالهية لمّا لم يجز وقوفها على حدّ لا يتجاوزه
حتّى يبقى وراءه الامكان الغير المتناهي من الاشخاص للانواع وجدت
مادّة قابلة ذات قوّة القبول الى غير النهاية كما انّ للمبدء قوّة الفعل
الى غير النهاية وكان لابدّ من تجدّد الفيض في تجدّد امرها تجدّد بذاتها وجدت
اشخاصاً فلكية دائرة لاغراض علوية يتبعها استعدادات مادّية غير متناهية
تنضمّ الى فاعل غير متناهٍ في قوّة التأثير والايجاد وقابل غير متناهٍ في القبول
والاعداد فينفتح باب نزول البركات وترشّح الخيرات دائماً في الآزال
والآباد ويحصل الفيض على كلّ قابل بحسب استعداده واستحقاقه اذ المبدء
الواهب لا تغيّر فيه ولو كان للنمل استحقاق قبول نفس اشرف كالانسان
لحصلت فيها من فيض جوده سبحانه ولنكتف ههنا بهذا القدر والله وليّ التوفيق

الفصل الثالث في حكمة خلق الارض والتدبّر في نحو وجودها وصفاتها واستقرارها

الدالّة على وجوده سبحانه وآثار حكمته في خلق الارض كثيرة لا تحصى ممّا يطول شرحه وقد علمت انّ علّة وجود الجسم لا يمكن ان يكون جسماً آخر او عرضاً او قوّة جسمانيّة بل تكون امراً اجلّ وارفع من ان يكون في عالم الاجسام وكذلك ميل الارض الى المركز يدلّ على وجود الجهتين ووجودهما يدلّ على السماء ودلالة السماء على وجود خالق السموات والارض ممّا قد مرّ بيانه ثم لو تفكّرت ايّها العاقل المتدبّر ونظرت الى كيفيّة وضعها في الوسط لعلمت انّها لو قربت من الاثير لاحترقت سريعاً ولو جاور الفلك غير النار لسخّنته حركة الفلك وصار ناراً انضمّ اليها لتسخين طبقة النار الواقعة في غير ذلك الموضع فتحلّلت العناصر كلّها ناراً ولمّا كانت الحيوانات اولات آلات الادراك والتحريك محتاجة الى عناية العنصر اليابس وغلبة الارضيّة اذ بها تحفظ الصور المدركة واشكال الاعضاء وغيرها فوجدت الحيوانات عندها غير محيط بها الماء بل الهواء لحاجتها الى استنشاق الهواء فوضع تحت النار ما يناسبها في الحرّ واللطافة ووضع عند الارض ما يناسبها في البرد والكثافة وكان ايضاً لا مع الهواء مناسبة الميعان في مجاورته بحيث لا يبطل العدل وههنا دقيقة اخرى وهي انّ الارض تقتضي طبعها الكريّة في الشكل فتضرّست بالجبال والوهاد بالسيول والامواج للحكمة المذكورة من انكشاف مقدار من وجهها لتعيّش الحيوان وحصول النبات لكن بقي التضريس بحاله وان خلّيت وطبعها والحكمة في هذا انّ طبيعتها كما اقتضت الاستدارة اقتضت يبوسة حافظة للشكل ايّ شكل وهذا الاقتضاء لا ينافي الاقتضاء الاوّل بل يؤكّده وكان القاسر ازال شكلها الكري ولم يزل

المتدبر

العناصر

كان ظ

الكل

في وسط الكلّ وكثافتها ولونها الغبراء لتكون قابلة للانارة والضياء وتوسّطها في الصلابة حتى يمكن المشي عليها للحيوان وتقبل الحرث والزرع للاغتذاء وليكون ما فيها من الاشياء ثم في انهارها وجبالها ومعادنها فمن آيات التي فيها انّ خلق الارض فراشاً ومهاداً وسلك فيها سبلاً وفجاجاً وجعلها ذلولاً لتمشوا في مناكبها وجعل الجبال فيها اوتاداً تمنعها من ان تميد وتتزلزل فقال والارض فرشناها فنعم الماهدون وقال هو الذي جعل الارض فراشاً وذلك لا ينافي استدارة شكلها لعظم جرمها بحيث لا يفرق الحسّ من استدارة سطحها واستوائه وكون ظهرها مقرّ الاحياء وبطنها موطن الاموات ولذلك قال تعالى الم نجعل الارض كفاتاً احياءً وامواتاً ومن الآيات قسمتها الى الاقاليم السبعة بحسب نسب مواضعها المختلفة الى مدار الشمس واختلاف امزجة سكّانها واحوالهم والوانهم ومكاسبهم واخلاقهم على حسب اختلاف تلك المواضع ومن الآيات وجود البحار العميقة فيها المكتنفة لاقطار الارض التي بعضها قطع البحر الاعظم المحيط بجميع الارض حتى انّ جميع المكشوف منها من البحر بالاضافة الى المستور فيه قليل كجزيرة صغيرة في بحر عظيم ومن الآيات انكشاف الربع المعمور مع انّ من طبيعة الماء الاحاطة بها ومن طبيعة الارض الرسوب فيه وذلك لحكمة تعيّش الانسان وغيره من انواع الحيوانات المفتقرة في بقائها الى التنفّس لترويح الحرارة الغريزيّة هذا هو السبب الغائي ولا بدّ فيه ايضاً من مرجّح فاعليّ وان لم نعلمه بخصوصه مع انّا نعلم يقيناً انّ هناك امراً مخصّصاً لاستحالة الترجيح من غير مرجّح وقد ذكر العلماء فيه وجوهاً وباطلة الآيات والشواهد

يبوستها فغلبت اليبوسة فعلها وامسكت الشكل القسري فبقي التضريس على حاله
بعد زوال القسر ايضا حفظا طبيعيا وهذا ايضا من لطايف حكمة الله وآياته
في خلق الارض فكونها مما جعلت بارزة بعضها من الماء مع ان طبعها الغوص
فيه لتصلح لتعيش الحيوانات البرية عليها كما مر آية وكونها مما لم تجعل في غاية الصلابة
كالحجر ولا في غاية اللين والانغمار كالماء ليمكن النوم والمشي عليها وامكنت الزراعة
واتخاذ الابنية منها ويتأتى حفر الآبار واجراء الانهار آية وكونها لم تخلق في نهاية
الشفيف واللطافة لتستقر عليها الانوار وتسخن منها فيمكن جوارها آية وكونها
مما يتولد منها النبات والمعادن والحيوان آية وكونها مما يتخمر به الرطب فيحصل التماسك
في ابدان المركبات آية واختلاف بقاعها في الرخاوة والصلابة وغيرهما بحسب
اختلاف الاغراض والحاجات آية وفي الارض قطع متجاورات واختلاف
الوانها آية ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود انصداعها
بالنبات آية والارض ذات الصدع وجذبها للماء المنزل من السماء ماء بقدر
فاسكناه في الارض واجراء العيون والانهار العظام فيها آية والارض مددناها
وحيوتها في الربيع وموتها في الشتاء آية وآية لهم الارض الميتة احييناها و
انبثاث الدواب المختلفة الانواع فيها آية وبث فيها من كل دابة وانبات
النباتات المتنوعة منها آية وانبتنا فيها من كل زوج بهيج فمنها قوت البشر
ومنها قوت البهائم كلوا وارعوا انعامكم ومنها الطعام والادام ومنها الدواء
ومنها الفواكه ومنها الكسوة نباتية كالقطن والكتان وحيوانية كالشعر و
الصوف والابريسم والجلود ومنها الاحجار المتخذة منها المختلفة بعضها

للزينة

للزينة وبعضها للابنية وبعضها لحاجات اخر فانظر الى الحجر الذي يستخرج منها
النار مع كثرته والى الياقوت الاحمر مع عزته ثم انظر الى كثرة النفع بذلك الحقير
وقلة النفع بذلك الخطير الى غير ذلك من الآيات الجلية وللعرفاء فيها
آيات خفية يعرفونها من كونها ذات شعور ونطق وذكر وتسبيح ولها جوهر
شريف عقلي نوراني كما اشير اليه بقوله تعالى واشرقت الارض بنور
ربها ومن انها تتبدل نشأتها الطبيعية الى نشأة آخرة كقوله يوم تبدل
الارض غير الارض فهذه جملة من آيات الله في خلق الارض ولعل ما تركناه
اكثر مما عددناه بما لا نسبة بينهما فاذا تأمل العاقل في هذه الغرائب والعجائب
علم ان لها مدبرا عليما ومقدرا حكيما قوي ايمانه واشتد عرفانه ان آمن بالله
من جهة اخرى والله ولي التوفيق **الفصل الثالث** في حكمة اختلاف الليل و
النهار ودلايله ذكروا في معنى الاختلاف وجهين احدهما انه من خلفه يخلفه
اذا ذهب الاول وجاء الثاني فمعنى اختلاف الليل والنهار تعاقبهما في
الذهاب والمجي وبهذا فسر قوله تعالى هو الذي جعل الليل والنهار خلفة
وثانيهما ان المراد اختلافهما في الطول والقصر والنور والظلمة والزيادة و
النقصان ونقل عن الكسائي انه يقال لكل اثنين اختلفا خلفان واعلم
ان الليل والنهار كما يتخالفان فكل منهما يختلف في نفسه في الزيادة والنقصان
متعاكسين وكما يختلفان ويتخالفان في الزمان كذا يختلفان ويتخالفان في المكان
لان الارض كرة فكل ساعة عينتها فتلك الساعة في موضع من الارض صبح
وفي موضع آخر ظهر وفي ثالث عصر وفي رابع مغرب وفي خامس عشاء وهذا

الاختلاف في البلاد المختلفة طولاً واما البلاد التي اختلفت عرضاً فكل بلد يكون
عرضه الشمالي اكثر يكون ايامه الصيفية اطول ولياليه الصيفية اقصر ولياليه
الشتوية بالضد من ذلك فهذه الاحوال المختلفة في الليالي والايام بحسب اختلاف
اطوال وعروضها التي بها ينتظم احوال الخلايق من وجودها وبقائها فانه لو لم يكن هذا — جمع عرض
الاختلاف فيهما لفسد النظام فان اختلاف الفصول تابعة لاختلافهما على هذا الوجه
الشاهد وهذا الاختلاف تابع لحال الشمس وتقاطع منطقتها التي عليها مدار حركة
الشمس مع منطقة الحركة السريعة التي للفلك الاقصى فلو تطابقت المنطقتان
ولازمت الشمس دائرة واحدة لاثرت فيما قابلها بافراط في التسخين فاحرق
النبات والحيوان وفيما بعد عنها بالتفريط فهلك بالبرد والجمود كل ذي نفس هناك
وكذلك فيما بين الموضعين وكل موضع بالدوام على حالة واحدة من الترطيب
والامساك وغير ذلك مما ينافي نشوء النبات واثمارها فاختلاف الليل والنهار
الذي به يكون اختلاف الفصول الاربعة آية عظيمة من آيات الله ومن آياته
ايضاً ان تقدر الليل والنهار بهذا القدر المعتدل الموافق للمصالح من الحكم
البالغة التي لا يقدر الانسان وصفها وشكرها فقد تبين ان في بعض مواضع الارض
الذي يكون القطب على سمت الرأس يكون طول السنة فيه يوماً وليلة ستة
اشهر فيه نهار وستة اشهر فيه ليل وهناك وكذا ما يقرب منه الى اواخر
الاقاليم المسكونة لا يتم النضج ولا تصلح المسكن للحيوان ولا يتهيأ فيهما شيء من
اسباب المعيشة ومن آيات اختلافهما لك ايضاً انتظام احوال العباد بسبب
طلب المكاسب والمعايش في اليوم وطلب النوم والراحة في الليل ومنها

كونها

كونهما متعاونين على تحصيل منافع الخلق مع ما بينهما من التضاد والتنافي وان
مقتضى التضاد بين الشيئين ان يتفاسدا الا ان يتعاونا على سبيل المصالح
ومنها اقبال الخلق في اول الليل على النوم يشبه موت الخلايق عند النفخة
الاولى في الصور وتيقظهم عند طلوع الشمس يشبه عود الحيوة اليهم عند النفخة
الثانية وهذا ايضاً من الآيات العظام الى غير ذلك من الآيات الدالة على — كتابه
الصانع البديع ولامر ما كرر الله في كتابه الكريم ذكر اختلاف الليل والنهار
في مواضع كثيرة ونبه في كل موضع ذكره على التأمل فيه والتبصر له والشكر عليه
للباري تعالى فقال في بيان كونه مالك الملك تولج الليل في النهار
وتولج النهار في الليل الآية وقال في القصص قل ارايتم ان جعل الله
عليكم الليل سرمداً الآية الى قوله افلا تبصرون وقوله ومن رحمته جعل لكم — لتسكنوا
الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وفي الروم
ومن آياته منامكم بالليل والنهار وفي لقمن الم تر ان الله يولج الليل
في النهار ويولج النهار في الليل وفي يس وآية لهم الليل نسلخ منه النهار
فاذا هم مظلمون وفي الزمر يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل
وفي المؤمن الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً وفي عم
وجعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشاً ومن لطايف صنع الله في
الليل والنهار ان انشقاق ظلمة الليل بظهور الصبح المستطيل وهو
اثر ضوء الشمس كانه جدول ماء صاف يسيل في ماء بحر كدر بحيث
لا يتكدر الصافي بالكدر ولا الكدر بالصافي واليه الاشارة بقوله فالق

الاصباح وهذا مثال انغلاق ظلمة العدم الامكاني بظهور نور الوجود المنبسط
على هياكل المهيات ويقال له النفس الرحماني من شمس عالم الوجود الذي
هذه الشمس مثال من مثل كبريائه وانموذج من انموذجات عظمته ونوره
وبهائه الفصل الرابع في ولايل الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وفيه
مباحث الاول في اللغة الفلك اصله من الدوران وكل مستدير
فلك وفلك السماء اسم لطبقات سبعة تجري فيها النجوم وفلكت الجارية
اذا استدار ثديها وفلكة المغزل من هذا والسفينة سميت فلكا لانها
بالماء اسهل دورا قالوا الفلك واحد وجمع واذا اريد به الواحد ذكر
واذا اريد به الجمع انث مثله قولهم ناقة هجان ونوق هجان وقال سيبويه
الفلك اذا اريد به الواحد فضمة الفاء فيه بمنزلة باء برد وحاء حرج واذا
اريد به الجمع فضمة الفاء فيه بمنزلة حاء من حمر وصاد من صفر فالضمتان
مختلفتا المعنى وان اتفقتا في اللفظ البحث الثاني في الفقه قوله تعالى
في صفة الفلك بما ينفع الناس دليل على جواز ركوب البحر على اباحة الاكتساب
والتجارة والانتفاع بها البحث الثاني في كيفية الاستدلال بها على وجود
الصانع وقدرته وذلك من وجوه احدها من جهة مادة خلقتها وهي الخشب
والحديد والطناب وغيرها فان السفن وان كان من تركيب الناس
الا ان الالات والمواد مما خلقها الله تعالى وقد علمت ان موجد الجسم لا يمكن
ان يكون جسما او جسمانيا وثانيها من جهة الرياح التي تجريها الى جهات مختلفة
حسب اغراض الناس ومراداتهم وعند عصفها الشديد هلكت وعند
علم

عدم عصفها ما جرت وثالثها لولا تقوية القلوب من ركوب هذه السفن
وترغيبها وتحريصها اليه لما تم الغرض من مصالح العباد ومنافعهم وتجاراتهم
وقد تبين ان القلوب بيده تعالى وان الارادات لا تنبعث الا من عالم
القضاء دفعا للتسلسل وما تشاؤن الا ان يشاء الله ورابعها انه خص
كل طرف من اطراف العالم بشيء معين محتاج اليه فاحوج الكل الى الكل
فصار ذلك داعيا يدعوهم الى اقتحام هذه الاخطار في هذه الاسفار
وخامسها كون ما يجري فيه الفلك اعني البحر متوسطا في اللطافة والخفة
لا الطف واخف مما كان فلا يحمل السفينة عليه ولا اكثف فلا تجري
فيه فان قلت كثير من خشب السفينة اثقل من الماء فكيف لا يغوص
في الماء سيما اذا شحن بالاثقال قلنا ههنا دقيقة وهو ان الاجسام
المتداخلة بعضها في بعض بمنزلة جسم واحد فلو فرض جسم السفينة من
حديد ولا شك انه عند انفراده واجتماع اجزائه يقع تحت الماء اذا
وقع فيه ولكن اذا صار ذا جوف كالحقة بل كالقصعة يدخله الهواء
وكان مع الهواء بمنزلة جسم واحد فالمعتبر في الرسوب الى الماء وعدم
ثقل المجموع بالقياس اليه والقاعدة الكلية ههنا هي انه اذا فرض مع
الماء جسم اخر فان كان بحيث نسبة حجمه الى حجم الماء كنسبة ثقله الى
ثقل الماء فلا يرسب فيه ابدا بل يكون سطحه العالي مساويا لسطح الماء
في العلو والسفل وان كانت نسبة حجمه الى حجم الماء اقل منها فيرسب
فيه البتة وبقدر تفاوت ثقله يكون سرعة حركته وبطؤها في النزول الى

كانت

التقعر وان كان اكثر فلا يرسب على الطريق الاول لكن يخرج منه شيء من الماء
بقدر الاكثرية بهذه النسبة يكون خروج المعاضة حتى يستوي في جميع النسب
التي يتصور بينهما فلم يبق نسبة بينهما لا عددية ولا صمية وذلك بان
لا يكون لذلك الشيء ثقل وميل الى المركز اصلا وعند ذلك يكون مماسا
له بنقطة ان كان كرة او بخط او سطح ان كان غيرها من الاشكال كل ذلك
اذا كان غير طالب للعلو والا فيرتفع منفصلا عن الماء الفصل الثاني
في شواهد الربوبية في قوله تعالى وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض
بعد موتها اعلم ان دلايل الالهية وشواهد الربوبية في خلق الماء وانزاله من
عالم السماء كثيرة والنظر ههنا اما في خلقه واما في انزاله من السماء واما
في حيوة الارض به فههنا مشاهد الاول في النظر في خلقه وذلك من وجوه
احدها بالنظر في نحو وجوده وهو جسم رقيق متصل الاجزاء كانه شيء واحد غير
قابل للكثرة والتقطيع وانه سريع القبول للتقطيع كانه منفصل متجز للبعض
قابل للانفصال بعد الاتصال وللاتصال بعد الانفصال منقاد مطيع
للاجزاء والنقل الى مواضع مختلفة بادنى سبب كما في قوله تعالى فسقناه الى
بلد ميت وثانيها في ان به حيوة ما في الارض من حيوان ونبات كما قال وجعلنا
من الماء كل شيء حي افلا يؤمنون فلو احتاج العبد الى العبد شربة ماء ومنع منها
لبذل جميع خزائن الدنيا لو ملكها في تحصيله واذا شربه فمنع من اخراجه فيبذل
جميع خزائن الارض في اخراجه فالعجب من الآدمي يستعظم الدينار والدرهم
ونفايس الجواهر ويغفل عن الله في شربة ماء اذا احتاج الى شربها او الاستفراغ

منها بذل

منها بذل جميع الدنيا فيها وثالثها في انه كما جعله الله سببا لحيوة الانسان جعله
سببا لرزقه ومادة لما يغتذي به واليه اشير بقوله وفي السماء رزقكم
ورابعها في نزوله من فوق وصعوده الى اعالي النبات والاشجار فيقول
القاصر النظر انه انما ينزل الماء لانه ثقيل بطبعه وانما هذا سبب نزوله
ويظن المغرور ان هذا معرفة لا مزيد عليها فيفرح به واذا قيل له ما معنى
الطبع وما سببه وما الذي خص جسمية الماء بهذا الطبع الذي يقتضي الثقل
دون ساير الاجسام مع اشتراكها في الجسمية وما الذي رقا المصبوب في
اسفل الاشجار مع هذا الطبع والثقل الى اعالي اغصانها فكيف هوى الى
اسفل ثم ارتفع الى فوق في داخل تجاويف الاشجار شيئا فشيئا بحيث ينتشر
في جميع الاوراق فغذا كل جزء من كل ورقة يجري اليه في تجاويف عروق
شعرية صغار يري منه العرق الذي هو اصل العرق ثم ينتشر من ذلك العرق
الكبير الممدود في طول الورق الى عروق صغار كثيرة عرضية وطولية فكان
الكبير نهر وما انشعب عنها جداول ثم ينشعب من الجداول سواقي اصغر
منها ثم ينتشر منها خيوط عنكبوتية دقيقة خارجة عن ادراك البصر حتى ينبسط
في جميع عرض الورق فيصل الماء في اجوافها الى ساير اجزاء الورق ليغذيه
وينميه ويبقي طراوته ونضارته وكذلك الى ساير اجزاء الفواكه فان الماء يتحرك
بطبعه الى اسفل فكيف يتحرك الى فوق من غير حامل او قاسر فتعلم ان للماء
محركا آخر خارجا عن الحس يسخره ويجذبه الى غاية اشرف من الماء وكذا
ينقل الكلام الى ذلك الجاذب ويسئل عن سببه وغاية فعله فينتهي بالآخرة

٢٨ الى خالق السموات والارض وجبار الملك والملكوت فكل ذلك شواهد متظاهرة
وآيات متناصرة ناطقة بلسان حالها مفصحة عن جلالة باريها معربة عن كمال
حكمته فيها منادية لارباب القلوب بنغماتها قائلة اما تراني وما ترى صورتي
وتركيبي وصفاتي ومنافعي واختلاف احوالي وكثرة فوايدي اتظن اني خلقت
بنفسي او خلقني احد من جنسي او فعلت هذه الافاعيل وما يترتب عليها من
المنافع بطبعي وذاتي او ما تستحي تنظر الى كلمة مرقومة في ثلثة احرف فتقطع ثلثة صح
انه صنعة آدمي عالم قادر مريد متكلم ثم تنظر الى عجايب هذه الخطوط المرقومة
على وجهي بالقلم الالهي الذي لا يدركه الابصار ذاته ولا حركته ولا اتصاله بمحل
الخط ثم ينفك قلبك عن جلالة صانعه وكذلك النطفة التي كانها قطرة ينفك صح
من الماء المتشابه الاجزاء يقول لمن له قلب او القى السمع وهو شهيد
لا الذي هم عن السمع لمعزولون توهمني في ظلمة الاحشاء مغموسا في
دم الحيض في الوقت الذي يظهر التخطيط والتصوير على وجهي فنقش النقاش
حدقتي واجفاني وخدي وشفتي فترى النقوش تظهر شيئا فشيئا على التدريج
ولا ترى داخل الرحم ولا خارجه احدا ولا خبر منها للام ولا للاب ولا للنطفة ولا للنطفة صح
ولا للرحم فما هذا النقاش افلم يكن باعجب ممن تشا بيده ينقش بقلمه صورة
عجيبة لو نظرت اليها مرتين او اكثر لتعلمه فهل تقدر على ان تتعلم هذا الجنس
من النقش الذي يعم ظاهر النطفة وباطنها وجميع اجزائها من غير ملامسة
النطفة ومن غير اتصال بها لا من داخل ولا من خارج فان كنت لا تتعجب
من هذه العجايب ولا تعلم ان الذي صور ونقش هذه النقوش والاشكال

والصور

والصور والامثال مما لا شبه له ولا ند ولا شريك ولا ضد كما
ان صنعه ونقشه لا يساويه نقش وصنع فبين الفاعلين من
التباعد والمباينة كما بين الفعلين فعدم تعجبك وغفلتك عن هذا
اعجب من كل عجيب فان الذي اعمى بصيرتك مع هذا الوضوح و
منعك اليقين مع هذا البيان جدير بان يتعجب منه فسبحان من هدى
واضل واغوى وارشد وفتح بصاير احبائه فشاهدوه في جميع ذرات
العالم واجزائه واعمى قلوب اعدائه واصمهم فقال فيهم صم بكم عمي فهم
لا يعقلون فله الحق والامر لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه **المشهد الثاني**
في سبب انزاله من السماء قال بعض الطبيعيين ومن يجري مجراهم
ممن قصر نظره في الامور على الطبيعة الجرمية ولم يرتفع الى ملكوت
السماء فكيف الى من سخر الشمس والقمر والنجوم لما شاء واراد ان
الشمس تؤثر في الارض فيخرج منها ابخرة متصاعدة فاذا وصلت
الى الجو بردت وتكاثفت اجزاؤها فثقلت فرجعت من فضاء المحيط
الى ضيق المركز ثم تواصلت الاجزاء الرشية فتقاطرت نازلة الى الارض
فهذا غاية مبلغهم من العلم والذي ذكروه وان كان له وجه الا انه لا مانع
عند العارف البصير من ان يكون ابتداء نزول الماء من جوهر السماء
فقد يكون للشيء الواحد اكوان مختلفة ونشآت متعددة بعضها اعلى
وارفع من بعض فمبدأ انشاء السحاب وتكوين الامطار انما هو من
عالم السماء وبامر الله وحكمته بواسطة الملائكة العلوية السماوية والسفلية

49 الارضية من المدبرات والسابقات والزاجرات التي لا يعلم تفاصيلها
الا الله لكن الراسخون في العلم يؤمنون بها ويعرفون مجملاتها ومقاماتها
في الوجود وتفاضلها في الشرف والعلو وليس حال من قصر نظره في
الماء على هذه الطبيعة الدنية وعمي قلبه عن ملاحظة ما فوقها بادون
واخس وفي مهوى الجهالة اهبط من حال من زعم ان الماء بهذه الطبيعة
والصفة كان موجودا قبل نزوله في السماء وان الايمان بالفاعل المختار
لا يتم الا بهذه الاعتقادات السخيفة والآراء العامية لرفضهم طريق الحكمة
وخمود ذهنهم وجموده على المحسوس وكسالتهم عن الرياضة والفكر و
الطلب لانغمارهم في اغراض البدن وسعاداته بل عند الانصاف
من نظر الى سمت المطلوب ووضع خطوة او قدما من عتبة بيته
الى الطريق المستوي فهو احسن حالا من الذي انجمد في مقامه الاول
ابدا ولم يخرج من بيته مهاجرا او خرج وضل وانحرف يمينا وشمالا
بل خلفا وان لكل علم ومعرفة بابا مخصوصا وقد قال تعالى وآتوا البيوت
من ابوابها المشهد الثالث في كيفية حيوة الارض بالماء وهي من وجوه الاول
ان الارض فيها قوة الحيوة الحيوانية والنباتية وان كانت القوة بعيدة
بالقياس الى الحيوانية فاذا انزل الله عليها الماء ظهرت عنها العشب و
الكلاء وما شاكلها التي بها تعيش وتحيي دواب الارض وثانيها ان
الارض بما فيها من الحيوان والنبات بمنزلة حيوان واحد يموت عند
الجدب او الشتاء ويحيي هو او مثله عند الخصب والربيع وثالثها انه

يحصل

يحصل للارض بسبب النباتات واوراق الاشجار وازهارها و
انواع الرياحين والوانها حسن ونضرة تبتهج الناظرين فهذه حيوتها
بعد موتها وعلى اي هذه الوجوه ففيها آيات وشواهد على وجود الصانع
وحكمته ولطفه وجوده وكرمه منها نفس الزرع والانبات على الحد
الذي تحتاج اليه الخلايق في اوقات معلومة ومنها اخراج انواع
مختلفة من النبات وفنون متغايرة من الاشجار والاثمار من حب
وعنب وقضب وزيتون ونخل ورمان وفواكه كثيرة مختلفة الاشكال
والالوان والطعوم والروايح يفضل بعضها على بعض في الاكل مع انها
تسقى جميعا بماء واحد وتخرج من ارض واحدة فان قلت سبب اختلافها
اختلاف حبوبها وبذورها قلنا بل ذلك يكفي في ترتب هذه الآثار
بل اختلاف الحبوب قريب من التشابه في الجوهر والصورة فكيف
تصير بهذا الاختلاف موجبة لهذه الانواع المتباعدة في الصور الجوهرية
والكيفيات فهل كان في النواة نخلة مطوقة بعناقيد الرطب وهب
ان اختلافها من المرجحات الكلام في فاعل وجود هذه الانواع المختلفة
وكيفياتها ومنافعها وغاياتها فانظر الى اختلاف طبايع النبات و
اصنافها وكثرة منافعها وكيف اودع في العقاقير المنافع الغريبة فهذا يغذي
وهذا يقوي وهذا يحيي وهذا يقتل وهذا يبرد وهذا يسخن وهذا يسهل الصفراء
وهذا يقمع البلغم وهذا يولده وهذا يدفع السوداء وهذا يزيدها وهذا
يستحيل دما وهذا يطفيه وهذا يسكر وهذا ينوم وهذا يفرح وهذا يقوي

70 وهذا يضعف ولو اردنا ان نبين اختلاف النباتات ومنافعها واحوالها
وعجايبها انقضت الايام في وضعها ويكفيك من كل جنس نبذة يسيرة
يدلك على دقايق صنع الله ولطايف رحمته الفصل السادس في قوله تعالى
وبث فيها من كل دابة ان من آيات الله العظيمة وجود الحيوانات
المختلفة المتفرقة على وجه الارض وانقسامها الى ما يطير والى ما يمشي و (على صح)
انقسام ما يمشي الى ما يمشي على رجل والى ما يمشي على رجلين والى
ما يمشي على اربع وعلى عشرة وعلى مائة ثم انقسامها في المنافع والاشكال
والاخلاق والطباع وكذا انقسامها في درجات الوجود شرفا وخسة (وكذا صح)
فبعضها مما يقرب درجته درجة النبات فليس فيه مبداء حركة وحس
الا حركة ضعيفة على وجه الانقباض والانبساط وحسا لمسيا ضعيفا
واللمس ادون الحواس اذ لا يدرك الا بالمباشرة وبعضها درجته
ارفع قليلا فله حاستان او ثلث كاللمس والذوق والشم ولا سمع
له ولا بصر كالعقرب ولبعضها الحواس الخمس الظاهرة وليس له حس
باطن فليس له ذكر ولا فهم وهكذا هي متدرجة في الوجود الى آخر طبقة تقرب
ادنى طبقات الانسان كالقردة ونحوها وهكذا يتفاوت افراد الانسان
في الشرف والكمال الى ان يبلغ رتبة الملئكة المقربين وهذا التفاوت
في الخلق والتدرج في القرب اليه تعالى من اعظم الدلايل والبراهين على
ان في الوجود موجودا كاملا غاية الشرف والنور والبهاء يتوجه اليه الاشياء
ويتقرب اليه طبعا وارادة على مراحل ومنازل متفاضلة متوسطة من ادنى
الموجودات

الموجودات واعلاها ثم انظر الى عجايب صنعها وخلقتها لترى فيها من العجايب
ما لا يشك معها في عظمة باريها وحكمة صانعها ومنشيها وكيف
يمكن ان يستقصى ذلك بل لو اردنا ان نذكر عجايب البقلة
او النملة او النحل او العنكبوت وهي من صغار الحيوانات في بناء
بيتها وفي جمعها غذائها وادخارها له وفي الفها لزوجها وفي حذقها (جمعها صح)
في هندسة بيتها وفي هدايتها الى حاجتها لم نقدر عليه افترى ان العنكبوت (العنكبوت صح)
يعلم هذه الامور ويهتدي بهذه الصنعة التي تراه في بناء بيته على هذا
الوجه من نفسه او هو الذي كون نفسه او كونه آدمي وعلمه او لا هادي
ولا معلم افيشك ذو بصيرة في انها مسكينة عاجزة ضعيفة بل الفيل
العظيم شخصه الظاهر قوته عاجز عن امر نفسه فكيف هذا الحيوان الضعيف
افلا يشهد هو وصورته وهدايته وعجايب صنعه لفاطره الحكيم وهذا الباب
لا حصر له فان الحيوانات واشكالها واختلافها وطبايعها غير محصورة
وانما سقط التعجب منا لكثرة المشاهدة ولو لم يكن فيها من عجايب الخلقة
وغرايب الصنعة الا حركتها الى الجهات سيما الفوق مع كمال ثقلها
كالفيل يمشي الى فوق من غير تعلق بجسم آخر يحركه اليه ولا دعامة من تحت
ولا حبل من فوق لكانت اعجب من كل عجيب حيث ان الهمة والارادة
وهي امر روحاني يحرك جسما ثقيلا الى فوق او يمسكه في الجو كما في الطير
فما ذلك الا بامر الله وحكمته وجعله الروحانيات واسطة في ايجاد
الجسمانيات وتحريكها وتدبيرها قال او لم يروا الى الطير فوقهم صافات

٧١ ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن والانسان من جملة الحيوانات اعجب حكمة الحيوانات لاصح
منها واكثر دلالة على وجود خالقه وصانعه لان فيه انموذج جميع ما في على لاصح
العالمين الملك والملكوت فكانه نسخة مختصرة من كتاب الله الكبير
فان العالم كله كتاب كبير جامع لجميع المعلومات والله منشئه ومصنفه
ومبدعه والانسان من حيث نشأته الظاهرة كتاب صغير منتخب
من ذلک الكتاب واما بحسب نشأته الباطنة ومن حيث كماله واحاطته
بالمعلومات الكلية والجزئية وادراكه المدركات العقلية والحسية فهو
كتاب كبير كالعالم بل اكبر منه وقد نقل عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال
وانت الكتاب المبين الذي باياته يظهر المضمر وتزعم انک جرم صغير صغير لاصح
وفيک انطوى العالم الاكبر فالصورة الانسانية هي اعظم آيات الله
وهي اكبر حجته على خلقه لانه الكتاب الذي كتبه بيده وهي المسجد وهي لاصح
الجامع الذي بناه بحكمته وهي المختصرة من اللوح المحفوظ وهي الشاهدة
على كل غايب والحجة على كل جاحد وهي صراط الله المستقيم الممدود
بين الجنة والجحيم فاقرب شيء اليک نفسک وفيک من العجايب الدالة
على عظمة الله ما تنقضي الاعمار في الوقوف على عشر عشيرها وانت
غافل عنه طول عمرک فيا من هو غافل عن نفسه وجاهل به كيف يطمع
في معرفة ربه وقد امرک الله بالتدبر والتامل في نفسک في كتابه
العزيز فقال وفي انفسكم افلا تبصرون وقال نبيک صلى الله عليه
وآله من عرف نفسه فقد عرف ربه وقد نبهک الله في مواضع من
القرآن

القرآن على كيفية خلقک واطوار وجودک ونشأت نفسک لتتدبر
وتتامل في نفسک وفي اطوارک ونشأتک لتعلم انک ستحشر وتبعث
في نشأة اخرى وتعود اليه تعالى كما انک منه مبداء وجودات و وجودک لاصح
حدوثک على التدريج وذكر انک مخلوق من نطفة قذرة فقال الم
يک نطفة من مني يمنى وقال قتل الانسان ما اكفره من اي شيء
خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء
انشره وقال في موضع آخر ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم
بشر تنتشرون تنبيها على ان حال اول نشأته اخس من النطفة وهو
التراب ثم قال تنبيها على انه في بداية امره كان ادنى من كل شيء حيث
كان معدوما منفيا بل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا
مذكورا فكان اولا ممكنا محضا او قوة استعدادية صرفة غير موجودة بالفعل
كالهيولى ونحوها واول صورة كساها الله له ونشأة افادها اياه بعد
صورة العنصرية هي صورة النطفة فقال انا خلقنا الانسان من نطفة
امشاج ثم جعل النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة لحما واللحم
ذا عظام وهكذا انشأه نشأة بعد نشأة ونقله في اطوار الخلقة طورا
فوق طور الى ان جعله خلقا آخر خارجا عن هذا العالم الجسماني المشهود
بهذا الحس وقد اشار الى هذا التدريج في الوجود والتعرج من هذه
الدار الى دار الشهود والمقام الموعود في مواضع متعددة من القرآن
مثل قوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة

72 في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً
فكسونا العظام لحماً ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله احسن الخالقين
ثم قال ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيمة تبعثون اشارة الى اطوار
النشأة الاخرى من حين الموت الى حين البعث فان الموت ليس عبارة
عن عدم الانسان بل عن بطلان قالبه فخرج روحه منه قائمة بذاتها دون
افتقارها بهذا البدن فلها بعد هذه النشأة نشآت كثيرة في القبر والبرزخ
وعند العرض والحساب والميزان والصراط الى ان يدخل الجنة او النار
ولاجل وجوب هذا التبدل الوجودي واشتراط تحققه في دخول
عالم القدس والجنة قال تعالى ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم كلا انا
خلقناهم مما يعلمون اشارة الى ان المخلوق من هذه الاجسام المحسوسة
الكثيفة كالنطف وغيرها لا يستحق دخول الجنة الا ان يتحول ويتبدل و
يتوارد عليه الامثال حتى يصير متأهلاً لدخولها ولذلك عقب هذا الكلام
بقوله فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل
امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون فقوله ما لا تعلمون اشارة الى عالم الملكوت
المفارق عن ادراك الحواس ويقال له عالم الغيب كما يقال لهذا العالم
عالم الشهادة وكذا قوله تعالى فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون المراد
بهما هذا العالم وعالم الآخرة فهذا باب من ابواب معرفة الانسان الذي
معدود من افراد الحيوانات يثبت من هذا الباب النشأة الآخرة و
كون التقرب اليه تعالى غاية نشأته وكمال وجوده وخلقته بل وجود النفس

الانسانية

الانسانية مفتاح خزاين معرفة الله تعالى واكثر الخلق غافلون عنها معرضون
عن آيات الله التي فيها كما قال تعالى وكاين من آية في السموات والارض
يمرون عليها وهم عنها معرضون الفصل الرابع في دلايل تصريف الرياح الرياح
جمع الريح اسم على وزن فعل وعينه واو قلبت في الواحد وجمع الكثرة
ياء وجمع القليل ارواح اذ لا شيء فيه يوجب الاعلال الا ترى ان سكون
الواو في نحو قوم فرعون وقول لا يوجب اعلاله وقلبه الفاً واما في جمع الكثرة
رياح فانقلب ياء لكسرة ما قبلها قال ابن الانباري انما سميت ريحاً
لان الغالب عليها في هبوبها المجي بالروح والراحة وانقطاع هبوبها يكسب
الغم والكرب فهي مأخوذة من الروح والدليل على ان اصلها الواو قولهم
في الجمع ارواح اما النظر في مهية الريح ودلايل الحكمة فيها فاعلم انها الهواء
اللطيف المحبوس بين المقعر الاثير والسماء وبين محدب الارض يدرك
بحس اللمس عند هبوب جسمه ولا يرى شخصه وجملته مثل البحر الواحد و
الطيور محلقة في جو الهواء سباحة فيها باجنحتها كما تسبح حيوانات البحر
في الماء ويضطرب جوانبه وامواجه عند هبوب الرياح كما يضطرب امواج
البحر فاذا حرك الله الهواء وجعله ريحاً هابة فان شاء جعله بشراً بين يدي
رحمته كما قال وارسلنا الرياح لواقح فيصل بحركته روح الهواء الى جسمية
الحيوان والنبات فيستعد للحيوة وان شاء جعله عذاباً على الكفرة و
العصاة كما قال انا ارسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر تنزع الناس
كانهم اعجاز نخل منقعر فاذن وجودها آية ومنافعها آية كل منها بوجه اما

بين الفصل الرابع

دفع ترتيبه وحركته آيتم

٧٤

الوجود فانّ الهواء مركّب من مادّة وصورة لا يستغني كلّ منهما عن صاحبتها فهما متلازمتان والتلازم تقتضي امّا عليّة احدهما ومعلوليّة الآخر وامّا كونهما معًا معلولي علّة خارجة عنهما لكنّ الاوّل باطل لانّ تلك العلّة لا يمكن ان يكون هي المادّة لانّ المادّة شأنها القبول والقابل لا يكون علّة مقتضية ولا الصّورة علّة لها لانّ الصّورة لا تفعل الّا بواسطة المادّة لما مرّ انّ الايجاد بعد الوجود فالمحتاج الى شيء في الوجود محتاج اليه في التأثير والّا لكان مجرّدا عنه هف فاذن لا تأثير للصّورة في وجود ما يفتقر اليه في التأثير اعني المادّة فهما جميعا مفتقرتان الى خارج لا يكون جسمًا والّا لعاد الكلام اليه لتركّبه ايضًا منهما ولا جسمانيًّا كالصّور والنفوس كما علمت او الاعراض وهو ظاهر فاذن علّته مبداء قديم حكيم متقدّس عن الكون في العالم او التعلّق بما فيه وامّا حركتها وانصرافها فلانّ هذه الحركة الى الجوانب ليست طبيعيّة لانّها امّا الى المركز او من المركز وهذه قد تكون على المركز وليست قسريّة اذ ينقل الكلام الى حركة القاسر حركة على الوجه الّذي يؤدّي الى هذه الحركة فيكون لا محالة جسمًا لطيفا متحرّكا كالهواء وليست ايضًا ارادية اذ ليست الّا للطبيعة للهواء ارادة حتّى يكون حركتها ارادية فبقي ان يكون سبب حركتها امر نازل من جانب السّماء المسخّرة في حركاتها لعالم القضاء كما قد علمت فيما مرّ فالله سبحانه يهيّج الرّياح كيف يشاء بامره لملكة الهواء وبتوسّط امره لملكة السّموات وامّا منافعها فمنها انّ الهواء مادّة للنّفس الضّروري الّذي لو انقطع لحظة عن الحيوان لمات وقد قيل انّ كلّما كانت الحاجة اليه

الشد

اشدّ كان وجدانه اسهل واحتياج النّاس الى الهواء اشدّ الحاجات واعظمها بحيث لو انقطع عنه لحظة لمات لا جرم كان وجدانه اسهل من وجدان كلّ شيء وبعد الهواء الماء لانّ الحاجة اليه وان كانت شديدة اذ به حيوة كلّ شيء الّا انّها ليست كالحاجة الى الهواء فلا جرم وجود الهواء اسهل من وجود الماء لانّ الماء لا بدّ في جذبه او اخذه من تكلّف الاغتراف بخلاف الهواء فانّ الالات المهيّئة لجذبه حاضرة ابدًا ومنها انّ الهواء مادّة لخلقة النبات وغيره الّتي يحتاج اليها الانسان في الاغتذاء والدّواء ومنها انّ الهواء لو لم يكن في فرج الاجسام الغذائيّة وغيرها لتعفّن وفسد سريعًا كما يدلّ عليه التجربة وكان فسادها يؤدّي الى فساد الانسان والحيوان ومنها غير ذلك من المنافع الّتي بعضها ظاهرة وبعضها يظهر بالتّأمّل فانظر ايّها العاقل الى عجايب الجوّ فيما يظهر فيها من الغيوم والرّعود والبروق والامطار والثّلوج والشّهب والصّواعق وفي اسباب تكوّنها المنبعثة من انوار السّماء واوضاعها وحركاتها وقد اشار القرآن الى جملته بقوله وما خلقنا السّموات والارض وما بينهما لاعبين واشار الى تفاصيله في مواضع شتّى حيث تعرّض للرّعد والبرق والشّهاب والمطر وغيرها فيا ايّها الرّجل المدّعي للانسانيّة ان لم يكن لك حظّ من هذه الجملة الّا ان ترى المطر بعينك وتسمع الرّعد باذنك فالبهيمة تساويك في هذه المرتبة فارتفع من حضيض عالم البهائم الى عالم العقل والملاء الاعلى فكما فتحت عينك فادركت ظاهر هذه الصّور فاغمض عينك الظّاهرة وانظر ببصيرتك الباطنة لترى عجايب باطنها وغرايب

الاغتراف من الكيزان

لاعبين

٧٣ اسرارها فهذا ايضا تطول الفكر فيه ويؤول منه الى الملكوت وعجايبه

الفصل الثامن

في حكمة قوله والسحاب المسخر بين السماء والارض سمي السحاب سحابا
لانسحابه في الهواء ومعنى التسخير في اللغة التذليل وانما سماه مسخرا لوجوه
احدها ان طبع الماء ثقيل لبرده يقتضي النزول فكان بقاؤه في الجو خلاف
الطبع فلا بد من قاهر فوقه وهو اما قاسر او مسخر والفرق بينهما عند الحكمة ان المؤثر
في شيء خلاف مقتضاه ان كان امرا خارجا عن ذاته مباينا له في الوضع
فهو قاسر وان كان امرا مقوما له فهو مسخر وقد مر ان حركة مثل هذه الاجسام
على هذا الوجه ليست بالقسر فيكون بالتسخير فيدل على وجود فاعل علوي
لاغراض كلية وثانيها انه لو دام السحاب لعظم ضرره حيث يستر ضوء
الشمس ويكثر الامطار وتبتل المركبات فتفسد ولو انقطع لعظم ضرره لانه
يفضي الى القحط فيهلك المواشي والانسان فكان تقديره بالمقدار المعلوم
للمصلحة فهو مسخر والمسخر هو الله سبحانه بتوسيط محرك باطن غير محسوس
يأتي به في وقت الحاجة ويرده عند زوالها وثالثها ان السحاب لا يقف
في موضع معين بل يسوقه بواسطة تحريك الرياح الى حيث اراد وشاء
فذاك معنى التسخير فهذه الوجوه دلت على كونه مسخرا وعلى وجود ما سخره
لهذه المصالح التي بعضها ظاهر وبعضها خفي يعرفه العارفون فتأمل ايها
العاقل المتفكر في السحاب الكثيف المظلم كيف تراه يجتمع في جو صاف
لا كدورة له وكيف يخلقه الله اذا شاء ومتى شاء وهو مع رخاوته حامل
للماء الثقيل وممسك في جو السماء الى ان يأذن الله في ارسال الماء وتقطيع

القطرات

القطرات كل قطرة بالقدر الذي اراد الله تعالى وعلى الشكل الذي شاء
فترى السحاب يرش الماء على الارض ويرسله قطرات متفاصلة لا تدرك
قطرة منها قطرة ولا يعلم عددها الا الذي اوجدها ثم كل قطرة منها عينت
لجزء من الارض ولحيوان معين فيها من طير ووحش ودود مكتوب عليها
بخط الهي لا يدرك بالحس انه رزق الدودة الفلانية في الموضع الفلاني في
الوقت الفلاني هذا مع انعقاد البرد الصلب من الماء اللطيف وفي تناثر
الثلوج كالقطن المندوف من العجايب التي لا تحصى كل ذلك عناية من الله
ورحمة منه فهذه هي وجوه الدلايل والآيات المتعلقة بهذه المخلوقات
الثمانية على وجه الاختصار لان في كل ما ذكر وجوه اخرى من المعارف
والعلوم في كل منها ابحاث كثيرة حكمية تستمد من بحار الحكمة الالهية و
اما قوله لآيات لقوم يعقلون فالمراد ان في كل من المذكورات آيات
كثيرة والدليل على هذا من وجوه احدها ان كل واحدة من هذه الآيات
تدل على مدلولات كثيرة فهي من حيث وجودها تدل على وجود الصانع
ومن حيث حدوثها في وقت معين تدل على ارادته وعلمه بالجزئيات
ومن حيث منافعها تدل على حكمته واتقان صنعه ومن حيث ارتباط بعضها
ببعض على وجه الانتظام والتعاون تدل على وحدانيته وثالثها ان كل
واحد من الامور الثمانية اجسام عظيمة بعضها مركبة من اجسام كثيرة وبعضها
كالفلك مركب من مادة وصورة ونفس وعقل فكل واحد من اجزائها
وتركيبها وصفاتها له دلالة اخرى غير دلالة ما عداه ورابعها ان الباري

المشهد الثالث

جل اسمه ذكر كلا من هذه الامور في مواضع كثيرة من القرآن تفخيما لشانها سيما
الافلاك وعجايبها فدل على ان في كل منها آيات كثيرة لاولي الالباب والله
اعلم بالصواب المشهد الثالث في التنبيه على ان المذكور في الآية المنقولة مما جعله الله
دليلا على معرفته ولذلك ذكره في مواضع اخرى من كتابه العزيز قوله عليه السلم بان هذا
قد جعل الله ذلك اي قوله تعالى في الآية المذكورة او ذلك المذكور او ذلك الكلام
دليلا على معرفته بان لهم مدبرا وقد علمت ان كلا من الموجودات الثمانية مشتمل
براسه على الدلايل كما بيناه فلاجل ذلك اورد عليه السلم آيات اخرى ذكرت
هذه الامور فيها على وجه التفصيل بان ذكر الله تعالى بعضا في آية وبعضا في اخرى
ثم نص على كل بعض مذكور في آية على الانفراد والاستقلال بان فيه آيات لاهل
العقل والفكر قوله عليه السلم فقال وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم
مسخرات بامره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون فنقول المذكور في هذه الآية
بعض من المذكورات الثمانية في الآية السابقة على وجه فيه تفصيل او اعتبار جهة
اخرى وهو امران احدهما تسخير الليل والنهار فذكرها هناك من جهة الاختلاف وقد
علمت وجه دلالتها من تلك الجهة واما ههنا فباعتبار التسخير وذلك لانهما اجزاء الزمان
الواحد المتصل والزمان مقدار حركة دورية غير مستقيمة فالحافظ للزمان لابد ان
يكون جسما كريا ابداعيا وهو السماء فدل وجودها على السماء ودلالة السماء
على خالق الاشياء مما قد علمت وفي دلالتهما على هذا المطلب وجوه اخرى لا نطول
الكلام بذكرها روما للاختصار وثانيهما كون الشمس والقمر والنجوم مسخرات وهذا تفصيل
قوله هناك ان في خلق السموات فان الكواكب من جملة السموات لانها مركوزة

فيها كالاجزاء لها واعلم ان من الآيات العظيمة ملكوت السموات وما فيها
من الكواكب وهو الامر كله ومن ادرك الكل وفاته عجايب السموات و
ملكوته فقد فاته الكل تحقيقا فالارض والبحار والهواء وكل جسم سوى السموات
بالاضافة الى السموات كقطرة في بحر واصغر منها لست اقول بحسب الكمية
والمساحة فقط بل بحسب الكيفية ايضا اعني شرافة الوجود وقوة الفعلية
كما بحسب الكمية على النسبة المذكورة فانظر كيف عظم الله امر السماء
والنجوم فكم من آية ذكرها الله فيها بل ما من سورة من الطول والاكثر القصار
الا ويشتمل على تفخيمها في مواضع وكم من قسم اقسم الله بها في القرآن
كقوله والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب وقوله والشمس
وضحيها والقمر اذا تليها وقوله فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس والنجم اذا هوى
فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم فكيف ظنك بما اقسم الله
به واحال الارزاق اليها فقال وفي السماء رزقكم واثنى على المتفكرين فيه فقال
ويتفكرون في خلق السموات والارض وامر بالنظر اليه والتفكر فيه في كثير
من الآيات وذم المعرضين عنه فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم
عن آياتها معرضون فاي نسبة لجميع البحار والارض والهواء الى السماء
وهذه متغيرات على القرب وهي صلاب شداد ومحفوظات الى ان
يبلغ الكتاب اجله ولذلك سماها الله تعالى وبنينا فوقكم سبعا شدادا
وقال ءانتم اشد خلقا ام السماء ثم ان الله زينها بالمصابيح ولقد زينا

محفوظا وقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا و
قال حفظا من كل شيطان رجيم و
قال ابتغاء [illegible]

السماء الدنيا بمصابيح وبالقمر وجعل القمر فيهن نورا وبالشمس وجعل الشمس سراجا
وبالعرش رب العرش العظيم وبالكرسي وسع كرسيه السموات والارض
وباللوح في لوح محفوظ وبالقلم ن والقلم وبالقضاء فقضيهن سبع سموات
وبالقدر وقدره منازل وبالوحي والامر واوحي في كل سماء امرها وبالحكمة حيث
ذكر ان خلقها مشتمل على غايات صحيحة واغراض عظيمة ربنا ما خلقت هذا باطلا
وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا وجعلها ايضا
مصعد الاعمال ومهبط الانوار وقبلة الدعاء ومحل الضياء والسناء وجعل
الوانها احسن الالوان وهو المستنير واشكالها افضل الاشكال وهو المستدير
ونجومها رجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر و
بالنجم هم يهتدون وقيض للشمس طلوعا فسهل معه التقلب لقضاء الاوطار في
الاقطار وغروبا يصلح معه الهدو (الرقدة) والقرار في الاكناف لتحصيل الراحة وانبعاث
القوة وتنفيذ الغذاء الى الاعضاء وايضا لولا طلوع الشمس لانجمدت المياه و غلبت
البرودة والكثافة وافضت الى خمود الحرارة الغريزية ولولا الغروب لحميت
الارض حتى يحترق كل من عليها من انسان وحيوان فهي بمنزلة سراج واحد يوضع
لاهل كل بيت بمقدار حاجتهم ثم يرفع عنهم ليستقروا ويستريحوا فصار النور
والظلمة على تضادهما متظاهرين على ما فيه صلاح قطان الارض واما ارتفاع
الشمس وانحطاطها فقد جعله الله سببا لاقامة الفصول الاربعة كما مر واما
القمر فهو تلو الشمس وخليفتها وبه يعلم عدد السنين والحساب ويضبط المواقيت

الشرعية ومنه يحصل النماء والرواء وقد جعل الله في طلوعه وغروبه مصلحة وكذا
في تشكلاته المختلفة وسائر احواله من الاستقامة والسرعة والبطء كما علم من
علم الهيئة وكذلك الامر في حكمة خلق النجوم وعجائب اشكالها وصورها
ومقاديرها ومواقعها المختلفة وقد اشرنا سابقا الى ان وجودها بقدرة الله
وان حركاتها الوضعية والمكانية الدورية بتسخير الله وامره ووجه عبودية
وطاعة له ثم يترتب عليها منافع عظيمة في المخلوقات الارضية قال الجاحظ
اذا تاملت هذا العالم وجدته كالبيت المعد فيه كل ما يحتاج فالسماء
مرفوعة كالسقف والارض ممدودة كالبساط والنجوم منضودة كالمصابيح
والانسان كمالك البيت المتصرف فيه وضروب النبات مهياة لمصالحه
وصنوف الحيوان متصرفة في منافعه واعلم ان التفكر والتدبر في السموات متوفر
وما فيهما من الكواكب على وجهين احدهما ما يتعلق بظاهر اجرامها واعظامها و اشكالها
واوضاعها وهيئاتها وحركاتها وما يترتب عليها من المنافع الحكمية وهذا العلم
مما اعتنى بادراكه علماء الهيئة والهندسة والطبيعيون كل منهما من جهة اخرى والكلام
فيه طويل لا يليق بهذا الموضع وثانيهما ما يتعلق بملكوتها ونفوسها المحركة والملائكة
المدبرة اياها تدبيرا الهيا والمعتنون بهذا العلم هم الحكماء الالهيون والعرفاء الراسخون
فيعرفون ان لكل كرة من السماء ولكل كوكب منها ملكين محركين له لا اقل منها
احدهما من المقربين الذين في الصف الاعلى من صفوف الملائكة ولا تعلق لهم
بهذا العالم وانما يحركون الكواكب والاجرام على سبيل الغاية كما يحرك المعشوق
العاشق او على سبيل افادة المحرك القريب والثاني من الملائكة المدبرين

77 النازلين في عالم السماء ويعلمون ان دوراتها عبادات وطاعات لله سبحانه
وان حركاتها صلوات وتسبيحات ولكل منها في تعبده الدايم تشوق اليه وتعشق
وله في كل حركة ودورة تقرب خاص اليه ونيل وصال وروح اتصال مخصوص
ليس قبلها ولا بعدها ولها في كل لحظة حشر جديد اليه فهي من حيث دنياها ونشاتها
الكونية دائمة التبدل والاستحالة وضعاً وجوهراً بتوارد الامثال ومن حيث
ملكوتها وصورتها العقلية الموجودة عند الله المخزونة في علمه الثابتة في عالم قضائه
مصونة عن التبدل محفوظة عن المحو والتغير فصورتها النفسانية كتاب المحو
والاثبات وصورتها الروحية العقلية اللوح المحفوظ كما في قوله يمحو الله ما يشاء
ويثبت وعنده ام الكتاب فهذا علم شريف من العلوم المتعلقة بعجايب فطرة
الافلاك والكواكب اعظم ما يصل اليه فكر الآدمي ولا يمكن الا بالهامه تعالى ولطفه
وجوده فانظر ايها العاقل الفهيم الى ملكوت السماء لترى عجايب ما فيها ولا تظنن
ان معنى النظر الى الملكوت بان تمد النظر اليه فترى زرقة السماء وضوء الكوكب
ورفعتها فان البهايم تشركك في هذا النظر فان كان المراد هذا فلم مدح الله خليله
عليه السلم به بقوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت فاطل ايها العاقل فكرك في الملكوت
السموات لح
اولاً فعسى ان يفتح على قلبك ابواب السماء فتجول بقلبك في اقطار ملكوتها
فتنتقل من بعضها الى بعض وترتفع من تحتها الى فوق الى ان تقوم بقلبك
بين يدي عرش الرحمن فعند ذلك يرجى لك ان تبلغ رتبة الاقصى ولا يكون
الا بعد مجاوزة الادنى وادنى شيء اليك نفسك التي انت بها انت
ودونها مرتبة الطبع التي دون مرتبة النفس وبعدها مرتبة العقل الذي
فوق

فوق النفس ودون الباري جل اسمه وهذه الثلثة من الملكوت الاسفل و
والاوسط والاعلى ولا بد للسالك الى الله تعالى من حضيض البشرية الى
عالم الربوبية ان يقع له في سيره المرور على هذه الانوار الثلثة التي مثالها الشمس
الشمس لح
والقمر والنجوم فهي بوجه منازل للسالك الى مطلوبه وبوجه آخر حجب منه عن
مطلوبه ما لم يقطعها لم يصل الى عالم الوحدة فالكوكب مثال للطبيعة والقمر مثال
للنفس والشمس مثال للعقل فان لله سبعين حجاباً من نور ولا يصل السالك
الى واحد منها الا ويظن انه قد وصل واليه الاشارة بقول ابراهيم عليه السلم
في قصته المشهورة المذكورة في القرآن وليس المعني بها هذه الاجسام المضيئة
فانه كان يراها في الصغر ويعلمها ويعلم انها ليست آلهة وكثير من جهال الناس
يعلمون انها ليست آلهة فمثل ابراهيم على نبينا وعليه السلم لا يغره الكوكب وصغر
المنيرات الحسية هو الكوكب فاستعير لفظ الكوكب لاصغر الانوار الملكوتية
وهي متكثرة حسب تكثر الاجسام الطبيعية متفاوتة والكواكب ايضاً متكثرة واعظمها
الشمس فاستعيرت لاعظمها وهو العقل والعقل المفارق واحد عندنا ومع
وحدته عين الاشياء كلها وبينهما رتبة القمر استعير للنفس والقمر واحد بالذات
كثير بالاشكال والمنازل كذلك النفس واحدة من جهة العقل كثيرة من حيث الطبيعة
فلم يزل شيخ الانبياء عليهم السلم لما اري ملكوت السموات لقوله تعالى وكذلك نري
ابراهيم ملكوت السموات والارض كان يصل من نور الى نور ويتخيل اليه في اول
ما يلقاه انه وصل ثم ينكشف له ان ما وراءه امر اجل منه فيترقى اليه حتى وصل الى
الحجاب الاقرب الذي لا حجاب بعده ولا وصول الى ما وراءه قال هذا اكبر فلما

ظهر انه مع عظمته وشدة نوريته غير خال عن الافتقار الى المبدء والتسخر له وعن الهوى
في حضيض القصور عن درجة الكمال الاقصى قال لا احب الافلين انى وجهت وجهي
الآية وسالك في هذا الطريق قد يعثر في الوقت على بعض هذه الحجب وقد يعثر بالحجاب
الاول كالطباعية والدهرية خذلهم الله ولكن اول الحجاب بين الله العبد الذي
له قلب معنوي هو نفسه فانه ايضا امر رباني وهو نور من انوار الله اعني سر القلب
وايمانه الذي يتجلى فيه عن حقيقة الحق كله حتى انه ليتسع جملة العالم ويحيط به ويتجلى
فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره اشراقا عظيما يظهر به الوجود كله على
ما هو عليه وهو في اول امره محجوب بمشكاة هي كالساتر له وهي الطبع فاذا
تجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد اشراق نور الله الذي هو بحقيقة
نور الايمان والعرفان فربما التفت صاحب القلب الى القلب فيرى في ذاته
من الحسن والبهاء والسناء ما يبقى متحيرا باهتا كما حكى بعض افاضل الحكماء
الاقدمين عن نفسه وربما يدهشه ذلك بحيث يسبق على لسانه في هذه الدهشة
فيقول مثل قول المنصور وشبهه فان لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به وهلك
وكان التلبس عليه التجلي بالمتجلي فيه كما يلتبس المتجلي في المرآة بالمنطبع فيها — التبس
فيظن ان الصورة في الحديد وبهذه العين قد نظر النصارى في عيسى وبعض
الغلاة في علي عليهما السلم والله ولي العصمة والتوفيق واما قوله عليه السلم
وقال وهو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم — نطفة
لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا اجلا مسمى
ولعلكم تعقلون فاعلم اولا ان المطلوب في هذه الآية وهو النظر في كيفية
خلقة

خلقة الانسان هو من جملة الامور التي يندرج على الاجمال في الاشياء
الثمانية المذكورة في الآية المتقدمة فان من جملة المذكورات قوله وبث
فيها من كل دابة والانسان بحصة حيوانيته المشتركة من جملة الدواب
لكونه مما يدب على الارض وانما زيد عليها بفضيلة صورة اخرى زائدة على
الحيوانية بها يمتاز عن غيره واعلم ايضا ان الفرق بين هذه الآية التي نقلناها في
كيفية خلقة الانسان وتدرجه في الاطوار ان الكلام في الاولى كان من جهة
الصورة وههنا من جهة المادة فذكر الله هناك صورة بعد صورة متدرجة
في الشرف والكمال الى ان انتهت الى صورة هي اشرف واكمل من الصورة
السابقة التي كلها من اطوار هذه النشاة وهي آخر اطوار هذه النشاة واول
اطوار النشاة الاخروية ولذلك اردف ذكره بقوله فتبارك الله احسن
الخالقين تنبيها على ان في الانسان طورا خارجا عن هذه الاطوار وله اطوار
اخرى داخلة في عالم الامر واما الكلام فيه ههنا فمن جهة المادة واقل مهاو
المادة شانها القوة والامكان دون الوجود والفعلية فلا بركة ولا شرف
فيها بما هي مادة ولهذا لم يذكر ههنا ذلك القول فاذا علمت ان المذكور في
هذه الآية هي المادة المتغيرة التي تلزمها الحركة والزمان الذي هو مقدار حركتها
فاعلم ان الله تعالى لما ذكر كيفية تكون هذا البدن من ابتداء كونه نطفة وجنينا
والنطفة متكونة من التراب فذلك التراب صار نطفة ثم علقة ثم بعد كونه
علقة له مراتب كثيرة الى ان ينفصل من بطن الام الصغرى ويمكث في الدنيا
التي هي بطن الام الكبرى ومقدار ذلك المكث هو عمر دنياه كما ان تسعة اشهر و

ونحوها كان مقدار مكثه في بطن امه المستزيدة لكمالاتها الكونية والكيفية واما عمر الاخرة
فلا نهاية له فرتب هذا العمر على ثلث مراتب بحسب اختلاف استحالاته الكونية
اولها ان يكون طفلا وثانيها ان يبلغ اشده وثالثها الشيخوخة وهذا ترتيب صحيح
مطابق للعقل وذلك لان الانسان في اول عمره يكون في التزايد والنشو
والنماء قوة وكما وليس انه يزيد في المقدار دون القوة الطبيعية المنمية كما توهم
بعضهم لان المقدار اثر للقوة وفاعله القريب هي القوة النباتية المسخرة للقوة
الحيوانية والانسان حينئذ يكون طفلا فهذه المدة هي مدة الطفولية والمرتبة الثانية
ان يبلغ الى كمال النشو من غير ان حصل فيه نوع من انواع الضعف وهذه المرتبة
هي المراد من قوله ثم لتبلغوا اشدكم وهو الاشد الصوري الذي لا يكون قوته
الحيوانية الظاهرة في وقت من الاوقات عمره اقوى منها في هذا الوقت ويقال
له وقت الشباب وهو من ابتداء البلوغ الصوري الى اوان انحطاط هذه
القوة والمرتبة الثالثة ان تراجع هذه القوة لاجل توجه الباطن بحدوث قوة
اخرى من نوع آخر فيه الى النشاة الآخرة فيظهر اثر من آثار الضعف والنقص فيه
وتزايد بعده شيئا فشيئا وهذه المرتبة هي المراد من قوله تعالى ثم لتكونوا شيوخا
واذا عرفت هذا عرفت ان مراتب العمر بحسب هذا التقسيم لا يزيد على هذه
الثلثة وعلمت من تقريرنا سر ان الموت طبيعي للانسان وان ليس منشاؤه
كما ذكره الاطباء والطبيعيون من ان الحرارة الغريزية تفني الرطوبة الغريزية
شيئا فشيئا ثم تفنى هي بنفسها لفناء ما يحملها وهي الرطوبة او انها تنغمر زيادة
الرطوبات او بان النطفة التي هي مادة لبدن الانسان جسم مركب وذو نضج تام

اذ وقع

مادة
اذ وقع هضمه في خمس مراتب اربعة منها لان يصير غذاء والثانية
لان يصير مادة ليكون المثل فان مادة المني هي فضلة الهضم الرابع فاذا
وقعت في اوعية التوليد كالرحم وكالخصية استحالت نطفة بهضم
خامس ثم تزيد مقدارها بورود الغذاء اليها وليس حكم ما يرد اليها من
الغذاء في النضج والاعتدال حكم ما ينقص عنها بالتحليل فما دام شيء منها باقيا في
البدن كانت الحيوة باقية ونسبة قوة الحيوة وضعفها على نسبة ما بقي منها في
البدن زيادة ونقصانا او بان القوى الجسمانية لا بد وان ينتهي فلا يمكن دوام
العمر ابدا وحكايات من احكام النجوم وهيلاجها وكدخداها وكل ذلك وجوه
لا تعويل عليها واما عندنا فمعنى حقية الموت وكونه طبيعيا ان الانسان بحسب
الغريزة الفطرية يتوجه نحو النشاة الآخرة ويسلك سبيل الحق تعالى راجعا
اليه كما نزل منه واليه الاشارة في مواضع من القرآن وكل حركة الى غاية لا بد
ان يقع بالمرور على المنازل والمراحل المتوسطة فاذا انتقل من كل طور من اطوار
هذه النشاة الى الذي فوقه فبالضرورة ينتهي الى آخر الاطوار الدنيوية فاذا انتهى
الى ذلك الحد فلا يمكن الوصول الى الذي فوقه الا بالموت عن هذه النشاة
بالكلية والارتحال الى اوايل النشاة الآخرة وما فوقها من القبر والبرزخ و
والحشر والنشر والعرض والحساب وغير ذلك فهذا معنى كون الموت طبيعيا
واليه الاشارة فيما ورد من قوله عليه السلم الموت حق قال صاحب الكشاف
قوله تعالى لتبلغوا اشدكم متعلق بفعل محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا
اشدكم ثم قال ومنكم من يتوفى من قبل اي من قبل الشيخوخة او من قبل هذه الحالات

٣٠ اذا خرج سقطاً ثم قال لتبلغوا اجلاً مسمّى فمعناه يفعل ذلك لتبلغوا الاجل
المقدّر في عالم التقدير فيحتمل ان يراد بهذا الاجل هو لقاء الحق تعالى الذي
هو الغاية الآخرة لخلقة الانسان كما في قوله من كان يرجو لقاء الله فانّ
اجل الله لآت وقيل هو وقت طبيعيّاً كان او اختراميّاً وقيل يوم القيمة الموت م
واعلم انّ هذه الآيات كلها للغاية الذاتية للمجرّد العاقبة كما ظنّ من لا عرفان
له بكيفية نشأة الانسان فقوله ولعلكم تعقلون بعد هذه الاحوال لا يبعد ان
يكون اشارة الى انّ صيرورة الانسان جوهراً عقلياً بل عاقلاً بالفعل عارفاً
بنفسه وربّه هي غاية خلقته وآخر نشأته واطواره وقد فسّره الزمخشري ومن
في طبقته بانّ المراد لعلكم تعقلون ما في هذه الاحوال العجيبة من انواع العبر واقسام
الدلايل وهذا ايضاً محتمل صحيح مناسب للمقام لكن ما ذكرناه من الوجوه الدقيقة
التي لا ينافي ذلك ويناسبه سوق الآية وما بعدها ايضاً من قوله هو الذي
يحيي ويميت فاذا قضى امراً فانّما يقول له كن فيكون فانّ العقل من عالم الامر
وعالم القضاء وكل ما هو كذلك فوجوده بمجرّد كلمة كن وهي كلمة وجودية لا يفتقر
ما يكون بها الى مادّة جسمانيّة بل نفس وجوده نفس الكلمة كما قال تعالى وكلمته
القيها الى مريم وروح منه وقوله اليه يصعد الكلم الطيب اشارة الى الارواح
المجرّدة الانسانية وفي الحديث عنه صلى الله عليه وآله اعوذ بكلمات الله التامّات
كلّها من شرّ ما خلق اشارة الى جواهر العقول التامّة الوجود من حيث ان ليس لها
كمال منتظر كما للنفوس بما هي نفوس فظهر انّ قوله تعالى لعلكم تعقلون يحتمل ان
يكون اشارة الى انّ غاية هذه الاكوان وجود العقل وذات العاقل مع قطع
النظر

النظر عن تعقله وقوله يحيي ويميت يحتمل ان يكون اشارة الى الاكوان الوجودية
الجوهرية التي هي قبل النشأة العقلية فانّ حدوث كل نشأة يستلزم موتاً عن
نشأة وحيوة في نشأة اخرى بعد الاولى كانّه قبل الانتقالات الواقعة للانسان
من كونه تراباً ثم نطفة ثم علقة الى كونه عاقلاً تحصل تدريجاً على حسب احوال المادّة
واستعداداتها وامّا صيرورته عاقلاً فانّما يوجد دفعة بامر الله وقوله كن
بلا مادّة وحركة قوله عليه السلم وقال انّ في اختلاف الليل والنهار وما انزل
الله من السماء من رزق فاحيى به الارض بعد موتها وتصريف الرياح لآيات
لقوم يعقلون اعلم انّ المذكور في هذه الآية ايضاً بعض من الاشياء الثمانية
المذكورة في الآية الاولى وهي ثلثة احدها قوله انّ في اختلاف الليل والنهار
وقد مرّ تفسيره وثانيها قوله وما انزل الله من السماء من رزق فاحيى به الارض
بعد موتها وقد سبق ما في معناه وما يتعلق به من الشواهد والآيات لكن اوّلي
ههنا بدل الماء الرزق وهو اعمّ من المشروب والمأكول فذلك امّا من
جهة كونه نفس الرزق او وسيلة اليه ويحتمل ان يكون المراد منه المرزوقات
التي في الارض موجودة في العلويات ضرباً آخر من الوجود يناسب ذلك
العالم او من جهة انّ اسباب وجودها منبعثة من هناك وثالثها قوله
وتصريف الرياح وقد مرّ ذكر معناه والدلايل التي فيه وقوله عليه السلم
وقال يحيي الارض بعد موتها قد بيّنّا لكم الآيات لعلكم تعقلون امّا قوله تعالى
يحيي الارض بعد موتها فقد مضى ذكره في الآية الاولى وكونه من الدلايل والآيات
ويحتمل ان يكون المراد به ههنا حيث انه وقع في سورة الحديد بعد الآيات المشتملة

من انواع ما يتغذى به الحيوان وغيرها لانها ايضاً نازلة من السماء او من جهة انّ هذه السفليات صح

الانتقالات لح

81 على الوعظ والنهي عن الغرور والحث على خشوع القلب بذكر الله وازالة قساوة
والاجتناب عن مماثلة ذوي القلوب القاسية احياء قلوب العرفاء
بحيوة العلم والعرفان بعد موتها وقساوتها فان العلم بالله واليوم الآخر حيوة
حقيقية للروح دائمة والقساوة والجهل موت حقيقي دايم له فهما احق بان يطلق
عليهما اسم الحيوة والموت من الحيوة والموت الحسيين كما في قوله او من
كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات
ليس بخارج منها فاستعير لفظ الارض للقلب اعني النفس الانسانية
القابلة لانوار العلوم للمشابهة والاشتراك في معنى القبول للحيوة وغيرها
ويحتمل ايضا ان يكون الكلام تمثيلا والمعنى ان القلوب التي ماتت بسبب
الجهل والقساوة فالمواظبة على ذكر الله والعرفان به والخشوع له هي سبب
حيوتها كما يحيي الارض بعد موتها بسبب الامطار وقوله قد بينا لكم الآيات
اشارة الى الآيات المذكورة من هذا القبيل في مواضع اخرى من القرآن
او سورة الحديد وقوله عليه السلم وقال وجنات من اعناب وزروع و
نخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل
ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون الجنة من الاجتنان وهو الستر لتكاثف
اشجارها وتظليلها بالتفاف اغصانها وبه سمي الجن لاستتارهم عن الابصار
ومنه قوله فلما جن عليه الليل ومنه المجن وهو الترس لانه يواري حامله اي
يستره والميم زائدة ومنه المجنون لانه يستر العقل وفي الحديث الصوم
جنة من النار وفيه ايضا الصدقة كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد اي وقايتان
وفيه

زروع

وفيه ايضا الامام جنة لانه يقي المأموم وفيه يجن ثيابه اي يغطيه ويستره فالكرب
للاختفاء اينما وقع وكيف وقع والصنو بالفتح زبيل كبير وقيل هو شبه
السلة المطبقة وبالكسر بمعنى المثل وفي حديث العباس فان عم الرجل صنو ابيه
وفي رواية العباس صنو ابي واصله ان تطلع نخلتان من عرق واحد وجمعه
صنوان صدر هذه الآية قوله تعالى وفي الارض قطع متجاورات والمذكورة
فيها ايضا يصلح لان يكون تفصيلا لبعض ما ذكر في تلك الآية فيكون هذه الامور
متعلقة اما بقطع متجاورات وهي اقسام الارض فيكون من جملة احوال الارض
ودلايلها او بانزال الماء من السماء تعلق الغايات بمباديها او تعلق الصور
المختلفة بمادتها المتفقة واما باحياء الارض بعد موتها فيكون تعلقها به تعلق صورة
الشيء وكماله به فان المذكورات من الجنات والاعناب وغيرها هي زينة
الارض وآثار حيوتها وكمالها ووجه الاستدلال بها على التقدير الاول
انه جعل في الارض قطعا متجاورات متشابهة في طبيعة الارضية وهي مع ذلك
قبلت اولا صفات متضادة وطبايع متخالفة الماهية اما الصفات فبعضها
طيبة واخرى سبخة واخرى رخوة واخرى صلبة وبعضها حجرية واخرى رملية
واما الطبايع فكالاعناب والزرع والنخيل وغيرها وربما حصلت هذه الانواع
المختلفة في قسم واحد من الارض فلا يجوز ان ينسب حدوث هذه الاوصاف
والطبايع الى طبيعة الارضية لاتفاق اجزائها في تلك الطبيعة سيما القطع المتجاورة
ولا الى الاتصالات الكوكبية والاوضاع السماوية لانها لا يختلف بالقياس الى
المواضع المتجاورة فان تاثير الشمس والقمر والنجوم في تلك القطع متماثلة او متشابهة

والمذكورة

فبعضها

فتكون بتدبير مدبر حكيم وصانع عليم محيط علمه بكيفية نظام الكائنات وانحفاظ الانواع ٨٢
على احسن وجه واحكمه واما على التقدير الثاني اي تقدير تعلقها بانزال الماء
من السماء فقد مر بانه هناك من ان الماء طبيعة واحدة يحصل منها في موضع
واحد او قطع متجاورة من الارض هذه الثمار المختلفة الطبايع التي تسقى
بماء واحد بل نقول ههنا ما هو اعجب من ذلك وهو انه يوجد ورق واحد في
بعض انواع الورد ما يكون احد وجهيه في غاية الحمرة والوجه الثاني في غاية الصفرة
مع كونه في غاية الرقة ويوجد في ورق واحد بعضه في غاية الحمرة وبعضه في غاية
السواد ويستحيل ان يقال ان تاثير الشمس وصل الى احد وجهيه دون الاخر او
الى احد قسميه دون الاخر ومن هذا الباب الاختلاف الواقع في ريشة
واحدة من رياش الطواويس فيمتنع ان يسند هذه الاختلافات الا الى التصورات
العالية لهذه الاعيان وصفاتها التي تنزل اثارها ويقع ظلالها ورشحاتها الى هذا
العالم وعلى هذه الامور واما على التقدير الثالث فهو كما بينه تع وعلمنا ايانا من
اي تقدير تعلقها باحياء الارض بعد موتها
قوله ان الذي احياها لمحي الموتى فثبت به وجوده تعالى على وجه المبدائية والرجعة
جميعا فيحصل بالنظر اليه الايمان بالله وباليوم الاخر اما الاول فبان يقال المحيي
للارض بعد موتها بالنباتات وغيرها محيي للانسان بالحيوة الابدية بعد موته
بالعلوم والمعارف والمحيي للانسان كذلك لا يكون الا ما هو بريء من النقص
والقصور وهو الله تعالى ولهذا تقرير عقلي اخر ادق من هذا وان كان مرجعهما
واحدا وهو ان الانسان في اول النشاة عقل بالقوة فاذا صار عاقلا عالما
خرج من حد القوة الى الفعل وكلما يخرج من قوة الى فعل يحتاج الى مخرج اياه منها

العرفان

اليه فان لم يكن مخرجه بريئا من القوة فلا بد ان ينتهي اليه دفعا للدور والتسلسل
فكما لا بد في اصل وجوده الجسماني وحيوته الحسية من موجد غير جسماني خلاق
للاجسام وصورها فلا بد ايضا في تكميله عقلا بالفعل وحيوته العقلية من مبدع
بريء من النقايص والامكانات فياض للعقول والمعقولات واما الثاني
فلما سبق بعد ما تقرر ان للطبايع غايات ذاتية يتوجه اليها وللحركات و
الاشواق الجبلية نهايات ينتهي اليها وهو ان هذه الاستحالات والاطوار
الانسانية حركة ذاتية واستحالة جوهرية مستلزمة لان يقع بها الخروج من
هذه النشاة الى نشاة اخرى فانها ابتدات من اخس الاشياء وهو التراب
الى النطفة ثم الى العلقة ثم الى المضغة وهكذا تدرجت في الوجود من الاخس فالاخس
الى الاشرف فالاشرف الى ان صار جوهرا ناطقا مدركا لحقايق الامور فهل
يجوز عند عاقل له ادنى تامل ان يقتصر تحولات الانسان على هذا الحد ثم يبطل
ويموت من غير ان يبعث في الاخرة فبالضرورة له نشاة اخرى بل نشآت
اخروية يرجع بها الى ربه كما قال وهو الذي ذراكم في الارض واليه تحشرون وهذا مجمل
تفصيله كما قال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار
مكين ثم خلقنا النطفة علقة ثم خلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا
العظام لحما ثم انشاناه خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون
ثم انكم يوم القيمة تبعثون وقال في موضع اخر ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون
قوله عليه السلم قال ومن اياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به
الارض بعد موتها ان في ذلك لايات لقوم يعقلون قوله تعالى خوفا اي من الصاعقة

وللمسافر وطمعا اي في الغيث وللمقيم ونصبهما للعلة لفعل يلزم المذكور فان اراءتهم
يستلزم رؤيتهم او على تقدير مضاف نحو اراءة خوف وطمع او بتأويل الخوف
والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان او الحال مثل كلمته شفاها
اعلم ان البرق من الامور التي تتكون من السحاب المذكور في الآية الاولى فهو من
جملة آيات السحاب كما مر وله في نفسه آيات ايضا فمنها انه نار محرقة وليس في
السحاب الا هواء وماء وخروج النار منها بحيث تحرق الجبال في غاية البعد فلا بد
من خالق فوق الطبايع والاجسام ومنها انه قالت اتباع الفلاسفة السحاب فيه
كثافة ولطافة بالنسبة الى الهواء والماء فالهواء الطف منه والماء اكثف فاذا
هبت ريح قوية تخرق الماء بعنف فيحدث صوت الرعد وتخرج منه النار لمساس
جسم جسما بعنف كما ان النار تخرج من وقع الحجر على الحديد فان قيل الحجر والحديد جسمان
صلبان والسحاب والريح جسمان لطيفان فيقال لكن حركة يد الانسان ضعيفة
وحركة الريح قوية تقلع الاشجار ونحن نقول هب ان حركة الريح من اسباب
حدوث البرق لكن الكلام في جسمية البرق وصورته النارية وقد علمت ان
فاعل الاجسام ومصورها هو الله تعالى لا غير ثم معلوم عند ذي البصيرة ان هذه
الحركة الشديدة ليست منبعثة من طبيعة الريح ولا من جسم آخر يحركها حتى تكون
طبيعية او قسرية بل من اسباب علوية تفيدها قوة التسخين وحركة شديدة
فينتهي الى السماء ثم الى ملكوتها ثم الى الله سبحانه بتوسيط الملائكة العلوية والسفلية
ومنها ان الصاعقة الحادثة من هذه الحركة كانت قبل الحدوث جسما لطيفا مائيا او
دخانيا وكذا عند الحدوث حتى انها تنفذ في الزجاجة والقطن المندوف من غير كسر

وحرق

وحرق فاذا وصلت الى مكان وسكنت يكون جسما اصلب من الحجر والحديد وهذا
امر عجيب خارج عن ان ينسب ايجاده الى غير الله سبحانه واعلم ان الانسان
عند ما نظر الى حدوث الامطار بعد انعقاد السحاب والرعد والبرق بعد ما قرع
سمعه من طريق الشرع ان ملكا يزجر السحاب ويسوقه الى مواضع ويفرقه بسوط
ليمطر وهذا الرعد صوت ضربه والبرق نار تحدث من حركة سوطه فاذا كان ثمة
تحدس قلبي واستبصار باطني يعلم يقينا ان ما ورد في هذا الباب حق
وصدق وفي الادعية السجادية على قائلها السلم والتحية حيث ذكر انواع الملائكة
العلوية والسفلية وقبائلهم فذكر اولا حملة العرش واسرافيل وميكائيل وجبرئيل
ووصفهم باوصافهم التي كانوا عليها ثم ذكر الروح الذي هو على ملائكة الحجب والروح
الذي هو امر ربه ثم جاء الى الملائكة الذين من دونهم وقال انهم من سكان السموات
واهل الرسالات ووصفهم باوصافهم ثم شرع بعد ذكر الملائكة الساكنين في بطون
السموات في ذكر الملائكة السفليين فقال والذين على ارجائها اذا نزل الامر
بتمام وعدك وخزان المطر وزواجر السحاب والذي بصوت زجره يسمع
زجل الرعود واذا سبحت به خفيفة السحاب التمعت صواعق البروق واعلم
ان في الآية نكتة وهي انه كما قدم ذكر السماء على الارض قدم ما هو من عالم السماء
وهو البرق والمطر على ما هو من الارض وهو الانبات والاحياء قوله عليه السلم
ثم قال قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا
ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها
وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصيكم به لعلكم تعقلون

اقول ان الكلام ههنا في موقفين احدهما في معنى الآية وتفسيرها وثانيهما في وجه
ذكرها بعد تلك الآيات الدالة على التوحيد والربوبية اما الاول فنقول قال
صاحب الكشاف تعال من الخاص الذي صار عاما فان اصله ان يقوله
من كان في مكان عال لمن هو اسفل منه ثم كثر وعم وما في قوله ما حرم ربكم منصوبة
وفي ناصبها وجهان الاول انه منصوب بقوله اتل والتقدير اتل الذي
حرم عليكم والثاني انه منصوب بحرم والتقدير اتل اي الاشياء حرم عليكم
فان قيل قوله ان لا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا كالتفصيل لما اجمله
في قوله ما حرم وذلك غير صحيح لان ترك الشرك والاحسان بالوالدين واجب
لا محرم الجواب لما اوجب ترك الشرك والاحسان اليهما فقد حرم الشرك
والاساءة اليهما لان ايجاب الشيء نهي عن ضده وبالعكس واعلم انه تعالى
اوجب في هذه الآية امورا خمسة اولها قوله الا تشركوا به شيئا ثم قال و
بالوالدين احسانا ثنى بهذا التكليف لان اعظم المنافع على الانسان نعمة
الله ويتلوها نعمة الوالدين لان المؤثر الحقيقي في وجود الانسان هو الله
سبحانه وفي الظاهر هو الابوان ونعمها على الانسان عظيمة وهي نعمة
التربية والشفقة والحفظ عن الضياع والهلاك في وقت الصغر والنوع
الثالث قوله ولا تقتلوا اولادكم من املاق اي من خوف الفقر وصرح بذكر
الخوف في قوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق والمراد منه النهي عن الوأد
كانوا يدفنون البنات حيا بعضهم للغيرة وبعضهم لخوف الفقر وهو السبب
الغالب فبين فساد هذه العلة بقوله نحن نرزقكم واياهم لانه اذا كان متكفلا
برزق

برزق الوالد والولد فوجب على الوالدين تبقية الولد والاتكال في رزقه على الله
النوع الرابع قوله ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن قال ابن العباس كانوا يكرهون
الزنا علانية ويفعلون ذلك سرا نهاهم الله عن الزنا مطلقا علانية وسرا والاولى ان
لا يكون هذا النهي مخصوصا بنوع معين من الفاحشة بل يجري على عمومه في جميع الفواحش
ظاهرها وباطنها لان اللفظ عام ولا موجب للتخصيص النوع الخامس قوله تعالى
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق اعلم ان هذا داخل في جملة الفواحش الا انه
تعالى افرده بالذكر لفائدة لان الافراد يدل على التعظيم والتفخيم كقوله وملئكته وجبريل
وميكال اذا عرفت هذا فنقول قوله الا بالحق مشعر بان قتل النفس المحرمة قد يكون
حقا والحديث ايضا يوافقه والاصل في قتل النفس الحرمة وحله لا يثبت الا بدليل
منفصل ثم انه تعالى لما بين احوال هذه الاقسام الخمسة اردفه باللفظ الذي يقرب
الى القلب قبوله فقال ذلكم وصيكم به لما في هذا اللفظ من اللطف وكل ذلك
ليكون المكلف اقرب الى القبول ثم اتبعه بقوله لعلكم تعقلون اي لعلكم تكونوا
ممن يعقل فوائد هذه التكاليف والمنافع المترتبة عليها في الدنيا والآخرة واما
الموقف الثاني فنقول في لمية ذكر هذه الآية بعد تلك الآيات انه عليه السلام
لما بين فضيلة العقل وكونه غاية خلقة الانسان وان الله تعالى ذكر آيات تدل على
ان كمال الانسان الذي هو كونه عارفا بالله وتوحيده انما يحصل بالنظر الى عجائب
صنع الله في خلق السموات والارض وما بينهما من الامور الثمانية التي ذكر بعضها
اجمالا وبعضها تفصيلا ثم ان الجوهر العقلي الانسان في قوتين قوة نظرية كمالها في
ادراك المعقولات والاحاطة بالكليات وقوة عملية كمالها التنزه عن النقايص

والدايم والتجرد عن الجسمانيات لكن الثانية كالخادم والفرع للاولى لان
كمالها يرجع الى الفناء والصفاء كصقالة وجه المراة والاولى كالمخدوم والاصل
لان كمالها حصول الصور العقلية ونيل الشهود والحضور والتنور بنور الايمان
والعرفان كتجلي صور المبصرات والانوار على وجه المرات فاراد عليه السلم
ان يشير الى انه كما ان غاية الفكر والنظر هو حصول العقل وتكميل الجزء النظري
من العاقل فكذلك الغرض الاصلي والغاية في فعل الواجبات وترك
المحرمات ايضا انما هو حصول العقل والعاقل بما هو عاقل لا غير فاورد هذه
الاية المشتملة على ذكر جملة من الواجبات والمنهيات التي كلف الله بها عباده
لحصول الكمال العقلي ووجه اخر انه لما ذكر الايات التي وقع الحث فيها للعاقل
على النظر والتامل فقط دون العمل الصالح كانت هناك مظنة ان لا حاجة للانسان
في تكميل ذاته وصيرورته عارفا بالله واياته الى ان يعمل الصالحات ويترك
السيئات فاتى عليه السلم بذكر اية اخرى يقع فيها الحث بالعمل الصالح والاجتناب
عما حرم الله ليعلم ان الكمال الانساني كما يتوقف على التحلية والتصور كذلك
يترتب على التخلية والتطهير والله اعلم بالاسرار قوله عليه السلم وقال هل لكم مما
ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم انفسكم كذلك
نفصل الايات لقوم يعقلون اما معنى الاية فهو انه سبحانه لما ذكر الايات الدالة
على التوحيد فاراد ضرب مثل توضيحا للمقصد على الافهام القاصرة عن ادراك
البراهين العقلية فقال ضرب لكم مثلا من انفسكم وذلك في الحقيقة عبارة عن
ايراد مثال جزئي محسوس لامر كلي معقول وذلك لان اكثر الافهام قاصرة عن
ادراك

ادراك الماهية العقلية للشيء الا في مادة محسوسة كمن لا يعرف حقيقة العلم
فيقال له انه مثل اللبن حيث انه غذاء للروح يتغذى به الروح الناقص
ويصير به كاملا كما يتغذى باللبن الطفل الناقص ويصير به كاملا وهو غذاء كله
لب لا قشر له كاللبن لا نخالة فيه وكما يمثل القرآن بالحبل المتين والشرع بالعقد
وبالجملة مثال الشيء ما اذا نظر الى صورته الظاهرة لم يكن اياه واذا نظر الى روح
معناه وفحواه كان هو ذلك الشيء واكثر القرآن امثال ضربت للناس ظواهرها
حكاية عن حقائقها المكشوفة عند ذوي البصاير قال وتلك الامثال نضربها
للناس وما يعقلها الا العالمون اذا عرفت هذا فنقول انه لما بين سبحانه
الالهية والوحدانية بالدليل بينها ايضا بالمثل بعد الدليل ومعناه ان من يكون
له مملوك لا يكون ذلك المملوك شريكا له في ماله ولا يكون له حرمته كحرمة سيده فكيف
يجوز ان يكون عباد الله ومخلوقاته شركاء له وكيف يجوز ان يكون لهم عظمة مثل عظمة
الله حتى يعبدوا فهذا امثال ضرب لنفي الشركة في الالهية ولا بد ان يكون بين المثل
والممثل له مشابهة ما ومخالفة ما كما مر ثم ان وجه المخالفة بينهما قد يكون مؤكدا
لمعنى الممثل له وما يلزم من الاحكام وقد يكون موهنا له وههنا وجه المشابهة
معلوم واما المخالفة فموجودة وهي مؤكدة من وجوه احدها قوله من انفسكم
يعني ضرب لكم مثلا من انفسكم مع حقارتها ونقصانها وحاجتها وقاس
نفسه عليكم مع عظمته وكماله وقدرته وغناه وثانيها قوله مما ملكت ايمانكم
يعني عبيدكم التي لكم عليهم ملك اليد وهو طارئ قابل للنقل والزوال اما
النقل فبالبيع واما الزوال فبالاباق والعتق ومملوك الله لا خروج له

من يملكه بوجه من الوجوه فاذا لم يجز ان يكون مملوككم شريكا لكم مع انه يجوز
ان يصير مثلكم من جميع الوجوه بل في الحال هو مثلكم في الانسانية حتى انه
ليس لكم تصرف في روحه وآدميته تصرف قتل وقطع وليس لكم منعه
من العبادة وقضاء الحاجة فكيف يجوز ان يكون مملوك الله الذي هو مملوكه
من جميع الوجوه شريكا له وثالثها قوله من شركاء فيما رزقناكم يعني الذي لكم
هو في الحقيقة ليس لكم بل هو لله ومن رزقه والذي لله في الحقيقة له فاذا
لم يجز ان يكون لكم شريك في مالكم من حيث الاسم فكيف يجوز ان يكون
له شريك في ماله من حيث الحقيقة وقوله تعالى وانتم فيه سواء اي بل انتم
ومماليككم في شيء مما تملكون انتم سواء ليس كذلك فلا يكون لله شريك في شيء
مما يملكه لكن كل شيء فهو لله فما تدعون آلهة لا يملكون شيئا اصلا ولا مثقال
ذرة من خردلة واما قولكم هؤلاء شفعاؤنا عند الله فليس كذلك لان المملوك
بل له عندكم كرامة الاحرار في الحرية فكيف يكون حال المماليك الذين لا مساواة
بينهم وما لكم بوجه من الوجوه في الحرية عنده ولذلك قال من ذا الذي يشفع
عنده الا باذنه والى هذا اشار بقوله تخافونهم كخيفتكم انفسكم وقوله كذلك نفصل
الآيات اي نبينها بالدلائل والبراهين القطعية وبالامثلة والحكايات الاقناعية
لقوم يعقلون اي لا يخفى الامر بعد ذلك على من له عقل واما قصده وغرضه
عليه السلم من ذكر هذه الآية ههنا فالتنبيه على شرف العقل وانه الباعث
على تفصيل الآيات والعاقل هو المقصود في الخطاب ويحتمل ان يكون كذلك
اشارة الى المقاصد والبراهين المذكورة في الآيات السابقة وهي علوم
شريفة

آلهة لهم

شريفة غامضة ويكون اللام للاختصاص والمراد انا نفصل مثل هذه الآيات
اللطيفة والاسرار العظيمة لقوم عقلاء من اهل العلم والمعرفة لانهم في الحقيقة
ينتفعون بها دون غيرهم **المشهد الرابع** في الموعظة الحسنة والترغيب
في الآخرة والتزهيد عن الدنيا ولذاتها قال عليه السلم يا هشام ثم وعظ
اهل العقل ورغبهم في الآخرة فقال وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو وللدار
الآخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون قد علمت ان كمال الانسان منوط
بامرين الاحاطة بالمعلومات والتنزه عن التعلقات فالزهد وهو عبارة
عن قطع التعلق بالدنيا عن النفس لا عن قطع الدنيا وانقطاعها بالموت
وشبهه مع بقاء التعلق من اعظم المقامات بعد العلم ومنشأه العلم
ايضا قال الله تعالى فخرج على قومه في زينته الى قوله وقال الذين اوتوا العلم
ويلكم ثواب الله خير نسب الزهد الى العلماء ووصف اهله بالعلم وهو
غاية الثناء وقوله عليه السلم ثم وهو للتراخي يعني انه تعالى بعد ان علم اهل العقل
طريق العلم والعرفان وبين لهم الآيات الدالة على التوحيد والايمان
بالبرهان زهدهم عن الدنيا ورغبهم في الآخرة بالموعظة الخطابية اذ يكفي الخطابيات
فيما يتعلق بلواحق ما علم بالبرهانيات فقال سبحانه ترغيبا لهم في الآخرة
وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو وهذه مقدمة خطابية استعملت لان يستدل
بها على وجوب الرغبة في الآخرة وانما قلنا انها خطابية مع انها حقة ثابتة
عندنا وعند كثير من اهل الحكمة من كون الدنيا باطلة لا حقيقة لها لان اكثر الناس
لا يمكنهم تعقل ذلك من طريق العلم واليقين فلا منافاة بين كون المقدمة برهانية

٨٧

فى نفسها خطابية بالقياس الى طايفة واعلم ان الآيات والاخبار فى فضيلة
الزهد وذم الدنيا كثيرة وقد نبه الله سبحانه على دثور الدنيا ووهنها و
خستها وبطلانها بان مثلها تارة بالسراب فى ارض بقيعة يحسبه الظمان
ماء وتارة ببيت العنكبوت وتارة بالاحلام والمنامات وتارة بالظلال
وقال ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا
لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وقال فى وصف الكفار الذين استحبوا
الحيوة الدنيا على الآخرة فمفهومه ان المؤمن يتصف بنقيض ذلك ويستحب
الآخرة على الدنيا وعن ابى عبد الله عليه السلم قال من زهد فى الدنيا اثبت
الله الحكمة فى قلبه وانطق بها لسانه وبصره بعيوب الدنيا داءها ودواءها
سالما الى دار السلم وهذا الحديث ايضا يدل بالمفهوم على ان البصير بعيوب
الدنيا هم الحكماء وعنه عليه السلم جعل الخير كله فى بيت وجعل مفتاحه الزهد وعنه
عليه السلم قال رسول الله صلى الله عليه وآله الدنيا دار من لا دار له وبها يجمع
من لا عقل له وقيل من زهد فى الدنيا اربعين يوما اجرى ينابيع الحكمة فى قلبه
وانطق بها لسانه ولما قال حارثة لرسول الله صلى الله عليه وآله انا مؤمن
حقا فقال ما حقيقة ايمانك قال عزفت نفسى عن الدنيا فاستوى عندى
حجرها وذهبها فكانى بالجنة والنار وكانى بعرش ربى بارزا فقال صلى الله
عليه وآله درجات مختلفة قوة وضعفا حسب درجات الاقدام بالقياس
الى نفسه والى المرغوب عنه والى المرغوب فيه ليس ههنا موضع تلك التفاصيل
والدرجات فى الاقدام وان مهل الله فى الاجل نرجع اليه فى باب ذم
الدنيا

[Margin: العنكبوت — لنفتنهم — عزلت — عزفت فالزم عبد نور الايمان قلبه هذا مضمونه وقد روى بلفظ آخر اطول كما فى هذا الكتاب فى الزهد]

الدنيا واعلم ان البرهان على كون الدنيا وما فيها فانية لا بقاء لها هو ان هذا الكون
اعنى الوجود الطبيعى المادى كون ناقص مكانا وزمانا اما الاول فلان كل جسم مادى
له اجزاء خارجية او وهمية وكل منها غايب معدوم عن صاحبه وبالعكس
والكل ليس الا جميع اجزائه المعدومة كلها عن كلها فالكل معدوم عن نفسه
ولهذا ليس فيه ادراك وحيوة لان الادراك عبارة عن الوجود الحضورى لشيء
او لصورته وما لا يدرك لنفسه لا يدرك غيره فهذا العالم عالم الموت والجهالة
وكل علم وحيوة يوجد للاجسام الدنيوية فهى عارضة لها من جهة النفوس المتعلقة
بها ضربا من التعلق وجوهر النفوس من عالم الآخرة والآخرة عالم الحيوة والعلم
والبقاء لقوله تعالى وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة
لهى الحيوان لو كانوا يعلمون واما الثانى فقد اقمنا البرهان فى كتبنا العقلية على ان
الطبايع الجرمية فلكية كانت او عنصرية متجددة الوجود والحدوث فى كل آن
فبقاؤها عين حدوثها وتجددها ووجودها نفس زوالها والمادة والاعراض
تابعة للطبايع فاذن الدنيا دار زوال بخلاف النشاة الآخرة فانها دار ثبات
وقرار المشهد الثانى فى تخويف من لا يعقلون بتدمير امثالهم وانزال الرجز من السماء
على الفاسقين لان يكون آية يعتبرها العاقلون قوله عليه السلم يا هشام ثم
خوف الذين لا يعقلون فقال تعالى ثم دمرنا الآخرين وانكم لتمرون عليهم مصبحين
وبالليل افلا تعقلون اشارة الى قصة قوم لوط اذ غضب الله عليهم ونجى
منهم لوطا واهله اجمعين الا عجوزا فى الغابرين ثم دمر الباقين وانما ذكر هذه
القصة لتخويف مشركى مكة وغيرهم من الحمقى الجاهلين حيث راوا قرية سدوم

[Margin: فى لاح]

مصبحين ممسين وان الذين كفروا من قومه هلكوا والذين آمنوا نجوا معناه يا اهل
مكة انكم لتمرون عليهم على منازلهم في متاجركم الى الشام فان السدوم في طريقه
مصبحين اي داخلين في الصباح وبالليل اي ومساء او نهارا وليلا ولعلها وقعت
قريب منزلة تمر بها المرتحل عنها صباحا والقاصد لها مساء افلا تعقلون
اي فليس معكم عاقل او فيكم ذو عقل حتى تعتبروا بهذه الآية الظاهرة الجلية فليس لام
قوله عليه السلام وقال انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء بما
كانوا يفسقون ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون هذه ايضا متعلقة بقصة
لوط لما ذكر سبحانه قوله انا منجوك واهلك الا امرأتك كانت من الغابرين عقب
هذه البشارة بتنجيته وقوله ببشارة اخرى هي انزال الرجز على اعدائه واختلفوا بتنجيته لام
في ذلك فقال بعضهم حجارة وقيل نار وقيل خسف وعلى هذا لا يكون عينه
من السماء وانما يكون مبدأوه او القضاء به من السماء بل اكثر هذه الامور
ليست اعيانها نازلة من السماء وانما كانت حقايقها ومباديها موجودة
في عالم القضاء ثم في السماء نزلت منها الى الارض وهي في كل عالم بصورة
تناسبها كما اشير اليه آنفا وان كلام الملئكة مع لوط عليه السلام جرى على نمط
كلامهم مع ابراهيم عليه السلام قدموا البشارة له على الانذار والتخويف لقوم حيث
قالوا انا منجوك ثم قالوا انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا ولم يعللوا التنجية
بشيء كما عللوا الانذار بقولهم بما كانوا يفسقون فما قالوا انا منجوك لانك نبي او يفسقون لام
موحد او عابد ولعل النكتة فيه ان الرحمة بالذات فلا تعليل فيها والغضب
عرضي انما ينشأ لعلة قوله تعالى ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون اي تركنا

من القرية

من القرية اذ القرية وفيها الماء الاسود وهي من القدس والكرك آية واضحة
ليتعبر بها اهل العقل دقيقة قرآنية وهي ان الله جعل في هذه السورة الآية
في نوح وابراهيم عليهما السلام بالنجاة حيث قال فانجيناه واصحاب
السفينة وجعلناها آية للعالمين وقال فانجاه الله من النار ان في
ذلك لآيات لقوم يؤمنون وجعل ههنا الهلاك آية والنكتة فيه ان
الآية في ابراهيم عليه السلام كانت في نجاته من النار لكون صيرورة
النار بردا وسلاما امرا الهيا عجيبا ولم يكن في ذلك الوقت اهلاك لاحد
واما في نوح عليه السلام فلان الانجاء من الطوفان وهو ملاء الجبال بأسره
امر عجيب الهي وما به النجاة وهو السفينة كان باقيا والغرق لم يبق لمن
بعده اثر فجعل الباقي آية واما ههنا فنجاة لوط عليه السلام لم يكن بامر يبقى
اثره للحس والهلاك اثره محسوس في البلاد فجعل الآية ههنا الامر الباقي
في البلاد وهناك السفينة وههنا لطايف اخرى احدها وهي ان آية
قدرة الله موجودة في الانجاء والاهلاك فذكر من كل باب آية وقدم آية
الانجاء لانها اثر الرحمة على ما هو دأبه من تقديم الرحمة على الغضب وثانيها
قال في السفينة جعلناها آية ولم يقل بينة وقال ههنا آية بينة لان الانجاء
بالسفينة ربما يقع في وهم جاهل انها لا تفتقر الى شيء آخر الهي واما الآية ههنا
وهي الخسف وجعل ديار معمورة عاليها سافلها فهو ليس بمعتاد فلا بد فيه
من الاعتراف بانه من امر الله وثالثها انه قال هناك للعالمين وقال
ههنا لقوم يعقلون لان السفينة موجودة في جميع اقطار العالم فعند كل قوم

مثال لسفينة نوح يتذكرون بها حاله واذا ركبوا فيها يطلبون من الله النجاة
ولا يثق احد بمجرد السفينة بل يكون دائما مرتجف القلب متضرعا الى الله
طلبا للنجاة واما اثر الهلاك في هذه البلاد ففي مواضع مخصوصة لا يطلع عليها
الا من يمر بها ويصل اليها ويكون له عقل يعلم ان ذلك من امر الله وقدرته
لاختصاصه بمكان دون مكان وفي زمان دون غيره

المشهد السادس

في ان العقل لا ينفك عن العلم وهما متصاحبان قوله عليه السلم يا هشام
ان العقل مع العلم فقال وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا
العالمون قد علمت ان العقل بجميع معانيها المختلفة مستلزمة للعلم مطلقا
وفي بعضها عين العلم والعقل البسيط القرآني الذي هو اشرف اقسامه
عبارة عن وجود جميع المعلومات او جلها في ذات واحدة على وجه الاجمال واجلها ظ
وبعده العقل التفصيلي الفرقاني وهي العلوم الكلية التفصيلية التي افادها
ذلك العقل البسيط الفعال لها وهذه العلوم الصورية المفصلة موجودة
لذلك العقل وجود الفعل للفاعل على وجه مقدس وهي موجودة للنفس
العاقلة وجود الفعل للقابل وجودا زمانيا متغيرا متكثرا ولما كان المراد
بالعلم ههنا هو ادراك المعقولات واليقينيات فلا جرم كان مدركه ذاتا عقلية
بسيطة كانت او نفسانية ثم ان المثل كما مرت الاشارة اليه عبارة
عن اداء المعنى في صورة ان نظرت الى معناها وجدته صادقا وان نظرت
الى صورتها وجدته كاذبا وانما كثر في القرآن ضرب الامثال لان الدنيا من
عالم الملك والشهادة والآخرة من عالم الغيب والملكوت وما من صورة

في هذا

في هذا العالم الا ولها حقيقة في عالم الآخرة وما من معنى حقيقي في الآخرة
الا وله مثال وصورة في الدنيا اذ العوالم والنشآت متطابق تطابق
النفس والجسد ونحن الآن نتكلم في الدنيا عن الآخرة وشرح احوال والجسد ل ح
الآخرة لمن كان بعد في الدنيا لا يمكن الا بالامثال ولذلك وجدت القرآن
مشحونة بذكر الامثال كقوله ههنا وقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها
انهار الآية مثلهم كمثل الذي استوقد نارا مثل الذين ينفقون اموالهم مثل
ما ينفقون مثله كمثل الكلب مثلهم كمثل الحمار ضرب الله مثلا للذين ~~استوقد نارا~~
آمنوا ضرب لكم مثلا من انفسكم الى غير ذلك من الآيات وذلك لان عالم
الملك نوم بالاضافة الى الملكوت كما في قوله عليه السلم الناس نيام فاذا ماتوا
انتبهوا فالموجودات في الدنيا امثلة لما في الآخرة كما ان المرئيات في النوم امثلة
لما في هذه الدنيا فما سيكون في اليقظة لا يظهر لك في النوم الا بضرب الامثال
المحوجة الى التعبير وكذلك ما سيكون في يقظة الآخرة لا يتبين لك في نوم الدنيا
الا في كسوة الامثال ونعني بكسوة الامثال ما تعرفه من علم التعبير والتعبير من اوله
الى آخره مثال تعرفك طريق ضرب الامثال وليس للانبياء عليهم السلم ان
يتكلموا مع الخلق الا بضرب الامثال لانهم كلفوا ان يكلموا الناس على قدر
عقولهم وقدر عقولهم انهم في النوم والنائم لا يكشف له شيء الا بمثل فاذا ماتوا
انتبهوا وعرفوا ان المثل صادق فالانبياء عليهم السلم هم المعبرون لما عليه اهل الدنيا
من الاحوال والصفات وما يؤول اليه عاقبتها في يقظة الآخرة بكسوة الامثال
الدنيوية كما ان ابن سيرين هو المعبر لما رآه الانسان في النوم في كسوة المثل الى

90

ما ينتهي اليه امره في اليقظة قيل جاء رجل الى ابن سيرين وقال رايت كان
في يدي خاتما اختم به افواه الرجال وفروج النساء فقال انك مؤذن تؤذن
في رمضان قبل الفجر فقال صدقت وجاء آخر فقال رايت كاني اصب الزيت
في الزيتون فقال ان كان تحت جارية اشتريتها ففتش عن حالها فانها امك
لان الزيتون اصل الزيت فهو رد الى الاصل فنظر فاذن جاريته كانت امه وقد
سبيت في صغره وقال آخر كاني اعلق الدر في اعناق الخنازير فقال انك
تعلم الحكمة غير اهلها وكان كما قال فقد ظهر وتبين لك معنى ضرب الامثال ولو
فتح لك باب الموازنة بين المحسوس والمعقول لانفتح باب عظيم في العلم اذ
في معرفة الموازنة بين العالمين عالم الملك والشهادة وعالم الملكوت والغيب
اسرار شريفة من لم يطلع عليها حرم عليه الاقتباس من انوار القرآن والتعليم
ولم يحط من علمه الا بالقشور والرؤيا الصادقة جزء من النبوة لان ما يراه
النائم الصادق النوم انما يراه حقا لما يتجلى له في عالم الغيب شيء مما في عالم
الشهادة وعالم الغيب والملكوت هو عالم النبوة والنبي من يتجلى له تمام
الملك والملكوت وكما يتجلى حقايق الاشياء في عالم النوم بكسوة الامثال
كذلك يتجلى في النشاة الاخرة بكسوة الامثال والصور اللايقة بتلك النشاة
ولعل ذلك المؤذن الذي يؤذن في شهر رمضان قبل الفجر يحشر يوم القيمة وفي
يده خاتم من نار يخرج من فمه ويقال له هذا هو الخاتم الذي تختم به افواه الرجال
وفروج النساء ويقول والله ما فعلت فيقال له نعم كنت تفعله ولكن تجهله
لان هذا روح فعلك قد نفخ بنفخ الصور في قالبه وهكذا تتمثل وتتصور حقايق
الاشياء

الاشياء وارواحها يوم القيمة بصور تناسبها ويكون الروح في غطاء
من الصور في عالم التلبيس وعالم الحس والآن فكشفنا عنك غطاءك
فبصرك اليوم حديد واما قوله لا يعقلها الا العالمون فالمراد منه ان تلك الامثال
المضروبة للناس لا بد ان ينتفع بها العام والخاص فنصيب العامي من كل مثل
ان يدرك ظاهره المحسوس ويقف عليه وينتفع به ترغيبا وترهيبا لما فيه ضرب
من المطابقة لاصله ونصيب الخاصي ان يدرك باطنه ويعبر من ظاهره الى
سره ومن محسوسه الجزئي الى معقوله الكلي فارباب القشور الظاهرة وهم اكثر
الناس لا يدركون من تلك الامثال الا محسوساتها واما اهل البصاير والعلوم
وهم الاقلون كما سيجي فيدركون معقولاتها كل بحسب حاله ومقامه المشهد

السابع في مذمة من لا يعقل اي العقل الاكتسابي الذي هو ملكة ادراك المعقولات
لا العقل المطبوع اذ ربما كان لهم ولكن اعرضوا عن استعماله فصاروا كالبهايم
قوله عليه السلم يا هشام ثم ذم الذين لا يعقلون فقال اذا قيل لهم اتبعوا ما انزل
الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون
واعلم ان كل من اتبع قول الاسلاف والمشايخ بغير بصيرة ولا دليل
فهو داخل تحت هذه المذمة وقد نرى اكثر المنتسبين الى العلم يرجع حاصل
علومهم الى تقليد المشايخ الماضين الذين هم بمنزلة آبائهم فالآية دالة على وجوب
الاخذ بالدليل وترك التقليد قال ابن عباس نزلت الآية في اليهود وذلك
حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله الى الاسلام فقالوا نتبع ما وجدنا
عليه آباءنا فهم كانوا خيرا منا واعلم قوله تعالى الفينا اي وجدنا بدليل قوله في آية

ظاهر العقل المتبوع

91

اخرى بل نتبع ما وجدنا وقوله الفيا سيدها لدى الباب ان الله تعالى امرهم
ان يتبعوا ما انزل الله تعالى من الحجج القاطعة والبراهين الباهرة فهم قالوا ما
نتبع ذلك بل نتبع آباءنا واسلافنا فكانهم عارضوا الدلالة بالتقليد
فوبخهم الله بقوله اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون فان
الواو في قوله اولو واو العطف دخلت عليه همزة الاستفهام للتوبيخ
لانها تقتضي الاقرار بشيء يكون الاقرار به فضيحة كما تقتضي الاستفهام الاخبار
عن المستفهم واعلم ان تقرير الجواب من قولهم من وجوه الاول ان يقال
للمقلد هل تعرف بان شرط جواز تقليد الانسان ان يعلم كونه محقا فكيف
عرفت انه محق ان عرفته بتقليد آخر لزم التسلسل وان عرفته بالعقل فذاك
كاف ولا حاجة الى التقليد وان قلت ليس من شرط جواز تقليده ان يعلم
حقا فاذن قد جوزت تقليده وان كان مبطلا فاذن انت على تقليدك لا تعلم
انك محق او مبطل وثانيها هب ان ذلك المتقدم كان عالما بهذا الشيء
الا انا لو قررنا دليل المتقدم ولا نذهب عليه كان لابد من العدول الى النظر
فكذا ههنا وثالثها انك اذا قلدت من تقدمك فذلك المتقدم كيف عرفه
اعرفه بتقليد او لا بل بدليل فان عرفه بالتقليد لزم اما الدور او التسلسل
وان عرفه لا بالتقليد بل بدليل فاذا وجبت تقليد ذلك المتقدم وجب عليك
ان تطلب العلم بالدليل لا بالتقليد والا لكنت مخالفا له حيث طلبت العلم
بالتقليد وهو كان يطلبه بالدليل فثبت ان القول بالتقليد يؤدي ثبوته الى
نفيه فيكون باطلا وههنا دقيقة وهي انه سبحانه ذكر هذه الآية عقيب

الزجر

الزجر عن اتباع خطوات الشيطان فدل على انه لا فرق بين متابعة وساوس
الشيطان وبين متابعة التقليد للآباء وفيه اقوى دليل على وجوب النظر
والاستدلال والاستبصار وترك التعويل على ما يقوله الغير من غير
دليل قال بعض الحكماء الاسلاميين من صدق بغير دليل فهو حمار وكانه
نظر في قوله سبحانه مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا
وقوله لا يعقلون شيئا اي لا يعقلون من المعقول شيئا والمعقولات هي العلوم
العقلية والمعارف اليقينية وليس فيه ذكر العام وارادة الخاص كما زعم الخطيب
الرازي في تفسيره مستدلا على جوازه بقوله كما لا يعقلون شيئا مع انهم يعقلون
كثيرا من امور الدنيا فالمراد بقوله لا يعقلون شيئا اي ليس من شانهم ادراك
المعقولات التي هي عبارة عن ذات الله وصفاته وافعاله العظيمة وكتبه
ورسله واليوم الآخر وبقوله لا يهتدون اي لا يهتدون الى طريق اكتسابه
قوله عليه السلام وقال ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء
ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون هذه الآية متصلة بالآية السابقة والمعنى انه
تعالى لما حكى عن الكفار انهم عند الدعاء الى اتباع ما انزل الله والتدبر فيه تركوا
النظر واصروا الى التقليد وقالوا نتبع ما الفينا عليه آباءنا ضرب لهم مثلا للسامعين
انهم انما وقعوا فيما وقعوا فيه بسبب ترك الاصغاء وقلة الاهتمام بالدين فصاروا
من هذا الوجه بمنزلة الانعام فكان في هذا التمثيل نهاية الزجر والردع لمن سمع عن
ان يسلك مثل طريقهم في اختيار التقليد وترك الاهتمام وعدم تحصيل المعرفة بالحجة
والاستبصار والنعق مأخوذ من نعق الراعي بالغنم اذا صاح بها واما النعوق

92 الغراب فهو بالغين المعجمة ولاهل التفسير في هذه الآية طريقان احدهما تصحيح المعنى
باضمار في اللفظ والثاني اجراء الآية على ظاهرها من غير اضمار اما الذين اضمروا
فذكروا وجوها الاول وهو قول اخفش والزجاج وابن قتيبة كانه قال ومثل
الذين يدعون اهل الكفر الى الحق كمثل الذي ينعق فصار الناعق مثل الداعي الى
الحق كالرسول وساير الدعاة الى الحق وصار الكفار بمنزلة الغنم المنعوق بها
ووجه التشبيه عدم فهمهم لما يستمعون كالبهيمة تسمع الصوت ولا تفهم معناه
الثاني مثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم من الاوثان كمثل الناعق في دعائه لما لا يسمع
ولا يفهم شيئا من الكلام كالبهايم وما يجري مجراها والبهايم لا تفهم فشبه الاصنام لانها
لا تفهم بالبهايم فاذا كان من دعى بهيمة عد سفيها جاهلا فمن دعى حجرا كان اولى بالذم
والفرق بين هذا القول وما قبله ان المحذوف ههنا هو الدعوة وهناك الداعي
وفيه ان قوله الا دعاء ونداء لا يساعده لان الاصنام لا يسمع شيئا الثالث
مثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم كمثل الناعق في دعائه عند الجبل فانه لا يسمع الا صدى
صوته فاذا قال يا زيد يسمع من الصدى يا زيد فكذلك هولاء الكفار اذا دعوا
هذه الاصنام والاوثان لا يسمعون منها الا ما تلفظوا به من الدعاء والنداء
الطريق الثاني فيه وجهان الاول ان يقول مثل الذين كفروا في قلة عقلهم في عبادتهم
لهذه الاوثان كمثل الداعي اذا تكلم مع البهايم فكما انه يقضي على ذلك الداعي بقلة العقل
فكذا ههنا الثاني مثل الذين كفروا في اتباعهم آباءهم وتقليدهم كمثل الراعي اذا تكلم مع
البهايم فكما ان الكلام مع البهايم عبث عديم الفائدة فكذا التقليد عبث عديم الفائدة
واما قوله صم بكم عمي فقيل فيه انه تعالى لما شبههم بالبهايم في عدم العقل زاد في تبكيتهم فقال
صم

صم بكم عمي لانهم صاروا بمنزلة الصم في ان الذي سمعوه كأن لم يسمعوه وبمنزلة
البكم في ان لا يستجيبوا لما دعوا اليه وبمنزلة العمي من حيث انهم اعرضوا عن الدلايل
فصاروا كانهم ما شاهدوها اقول الاولى بل الحق ان يحمل كلام الله مهما يمكن
على الحقيقة دون المجاز والتشبيه وههنا كذلك فان للانسان غير هذا السمع
الحسي سمع عقلي يسمع به المعقولات ويدركها ادراكا عقليا وله غير هذا البصر
الظاهري بصر عقلي يرى به الصور العقلية ويشاهدها مشاهدة اجلى عبارة
عن القائه العلوم المفصلة واعلام المعقولات فلاهل الله اعين يبصرون بها
وآذان يسمعون بها وقلوب يعقلون بها والسنة يتكلمون بها غير ما هي هذه
الاعين والآذان والقلوب والالسنة عليه من الصور كما قال تعالى فانها
لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وان المختوم في الازل
على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة صم بكم عمي فهم لا يعقلون والله
ان عيونهم لفي وجوههم وان اسماعهم لفي آذانهم وان قلوبهم لفي صدورهم ولكن
عناية الله ما سبقت لهم بالحسنى ولم يفتح لهم ابواب السماء قال تعالى وكذلك
نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وقد ورد في الرواية عن النبي صلى الله
وآله اني ارى ما لا ترون وعنه صلى الله عليه وآله ايضا لولا تزييد في حديثكم و
تمريج في قلوبكم لرأيتم ما ارى ولسمعتم ما اسمع وعن امير المومنين عليه السلم رأيته
فعبدته لم اعبد ربا لم اره قال سبحانه لتبين للناس ما نزل اليهم واكثر من هذا
البيان الصريح الذي في القرآن والحديث لا يكون لكن اين من يفرغ محله عن الخوض
في الذي لا يعنيه لآثار ربه اين من يعرف الحق من الحق لا من الرجال والشيوخ

بهذا البصر واوضح من مشاهدة الحسية وله ايضا للصورة نطق عقلي يتكلم به الاقوال العقلية وهو ع

والآباء هذا قليل نادر جداً قوله عليه السلم قال ومنهم من يستمعون اليك افانت
تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون اعلم انه تعالى قسم الكفار في الآية السابقة على هذه
الآية قسمين منهم من يؤمن به اي بالقرآن باطناً لكنه يجحد ومنهم من لا يؤمن به وفي
هذه الآية قسم من لا يؤمن قسمين منهم في نهاية قساوة القلب وجمود الطبع وجمود
نار الذهن ومنهم من لا يكون كذلك لمكنة استعداد فطري له فوصف القسم الاول
فقال من يستمعون اليك لحصول السمع الحسي لهم مع انهم صم من حيث عدم ادراك
المعنى فبين سبحانه لرسوله انه لا جدوى في اسماعك اياهم آيات الكلام ولا
ينفع الانذار والنصيحة لانهم قد بلغوا في مرض العقل الى حيث لا يقبلون العلاج والطبيب
اذا رأى مريضاً لا يقبل العلاج اعرض عنه ولا يستوحش من عدم قبوله العلاج فهم
مثل ذلك فاعرض عنهم واليه الاشارة فيما قال تعالى بلسان نبيه ولا ينفعكم نصحي
ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم فكما لا يمكن جعل الاصم سميعاً
والاكمه بصيراً فكذلك اسماع الآيات الالهية غير ممكن لمن بلغ قلبه الى هذا الحد
من القساوة نكتة احتج بعض الناس على ان السمع افضل من البصر بهذه الآية
حيث قرن تعالى بذهاب السمع ذهاب العقل ولم يقرن بذهاب البصر فالسمع
افضل وهو مزيف لان الذي نفاه الله تعالى من السمع ههنا بمنزلة ما نفاه من البصر
لانه اراد بصائر القلوب لا ابصار العيون والذي يبصره القلوب هو الذي يعقله
وذكر في هذا الباب دلائل اخرى منها ان ذكر السمع والبصر اينما وقع في القرآن فانه
في الاغلب قدم السمع على البصر ومنها ان العمى قد وقع في حق الانبياء عليهم السلم
واما الصمم فغير جائز لانه يخل باداء الرسالة ومنها ان السمع يدرك من جميع
الجوانب

الجوانب دون البصر ومنها انه قال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى
السمع وهو شهيد فجعل السمع قريناً للعقل لانه المراد من القلب ويؤكده ايضاً
قوله لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير فجعلوا السمع سبباً للخلاص من
عذاب السعير مثل العقل ومنها ان امتياز الانسان عن سائر الحيوان بالنطق
والكلام وانما ينتفع بالسامعة لا الباصرة فمتعلق السمع النطق الذي به شرف
الانسان ومتعلق البصر الالوان والاشكال وذلك امر مشترك بينه وبين
سائر الاجسام ومنها ان الانبياء عليهم السلم يريهم الناس ويسمعون كلامهم
ولا تثبت نبوتهم برؤيتهم بل باستماع كلامهم فالمسموع افضل من المرئي فوجب
بهذه الوجوه ان يكون السمع افضل من البصر اقول وفي اكثر هذه الوجوه نظر
يطول الكلام بذكره ومن الناس من قال ان البصر افضل من السمع بوجوه
الاول ان في المثل المشهور ان ليس الخبر كالمعاينة وان ليس وراء العيان
بيان وذلك يدل على ان اكمل وجوه الادراك البصر الثاني ان عجائب حكمة الله
في تخليق العين التي هي محل الابصار اكثر من عجائب حكمته في تخليق الاذن
التي هي محل السماع وانه جعل تمام الزوج الواحد من الازواج السبعة الدماغية
من العصب آلة للابصار وركب العين من سبع طبقات وثلث رطوبات
وجعل محركات العين عضلات كثيرة على صور مختلفة والاذن ليس كذلك وكثرة
العناية في تخليق الشيء يدل على كونه افضل من غيره الثالث ان آلة القوة
الباصرة هي النور وآلة القوة السامعة هي الهواء والنور اشرف من الهواء
فالباصرة افضل من السامعة الرابع ان البصر يرى ما فوق سبع سموات والسمع

ومنها ان الانسان يستفيد العلم من المعلم والاستاذ وذلك لا يمكن الا بالسمع ولا يتوقف على البصر ٤

[illegible]

لايدرك ما بعد منه على فرسخ فكان البصر اقوى وافضل وهذا الوجه مدافع لقولهم
ان السمع يدرك من جميع الجوانب والبصر لا يدرك الا من جانب واحد ولان الناس
ان كثيرا من الناس سمع كلام الله في الدنيا واختلفوا في انه هل يراه احد فيها وايضا
ان موسى عليه السلم سمع كلام الله من غير سبق سؤال والتماس ولما سأل
الرؤية قال لن تراني فذلك يدل على ان حال الرؤية اعلى من حال السماع قال
ابن الانباري كيف يكون السمع افضل من البصر وبالبصر يحصل كمال الوجوه وبذهابه
يذهب وذهاب السمع لا يؤثر في الانسان عيبا والعرب يسمي العينين كريمتين
ولا يصف السمع بمثله ومنه الحديث من احب كريمتاه اقول ومن وجوه افضلية
البصر على السمع ان البصر قوة فعلية بناء على ما ذهبنا اليه من ان الابصار انما هو
بانشاء النفس مثل المبصرات في صقع من ملكوتها الاسفل والسمع قوة انفعالية
والقوة الفعلية افضل من الانفعالية فهذه هي الوجوه المذكورة في ابانتين والحق
في هذا المقام القول فيها بالتفصيل بعد الاستفسار بان يقال اولا هل المراد
منها العقليتان او الحسيتان وعلى الاخير هل المراد حالهما بالقياس الى انفسهما
او بالقياس الى النفس التي تستعملها وعلى الثاني بالقياس الى الحيوان مطلقا
او بالقياس الى الانسان خاصة وعلى الثاني من جهة دنياه او من جهة اخراه
وعلى الثاني من جهة العلم او من جهة العمل وفي هذه النشأة او في النشأة الآخرة
ثم يقاس بينهما في واحد واحد من الاقسام فيظهر عند ذلك ان الحكم بالافضلية على
الاطلاق لواحد منهما بخصوصه على صاحبه غير سديد كما لا يخفى على اهل البصيرة قوله
عليه السلم وقال ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا

تحقيق

تحقيق هذه الآية ان الحقيقة في كل نوع طبيعي من الناس والفرس
والفلك والكوكب وغيرها ليست صورها المحسوسة بل معناها فالانسان
انسان بحقيقة الانسانية وروحه النطقي والحمار حمار بروحه البليدة والكلب
كلب بروحه الضارية وكذا في ساير الانواع الطبيعية سيما التي لها نفوس
وارواح غير اجسادها ولكن الانسان يختص من بينها بخصوصية اخرى
وهي ان غير الانسان من الحيوان والفلك والجن وغيره بحيث يكون
ظواهرها دايما تطابق معانيها وارواحها بخلاف الانسان في هذه النشأة
فانه قد يقع التخالف بين روحه وبدنه وذلك لكونه قابلا لاكتساب الملكات
والاخلاق فان من فعل فعلا او تكلم بكلام حصل منه في اثر وحال يبقى زمانا — نفسه ح
واذا تكررت الافاعيل من باب واحد استحكمت الآثار في النفس فصارت
الحال ملكة وصورة فيصدر منها بسببها الافعال بسهولة من غير روية وحاجة
الى تجشم كسب جديد بعد ما لم يكن كذلك واليه الاشارة في باب الملكة العلمية
بقوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ومن هذا الوجه يحصل تعلم الصنايع
والمكاسب العلمية والعملية ولو لم يكن هذا التأثر المتلاحق للنفس الآدمية
والاستعداد فيها يوما فيوما لم يمكنها تعلم شيء من الحرف والصنايع ولم ينجع
فيها التأديب والتهذيب ولم يكن في تأديب الاطفال وتمرينهم الاعمال
فايدة فتلك الآثار اعني الاحوال تصير ملكات والملكة اي الخلق صورة الباطن
كما ان الخلق صورة الظاهر فالخلق والخلق قد يتخالفان في بعض الناس فترى الظاهر
بشرا والباطن قد تحول وصار بهيمة او سبعا او شيطانا وهذا هو مسخ

الباطن ولمّا كانت القيمة موطن بروز الحقايق بصورها الذاتية بلا التباس وتدليس
كما في الدنيا فيحشر بعض الناس على صورة القردة والخنازير والكلاب اذا
عرفت هذه المسئلة الشريفة التي اكثر الناس في غفلة عنها فنقول نبّه الله تعالى رسوله
صلى الله عليه وآله على هذا السرّ يعني انّ الذي به فارق الانسان البهايم والانعام
هو ادراك ما يخرج عن عالم الحواس فمن ذهل عن ذلك وعطّل نفسه عن تحصيله
واهمله وقنع بدرجة البهايم ولم يجاوز عالم المحسوسات فهو الذي اهلك نفسه
وابطل قوّة استعداده بالاعراض عن الآيات والتأمّل فيها فنزل الى درجة
البهايم وافق الانعام وترك الترقّي الى الملاء الاعلى وكان كافراً لنعمة الله عليه
ومتعرّضاً لسخطه ونقمته ولذلك قال بل هم اضلّ سبيلا لانّ البهايم والانعام
ما ابطلت استعدادها لما كان لها وما ضلّت عن سبيلها التي كانت عليها
واليه الاشارة بقوله ما من دابّة الّا هو آخذ بناصيتها انّ ربّي على صراط مستقيم
وايضا البهيمة تتخلّص بالموت وهذه النفوس الضالّة باقية بعد الموت الّا انّها
منكوسة الرؤس الى اسفل سافلين كما في قوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا
رؤسهم عند ربّهم فبيّن انّهم عند ربّهم الّا انّهم منكوسون ممسوخون انقلبت وجوههم
الى اقفيتهم وانتكست رؤسهم عن جهة فوق الى جهة اسفل وذلك حكم الله
فيمن اعرض عن آياته ونسوا ذكر الله نسوا الله فانسيهم انفسهم ذلك تقدير
العزيز العليم تذكرة فيها تبصرة اعلم انّ مسخ البواطن في هذه الامّة كثير كما ظهر المسخ
في امّة موسى عليه السلم حين جعل الله في بني اسرائيل قردة وخنازير فترى في هذا
الزمان الصّور اناسي وفي الباطن غير ذلك الصّور من ملك او شيطان او حيوان

ظ لعنة

تملك لكم

مناسب

مناسب لما هو عليه في باطنه من كلب او حمار او خنزير او قردة او اسد
وكلّ ذلك يختلف ما يطلبها نشأته امّا عال او سافل لما سبق ذكره من
تحوّلات الباطن وتطوّرات النفس وتقلّباتها امّا على وجه الترقّي او على
وجه الاعوجاج او الانتكاس وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله
من طريق العامّة والخاصّة باختلاف اللفظ ما معناه انّه يخبر عن ربّه في صفة
قوم من منافقي امّته انّهم اخوان العلانية اعداء السريرة السنتهم احلى من
العسل قلوبهم قلوب الذئاب يلبسون للناس جلود الضأن من اللين
فهذا بعينه هو مسخ الباطن وهو ان يكون قلبه قلب ذئب وصورته صورة
انسان والله العاصم من هذه القواصم وبالجملة لمّا كان موطن القيمة موطن ظهور
البواطن يحشر الناس على صور نيّاتهم وملكاتهم واهل الكشف لظهور سلطان
الآخرة عليهم وبروزه لهم يرون بعين البصيرة كلّ انسان على صورته التي يحشر
عليها يوم القيمة كما دلّ عليه حديث الحارثة الانصاري وربّما يشغل بعض
المكاشفين مشاهدة صورة ذلك الموطن الاخروي عن مشاهدة الصور
الاخروية كما نقل عن بعض المكاشفين انّه دخل عليه ذات يوم واحد من
اهل بلده وكان هو مستغرقاً في حاله فلمّا نظر اليه قال لخادمه اخرج هذا الحمار
فلم يكن يرى منه الّا صورة الحمار ثمّ بعد ان زال عن هذه الحال اخبره الخادم
بما جرى فقال ما قلت الّا ما رأيت واعلم انّ هذه الحال لذلك المكاشف
لعدم تمام قوّته واحاطته بالجانبين ونظره بالعينين اليمنى واليسرى جميعاً
وامّا الكامل فهو جالس كاصحاب الاعراف على الحدّ المشترك بين العالمين

الدنيوي صورة موطنه على عكس حال المحجوبين الذين يشغلهم مشاهدة الصور الدنيوية عن مشاهدة صح

بالعينين كليهما صح

المشترك بين صح

ويشد الشيئين فلا يحجب احديهما عن الاخرى ولا يشغله شأن عن شأن
فقد ظهر وتبين لك ان قوله تعالى أولئك كالانعام وقوله مثله كمثل الكلب
وقوله كمثل الحمار وما يجري هذا المجرى انما المراد بها مسخ الباطن لا مجرد التشبيه
في بعض الصفات كما زعمه الاكثرون قوله عليه السلم وقال لا يقاتلونكم
الا في قرى محصنة او من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا
وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون ذكر الله تعالى في هذه الآية
من ذمايم الكفرة ثلثة امور الجبن عن الحرب والبأس الشديد بينهم وتشتت
قلوبهم وعلل الجميع او الاخير بعدم العقل والمعرفة فان العاقل التام العقل
شجاع لا يتقي الموت لعلمه بان الموت على الفضيلة خير من الحيوة على الرذيلة
والعاقل لا بأس له ولا خوف عن احد غير الله لانه يعلم ان الكل بقضائه
وقدره فيتوكل عليه ولعلمه بان من يتوكل على الله فهو حسبه وان الله بالغ
امره والعاقل لا يخالف عاقلا آخر فلا يفترق قلوبهم لان طريقهم واحدة و
دينهم دين التوحيد ولهذا قيل العقل فن واحد والجنون فنون وايضا عالمهم
عالم العقل وفيه صورة الوحدة وعالم الجهلة والارذال عالم الجسم لاستغراق
نفوسهم في ابدانهم وهذا العالم عالم التفرقة والانقسام فلا جرم
قلوبهم متشتتة متفرقة وقلوب العقلاء مجتمعة كما في قوله عليه السلم المؤمنون
يد واحدة على من سواهم ومعنى الآية حكاية احوال اليهود والمنافقين
لما ذكر اولا قوله لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا
يفقهون اي لا يعلمون عظمة الله فخوفهم من الناس اعظم من خوفهم من الله

فلا يخشون

الكفرة

بيت
متحد جانهای شیران خدا
جان گرگان و سگان از هم جداست

واحدة

فلا يخشون الله حق خشيته وانما يخشى الله من عباده العلماء وغيرهم يخشى
الناس كخشية الله او اشد خشية ثم ذكر انهم لخوفهم منكم لا يقاتلونكم جميعا
الا في قرى محصنة بالحصون والقلاع والخنادق او من وراء جدر بسبب
ان الله القى في قلوبهم الرعب وتاييد الله ونصره معكم بأسهم بينهم اي
فيما بينهم او منهم ومن المؤمنين شديد والاول اولى لفظا ومعنى لعدم الحاجة الى
الاضمار ولدلالة قوله تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى يعني تحسبهم في صورتهم مجتمعين
على الالفة والمحبة لكن قلوبهم شتى لان كلا منهم على مذهب آخر وبينهم عداوة
شديدة لاغراضهم الدنيوية وفيه تشجيع للمؤمنين على قتالهم ذلك بانهم لا يعقلون
حظوظ انفسهم وما فيه صلاح حالهم في الدنيا فكيف صلاح مآلهم في الآخرة او ليسوا
من اهل العقل والا لعلموا رشدهم وهداهم فآمنوا فاذ لم يؤمنوا بالله ورسوله
مع وضوح الامر فهم السفهاء الحمقى فلا خوف منهم وقال عليه السلم وقال وتنسون
انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون صدر الآية اتأمرون الناس بالبر
وتنسون انفسكم والهمزة الاولى للتحذير مع التقريع والتعجب من حالهم قيل نزلت
في جماعة من الناس كانوا يأمرون الناس بطاعة الله وهم كانوا يتركونها
ويقدمون على المعاصي وقيل كانوا يأمرون الناس بالصلوة والزكوة وهم
كانوا يتركونها والبر اسم جامع لاقسام الخير وقيل نزلت في اليهود كانوا قبل
مبعث الرسول صلى الله عليه وآله يأمرون الناس باتباعه قبل ظهوره فاذا
بعث لم يتبعوه وقوله وانتم تتلون الكتاب انسب بهذا اي تقرؤن نعت
محمد صلى الله عليه وآله في كتابكم وعلى القولين المراد به القرآن او مطلق الكتب

قومهم

نعت

كتابكم

97 التي فيها الاحكام العقلية والحث على افعال البر والاعراض عن افعال الاثم وقوله
افلا تعقلون تعجب من افعالهم المنافية للعقل كما في قوله تعالى أف لكم ولما تعبدون
من دون الله افلا تعقلون وسبب التعجب وجوه احدها ان المقصود من الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر ارشاد الغير الى ما فيه المصلحة والتحذير عما يوقعه في المفسدة
والاحسان الى النفس اولى من الاحسان الى الغير فمن وعظ ولم يتعظ فكانه اتى بفعل
متناقض فلذلك قال افلا تعقلون والثاني ان من وعظ فلا بد ان يجتهد في ان يصير
وعظه نافذا في القلوب والاقدام على المعصية مما ينفر القلوب عن القبول فمن
وعظ واقدم على المعصية فقد اراد ان يجمع بين المتناقضين وهو غير واقع من العقلاء
والثالث ان من وعظ وظهر علمه للناس ولم يتعظ فيصير هذا داعيا لهم الى التهاون
بالدين والجرأة على المعصية فاذا كان غرض الوعظ الزجر عن المعصية ثم اتى بفعل
يوجب الجرأة عليها فكانه جمع بين المتناقضين وذلك ينافي افعال العقلاء
فقال افلا تعقلون وقال عليه السلام قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك
اعلم انه ذهب بعضهم الى ان ليس للعاصي ان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر و
احتجوا بالآية والمعقول اما الآية فهذه وقوله تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون
واما المعقول فهو انه لو جاز ذلك لجاز لمن يزني بامرأة ان ينكر عليها في اثناء الزنا
عن كشفها عن وجهها وهو معلوم ان ذلك مستنكر والجواب المكلف مأمور بشيئين
احدهما ترك المعصية والثاني منع الغير عن فعلها والاخلال باحد التكليفين
لا يقتضي الاخلال بالآخر واما قوله اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم فهو نهي
عن الجمع بينهما وذلك يتصور على وجهين اما ان يكون النهي راجعا الى فعل احدهما وهو
نسيان

نسيان النفس مطلقا او الى الآخر عند فعل الاول اعني ترغيب الناس على
البر حال نسيانه للنفس والاول هو المراد روي عنه صلى الله عليه وآله انه قال
مررت ليلة اسري بي على قوم تقرض شفاههم بالمقاريض من النار فقلت يا جبرئيل
يا اخي من هؤلاء فقال هؤلاء خطباء من اهل الدنيا كانوا يأمرون الناس بالبر
وينسون انفسهم المشهد الثاني في ان المذموم من افراد الناس كثير وان اكثر
الناس من اهل الحجاب عن الحق والضلال والبعد عن الرحمة في المآل
لاستغراقهم في بحر الدنيا والشهوات وتوغلهم في الامور الباطلة والجهالات
الا من رحمه الله واخرجه الى النور من الظلمات وفي القرآن آيات كثيرة
دالة على ان اكثر الناس من اهل الكفر والنفاق وان اكثر المؤمنين ظاهرا
هم المشركون باطنا وضميرا مثل قوله وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين
وقوله وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون وقوله يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها
واكثرهم الكافرون وقوله لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون وقوله يا ايها
الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله يعني يا ايها الذين آمنوا ظاهرا وتخمينا آمنوا قلبا
وتحقيقا وايضا الاحاديث الكثيرة المروية من طريق الخاصة ناطقة على ان
المؤمن الحقيقي في غاية الندرة اعز من الكبريت الاحمر اذ المراد به العارف
الموحد والعالم الراسخ في العلم والتوحيد ولذلك ورد من المدائح العظيمة في فضل المؤمن
ما ورد قوله عليه السلام [illegible] ذم الله الكثرة فقال وان تطع اكثر من في الارض
يضلوك عن سبيل الله هذه الآية كما تدل على ان اكثر الناس على الجهالة والضلال
كذلك تدل على ان الهدى والرشد في عدم اتباع ما عليه الجمهور من حيث هم عليه

والاتباع صح

فلو فرض ما عليه الجمهور حقًا فانما يجب القبول والاتباع اذا عُلِم صدق ذلك بدليل
لا بمجرد كون الجمهور عليه فالمتّبع حينئذ الدليل العقلي او النصّ لا قولهم قوله عليه
السّلم وقال ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولنّ الله
قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون دلّت بحسب المفهوم على انّ اكثر الناس
يقولون ما لا يعلمون وانهم لا يؤمنون بالله قلبًا واعتقادًا بل لسانًا واعترافًا
وذلك لانّ كونه تعالى خالق السموات والارض مسئلة نظريّة لا تعلم الّا
بمقدمات علميّة واكثر الناس بمعزل عن ادراكها ولا شكّ انّ من ادّعى
قولًا لم يعلمه عُدّ سفيهًا مذمومًا فالاكثر داخلون في هذه المذمّة فالحمد راجع الى
الله ولمن آتاه من لدنه علمًا قوله عليه السّلم وقال ولئن سألتهم من نزّل
من السماء ماء فاحيى به الارض بعد موتها ليقولنّ الله قل الحمد لله بل اكثرهم
لا يعقلون قال اهل التفسير انه لمّا بيّن الله تعالى فيما سبق من آيات التوحيد
للمشرك مخاطبًا ايّاه ولم ينتفع به اعرض عنه وخاطب المؤمن بقوله يا عبادي الذين
آمنوا واتمّ الكلام معه وذكر معه ما يكون تنبيهًا على قصور عقله وقبح ما هو عليه وهذا
طريق حسن في الارشاد فانّ السيد اذا كان له عبدان او ولدان واحدهما
رشيد والآخر مفسد ينصح اوّلا المفسد فان لم يسمع يقول معرضًا عنه ملتفتًا
الى الرشيد انّ هذا لا يستحقّ الخطاب فاسمع انت ولا تكن مثله فيتضمن هذا
الكلام نصيحة المصلح وزجر المفسد فانّ قوله هذا لا يستحقّ الخطاب يوجب نكاية في
قلبه ثم اذا ذكر مع المصلح في اثناء الكلام والمفسد يسمعه انّ هذا اخاك العجب منه انه
يعلم قبح فعله ويعرف الفساد من الصلاح وسبيل الرشاد ثم يعمل بضدّه ويكون هذا

الكلام

الكلام ايضًا داعيًا له الى سبيل الرشاد ما يفاله من ذلك الفساد فكذلك قال الله تعالى
مع المؤمنين العجب منهم ان سألتهم من خلق السموات والارض وسخّر الشمس والقمر
ليقولنّ الله وان سألتهم من نزّل من السماء من ماء فاحيى به الارض ليقولنّ الله
ثم لا يؤمنون بهذا ما ذكروه اقول الذي يستفاد من كلامه عليه السّلم انّ المراد التنبيه
على شرف العقل وعظم قدر الايمان الحقيقي وانه في غاية العزّة والندرة وانّ
اكثر الناس قاصرون عن دركه لقصور عقلهم فانّ امور الدنيا لا تتمشّى الّا بوجود
النفوس القاسية والطبايع الغليظة وغلة الدنيا وعمارها مع انّ الغاية
في خلقهم وتعمير الدنيا بهم هي وجود اهل العقل والعرفان وفي قوله وجهان احدهما
ما مرّ من انّ الاكثر مذموم العاقبة وانّ جنس الحمد مختصّ بالله وبمن اراده من
خلّص عباده المتّقين والثاني انّ الله لمّا ذكر دلايل ايقانه واسباب رزق
الخلايق من خلق السموات والارض وانزال الماء من السماء وغير ذلك من
الاسباب الفاعليّة والقابليّة وانه المنعم بالحقيقة فاشار الى انّ اكثر الناس
لا يعقلون انّ المنعم الحقيقي هو الله وانّ الحمد على النعمة لا يستحقه الّا هو فانّ هذا
العلم موقوف على العلم بتوحيد الافعال وان لا مؤثّر في الوجود الّا الله كما هو مذهب
الحكماء الربانيين وذكر العلّامة الطوسي طاب ثراه انّ هذا متّفق عليه من الحكماء
واليه ذهب بعض الرواقيين منهم كصاحب حكمة الاشراق قال على قاعدة الاشراق
وكما انّ النور القوي لا يمكّن النور الضعيف فالقوة القاهرة الواجبيّة لا يمكّن الوسايط
لشدّة اشراقه فليس شأن ليس فيه شأنه واما الاشعريّة فانهم وان قالوا وادّعوا وان كره
هذا العلم ولكنهم ما عرفوه اصلا وسدّ الله عليهم طريق معرفته ولا يمكن فتح هذا الباب

٩٩

على قلوبهم لانّهم نظروا الى الاشياء بالعين العوراء وعزلوا الاسباب التي وضعها الله واساؤا الادب مع الله كما بيّناه وهذا علم غامض شريف ولاجل ذلك ورد في الحديث انّ ثواب التحميد اكثر من ثواب التهليل والتسبيح وانّ الحمد لله ملاء الميزان فربّ عالم بتوحيد الله ونفي الشريك عنه غير عالم بكونه مسبّحاً مقدّساً عن التغيّر والتجسّم كالحنابلة ومن يحذو حذوهم ثم ربّ عالم مؤمن بتوحيده وتقديسه وتجرّده عن الجسمية والنقايص الامكانية وهو غير عارف بتوحيد الافعال وانّه هو المنعم بالحقيقة وانّ النعم كلّها راجعة اليه ولهذا قال قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون **المشهد التاسع** في مدح القلة بمعنى انّ الممدوح من الناس وهو العاقل عقلاً بالفعل في اصطلاح الحكمة والمؤمن الحقيقي في لسان الشريعة قليل وقد دلّت الروايات على طبق الآيات القرآنية في شذوذه وندرته كما سيجي في كتاب الايمان والكفر منها ما رواه محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن سنان عن قتيبة الاعشى قال سمعت ابا عبد الله عليه السلم يقول المؤمنة اعزّ من المؤمن والمؤمن اعزّ من الكبريت الاحمر فمن راى منكم الكبريت الاحمر ومنها ايضاً مسنداً عن حمران بن اعين قال قلت لابي جعفر عليه السلم جعلت فداك ما اقلّنا لو اجتمعنا على شاة ما افنيناها فقال الا احدّثك باعجب من ذلك المهاجرون والانصار ذهبوا الّا واشار بيده ثلثة قال حمران فقلت جعلت فداك ما حال عمّار قال رحم الله عمّاراً ابا اليقظان بايع وقتل شهيداً فقلت في نفسي ما شي افضل من الشهادة فنظر الي وقال لعلّك ترى انّه مثل الثلثة ايهات ايهات

ومنها

[margin: عارف بتوحيد]

ومنها حديث حارثة بن مالك الانصاري حيث قال انّي مؤمن حقّاً فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لكل شي حقيقة فما حقيقة قولك فبيّن حقيقة ايمانه بما بيّن في ذلك الحديث المشهور الذي رواه الخاص والعام وقد مرّ ذكر مضمونه الى غير ذلك من الروايات قوله عليه السلم يا هشام ثم مدح القلة وقال وقليل من عبادي الشكور وقال وقليل ما هم وقال وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلاً ان يقول ربّي الله وقال ومن آمن وما آمن معه الا قليل وقال ولكن اكثرهم لا يعلمون ولكن اكثرهم لا يعقلون لا يشعرون امّا قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور فانّ الشكر ليس معناه قول القايل الشكر لله او ما يجري مجراه بل عبارة عن صرف العبد جميع النعم الله عليه فيما خلق لاجله وهذا امر عظيمة اذ يندرج فيه العلم بالله وصفاته وافعاله وانّ النعم والخيرات كلّها صادرة منه ويندرج فيه العلم بالقيمة والنشاة الاخرى للنفس ورجوعها الى الله ثم العمل بمقتضى العلم والمجاهدة مع القوى الامّارة بالسوء في طريق السير الى الله وتهذيب الاخلاق والسياسات المدنية وغير ذلك مما يطول شرحه ولذلك كان الشكر من المقامات العالية القليلة الوقوع في العباد كما قال وقليل من عبادي الشكور وحكى عن ابليس انه قال ولا تجد اكثرهم شاكرين يعني المؤمنين بالحقيقة وامّا قوله تعالى وقليل ما هم فانه لمّا وقع بعد قوله الّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات دلّ صريحاً على انّ المؤمن العامل بمقتضى ايمانه القلبي لا لاجل شي آخر ليس في العالم الّا قليلاً وسبب القلة بعد ما اشرنا اليه من انه امر عظيم

[margin: ولكن اكثرهم لا يعلمون]

[margin: وما في ... ذكرناه ... تحقق فائدتها ...]

١٥٥

الرتبة يصل به الانسان الى مراتب الملئكة المقربين والفطرة البشرية قاصرة
عن ان يبلغ الى هذه المرتبة الا بموهبة خاصة من قبل الله لبعض الصفوة من عباده
لان الدواعي الى الدنيا كثيرة وهي الحواس الظاهرة والباطنة وهي عشرة والشهوة
والغضب والقوى الطبيعية السبعة والمجموع تسعة عشر وكلها واقفة على باب
جهنم الطبيعة البدنية التي هي كانها شعلة من نار السعير وكلها تدعو القلب الى الدنيا
واللذات الحسية واما الداعي الى الحق والدين فليس الا العقل الخالص عن هذه الشوائب
وقد علمت ان العقل ليس عقلا الا بعد ان خرج بنور المعرفة واليقين من القوة
الى الفعل وذلك يتوقف على تكرر الادراكات الحقة والاعمال الصالحة المتوقفة
ايضا على نور الايمان والحكمة فالامر ههنا بمنزلة توقف الشئ على نفسه لولا ان الله
تعالى انعم على من يشاء من عباده المكرمين واحسن اليه بنور الحكمة والايمان والا
لكان تحصيله بالكسب مستحيلا لانه يفضي الى الدور ولاجل ان الحكمة المعبر عنها بالايمان
امر موهبي قال تعالى وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ونبه
على هذا المعنى في كثير من المواضع فاذن قد ظهر ان اهل الخير والكمال قليل في الدنيا و
اهل الشر والنقص كثير واما قوله تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون فاختلفوا
في ذلك الرجل الذي كان من آل فرعون فقيل كان ابن عم له وكان جاريا مجرى ولي
العهد ومجرى صاحب الشوكة وقيل كان قبطيا من قوم فرعون وكان من اقاربه
وقيل كان من بني اسرائيل والقول الاول اقرب لان لفظ الآل يقع على القرابة
والعشيرة قال تعالى الا آل لوط نجيناهم بسحر روي عن رسول الله صلى الله عليه
وآله بطريق الخاصة والعامة انه قال الصديقون ثلثة حبيب النجار مؤمن آل يس

ومؤمن

ومؤمن آل فرعون الذي قال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله والثالث علي بن
ابي طالب عليه السلم وهو افضلهم ولفظ من يجوز ان يكون متعلقا بقوله مؤمن اي
كان ذلك الرجل المؤمن شخصا من آل فرعون ويجوز ان يكون متعلقا بقوله
يكتم ايمانه اي يكتم ايمانه من آل فرعون وقيل ان هذا غير جائز لانه لا يقال
كتمت من فلان كذا انما يقال كتمته كذا قال تعالى ولا يكتمون الله حديثا واما
قوله تعالى وما آمن معه الا قليل فالمراد ما آمن مع نوح عليه السلم الا قليل وهم
اصحاب السفينة الذين حملهم نوح عليه السلم معه فيها قيل كانوا التسعة نوح عليه
السلم وثمانية ابنائه وزوجته وقيل كانوا ثمانين مقاتلين في ناحية الموصل قرية يقال
لها قرية الثمانين سميت به لان هؤلاء لما خرجوا من السفينة بنوها وذكروا
ما هو ازيد وما هو انقص وذلك مما لا سبيل الى معرفته الا ان الله وصفهم
بالقلة ولعل المؤمن الحقيقي منهم بعضهم فان قيل لما كان الذين آمنوا معه دخلوا
في السفينة كانوا جماعة فلم لم يقل قليلون كما في قوله ان هؤلاء لشرذمة قليلون
قلنا كلا اللفظين جائز والتقدير وما آمن معه الا عدد قليل قال الفخر الرازي
واما الذي روي ان ابليس دخل السفينة فبعيد لانه من الجن وهو جسم ناري
اقول لعل دخوله فيها لم يكن للخلاص عن الغرق بل لعمله الذي عليه من الوسوسة
والانسان اينما كان لا ينفك عنه ما دام في الدنيا واما قوله تعالى ولكن اكثرهم
لا يعلمون والقرينتين بعده فهو للدلالة على ان اهل العلم اليقيني والايمان القلبي
والعقل التام الذي هو العقل بالفعل يكون قليلا بالقياس الى الجهال والكفار
وقوله ولكن اكثرهم لا يشعرون ادل في الدلالة على قلة اهل العقل والعلم من القولين

الا اولين لان نفي الشعور الذي هو العام يستلزم نفي العلم والعقل الذي هو الخاص 101
على ابلغ وجه واكده ومما يدل على كون المؤمن الحقيقي في غاية الندرة والعزة
قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية لانه دل بمفهومه
على ان المؤمن خير من الملئكة ولا شبهة في ان الافضل من الملئكة المقربين
يكون قليل الوجود في الناس فان قلت كذلك قال تعالى في مقابله الذي
هو الكافر ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين
فيها اولئك هم شر البرية قلت الجواب بوجهين اما اولا فلا استبعاد في كون
المخلوق من الماء والتراب كان بسبب كفره شر خلق الله ولكن العجب صيرورة
المتكون من النطفة والطين بسبب ايمانه خير من خلق الله وخير من الملك المخلوق
واما ثانيا فلعل المراد منهم ضرب من الكفرة وهم الجاحدون المصرون على الكفر
والنفاق اذ الجهل اذا صار مشفوعا بالعناد مركبا بالاصرار كان شر الصفات الذميمة
وصاحبه ابعد خلق الله عن قبول الرحمة ومثله قليل الوقوع لكونه في الجانب الضد
مثال ذلك السواد ضد البياض فهو مقابل له تقابل التضاد وكل ما هو غير البياض
كالسواد والحركة والطعم وكل ما في الكون ايضا يقابل البياض ولكن تقابل السلب
والايجاب تقابلا بالعرض لا بالذات فكل ما هو ضد البياض مقابله وليس كل ما
هو مقابله ضده فهكذا نقول كل كافر فهو غير مؤمن ولكن لا يلزم ان يكون معاندا
له وكل من هو معاند للمؤمن بما هو مؤمن فهو غير مؤمن دون العكس وايضا طرفا
التضاد قليلان والاوساط غير متناهية ولاهل الرحمة كثرة عظيمة **المشهد العاشر**
في انه تعالى ذكر العقلاء الكاملين في القرآن باجود ما يذكر به شيء ونعتهم باحسن النعوت
والسمات

والسمات قوله عليه السلم يا هشام ثم ذكر اولي الالباب باحسن الذكر وحلاهم
باحسن الحلية الذكر يحتمل المصدر واسم المصدر اي ما يذكر به والمراد الثاني و
يقال الرجل يقاتل للذكر اي ليحمد من الناس ويوصف بالشجاعة والذكر ايضا
الشرف والفخر ومنه في صفة القرآن وهو الذكر الحكيم اي الشرف المحكم العاري
من الاختلاف وقد تكرر ذكر الذكر في الحديث ويراد به تمجيد الله وتقديسه وتسبيحه
وتهليله والثناء عليه بجميع محامده كذا في النهاية والحلية والحلي اسم لكل ما يتزين
به مصاغ الذهب والفضة وجمع الحلي حلي بالضم والكسر وجمع الحلية حلى مثل
لحية ولحى وربما ضم وقد يطلق الحلية على الصفة وفي الحديث جاء رجل وعليه
خاتم من حديد فقال ما لي ارى عليك حلية اهل النار لان الحديد زي اهل
الكفار وهم اهل النار وانما كرهه لاجل نتنه وزهومته وفي حديث علي عليه السلام
لكنهم حليت الدنيا في اعينهم ويقال حلى الشيء بعيني يحلى اذا استحسنته
وحلا بفمي يحلو قوله عليه السلم فقال يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة
فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب انه تعالى بعد ما عظم امر الحكمة بانها
موهبة ربانية لا يحصل بمجرد الاكتساب ثم وصف الذي اوتيها بانه اوتي خيرا
كثيرا حكم بانه لا يتذكر اي لا يعلم يعني الحكمة او القرآن الذي بمعناها الا اولوا الالباب
وهم العقلاء الكاملون فقد وصفهم باحسن الاوصاف وحلاهم باحسن المحامد
الذي هو الحكمة وايضا فان الحكيم من اسماء الله تعالى فقد سماهم باسمه وهذا
غاية المحمدة في حقهم ومن هذا القبيل ما وقع لاولي العلم حيث انه قرن الله اسمهم
واسم ملئكته في قوله شهد الله انه لا اله الا هو والملئكة واولوا العلم ثم تأمل

١٠٢

ايّها العاقل انه ما اعطى الناس الّا القليل من العلم حيث قال وما اوتيتم من العلم الّا قليلا وسمّى الدّنيا بأسرها قليلا لقوله قل متاع الدّنيا قليل حتى يعرف عظمة ما سمّاه كثيراً والبرهان ايضا يطابقه لانّ الدّنيا متناهية المقدار والزمان متناهية القوى لتناهى قوى الجسمانية عدّة وشدّة ومدّة والحكمة لانهاية لها ولمراتبها وعدّة بقائها والسّعادة اللازمة لها فالموصوف بالحكمة اعنى اولى الالباب موصوف بحسن الحكمى قوله عليه السّلم وقال والرّاسخون فى العلم يقولون آمنّا به كلّ من عند ربّنا وما يذّكّر الّا اولوا الالباب اعلم انه وصف الله تعالى ايّاهم فى هذه الآية بثلثة نعوت جليلة شريفة احدها الرّسوخ فى العلم وثانيها الايمان بالله وكتابه ورسوله وثالثها العرفان بانّ الكلّ من عند الله وهو التّوحيد فى الافعال ثم حكم باختصاص اولى الالباب بالذّكر فاشار الى انّهم الموصوفون بهذه النّعوت الثلثة دون غيرهم فهذا غاية المدح قوله عليه السّلم وقال انّ فى خلق السّموات والارض واختلاف الّيل والنّهار لآيات لاولى الالباب قد مرّ ما يتعلّق بتفسير هذه الآية ولنذكر فيها ههنا ما هو على طريق اهل الاشارة فنقول انه تعالى اخبر عن خلق السّموات والارض واحوالها ليدلّ ايضا على انّ فى خلق سموات الارواح واطوارها وخلق ارض النّفوس وقرارها وتشغّلها فى المركز البدنى واختلاف ليل البشريّة وظلماتها ونهار الرّوحانيّة وانوارها لآيات بيّنات وامارات ودلالات واضحات لاولى الالباب وهم الّذين عبروا بقدمى الذّكر والفكر عن قشر الوجود الظّلمانى الفانى الى لبّ الوجود الرّوحانى النّورانى الباقى فشاهدوا بعيون البصائر ونواظر الضّماير انّ لهم وللعالم الهاً قيّوماً قادراً حيّاً عليماً سميعاً بصيراً متكلّماً حكيماً ذا الاسماء الحسنى والصّفات العليا وانّما نالوا هذه المرتبة العليّة لانّهم يذكرون الله

قياما

قياما وقعوداً وعلى جنوبهم فهى عبارة عن جميع حالات الانسان اى يذكرون على كلّ حال بالظاهر والباطن ويتفكّرون فى خلق السّموات وهى الافلاك الدّوارة والارض وهى الكرة الارضيّة مستوية الاضلاع ساكنة بحركات الافلاك معلّقة فى وسطها وانه كيف خلق فيها الكواكب والسيّارات فخلق بتأثيرها وخواصها فى الارض المعادن والنّباتات والحيوانات بتدبيرات متناسبات ومعقولات ويقولون ربّنا ما خلقت هذا باطلا اى خلقته بالحقّ اظهاراً للحقّ على الخلق ووسيلة الخلق الى الحقّ سبحانك تنزيهاً لك فى حقيقتك عن الشّبه بخليقتك والاحتياج بربّيتك فقنا يا مستغنى عنّا عذاب النّار قهرك وقطيعتك وانّما كونها دالّة على مدح اولى الالباب فهو ظاهر لانّ معرفة الآيات والحكم التى فى العالم والاطّلاع على دقايق الصّنع وعجايب الفطرة التى فى خلق الموجودات السّماويّة والارضيّة ممّا لا يحصل الّا فى قليل من النّفوس الذكيّة المزكّية لانّ النّاظر المتأمّل فيها يحتاج الى مزيد تجريد للعقل وتطهير للنّفس وتهذيب للخاطر عن الوساوس العاديّة وتصفية للفكر عن الاغلاط الوهميّة والانقطاع عن الشوايب الحسيّة ولا بدّ له ايضا من فهم لطيف وطبع مشتعل ذكّى وفكر دقيق وقلب نورانى كالقنديل الذى فيه السّراج وانّما الآيات آيات بالقياس الى مثلهم لا بالقياس الى اهل القساوة وهم اكثر الخلق ولا بالقياس الى المعرضين عن الحكمة والنّظر فى آيات الله وهم اهل الجحود واليهم الاشارة بقوله وكاين من آية فى السّموات والارض يمرّون عليها وهم عنها معرضون فالفايز بمعرفة الآيات والحكم التى فيها مترقّى الى درجة الملائكة المقرّبين

[Margin notes: ما سماه الله — كيف لهم — وقطيعتك لهم — النفوس لهم — [illegible]]

مع الابرار العليين والمعرض عنها نازل الى منزلة الفجار الاشرار مع الشياطين في سجّين
قوله عليه السلم وقال أفمن يعلم انّما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انّما
يتذكّر اولوا الالباب هذا من قبيل قوله تعالى هل يستوى الاعمى والبصير فانّ العالم
بصير والجاهل اعمى وذلك لانّ الانسان مركّب من جوهرين بدن ونفس والبدن
من عالم الملك والشهادة والنفس من عالم الملكوت والغيب ولكلّ منهما
اجزاء وقوى بما فيه مثال للآخر بحسب الفطرة لكن قوى البدن متفرّقة في اعضاء
وقوى النفس مجتمعة في ذاتها والبدن ابداً في الاضمحلال والانحلال والنفس
باقية تترسّخ بقواها امّا في السعادة والهدى وامّا في الشقاوة والضلال والهوى
الى الوبال فكما انّ للبدن عين يبصر به المحسوسات فللنفس عين يبصر به اليقينيات
وهي البصيرة الباطنة وكلّ انسان في مبداء الامر ذو البصيرة بالقوّة فاذا خرجت
بصيرته اي عقله من القوّة الى الفعل وذلك بتكرّر الادراكات وفعل الحسنات
يصير بصيراً بالفعل وان لم يسلك هذه السبيل بل اعرض عنها صار اعمى بالفعل
بعد ما كان بصيراً بالقوّة واليه الاشارة بقوله ومن اعرض عن ذكري فانّ له معيشة
ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى اذا تقرّر هذا فنقول قد نبّه الله سبحانه في مواضع كثيرة
من القرآن على انّ الانسان وان كان في هذه النشأة البشريّة نوعاً واحداً
متماثل الافراد كما قال قل انّما انا بشر مثلكم لكنه بحسب النشأة الثانية الباطنية مختلف
الانواع وانّ نوع العالم الرباني والمؤمن الحقيقي مخالف لنوع الجاهل وغير المؤمن فقال
هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال افمن يؤمن كمن لا يؤمن فالمراد من
هذه الآية التعجب والانكار لمن زعم انّ العالم بكيفية الانزال والوحي او بمعنى القرآن
كالجاهل

كالجاهل بها بحسب الحقيقة الانسانية في النشأة الباقية فعبّر عن الجاهل بالاعمى صريحا
وعن العالم بالبصير ضمنا ليتّضح المقصود بهذا التمثيل في المحسوس فضل اتّضاح لانّ
اكثر الناس لا يعرفون المعاني العقلية الّا بامثلة جزئية مطابقة لها لانّ وجودهم في
هذه المرتبة ثم نبّه على انّ العالم البصير والعارف بهذا التذكّر ليس الّا اولوا الالباب
وهذا غاية المدح والتعظيم قوله عليه السلم وقال امّن هو قانت آناء الليل ساجداً
وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون
انّما يتذكّر اولوا الالباب قوله امّن قرأه بعض القرّاء بتخفيف الميم والبعض الآخر
بتشديدها وجه الاوّل انّ الاستفهام دخل على من الموصول والجواب محذوف
تقديره كمن ليس كذلك ووجه التشديد انه قال الفرّاء انّ اصله ام من فادغمت
الميم في الميم فعلى هذا هي ام التي في قولك ازيد افضل ام عمرو والقانت القائم
بما يجب عليه من الطاعة وروى انّ افضل الصلوات طول القنوت وهو القيام
فيها وعن ابن عباس القنوت الطاعة لقوله تعالى كلّ له قانتون اي مطيعون
وآناء الليل اوّله ووسطه وآخره وفيه تنبيه على فضل قيام الليل وانّه ارجح من
قيام النهار كما يدلّ عليه وجوه اخرى منها انه استر عن العيون فيكون ابعد عن
الرياء ومنها انّ الظلمة تمنع الابصار ونوم الخلق يمنع من السماع واذا صار
القلب فارغا عن الاشتغال بالاحوال الخارجية عاد الى المطلوب الاصلي
وهو المعرفة والذكر والخدمة له تعالى ومنها انّ آناء الليل وقت النوم فتركه
اشقّ فيكون الثواب فيه اكثر ومنها قوله تعالى انّ ناشئة الليل هي اشدّ
وطأ واقوم قيلا وقوله ساجداً حال وكذا قائماً وقرئ ساجد وقائم على انه خبر

القائم

الموصول

الظلمة

١٠٤

بعد خبر والواو للجمع بين الصفتين واعلم ان في هذه الآية دلالة على اسرار عجيبة
ونكات لطيفة فاولها انه بدأ فيها بذكر العمل وختم فيها بذكر العلم تنبيهاً على
ان العمل هو الذريعة والوسيلة والعلم هو الكمال والنهاية اما العمل فكونه قانتاً
ساجداً وقائماً واما العلم فهو قوله هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
وثانيها انه تدل الآية على ان العمل الذي يتوقف عليه الكمال الانساني هو
ما كان الانسان مواظباً عليه فان القنوت عبارة عن كون الرجل قائماً
بما يجب عليه من الطاعة فما لمواظبة فيه من الاعمال فليس فيه كثير فائدة وثالثها
ان قوله ساجداً وقائماً اشارة الى اصناف الاعمال وقوله يحذر الآخرة
ويرجو رحمة ربه اشارة الى ان الانسان عند المواظبة على الاعمال ينكشف له
في اول الامر مقام القهر المقتضي للخوف وهو قوله يحذر الآخرة ثم بعده مقام
الرحمة الباعث للرجاء وهو قوله ويرجو رحمة ربه ثم يحصل له انواع المكاشفات
وهي المراد بقوله هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ورابعها انه
قال في مقام الخوف ويحذر الآخرة فاضاف الحذر الى الآخرة وقال في مقام
الرجاء ويرجو رحمة ربه فاضاف الرجاء الى نفسه تنبيهاً على ان جانب
الرجاء اكمل واليق بحضرة الربوبية ويؤكد هذا المعنى اضافة الرب الى الضمير
العائد الى العبد نفسه الدالة على غاية الاختصاص وقوله هل يستوي الذين
والذين لا يعلمون كانه بيان لقوله امن هو قانت الخ ودال على ان منشأ
هذه الخصال المحمودة هو العلم اليقيني لا غير اذ لا شبهة ان في الكلام حذفاً
والتقدير امن هو قانت كغيره وانما حسن هذا الحذف لدلالة الكلام

عليه

عليه فهو تنبيه عظيم على فضيلة العلم قال الزمخشري اراد بالذين يعلمون الذين سبق على
ذكرهم وهم العاملون فالذين لا يعلمون الذين لا يأتون بهذا العمل كأنه جعل
القانتون هم العلماء وهو تنبيه على ان من لا يعمل فهو ليس بعالم اقول المقصود
الاصلي من هذه الآية ليس الحث على مجرد العمل والمبالغة فيه بل شرف العلم
وفضيلته وفضل العالم على الجاهل بحيث يرتفع به المماثلة النوعية بينهما ولهذا
ذكر من الاعمال ما لا ينبعث الا عن حاق مرتبة العلم وصفة الاخلاص القلبي
من المواظبة الدائمة والخوف والرجاء والرهبة والرغبة ليظهر ان من هذه
صفته وفعله اللازم فهو ليس كمن هو على ضدها ثم اشير الى ان منشأ هذين المتقابلين
من الصفات والآثار المحسوسة في هذا العالم صفتان متقابلتان في عالم
الباطن لما مر من ان اختلاف الآثار يدل على اختلاف منشأها ومبدأها
فكأنه اريد به اثبات معقول بمحسوس على ما هو طريق التمثيل ثم قال انما يتذكر
اولوا الالباب وله معنيان احدهما هو المشهور يعني ان هذا التفاوت
العظيم الحاصل بين العلماء والجهال لا يعرفه ايضاً الا اولوا الالباب اقول
وذلك لان اختلاف الآثار والافعال وان دل على اختلاف المبادي والاحوال
لكن دلالة الاثر على المؤثر بخصوصه دلالة ظنية غير قطعية لا يحصل بها الاكتناه بحقيقة
المؤثر فالمعرفة التامة بحقيقة العلم والتفاوت العظيم الذي بينه وبين مقابله
لا يحصل الا لمن هو عالم بالفعل وكان جاهلاً وقتاً ما فعلمه بها وبالتفاوت
بينهما علم وجداني حضوري وثانيهما ان المراد به ان العلماء والمتذكرين هم اولوا
العقل الخالصة لا غيرهم وان المباينة والتفاوت العظيم بين العقلاء وغيرهم

لا ح العقول

١٠٥

مما لا يخفى على احد وعلى كلا الوجهين يلزم ان لا يدرك هذا التفاوت الا اولوا الالباب
قيل لبعض العلماء انكم تقولون العلم افضل من المال ثم نرى العلماء يجتمعون
عند ابواب الملوك ولا نرى الملوك مجتمعين عند ابواب العلماء فاجاب العالم
بان هذا ايضا يدل على فضيلة العلم لان العلماء علموا ما في المال من المنافع والجهال
لم يعرفوا ما في العلم من المنافع فلا جرم لم يطلبوه قوله عليه السلم وقال كتاب انزلناه
اليك مبارك ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب معناه ان القرآن لكونه مشتملا
على اسرار عظيمة ربانية ومعارف لطيفة الهية انما وقع انزاله من الله على رسوله
ليتدبر المتفكرون آياته وليحصل التذكر اي المعرفة الحقيقية لاولي الالباب ففائدة
انزال الكتاب هي ان يتدبر الناس في آياته وغاية التدبر في الآيات
حصول التذكر لهؤلاء وانما اطلق في الاول وخصص في الثاني لان التدبر
وهو النظر والتأمل لا يستلزم التذكر فرب متفكر لا ينتهي بفكره الى ما هو المطلوب
الاصلي فالتدبر غير مختص باولي الالباب بل يعمهم وغيرهم بخلاف التذكر فانه
مختص بهم ثم لا شبهة في ان الغرض الاصلي من التدبر والنظر في الآيات
انما هو حصول العلم واليقين وذلك مختص باولي الالباب فثبت ان
غاية انزال القرآن ليست الا هؤلاء وفي هذا غاية المدح والتعظيم قوله عليه
السلم وقال ولقد آتينا موسى الهدى واورثنا بني اسرائيل الكتاب هدى وذكرى
لاولي الالباب واعلم ان المستفاد في كثير من الآيات التي ذكر فيها مع الكتاب
الهدى او الذكر او الحكمة كما في قوله ويعلمهم الكتاب والحكمة وقوله وانزل الله
عليك الكتاب والحكمة او النور كما في قوله قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين

وليتذكر

كما في الح

قوله

وقوله انا انزلنا التورية فيها هدى ونور وقوله وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور
ان اهل الكتاب وتعلمه قوم واهل الهدى والذكر والحكمة والنور قوم آخر
اجل رتبة واعلى درجة من اهل الكتاب وهذه الالفاظ معانيها امور متخالفة
بالاعتبار متحدة بالذات فالمراد من اهل الكتاب في قوله يا اهل الكتاب انما
وقع في القرآن هم عامة العلماء الظاهرين واما اهل الهدى والذكر واصحاب
الحكمة والنور واولوا البصائر والالباب فهم الخاصة من العلماء واهل التأويل
والراسخون في العلم فهؤلاء هم علماء الآخرة واهل الله واهل القرآن خاصة
واولوا بقية الله في ارضه واما اهل الكتاب فهم علماء الدنيا الراغبون
في مالها وجاهها اذا علمت هذا فقوله واورثنا بني اسرائيل الكتاب اي جعلناهم
ورثة الكتاب وحملة الاسفار وحفظة الالفاظ ومدلولاتها اللفظية ومعانيها
الاولية واحكامها الظاهرية الفرعية وانما فعلنا ذلك ليكون هدى وذكرى
لاولي الالباب فظهر ان الغرض الاصلي في ايراث التورية لبني اسرائيل
وكذا غيره من الكتب السماوية لطائفة اخرى غيرهم انما هو الهدى والذكرى
لاولي الالباب وان غيرهم من اهل الكتاب بمنزلة القوى الالية للعقل
وبمنزلة الكتاب والنساخ والمصحفين لتبقى النسخ محفوظة لهؤلاء ولا تندرس
بمرور الازمنة والدهور فعلم من ذلك غاية المدح لهم قوله عليه السلم وقال
وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين تحقيق الآية انه تعالى لما ذكر في الآيات
السابقة بعض دلايل التوحيد من بناء السماء وفرش الارض وخلق
الزوجين من كل شيء ورتب عليها الامر بالفرار اليه تعالى من كل ما سواه

١٠٦

عملاً و بالاعتقاد بوحدانيته ضميراً بواسطة نبيه الذي هو نذير مبين ثم اشار
الى جلالة رتبة التوحيد وعظم قدره وعزة وجوده في السابقين و
اللاحقين حيث ما اتاهم رسول معلم ولا نبي مرشد الا ونسبوه الى
السحر والجنون امر نبيه عليه وآله السلم بالتولي والاعراض عن الذين
درجتهم قاصرة عن درك الآيات والاهتداء بهداهم وهم اكثر الناس
كما في قوله واعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم
من العلم وبين للنبي صلى الله عليه وآله ان ذلك التولي ليس بقادح
في جلالة قدرك وان عدم ايمان اكثر الخلق ليس بتقصيرك حتى تحزن
فلا تحزن فانك لست بملوم في الاعراض عنهم ثم قال وذكر فان الذكرى
تنفع المؤمنين يعني ليس المراد التولي مطلقاً بل شانك الافاضة والتعليم
ولكن نفعه ليس يصل الا الى طائفة مخصوصة من الناس وهم المؤمنون
حقاً كما ان الصياد يبسط الشبكة لاصطياد خاص من الطيور برزق مخصوص نوع ٢
وهو المقصود من بسط الشبكة في الارض دون غيره سواء عليهم ءانذرتهم
ام لم تنذرهم لا يؤمنون والا فما من رزق الا وفي القرآن قسم منه لقوله
تعالى ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين ففيه غذاء الارواح
وقوت القلوب وفيه ايضاً ما ينتفع به العوام الذين بمنزلة الانعام في
الدنيا من احكام الديات والقصاص والمناكحات والمعاملات والمواريث
وغيرها مما ينتظم به صلاح امر الدنيا للكل وامر الدنيا والدين للخواص والكمل
ففيه الاغذية المعنوية والصورية والمنافع الاخروية والدنيوية متاعاً لكم

ولانعامكم

ولانعامكم فان الذكرى وهي نور القلب وحيوة الروح انما تنفع المؤمنين
حقاً دون غيرهم لانهم الذين يحيى ارواحهم بروح الذكر ويتنور قلوبهم بنور الهدى
وتعرج به اشخاصهم الى عالم القدس وتصعد به كلمتهم الى سماء القرب و
الشهود ومجاورة الحق المعبود اذا تقرر ما ذكرناه فاعلم ان مراده عليه السلم
من ذكر هذه الآية التنبيه على دلالة هذه الآية على مدح اولي الالباب وحسن احوالهم
وبيان ذلك انه لما دلت الآيات المنقولة على ان اهل الذكر هم خاصة
وقد دلت هذه الآية ان الذكرى تنفع المؤمنين فعلم من الجميع ان المؤمنين هم اولوا
الالباب خاصة وان الموصوف بالايمان الحقيقي ليس الا هم ولا يخفى ما في ذلك
من المدح فتامل فيه المشهد الحادي عشر في ان القلب الانساني هو الجوهر العقلي وانه بالحكمة
يصير عقلاً بالفعل متحداً بالمعقولات فالاشارة الى الاول قوله عليه السلم
يا هشام ان الله تعالى يقول في كتابه ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب يعني
عقل وذلك من جهة اللفظ والمعنى واللغة والعرف اما الاول ففي اللغة القلب
هو الفؤاد وقلب كل شيء لبه وخالصه ومنه الحديث لكل شيء قلب وقلب
القرآن يس ويقال فلان عربي قلب اي خالص واما الثاني فلانه لا شك
ان ليس المراد به العضو الصنوبري الشكل الذي هو في الانسان والبهيمة
بل اللطيفة المعنوية الدراكة عند صيرورتها المدركة للمعاني الكلية النظرية ومدرك
المعقول هو العقل فالقلب المعنوي هو العقل واما الاشارة الى الثاني ففي
قوله عليه السلم وقال ولقد آتينا لقمان الحكمة قال الفهم والحكمة فان العقل اذا
كان المراد به الجوهر القلبي فالقول بكونه عين الحكمة والحكمة هي العلم بحقائق الاشياء

والعقل

كان بعيند قول باتحاد العاقل والمعقولات ولقمن هو ابن باعورا من اولاد وزين
اخت ايوب على نبينا وآله وعليه السلم او خالته وقال ابو الليث ان كنية لقمن
ابو الانعم وفي كتاب عين المعاني انه تولد في عشر سنين من سلطنة داود عليه السلم
وعاش الى ان ادرك يونس عليه السلم وقيل انه عاش الف سنة واختلف
في نبوته واكثر العلماء على انه لم يكن نبياً وقيل كان عبداً وقيل كان حبشياً اسود
اللون غليظ الشفتين وذكر النبي ومدى ناقلا عن اهل السير انه كان في بيته
وقت القيلولة اذ دخل عليه جمع من الملئكة فسلموا عليه فاجابهم ولا يرى اشخاصهم
فقالوا يا لقمن نحن ملئكة الله نزلنا اليك لنجعلك خليفة في الارض لتحكم بين
الناس بالحق قال هذا ان كان امراً حتماً من الله فالسمع والطاعة وارجو منه
ان يوفقني ويسددني وان جعلني مخيراً فاني اريد العاقبة ولا اتعرض للفتنة
فاستحبت الملئكة قوله واحبه الله وزاده في الحكمة والمعرفة حيث صدر منه الف
كلمة قيمة كل منها العالم والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الانسانية
باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة
على قدر طاقتها ومن حكمته انه صحب داود شهوراً وكان يسرد الدرع فلم
يسأله عنها فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت
حكمة وقليل فاعله وان داود عليه السلم قال له يوماً كيف اصبحت قال اصبحت
في يد غيري مرتهناً بعملي وانه امر بذبح شاة وان يأتي باطيب مضغتين منها
فاتى باللسان والقلب ثم بعد ايام امر بان يأتي باخبث مضغتين منها
فاتى بهما ايضاً فسأله عن ذلك فقال انهما اطيب شيء اذا طابا واخبث شيء اذا

خبثا

خبثا المشهد الثاني عشر في موعظة خطابية وحكمة عملية خلقية يتهذب بها النفس
عن ادناس الرذايل ويتطهر عن ارجاس السيئات العائقة لها عن التجرد
التام وقطع العلاقة عن هذه الاجرام وصيرورتها عقلاً مستفاداً الى مبدئه
ومبدعه مبدع الكل قوله عليه السلم يا هشام ان لقمن قال لابنه تواضع للحق تكن
اعقل الناس وان الكيس لدى الحق يسير التواضع للحق هو ان لا يرى العبد
لنفسه وجوداً ولا حولاً ولا قوة الا بالحق وحوله وقوته فيرى ان لا حول ولا قوة
له ولا لغيره الا بالله وقد ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال
من تكبر وضعه الله ومن تواضع لله رفعه الله وقال صلى الله عليه وآله حكاية
عن الله العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته والانسان
كلما تواضع لله وانحط عن نفسه زاده الله فضلاً وشرفاً واذا فني عن نفسه
بالموت الارادي قبل الموت الطبيعي لقوله صلى الله عليه وآله موتوا قبل ان
تموتوا يكون باقياً بالله وهو المراد بقوله تكن اعقل الناس فان اعقل الناس
هم الانبياء والاولياء عليهم السلم ثم الامثل فالامثل وقوله وان الكيس لدى الحق
يسير يعني ان الكياسة الانسان وهي عقله وفطانته يسير عند الحق لا قدر له وانما
الذي له قدر عند الله هو التواضع والمسكنة والخضوع والعجز والافتقار اليه
فكل علم وكمال لا يؤدي بصاحبه الى مزيد فقر وحاجة اليه تعالى فيصير وبالاً عليه وكان
الجهل والنقيصة اولى به ولذلك قيل غاية مجهود العابدين تصحيح جهة الامكان
والفقر اليه تعالى فكل عالم كيس زعم ان له وجوداً او كمالاً غير ما هو رشح من رشحات
بحر جوده وتفضله فهو في غطاء شديد وحجاب عظيم عن درك الحقيقة قوله عليه السلم

يا بنيّ انّ الدنيا بحر عميق قد غرق فيه عالم كثير فليكن سفينتك تقوى الله وحشوها الايمان
وشراعها التوكل وقيّمها العقل ودليلها العلم وسكّانها الصبر الشِّرع وتر العود
والشريعة اخصّ منه وفي حديث صور الانبياء عليهم السلام كان شراع الانف
اي ممتدّ الانف طويله وعن ابي موسى كنّا نسير في البحر والريح طيبة والشراع مرفوع
وشراع السفينة بالكسر ما يرفع فوقها من ثوب ليدخل فيه الريح فتجريها قوله انّ الدنيا
بحر عميق مثّل الدنيا بالبحر لوجوه من الشبه منها تغيّرها واستحالة اشكالها وصورها
في كل لحظة فالكائنات فيها كالامواج وما من صورة تكون فيها الا ولا بدّ وان
تفسد فهي متعاقبة الكون والفساد سيّما على ما رأيناه من تبدّل الامثال في
كل حين ومنها كونها كالبحر ممّا يعبر عليها افراد الناس الى دار اخرى فالنفوس
كالمسافرين والابدان كالسفائن بها ينتقل من الدنيا الى الآخرة وهذه السفينة
البدنية لا يحصل الا مطلق الانتقال الى دار اخرى سواء كانت دار عذاب وحبس
وسلاسل واغلال وسخط من الله او دار ثواب وكرامة ونعيم وقرب من الله
ورضوان واما السفينة التي تقع بها النجاة الى دار الرحمة والرضوان فهي تقوى الله
لا غير كما ذكر في هذا الحديث ومنها كونها ممّا غرق فيه خلق كثير وهلكوا هلاك الابد وهو الروح
فانّ للانسان ثلث حيوات اوّلها حيوة البدن وهي حيوة الطبيعة الدنيوية
التي تشترك فيها جميع الحيوانات وثانيتها حيوة النفس وهي التي تبقى بعد البدن
لجميع افراد الانسان دون سائر الحيوانات فيحشرون ويثابون او يعاقبون وثالثتها
حيوة الروح وانّما هي بالمعرفة واليقين والايمان الحقيقي والموت الذي بازائه هو الكفر
والعناد والجهل والاستكبار وانّما غرق فيها الاكثر لاغترارهم بما فيها من زهراتها وشهواتها

المغوية

المغوية وزينتها الفانية وتمتعاتها الباطلة فهي بما فيها غارّة مضلّة يغترّ بها الانسان
ويهلك وقد حذّر الله سبحانه عباده عن غرور الدنيا وفتنتها في مواضع كثيرة من
كتابه كما قال لا يغرّنّكم بالله الغرور وقوله وغرّتكم الاماني فاذا كان كذلك فلا نجاة
لاحد منها وعن غرورها الا بسفينة التقوى والزهد فيها ولكن التقوى يجب ان يكون
محشوّة بالايمان القلبي والا فلا فائدة فيها ولهذا قال وحشوها الايمان ثمّ لا بدّ لها من
التوكل بالله وهو الوثوق به والاعتماد عليه في كل الامور لا على الاسباب فانّ
من لا يعتقد انّ الامر كلّه بيد الله ولا يطمئنّ به في انّه متكفّل لاموره بل يتقيّد
بالاسباب ويعتقدها ممّا يحتاج اليه فيعوقه ذلك عن السفر الى الله كمن لا يسافر
في الدنيا وحده بل مع الرفقاء والقوافل والاسباب حذرًا من عدم القوة
وخوفًا عن قاطع الطريق فينتظر مدّة مديدة لانتظار الاسباب فهكذا من لا يتوكل
عليه تعالى فلا يسافر الى عالم القدس ولا يخرج من بيته مهاجرًا الى الله ورسوله
فالتوكل بمنزلة شراع سفينة النجاة الذي به يسرع سير السفينة ولذا قال وشراعها
التوكل ثمّ مع التقوى والايمان والتوكل لا بدّ له من عقل تامّ به يدرك حقايق الامور
ويعرف عالم القدس والحضرة الالهية التي عرضها كعرض السماء والارض الذي
ينتهي اليه حركة سفينة النجاة فالعقل بمنزلة القيّم للسفينة ويقال له الربّان ونسبته
اليها كنسبة النفس الى البدن لجامع التربية والتدبير والعقل لا ينفكّ عن العلم
فانّ نسبته الى العقل كنسبة ~~النفس الى البدن~~ النور من السراج والرؤية
من البصر فالعلم دليل العقل كالكوكب دليل قيّم السفينة ومع هذه الخصال كلّها لا بدّ
من الصبر فانّ ارتقاء الانسان من حدّ البشرية الى حدّ القرب من الله لا يقع

الانتحولات كثيرة وتقلبات شديدة ومجاهدات قوية مع النفس في مدة
طويلة فيحتاج الى صبر عريض وعزم تام لقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل
ولا تعجل فالصبر مفتاح الفرج فلهذا قال وسكانها الصبر فان العجلة من فعل
الشيطان ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وعنه صلى الله
عليه وآله ان هذا الدين متين فاوغلوه بالرفق فان المنبت لا ارضا
قطع ولا ظهرا ابقى وعن بعض اعاظم الحكماء السابقين لا يعلم العلم الالهي
الا كل ذكي صبور وعن المسيح النوراني عليه السلم لن يلج ملكوت السموات
من لم يولد مرتين قوله عليه السلم يا هشام ان لكل شيء دليلا ودليل العقل
التفكر ودليل التفكر الصمت ولكل شيء مطية ومطية العقل التواضع الدليل
هو ما يلزم من العلم به العلم بشيء آخر ولهذا يقال له العلامة ولفظه قد يضاف
الى المستدل وقد يضاف الى المستدل عليه والمراد ههنا هو الثاني والمطية
الناقة التي يركب مطاها اي ظهرها ويقال يمطى بها في السير اي يمد والتمطي
هو التمدد في اليدين للتبختر ونحوه فقوله لكل شيء دليلا اي عليه والدليل على كون
الانسان عاقلا كونه دايم التفكر في خلق الله وعلامة التفكر الصمت الا ترى
انك عند التفكر تكون صامتا وقوله لكل شيء مطية اي حاملا يركب عليه في
حركته الى غايته فان كل شيء له طبيعة متوجهة الى غايتها وله مادة حاملة لقوتها
واستعدادها نحو الكمال هي بمنزلة الراحلة له وقوله مطية العقل التواضع تحقيقه
ان مادة العقل هي النفس وكل مادة تستعد لصورة كمالية فانما تستعدها
لكونها في نفسها خالية عن الفعلية والوجود الذي من جنسها والا لم تكن قابلة لها
فكذلك

الدليل ٢

فكذلك النفس ما لم تكن موصوفة بصفة التواضع والفقر لم تكن مطية للعقل الذي
هو الصورة الكمالية التي بها تصير الاشياء معقولة للانسان وقوله عليه السلم
كفى بك جهلا ان تركب ما نهيت عنه بيانه ان جميع المناهي التي وقع النهي عنها
هي امور محسوسة ولذات جسمانية اشتغال النفس بها يوجب تقييدها
وتصورها بصورها الحسية فتحجب النفس عن درك الصور المعقولة لانها تضاد
تلك الصور فكفى بالمرء جهلا ان يريد كونه عاقلا ويختار الدنيا ويرتكب الشهوات
فكل عالم مفتون بالدنيا ولذاتها فهو عند الحقيقة اجهل الناس **المشهد الثالث عشر**
في ان شرف الانبياء والرسل عليهم السلم وفضلهم على كافة الخلق انما هو بكمال
عقلهم وانما بعثوا بالعلم لا بشيء آخر كالزهد والعبادة ونحوهما ولذلك قال النبي
صلى الله عليه وآله يا علي اذا تقرب الناس الى خالقهم بانواع البر فتقرب انت اليه
بالعقل حتى تسبقهم قوله عليه السلم يا هشام ما بعث الله انبياءه ورسله الى عباده
الا ليعقلوا عن الله اللام للتعليل اي انما بعثوا لتكميل العباد لاجل انهم علموا من الله
علما لدنيا ووهبيا آلهيا لا بوسيلة الكتب والاسانيد قوله فاحسنهم استجابة
اي من الامة بقبول دعوتهم وانقيادهم لما روي في حديث القيمة من ذكر الانبياء
عليهم السلم واممهم وكثرتها وقلتها على حسب تفاوت حال الانبياء عليهم السلم في قوة الدعوة
والنبوة احسنهم معرفة بالله وآياته وكلماته واعلمهم بامر الله واحكامه وشرائعه اتمهم
عقلا فصارت نتيجة القياسين المحذوف عنهما نتيجة الاول وصغرى الثاني ان احسنهم
استجابة احسنهم عقلا ثم لما كان حسن العقل بكمال العلم بالموجودات والاحاطة
بالمعقولات وكمال الاحاطة بها يوجب كمال الارتفاع فلهذا قال واكملهم عقلا اكملهم

سراج الانبياء

درجة في الدنيا والآخرة **المشهد الرابع عشر في ان لله حجتين وان العقل رسول من داخل والرسول عقل من خارج** قوله عليه السلم يا هشام ان لله على الناس حجتين حجة ظاهرة وحجة باطنة فاما الظاهرة فالرسل والانبياء والائمة واما الباطنة فالعقول اقول تحقيق هذا المقام وسره ان الله تعالى كما انه فاعل للموجودات على سبيل العناية كما ادى اليه نظر الحكماء فهو ايضا فاعل بالقصد والاختيار كما رآه اهل الشريعة وبالثاني يتحقق معنى البداء والابتلاء واستجابة الدعاء وانزال المطر بصلوة الاستسقاء وما يجري مجرى هذه الافعال وهو بكلا الوجهين يفعل بالمشية والارادة لا بالجبر والطبع كما زعمه الطباعية والدهرية وسيجيء في هذا الكتاب ان لله ارادتين ومثالهما في النفس الآدمية المخلوقة على مثال الرحمن تعالى عن المثل والشبه ذاته وصفاته الحقيقية التي هي عين ذاته لا عن المثال في نسبته الى افعاله وآثاره ان فاعلية النفس بالقياس الى ما يصدر عنها من الامور الداخلة في مملكتها والخارجة عنها على الوجهين احدهما على وجه البساطة والحكمة والتقدير والثاني على وجه التركيب والقصد والتدبير فالاول كالتغذية والتنمية والجذب والهضم والدفع والتحليل وايراد البدل والتوليد وما يجري مجريها من الافاعيل الواقعة في بدن الانسان فان جميعها مما يفعله الجوهر النطقي منه بلا توسط نفس اخرى نباتية او حيوانية كما هو المحقق عندنا بالبرهان والثاني كالاكل والشرب والطبخ والكنس والجماع والمشي والكتابة والتجارة والاخذ والعطاء وساير الافعال الصادرة منها على وجه القصد والاختيار من الامور التي نسبة طرفيها الى ذات النفس بالامكان الوقوعي في اي وقت فرض وجودها او عدمها فاذا تقرر هذا فنقول ان الله

عز وجل

عز وجل اوجد الاشياء اولا على سبيل الابداع من غير مثال يحاذيها ولا من مادة يتخمر بها وعلى ترتيب الاشرف فالاشرف فبدأ بالعقل ثم النفوس على ترتيبها ثم الطبايع الفلكية على ترتيبها والعنصرية ثم انتهى بها الى الاجرام والمواد من لدن العرش الاعلى الى قرار الارض السفلى وهذه كلها بسايط صادرة بحسب الفاعلية وجهاتها بلا مدخلية المادة وجهاتها الانفعالية ثم انبعثت الاشواق العقلية والنفسية والحركات الكلية والجزئية وتوجه النقايص الى الكمالات فادارت النفوس الافلاك باذن الله طاعة له على قوة اشواقها ونسب كمالاتها وغاياتها وركبت البسايط على نسب معنوية تطابق تلك النسب فحصلت المركبات مبتديا من المعادن والنبات ثم انواع من الحيوانات متفاوتة تفاوتا عظيما في درجات القوة والكمال الى ان ينتهي الى اقل درجات الانسان وهلم الى الانتهاء الى غاية هذه السلسلة الرجوعية وهي عقول الانبياء والرسل والائمة الذين هم حجج الله الظاهرة في عالم التركيب لكونهم مع هذه الابدان المحسوسة رحمة من الله على خلقه لان استكمال النفوس الناقصة وترقيها من حد النقص وحضيض الوبال الى ذروة الفضل والكمال ومن هبوط الجهل والدناءة الى شرف العزة والسعادة لا يمكن الا ببعثة الانبياء والرسل وانزال الكتب والصحف من عالم السماء ونصب الائمة والاوصياء الذين هم قواد الناس وهداتهم على المحجة البيضاء الى طريق الآخرة وحسن العاقبة وسعادة الخاتمة فقد اتضح بما ذكرنا ان الانبياء ومن يجري مجراهم هم البراهين الظاهرة من الله في خلقه وانهم في عالم التركيب البشري بمنزلة الحجة العقلية في عالم البسيط العقلي

١١١

لإنارة ذاتهم واضاءة باطنهم بحيث يسرى نور باطنهم الى ظاهرهم ويشرق قالبهم باشراق قلبهم كما قيل رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها وتشاكل الامر المشهد الخامس عشر في بعض احوال العقلاء العارفين قوله عليه السلم يا هشام ان العاقل الذى لايشغل الحلال شكره ولا يغلب الحرام صبره معناه انه لايحجبه كثرة نعم الله عليه ووفور فضايله لديه عن النظر الى نفسه بعين المذلة والافتقار والى منعمه بعين العظمة والجود والاحسان فيخضع له ويتضرع اليه وقت النعمة كما يخضع ويتضرع وقت البؤس والنقمة فيشكره ويحمده على كل حال وايضا لايزيل صبره في الشدايد كالجوع ونحوه وجدان ما يحرم عليه فعله كاكل مال اليتيم ونحوه عند شدة الجوع او لايغلب ما يرى من الناس صبره فيصبره على اذاهم اياه ويدارى معهم بالوعظ والنصيحة والتعليم قوله عليه السلم يا هشام من سلط على ثلث فكانما اعان على هدم عقله من اظلم نور تفكره بطول امله ومحى طرايف حكمته بفضول كلامه واطفأ نور عبرته بشهوات نفسه فكانما اعان هواه على هدم عقله ومن هدم عقله افسد عليه دينه ودنياه قد علمت ان بناء الايمان والقرب من الله تعالى على العقل المجرد عن الشهوات كما ان بناء الكفر والبعد عنه تعالى على الهوى المعبر عنه بالطاغوت فاعلم ان لكل من العقل والهوى خصالا تناسبه مضادا لخصال الآخر فمن خصال العقل التي بناؤه عليها ثلث هي التفكر والحكمة والاعتبار ومن خصال الهوى التي بناؤه عليها ثلث هي طول الامل وفضول الكلام وقضاء الشهوات فطول الامل في الدنيا يمنع عن التفكر في الامور الآتية واحوال المبداء والمعاد بل تحمل النفس على التفكر في الامور العاجلة وتحصيل اسبابها الظلمانية فهو

لايمنع

لايمنع عن اصل التفكر بل عن الذى في الباقيات الصالحات وهذا هو المراد من قوله عليه السلم اظلم نور تفكره بطول امله اى يتبدل به تفكره في الانوار الآخرة بتفكره في الظلمات الدنيوية ولما كان العلم والمعلوم متحدين بالذات والفكر حركة في العلم فيكون نورا ان كان المعلوم نورا وظلمة ان كان ظلمة فصح واتضح ان طول الامل اظلم نور التفكر وكذلك فضول الكلام يمحو طرايف الحكمة فان من اشتهى الكلام في مجمع الناس والعوام كالوعاظ والمذكرين فضلا عن اهل البطالة وهم اكثر الناس فانه ابدا يجد في تكلمه ووعظه وتأثر قلوب اهل المجلس به حلاوة ولذة لايوازيها لذة فاذا غلب ذلك على قلبه مال طبعه الى كل كلام مزخرف يروج عند العوام وان كان باطلا في نفسه ونفر عن كل كلام يستثقله العوام وان كان حكمة فيصير مصروف الهمة بالكلية الى ما يحرك قلوب الناس والمستمعين ليعظم منزلته عندهم وفي قلوبهم فلا محالة ينمحي طرايف الحكمة عن قلبه لان الذى يؤثر في قلوب الناس ليس الا ما فهموه ولا فهموا الا ما يناسبوه وهو ليس من هذا الجنس اصلا اذ لايناسبوه وكذا الاشتغال باللذات وحب الشهوات من النساء والبنين وغيرهما يعمى القلب ويذهب بنور عبرته لان حبك للشئ يعميك ويصمك عن ادراك غيره فحب الشهوات يطفى نور الاستبصار والاعتبار فمن سلط هذه الخصال الثلث التي بناء الهوى ورسوخها عليها على تلك الثلث التي بناء العقل وقوامه عليها فكانما اعان الهوى والطاغوت على هدم بناء عقله ومن هدم بناء عقله فقد افسد على نفسه دينه ودنياه لان بناؤهما على العقل فمن لاعقل له لادين له ولادنيا اما انه لادين له فظاهر واما انه

112 لا دنيا له فلان الدنيا هي ان يكون معبراً وقنطرة يعبر بها الى الآخرة كما دل عليه مفهوم
الدنيا والآخرة لانهما من باب المضاف فالدنيا نشأتك القريبة الاولى التي
انت فيها والآخرة نشأتك الثانية التي تنتقل اليها فالمؤمن هو الذي يعبر عن
الدنيا بقلبه ويرغب في الآخرة بروحه فيكون في راحة عظيمة ونعمة جسيمة والمنافق
ابداً متعلق القلب بالدنيا لا ينتقل الى الآخرة الا بقهر ملك الموت وقمع بدنه
ونفسه بمقامع من النار فلم يزل متعلق القلب بها غير عابر عنها بروحه واختياره
بل بالكره والاجبار والاضطرار فيكون في غصة وعذاب اليم وفرقة وفزع جسيم
قوله عليه السلم يا هشام كيف يزكو عند الله عملك وانت قد شغلت قلبك
عن امر ربك واطعت هواك على غلبة عقلك اصل الزكوة في اللغة الطهارة
والنماء والبركة والمدح وكل ذلك قد استعمل في القرآن والحديث ووزنها
فعلة كالصدقة فلما تحرك الواو وانفتح ما قبلها انقلبت الفاً وهي من الاسماء المشتركة
بين المخرج والفعل اي المبداء والحدث فيطلق على العين وهو المزكى من المال
ونحوه وعلى المعنى وهو التزكية ومن الجهل بهذا طعن الظالم لنفسه على قوله تعالى
والذين هم للزكوة فاعلون ذاهباً الى العين وانما المراد المعنى الذي هو التزكية و
العمل ايضاً من الاسماء المشتركة بين الامرين فاذا اضيفت اليه الزكوة كان
المعنى بازاء المعنى والعين بازاء العين فزكوة العمل تطهيره وتجريده عن الاغراض
الدنيوية وجعله خالصاً لله ابتغاء لوجهه اذا علمت ذلك فاعلم ان الغرض من هذا
الخطاب ان قوام الاعمال الصالحة ايضاً بالعقل الكامل والعالم بالله المتفكر في آيات
خلقه من غلب عقله هواه واستخدمه مقهوراً مطيعاً فمن اطاع هواه وصيره غالباً

على عقله

على عقله بتسليط على عقله بالامور الثلثة المذكورة في الخطاب المتقدم او
ببعضها صار قلبه مشغولاً عن امر الله بغيره بسبب استغراقه في الدنيا
لقوة الهوى وضعف اليقين فاذا صار مشغول القلب عن الله وامره
فكيف يخلص عمله عند الله ويطهر عن شوائب المفسدات كالرياء ونحوها
او ينمو جزاؤه المشهد السادس عشر في ان التفرد عن الناس والعزلة والصبر عليها
من علامات قوة العقل وكماله قوله عليه السلم يا هشام الصبر على الوحدة
علامة قوة العقل فمن عقل عن الله اعتزل اهل الدنيا والراغبين فيها ورغب
فيما عند الله وكان الله انسه في الوحشة وصاحبه في الوحدة وغناه في العيلة ومعزه
من غير عشيرة عزل واعتزل بمعنى واحد والاسم العزلة والاعزل الذي لا سلاح
له والعيلة والعالة الفاقة وعال عيلة وعيولا اي افتقر وعيال الرجل من يعوله
واحده عيل وجمعه عيايل واعال الرجل كثرت عياله وقيل صار ذا عيال والعز
خلاف الذل وعز الشيء من باب ضرب عزاً وعزازة اذا قل لا يكاد يوجد فهو
عزيز وعز فلان من باب ضرب عزاً وعزة وعزازة اذا صار عزيزاً اي قوي بعد ذلة
والمراد ههنا هو المعنى الثاني ومنه اعزه الله وعززت عليه اي كرمت عليه وقوله
تعالى فعززنا بثالث بالتخفيف والتشديد اي قويناه وشددناه اعلم ان
الناس اختلفوا في فضيلة العزلة والخلطة طائفتين ولكل منهاج فحجة المائلين
الى الخلطة قوله تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا وقوله تعالى والف بين قلوبكم امتن
على الناس بالسبب المؤلف وهذا ضعيف لان المراد تفرق الآراء و
اختلاف المذاهب والمراد بالالفة نزع الغوايل من الصدور لانها من الاسباب

المشيرة للفتن المحركة للخصومات والعزلة لا تنافي ذلك ولهم حجج اخرى ضعيفة
ايضا واما حجج المائلين الى العزلة فمنها قوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلم
واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعوا ربي عسى ان لا اكون بدعاء ربي
شقيا ثم قال فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب
وكلا جعلنا نبيا اشارة الى ان ذلك ببركة العزلة وهذا ضعيف لان مخالطة
الكفار لا فائدة فيها الا دعوتهم الى الدين وعند الياس عن اجابتهم فلا وجه
الا الاعتزال عنهم وانما الكلام في مخالطة المسلمين واعلم ان اختلاف الناس
في هذا ايضا هي اختلافهم في فضيلة النكاح والعزوبة والحق ان ذلك يختلف بالاشخاص
وبالاحوال والاوقات فلكل من العزلة والمعاشرة فوايد كثيرة بالقياس الى من
هو من اهله بعضها دينية وبعضها دنياوية فمن فوائد العزلة الفراغ للعبادة والفكر
والاستيناس بمناجاة الله عن مناجاة الخلق والاشتغال باستكشاف
اسرار الله في خلق الدنيا والآخرة وملكوت السموات فان ذلك يستدعي
فراغا ولا فراغ مع المخالطة فالعزلة وسيلة اليه ولذلك كان رسول الله صلى الله
عليه وآله في ابتداء امره يتبتل في جبل حراء وينعزل اليه حتى قوي فيه نور النبوة
وكان الخلق لا يحجبه عن الله فكان ببدنه مع الخلق وبقلبه مقبلا على الله تعالى قال
ابو علي بن سينا في مقامات العارفين العارف لا يحتمل الهمس من الخفيف
فضلا عن ساير الشواغل الخالجة وذلك في اوقات انزعاجه بسره الى الحق
واما عند الوصول فاما شغل له بالحق عن كل شيء واما سعة للجانبين لسعة القوة
وكذلك عند الانصراف في لباس الكرامة فهو اهش خلق الله بهجة قال بعض
الحكماء

الحكماء انما يستوحش الانسان في نفسه عند الوحدة لخلو ذاته عن الفضيلة فيتكثر
حينئذ بملاقات الناس ويطرد الوحشة عن نفسه واما اذا كانت ذاته فاضلة
فيطلب الوحدة ليستعين بها على الفكرة ويستخرج العلم والحكمة ويناجي ربه
صاعدا بفكره اليه فيصير الحق جليسه كما حكي عنه تعالى من قوله انا جليس من ذكرني
وليس المراد ذكر اللسان مع غفلة القلب وهو ظاهر فالعارف بالحق استيناسه
به الفه بالوحدة معه والعزلة عن غيره لفضيلة نفسه وكمال عقله ولذلك قيل الاستيناس
بالناس من علامة الافلاس ومنها التخلص عن المعاصي بالعزلة اذ لا يخلص عنها غالبا
بالمخالطة وهي كالغيبة والرياء والسكوت عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
ومسارقة الطبع عن الاخلاق الردية والاعمال الخبيثة التي يوجبها الحرص على الدنيا
ومنها الخلاص من الفتن والخصومات وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها
والتعرض لاخطارها وقلما يخلو البلاد عن تعصبات وفتن وخصومات فالمعتزل
في سلامة منها ومنها الخلاص من شر الناس فانهم يؤذونك تارة بالغيبة ومرة
بسوء الظن والتهمة وتارة بالاقتراحات والاطماع الكاذبة التي يعسر الوفاء بها
وتارة بالنميمة او الكذب فربما يرون او يسمعون منك من الاعمال والاقوال
ما يبلغ عقولهم فيه فيتخذون ذلك ذخيرة عندهم لوقت يكون فيه فرصة للشر فاذا
اعتزلتهم وما يعبدون من دون الله استغنيت عن التحفظ عن جميع ذلك
ومنها الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقاء ومقاساة اطوارهم واخلاقهم و
كلماتهم الركيكة الباردة فان رؤية الثقيل هو العمى الاصغر وقيل للاعمش لم عمشت
عينك قال من النظر الى الثقلاء وقال جالينوس لكل شيء حمى وحمى الروح النظر

والحمقى صح

الى الثقلاء وقال الشعبي ما جلست ثقيلا قط الا وقد وجدت الجانب الذي يليه من
بدني كانه اثقل من الجانب الاخر فهذه فوايد العزلة واما فوايد الاختلاط فهي كثيرة
لا تحصى فان كثيرا من المقاصد الدينية والدنياوية انما يحصل من الاستعانة بالغير
والاستعانة بهم انما يكون بالمخالطة معهم كيف والانسان كما قيل مدني بالطبع
لا يتمشى امر دنياه ولا دينه ايضا عند الابتداء الا بالمعاشرة والمخالطة فانظر الى
فوايدها والدواعي اليها كم هي وهي كالتعليم والتعلم والنفع والانتفاع والتاديب
والتادب والاستيناس والايناس وفضيلة الجمعة والجماعات والاعياد
وزيارة الاخوان والصلحاء ورؤية العلماء واعتياد التواضع واستفادة التجارب
والاعتبار بشدة الاحوال وكسب الاخلاق الحميدة من اهلها وثواب التاهل
وفضيلة النكاح وتكثير الاولاد المسلمين الذين بهم يباهي الرسول عليه وآله السلم
يوم الدين الى غير ذلك من المنافع الدينية والدنيوية واذا علمت فوايد كل من
العزلة والمخالطة وغوايلهما التي هي فوات ما في الاخرى من المصالح فالحكم على احدهما
بخصوصها بالتفضيل على الاخرى غير صحيح على الاطلاق بل كل منهما له الفضيلة بالنسبة
الى اشخاص معينة وفي احوال مخصوصة كما علم مما ذكرنا اذا تقرر هذا فلنرجع الى المتن
فقوله عليه السلم فمن عقل عن الله اعتزل اهل الدنيا يعني اذا بلغ عقل الانسان
الى حد ياخذ العلم من الله من غير تعليم بشري اما بحسب اصل الفطرة كما للانبياء عليهم
السلم او بعد مجاهدات ورياضات علمية وعملية اعتزل اهل الدنيا والراغبين
فيها اذ لم يبق له رغبة الى الدنيا واهلها ويرغب فيما عند الله من الخيرات الحقيقية
والانوار الالهية والاشراقات العقلية والابتهاجات الذوقية والسكينات

الروحية

الروحية وعند ذلك كان الله انسه في الوحشة اذ موجب الوحشة فقد
المالوفات الوجودية وخلو الذات عن الفضيلة والخير والله تعالى منبع
كل خير واصل كل وجود وكل كمال وخيرية فانما ينشا وينشعب منه تعالى
على الاشياء ومن رجع الى الله تعالى ياخذ ويستفيض من رحمته كل ما يريد
من كان لله كان الله له فيكون صاحبه في الوحدة فتصير وحدته عين الجمعية
وغناه في العلية لان فقره ليس الا اليه ومن كان فقره اليه لا غير كان غناه به
لا غير وكان الله ايضا معزه من غير عشيرة اذ العزة بالعشيرة والنسب عزة
مجازية والعزيز بالحقيقة من اعزه بعزته التي لا مثل لها ولا نظير واعلم ان في هذا
الكلام اشارة الى الحديث الالهي المشهور الذي في قرب الفرايض وقرب
النوافل فليتامل فيه المشهد السابع عشر في ان طاعة الله لا تتم الا بالعلم والعلم لا يحصل
الا بالعقل قوله عليه السلم يا هشام نصب الحق لطاعة الله ولا نجاة الا بالطاعة
والطاعة بالعلم والعلم بالتعلم والتعلم بالعقل يعتقد ولا علم الا من عالم رباني
ومعرفة العلم بالعقل قوله نصب اما على البناء للمفعول او البناء للفاعل
لكن بارتكاب حذف المفعول اي نصب الحق خلقا او حجة او نحو ذلك
وقوله عليه السلم لا نجاة الا بالطاعة لان الانسان في اول نشأته العنصرية
جوهر ظلماني مخلوق من مواد عالم الظلمات ومن سنخ الطبيعة وانما يصير
بالتصفية والتهذيب والتبديل والتاديب اهلا للعالم العلوي كما في قوله
تعالى ايطمع كل امرء منهم ان يدخل جنة نعيم كلا انا خلقناهم مما يعلمون اشارة
الى ان الانسان اذا لم تتبدل نشأته الى نشأة غير هذه النشأة المحسوسة

الطبيعية لا يدخل الجنة وانما يدخلها عند التبديل ولذا اعقبه بقوله فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم وقال في سورة الواقعة وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون فعلم انه لا بد في النجاة من عالم الظلمات الى عالم الانوار من تحصيل فطرة اخرى بالتطهير والتنزيه وذلك بالطاعة وترك المعصية وروح الطاعة والعبادة هو العلم كما علمت وحصول العلم لنا لكونه حادثا فينا لا يكون الا بالتعليم والتعلم الحقيقي لا بد له من عقل منفعل بالقوة في جانب المتعلم ومن عقل فعال بالفعل في جانب المعلم وذلك المعلم اما ان يكون هو الله ان كان التعلم منه بلا واسطة او يكون عالما ربانيا ان كان من غيره وعلى اي وجه لا يكون العالم عالما حقيقيا الا ويكون ربانيا اذ المراد بهذا العلم هو العلم بالاصول الايمانية من الحق الاول وكيفية الهيته وربوبيته وافعاله القدسية وملكيته العقلية والروحية وانبيائه واوليائه وكيفية الوحي والانزال والالهام والاعلام واذا كان العلم بكل شيء هو حضور ذاته او صورته العقلية المجردة عن الغواشي الحسية والخيالية فواهب العلم ومصور النفس بتلك لم يمكن ان يكون الا الله دون البشر من حيث بشريته فكل عالم علما حقيقيا فهو انما ياخذ علمه من الله لا محالة اما بغير الاستعانة ببشر في الابتداء كالانبياء وضرب من الاولياء عليهم السلام او بسبب اعانتهم وارادتهم الطريق وارشادهم كيفية السلوك والعمل كما لسائر البشر واما الافاضة والاشراق العقلي فهو من الله خاصة ولهذا قيل ان السلوك الفكري والاكتساب العملي اذا لم ينته الى الجذبة الالهية فليس له كثير فائدة وان كل عالم رباني وحكيم الهي

فهو مجذوب

فهو مجذوب معتنى به وان جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين وبالجملة فكل عالم رباني ولا يكون ربانيا الا بكونه عقلا خالصا نورانيا فاحتفظ بهذا المعنى الدقيق الحري بالامعان والتحقيق فانه مقتبس من مشكوة هذا الحديث الوارد من معدن الولاية وبيت النبوة على اهاليه السلام والتحية **المشهد الثامن عشر** في ان العلم هو الاصل والعمل انما يراد لاجله فالعلم هو المبداء والغاية قوله عليه السلام يا هشام قليل العمل من العالم مقبول مضاعف وكثير العمل من اهل الهوى والجهل مردود توضيح هذا الكلام ان جميع مقامات الدين ومنازل الصالحين كالتوبة والشكر والصبر والخوف والرجاء والمحبة والتوكل والرضاء وغيرها انما تنتظم من امور ثلثة معارف واحوال واعمال فالتوبة مثلا لا بد له من علم وحال وعمل اما العلم وهو المطلع والمبداء فهو الايمان والاعتقاد اليقيني بان الذنوب سموم مهلكة فنور هذا الايمان واليقين متى اشرق على القلب يثمر نار الندم فيتألم به القلب حيث يبصر باشراق هذا النور انه صار محجوبا عن محبوبه وعن اصله الذي منشأوه ومأواه مقيدا في سجن مظلم كمن كان في ظلمة فسطع عليه نور الشمس بانقشاع سحاب او زوال حجاب فرأى محبوبه قد اشرق على الهلاك فيشتعل نيران الحب في قلبه فينبعث بتلك النيران ارادته للقيام بالتدارك والانتهاض للسعي في نجاته فنور العلم ونار الندم الذي هو الحال والقصد للترك في الحال والاستقبال والتلافي لما فات عنه في الماضي الذي هو من الاعمال امور ثلثة مترتبة في الحصول ويطلق تارة اسم التوبة على مجموعها وتارة على معنى الندم ويجعل العلم كالمقدمة و

خ ل اشرف

والباعث والترك كالثمرة والتابع فيكون الندم محفوفا بطرفيه مثمرة ثمرة
وهكذا الكلام في الصبر والشكر والتوكل وساير المقامات الدينية في انتظام
كل منها من علم وحال وعمل فهذه الامور الثلثة اذا قيس بعضها الى البعض او وزن
بعضها ببعض لاح للناظرين الى الظواهر ان العلوم مطلقا انما تراد للاحوال و
الاحوال تراد للاعمال فالاعمال هي الافضل واما اهل البصاير واولوا الالباب
فالامر عندهم بالعكس من ذلك فان الاعمال تراد للاحوال والاحوال تراد للعلوم
فالافضل العلوم ثم الاحوال ثم الاعمال لان كل مراد لغيره فذلك الغير لا محالة افضل
منه هكذا ذكره بعض المحققين اقول الغلط انما نشأ من اشتراك لفظ العلم من
ما يتعلق بالامور الجزئية ويتقيد بالاعمال وهي علوم المعاملة سواء كانت مع الله
ام مع الخلق ومن العلوم الحقيقية الحرة المطلقة التي هي الكمال وهي علوم المكاشفة
وهي ارفع من علوم المعاملة بل هي ادون من المعاملة فانها تراد للمعاملة ففايدتها
اصلاح العمل وفايدته اصلاح القلب وفايدة اصلاح القلب وهو التطهير
والتصفية ليست نفس الصفاء والطهارة لانها امر عدمي بل لان ينكشف
جلال الله وعظمته في ذاته وصفاته وافعاله فهذه المعرفة هي الغاية التي لا غاية
فوقها للانسان فهي تطلب لذاتها لا للعمل ولا لشيء آخر فان السعادة حصلت
بها بل هي عين السعادة فاذا كانت الغاية التي هي المقصودة بالذات هي
المعرفة الالهية وكانت الاحوال والاعمال وسيلة اليها انما تراد لاجلها ففضيلة
كل عمل انما هي بقدر تاثيره في صفاء القلب وازالة الكدورة والحجاب عنه
فالعمل المثمر للحالة القريبة من صفاء القلب هو افضل من غيره وكذا تلك الحالة افضل

مما دونها

مما دونها وكذلك يختلف تاثير الاعمال الى آحاد النفوس فرب انسان يكفيه
قليل العمل في تاثير قلبه وصفائه للطافة طبعه ورقة حجابه ورب انسان بخلافه
لكثافة طبعه وغلظة حجابه فربما لم يؤثر فيه العمل وان كثر لتناهيه في البلادة والختم
على القلب وربما يؤثر كثيره تاثيرا قليلا اذا تقررت هذه المعاني فتحقق وتبين
معنى قوله عليه السلم قليل العمل من العالم مقبول مضاعف فمعنى كونه مقبولا اي
مؤثرا في صفاء قلبه وارتفاع الحجاب عنه وكونه مضاعفا اي تاثيره في قلبه اضعاف
تاثيره في قلب غيره وذلك لارتفاع اكثر الحجب عنه بممارسته العلوم والافكار فان
كل مسئلة يتحققها العالم فكانه يجلي ويصقل به اولا جلاء قوسا من مرآة قلبه يحاذي
بها شطر جزء من عالم الملكوت فاذا تكثرت وتلاحقت الافكار والانظار وترادفت
المسائل والعلوم يبلغ القلب في صفائه الى حد لا يحتاج معه الى كثير عمل لكن
ما دام الانسان في دار الدنيا التي هي دار الغرور لا يستغني بالكلية عن عمل
وكسب لاجل ابقاء اصل التصقيل الذي قد فعل والكمال العلمي الذي
قد حصل بل للمحافظة عليه وحراسته عن الآفات وهي مما يكفيه القليل من الاعمال
وقوله كثير العمل من اهل الهوى والجهل مردود وذلك لعدم تاثير الاعمال والافعال
في تلطيف قلوبهم وازالة الحجاب والغشاوة عن ابصارهم واسماعهم لان قلوبهم
قاسية ونفوسهم ظلمانية وحجابهم غليظ وسدهم شديد

المشهد التاسع عشر

في علة تزهد العقلاء في الدنيا والباعث لهم عليه قوله عليه السلم يا هشام ان العاقل
رضي بالدون من الدنيا مع الحكمة ولم يرض بالدون من الحكمة مع الدنيا فلذلك ربحت
تجارتهم منشأ ذلك ومبناه ان العاقل هو الذي يعلم فضيلة الحكمة وشرفها وبقاءها

ويعرف خساسة الدنيا ودناءتها ودثورها وفنائها وسرعة انتقال النفس
عنها ويعلم ايضا ان الحكمة والدنيا لا تجتمعان في قلب وان الدنيا والآخرة
ضرتان متضادتان وهما ككفتي ميزان ترجحان كل منهما فقدان الآخر فتاجر
مع الله في ترك الدنيا لاجل الحكمة فرضي بالدون من الدنيا الذي يكفي
للبلاغ مع الحكمة التي بها القرب من الله ولم يرض بعكسه بان يكون رغم
الدنيا وافيا ولذتها كاملة ولكن مع قصوره في العلم والمعرفة فلا جرم كانت
تجارته رابحة حيث بدل امرا خسيسا فانيا بامر باق شريف وعن امير المؤمنين
عليه السلام لو كانت الدنيا من ذهب والآخرة من خزف لاختار العاقل — خزف
الخزف الباقي على الذهب الفاني كيف والامر على العكس من ذلك
قوله عليه السلام يا هشام ان العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب
وترك الدنيا من الفضل وترك الذنوب من الفرض اعلم ان امور الدنيا
وشهواتها منقسمة الى ثلثة اقسام قسم منها ضرورات لا يمكن التعيش و
البقاء بدونها وهي كانها ليست من الدنيا لان العبد مكلف باتيانها وانها
من الواجبات وقسم منها وهي لذات مباحة لا تمنع عن النجاة عن النار
وعذاب الآخرة ولا عن اصل النعيم الاخروي ولكن يمنع عن مزيد الكرامة — المباحات
وفضل النعمة وكمال القرب منه تعالى وهي المباحات الشرعية من اللذات
وقسم منها هي التي تؤثر في النفس لذتها بحيث تورث ظلمة في القلب
وتنتج عذابا في الآخرة على اختلاف مراتبها في هذا الانتاج باختلاف مراتبها
في اظلام القلب بحسب تفاوتها في شدة اللذة وضعفها وتفاوت استغراق

النفس

النفس فيها فهذه هي المحرمات الشرعية كبايرها وصغايرها وكلها دون الكفر
الذي هو الحجاب الاعظم ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء اذا علمت هذا فاعلم ان العاقل هو الذي ترك فضول الدنيا
وان كانت مباحة لانها تمنع غاية التنزه وكمال التقرب فكيف الذنوب
التي هي ارتكاب المحرمات المورثة لاستحقاق العقوبة الا ان يتفضل
الله بالمغفرة والتجاوز عنها بالاحسان فظهر لك ان ترك الدنيا رتبة
من باب طلب الفضل والكمال وان ترك المعاصي والمحرمات من باب الفرض
الذي يطلب به النجاة عن العذاب والعتق من النار فالاول يختص بالاحرار
ليصيروا من الاخيار والثاني مشترك بين الناس ليصيروا عتقاء احرار
من النار غير مقيدين بالسلاسل والاغلال ولا محبوسين في مهوى السجين
ومنزل المحنة والوبال قوله عليه السلام يا هشام ان العاقل نظر الى الدنيا والى
اهلها فعلم انها لا تنال الا بالمشقة ونظر الى الآخرة فعلم انها لا تنال الا بالمشقة
فطلب بالمشقة ابقاهما معناه واضح فان الدنيا ايضا لا تنال الا بالمشقة كالآخرة
الا ترى ان لذة السلطنة اعظم لذات الدنيا ثم ان مشقة الملوك والسلاطين
اعظم من مشقة غيرهم من الرعية لمقاساتهم الشدايد والاهوال وارتكابهم
الحروب والتعرض للجروح والقتال ونهب الاموال واسر الاولاد والاحفاد
فان قال قايل من الذين غرتهم الحيوة الدنيا كالكفار ان الدنيا نقد والنقد خير من
النسية فيكون خيرا من الآخرة لانها نسية وايضا لذات الدنيا يقين ولذات
الآخرة شك فلا يترك اليقين بالشك قلنا هذه اقيسة فاسدة تشبه قياس

ابليس اللعين فيما اخبر الله عنه وهي مدفوعة اما بالايمان السمعي او بالبرهان القطعي
اما الاول فهو التصديق بقوله تعالى وما عند الله خير وابقى والآخرة خير وابقى وما الحيوة
الدنيا الا متاع الغرور وما الحيوة الدنيا الا لهو ولعب واما الثاني فهو ان يعرف وجه
الغلط في القياسين اللذين وضعهما الشيطان ففي قياسه الاول اصلان احدهما
صحيح وهو ان الدنيا نقد والآخرة نسيه والآخر هو قوله والنقد خير من النسية
لان فيه محل التلبيس اذ المهملة والجزئية لا تنتج والكلية تكذب اذ النقد والنسية
اذا كانا متماثلين في الكمية والكيفية فهو خير منها والا فلا واما قياسه الثاني فهو اكثر
فسادا من الاول لبطلان كلا اصليه اذ اليقين خير من الشك اذا كان مثله والا فلا
فان التاجر في تعبه على يقين وفي ربحه على شك والمتفقه في اجتهاده على يقين وفي
ادراكه رتبة العلم على شك والمريض في شربه الدواء الكريه على يقين وفي ادراكه
الصحة به على شك وهكذا في ساير الامثلة في هذا الباب وفي كل ذلك ترك اليقين
بالشك ولكن المريض مثلا يقول ضرر مرارة الدواء قريب بالاضافة الى ما اخافه
من طول المرض او الموت فكذلك من شك في الآخرة فواجب عليه بحكم العقل ان
يقول الصبر اياما قلايل قريب بالاضافة الى ما يقال من امر الآخرة فان كان ما قيل فيه
كذبا فما يفوتني الا التنعم ايام الحيوة وقد كنت معدوما من الازل الى الآن لا اتنعم فاحسب
اني بقيت في العدم دائما وان كان ما قيل صدقا فابقى في النار ابد الآباد وهذا
لا يطاق كما روي عن امير المؤمنين انه قال لبعض الملحدين ان كان ما قلته حقا فقد
تخلصت وتخلصنا وان كان ما قلناه حقا فقد تخلصنا وهلكت وما كان قوله عليه السلم
مبنيا على جواز شك في الآخرة ولكن كلم به الملحد على حد عقله وبين له انه وان لم يكن

امر الآخرة متيقنا فهو مغرور واما اصله الثاني وهو ان الآخرة شك فهو ايضا
خطاء بل ذلك يقين عند اهل الايمان وليقينه مدركان احدهما تقليد الانبياء
والاولياء والعلماء وهو مدرك العوام واكثر الخلق اطمئنوا به كما يطمئن
نفس المريض الى تصديق قول الاطباء والحذاق في ان النبت الفلاني
دواؤه ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبية ولو كذبهم سوادي في ذلك
فيعلم كذبه لكونه مخالفا لما عليه الفضلاء الحذاق الكثيرون فلو ترك احد بقوله
قول الاطباء لكان معتوها كذلك من نظر الى المقرين بالآخرة والمخبرين عنها
والقائلين بان التقوى هي الدواء المفضي للوصول الى سعادتها وبه
قال خير خلق الله وجميع الانبياء والاولياء والحكماء والعلماء وتبعهم عليه
الخلايق على اصنافهم وشذ منهم احاد البطالين الذين غلبت الشهوة
فجحدوا الآخرة وكذبوا الرسل فقول هذا الغبي الذي استرقته الشهوات
لا يوقع الشك في صحة قول الانبياء عليهم السلم كما ان قول الصبي او السوادي
لا يزيل طمأنينة قلب المريض الى ما قالته الاطباء وهذا القدر من الاعتقاد
الجازم كاف جلة الخلق لانه يستحث على العمل واما المدرك الثاني لمعرفة
الآخرة فهو الوحي للانبياء والالهام للاولياء والبرهان للحكماء ويجب ان تعلم
ان معرفة النبي صلى الله عليه وآله لامر الآخرة ولامور الدين تقليد لجبرئيل عليه السلم
بالسماع منه كما ان معرفتك تقليد النبي صلى الله عليه وآله حتى تكون معرفتك
كمعرفته وانما يختلف المقلد هيهات هيهات فان التقليد ليس بمعرفة بل
اعتقاد جازم صحيح والانبياء عليهم السلم عارفون ومعنى معرفتهم انه كشفت على

صار بهم حقائق الاشياء كما هي عليها فشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما شاهدت
انت المحسوسات بالبصر الظاهر فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع
ورواية كما هو شأن المقلد والله ولي الفضل والهداية وهو مفيض العلم
والحكمة والنبوة قوله عليه السلم يا هشام ان العقلاء زهدوا في الدنيا
ورغبوا في الآخرة لانهم علموا ان الدنيا طالبة مطلوبة وان الآخرة طالبة
ومطلوبة فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه ومن طلب
الدنيا طلبته الآخرة فيأتيه الموت فيفسد عليه دنياه وآخرته توضيح هذا
الكلام بتحقيق امرين ان رزق الدنيا ونصيب الانسان منها لا يتعلق — احدهما
بسعيه وكسبه بل هو مقدر مضمون يصل اليه سواء اختاره اولا وسواء
تعب وكد في تحصيله اولا ولهذا قال تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون
وقالت الحكماء ان الدنيا دار اتفاق وبخت بخلاف رزق الآخرة ونعيم
الانسان او عذابه فيها فانه يتعلق لا محالة بسعيه وكسبه ليس للانسان الا
ما سعى وذلك لان كل ما يصل اليه في الآخرة فهو صور اخلاقه واعماله ونتائج
صفاته وافعاله ليس بخارج عنه وارد عليه كما يستفاد من معرفة احوال الآخرة
واحكامها حسبما يعرفه العارفون والمكاشفون وثانيهما ان كلا من الدنيا
والآخرة طالبة لمن كان مطلوبه الاخرى بوجه دون وجه فكل منهما طالبة حين
كون الاخرى مطلوبة بوجه من الطلب فمن طلب الآخرة وسعى في تحصيلها فله
الآخرة لا محالة لقوله تعالى ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك
كان سعيهم مشكورا ومع ذلك طلبته الدنيا ليستوفي رزقه منها لما مرّ ان الرزق — ليستوفي بلغ

المقدّر

المقدّر يصل الى الانسان سواء طلبه اولا ومن طلب الدنيا وسعى لها سعيها الذي
لا فائدة فيه طلبته الآخرة ليستوفي اجلها اذ الاجل ايضا كالرزق مكتوب فيأتيه الموت — ليستوفي
وعند ذلك يفسد دنياه لانقطاعها ويفسد آخرته لان اكتسابها لا يمكن بعد الموت
فثبت وتحقق ان من طلب الآخرة كانت له الدنيا والآخرة جميعا ومن طلب الدنيا
زيادة على ما هو المكتوب لم يكن له الدنيا والآخرة فاذا تقرر هذان الاصلان ظهر ان
العقلاء وهم الذين علموا وتيقنوا ما ذكرناه لا بد وان يكونوا زاهدين في الدنيا راغبين
في الآخرة فهم السعداء في النشأتين والفائزون بالكرامتين فعلم من ذلك ان بناء
كل سعادة وسلامة واصل كل راحة ونعمة على العقل كما نبّه عليه بقوله عليه السلم
يا هشام من اراد الغناء بلا مال وراحة القلب من الحسد والسلامة في الدين
فليتضرع الى الله عز وجل في مسألته بان يكمّل عقله فمن عقل قنع بما يكفيه استغنى — ومن قنع بما يكفيه
ومن لم يقنع بما يكفيه لم يدرك الغناء ابدا توضيح ذلك بان من كمل عقله وقوي ترشح
كان شغله بالله والانس مع الله ونعيمه بما يرد عليه من الانوار العقلية المبهجة والسكينة
الالهية اللذيذة فيقنع من الدنيا بادنى شيء يقيم بدنه ومن نقص عقله وافلس باطنه
عن العلم والمعرفة كان طالبا للغنى والنعمة من الخارجيات والامور المادية الدنيوية
ولم يعلم ان الدنيا ولذاتها امور فانية وصور وهمية كسراب بقيعة يحسبه الظمآن
ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا فهي مما لا يسمن ولا يغني عن الحق شيئا اذ لا حقيقة
فيها فالعاقل يقنع منها بالكفاية ويستغني بالحق من الخلق والجاهل لا يقنع بالكفاية
اذ سدّت عليه الطرق الا الى الدنيا لاحتجابه بها عن الحق وبالهوى عن الهدى
فيريد ان يدرك الغناء بالدنيا ولم يدركه ابدا اذا تقرر هذا فقد وضح ما امر به عليه السلم

من الدعاء والتضرع اليه تعالى في السؤال لتكميل العقل لمن اراد الغناء بلا مال
والراحة عن الحسد والسلامة في الدين والفتح ايضا ما فرع عليه وعلى ضده

المشهد العشرون في ان اصل السعادة الحقيقية للعبد ان يكون عقله مستفادا
من الله وفي ان الظاهر عنوان الباطن والاعمال حكاية الاحوال اعلم ان المؤمن
اذا لم يكن قلبه منورا بنور الله سبحانه وعقله مهتديا بهداه لا يكون آمنا من الزيغ
والضلالة والعمى عن الحق بعد الاجابة والارتداد بعد قبول الدعوة والتردي الى الهوى
الاسفل عقيب الطاعة كما في قوله تعالى ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه وكقوله
ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وقوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو
كافر وجميع ذلك لاجل ان ايمانهم لم يكن ايمانا حاصلا من طريق الاستبصار بالآيات
والبراهين ولا علمهم نورا فايضا على قلبهم من الله مكتوبا فيه بقلم الله اولئك كتب
في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون
بل كان ايمانهم تقليديا وعلمهم حاصلا من افواه الرجال وهديهم هدى الخلق بالرواية
والكتابة لا هدى الحق بالدراية قل ان الهدى هدى الله ومثلهم لا يأمن في حقهم مكر الله
فالمؤمن المستبصر ما دام في الدنيا لابد ان يلتجئ الى الله ويتضرع له بالدعاء ان لا يزيغ
قلبه بعد الهدى وان يتفضل عليه بهدى ورحمة من عنده ويؤتيه علما وحكمة من لدنه
والى ما ذكرنا اشار بقوله عليه السلام يا هشام ان الله حكى عن قوم صالحين
انهم قالوا ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت
الوهاب حين علموا ان القلوب تزيغ وتعود الى عماها ورداها انه لم يخف الله
من لم يعقل عن الله ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ويجد

حقيقتها

حقيقتها في قلبه الزيغ هو العدول عن الطريق والردى هو الهلاك والتردي هو سقوط
الدابة ونحوها الى اسفل كانه تفعل من الردى الذي هو الهلاك والضمير المرفوع في قوله
علموا ارجع الى قوم صالحين يعني انهم انما سألوا ربهم هذا السؤال اي عدم ازاغة
القلوب وايتاء الرحمة الوهبية من لدنه لانهم علموا ان القلوب مما تزيغ وتضل
عن طريق الحق وتعود الى عماها ورداها اللذين كانت عليهما وذلك لما مر ذكره
سابقا ان النفوس البشرية كانت في التكوينات السابقة صورا طبيعية
جمادية ثم نباتية ثم بهيمية الى ان صارت بالاستحالات الذاتية والترقيات
الجوهرية من حد الطبيعة الى حد هذه النفس البشرية وهي ايضا جسمانية الحدوث
روحانية البقاء ان ساعدها التوفيق الالهي بالعلم والعمل ولما كان كلما تعلق
من النفوس البشرية بعالم الطبيعة والدنيا فهو في كمه وضلال وعمى عن نور
الآخرة ومشاهدة صورها الدائمة الحقة فهو ايضا في معرض هلاك ودثور لان
الدنيا بما فيها ومعها داثرة هالكة لانها كائنة فاسدة بالذات او بالتبعية فما لم تجرد
النفس عن لباس الطبيعة ولم تخلص عن غشاوة الدنيا لم تخلص من الهلاك
والدثور ولا ينجو من عذاب القبور وعذاب يوم النشور فاشار
عليه السلام الى ما هو كالبرهان على ان القلوب متى لم تعرف عن الله من
شأنها ان تزيغ عن الحق وتعود الى العمى والردى وتختل قواعد ايمانه
بحسب الوجهين العملي والعلمي فاشار الى الاول بقوله عليه السلام
انه لم يخف الله من لم يعقل عن الله وعدم الخوف عن الله رأس
جميع المعاصي والذنوب وسببه ان من لم يعقل عن الله كان ايمانه

في اصل [illegible]

121

ايمانا تقليديا محضا كايمان العوام وايمانا ظنيا وتخمينيا او جدليا كلاميا كايمان المتكلم
وكل ذلك لا يوجب الخوف من الله والخشية من عذابه اذ الاكثرون حيث
لم يعرفوا من الاصول الحكمية ما يتعلق بكيفية الالهية وباحوال النفس من كونه
تعالى مقدسا عن التغير والانفعال غنيا عن الخلايق وعن عباداتهم وعصيانهم
وهو كما يقول في الحديث عنه تعالى هولاء للجنة ولا ابالي وهولاء للنار ولا
ابالي وان ما الذي يصل الى النفوس في القيمة من نتايج اخلاقهم وتبعات
افعالهم للعلاقة الذاتية بين الاشياء واسبابها فلم يخشوا منه حق خشيته
كيف واكثر المتكلمين القائلين بالفاعل المختار انكروا العلية والمعلولية
والعلاقة الذاتية بين الامور فيحتمل عندهم ان الكافر الشقي يصير مغفورا
يوم الآخرة والمؤمن السعيد معاقبا للقول بالفاعل المختار على المعنى الذي
قرروه واما الحكماء اولوا البصاير فحيث علموا ان الامر في الدنيا والآخرة
على القطع واللزوم من غير تخمين وجزاف فخافوا من عقوبة الله غاية الخوف
والخشية كما قال انما يخشى الله من عباده العلماء فلا جرم عملوا في الدنيا
وحصّلوا ما يوجب خلاصهم عن النار وفوزهم بالجنة واما غيرهم فربما زعم ان
الشفعاء ينجيهم عن النار وربما يغتر ببعض ظواهر الاخبار كالمرجئة ونحوهم او
بما ورد في ثواب الاعمال مع الغفلة عن شرايطها وربما يغتر بالنسب
الرفيع كالسيادة فيقول جدي يشفعني فلا يقوم بالرياضة ولا يعمل عمل الآخرة
فيهلك والى الثاني اشار بقوله ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة
ثابتة وهو ان العلوم متى لم تكن ماخوذة من الله ولا المقاصد العقلية من ابوابها

[illegible]

ومباديها

ومباديها فلم تكن يقينيا برهانيا فليست ثابتة في العقل غير قابلة للزوال
بل ربما يزول بادنى شبهة ثم نقول لما تقرر ان بين الروح والجسد
علاقة طبيعية وان الروح وصفاتها وقواها كالاصل واللب والقالب
بما فيه كالفرع والقشر وكذلك كل منهما يؤثر في صاحبه ويتأثر عن صاحبه
فالروح متى اتصف بهيئة الخضوع يسرى اثرها في الجوارح ايضا واذا اتصف
بهيئة الغضب يحمر الوجه ويقف الشعر ويشتد الحركة الى الانتقام ومهما
يخاف يصفر اللون ويتضائل البدن كل ذلك للعلاقة الذاتية بين الظاهر
والباطن والسر والعلن فالله سبحانه جعل العوالم متطابقة وجعل الباطن
برهانا على الظاهر والظاهر شاهدا على الباطن والجلي المحسوس حكاية
عن الخفي المستور ودليلا عليه واليه اشار بقوله عليه السلم ولا يكون احد كذلك
اي عالما ربانيا عاقلا من الله الا من كان قوله اي اعتقاده لفعله مصدقا وسره
لعلانيته موافقا لان الله تبارك وتعالى اسمه لم يدل اي لم ينصب دليلا على
الباطن الخفي من العقل الا بظاهر منه وناطق عنه وعلى هذا يحمل ما ورد في
الكتاب والسنة في باب القيمة من نطق الجوارح على الانسان وشهادة
الاعضاء على الاخلاق والاعمال بما انطقها الله الذي انطق كل شيء المشهود
الحادي والعشرون في تتمة صفات العقلاء الكاملين وخصايص افعالهم وما يترشح
من انوار عقولهم واسرارهم الى ظاهر الخلق قوله عليه السلم يا هشام كان امير المؤمنين
عليه السلم يقول ما عبد الله بشيء افضل من العقل وما تم عقل امرء حتى يكون فيه
خصال شتى الكفر والشر منه مامونان والرشد والخير منه مامولان وفضل ماله مبذول

والسر

وفصل قوله مكفوف ونصيبه من الدنيا القوت لا يشبع من العلم دهره الذل
احب اليه مع الله من العز مع غيره والتواضع احب اليه من الشرف يستكثر
قليل المعروف من غيره ويستقل كثير المعروف من نفسه ويرى الناس كلهم
خيراً منه وانه شرهم في نفسه وهو تمام الامر الخصال جمع الخصلة وهي المرة من
الخصل وهو الغلبة في النضال الذي يخاطر عليه وتخاصلوا تراهنوا في الرمي و
اصاب خصلة اذا غلب وخصلت القوم خصلا وخصالا فضلتهم والخصلة
الخلقة وهي المراد ههنا وكانها منقولة عن المعنى الاول لجامع الغلبة والفضيلة
بينهما وشتى جمع شت كذا امر شت وشتيت اي متفرق واشياء شتى
وجاؤا اشتاتا اي متفرقين والشر الحقيقي هو الذي يتاذى ويتنفر منه كل شي
بالذات ومرجعه العدم والهلاك وغير الحقيقي منه ما يكون مؤديا اليه وان كان
في نفسه وجوديا ويقال له الضر ومثال الاول الاشياء العدمية كالجهل البسيط
والفقر والموت والكفر ونحوها ومثال الثاني المرض والالم والظلم والجهل المركب
الذي مع العناد والرسوخ وغير ذلك من الاشياء الضارة والخير ما يقابل الشر
بكلا معنييه لكن التقابل بينهما في احد معنييهما تقابل الايجاب والسلب وفي الآخر
تقابل التضاد فالخير ما يطلبه ويؤثره ويختاره كل احد بالذات وهو الحقيقي ومرجعه
الى الوجود البحت والموجود بما هو موجود والخير بالعرض ويقال النفع ما هو وسيلة
اليه مثال الاول العلم والايمان الحقيقيين ومثال الثاني العبادة والزهد والرشد
خلاف الغي والمراشد مقاصد الطرق وارشاد الضال هدايته والرشيد
الهادي والكف في الاصل المنع ومن الحديث يكف ماء وجهه اي يصونه ويجمعه

والكفر

عن ذل السؤال وفيه ان بيننا وبينكم عيبة مكفوفة اي مشرجة على ما فيها مقفلة
ضربت مثلا للصدور وانها نقية من الغل والغش فيما اتفقوا من الصلح و
الهدنة وقيل معناه ان الشر بيننا مكفوف كما يكف العيبة على ما فيها من المتاع
فكانهم قد جعلوا ما اصطلحوا عليه في وعاء واشرجوا عليه وقوله عليه السلم دهره منصوب
على الظرفية وبنزع الخافض اي في تمام عمره يستكثر اي يعده كثيرا ويستقل اي يعده
قليلا اعلم انه يحتمل ان يكون قوله وما تم عقل امرء الى آخر الكلام من تتمة كلام امير المؤمنين
عليه السلم وكان المنقول منه عليه السلم هو قوله ما عبد الله بشيء افضل من العقل
فقط معناه ان افضل ما يتقرب به العبد الى الله هو العقل دون غيره من الطاعات
البدنية والمالية والنفسية كالصلوة والصيام وكالحج والزكوة وكالجهاد كما في
الحديث المنقول سابقا عن النبي صلى الله عليه وآله يا علي اذا تقرب الناس الى
خالقهم الحديث ويحتمل ان يكون من كلام الصادق وعلى كلا الاحتمالين فالعين
واحدة والمنبع مشترك وزيته بعضها عن بعض واعلم انه قد ذكر عليه السلم من
خصال الكامل في العقل اثنا عشرة خصلة هي اصول الفضائل ورؤس المحامد
اولها البراءة عن الكفر في الاعتقاد والشر في القول والفعل لان الاول ضرب
من الجهل والثاني ينشاء منه وهما ينافيان العقل وثانيها كونه مبداء الرشد
والخير وهما مأمولان عنه للخلايق لكونه هاديا معلما لهم وثالثها الكرم والجود لحقارة
المال عنده لاستغنائه بالحق عن كل شيء ورابعها ايثاره السكوت الا بالحكمة
والموعظة وخامسها الزهد في الدنيا لكونها امرا مستعارا فانيا داثرا و
سادسها انه لا يشبع عن العلم تمام دهره اذ لا نهاية له والحق تعالى فوق ما لا يتناهى

بالا يتناهى والواصل الى درجة من القرب كلما امعن فى الخوض والتعمق استنار بنور
آخر فوق نوره الاول واشتد ايضا شوقه اليه تعالى بقدر تلك الزيادة فى المعرفة
والنور وهكذا الا الى نهاية وما ذكره عليه السلم هو كما روى عن رسول الله صلى الله
عليه وآله منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال وفيه اشارة الى ان
العلم غذاء للروح يتقوى به ويكمل وبه حيوته كما ان المال غذاء للبدن وبه حيوته
وسابعها كون الذل احب اليه مع الله من العز مع غيره لعلمه بان العزة لله
جميعا بالحقيقة والذات ولما سواه لا بالذات بل بالعرض وبالتبع وكل ما سواه
ذليل فى ذاته فالعزيز من اعزه الله فكلما هو اقرب اليه فهو اعز واشرف فمن
كان مع الله بالفناء عن نفسه كان عزيزا باعزازه ومن كان مع غيره فيكون ذليلا
مثله وثامنها ايثاره التواضع على الشرف ما دام فى الدنيا تاسيا برسول الله
صلى الله عليه وآله حيث عرض عليه مفتاح خزاين الارض وملكها فاثر التواضع
لله لانه انسب الى العبودية وادخل فى تصحيح تلك النسبة والتحقق وتاسعها
استعظامه القليل من الاحسان فى حقه من غيره تخلقا باخلاق الله فى تضعيف
لحسنات العباد وعاشرها استقلاله واستحقاره الكثير من احسانه
الى الغير لكراهة نفسه واتصاله بمنبع الجود والخير وحادى عشرها رؤيته الناس خيرا
منه لحسن ظنه بعباد الله سيما المؤمنين وحمله ما صدر منهم على المحمل الصحيح ولما رأى
من محاسن ظواهرهم دون ما خفى من صفات بواطنهم فيراهم احسن احوالا
منه وثانى عشرها رؤيته لنفسه شر الناس لاطلاعه على دقايق علل النفس
التى لا سلامة منها الا بقوة الله العزيز الحكيم وفضله ورحمته لا بقوته البشرية

وطاعة

وطاعته وعبادته وقوله عليه السلم وهو تمام الامر يحتمل ان يكون الضمير
راجعا الى الكون الذى فى قوله حتى يكون فكان المعنى ان ملاك الامر وتمامه
فى ان يكون الانسان كاملا تام العقل هو كونه متصفا بمجموع هذه الخصال
المذكورة ويحتمل ان يكون راجعا الى الاخير وهو رؤيته النفس شر الخلق
لانها الموجبة للاستكانة والتضرع التام الى الله تعالى والطمع اليه
بالفناء عن هذا الوجود المجازى الذى كله ذنب وشر كما قيل وجودك
ذنب لا يقاس به ذنب وقيل ايضا بينى وبينك انى ينازعنى
فارفع بلطفك انى من البين قوله عليه السلم يا هشام ان العاقل لا يكذب
وان كان فيه هواه هوى يهوى هويا بالفتح اذا هبط وهوى يهوى هويا
بالضم اذا صعد وكان يكبر حين يهوى الى الركوع اى يذهب وينحط والهواء
ممدودا ما بين الارض والسماء والجمع الاهوية وكل خال هواء
وقوله تعالى افئدتهم هواء اى لا عقول لهم والهوى المقصور مصدر هوى بالكسر
يهوى اذا احب حبه واشتهاه ثم سمى به المهوى المشتهى محمودا كان
او مذموما ثم غلب على غير المحمود فقيل فلان اتبع هواه وفى التنزيل ولا تتبع
الهوى ولا تتبعوا اهواء قوم والمراد ههنا الحب مطلقا وهو مقصور
لا ممدود ومعنى الكلام واضح قوله عليه السلم يا هشام لا دين لمن لا مروة
له ولا مروة لمن لا عقل له وان اعظم الناس قدرا الذى لا يرى الدنيا لنفسه
خطرا اما ان ابدانكم ليس لها ثمن الا الجنة فلا تبيعوها بغيرها المرء الرجل يقال
هذا مرء صالح وضم الميم لغة وهما مرءان صالحان ولا يجمع على لفظه والمرأة

لعلمه · بالفناء · وتاسعها · من · تبيعوها · بالمصدر

مؤنث المرء وتقول هذه مرة صالحة ومرة ايضا بترك الهمزة وفتح الراء وهي
اسم للمبالغة كما الرجل وعند الفقهاء لو حلف الانسان بشراء امرأة
يحنث بشراء الصغيرة وفرقوا بين شرى المرأة ونكاحها في الحلف فان
جئت بالف الوصل كان فيه ثلث لغات فتح الراء على كل حال وضمها
على كل حال واعرابها على كل حال تقول هذا امرؤ بالضم ورايت امرءا
بالفتح ومررت بامرئ بالكسر ولا جمع له ايضا من لفظه واما امرأة فهي مفتوحة
الراء على كل حال والمروة الانسانية والمراد كمال الرجولية ويجيء مشددة
ايضا والخطر القدر والمنزلة والثمن بفتحتين اسم لما هو عوض عن المبيع
والاثمان المعلومة ما يجب دينا في الذمة وهو الدراهم والدنانير واما غيرها
من العروض ونحوها فلا وان اردت ان تشتري بعضها ببعض فما دخلت
فيه الباء فهو الثمن واما قوله تعالى ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا فالاشتراء فيه
مستعار للاستبدال فجعل الثمن اسما للبدل مطلقا لانه مشتري لان الثمن
اسم للمشتري به كما مر وهذا مما يسميه علماء البيان ترشيح الاستعارة فقوله
عليه السلم لا دين لمن لا مروة له ولا مروة لمن لا عقل له يريد ان الدين لا يتم بل
لا يتحقق الا بكمال الانسانية وكمال الانسانية لا يكون الا بالعقل فمن لا عقل له
لا دين له وقوله عليه السلم ان اعظم الناس قدرا الذي لا يرى الدنيا لنفسه خطرا
لما ثبت مما ذكره عليه السلم ان كمال الانسانية وملاكها بالعقل وهو مما يشتد
ويضعف فكذلك الانسانية مما تقبل الاشد والاضعف والاكمل والانقص
فبعض الانسان اشد واكمل في نفس الانسانية من بعض اخر كما بيناه في موضعه

وعليه

وعليه جماعة من قدماء الحكماء يريد عليه السلم ان يشير الى ان تفاوت نفوس
الانسان في كمال الانسانية ونقصها بقدر تفاوت استغنائها وتجردها عن
الدنيا فاعظم الناس قدرا اي في الانسانية من لا تعلق له بالدنيا اصلا وذلك
لصيرورته عقلا بالفعل مستفادا عن الحق ولانه امتلاء قلبه بنور الحق بحيث لا يسع
لغيره وقوله اما ابدانكم الى اخره اعلم ان النفوس لما كانت ناقصة في اصل الفطرة
فيحتاج في استكمالاتها الى الابدان الطبيعية ثم ان للابدان تحولات طبيعية بحسب
اعراض النفس التي هي متصرفة فيها في فصول العمر واوقاته فالنفس من وقت الطفولية
الى وقت البلوغ والرشد الصوري ممنوة بايراد الغذاء عليه وتحصيل البدل
فوق ما يحتاج اليه بدلا للمتحلل فتورد منها ما يزداد في الاقطار لضعف الاعضاء
وشدة الاحتياج الى النمو والتصلب فالنفس حينئذ منغمسة في البدن ذاهلة
عن كمالها وانتقص الاحتياج الى النمو وتفرغت الطبيعة باذن الله الى ذخيرة مادة
النوع من الشخص لاستغنائها بكمال الشخص عن صرف الزائد اليه فعند ذلك
انفتحت بصيرة عقلها فظهرت انوار فطرتها العقلية وتنبهت عن نومها في بدنها
وتفطنت بتقدس جوهرها فطلبت مركزها وغايتها وهي الدار الحيوانية لكنها
ما دامت سن النمو باقية ما توجهت الى عالمها والى المرحلة الثانية ولما اخذت
في سن الوقوف اقبلت الى عالمها واشتدت في الكمال والرجوع الى ذاتها
والعروج الى عالمها اما مستقيمة او معوجة حسب ما دعاه عقلها او وهمها فكلما
اشتد هذا التوجه الطبيعي ضعف البدن وذبل وتمكس حاله عكس حال النفس
ومن نعمره ننكسه فلا تزال النفس تتقوى والبدن يضعف حتى يموت البدن وتقوم

النفس بذاتها وهي معنى القيمة وذلك معنى كون الموت طبيعيّاً لا ما زعمته
الاطبّاء والطبيعيون والمنجّمون من انّ منشاءه تناهي القوى الجسمانيّة او فناء الرطوبة
الغريزيّة او احوال فلكيّة ونسب نجوميّة فانّ جميعها ظنون تخمينيّة فاذا تقرّر
ما ذكرنا فنقول لمّا علمت انّ هذه الحركة الجوهريّة التي مقدارها عمر البدن انّما هي
لغاية ذاتيّة وهي الحيوة الكاملة الباقية للنفس اعني كونها في الجنان فاطلق عليه
اسم الثمن من باب الاستعارة المصرّحة او المكنيّة او التمثيليّة تشبيهاً
للعمر بالمتاع والغاية المبدل بها بالثمن فان كان الانسان سعيداً كانت غاية
سعيه في هذه الدنيا وانقطاع حيوته البدنيّة لكونه على منهج الهداية والاستقامة
الى الله والى نعيم الجنّة فكانّه باع بدنه بثمن الجنّة معاملا مع الله لانّه لهذا خلقه
الله وان كان شقيّاً كانت غاية سعيه في طريق الضلالة وانقطاع اجله وعمره
الى عذاب فكانّه عامل مع الشيطان وباع نفسه بثمن الشهوات الفانية
واللذات الحيوانيّة التي ستصير نيرانات محرقة معذّبة وهي اليوم كامنة مستورة
عن حواس الدنيا وستبرز يوم القيمة يوم برزت الجحيم لمن يرى وهناك
خسر المبطلون وخاب المكذّبون الضالون وسيعلم الذين ظلموا اىّ منقلب
ينقلبون وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون قوله عليه السلم يا هشام
انّ امير المؤمنين عليه السلم كان يقول من علامة العاقل ان يكون فيه ثلث خصال
احداها انّه يجيب اذا سئل لكونه عالماً بالمسائل العقليّة والنقليّة وثانيها انه
ينطق اذا عجز القوم عن الكلام لكونه لشدّة تعمّقه وخوضه في العلوم الدقيقة وكثرة
مناظراته ومباحثاته مع الخلّان والرفقاء في اثناء الطلب صار منطيقاً قادراً على التكلم

والتقعّر

والتعبير عمّا في الضمير بالفاظ لائقة وكلمات ناطقة مطابقة لمقتضى الاحوال مفهمة
لحقّ المعاني في الاقوال وثالثها انّه يشير بالرأي الذي فيه صلاح اهله في الدين
والدنيا لانّه لكمال عقله يسمّى الرأي الصحيح الذي فيه الرشد والصلاح من الرأي
السقيم الذي فيه الغيّ والضلال ويبذل به اهله من غير ان يضنّ به عليهم او يخون
فمن لم يكن فيه من هذه الخصال شيء بان يكون واحدة منها ملكة له لا انّه يصدر
عنه اتفاقاً فهو احمق لكونه فاقداً لفضيلة العقل انّ امير المؤمنين عليه السلم
قال لا يجلس في صدر المجلس الّا رجل فيه هذه الخصال الثلث او واحدة
منهنّ فمن لم يكن فيه شيء منهنّ فجلس اى في الصدر فهو احمق وجلوسه في الصدر
مع خلوّه عن هذه الخصال مطلقاً هو دليل حمقه المضاعف وقال الحسن بن علي عليهما
السلم اذا طلبتم الحوائج فاطلبوها من اهلها اى اهل اعطائها لانّ فوت الحاجة
اولى واهون من طلبها عن غير اهلها قيل يا بن رسول الله ومن اهلها قال الذين
قصّ الله اى عنهم في كتابه وذكرهم فقال انّما يتذكّر اولوا الالباب قال اى الحسين
بن علي عليهما السلم تفسير اولى الالباب هم اولوا العقول فدلّ الكلام على
فضيلة العاقل من انّ السؤال لطلب حاجة علميّة او ماليّة او غيرهما
لا يجوز الّا عن العقلاء لا عن غيرهم لعدم اهليّتهم ثمّ اعلم انّ جماعة من المتصوّفة
الرسميّة لقصور علمهم وذهولهم عن فضيلة الكمال الحقيقي الجمعي الانساني
ومظهريّة الاسماء الالهيّة آثروا العزلة عن الناس والانقطاع عنهم الى
المكان الخالي على المعاشرة معهم والمؤانسة بهم زعماً منهم انّ ذلك ادخل
في طلب الكمال والتوجّه الى عالم الملكوت الاعلى والتقرّب اليه تعالى بل

ربما ذهب كثير منهم الذين نصبوا انفسهم منزل الارشاد والتعليم الى عزل
القوى الادراكية وسد ابواب المشاعر جملة ومنع الصور الادراكية
التي هي امثلة الاعيان الخارجية عن ورودها الى تلك المشاعر وتوهموا
ان ذلك هو المعد لهم للتوجه نحو المبداء الفياض والممد اياهم لانتهاج
الطريقة المثلى صوب المقصد الاقصى وكلا القولين زيغ عن الصواب
وعدول عن منهج اولى الالباب اما عزل الحواس وتعطيل القوى
الدراكة عما خلقت لاجله فلا يخفى على ذوي البصاير ان ذلك يسد باب
العلم لان العلم الانسانى انما يكتسب اولا من جهة المحسوسات ومشاركاتها
ومباينتها فينتزع منها المعرفات والحدود ثم الحجج والبراهين ولهذا
قيل من فقد حسا فقد علما ولان هذه القوى الادراكية كالاجنحة للعقل
الانسانى بها يطير الى جو الملكوت وفضاء العالم القدسي فالذي عزلها
عما قدرها الله له فكانما كسر للعقل الانسانى اجنحته بقوادمها وعواقبها
التي بها يعرج عن مضايق المحصورات وارض المحسوسات الى سعة
الروحانيات وسماء العقليات واما ترك المعاشرة وطريق الاعتزال
عن الناس فهو منبت النفاق ومغرس الوسواس فانه مع كونه حرمانا
عن المشرب الاتم المحمدي والمقام المحمودي الجمعي والكامل الاوفى والقدح
المعلى من وراثة الانبياء المختص بها العلماء سيما سيدهم و
خاتمهم محمد صلى الله عليه وآله الذي اوتي جوامع الكلم وبعث ليتمم مكارم
الاخلاق يوجب ترك كثير من الفضائل والخيرات وفوت السنن الشرعية

والاداب

والاداب الجمعية وانسداد ابواب مكارم الاخلاق والحسنات والتقوى
عن حلية الكمالات النفسانية والسياسات المدنية والتعطل
عن اكتساب العلوم واستيضاح المسائل المبهمات واستكشاف
المشكلات وحل الشبهات والتبرك بصحبة العلماء وخدمة المشايخ
والكبراء والاستفادة منهم ان كان ذلك الرجل مبتديا او متوسطا
وان فرض انه منته مستغن عن التعلم والاكتساب فلما ذا لم يشتغل
بالتعليم والارشاد ليفوز بسعادة الشيخوخية والتأديب والاصلاح
بين الناس ويجمع له الفوز بالسعادتين اللازمة والمتعدية وبالجملة
تمام العقل وكماله للمرء انما يحصل بحسن المعاشرة واداب الصحبة والجمعية
تشبها بالكبراء وتأسيا بالكمل والحكماء وانتهاجا لمنهج الشريعة البيضاء
واقتفاء لسنن سيد الانبياء عليه وآله وعليهم الصلوة والدعاء ول
ما ذكره الصادق عليه السلم حسبما نقل عن جده عليه السلم بقوله
وقال علي بن الحسين مجالس الصالحين داعية الى الصلاح وآداب العلماء
زيادة في العقل وطاعة ولاة العدل تمام العز واستثمار المال تمام المروة
وارشاد المستشير قضاء لحق النعمة وكف الاذى من كمال العقل وفيه
راحة البدن عاجلا وآجلا اعلم ان الناس اما كاملون او ناقصون
والناقص نقصانه اما بحسب الدنيا او بحسب العقبى والثاني اما بحسب
العمل او بحسب العلم والاول اما في الجاه والعزة او في المال والثروة
والكامل من حقه ان يكون مكملا لغيره قضاء لنعمة الله عليه وذلك الغير اما

الكمال

قابل بالفعل للتكميل لاستعداده القريب لقبول العلم الذي هو بالحقيقة الكمال
واما غير قابل بالفعل لكونه ممنواً بالعوايق الردية والعلايق الذميمة الموذية للنفس
وباطلة حاجة في الاستكمال منه اما في العلم او في العمل فصارت الاقسام
ستة اربعة من جهة النقص واثنان من جهة الكمال الاول الناقص
في الدين من جهة العمل فهو المفتقر الى ما يدعوه الى الصلاح فقوله عليه السلم مجالس
الصالحين داعية الى الصلاح اشارة اليه والثاني الناقص فيه من جهة العلم المحتاج
الى ما يزيد في عقله فاليه الاشارة بقوله وآداب العلماء زيادة في العقل
والثالث الناقص في الدنيا بحسب الجاه فيفتقر الى طاعة ولاة العدل والرابع
الناقص في المال فيحتاج الى صنعة التجارة واستثمار راس المال واستنماؤه
فهذه الاقسام الاربعة اقسام الناقصين وعلاج جميعهم بالمعاشرة والصحبة واما
القسمان الباقيان للكامل من حيث تكميله واستفادة القابل اليه فاحدهما حيث لم
وهو الخامس للستة هو المرشد المشير الى العلم والراي يعني العلوم النظرية
او العملية واما الثاني وهو السادس فهو الكاف لاذى الخلق من الخلق
بالسياسات ولما كان هذا القسم اكمل الاقسام وصنعته صنعة
افضل اصناف البشر وهم الجامعون من الرياستين العلمية بوفور العلم
والبصيرة والسياسة بكمال القوة والقدرة ذكر عليه السلم انه من كمال العقل
وفيه راحة البدن اي للخلق عاجلاً وآجلاً والله اعلم باسرار كلام وليه عليه السلم

المشهد الثاني والعشرون في الاشارة الى حزم العاقل وتمكينه في الاقوال
واحتياطه وتحفظه على قدره وشرفه عند بذل السؤال وتوقفه في الاقدام على ما لا يثق

بتمشيته

بتمشيته وتثبطه عن المسارعة الى ما يخاف فوته او العجز عنه للاستعجال قوله
عليه السلم يا هشام ان العاقل لا يحدث من يخاف تكذيبه كما كان من حال
رسول الله صلى الله عليه وآله وهو اعقل العقلاء من انه كان متوقفاً في التحديث
عن ما جاء به الوحي كاظهار اصل البعثة او المعراج او نصب الامام بعده خوفاً
من التكذيب حتى جاء امر الله تعالى اليه عليه السلم بالاظهار والاعلام في مثل
قوله تعالى فاصدع بما تؤمر وقوله قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون
وقوله بلغ ما انزل اليك وكما كان من حال موسى عليه السلم حيث كان يخاف
ان يكذبه فرعون وقومه كما قال تعالى حكاية عنه رب انى اخاف ان يكذبون
وكما كان هو واخوه هرون على نبينا وآله وعليهما السلم كما حكى الله عنهما بقوله
تعالى قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى حتى شجعهما الله تعالى
بقوله لا تخافا انني معكما اسمع وارى فأتياه فقولا انا رسولا ربك ولا يسال
من يخاف منعه اي لا يطلب شيئاً ممن يحتمل عنه المنع والاعطاء جميعاً
فلا تقطر ماء وجهه لدى الحاجة عند من لا يثق بجوده وكرمه ممن يستاهله للسؤال
كما قيل الا رب ذل ساق للنفس عزة • ويا رب نفس بالتذلل عزت • اذا
ما مددت الكف التمس الغنى • الى غير من قال اسئلوني فشلت • ولا يعد ما لا يقدر فشلت له
عليه اي لا يمهد امراً من الامور حتى يعلم انه قادر على اتمامه والبلوغ الى غايته ولا
يرجوا ما يعنف برجائه التعنيف التوبيخ والتقريع واللوم اي العاقل لا يرجو
فوق ما يستحقه ولا يتطلع الى ما لم يستعده بعد كما قد يصدر عن بعض المريدين و
الطلاب القاعدين على سواحل ابحر المشايخ والاستادين يريد التطلع

الى كل ما فضل الله به على الشيخ من اسراره وكراماته فيطمع فيما حصل له لنفسه
قبل الاستعداد فيعنفه الشيخ برجائه البعيد وطمعه الفاسد قال بعض اصحاب
القلوب في معنى قوله تعالى حكاية عن حال رسول الله صلى الله عليه وآله ما زاغ
البصر وما طغى وجها لطيفا الطف مما يوجد في التفاسير وهو ان ما زاغ بصره صلى الله
عليه وآله حيث لم يتخلف عن البصيرة ولم يتقاصر وما طغى حيث لم يسبق البصر
البصيرة فيتجاوز حده ويتعدى عن مقامه بل استقام البصر مع البصيرة والظاهر
مع الباطن والقدم مع النظر والمراد بالنظر العلم والتصور وبالقدم الحال والمقام
ففي تقدم النظر على القدم طغيان اذ ليس كلما يتصوره الانسان يمكنه ان يتصف
به او يبلغ اليه فالتطلع والنظر اليه بعين الطمع طغيان وفي تاخر القدم وتخلفه عن
النظر فيما من شانه ان يناله تقصير وكسالة فالكامل من اعتدلت احواله وصار قلبه
كقالبه وظاهره كباطنه وباطنه كظاهره وبصره كبصيرته وبصيرته كبصره وحيث انتهى
نظره وعلمه قارنه قدمه وحاله ولهذا المعنى انعكس حكم معنى رسول الله صلى الله
ونوره على ظاهره واوتي براق ينتهي خطوه حيث ينتهي نظره لا يتخلف قدم البراق
عن موضع نظره كما جاء في حديث المعراج فكان البراق لقالبه وقشره مثلا كلا
لمعناه ولبه ومتصفا بصفته لقوة حاله وكمال عقله ومعناه وقوله عليه السلم ولا تقدم
على ما يخاف فوته بالعجز عنه اى لا يقدم العاقل على فعل قبل وقته خوفا وحذرا
عن فوت وقته بالاقدام عليه اولا فربما يريده حين لا يقدر عليه اذ قد خرج عن قدرته
والله ولي التوفيق **الحديث الثالث عشر** علي بن محمد عن سهل بن زياد رفعه
قال قال امير المؤمنين عليه السلم العقل غطاء ستير والفضل جمال ظاهر فاستر

خلل

خلل خلقك بفضلك وقاتل هواك بعقلك تسلم لك المودة وتظهر لك المحبة
الشرح الغطاء ما يتغطى به الشئ كثوب ونحوه ونهى ان يغطي الرجل
فاه في الصلوة عادة العرب التلثم بالعمايم على الافواه والمستحب تغطية الراس
في عدة مواضع وسترت الشئ غطيته وستير فعيل بمعنى فاعل وان الله
حيي ستير يحب الحياء والستر اذ فاعل من شانه وارادته حبهما ورجل
ستير اى عفيف وجارية ستيرة اى عفيفة والمعنى والله اعلم ان
العقل اى كمال القوة النظرية بادراك حقايق الاشياء الثابتة والامور
الايمانية من العلم بالله وصفاته وافعاله غطاء ساتر للعيوب الباطنة
وغافر للذنوب الامكانية والفضل اى الكمالات والخيرات الزائدة
على ذلك العقل النظرى ويسمى الجميع بحسن الخلق جمال ظاهر لظهور آثاره
من حسن الادب والكرم واللطف في المودة وساير الاخلاق الحميدة
والعلوم المتعلقة بها التي هي كمالات القوة العملية من النفس وقوله عليه
السلم فاستر خلل خلقك بضم الخاء بفضلك اى اجبر نقايص اخلاقك بفضائل
الصفات والافعال وقوله قاتل هواك اى جهلك بعقلك لان الانسان
لا ينجو من العقوبة ولا يخلص من رق التعلقات الدنيوية الا باكتساب العقل
ولا يمكن اقتناؤه الا بدفع الهوى وقمع الشبهات ولهذا امرهناك بالستر
وههنا بالمقاتلة والقتل لوجهين احدهما ان النجاة يوم القيمة يمكن حصولها
مع الفسق وان كان كبيرة ولا يمكن مع الكفر وثانيهما ان من الاخلاق ما لا يمكن
ازالته بالاصل وحسمه بالكلية في دار الدنيا لمخالطة الخلق بالفتح مع الخلق

١٢٩ بالضم ونشوهما متمازجين فيتعذر على الانسان المخلوق على صفة الجبن
مثلا ان يصير شجاعا مقداما في الحروب وكذا المجبول على صفة الغضب
سيما اذا تاكدت في نفسه بالنشو عليها مدة من العمر فغاية سعيه في
المعالجة عن مثل هذه الامراض الباطنة هي ان يمنعها عن الظهور بمقتضاها
ولا يمهلها لان تقضي افعالها بخلاف ازالة الهوى والكفر والجحود للحق فانها
مقدورة لكل احد لست اقول كل جهل بسيط يمكن ازالته فما من بشر الا
وقد بقي له كثير من العلوم لم يدركها بل نسبة ما ادركها الى ما لا يدركها نسبة
متناه الى غير متناه كما وكيفا بل المراد ادراك ما من شانه ان يدركه وترك الجحود
فيما لم يدركه بعد ودفع العناد واللجاج والاستكبار وقمع هوى النفس وهذا كله
واقع تحت القدرة البشرية لمن سبقت له العناية بالحسنى وقوله عليه السلم
تسلم لك بالمودة وتظهر لك الحجة الفعلان مجزومان بانهما جوابان للامرين
المذكورين اولا اي استر خلل خلقك باكتساب الفضائل الخلقية لتحبك
الناس وتسلم لك بالمودة والالفة وادفع هواك بالعلم والحكمة ليظهر حجتك
على الناس فاطاعوك في اظهار الحق واتبعوا سبيلك واهتدوا بهداك
لتفوز بالسعادتين الصلاح والاصلاح والعلم والتعليم والرشد والارشاد

القدرة

الحديث الرابع عشر عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد عن علي بن حديد ضعفه الشيخ
في كتاب التهذيب والاستبصار وقال الكشي قال نصر بن صباح انه فطحي
من اهل الكوفة وكان ادرك الرضا عليه السلم عن سماعة بن مهران بن عبد
الرحمن الحضرمي يكنا ابا ناشرة وقيل ابا محمد روى عن ابي عبد الله وابي الحسن

عليهما السلم

عليهما السلم ثقة ثقة وكان واقفيا قال كنا عند ابي عبد الله عليه السلم وعنده
جماعة من مواليه فجرى ذكر العقل والجهل فقال ابو عبد الله عليه السلم اعرفوا
العقل وجنده والجهل وجنده تهتدوا فقال سماعة فقلت جعلت فداك لا
نعرف الا ما عرفتنا فقال ابو عبد الله عليه السلم ان الله خلق العقل الحديث

الشرح ان الله خلق العقل اي ابدعه من غير واسطة فهو المبدع بالحقيقة
دون غيره من الممكنات لانها بتوسط العقل وهو اول خلق من الروحانيين
وهم الجواهر النورانية التي وجودها غير متعلق بالاجسام فان كان فعلها وتصرفها
متعلقا بالاجسام فهي نفسانية الوجود والا فهي عقلية والانوار العقلية كلها
حقيقة واحدة لا تفاوت بينها في الماهية وعوارضها بل بالشدة والضعف
والكمال والنقص في اصل النورية والوجود والبرهان عليه مذكور في كتبنا عن
يمين العرش الجار اما متعلق باول خلق ان كان المراد بالروحانيين المعنى الاعم
او بالروحانيين ان كان المراد المعنى الاخص فكانوا حينئذ مع العقل الاول
على يمين العرش ومعنى اليمين الجانب الاقوى من الانسان وغيره او اليد
اليمنى التي هي اقوى من اليسرى ولما كانت حقيقة اليد اي مفهومها وروح
معناها هو الواسطة بين الفعل وفعله كالبطش والقبض والاعطاء فاستعير
لفظها لما يتوسط بين الله تعالى وفعله وجوده فيقال لواسطة فيض الرحمن يد الله
ولا يلزم ان يكون جسما مخصوصا ولا مركبا فضلا عن التركيب المخصوص من لحم وعصب
وعظام ولا ان يكون جسما على الاطلاق اذ لا دخل لهذه الخصوصيات العامة
والخاصة في اصل معنى اليد وروح مفهومه وكذا الكلام في الاصبع التي هي واسطة

الفاعل

130

التقليب والتصريف من شعب اليد فيد الله تعالى او اصبعه هي مناسب ذاته
وصفاته كما قال يد الله فوق ايديهم وقال الرسول صلى الله عليه وآله قلب المؤمن
بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، ولما كان اليمين هو الجانب
الاقوى والجانب الاقوى في ترتيب الموجودات هو ما يلي الحق فكل موجود
هو اقرب من الله في سلسلة الاسباب الذاتية فهو اليمين بالقياس الى
ما بعده لكونه اقوى واشرف والعرش الذي هو مستوى الرحمن كانه جوهر
متوسط بين عالم العقل الثابت المحض وبين عالم التغير والتجدد نفوسا كانت
المتغيرات او اجساما ومفهوم الرحمة المشهور في اللغة رقة القلب المقتضية
للعطوفة على غيره وما يليق به تعالى من هذا المعنى ايجاده وتاثيره في الاشياء
المتغيرة التي لها استكمالات ذاتية او عرضية زائدة على اصل تجوهرها وفطرتها
الاولى لان مصدر المتغيرات عندنا فاعل متغير لا يفعل شيئا الا بان ينفعل في
نفسه ولا يحرك شيئا الا بان يتحرك والباري جل اسمه لا يتغير ذاتا ولا صفة
في ايجاده للمكونات ثابتة كانت او مستحيلة ولكن ايجاده تعالى للثابتات بنفس
ذاته بلا وسط وللمتغيرات بواسطة العرش الذي هو واسطة فيض الرحمن والبرزخ
بين عالمي الامر والخلق فايجاده للمتغيرات بواسطة عبارة عن معنى اسمه الرحمن
وايجاده للاشياء لا بواسطة بل مطلقا عبارة عن الالهية فالرحمانية اخص من
الالهية وتحت حيطتها والانسان لكونه مخلوقا على مثال الله تعالى ذاتا وصفة وفعلا
فروحه الذي من امر ربه مثال ذاته ودماغه الذي هو معدن ادراكاته وهو ملكوته
الاعلى الذي فوق قلبه هو مثال الروحانيات التي على عين العرش وقلبه الذي

مستقر

[illegible marginal note]

مستقر نفسه مثال عرش الرحمن وصدره مثال الكرسي وكما ان للانسان افعالا
كلية يصدر عن روحه الاعلى لا بتوسط قلبه كالافكار والتعقلات وافعالا جزئية
تصدر عن روحه بتوسط القلب كافعال العطوفة والرافة والغضب والشهوة
والحياء والخجل والخوف والرجاء والمشي والكتابة وغيرها من الاشياء الحيوانية
الشهوية والغضبية ولا يفعل شيئا منها الا بعد حصول اثر منه في القلب وضربا
من الانفعال المناسب لذلك الفعل فيه فالانفعال والتاثر الذي يوجب
فعل العطوفة يطلق عليه الرحمة فالرحمة الانسانية لها مبداء في القلب هو نحو
الرقة واللين ولها غاية هي ايصال النفع الى المرحوم عليه فقد يطلق اسم الرحمة
على ذلك المبداء الذي هو انفعال خاص من الانفعالات مناسب لصورة
ما يحصل منه خارجا وقد يطلق على تلك الغاية التي هي من باب الافعال كاطلاق
الخلق على المخلوق والكتابة على المكتوب وكذا الحكم في الغضب والشهوة ونظايرها
فاذا تقرر هذا فنقول جميع ما يصدر منه في الاشياء الخارجية لا بد ان يكون منشاها
ومبداها حاصلا اولا في العرش قبل صدورها ووجودها لان الله تعالى فاعل لها
بالارادة والاختيار وكل فاعل لشيء بالاختيار لا بد وان يتصوره اولا ويجعل
تصوره اياه يشاؤه ويريده ولكن العلم والمشية والارادة التي هي العزم
امور متغايرة المفهوم قد يكون متعددة في الوجود مترتبة في الكون كما في حقنا
وفي حق الله تعالى واحدة في الوجود مرجعها الى علمه بنظام الخير على وجه تفصيلي دون
علمه الكلي القضائي الذي فوق هذا العلم وذلك العلم محيط بالعرش وما حواه كما
دل عليه قوله تعالى وكان عرشه على الماء وقد اوله المفسرون المحققون بالعلم فهو

غير العلم المقيد بكونه في العرش ثم لما كان النازل منه تعالى بواسطة العرش
على الاشياء ليس الا الخير والاحسان والكرم واللطف والامتنان
ومقابلات هذه من الآفات والمحن والشدايد انما يصدر لا بالذات
بل هي توابع لاحقة بسبب اكتساب السيئات وفعل القبايح من العباد
او بسبب سوء استعدادات من المواد فمبداء الافعال الصادرة عنه
تعالى بواسطة العرش ليس الا مبداء الرحمة ومنشاء العطوفة والرأفة
ولهذا يقال له عرش الرحمن ولا يقال عرش الجبار والمنتقم مثلا وليس كالقلب
الانسانى الذي يوجد فيه مبادي افاعيله المتقابلة المتضادة تارة يرق للترحم
وتارة يقسو للتعنف وكذا تارة يستهويه الشهوة وتارة تستلبه الغضب ومرة
يهوله الخوف ومرة يختطفه الرجاء فهو لاجل سرعة تقلبه في الاحوال سمي بالقلب
وقيل ان قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن واما تخصيص قلب المؤمن
بهذا الحكم فاما كان من جهة ان منشاء تقلبه هو اصبعان من اصابع الرحمن لا غير
وفيه سر يطول الكلام بذكره وبالجملة فالله سبحانه برحمته الذاتية الاجمالية التي
عين ذاته ابدع العرش ليكون وسيلة رحمته الخلقية التفصيلية على وزان
علمه الاجمالي وعلمه التفصيلي وهكذا في ساير صفاته الحقيقية واسمائه الذاتية من
نوره اي خلق العقل خلقا من نور ذاته الذي هو عين ذاته فهو صفة للمصدر المنصوب
المتعلق بالفعل ويحتمل تعلقه بالمصدر المجرور فان الروحانيين كلهم مخلوقون من نور
ذاته فقال له ادبر فادبر والمراد من ادبار العقل ههنا اقباله الى ما يصدر عنه او يتوسط
من الحق تعالى من الاجسام وموادها وصورها ونزوله في مراتبها المتنازلة الى غاية

البعد

البعد عن عالم الربوبية فالله تعالى امره بذلك امرا ايجابيا تكوينيا فاطاع امره وانقاد حكمه
واتى بخلق الاكوان باذنه ونزل في اطوارها الخلقية وشئونها النازلة من غير
ان يفارق معدنه ويخلي مرتبته ومقامه في القرب بل ترشح بفضل وجوده الفايض
بقوة الله تعالى على وجود ما دونه ثم قال له اقبل فاقبل اقباله الى الله تعالى
بعد نزوله في مكان الخلقة ونقايص الجسمية ومعادن الظلمة والشرور ومهاوي
الجهالة والغرور عبارة عن انتباهه من مرقد الطبيعة وتيقظه من نوم الجهالة و
تفطنه بان له سوى هذه النشأة نشأة اخرى ورجوعه الى ذاته بالاستكمال
وترقيه الى معارج الكمال باكتساب العلوم والاحوال واجتنابه عن الرذايل
والمناهي وتجرده عن الملابس والغواشي وتدرجه الى درجات المعالي
وتصوره بصورة بعد صورة وتكونه بكون فوق كون وطور فوق طور على
عكس الترتيب النزولي ففي النزول والهبوط كان عقلا فصار نفسا ثم طبعا
ثم صورة ثم جسما وفي الصعود والرجوع اليه تعالى كان جسما فصار صورة
بعد صورة وطباعا بعد طباع ثم نفسا بعد نفس ثم عقلا بعد عقل اي كان
اولا عقلا هيولانيا ساذجا ثم عقلا اوليا ثم عقلا بالملكة ثم عقلا منفعلا نفسانيا
منتقلا من صورة الى صورة ثم عقلا مستفادا ثم عقلا بالفعل متحدا بالصور
المعقولات كلها او جلها ثم صار عقلا فعالا وهناك رجع الى ما نزل منه وانتهى
الى ما بداء منه فصارت نهاية القوس العروجية الاقبالية بداية القوس
النزولية الادبارية واعلم ان الفرق متحقق بين كيفية الترتب والتقدم و
التأخر في سلسلتين غير ما علمت من كون كل منهما على عكس الآخر في الترتب

الرجوع الافاضة المعلول الى

وذلك بوجوه احدها ان تحقق الاولى وترتبه دفعي والاخرى تدريجي زماني وثانيها
ان النزول هناك بمعنى الافاضة والنازل لا يترك مقامه العلي حين نزوله الى
مقام المعلول صحيح لكن لما كان وجود المعلول من سنخ وجود العلة ولا تفاوت
بينهما الا بالكمال والنقص وكمال الشيء هو الشيء مع الزيادة فصح اطلاق النزول
على العلة واما الصعود ههنا فهو عبارة عن زوال السابق عند تحقق اللاحق
فان الناقص في الوجود اذا كمل بطل وجوده الناقص وصار كاملا ولم يبق من نقصه
اثر عند كماله وثالثها ان آحاد كل من السلسلتين ليست نفس ما يحاذيه من الاخرى
بالشخص والعدد بل بالمهية والحقيقة قوله عليه السلم فقال الله خلقتك خلقا
عظيما وكرمتك على جميع خلقي اي ابدعتك عظيما واوجدتك كريما لا انه لم يكن
وقتا كريما فصيره كريما الا من حيث اعتباره من جهة الرجوع فليتأمل قال اي
ابو عبد الله عليه السلم ثم خلق الجهل من البحر الاجاج ظلمانيا اعلم هداك الله طريق
العرفان وجنبك عن الهوى والجحود والكفران ان المراد من الجهل ههنا ليس الجهل
البسيط لكونه امرا عدميا اي عدما للعلم عما من شأنه العلم والاعدام سواء
كانت سلوبا محضة او ملكات فانها ليست مخلوقة وليس المراد ايضا الجهل
المركب بالمعنى المشهور وهو صورة عارضة مخالفة للواقع كما ان العقل المذكور
في مقابله ليس مجرد صورة علمية عرضية مطابقة للواقع كما في العلوم والجهالات
الحادثة اعني العلوم الحصولية المرتسمة في النفوس واعدادها بل العقل والجهل
المذكوران في هذا الحديث من افراد الوجود العيني احدهما عقلي صرف والآخر
نفساني وهمي محض وكما ان العقل هو الصورة العقلية التي اذا كانت حاصلة
خارجية

لغيرها

لغيرها كان الغير بها عاقلا واذا كانت غير حاصلة لغيرها بل قائمة بذاتها
كانت معقولة لنفسها وعاقلة لنفسها والعقل البسيط الذي وجوده
هذا الوجود هو كل المعقولات كما حقق في مقامه فكذلك الجهل المضاد للعلم
المقابل للعقل تقابل التضاد عبارة عن صورة نفسانية مضادة للعقل
غير مطابقة للعلم المقابل للجهل والحكمة ولا للواقع بحسب الحكم والتصديق
وان كانت لها حظ ما من الوقوع بحسب نفس التصور فكما ان الصورة
العلمية اذا تأكدت في نحو الوجود واشتدت فى جوهرها فيه صارت
عقلا وجوديا جوهريا فكذلك الصورة الوهمية الكاذبة اذا تأكدت
واشتدت في وجودها صارت شيطانا مريدا بعيدا عن الحق وكلما
كانت جهالاته اكثر ورسوخه فيها اشد كانت قوة جهالته اقوى وشيطنته
اكبر واحتجابه بذاته عن الحق اعظم واكد حتى بلغ المنتهى ووصل الغاية في
الضلالة والغواية والكفر والردى وصار مبدء شعب الضلالة ومنبع
طرق الجهالة ورئيس اهل الغواية والجاحدين والمتكبرين وقدوة الفراعنة
والجبابرة والمتمردين فهذا هو المراد من الجهل ههنا وليس اطلاق
الجهل عليه من باب التجوز والمبالغة مثل زيد عدل بل على نحو
ما ذكرناه في العقل واما معنى البحر الاجاج فاعلم ان الله شبه العلم
بالماء واطلق عليه اسم الماء لكونه مثالا للعلم في عالم الاجسام
فكما ان من الماء حيوة كل شيء في هذا العالم فمن العلم حيوة كل شيء
في عالم الآخرة وقوله وكان عرشه على الماء اي على العقل فاذن مطلق

العلم هو مطلق الماء وكثيره بحر وقليله نهر او جدول او ساقية او جرعة
وماء العقل بحر زلال صاف عن كدورة الاجسام وظلمات الاعدام
عذب طيب الطعم وماء الجهل ماء كدر ظلماني اجاج كريه الطعم والرائحة
على ذوق العقل ومشام العرفان ولما كان العقل مخلوقا من النور اما
الذي هو اول خلق الله في البداية فمن النور الذي هو عين ذاته تعالى وعين
علمه بذاته الذي هو العلم بجميع المعلومات على وجه اشرف واعلى واما العقل
الذي هو آخر الموجودات في النهاية فمن الانوار المترادفة والتعقلات المتكررة
حتى صارت ملكة ثم صورة جوهرية بسيطة قائمة فعلى كلا الوجهين كان العقل
مخلوقا من نور العلم وماء الحيوة الصافي عن كدورة الجسم وظلمة الهيولى وغش
العدم وامتزاج الشر والآفة واما خلق هذا الجوهر النفساني المسمى بالجهل فانما
يكون وجوده من الله تعالى لا بالذات والاصالة بل بالتطفل والتبعية من
الجهات ففي الابتداء خلق من منبع الشر وهو الجهة الامكانية في بعض العقول
الاوايل ومن قابل الشر وهو المادة التي بها تعلق الوجود النفساني فان المادة
البدنية علة قابلية لتشخص النفس كما ثبت في مقامه وان الهيولى الجسمية
انما نشأت من اواخر العقول من حيث جهة امكانها فقوله خلق الله الجهل
من البحر الاجاج يكون الاشارة فيه الى مبدأه القابلي وهو المادة الاولى والجسمانية
واما في الانتهاء اي ما كان الجهل جهلا مستفادا بعد ما كان جوهرا ساذجا قابلا
للطرفين العلم والجهل المضاد له متساوي النسبة الى الخير والشر الوجوديين
فبتكرر الجهالات وترادف السيئات واكتساب التصديقات الكاذبة
والخيالات

والخيالات الفاسدة مع التقليدات والتعصبات الجاهلية حتى ان رسخت
الاكاذيب الوهمانية وصارت كالمسامير المؤكدة في القلوب مع ما تولدت
عنها من ذمايم الصفات وقبايح الاخلاق ورذايل الملكات فهذا الجوهر الشيطاني
قد يكون من ماء العلوم الكاذبة الممزوجة بالشرور والظلمات المزدوجة من
قبايح السيئات فعبر عنها بالبحر الاجاج لكثرتها ووصفت بالظلمة لكونها ساترة
لنور العلم غاشية على بصيرة اصحابها فان قلت هذا الجوهر الظلماني واحد
او كثير قلنا واحد بحسب الحقيقة متعدد بحسب المراتب في الشدة والضعف
ومتكثر ايضا بحسب التشخص العددي وقد يكون لها افراد في مرتبة واحدة
من القوة مختلفة بالتعينات واللواحق المشخصة فان قلت الشر لا ذات
له فذاته ووجوده من اي نوع من انواع الجواهر قلت الشر الحقيقي مع كونه
عدميا قد يكون من افراد الوجود عندنا ومن هذا القبيل وجود الآلام لانها عبارة
عن الادراك الحضوري لحصول فقد ما وزوال حالة ملائمة مثل تفرق الاتصال
الحاصل في العضو اللامس فانه لو لم يكن القوة اللامسة سارية في العضو
المقطوع لم يكن هذا الالم موجودا لها وكذا لو ادركت النفس بقوة اخرى غير
اللمس السارى في ذلك العضو تفرق اتصاله لم يكن لها هذا الاذى الشديد
بل ان كان فعلى نوع آخر منشاؤه ضرب آخر من الشر العدمي لوجوده ايضا
لها عند ذلك فان وجود كل شيء هو تمام شيئيته وتاكد مهيته وان كان
ذلك الشيء عدما فافهم هذا فانه من دقايق العلوم وبه ينحل كثير من الاشكالات
فاذن نقول هذا الجوهر وان كانت جوهريته من باب العقل لكنها ضعفت العقلية

حتى لكم

فيه وبلغت الى الغاية من النقص والابهام والقصور حتى تقومت بالوهميات
الكاذبة وتباعدت عن الحق والنور حتى تعينت بالجهالات واتحدت بالظلمات
فصار وجوده عين الشر والآفة وعقله نفس الجهل والشقاوة ونوره محض الظلمة
والاحتجاب قوله عليه السلم فقال له ادبر فادبر اى امر الله له امر التكوين اهبط
من عالم الملكوت والنور الى عالم الظلمات فهبط مصلحة للنظام وابتلاء من
الله تعالى للانام اذ نظام هذا العالم وعمارته لا ينصلح الا بنفوس شريرة وقلوب
قاسية وتكميل المهتدين والسعداء لا يتمشى الا بوجود الاشقياء المردودين ولو
كانت النفوس كلها انبياء واولياء وسعداء لاختل النظام بعدم النفوس
الغلاظ وشياطين الانس القائمين بعمارة هذا العالم ولا يتحقق مظاهر بعض
الاسماء ولا تخلو عن اربابها فان العدل والمنتقم والجبار والتواب والغفور
والعفو اسماء الهية وصفات ربانية لا يتجلى الحق بها الا اذا جرى على العبد
ذنب ولذلك ورد في الخبر لو انكم لا تذنبون لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون
وعنه صلى الله عليه وآله حكاية عن ربه انين المذنبين احب الى من زجل
المسبحين قوله عليه السلم ثم قال له اقبل فلم يقبل تركه الاقبال الى الله لتأكد
وجوده الظلماني وشدة احتجابه بالظلمات ورسوخه في ذمايم الصفات
وقوة انانيته وشدة ابائه وافتخاره وامتناعه عن قبول المذلة والافتقار
وتبدل هذا الوجود الظلماني واستكباره عن السجود والخضوع واغتراره بجهله
وتعصبه وتعصيه عن قبول الوعظ والنصيحة والتعليم فان الاقبال الى الحق و
الانتقال الى النشأة الاخرى من النشأة الاولى انما يتيسر لنفوس السعداء

لاجل

لاجل ضعف وجودهم الجسماني وقبولهم التبدل في الاكوان الوجودية وتحولهم من نشأة
الى نشأة وتطورهم من طور الى طور بفناء بعد فناء وبقاء فوق بقاء حتى بلغوا
الى الغاية وعرجوا في التقرب الى النهاية كل ذلك لضعف انيتهم وانانيتهم وعدم تعلقهم
بهذا الوجود وتقيدهم بهذه المحابس والقيود وترك التفاتهم الى شيء الا الى
مبدأ كل خير وجود ولذلك وقع مطرودا عن الباب كما اشار بقوله عليه السلم
فقال الله استكبرت فلعنه اى استكبرت بنفسك يا لعين وعظمت وجودك
هذا الوجود الخسيس المبين لجهلك بمعالى الامور واحتجابك عن معادن النور
والسرور بغواشي عالم الظلمة والدثور والشرور فلا جرم ابعده الله عن رحمته
وطرده عن دار كرامته وجنبه عن جنته فصار من الآيسين عن رحمة الهاوين
الى اسفل سافلين ومهوى الضالين ومثوى المتكبرين ومعدن الشياطين
قوله عليه السلم فجعل للعقل خمسة وسبعين جندا هذه الجنود هي قوى وصفات
حسنة من آثار صفات الرحمة افاضه على العقل ليستعين بها في السلوك
الى طلب الحق وتستعملها في المجاهدة مع اعدائه وقطاع طريقه في سبيل الى
الله واعلم انه يمكننا ان نعرف بنور الاستبصار والاعتبار لمية وجود هذه
الجنود والحاجة اليها للعقل في الاهتداء والاستبصار والمجاهدة في سبيل الله
مع الكفار والاشرار والتخلق بمكارم الاخلاق ومحامد صفات الابرار ان نفعه
في حسن المعاش والمعاد الموجبة لسلامة العاقبة يوم القرار الا ان تعيين عددها
بهذا المبلغ المعين اعني الخمسة والسبعين وكذا عدد مقابلاتها مما لا يعرف
الا بنور النبوة ومشكوة الولاية فمعرفة حصرها في هذا العدد وكذا حصر مقابلاتها

المهني ثم

رحم اسفل

افاضه لكم

فيه موكول الى السماع من اولياء العصمة واهل بيت النبوة سلام الله
عليهم قوله عليه السلم فلما رائ الجهل ما اكرم الله به العقل من الجنود الباطنة
وما اعطاه له من الصفات الحميدة التى هى كانها رشحات صفاته
العليا ومنازل آياته الكبرى ومظاهر اسمائه الحسنى اضمر له العداوة
وكيفية هذه الاضمار وهذه العداوة فى الجهل الذى فى البداية قبل الهبوط
بنحو وفى الجهل الذى فى النهاية وهذا النزول بنحو آخر اما كيفيتها فى البداية وعنده لهم
بعد ما علمت ان المراد بالجهل جوهر شرير هويته عين الجهل فهى بان تقول ان
وجوده بعينه حيث كان مضادا لوجود العقل فكانه نفس العداوة وعداوته وعداوته لهم
اياه نفس تضاده واضماره اياها عبارة عن اندماجها فى ذاته واندراجها فى
وجوده واتحادها به واما كيفيتها عند النزول فعداوته للعقل يكون صفة عارضة
له حسب ما يظهر له من فضايل العقل ومحاسن صفاته وافعاله وما اكرمه الله
به من العلوم والكمالات مما هو مسلوب عنه ولا يمكنه تحصيلها لنفسه
لاعراضه عن الحق سابقا ولاحقا ولا يقدر ايضا على جحودها وانكارها لغاية
ظهورها وظهور آثارها ولوازمها المحسوسة واقترانها فى بعض الافراد
بالآيات والمعجزات فعند ذلك يحسده عليها ويضمر له العداوة و
البغضاء فى نفسه ويخفيها فى صدره المشحون بالاستكبار
والنفاق ولا يعلن بالعداوة اذ لا يقدر على امضائها فجعل تارة
يكتسب لنفسه صفات متشبهة وعلوما مموهة واقوالا مزخرفة يرائ
عند الجهال انها من محاسن العلوم والاقوال وفضايل الصفات

والاحوال

والاحوال تمويها على الخلق وتمشية لحظوظ عاجلة واغترارا بنفسه الجهولة
المكارة العسوفة وبدنياه الغدارة المالوفة وتارة يريد المعارضة مع
اهل العقل والكمال والمقاومة مع اصحاب الفضل ونوال الكمال بصفات
تضاد صفاتهم فالتخالف بين حزب الله وحزب الشيطان واقع الى يوم القيمة
كما قال فبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا الى يوم القيمة واليه الاشارة
فى قوله عليه السلم فقال الجهل يا رب هذا خلق مثلى اى فى كونه مخلوقا لك
كما انى مخلوق ايضا لك ويحتمل ان يكون هذا القول منه اى ادعاء المماثلة
بينه وبين العقل او العاقل بما هو عاقل من باب الاغترار والا فاين المماثلة
بين المخلوق من نور اللطف والرحمة وتجلى صفة المحبة والجمال وبين المخلوق
من نار القهر والغضب وتجلى سطوة العزة والجلال كما فى البداية وكذا بين
المتكون من ماء العلوم ونور الاحوال وطهورية القلب والكف النفس وارض
العبودية وبين المتكون من مادة الجهالة ورجس الكفر ودنس المعصية ونار
الاستكبار كما فى النهاية خلقته وكرمته وقويته وانا ضده ولا قوة لى به لما راى
الجهل رؤية ظن وتوهم وحسبان لا رؤية بصيرة وايقان وعرفان ما كرم الله به
العقل وقواه فى الابتداء وافاض عليه من نور كرامته بما يتقوى به فى الطيران الى
عالم الربوبية فى الانتهاء وما فضله على كثير من خلقه تفضيلا وانعم عليه واتاه بما اداه
من نعمه جملة وتفصيلا تحركت فيه نار الحسد الكامنة فى باطنه عند الابتداء واشتعلت
شعلات نار الجحيم التى ستبرز وتسعر يوم القيمة فى الانتهاء فالتمس لنفسه الجحيم ل
المكافات والمعارضة مع العقل وان لا يقصر عن مقابلته ومضادته فى كل

بلسان ح

ما يحبه كمالاً وبعده فضيلة فاستدعى استعداده واقتضائه الذاتي جنوداً
وقوى مثل جنود العقل وقواه في العدد ليتمكن من معارضته ومعاداته فلاجل
ذلك سأل من الله تعالى سؤالاً بلسان الحال كما حكاه بقوله عليه السلام فاعطني
من الجند مثل ما اعطيته يعني في الكثرة والقوة ليتحقق له بكل من تلك القوى
والصفات والجنود والآلات المعارضة والمحادة مع العقل في سبيل
غوايته وطريق ضلالته لينال بغيته ويصل الى منيته فقال اي الرب سبحانه
نعم فان عصيت بعد ذلك اي فان عصيتني بعد ان اعطيتك هذه الجنود وقويتك
بهذه القوى المقابلة لقوى العقل وجنوده اخرجتك وجنودك من رحمتي فان قلت
ما العلة والسبب في كون المعصية مع هذه الجنود يوجب الخروج من الرحمة دون
ما كانت المعصية لا معها قلنا منشأ ذلك ان النفس اذا كانت ضعيفة
ناقصة القوى عاجزة عن الافعال لم تكن شديدة الشقاوة عن الحق وهذا كان
نفوس السعداء والصلحاء كلما كانت اقوى وكانت اسباب فعل الخيرات
والآلات تحصيل الكمالات فيها اكثر كانت الاخلاق الحسنة والملكات الفاضلة
الحاصلة بسببها اكثر واشد وادوم وقربها من الله وعالم ملكوته الاعلى اعظم فكذلك
النفوس الشقية كلما كانت اقوى وجنوده وآلاته اكثر واستعمالها
في طريق الشقاق ومنهج الضلالة اكثر كانت الاخلاق السيئة والرذايل النفسانية
المكتسبة منها في تلك النفوس ارسخ فهي اظلم واشقى وتباعدها عن عالم النور
ومعدن الخيرات اكثر وسقوطها عن الفطرة وهويها الى اسفل دركات الجحيم و
هاوية نار الجحيم انزل واسقط واهوى كما قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل

ليتحقق له

قال قد رضيت بما اعطيته فسبحانه جنداً

كثرة البعد

من النار

من النار فان قلت النفس بعد حصول هذه القوى والآلات والصفات
التي هي بمنزلة الامراض والعلل للنفس هل يتصور ويحتمل منها ترك المعاصي
وفعل الطاعات ام لا يتصور ولا يحتمل فان لم يتصور فالتكليف بهما
تكليف بغير طاقة وذلك غير جائز على الله تعالى او غير واقع منه على اختلاف
المذهبين وان تصور واحتمل فكيف يتصور مع هذه الامراض الشديدة
والرذايل الكثيرة حصول السلامة والصحة قلنا نختار الشق الاول ونقول
ليس حصول هذه الرذايل للشخص مما يلجئه ويضطره الى فعل القبايح كالنار
للاحراق والماء للتبريد بل يبقى لنفسه اختيار في ان لا يمضي ما يدعوه اليه
شهوته او غضبه مثلا او تهوره او جبنه او قسوته بان يعلم ان في
ذاته صفات رذيلة تدعوه الى هذه المعاصي فان امسك لسانه ويده و
رجله واعضاءه عن تلك الافعال كان له في ذلك حسنات وان فعل
مقتضياتها وامضى مستدعياتها كان له في ذلك رسوخ السيئات وتضاعف
البليات فاذا علم المتصف بهذه الصفات الرذيلة ما ذكرناه امكنه الصبر
عليها وعدم امضاء ما يستدعيه فينال بذلك مرتبة النجاة والتخلص
واما اذا كانت النفس المتصفة بهذه الرذايل لجهلها المركب المشفوع
بالاغترار والاستكبار مشغوفة بها مستلذة اياها محسنة لها في اعتقادها
جاعلة اياها من عداد الفضايل دون الرذايل مزينة في نظرها حب الشهوات
وكل ما يصدر عنها من القبايح والسيئات فمثل هذه النفوس علم من احوالها
انه ما سبقت لهم العناية بالحسنى وقيل في حقهم اعملوا ما شئتم لقد حق القول

يعني مقتضى شهوته

نظر المتصف

على اكثرهم فهم لا يؤمنون فاغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم ءانذرتهم
ام لم تنذرهم فهم لا يؤمنون وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم وما انت بمسمع
من في القبور ومع ذلك فعلوا ما فعلوا بالاختيار دون الالجاء والاجبار
فعلم مما ذكرناه ان رأس كل شقاوة ومبداء كل ضلالة هو الجهل مع العناد
كما ان رأس كل سعادة ومبداء كل هداية هو العقل مع الانقياد قوله عليه
السلم فكان مما اعطى العقل من الخمسة والسبعين الجند الخير كلمة كان تامة
اسمها الخير والجند منصوب بالتميز وهو وزير العقل وجعل ضده الشر
وهو وزير الجهل قد مر تفسير الخير والشر في الحديث الثاني عشر قالت الحكماء
الشر لا ذات له بل الشر عدم ذات او عدم كمال لذات لان كل ما له ذات
في الخارج ووجود فلم يكن شرا محضا ومن كل وجه فانه لو كان شرا فاما
ان يكون شرا بالقياس الى نفسه او بالقياس الى غيره والاول غير صحيح
لان احب كل شيء اليه هو نفسه وجميع الاشياء طالبة لكمال انفسها وبقائها
واما الثاني فالشيء انما يكون شرا بالقياس الى غيره لانه يفسد ذاته او يفسد شيئا
من كمالاته وصفاته او افعاله الكمالية بان ضده له او لكماله او لشيء من افعاله
وآثاره فان ما لا يفسد شيئا ولا ما يكمله من كمالاته الاولى او الحقه من الكمالات
الثانية له فلا يعد ذلك شرا بالقياس اليه بل انما يعد شرا بالقياس الى ما يعدم
او يزول منه شيء مما ذكرناه بسببه فاذن الشر بالحقيقة هو ذلك العدم او الزوال
لا الامر الوجودي فالاعدام هي الشرور بالذات ومبادئها التي هي الاضداد
الوجودية فانما هي شرور بالعرض لا بالذات هذا ما قالوه وانت تعلم ان الالم

والاذى

والاذى والعذاب في نفسه شر مع قطع النظر عن العدم الحاصل حينئذ حتى
لو فرض عدم كقطع العضو مثلا ولم يكن معه الم لم يكن هناك الا شر واحد فكلما
كان الم فهناك شران شر عدمي وشر وجودي وهو الالم لان معناه ادراك المنافي
والادراك صفة وجودية فكيف يقال ان الشر ليس الا عدما والتحقيق ان
الشر بالذات هو العدم قد لا يكون حاصلا لا بنفسه ولا بصورته وهو العدم
المطلق الذي لا خبر عنه الا على وجه القضية السالبة لا الموجبة المحصلة ولا السالبة
المحمول وقد يكون حاصلا للشيء بنفسه لا بصورته كعدم العلم والبصر للجدار وقد يكون
حاصلا بصورته وهو ان يكون حصول الشيء المدرك من حيث كونه عدما له او لكمال
من كمالاته الثانية وادراك كل شيء هو وجوده فادراك العدم ليس الا حضوره
ووجوده فهذا الوجود فرد من افراد العدم كما ان وجود الانسان فرد من افراد
ماهيته اذا فهمت ما ذكرناه فنقول الالم والاذى صح كونه شرا بالحقيقة لان وجوده
عين درك العدم وحضوره لا شيء زائد عليه اذ العلوم الحضورية ليست زائدة
على هويات المعلومات بها مثال ذلك ان العضو المقطوع ليس فيه الالم
لعدم القوة المدركة فيه وكذا العضو المفلوج الزمن لعدم سريان القوة اللامسة
فيه فليس ما هو المتضرر هو بعينه ما هو المدرك لما يتضرر به واما العضو الحي
اذا قطع بعضه او احرق حرقا او تكيف بكيفية سمية زال بها اعتدال مزاجه
فان فيه شيئان احدهما زوال اتصاله او فقدان اعتداله والثاني ادراكه
لذلك الزوال والفقدان والمدرك بالكسر هو نفس القوة الاعتدالية التي
وقع عليها ما وقع من الانفصال او زوال الاعتدال اعني لامسة العضو

او النفس المتعلقة بالعضو بواسطتها والمدرك بالفتح هو نفس ذلك الانفصال او
الزوال الذي هو عدم الكمال العضوي من الاتصال والاعتدال كما في العلوم الحضورية
للاشياء المحصلة الوجود الكائنة سواء ادرك مع ذلك السبب الوجودي المضاد
كحد القطع او الكيفية الحادة السورة كالحر الشديد او البرد الشديد ويقال لها
سوء المزاج ام لا ولا شك ان هذه الاسباب الوجودية ليست بشرور في
انفسها وانما تعد شرورا بالقياس الى ما يتضرر بها وينعدم كمالاته بسببها
انما الكلام في امرين آخرين احدهما نفس تلك الاعدام اي الحاصلة ولا شك في
انها شر بالذات وثانيهما ادراك تلك الاعدام عما وقعت له على الوجه الذي
بيناه حتى انه لو ادرك تفرق اتصال عضو بقوة ادراكية اخرى غير لامسة ذلك
العضو كالباصرة او لامسة عضو آخر لم يكن ذلك الادراك الادراك الذي
كلامنا فيه وهو المسمى بالالم والعذاب والتحقيق عندي انه شر بالذات بل شر
متاكد فان وجود كل معنى هو تاكد ذاته وماهيته ففي هذا النوع شر مضاعف ثم كلما
كانت القوى المدركة لفقد كمالها اقوى والكمال المفقود منها اكثر كان الالم
اشد وشره اعظم فافهم ما ذكرناه فانه امر عجيب الشان انساق اليه البرهان
اعني كون ضرب من الوجود شرا محضا كما يقال فعلية الهيولى في حد ذاتها نفس
قوتها لقبول كل صورة وصفة ومن هذا القبيل اعني الشرية الوجودية عذاب الجهل
المركب لكونه مع الادراك ومن قبيل الشر العدمي آفة الجهل البسيط وحاصل
الكلام ان الشر قد يقال للامور العدمية كمثل الفقر والكفر والموت والزمانة
والعجز ونقصان الخلقة واشباهها وقد يقال للالم والاذى والجهل المركب

في الامور

وكل

وكل ما لا يخلو عن ادراك من صاحبه وقد يقال للافعال القبيحة كالقتل والزنا وأكل
مال اليتيم والسرقة والنميمة وغيرها وقد يقال لمبادي تلك الافعال من الشهوة
والغضب والبخل والمكر والعجب والجبن وغيرها فالقسمان الاولان
كلاهما شر بالذات والقسمان الاخيران كلاهما شر بالعرض لا بالذات
ثم نقول ان الموجودات الممكنة تحتمل عند العقل خمسة اقسام الخير المحض
والشر المحض والذي يغلب خيره على شره والذي يعكس ذلك والذي يتساوى
فيه الامران لكن الصادر عنه تعالى بالذات اما خير محض كالجواهر العقلية او خير
كثير يلزمه شر قليل كالنفوس والاجرام الفلكية وغيرها واما الثلثة الاخيرة فغير صادرة
عنه تعالى الا على سبيل التبع واللزوم لانها اما عدميات محضة فهي غير منسوبة
الى سبب وجاعل واما شرور وجودية فهي في قلة العدد والبقاء وهي مع ذلك
لازمة للخيرات الكثيرة ونافعة في حصول خيرات كثيرة كما يظهر بالتصفح والتدبر
فيها اذا تمهدت هذه المقدمات فنقول من اخص صفات العقل انه خير محض
لا شرية فيه لان المفارق المحض البري من الاجسام وعوارضها لا يعتريه نقص و
آفة وحرمان وحيث انه ذاته محض الخير فكل ما يصدر عن ذاته من الافعال والآثار
كان على وجه الخير اذ كان منشأ صدورها عنه خيرية ذاته فالخير كانه واسطة من
العقل وما يصدر عنه كما ان وزير الملك واسطة في جوده وعطاياه واحسانه و
لذلك جعل الخير وزير العقل وان كان عين ذاته بوجه وكذلك نقول من خواص
صفات هذا الجهل المضاد للعقل هو الشر لان المراد به كما اشرنا اليه هو الجهل
الادراكي الذي هو وجوده بعينه وجود الجهالات والوهميات الكاذبة فلا يكون

ذكر الجهل المركب

حقيقيًا

الا شرًّا حقيقيًا كما مرّ بيانه في مثال الالم فكلّ ما يصدر من هذا الجوهر الشرير من الافعال
والآثار يكون من باب السّيئات والقبايح ويكون منشاء صدورها شريّة
ذاته اذ ليست فيه جهة اخرى فلا داعي له ولا واسطة بينه وبين افعاله الا شريّة
ذاته ولذلك جعل الشرّ وزيرًا له كما جعل ضدّه وزيرًا لضدّه قوله عليه السّلم
والايمان وضدّه الكفر الايمان نور من انوار الله فايض منه على قلب من يشاء
من عباده به يرى الاشياء كما هي وهو المسمّى عند الحكماء تارة بالحكمة النظرية
يعنون بها ملكة بها يقتدر الانسان على احضار المعلومات الحقّة متى شاء
من غير تجشّم كسب جديد وتارة بكمال العقل النظري او القوّة النظرية وتارة
بالعقل بالفعل وتارة بالعقل البسيط الاجمالي والكفر الذي هو ضدّه هو ملكة
ظلمانية حاصلة في النفس من كثرة الاغلوطات وتراكم الشّبهات وتزاحم
الوهميّات ورسوخها فتصير تلك الملكة الظلمانية حجابا عن ادراك كلّ حقّ وعمى
في عين القلب عن رؤية كلّ مستنير مكشوف وصمّا في الاذن العقلي عن
سماع كلّ كلام صادق اعلم انّ الذي قلنا من انّ الايمان نور وانّ الكفر
ظلمة شاهده من القرآن قوله تعالى الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى
النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات وقوله
تعالى يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم
الآية وقد عبّر عنهما في لسان القرآن بالحيوة والموت كما في قوله تعالى او من كان
ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس
بخارج منها وقوله تعالى انّك لا تسمع الموتى وقوله وما انت بمسمع من في القبور

يعني

يعني بهم الكفار فانّ نفوسهم وان كانت حيّة بحيوة الحسّ والحركة في هذه النشاة
لكنّهم موتى بموت ارواحهم في الدار الآخرة وانّ الدار الآخرة لهي الحيوان لو
كانوا يعلمون فالمؤمن الحقيقي من حصلت له ولادة ثانية من حيث تبدّلت
نشاة نفسه التي هي كالمادّة وكالنطفة بنشاة الروح التي هي كالصورة
وكالوليد وعن المسيح النوراني على نبيّنا وآله وعليه الصلوة والسلم لن يلج
ملكوت السموات من لم يولد مرّتين وعن بعض الحكماء المتقدمين من اراد
الحكمة فليستحدث لنفسه فطرة اخرى اشارة الى هذه الولادة المعنوية
فالنفوس الانسانية في اوايل نشاتها قابلة محضة لنور الايمان وظلمة
الكفر الذي هو ضدّه فعند سلوك احد المنهجين منهج الهداية ومنهج الغواية يخرج
احدهما من القوّة الى الفعل ويبطل الاستعداد للآخر كالحديد المتّخذ منه المرآة
قابل للصقالة وللرين جميعا فاذا حصلت الصقالة رؤيت فيها الاشياء
المبصرة كما هي واذا حصل فيه الرين فسد جوهره وبطل استعداده لقبول
النور والصور فالاوّل مثال نفس المؤمن والثاني مثال نفوس الكفار و
المنافقين كما قال الله تعالى كلّا بل ران على قلوبهم وقوله بل طبع الله بكفرهم و
قوله ختم الله على قلوبهم والطبع بالسكون الختم وبالتحريك الدنس واصله من
الوسخ والدنس يغشيان السيف يقال طبع السيف يطبع طبعا قوله
عليه السلم والتصديق وضدّه الجحود انّ من صفات العقل والعاقل التصديق
الجازم المطابق للواقع وهو اليقين وله مقابلان مقابل عدمي وهو الشك
ومقابل وجودي هو ضدّه اي الجحود ومعناه الانكار لما هو الحقّ اليقين فمن

الجحود

ما يسمعه

صفات الجاهل بالجهل الراسخ المضادّ للعقل الجحود والانكار لكلّ ما يسمعه من المسائل
الحقّة والعلوم الحقيقيّة بابداء الحجج الداحضة وايراد الشبهات والمغاليط
الباطلة وابراز الاكاذيب وتمويهها بصورة الصدق لاغواء الناس واضلالهم
عن طريق الحقّ طلبا للرياسة والجاه الوهمي والاستكبار والعجب والافتخار قوله
عليه السلام والرجاء وضدّه القنوط من صفات العقل الرجاء فيما عند الله تعالى
والدار الآخرة لما يشاهده ويرى بعين البصيرة انّ شأن الربّ تعالى افاضة
الخير والاحسان وابداع الفضل والرحمة بلا منع وتقتير وبخل قبل الاستحقاق
وسبق الاعمال ومع الاستحقاق والاستيهال حتى انّ النملة مثلا لو كان لها
استحقاق نفس اشرف لاعطاها ايّاها وانّما المانع عن جوده الاتمّ في الدنيا عدم القابل
او القابليّة لسوء الاستعداد وفي الآخرة الكفر والمعاصي والسيّئات وهي امور
ناشئة من اكتساب العبد وفي جانب القابل لا من جانب الفاعل الحقّ
لانّ جوده مبسوط على الخلق اجمعين وخيره شامل على كلّ احد حتى على عين
الشرور والآلام ورحمته واسعة لكلّ شيء على حسب شيئيّته وهويّته حتّى
لماهيّة الغضب وهويّة الكفر والجهل والشيطان وغيرها من الامور المضادّة
للحقّ ورحمته ومن صفات الجهل المضادّ للعقل القنوط المضادّ للرجاء
وهو اليأس من رحمة الله وروحه ومنشأ القنوط واليأس ايضا
هو الكفر والجهل بحقيقة الالهيّة والربوبيّة وبانّ ما عند الله خير وابقى كما
قال تعالى انّه لا ييأس من روح الله الّا القوم الكافرون وقوله يئسوا من
الآخرة كما يئس الكفّار من اصحاب القبور واعلم انّ القنوط غير الخوف

لانّ

لانّ معناه اليأس مطلقا والخوف قد يجتمع مع الرجاء والطمع كما قال تعالى
يدعون ربّهم خوفا وطمعا بخلاف القنوط فانّه لا يجامعه وانّ الخوف من سنّي
المقامات ومحمود الاحوال للعقل بخلاف اليأس ولكن يجب ان تعلم انّ
الخوف ليس من الفضائل والكمالات العقليّة والباقية في النشأة الآخرة
وانّما هو من الامور النافعة للنفس في الهرب عن المعاصي وفعل الطاعات
ما دامت النفس في دار العمل والسعي وامّا عند انقضاء الاجل والخروج
من دار الدنيا التي هي دار العمل فلا فائدة فيه وامّا الرجاء فهي باقية ابدا الى يوم
يوم القيمة لا ينقطع لانّ كلّما نال العقل من رحمة الله اكثر كان ازدياد طمعه
فيما عند الله واشتداد رجاؤه اكثر لانّ خزائن جوده وخيره ورحمته غير متناهية
لا تبيد ولا تنقص ابدا فثبت انّ الخوف منقطع والرجاء ابديّ لا يزول
قوله عليه السلام والعدل وضدّه الجور اعلم انّه قد ظهر وتبيّن لك من هذا
الحديث الشريف انّ العقل بمنزلة السلطان وهذه الفضائل
الخمسة والسبعين بمنزلة جنوده واعوانه لكن يجب لك ان تعلم انّ بعض
هذه الجنود بمنزلة الرئيس والاصل لبعض والبعض الآخر بمنزلة الخدم والفروع
له فالعدالة المعبّر عنه بحسن الخلق هي بمنزلة الرئيس لسائر الجنود العمليّة وهي اصل
تتشعّب منه فروع كثيرة من الاخلاق الحسنة وكذلك جنود الجهل كثير بعضها
يتشعّب من بعض والبعض بمنزلة الاصل والرئيس وهي اعني العدالة في
القلب كاعتدال المزاج في القالب فكما انّ الاعتدال في مزاج البدن
اعني الصحّة والسلامة انّما يتحقّق ويستمرّ اذا زالت الامراض كلّها عن البدن

فكذلك الامراض القلبية وهي الاخلاق الذميمة كثيرة ولا يحصل السلامة والصحة
الا بزوال كلها ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم والسلامة المطلقة
هي العدالة المعبر عنها بالخلق الحسن كما ان حسن الخلق بالفتح انما يحصل بحسن
جميع الاعضاء والاطراف لا يكفي فيه حسن بعض الاعضاء دون البعض
فكذلك حسن الخلق بالضم الذي به النجاة من العذاب الاخروي انما يحصل
بحسن الاخلاق كلها دون البعض فان ذمايم الاخلاق بعضها يجر الى البعض
والنجاة في حسن الخلق قال النبي صلى الله عليه وآله بعثت لاتمم مكارم الاخلاق
وعنه صلى الله عليه وآله اثقل ما يوضع في الميزان حسن الخلق وعنه صلى الله
عليه وآله حسن الخلق خلق الله وعنه ايضا افضل المؤمنين ايمانا احسنهم
خلقا وقد كثرت الاقاويل في تحقيقه وبيان حده وتعريفه والاكثرون تعرضوا
لبعض ثمراته ولم يحيطوا بكنه معناه وتفاصيل اجزائه والذي يطلعك على حقيقته
ان تعلم ان الخلق والخلق عبارتان فيراد بالخلق الصورة الظاهرة المحسوسة
وبالخلق الصورة الباطنة النفسانية التي هي بمنزلة البدن الثاني للروح
العقلي الذي هو من عالم الامر بل هو نفس الامر وهو نور منبعث من
نور ذاته تعالى كما مر في الحديث هشام من قوله عليه السلام وهو اول خلق
من الروحانيين عن يمين العرش من نوره وذلك لان الانسان الكامل
مركب من ثلثة امور من جسد يدرك بالبصر ومن نفس يدرك بالوجدان
ويتجسد يوم الاخرة بصورة اخلاقه الحسنة او القبيحة فيرى بالحواس الظاهرة
يوم الاخرة وهي مستورة اليوم ولا يخلو انسان من هذين الجوهرين ومن روح

ولا ينجو

هو امر

هو امر رباني وارد على النفس الصحيحة والقلب السليم وهو الجوهر العارف بالله
وآياته وقليل من الانسان يوجد فيه هذا الروح المضاف الى الله تعالى في
قوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين قال تعالى في
حقه قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا لان وجوده بعينه
علم وعقل وقال تعالى في حق النفس ونفس وما سويها فالهمها فجورها
وتقويها قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها وتزكيتها تخليصها
من الاخلاق الرذيلة ويحصل به الفلاح والنجاة من العذاب ودسها
ادخالها في الشهوات والرذايل المؤذية المعذبة يوم القيمة من دسه يدسه
دسا اذا ادخله في الشيء بقهر وقوة وكما ان لحسن الوجه الظاهر اركانا كالعين
والانف والفم والخد ولا يوصف الوجه الظاهر بالحسن ما لم يحسن جميعها
فكذلك الصورة الباطنة وهي وجه القلب لها اركان هي مجامع قواها المنحصرة
في قوة الشهوة وقوة الغضب وقوة الادراك وقوة الجامعة لها التي تقال
لها العقل العملي وهو رئيس ساير القوى الادراكية والعملية والجميع خدمه وجنوده
وهو مخدومها ومطاعها كما انه خادم للعقل النظري العارف بالله وجنده
وهو المخدوم الحقيقي للكل حيثما كان والسلطان المطاع باذن الله وخليفته
الله في العالم السفلي اولا ثم في العالم العلوي المامور بسجدته الملكة فهي اربعة
قوى هي اركان صورة الباطن ورؤساء ما تحتها من القوى فاذا استوت
واعتدلت وتناسقت حصل حسن الخلق اما قوة العلم والفكر فاعتدالها
وحسنها ان تصير بحيث تدرك الفرق بين الصدق والكذب في الاقوال

وبين النافع والضار في الآراء وبين الجميل والقبيح في الافعال فاذا
انصلحت هذه القوة يحصل منها خلق الحكمة وهي رأس الفضائل الخلقية
وليس المراد منها الحكمة النظرية المشار اليه بقوله تعالى ومن يؤت الحكمة
فقد اوتي خيرا كثيرا لانها كلما كانت اكثر واشد كان احسن واشرف
واما القوة الغضب فاعتدالها ان يقتصر انبساطها وانقباضها على موجب
اشارة الحكمة والشرع واما قوة الشهوة فاعتدالها وحسنها ان يكون
فعلها كذلك باشارة العقل والشرع واما قوة العدل فهي ضبط القوى
الثلث تحت اشارة الدين والعقل فلكل من هذه الثلث بل الاربع توسط
وطرفان افراط وتفريط والمتوسط بين الاطراف بمنزلة الخالي عنها كالمزاج
المعتدل يقال له لا حار ولا بارد ولا رطب ولا يابس اما قوة الادراك
فيحصل من اعتدالها حسن العدل والتدبير وجودة الذهن واصابة الظن
وثقابة الرأي والتفطن لدقائق الاعمال وخفايا آفات النفس واما افراطها
فيحصل منه الجربزة والدهاء والمكر والخداع والحيلة والغواية والشيطنة
وهو رئيس الشرور والموذيات واما تفريطها وضعفها فيحصل منه البله
والحمق والغباوة والبلادة والحيرة والانخداع واما قوة الغضب
فيعبر عن اعتدالها بالشجاعة والله يحب الشجاع ولو بقتل حية فان مالت
الى الافراط تسمى تهورا وان مالت الى النقصان تسمى جبنا وينشعب
من كل من الطرفين اخلاق كثيرة رذيلة فمن الافراط التهور والصلف
والبذخ والاستشاط والكبر والعجب وغير ذلك ومن تفريطها الجبن والمهانة
والمذلة

والمذلة وعدم الغيرة وضعف الحمية على الاهل والولد وصغر النفس وينشعب
من اعتدالها خلق الكرم والنجدة والشهامة والحلم والثبات وكظم الغيظ
والعفو عن الناس والوقار والهيبة والتودة واما الشهوة فيعبر عن
اعتدالها بالعفة وعن افراطها بالشره وعن تفريطها وضعفها بالخمود فيصدر
عن العفة السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والزهد وقلة الطمع
والرضاء بالقضاء والتوكل وينشعب عن افراطها الحرص والشره والوقاحة
والتبذير وحب الدنيا والرياء والمخافة وعن تفريطها الملق والكسل والعجز
والحسد والياس وعدم المروة والانوثية والتذلل للاغنياء واستحقار
الفقراء الى غير ذلك فهذه هي روابط الاخلاق والاوساط الثلثة وشعبها
هي مكارم الاخلاق والاطراف الستة وشعبها هي رذائل الاخلاق ورؤس
الشياطين ورؤس التنين الواقع في عذاب القبر للكافر كما هو المروي في الحديث
عنه صلى الله عليه وآله في طريق العامة انه قال عذاب الكافر في قبره تسلط
عليه تسعة وتسعون تنينا لكل حية منها تسعة رؤس ينهشونه ويلحسونه
وينفخون في جسمه الى يوم يبعثون فهذه عدد اخلاق الذميمة وشهواته لمتاع
الدنيا واصل هذا التنين حب الدنيا الذي رأس كل خطيئة ومنشأ الكفر
والجهل وينشعب منه رؤس بعدد ما ينشعب منه الاغراض الدنيوية وينشعب
منه الاخلاق السيئة من الحسد والحقد والرياء والكبر والعجب والشره والمكر
والخداع والانخداع والرعونة وحب الجاه والمال والامل والتنفر عن الموت
والاخلاد الى الارض وكراهة لقاء الله والعداوة والبغضاء لاهل الله واوليائه

عن رحمته والامن من مكر الله الى غير ذلك من رزايل الاخلاق واصل ذلك
الثنين وكثرة عدد رؤسه اللذاعة معلومان لذوى البصاير واما انحصاره
فى تسعة وتسعين فانما توقف عليه بنور النبوة كما ان كثرة جنود العقل
وكثرة جنود الجهل التى هى اضدادها معلومتان بنور البصيرة واما انحصارهما معلومتان
فى خمسة وسبعين كما فى هذا الحديث فانما يستفاد من نور الولاية فاذا
علمت تلك الاوساط الثلثة الفاضلة التى هى خير امور هذا العالم فاعلم ان
العدل الذى يسمى بحسن الخلق حاصل من اجتماعها وبه يصير القلب سليما
عن كل مرض وآفة وليس هو نفس الغاية والكمال العقلى بل هو وسيلة الوصول
الى السعادة الاخروية وهو طريق الى الجنة من الدنيا واقعة كجسر على متن جهنم
احد من السيف وادق من الشعر فى حق البعض وفى حق الكاملين فى
نور اليقين له سعة كالبساط والجور عبارة عن الانحراف والتنكب عن اى النورش ١٢
الصراط والميل عنه الى احد الاطراف الموجب للسقوط فى عذاب الجحيم
والوقوع فى الحميم كما قال تعالى يسحبون فى الحميم وقال ولا تركنوا الى الذين يسحبون
ظلموا فتمسكم النار وقال ان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون
فاذا ظهر وتبين ان من اعظم جنود العقل بعد الخير والايمان هو العدل ومن
اعظم جنود الجهل الذى هو ضد العقل بعد الشر والكفر هو الجور المضاد للعدل
لان العدل كمال التقوى وغاية الاعمال الحسنة والاحوال المزكية للنفس
والموصوف به هو العقل العملى رئيس سائر القوى العملية كما ان الخير الحقيقى
وهو الايمان غاية العلوم الحقيقية والاحوال المكملة للنفس والموصوف به
هو العقل

هو العقل النظرى مخدوم العقل العملى وساير القوى العلمية والعملية وكذلك الظلم والجور والعملية
والعدوان غاية الاعمال القبيحة والسيئات المعوجة المضلة للنفس والمكدرة المغوية
لها كما ان الشر الحقيقى وهو الكفر غاية الجهالات والاحوال المظلمة للنفس المسودة
لوجهها والموصوف به هو النفس المنكوسة المحجوبة عن الحق المبين المردودة
الى اسفل السافلين وهى بحسبه رئيس الموذيات والشرور وتحته ساير
الاخلاق الذميمة والشرور والسيئات وسنشير الى كيفية المطاردة من
هذين الرئيسين العقليين والجندين المتقابلين تحتهما فى معسكر الباطن الانسانى
وعرصة القلب قوله عليه السلم والرضا وضده السخط من جملة المقامات
الشريفة للعقل هو الرضا بقضاء الله تعالى وترك الشكاية وضده السخط
بل الرضاء من اعلى مقامات المقربين لانه ثمرة المحبة فيجب على كل مؤمن
ان يرضى بقضاء الله تعالى فى كل ما قضاه وقدره قال تعالى رضى الله عنهم
ورضوا عنه وقال ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله اكبر
فقد رفع الله الرضا فوق جنات عدن كما رفع ذكره تعالى فوق الصلوة حيث
قال ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر فكما ان مشاهدة
المذكور فى الصلوة اكبر من الصلوة فرضوان رب الجنة اعلى من الجنة بل هى
غاية مطلب سكان الجنان واذا رضى العبد عن الله رضى الله عنه وعلى جميع
ما ذكرناه يقاس حال ضده الذى هو السخط فسخط العبد على الله يوجب سخط الله
عليه وعذاب نار السخط اشد من عذاب نار الجحيم وكذا نسيان الله و
الاحتجاب عنه اعظم من ترك الصلوة قال كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم

لصالوا الجحيم قدّم ذكر الاحتجاب عنه تعالى على الصّلي في النّار وقد ورد في الحديث
القدسي انّه تعالى قال من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي فليعبد ربّاً سوائي
وليخرج من ارضي وسمائي فان قلت قد علم من هذا الحديث وغيره انّ العبد
يجب عليه ان يرضى بقضاء الله تعالى خيراً كان كالايمان والطّاعة وشرّاً كالكفر
والمعصية لكنّ الرّضاء بالكفر كفر والرّضاء بالفسق فسق كما ورد ايضاً في الحديث
فكيف التوفيق بين القولين قلنا اجيب في المشهور بالفرق بين القضاء والمقضي
فيجب الرّضاء بالقضاء دون المقضي والكفر ونحوه من جملة المقضي وردّ ذلك بعض
المحقّقين بانّ القضاء عبارة عن الحكم بوقوع شيء في الخارج وهو امر نسبيّ اضافي
فحسنه وقبحه وخيره وشرّه انّما يكون بحسب ما اضيف اليه لانّ نفس الاضافة لا توصف
بشيء الّا باعتبار متعلّقها فقال في دفع التّناقض انّ المقضي بالذّات لا يكون
الّا خيراً والشّرّ مقضيّ بالعرض لا بالذّات فالذي يجب الرّضاء به هو القضاء
والمقضي بالذّات والّذي يجب عدم الرضاء به هو القضاء او المقضي بالعرض
كالكفر والظّلم ونحوهما اقول انّ القضاء كالعلم ليس مجرّد اضافة بل هو صورة
عقليّة ذات اضافة فانّ القضاء الالهي كما حقّق عبارة عن وجود جميع الموجودات
الصّادرة عنه تعالى وجوداً عقليّاً اجماليّاً على وجه اشرف واعلى فكلّ ما كان او
سيكون الى يوم القيمة له وجود في عالم علمه تعالى علماً مقدّساً عن التّغيّر والقصور
والنّقص والشّرّ وامّا المقضي فهو الصّورة الكائنة في الموادّ الخارجيّة على وفق
ما جرى في القضاء فللقضاء نحو من الوجود اعلى واشرف وللمقضي نحو آخر من
الوجود قد يتطرّق اليه النّقص والآفة والشّرّ والفساد فالصّورة العقليّة للكفر

والمعاصي

والمعاصي والآفات ليست كفراً ولا معصية ولا آفة وانّما هي كذلك بحسب وقوعها
في الخارج فمن قال انّ القضاء لا يكون الّا خيراً يجب الايمان به دون المقضي لعلّه
اراد بالقضاء صورة ما في علم الله لا مجرّد النّسبة وبالمقضي وجود الاكوان الخارجيّة
الّتي قد يلزمها الشّرّ والآفة كالكفر ونحوه فثبت انّ الرّضاء بالقضاء هو الرّضاء
بكلّ ما جرى في علم الله وهو من المقامات الحسنة والاخلاق المرضيّة وضدّه
السّخط وهو من اسوء الصّفات وارذل الاخلاق ومنشاؤه الجهل الرّاسخ
كما انّ منشاء الرّضا العقل الكامل قوله عليه السّلم والشّكر وضدّه الكفران
اعلم انّ الشّكر من جملة مقامات الدّين ومحاسن اخلاق السّالكين
الى الله وهو كالايمان والعدالة والرّضاء والتوكّل والرّجاء والخوف
وغيرها ينتظم من ثلثة اركان علم وحال وعمل قد يقع على كلّ منها اسم
الشّكر لكنّ العلم هو الاصل كما سبق وكذا في كلّ من المقامات الدينيّة
فيورث العلم الحال والحال يورث العمل امّا العلم فهو معرفة النّعمة وانّها
من المنعم ومحبوبه ويتعلّق ذلك بالقلب وبالجوارح وباللّسان ولا بدّ
من بيان جميعها لتحصل الاحاطة بحقيقة الشّكر فنقول الرّكن الاوّل العلم
وهو علم بثلثة امور بعين النّعمة ووجه كونه نعمة في حقّه وبذات المنعم
وصفاته الارادية الّتي يصدر منها الانعام وهذا عامّ في كلّ منعم يقع منه انعام
على غيره فله بحسب انعامه شكراً وامّا في حقّ الله تعالى وفيه كلامنا الآن
فلا يتمّ المعرفة الّا بان يعرف انّ النّعم كلّها من الله تعالى وهو المنعم الحقيقي
والاواسط كلّها مسخّرون من جهته وهذه المعرفة وراء التّقديس والتّوحيد

اذ التقديس والتوحيد داخلان فيه فالرتبة الاولى في معارف الايمان التقديس
فاذا عرف الانسان ان في الوجود ذاتا مقدسا عن التجسم والتغير
والامكان فيعرف بعد ذلك ان لا مقدس الا واحد فقط وما سواه
غير مقدس وهو التوحيد ثم رتب موحدلم يعرف بعد توحيد الافعال
ان لا مؤثر في الوجود الا الله ولا منعم بالحقيقة سواه وان الكل نعمة
منه فيقع هذه المعرفة في الدرجة الثالثة حيث ينطوي فيها مع التقديس
والتوحيد كمال القدرة والتفرد بالانعام والجود والى هذا اشير
ما ورد في بعض الروايات ان صحت الرواية ان من قال سبحان الله
فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرون ومن قال الحمد لله
فله ثلثون ومعلوم ان هذه الحسنات ليست بازاء تحريك اللسان
بهذه الكلمات من غير العلم بمعانيها بل سبحان الله كلمة تدل على معرفة
التوحيد والحمد لله كلمة تدل على معرفة ان النعم كلها منه وتمام هذه المعرفة
التي هي ركن من الشكر ينفي الاشتراك في عرف الله تعالى وافعاله علم الافعال فمن
ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره تعالى كالقلم والمداد والكاغذ بيد
الكاتب لا انعام الملك كالوزير وكذا السحاب والمطر والارض و
البحار والحيوانات التي لها اختيار كلها مسخرات او مضطرات في اختيارها
كخزان الملك فلا ينسب الانعام اليها لكونها مضطرة كذلك الوسايط
لنعم الله اما مجبورة في فعلها او مضطرة في اختيارها لفعلها فليس المنعم في الحقيقة
الا الله الركن الثاني الحال التي هي ثمرة هذا العلم وهو الفرح بالمنعم مع
هيئة

كمال الشكر بتجرده شكر

هيئة الخضوع والتواضع وهو بتجرده شكر مثمر لهذا النوع ولكن فيه شروط وهي
ان يكون فرحك بالمنعم لا بنفس النعمة الا من جهة كونه وسيلة الى
التقرب به الى المنعم ولا بنفس الانعام الا من جهة كونه دالا على عنايته
بك فانت اذا انعم الله عليك بانعم كالقوة وصحة البدن وسلامة الاعضاء
والمال والبنين والخدم وغيرها فيتصور فرحك بكل منها على وجوه احدها
ان تفرح به من حيث انه لذيذ موافق لغرض النفس وثانيها ان تفرح به
من حيث انه دال على عنايته بك ورحمته عليك وثالثها ان تفرح به لان
يستعمله في طاعة الله وترتقي به الى درجة القرب منه فهذه ثلث درجات
في الابتهاج بنعم الله فالاول لا يدخل فيه معنى الشكر اصلا لان غرضك
مقصور على هواء نفسك بالنعمة لا بالمنعم وهذا حال اكثر الناس والثاني
داخل في معنى الشكر من حيث انه فرح بالمنعم ولكن لا من حيث ذاته بل من
حيث معرفة عنايته الدالة على انعامه في المستقبل وهذا حال اكثر الصالحين على الرحم
الذين يعبدون الله ويشكرونه خوفا من عقابه ورجاء لثوابه واما الفرح الثالث
فهو الشكر التام الذي في الفرح وهو ان يكون فرح العبد بنعمة الله من حيث
انه يقدر بها على التوصل الى القرب به والنزول في جواره والنظر الى وجهه
الكريم على الدوام فهذا هو الرتبة العليا في هذا الركن من الشكر وعلامته ان
لا يفرح الانسان من الدنيا الا بما هو مزرعة الاخرة او وسيلة الى القرب منه
تعالى الركن الثالث العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة النعمة بانها
دالة على عناية المنعم بعبده وتربيته اياه وبما هي وسيلة له الى ما يقربه اليه تعالى

١٢٦

وهذا العمل يتعلّق بقلبه ولسانه وجوارحه امّا عمل القلب فالنيّة والقصد
للخير والاحسان الى كافّة الخلق والتفكّر في صنايع الله وآثار لطفه ورحمته و
امّا على اللسان فاظهار الشكر بالتحميدات الدالّة عليه وامّا عمل الجوارح
فاستعمال نعمة الله في طاعته والتوقّي من استعمالها او الاستعانة
بها في معصية الله حتّى انّ شكر العينين استعمالها في مطالعة صنع الله
وتلاوة كتابه وشكر الاذنين استعمالها في سماع آيات الله واحاديث
نبيّه وآله عليهم السلم وهكذا في كلّ نعمة سواء كانت قوّة او جارحة او مالاً
فهذا بيان اركان الشكر الذي جند من جنود العقل وحزب الملك ويعلم
بالمقايسة اركان ضدّه الذي هو الكفران الذي هو جند من جنود الجهل وحزب
الشيطان فهو ايضاً ينتظم من ثلثة امور الجهل وهو الاصل والعمدة وينشأ
منه الحال ثمّ العمل امّا الجهل فهو عدم معرفة النعمة ولا المنعم والغاء فلم ير النعمة
نعمة او لم يرها من المنعم بل من غيره وامّا الحال المستثمرة من هذا الجهل فسوء
الظنّ بالمنعم والتوحّش منه وامّا العمل فبالقلب القصد الى المعاصي و
باللسان الشكاية والمذمّة وبالجوارح صرف كلّ نعمة في خلاف ما هي لاجله
وفيما يوجب البعد عن رحمته والهوىّ الى دار عذابه وسجن غضبه اعاذنا
الله وساير المسلمين من النار قوله عليه السلم والطمع وضدّه اليأس من الصفات
الحميدة للمؤمن العاقل الطمع وهو ان يتوقّع دائماً من ربّه ان يغفر خطيئته ويدعو
تعالى ان يجود عليه باحسانه ويدخله الجنّة ورضوانه كما في قوله تعالى حكاية
عن خليله عليه السلم والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين ربّ هب لي

حكماً

عمل آخر

في اصله استعمالها

حكماً والحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من
ورثة جنّة النعيم ومن هذا الباب الادعية المأثورة عن النبي وآله عليهم
السلم وضدّه اليأس عن رحمة الله وهو اعظم الكباير قال تعالى ولا
ييأس من روح الله الّا القوم الكافرون وقال يئسوا من الآخرة كما يئس الكفّار
من اصحاب القبور قوله عليه السلم والتوكّل وضدّه الحرص اعلم انّ التوكّل
منزلة من منازل الدين ومقام من مقامات السالكين بل هو من اعالي درجات
المقرّبين لانّه غامض دقيق من حيث العلم وهو شاقّ من حيث العمل ووجه
غموضه من حيث الادراك انّ ملاحظة الوسايط والاسباب والاعتماد عليها
شرك في التوحيد والتباعد عنها بالكليّة ترك الادب والشريعة فتحقيق معنى التوكّل
على وجه يوافق التوحيد والعقل ويطابق الشرع في غاية الغموض والصعوبة
ولا يقوى على كشفه وتحقيقه الّا الراسخ في العلم المكتحل بصيرته العقلية من فضل
الله بانوار الحقايق امّا الآيات الدالّة على وجوبه وفضله فقوله تعالى وعلى الله
فتوكّلوا ان كنتم مؤمنين وقوله وعلى الله فليتوكّل المؤمنون وقوله ومن يتوكّل
على الله فهو حسبه وقوله انّ الله يحبّ المتوكّلين وما اعظم واجلّ من مقام
وسم صاحبه بمحبّة الله ايّاه فقد فاز الفوز العظيم فانّ المحبّ لا يعذّب
محبوبه ولا يبعّده ولا يحجبه وقد قال تعالى أليس الله بكاف عبده والطالب
للكفاية من غيره والمعتمد على ما سواه مكذّب له بهذه الآيات والاخبار كثيرة
يطول الكلام بذكره ومن لم يهتد بها لم يهتد بالاخبار ايضاً وامّا بيان حقيقة
التوكّل فهو انّه كساير ابواب الايمان منتظم من علم هو الاصل وحال وعمل

نذكره آخر

١٤٧

والعلم هو الايمان في اصل اللغة لان معناه التصديق واذا قوي يسمى يقينا
ولكن ابواب اليقين كثيرة والذي يحتاج اليه الآن الى ما يبتني عليه التوكل
وهو ثلثة علوم التوحيد والايمان بالقدرة الكاملة والايمان بالجود والحكمة
فالترجمة عن الاول لا اله الا الله وحده لا شريك له وعن الثاني له الملك
وعن الثالث وله الحمد فمن قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد وهو على كل شيء قدير فقد تم له الايمان الذي هو اصل التوكل واذا
تم نور هذا التوحيد الذي حاصله ان ينكشف للعبد ان لا فاعل بالحقيقة
الا الله وان كل موجود سواه من شمس وقمر ونجوم وسحاب ومطر وغيوم
وارض ونبات وتخوم وكذا كل حيوان ناطق وصامت وجماد كذهب
وفضة وياقوت كلها مسخرات تحت قدرته واسيرات تحت قبضته
كتسخير القلم في يد الكاتب فاذا انكشف لك هذا التوحيد والحكمة والقدرة
واستنار قلبك بهذه الانوار واشتدت قوة بصيرتك انصرف
عنك الشيطان خائبا فيورث لك حالا شريفا وخلقا حسنا وتلك الحالة
في الحقيقة هي التوكل واما العلم اصله ومنشؤه والعمل فرعه وثمرته وقد اختلف
عبارات القوم في حد معناه ولا فائدة في اكثار الكلام بنقلها والتحقيق انه
مشتق من الوكالة يقال وكل امره الى فلان اي فوضه واعتمد عليه ويسمى
الموكول اليه وكيلا ويسمى المفوض امره اليه متوكلا عليه وفي الادعية رب اني
توكلت عليك وفوضت امري اليك فكان الثاني تفسيرا للاول ثم ان
ان الوكيل لا يكون وكيلا معتمدا عليه مفوضا اليه الا بعد ان يعرف فيه المتوكل عليه

المطمئن

المطمئن قلبه اليه امورا ثلثة غاية الهداية وغاية القوة والقدرة وغاية
الشفقة اما الهداية فليعلم نحو الخير والمصلحة في امور الوكيل واما غاية القوة
فليقدر على امضاء كل ما يعلم الخير والمصلحة في حق المتوكل وعلى اعلائه والتصريح
به من غير تقية عن احد او جبن في القلب واما غاية الشفقة والمحبة
فليكون باعثا له على بذل كل ما يقدر عليه من السعي في حقه فان قدرته
لا يكفي دون العناية به اذا لم يكن يهمه امره ولا يبالي به ظفر بمقصوده او
لم يظفر فاذا شك المتوكل في هذه الامور او في واحد منها لم يطمئن نفسه
الى وكيله ويكون تفاوت احواله في شدة الثقة والطمانينة بحسب تفاوت
قوة اعتقاده لهذه الخصال في الوكيل وتفاوت الظنون في القوة والضعف
تفاوتا غير محصور في حد الى ان ينتهي الى حد اليقين فلا جرم يتفاوت
احوال المتوكلين في قوة الطمانينة تفاوتا لا يحصى فاذا عرفت معنى
التوكل في مثال واحد جزئي ههنا فقس عليه التوكل على الله فان ثبت
في نفسك بكشف او اعتقاد جازم انه لا فاعل مستقلا الا الله واعتقدت
مع ذلك تمام القدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية والرحمة
بجملة العباد والآحاد وانه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء غاية
علمه علم ولا وراء نهاية عنايته ورحمته عناية ورحمة اتكل قلبك لا محالة
عليه وحده ولم يلتفت الى غيره بوجه ولا الى نفسك وحولك وقوتك فانه
لا حول ولا قوة الا بالله فان الحول عبارة عن الحركة والقوة عبارة عن القدرة
فان كنت لا تجد من نفسك هذه الحالة اي الاعتماد والثقة بالله فسببه احد الامرين

المتوكل لم

مستقلا كرم

١٢٨

اما ضعف اليقين باحد هذه الخصال المذكوره واما ضعف القلب ومرضه
باستيلاء الجبن عليه فرب متيقن في شيء لا يقدر على العمل بمقتضاه لاستيلاء
الوهم عليه والوسواس فيزعجه الوهم كمن لا يمكنه التفرد بميت في بيت
ويتمكن على التفرد بجماد مع يقينه بان الميت ايضا جماد فكم يقين لا طمانينة
معه كما في قوله تعالى اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي وكم من مطمئن القلب
لا يقين معه كاليهودي في تهوده والنصراني في تنصره وانما يتبعون الظن وما تهوى
الانفس ولقد جاءهم ربهم الهدى وهو سبب اليقين الا انهم معرضون فالجبن (من ربهم)
وضعف القلب احد الاسباب المضادة لحال التوكل كما ان ضعف اليقين
بالخصال المذكورة احد الاسباب فاذا اجتمعت هذه الاسباب حصلت الثقة
بالله والاعتماد عليه والاطمينان به ثم اعلم ان هذه الحالة لها في القوة والضعف ثلث
درجات اولها ما ذكرناه وهو ان حاله في حق الله والثقة بكفالته وعنايته كحاله في
الثقة بالوكيل الثانية وهي اقوى ان تكون حاله مع الله تعالى كحال الطفل مع امه
فانه لا يعرف غيرها ولا يفزع الى سواها ولا يعتمد الا عليها وان نابه امر في غيبتها كان (ظ فانه)
اول سابق الى لسانه يا اماه واول خاطر يخطر على قلبه امه فانها مفزعه وقد وثق (ظ مفزعه)
بكفالتها وشفقتها ثقة لا يخلو عن ادراك بالتمييز له وان لم يقدر على التلفظ به ولا على
احضاره في ذهنه مفصلا ولكن كل ذلك وراء اصل الادراك ويظن انه طبع في
الطفل فمن كان توليه الى الله ونظره اليه كان متوكلا حقا فان الطفل متوكل
على امه والفرق بينهما ان هذا متوكل قد فني في توكله اذ ليس يلتفت الى التوكل
وحقيقته بل الى المتوكل عليه فقط واما الاول فيتوكل بالتكلف والكسب وليس فانيا

عن

عن توكله وشعوره وذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده
لا غيره الثالثة وهي اعلاها ان يكون بين يدي الله في حركاته وسكناته كالميت
بين يدي الغاسل لا يفارقه الا في انه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الازلية كما تحرك
يد الغاسل الميت وهو الذي قوي يقينه بانه مجرى الحركة والقدرة وساير
الاسباب وان كلها يحدث عنه فيكون له عين الانتظار لما يجري عليه المقادير
فاذا علمت درجات الحال التي هي التوكل بمعنى الثقة والاعتماد قوة وضعفا
وكمالا ونقصا فقس عليه ما يتفرع عليها من ترك الاهتمام وعدمه وقلة السعي
والاكتساب وملابسة الاسباب وكثرتها فالمتوكلون في مباشرة المكاسب
وملابسة الاسباب على مقامات اعلاها مقام الخواص وهو ان يدور المتوكل
في البوادي بغير زاد ثقة بالله تعالى في تقويته على الصبر اسبوعا وما فوقه او
تيسير حشيش له او قوة او قوت او تثبيته على الرضا بالموت ان لم يتيسر (حشيش خ م)
شيء من ذلك واوسطها ان يقعد في بيته او في مسجده ولكنه في القرى
والامصار وادناها ان يخرج ويكسب اكتسابا على وجه صحيح عند الشرع والعقل
وهذا السعي لا يخرجه عن مقامات التوكل اذا لم يكن طمانينته الى كفايته وقوته
او جاهه او بضاعته وقدرته بالاضافة الى قدرة الله كما يرى القلم في يد الكاتب
الموقع من جانب الملك فلا يكون نظره واعتماده ووثوقه بالقلم بل نظره الى
قلب الملك فهو ببدنه يكتسب وبقلبه عنه منقطع بل هذا على هذا الوجه ان كان (يكتسب خ م)
له عيال او متعلق من المساكين اشرف من حال القاعد في بيته وقد قال
صلى الله عليه وآله الكاد لعياله كالمجاهد في سبيل الله كما ان المقام الاعلى

[illegible]

في التوكل يثمر ترك الدعاء والسؤال وترك التدبير الا بحسب ما امر الله به من
نحو قوله ادعوني استجب لكم فيدعو ويتضرع اليه ويكون ثقته بالله لا بدعائه
وتضرعه سئل بعض العرفاء عن التوكل فقال انه ترك التدبير وقال ان الله
خلق الخلق ولم يحجبهم عن نفسه وانما يحجبهم تدبيرهم وقال بعضهم ان العبد لو هرب
من رزقه لطلبه كما لو هرب من الموت لادركه ولو سأل الله ان لا يرزقه لما
استجاب دعاؤه وكان عاصيا ولقال له يا جاهل كيف اخلقك ولا ارزقك
وقال تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون ثم اكد هذا القول بالقسم فقال
فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون وقال رسول الله صلى الله
عليه وآله لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح
بطانا ولزالت بدعائكم الجبال وفي هذا الكتاب الكافي باسناده عن ابي عبد الله
عليه السلم قال كان امير المؤمنين عليه السلم كثيرا ما يقول اعلموا علما يقينيا ان الله
تعالى لم يجعل للعبد وان اشتد جهده وعظمت حيلته وكثرت مكايدته ان يسبق
ما سمي له في الذكر الحكيم ولم يحل بين العبد في ضعفه وقلة حيلته ان يبلغ ما سمي له
في الذكر الحكيم وقال تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب
من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتيكم
ثم من نظر في ملكوت السموات والارض انكشف له تحقيقا ان الله تعالى نظر الاضطراب
دبر الملك والملكوت تدبيرا لا يجاوز العبد رزقه وان ترك الاضطراب فان
العاجز عن الاضطراب لم يجاوزه رزقه اما ترى الجنين في بطن امه لما ان كان
عاجزا عن الاضطراب كيف وصل سرته بالام حتى تنتهي فضلات غذاء الام اليه

بواسطة السرة ولم ذلك بحيلة الجنين ثم اذا انفصل سلط الله الحب والشفقة
على الام لتتكفل به شاءت ام ابت اضطرارا من الله بما اشعل في قلبها من نار
الحب ثم لما لم يكن له سن يمضغ به الطعام جعل رزقه من اللبن الذي لا يحتاج
الى المضغ ولانه لرخاوة مزاجه لا يحتمل الغذاء الكثيف قدر له اللبن اللطيف
في ثدي الام عند انفصاله على حسب حاجته افكان ذلك بحيلة الطفل او بحيلة
الام فاذا صار بحيث يوافقه الغذاء الكثيف انبتت له اسنانا قواطع و
طواحن لاجل المضغ فاذا كبر واستقل يسر له اسباب العلم والهداية ليسلك
سبيل الآخرة فاذن جبنه بعد البلوغ جهل محض لانه ما نقص شيء من اسباب
معيشته ببلوغه بل زاد فانه لم يكن قادرا على الاكتساب وطلب الكمال والآن
فقد قدر عليه نعم كان المشفق عليه شخص واحد وهو الام او الاب وكانت
شفقته مفرطة جدا بتسليط الله الشفقة على قلبه فكذلك قد سلط الله الشفقة
والرحمة على قلوب المسلمين واهل البلد كافة حتى ان كل واحد اذا اخبر بمحتاج
تألم قلبه ورق عليه وانبعث له داعية الى ازالة حاجته فقد كان المشفق
عليه واحدا والآن صار الف نفس وزيادة نعم كانت شفقة الام اقوى واحسن
ولكن كانت واحدة وشفقة الآحاد وان ضعفت فيحصل من مجموعها ما يفيد
الغرض ولقد احسن الشاعر حيث قال جرى قلم القضاء بما يكون فسيان
التحرك والسكون جنون منك ان تسعى لرزق ويرزق في غشاوته
الجنين فهذا تحقيق ماهية التوكل وتفاوت المقامات فيه علما وحالا
وعملا فاذا علمت حقيقة هذا الجند من جنود العقل والرحمن فقس عليه حال ضده

الذي هو جند الجهل والشيطان فالذي بازاء العلم والايمان بتوحيد الله وعلمه التام
وقدرته الكاملة هو الجهل والشرك به تعالى والذي بازاء الاتكال الذي هو الثقة بالله
الثقة بغيره كالنجوم والسلطان وحيلة النفس والمال والجاه والذي بازاء
العمل الذي هو ترك السعي والتدبير هو شدة الكد والسعي والاهتمام بجمع — الادخار
وادخار المال والاصل في كل ذلك هو الجهل بالله ورحمته وعنايته وتفرده
بالملك والملكوت قوله عليه السلم والرأفة وضده القسوة والرحمة وضدها
الغضب هذان الجندان اعني الرأفة والرحمة متقاربان في المعنى وكذا ضداهما
اعني القسوة والغضب وقد فسرت الاوليان برقة القلب وكان احداهما
وهي الرحمة حال القلب المعنوي اعني النفس والاخرى وهي الرأفة حال القلب
الجسماني فان للروح وهو العقل مظاهر ومنازل كالنفس والبدن وكذا
الغضب حال النفس والقسوة حال القلب الصنوبري واذا وصف الله
بالرأفة والرحمة فان من اسمائه الرؤف الرحيم كان اتصافه بهما على وجه اعلى
واشرف وكان باعتبار المظاهر والآثار وكذا نسبة الغضب اليه باعتبار
ما يصدر عنه في حق اعدائه اعلم ان الله خلق الجنة والراحة والنعمة والسعادة
والخير من رحمته وخلق النار والعذاب والنقمة والشقاوة والشر من غضبه
الا ان الرحمة ذاتية له والغضب عارضي ثم اعلم انه لما خلق الحيوان معرضا
للفساد والموتان باسباب من داخله واسباب من خارجه اما الداخلة — كالحرارة
فلتركبه من امور متضادة كالحرارة والرطوبة فجعل من الحرارة الغريزية والرطوبة
الغريزية عداوة وهي اول عداوة حدثت في طينة الانسان فلا تزال

الحرارة

الحرارة تحلل الرطوبة وتبخرها وتجففها وتفنيها فلو لم تتصل بالرطوبة مدد من — لبطل التركيب [illegible]
الغذاء يجبر ما انحل وتبخر فخلق الله من رحمته الغذاء الموافق لبدن الحيوان
وخلق ايضا شهوة تبعثه على تناول الغذاء كالموكل به في جبر ما انكسر
وسد ما انثلم واما الاسباب الخارجة التي يتعرض لها الانسان كالسيف
والسنان وساير الاعداء والمهلكات فافتقر الى قوة حمية تثور من
باطنه فيدفع المهلكات فخلق الله الغضب من النار وغرزه في الانسان
وخمره في طينته فمهما قصد في غرض من اغراضه وسده مانع عن ذلك اشتعلت
نار الغضب من باطنه وثارت ثورانا يغلي به دم القلب كغلي الحميم
وينتشر في العروق ويرتفع الى اعالي البدن والوجه كما يرتفع الماء الذي
في القدر فلذلك يحمر الوجه والبشرة وبالجملة فقوة الغضب محلها القلب
والتها حرارة الدم وغليانه ثم الناس في هذه القوة على درجات ثلثة
من الافراط والتفريط والاعتدال وهو المحمود ومهما اشتدت نار الغضب
وقوي اضطرامها اعمى صاحبه واصمه عن كل موعظة وينطفي نور عقله و
ينمحي في الحال بدخان الغضب فان معدن الفكر الدماغ فاذا تصاعد
اليه من غليان دم القلب دخان مظلم يستولي على معادن الفكر وربما
يتعدى الى معادن الحس فتظلم عينه حتى لا يرى شيئا ويسود عليه الدنيا
باسرها ويكون دماغه على مثل كهف اضرمت فيه نار فاسود جوه
وحمي مستقره وامتلأ بالدخان جوانبه وكان سراج ضعيف فانطفى
وانمحى نوره فلا يؤثر فيه كلم ولا وعظ ولا يقدر على اطفائه الا من داخل

ولا من خارج بل ينبغي ان يصير الى ان يحترق جميع ما يقبل الاحتراق وربما
يقوى نار الغضب فيفني الرطوبة التي بها الحيوة فيموت صاحبه غيظا او
يفسد مزاج دماغه لغلبة الحرارة الصاعدة اليه فيموت كما يقوى النار في
الكهف فيشتق وتنهد اعاليه على اسافله وذلك لابطال النار القوة
الممسكة لجوانبها الجامعة لاجزائها فهذه ثمرة الغضب المفرط في الدنيا وقس
على ما ذكرنا حال الغضب الاخروي في نار جهنم التي هي شرر من نار غضب الله
على اعدائه فقد علمت ان هذه الصفة من صفات الجهال والشياطين
المخلوقة من النار وان مقابلها وهو الحلم والرأفة والرحمة من صفات العقل
والملئكة المخلوقين من نور رحمة الله قوله عليه السلم والعلم وضده الجهل
اعلم ان المراد بهذا العلم والجهل غير المراد بالعقل والجهل الذين كلامنا فيه اولا
فان العقل عقلان الاول عقل بسيط يقال له العلم الاجمالي وهو ذات
نورية يتراآى فيه وبه جميع المعقولات لكونها عين الاشياء كما ذكرنا ان
العقل كل الاشياء والثاني عقل تفصيلي يستفاد منه كما يستفاد الكتابة
من قدرة الكاتب السارية في قلمه وهو مثال القلم الاعلى اعني العقل الصور في
الفعال وهي الصورة العقلية المتميزة المترتبة بعضها على بعض ترتبا ذاتيا
وتميزا عقليا ودونها الصورة الفكرية والخيالية المترتبة ترتبا زمانيا وتميزا الصور
خياليا وكذا الجهل جهلان الاول الاجمالي وهو الذات المظلمة الردية التي
مبداها كل جهالة وظلمة وقسوة واعوجاج وضلالة والثاني آحاد الجهالات
الراسخة والضلالات الزايغة فالاولان ذاتان اصلان والاخيران عارضان الراسخة

زعان

وزعان احدهما جند الملائكة والثاني جند الشيطان قوله عليه السلم والفهم وهو
سرعة التفطن لشيء وضده الحمق وهو البلادة المفرطة قوله عليه السلم
والعفة وضدها التهتك قد علمت ان العفة من الاخلاق الكريمة الحاصلة
من اعتدال القوة الشهوية وان الفجور المسمى ههنا بالتهتك من
افراط القوة الشهوية وهو ضد العفة فالاول جند العقل لانبعاثه عنه
لعلمه بان الغرض من وجود الشهوة بقاء الشخص بالاكل وبقاء النوع
بالوقاع لا لمجرد التلذذ والتنعم فيجب استعمالها على قدر الحاجة وبامر العقل
والشرع فيكون محصورة تحت اشارة العقل مسخرة اياه لا متمردة عن
حكمه مستعلية عليه غالبة اياه لئلا يحصل للعقل هيئة انفعالية اذعانية
لها فيكون المطاع مطيعا والرعية سلطانا والمامور آمرا كما في اكثر النفوس
الانسانية خدمت عقولهم شهواتهم فيشتغلون بفنون التدابير والحيل
لتحصيل اغراضهم الشهوية وذلك لجهلهم وقصور عقولهم وضعفها واما العقول
الكاملة فقد استخدمت الشهوة واذلتها واستعبدتها خادمة ذليلة
مقهورة مسلمة مطيعة فتستعملها كيف ارادت ومتى شاءت وهو خلق
العفة فيكون العفة من جنود العقل والشره الذي هو عبارة عن استيلائها استيلائها
وتهتكها من جنود الجهل وحزب الشيطان قوله عليه السلم والزهد وضده الرغبة اعلم
ان من عظايم مكارم الصالحين وجلايل صفات المتقين وجملة مقامات
السالكين الى الله تعالى بقدمي الطاعة واليقين الزهد في الدنيا والرغبة
فيما عند الله كما ان من قبايح صفات المنافقين وسيئات اعمال المجرمين

الرغبة في الدنيا والاعراض عن طلب الآخرة والاصل في الاول العلم بان
الدنيا ولذاتها امور باطلة داثرة فانية زائلة والاصل في الثاني الجهل
بفنائها وذهابها وبدوام الآخرة وبقائها قال الله تعالى فخرج على قومه في
زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون
انه لذو حظ عظيم قال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن
وعمل صالحا ولا يلقيها الا الصابرون فنسب الزهد الى العلماء ووصف
اهله بالعلم وهو غاية الثناء وقال ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا
منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وقال في معرض
وصف الكفار الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة فمفهومه ان المؤمن
هو الذي يتصف بضد ذلك وهو ان يستحب الآخرة على حيوة الدنيا واما الاخبار
فكثيرة في ذم الدنيا كما سيجيء ولما سئل عن رسول الله صلى الله عليه وآله
عن معنى الشرح في قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام
وقيل ما هذا الشرح قال ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح
قيل يا رسول الله وهل لذلك علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة
الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فانظر كيف جعل الزهد شرط الاسلام
وهو التجافي عن دار الغرور واعلم ان اركان الزهد ثلثة نفسه وما فيه وما عنه
ولكل درجات واقسام اما درجات الزهد فالدرجة السفلى منه ان يزهد في
الدنيا وهو لها مشتهي وقلبه اليها مائل ولكنه يجاهدها ويكفها وهذا يسمى المتزهد
والدرجة الثانية الذي يترك الدنيا طوعا لاستحقاره اياها بالاضافة الى ما طمع فيه

لكن

كمن ترك درهما لاجل درهمين فانه لا يشق عليه ذلك وان كان يحتاج
الى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد يرى لا محالة زهده ويكون ملتفتا اليها
ومعجبا بنفسه وبزهده يظن بنفسه انه ترك شيئا له قدر لما هو اعظم قدرا
منه وهذا ايضا ليس كمال الزهد والدرجة الثالثة وهي العليا ان يزهد
في الدنيا طوعا ويزهد في زهده فلا يرى زهده اذ لا يرى انه ترك شيئا
اذ يعرف ان الدنيا لا شيء كمن ترك قذرة واخذ جوهرة فلا يرى ذلك
معاوضة ولا يرى نفسه تاركا شيئا اذ الدنيا بالقياس الى نعيم الآخرة
اخس من قذرة بالقياس الى جوهرة ثمينة فهذا هو الكمال في الزهد
وسببه كمال المعرفة واما درجات المرغوب فيه فاولها ان يكون
المرغوب فيه النجاة من النار وساير الآلام كعذاب القبر ومناقشة
الحساب وخطر الصراط وساير ما بين يدي العبد من الاهوال كما وردت
به الاخبار وثانيها وهي الاوسط ان يكون المرغوب فيه ثواب الله ونعيم
الآخرة واللذات الموعودة من الحور والقصور وغيرها وهذا زهد الراجين
فان هؤلاء ما تركوا الدنيا قناعة بالعدم والخلاص من الالم بل طمعوا في وجود
دائم ونعيم لا نهاية لها وثالثها وهي اعلاها ان لا يكون له رغبة الا في الله
وفي لقائه فلا يلتفت قلبه الى الآلام ليتخلص عنها ولا الى اللذات ليقصد
نيلها والظفر بها بل هو مستغرق الهم بالله تعالى وحده واصبح همه هما واحدا
وهذا زهد المحبين العارفين وهم الموحدون بالحقيقة اذ طلب غير الله
لا يخلو من شرك خفي وكمال هذا الحال الفناء عن نفسه والبقاء بالله و

الدرجات بالاضافة الى المرغوب عنه فهي كثيرة بحسب التفصيل لا يمكن ضبطها
وحصرها ولكن نشير الى مجامع محيطة بالتفاصيل بعضها اجمل واجمع
لساير الجمل وبعضها اشرح والى تفصيل الآحاد اقرب اما الاجمال في
الدرجة الاولى فهو كل ما سوى الله فينبغي ان يزهد فيه حتى يزهد في نفسه
ايضاً واما الاجمال في الدرجة الثانية ان يزهد في كل صفة للنفس فيها تمتع
وشهوة وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر
والرياسة والمال والجاه وغيرها والاجمال في الدرجة الثالثة ان يزهد في
المال والجاه واسبابها اذ جميع حظوظ النفس يرجع الى المال والجاه والاجمال
الذي في الدرجة الرابعة الزهد في العلم والقدرة وفي الدينار والدرهم فان
الاموال وان كثرت اصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه وان كثرت اسبابه
فيرجع الى العلم والقدرة واعني به كل علم وقدرة يتعلق بملك القلوب فان
المقصود بالجاه ملك القلوب والقدرة عليها مع الشعور بذلك كما ان
المقصود بملك الاعيان القدرة التفصيل ~~[illegible]~~ الاجمال الى تفصيل ابلغ
فيكاد يخرج ما فيه الزهد عن الحصر وقد ذكر الله تعالى في آية واحدة سبعة
منها فقال زين للناس حب الشهوات من النساء الآية ثم رده الى
ما فيه الزهد في آية اخرى الى خمسة فقال انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة
وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد ثم رده في موضع آخر الى اثنين فقال
وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو ثم رد الكل الى واحد فقال ونهى النفس
عن الهوى فان الجنة هي المأوى فالهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا

فينبغي

واعني لرحم

عليها فان جاوزنا عن هذا امر

زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث

فينبغي ان يكون الزهد فيه فاعلى مراتب الزهد من جهة المزهود فيه الزهد في ما سوى الله
وبعدها الزهد عن هوى النفس اي حظوظها الدنيوية وادناها الزهد في المحرمات
الشرعية فاذا علمت معنى الزهد واركانها وانه من مكارم الاخلاق ومعارج
القرب اليه تعالى واسباب الوصول فقس عليه الرغبة التي ضده
اي الحرص في الدنيا وفي حظوظ النفس وفي المال والجاه وفي واحد واحد
من اغراض النفس وشهواتها والاعراض عن الله وآياته وكتبه ورسله
وعن الآخرة وهي من مساوي الاخلاق ومهاوي البعد عنه تعالى ومن اسباب
اللعن والعذاب فالاول من جنود الملك وهذا من جنود الشيطان
قوله عليه السلم والرفق وضده الخرق الرفق بمعنى التلطف ولين الجانب
والرفيق وهو المرافق في الطريق يقال الله رفيق بعباده من الرفق والرأفة
وهو فعيل بمعنى فاعل ومنه ما روي في الحديث في ارفاق ضعيفهم وسد
خلتهم اي ايصال الرفق اليهم والخرق بالضم الجهل والحمق وقد خرق يخرق
خرقا فهو اخرق والاسم الخرق بالضم وفي حديث تحول فوقع وخرق
اراد انه وقع ميتا والمخراق ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم
بعضا في التلاعب وعن امير المؤمنين عليه السلم البرق مخاريق الملائكة جمع
المخراق اراد عليه السلم به آلة تزجر بها الملائكة السحاب وتسوقه وتفسير حديث
ابن عباس البرق سوط من نور تزجر به الملائكة السحاب والمراد من الخرق
ههنا ما يقابل الرفق والمداراة كالزجر والخشونة والتعنف والاول من صفات
العاقل والثاني من افاعيل الاحمق قوله عليه السلم والرهبة وضده الجرأة

[illegible]

[illegible]

الخوف من شعار المتّقين وصفات الصّالحين عن رسول الله صلى الله عليه وآله
انّه قال رأس الحكمة مخافة الله وروى انّ داود على نبيّنا وآله عليه السّلم
كان يعوده النّاس يظنّون انّ به مرضا وما به مرض الّا خوف الله تعالى مرض الّا
والحياء منه ومخاوف الانبياء عليهم السّلم مشهورة وفي الكتب مسطورة
وكذا مخاوف الاولياء والائمّة عليهم السّلم لكن خوفهم جميعا خوف القرب من
الله وشدّة نوره وعظمته وسطوته والحياء من ملاحظة لسرّ العبد وباطنه
المكشوف عنده لا خوف العذاب ولهذا قال بعض العرفاء انّ الّذي
لا يخاف غير الله الكريم قيل اي لا يخاف لنفسه وانّما يخاف اجلالا له والخوف
للنفس خوف العقوبة وقيل انّ الله جمع للخائفين واهل الرّهبة والخشية
ما فرّقه على المؤمنين وهو الهدى والرّحمة والعلم والرّضوان فقال تعالى هدى
ورحمة للّذين هم لربّهم يرهبون وقال انّما يخشى الله من عباده العلماء وقال رضي الله
عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربّه واعلم انّ الخوف ليس ضدّه الحقيقي
الرّجاء لانّهما قد يجتمعان في قلب واحد هو قلب المؤمن كما في قوله تعالى و
يدعونه رهبا ورغبة وكذا المرغوب فيه والمرهوب عنه يجوز ان يكون شيئا
واحدا من جهتي رحمته وغضبه وامّا الّذي هو ضدّه الحقيقي الجرأة فالرّهبة
كالرّجاء من صفات العقل وجنود الحقّ والجرأة وهي التّعدي عن حدود
الله والارتكاب لطاماته من صفات الجهل وجنود الباطل قوله عليه السّلم
والتّواضع وضدّه الكبر انّ من جملة منجيات الاخلاق وفضائل الاحوال التّواضع
لله ولكلّ من ينتسب اليه من اوليائه وعباده المؤمنين ومن جملة المهلكات
ورذايل

ورذائل الاحوال الكبر والتّرفّع على النّاس وعن رسول الله صلى الله
عليه وآله من تكبّر وضعه الله ومن تواضع رفعه الله وعنه صلى الله عليه وآله
حكاية عن الله تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته
وقال تعالى ولا تزكّوا انفسكم وبالجملة الكبر من المهلكات مع انّه قلّ من
يخلو عن شيء منه ومنشأه الاصلي هو الجهل وازالته فرض العين ولا يزول
بمجرّد التّمنّي بل يحتاج ازالته الى ادوية بعضها علمي وبعضها عملي ولا يتمّ استيصال
اصله والشّفاء عنه الّا بمجموع الدّوائين امّا العلمي فهو ان يعرف نفسه
ويعرف ربّه ويكفيه ذلك في ازالة الكبر ان كان حقّ المعرفة فانّه مهما عرف
نفسه حقّ المعرفة علم انّه اذلّ من كلّ ذليل واقلّ من كلّ قليل وانّه لا يليق
الّا التّواضع والذّلّة والمهانة واذا عرف ربّه علم انّه لا يليق العظمة والكبرياء
الّا به وكلا المعرفتين يعظم امره ويطول شرحه امّا معرفة الرّبّ فهي منتهى
علوم المكاشفة وغاية المعارف الحقيقيّة وامّا معرفة النّفس فهي ايضا
غامض لطيف تقصر عن ادراك بعض مقاماتها ومنازلها اكثر الحكماء وفضلاء
عادتهم ولكن نذكر القدر الّذي ينفع في اثارة التّواضع والمذلّة ويكفي لنفي
ذلك ان يعرف معنى آية واحدة في القرآن فانّ في القرآن علم الاوّلين و
الآخرين لمن فتحت بصيرته قال تعالى قتل الانسان ما اكفره من ايّ شيء
خلقه من نطفة خلقه ثمّ السّبيل يسّره ثمّ اماته فاقبره ثمّ اذا شاء انشره فقد
اشارت الآية الى اوّل خلق الانسان والى آخره والى وسط احواله امّا اوّل
الانسان فهو انّه لم يكن شيئا مذكورا وكان في كتم العدم دهورا وايّ شيء اخسّ

من العدم سيما العدم المطلق للشيء الذي ليس عنه خبر ولا منه ذكر ولا لامكانه
محل ولا مادة حاملة لقوة مقابلة اعني الوجود وهكذا حال الانسان قبل وجوده
وقبل وجود محل امكانه ومادة قوته واستعداده كالتراب والنطفة ونحوهما
لان كلا منها حادث مثله وكان في العدم دهورا غير متناهية ثم خلقه
الله من اذل الاشياء واخسها واقذرها اذ خلقه من تراب ثم من نطفة
ثم من علقة ثم جعله عظاما ثم كسا العظم لحما فقد كان بداية وجوده ثم صار شيئا
مذكورا اذا صورة محصلة ونوع مخصوص وتلك السوابق كانت امورا ناقصة
الوجود واقعة في مراتب القوى والاستعدادات كاجزاء الحركات
التي هي ما بين صرافة القوة ومحض الفعل فكان في بدايات كونه على اخس
الاوصاف والنعوت اذ لم يخلق في ابتدائه جوهرا كاملا بل جمادا ناقصا
ايضا في جماديته كالنطفة مثلا وما يتلوها فكان اولا جمادا ميتا لا يسمع ولا يبصر
ولا يتحرك ولا ينطق ولا يمشي ولا يبطش ولا يدرك ولا يعلم فبدأ بموته
قبل حيوته وبضعفه قبل قوته وبامكانه قبل وجوده وبمادته قبل صورته
وبجهله قبل علمه وعماه قبل بصره وصممه قبل نطقه وخرسه فهذا معنى قوله من
اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره وقوله ثم السبيل يسره اشارة
الى ما يتيسر له في مدة حيوته الى حين الموت وهو اوسط حاله وكذلك
قوله من نطفة امشاج نبتليه انا هديناه السبيل ومعناه انه احياه
بعد ان كان جمادا ميتا ترابا اولا ونطفة ثانيا وعلقة ثالثا وهكذا الى
اوان حلول الصورة فجعله سميعا بعد ما كان اصم وابصره بعد ما كان

اعمى

قبل نطقه

السبيل

خلاف ما كان

اعمى وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق له الاعضاء والقوى
والالات بما فيها من عجايب الخلقة وبدايع الفطرة بعد الفقد لها واغناه
بعد الفقر وهداه بعد الضلالة فانظر كيف دبره وصوره والى السبيل كيف
يسره والى نعم الله عليه كيف نقله الله من تلك المذلة والقلة والخسة
والقذارة الى هذه الرفعة والكرامة ثم انظر الى طغيان الانسان ما اكفره و
الى جهله بكيفية وجوده كيف اظهره الله فقال اولم ير الانسان انا خلقناه
من نطفة فاذا هو خصيم مبين وانما انعم واكمل النعمة عليه واعطاه هذه الاسباب
والالات ليعرف ربه بالعظمة والجلال ونفسه بالعبودية والافتقار وانه
لا يليق الكبرياء الا به تعالى فمن كان هذا بدو وجوده وهذه احوال نشاته الدنياوية
فمن اين له البطر والكبرياء والفخر والخيلاء وهو على التحقيق اخس الاخساء
واضعف الضعفاء نعم لو اكمله وفوض اليه امره وادام له الوجود باختياره
لجاز ان يطغى وينسى المبداء والمنتهى ولكن سلط عليه في دوام وجوده الامراض
الهايلة والاسقام العظيمة والافات المختلفة والطبايع المتضادة يهدم بعضه
البعض شاء ام رضي اراد او سخط فيجوع كرها ويعطش كرها ويمرض كرها ويموت
كرها لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا فهو مضطر ذليل
في جميع عمره عبد مملوك لا يقدر على شيء من نفسه وغيره واي شيء اذل منه
لو عرف نفسه وانى يليق الكبر به لولا جهله فهذا بيان اوسط احواله فليتامل
واما اخره ومورده فهو الموت المشار اليه بقوله ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء
انشره ومعناه انه يسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وحركته

فيعود جماداً كما كان اولاً ثم يوضع في التراب فيصير جيفة منتنة قذرة كما كان
في الاول نطفة مذرة ثم تبلى اعضاؤه وتتفتت اجزاؤه وتنخر عظامه فيصير
رميماً ورفاتاً ياكل الدود اعضاؤه فيصير روثاً في اجواف الديدان وجيفة
يهرب منه الحيوان ويستقذره كل انسان ويهرب منه لشدة الانتان
واحسن احواله ان يعود الى ما كان فيصير تراباً وان يصير مفقوداً بعد ما كان
موجوداً وصار كان لم تغن بالامس حصيداً كما كان في اول امره امداً
مديداً وليته بقي كذلك فما احسنه لو بقي تراباً لا يحييه ولكن يخرج من قبره
الى اهوال القيمة فينظر الى قيامة قائمة وسماء ممزقة مشققة وارض مبدلة
وجبال مسيرة ونجوم منكدرة وشمس منكسفة واحوال مظلمة وملائكة غلاظ
شداد وجحيم تزفر وجنة تنظر اليها المجرم فيتحسر ويرى صحايف منشورة فيقال
له اقرأ كتابك فيقول وما هو فيقال اعمالك وافعالك كتبها من وكل بك
في حيوتك ملكان رقيبان يكتبان عليك ما تنطق به او تفعله من قليل وكثير
ونقير وقطمير قد نسيت ذلك واحصاه الله فهلم الى الحساب فما تستعد للجواب
او تساق الى دار العذاب فينقطع قلبك فزعاً من هول العذاب قبل ان
تنشر الصحيفة وتشاهد ما فيها فاذا شاهده قال يا ويلنا ما لهذا الكتاب لا يغادر
صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فهذا آخر امره وهو معنى قوله ثم اذا شاء انشره
فما لمن هذه حاله بداية ووسطاً ونهاية للتكبر قال بعضهم لبعض المتكبرين اولك
نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وانت فيما بين ذلك تحمل العذرة وعن علي بن الحسين
عليهما السلم عجباً للمتكبر الفخور الذي كان بالامس نطفة ثم هو غداً جيفة وعن
ابی جعفر

ابي جعفر عليه السلم وقد نظم الشاعر هذا المعنى كيف يزهو من رجيعه ابد الدهر ضجيعه
واعلم انه اذا ارتفع التواضع عن القلب وسكن فيه الكبر تنتشر آثاره في بعض
الجوارح ويترشح الاناء بما فيه فتارة يظهر اثره في العنق بالتمايل وتارة في الخد
بالتصعير قال تعالى ولا تصعر خدك للناس وتارة يظهر في الراس بالليّ
عند استعصاء النفس قال تعالى لووا رؤسهم ورأيتهم يصدون وهم
مستكبرون كما ان الكبر انقساماً على الاعضاء والجوارح يتشعب منه شعباً
بعضها اكثف من بعض كالتيه والزهو والتعزز والفرح والخيلاء فكذلك
للتواضع آثار تترشح من القلب الى الاعضاء وتنبعث من الباطن الى
الظاهر كهيئات الخشوع والخضوع والتذلل والبكاء والتضرع والدعاء
والخشية والخوف كما قال تعالى في صفة الملئكة وهم من خشيته مشفقون
وقوله والملئكة من خيفته وقوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته وبالجملة
فالتواضع من صفات الملئكة وجنود العقل والتكبر من صفات الشياطين
وجنود الجهل قوله عليه السلم والتؤدة وضدها التسرع يقال مشى متيئداً
اي على تؤدة والوأد الثقل وأده اذا اثقله وتأيّد في مشيه وتوأد اي تأنى
فيه وتثبت وهو افتعل وتفعل من التؤدة والتاء بدل من الواو والمراد من
التؤدة ههنا صفة نفسانية من فروع ملكة التوسط والاعتدال في القوة الغضبية
كما مر ذكره يتبعها هيئة الوقار كما ان التسرع الذي هو ضدها وهو الاستشاطة
من فروع الافراط فيها قوله عليه السلم والحلم وضده السفه الحلم الاناة وهو ايضاً
من شعب الاعتدال في الغضب كما سبق ذكره والسفه في الاصل الخفة

والطيش وسفه فلان رأيه اذا كان مضطربا لا استقامة له وهو المراد ههنا
فيكون من جملة شعب الافراط في الغضب ضد الحلم الذي من شعب الاعتدال
فيه ثم غلب استعماله في الجهل فيقال السفيه الجاهل وروى الزمخشري من سفه
الحق على انه اسم مضاف الى الحق وقال فيه وجهان احدهما ان يكون على
حذف الجار وايصال الفعل كان الاصل سفه على الحق والثاني ان يضمن
معنى فعل متعد كجهل الحق والمعنى الاستخفاف بالحق وان لا يراه ما هو عليه من
الرجحان والرزانة وقد علمت ان العدالة التي هي من جنود العقل وتسمى
بحسن الخلق انما تتم وتكمل اذا حصل جميع شعب القوى الثلث يعني الشهوة
والغضب والادراك على نهج الاعتدال وان كلا طرفي القصد فيها مذموم فالتؤدة
والحلم من جنود العقل وشعب الحق والتسرع والسفه من جنود الجهل وشعب
الباطل قوله عليه السلم والصمت وضده الهذر الصمت السكوت و
الهذر الهذيان والكلام الذي لا فائدة فيه اعلم ان من فضائل احوال الانسان
السكوت عن الكلام الا عن ذكر الله او لضرورة او لفائدة عظيمة وان آفات
اللسان كثيرة وقد ورد في مدح السكوت وذم التكلم من الاخبار الغير محصور
كقول علي عليه السلم لو كان كلامك من فضة يا نفس ان السكوت من ذهب
وقوله عليه السلم من صمت نجا وقيل اليق شئ ما يكون في السجن هو اللسان
وقيل اللسان صغير الجرم عظيم الجرم وقال سهل ما صار الابدال ابدالا الا باربع
خصال اخماص البطون والصمت والسهر والاعتزال عن الناس وبيان ذلك
ان العرفاء السالكين الى الله تعالى لما كان دأبهم في الرياضة والذهاب اليه تعالى

ان يلتزموا

استعماله

ان يلتزموا بعد التوبة عن المعاصي الظاهرة امورا اربعة جعلوها حصنا لهم حصينا
يدفعون به عن نفوسهم قواطع الطريق فان قصد المريد اصلاح قلبه ليشاهد
ربه ويصلح لقربه اولها الجوع فانه ينقص دم القلب فيبيضه وفي بياضه نوره
في سواده ظلمته ويذيب شحم الفؤاد وفي ذوبانه رقته وفي رقته مفتاح المكاشفة كما ان
في قسوته سبب الحجاب قال عيسى عليه السلم يا معشر الحواريين جوعوا
لعل قلوبكم ترى ربكم وثانيها السهر فانه يجلو القلب ويصفيه وينوره وتنضاف
الى الصفاء الذي حصل من الجوع ويصير كالكوكب الدري وكالمرآة المجلوة
فيلوح فيه جمال الحق ورفع الدرجات في الاخرى ويرى حقارة الدنيا وآفاتها
فيتم زهده في الدنيا ورغبته في الآخرة واقباله الى الله وثالثها الصمت فانه يسهل
العزلة وان الكلام يشغل القلب وشره القلوب للكلام عظيم فتستروح اليه
وتستثقل التجرد للذكر والفكر فيجب ان يعالج هذا المرض بالصمت فالصمت
يلقح العقل ويجلب الورع والتقوى ويلقن العقل بالحكمة وينطق به لسان
التكلم مع الحق ورابعها الخلوة وفائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر
فانهما دهليزا القلب يدخل منها اليه من الشواغل والمفاسد والوساوس
ما يزعجه ويغيره عما هو عليه من قصده فلا بد من ضبطها وليس يمكن ذلك الا
بالخلوة في مكان مظلم فان لم يكن مكان مظلم فليلف رأسه في الجيب او
يتدثر بكساء او ازار ففي مثل تلك الحالة يسمع نداء الغيب ويشاهد
الحضرة الربوبية وعالم الملكوت اما ترى ان نداء الحق بلغ رسول الله صلى
الله عليه وآله وهو على هذه الصفة فقيل له يا ايها المزمل يا ايها المدثر

فهذه الاربعة حصنٌ وحصنٌ حصين يدفع عن السالك قواطع الطّريق والموانع
ثم يشتغل بعده بسلوك طريق الحقّ والذّهاب اليه تعالى بقطع المنازل
اليه وطيّ العقبات وما هي الّا صفات القلب الّتي سببها الالتفات
الى الدّنيا فيشتغل بمحو آثارها وتبديل سيّئاتها بالحسنات وتجرّد قلبه
عن كلّ خاطر ردّي بل عن كلّ ما يشغل سرّه عن الحقّ فيجعل همومه همّاً واحداً
بحيث يكون فكره وهمّه وشغله مستغرقاً في ملاحظة الحقّ ولا يخطر باله غير الله
وهذا باستيلاء حبّ الله على القلب حتى يكون في صورة العاشق المستهتر
لا همّ له الّا المعشوق فاذا دام على هذه الحالة مدّة فيترقّى نفسه الى عالم
الرّبوبيّة فيتجلّى له الحقايق اوّلاً في كسوة الامثال ثم يمعن في الرّياضة والمجاهدة
حتى يرتفع الامثلة من البين ويفنى في العين فيرى الحقّ في كلّ شيء ويرى
به كلّ شيء فيكون الحقّ سمعه وبصره كما ورد في الحديث القدسي وهذه
الحالة هي الفناء في التوحيد الّذي انكره اكثر العلماء فضلاً عن غيرهم وهي نهاية
السّير الى الله وبعدها درجات كثيرة لا يكشف عنها المقال غير الخيال
مع انّ الكلام فيها يوجب شنعة الجهّال ويحرّك سلسلة الحمقى والمجانين
من اهل الجدال فلنعرض عن ذكره ومن اراد معرفة ذلك فليجتهد في ان
يصير من اهل المكاشفة دون المشافهة ومن الواصلين الى العين دون
السامعين للاثر وكلّ ميسّر لما خلق له فقد ظهر انّ الصّمت من جملة احوال
السّالكين المجاهدين في طريق الحقّ المهاجرين الى الله والهذر والهذيان
في الكلام من صفات المجانين والجهّال والمستغرقين في بحار الشّهوات
فيكون

فيكون الاوّل من جنود العقل والثاني من جنود الجهل قوله الاستسلام
وضدّه الاستكبار والتسليم وضدّه الشكّ الاستسلام وهو الطّاعة
والانقياد لكلّ ما هو حقّ وهو من صفات المؤمن وعن رسول الله صلى
الله عليه وآله قوله المؤمنون هيّنون ليّنون ان قيدوا انقادوا وان
انيخوا استناخوا وفي رواية اخرى بلفظ آخر المؤمن هيّن ليّن ان قيد انقاد وان
انيخ استناخ والياء في اللفظين الواقعين خبر المبتدا جاءت مشدّدة
مكسورة ومخفّفة ساكنة في كلتا العبارتين وضدّ الانقياد الاستكبار
وهو التمرّد والانفة والفرق بينه وبين الكبر انّ الكبر حالة نفسانيّة كامنة
في النفس ربّما لم يظهر اثره في الخارج بخلاف الاستكبار فانّه عبارة
عن اظهار التكبّر والمراد بالتّسليم ههنا هو الاذعان والتصديق القلبي
وضدّه الشكّ وانّما لم يجعل ضدّه الجحود والانكار والتكذيب لانّ المقصود
ههنا نفس التصديق في ايّ شيء كان لا في شيء خاصّ دون شيء فانّ شأن
العقل الحكم القطعي وليس ذلك من شأن النفوس البهيمانيّة وكذلك النفوس
الحيوانيّة الغير الناطقة اذ لا يمكنها الحكم الفصلي في ايّ شيء كان بل شأنها الشكّ
فقط فبهذا المعنى الشكّ ضدّ التسليم اذ ليس المراد منه التحيّة والتعظيم قوله عليه السلام
والصّبر وضدّه الجزع اعلم هداك الله بنور البصيرة وايّدك بقوّة الصّبر انّ الصّبر
مقام من مقامات الدّين ومنزل من منازل الذّاهبين الى الله بقدمي التقوى
واليقين وقد علمت انّ جميع المقامات انّما ينتظم من معارف واحوال و
اعمال واصول فانّ المعارف هي الاصول وهي تورث الاحوال والاحوال

الاناخة فروخوا بالابل [illegible]

تورث الاعمال بهذا الحسب البداية والمبداية واما بحسب الغاية والثمرة فبالعكس فغاية
الاعمال ان يترتب عليها الاحوال كتصقيل المرآة غاية الصفاء والجلاء عن الكدورة
وغاية الاحوال ان يترتب عليها حصول العلوم والمعارف كصفاء المرآة فان غايتها
ان يتجلى فيها صور المبصرات لان نفس الصفاء والزكاء امر عدمي ولا كمال يعتد به
في الاعدام انفسها فاذن العلم هو المبداء والغاية في كل مقام ومنزل واسم
الايمان تارة يختص بالمعارف وتارة يطلق على الكل كما ذكر في موضعه فكذلك
الصبر لا يتم الا بمعرفة سابقة وبحالة قائمة بالقلب والصبر على التحقيق
عبارة عنها والعمل كالنتيجة والفرع يصدر عنها ولا يعرف هذا الا بمعرفة
ترتيب الوجود بين الملئكة والانس والبهايم فان الصبر خاصية الانس
ولا يتصور ذلك في البهايم ولا في الملئكة اما في البهايم فلانحطاطها ونقصانها
واما في الملئكة فلكمالها وتمامها فانها بالفعل في كل ما من غير قوة واستعداد يعني الحكيم العام
ومهلة وانتظار فليس فيها كمال منتظر بل كل له مقام لا يتعداه وبيانه بالتفصيل
ان البهايم سلطت عليها الشهوات وصارت مسخرة لها فلا باعث
لها على الحركة والسكون الا الشهوة وليست فيها قوة اخرى تصادم الشهوة
وتردها عن مقتضاها حتى يسمى ثبات تلك القوة في مقابلة مقتضى تلك الشهوة
صبرا واما الملئكة فانهم جردوا للشوق الى الحضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب
والخدمة ولم يسلط عليها شهوة صارفة عنها حتى يحتاج الى مصادمة ما يصرفها
عن الطاعة والخدمة بجند اخر يغلب الصوارف ويدفعها واما الانسان فخلق
في ابتداء الصبي ناقصا كالبهيمة لم يخلق فيها الا شهوة الغذاء الذي هو ضروري

محتاج

محتاج اليه ثم يظهر فيه شهوة اللعب والزينة ثم شهوة النكاح على الترتيب
وليس له قوة الصبر البتة اذ الصبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر
قام القتال والحرب بينهما لتصادم مقتضياتهما ومطالبهما وليس في الصبيان الا
جند الهوى كما في البهايم ولكن الله اكرم ابن آدم وفضله على كثير من خلقه تفضيلا
فرفع درجته عن درجة البهايم فوكل به عند تمام شخصه البدني ملكين احدهما يهديه
والآخر يقويه فيميز بمعونتهما عن البهايم واختص بصفتين احداهما المعرفة بالله وآياته يغذيه
وكتبه ورسله والهدى لسلوك سبيله والوصول الى اليوم الآخر والقرب
منه تعالى وكل ذلك من الملك الهادي وهو المسمى في هذا الحديث بالعقل
فان هذا العقل في الابتداء هاد ومعلم وفي الانتهاء عين وكمال ولكن هذه الهداية
غير كافية ما لم يكن له قدرة على ترك ما يضر فكم من مضر يعرفه الانسان كالمرض النازل
به مثلا ولكن لا يقدر على دفعه فافتقر الى قدرة وقوة يدفع بها في نحر الشهوات
فيجاهدها بتلك القوة حتى يقطع عداوتها عن نفسه فوكل به ملكا آخر يسدده
ويقويه بجنود لم تروها وامر هذا الجند بقتال جنود الشهوة فتارة يضعف هذا
الجند وتارة يقوى بحسب امداد الله عبده كما ان نور الهداية ايضا يختلف في
الخلق اختلافا كثيرا لا ينحصر فلنسم هذه الصفة التي بها فارق الانسان البهيمة
في قمع الشهوات وقهرها باعثا دينيا ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضاها
باعث الهوى وليعلم ان القتال قائم بينهما ومعركة هذا القتال قلب العبد
ومدد باعث الدين من الملئكة الناصرين لحزب الله تعالى ومدد باعث
الهوى من الشياطين الناصرين لاعداء الله وحزب الشيطان فالصبر عبارة

عن ثبات باعث الدين وهو جند العقل في مقابلة باعث الهوى وهو جند
الجهل فان ثبت وصبر واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله
والتحق به والله مع الصابرين انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وان
تخاذل وجزع حتى غلب الشهوة ولم يصبر على دفعها التحق باتباع الشياطين
واعداء الله وذلك هو الضلال المبين والنكال العظيم فهذا التحقيق هذا التمام
ذكره بعض عرفاء الاسلام قوله عليه السلم والصفح وضده الانتقام ان من
صفات الكرام العفو والتجاوز عما فعله المسيئ له ومن صفات اللئام الانتقام
وهو طلب التشفي عن الم الغيظ وهو ثوران دم القلب وهيجانه لدفع ما يولمه
ويغضبه وهذا الغيظ مرض نفساني وآفة قلبية يعتري الجهال والناقصين — مرض له م
من اجل تأثر نفوسهم الناقصة عن كل ما يخالف هواهم وشهوتهم وقد سبق
بيان كيفية هذا الثوران وهيئة هذا الهيجان والاحوال العارضة معها للشخص
عند ارادة التشفي عن غيظه بالانتقام فهو من صفات اتباع الهوى وجنود الجهل
والصفح والتجاوز من صفات اولياء الله ومن جنود العقل قوله عليه السلم والغناء
وضده الفقر ان من صفات العقل كما سبق ذكره في تحقيق حيثية انه الوجود
الذي يستغني بالحق عن كل شيئ اذ ليس له كمال منتظر ولا هو فاقد لما من شأنه
ان يكون له ولم يحصل بعد وهذا من خواص العقل الكامل الصرف واما العقول
التي بصدد الاستكمال والسلوك الى الله فشأنهم ان يطلبوا هذه الحالة ويعرفوا
ان الغناء الحقيقي لا يحصل الا به تعالى وان الكل فقراء محتاجة اليه تعالى كما قال الله
الغني وانتم الفقراء واذا عرفوا ذلك حصل لهم معنى التوكل وكما ان الغناء او
الاستغناء

الاستغناء بالحق من صفات العقل على التفصيل الذي ذكرنا فكذلك الفقر
والافتقار الى ما سوى الله والحاجة الى الاسباب والاعتماد عليها والاستعانة
بغير الله من صفات الجهل والهوى ومن استعان بغير الله ذل وتعنّى وغوى و — وغوى له م
ضل وما هدى وثمرة هذه الصفة المذلة والهوان والاضطراب والهيجان
وعدم الاستقامة والاطمينان والتغير والانزعاج عند حدوث كل نازل
وسنوح كل خاطر كريشة في فلاة يحركها الرياح الى كل جانب او سفينة
في بحار الشهوات بلا آلة وملاح يلتطمه الامواج ويقع بها الى كل آفة وصدمة حتى
ينكسر او يغرق في قعر عميق وتهوى به الريح في مكان سحيق قوله عليه السلم والتذكر
وضده السهو والحفظ وضده النسيان تحقيق كون السهو ضد التذكر و
النسيان ضد الحفظ انما يتبين ويتصور بعد تصور مفهومات الفاظها و
الفرق فيما بينها فاعلم ان الادراك فينا عبارة عن حصول الصورة العقلية
او الحسية في قوة من قوانا وتلك القوة هي المسماة بالمدركة والحفظ عبارة
عن وجود تلك الصورة في قوة اخرى فوقها هي المسماة بالخزانة والحافظة
ونسبتها الى المدركة نسبة الفاعل لشيئ الى قابله والتذكر عبارة عن استحضار
تلك الصورة مرة اخرى من الحافظة بعد اختزانها فيها والسهو عبارة عن زوال
تلك الصورة من المدركة لا من الحافظة فيمكن استحضارها عند التفتيش والامعان
في الاسترجاع والنسيان عبارة عن زوالها عن المدركة والحافظة بما هي
حافظة جميعا فعلى هذا نقول لما كان ضد الشيئ ما هو في مقابله وعلى غاية الخلاف
منه فضد التذكر الذي هو الادراك الثاني بالاسترجاع من الحافظة هو مقابله

الذی هو عدم هذا الادراک عمّا من شأنه وجوده لبقائه فی الحفظ واما ضد الحفظ
الذی هو الاختزان فهو ایضاً مقابله ولیس مقابله الا النسیان لانه عدم الحفظ
لا السهو لانه عدم الذکر لا عدم الحفظ واما کون التذکر والحفظ من صفات الکمال
وجنود العقل وان السهو والنسیان من صفات النقص وجنود الجهل
فامر بیّن لان الاولین نحوان من العلم والاخیران نحوان من الجهل ولانهما عدمیین
وذانک وجودیان والوجود خیر والعدم شرّ ومما یجب ان تعلم ههنا ان الادراک
کما علمت حسّی وعقلی وهذه الاقسام جاریة فی کل منهما وحافظ المحسوسات
یجوز ان یجتمع مع مدرکها فی ذات واحدة لکونها جسمانیة والجسم الواحد کالدماغ
یقبل الانقسام فیصح ان یتعلق ببعضه قوة الاحساس وببعضه قوة الحفظ واما
الذات البسیط کالعقل الانسانی فلا یجوز ان یجتمع فیها القوتان لکون احدهما
انفعالیة لها جهة القبول اعنی الادراک والاخری فعلیة لها جهة الفعل اعنی الحفظ
والجهتان مختلفتان بالذات مکثرتان للموضوع فخزانة المعقولات یجب ان یکون
امراً قدسیاً مفارق الذات وجوده فی عالم الملکوت الاعلی فان قلت
فکیف یتصور معنی النسیان الذی ذکرته فی العقلیات لامتناع التغیر فی المفارق
وزوال الصورة عنه قلنا کون ذلک الجوهر خزانة للنفوس امر نسبی اضافی
معناه کون النفس بحیث یحصل لها ملکة الارتباط به والاقبال علیه فاذا اقبلت
علیه قبلت عنه واذا اشتغلت عنه بجانب الحس انمحت الصورة العقلیة
عنها وهو نور من انوار الله نسبته الی قلب المؤمن کنسبة الشمس الی الابصار
الصحیحة والی نفوس الکفرة کنسبة الشمس الی العیون العمیان ومن لم یجعل الله

لە نوراً

له نوراً فما له من نور قوله علیه السلم والتعطف وضده القطیعة عطفت عطوفاً
ای ملت وعطفه عطفاً فانعطف ای اماله وقولهم عطف علیه ای اشفق علیه
ورحمه لان فی الرحمة میلاً وانعطافاً الی المرحوم وعطف الوسادة ثناها والعطف
والعطاف الرداء وتعطفت به ای ارتدیت ومنه سبحان من تعطف
بالعز وقال به ای تردّی بالعز فالعطوفة ماخوذة من الاشتمال علی الشیء
کان المتعطف علی احد ضمه الی نفسه والوجه فی کون العطوفة من صفات
الکمال والقطیعة من صفات النقص ان الوجود للشیء کلما اکمل واقوی
کان اکثر آثاراً واتباعاً واکثر جمعاً للحقایق وکلما کان انقص واضعف کان
اقل آثاراً واشد قبولاً للتفرقة والقطع من الغیر الا تری ان المعانی والجواهر
العقلیة والنفسیة اکثر افراداً واشد احاطة بصور المعلومات وان
الاجسام وصورها والقوی المغمورة فیها بخلاف ذلک فان کلاً منها یختص
بحیز خاص ووضع خاص لا یجامع بغیره وکل جزء من الجسم مقطوع الهویة عن
غیره فالعطوفة من صفات العقل والقطیعة من الجسم وما تعلق به وهی
مناط الجهل کما اشرنا الیه سابقاً قوله علیه السلم والقنوع وضده الحرص من
صفات العاقل الحکیم القناعة فی الاکل واللباس وسایر ما یحتاج الیه من
امور الدنیا بالقلیل الیسیر ومن صفات الجاهل الاحمق الشره والاکثار
من الطعام والشراب وسایر المستلذات وفی الحدیث عن رسول الله
صلی الله علیه وآله المؤمن یاکل فی معاء واحد والمنافق یاکل فی سبعة
امعاء ای یاکل سبعة اضعاف المؤمن او یکون شهوته سبعة امثال شهوة

المؤمن ويكون المعا وكناية عن الشهوة وهي التي تجذب الطعام وتطلبه كما
يأخذ المعا ويجذب وعن عيسى عليه السلم اجيعوا اكبادكم واعروا اجسادكم
لعل قلوبكم ترى الله عز وجل وفي التورية مكتوب ان الله ليبغض الحبر السمين
لان السمن يدل على الغفلة والجهل قوله عليه السلم والمواساة وضده المنع من صفات
اهل الهوى والشر المنع والبخل واصلها الهمزة فقلبت واوا للتخفيف ومنه
خبر الحديبية ان المشركين واسونا الصلح جاء على التخفيف وقد تجيء على
الاصل فيقال فلان آسا بنفسه وماله ومنه ما روي عن امير المؤمنين عليه السلم
انه قال آس بينهم في اللحظة والنظرة اي وليكن التفاتك ونظرك الى الجميع
على السواء قوله عليه السلم المودة وضده العداوة المودة من الود وهو
المحبة يقال وددت الرجل اوده ودا وودادا اذا احببته والود
يجيء بحركات الواو الثلث والود بالكسر الصديق والوديد وهو بمعنى الفاعل
ومن اسماء الله تعالى الودود وهو فعول بمعنى المفعول فهو مودود
اي محبوب في قلوب اوليائه او هو فعول بمعنى الفاعل اي انه يحب
عباده الصالحين فمن جملة نعوت الكاملين وصفات اهل العقل واليقين
التودد والتألف والموافقة مع الاخوان والترحم على الضعفاء والاطلاق
قال الله تعالى في صفة اصحاب الرسول صلى الله عليه وآله اشداء
على الكفار رحماء بينهم وقال سبحانه لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت
بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم وسر هذا التودد والتألف بين المؤمنين
واهل المعرفة هو الايتلاف الذي كان بين ارواحهم وعقولهم وعالم القدس

ومعدن

ومعدن المعرفة على ما ورد في الخبر المشهور فما تعارف منها ائتلف
وما تناكر منها اختلف قال تعالى فاصبحتم بنعمته اخوانا وعنه صلى الله عليه وآله
المؤمن الف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وقوله صلى الله عليه
وآله مثل المؤمنين اذا التقيا مثل اليدين تغسل احديهما الاخرى وكذلك من
صفات اهل الجهل والكفر العداوة والبغضاء والقطيعة والتفرقة لانها من
لوازم التعلق بالدنيا والمتغيرات قوله عليه السلم والوفاء وضده الغدر
يقال وفى الشيء وفيا على فعول تم وكثر والوفي الوافي واوفاه اتمه ايفاء
واوفاه حقه ووفاه اي اعطاه تاما واستوفاه وتوفاه اي اخذه كله
والوفاء ضد الغدر وقد وفى بعهده واوفى به وفاء وهو وفي والغدر ترك
الوفاء وغدر به فهو غادر وغدرت الليلة اي اظلمت وفي الحديث من
صلى العشاء في جماعة في الليلة المغدرة فقد اوجب والمغدرة الشديدة
الظلمة التي تغدر الناس في بيوتهم اي تتركهم والغدراء الظلمة وعن ابي عبد الله
عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله يجيء كل غادر يوم القيمة بامام
مائل شدقه حتى يدخل النار قوله عليه السلم والطاعة وضده المعصية اطاعه
يطيعه فهو مطيع وطاع له يطوع فهو طائع اي اذعن وانقاد والاسم الطاعة
وفي الحديث لا طاعة في معصية الله يريد طاعة ولاة الامر اذا امروا بما فيه
معصية والمعصية والعصيان ضد الطاعة وهو التمرد والامتناع ولا شك ان
من صفات العقل واتيان الطاعة والعبودية والانقياد لله ولرسوله بفعل الحسنات
وجلب المثوبات ومن صفات الجهل والكفر العصيان والتمرد والاستكبار

164

وطاعة الهوى وخدمة الشّهوات وفعل السّيّئات قوله عليه السّلم والخضوع
وضدّه التّطاول الخضوع الانقياد والطّاعة وجاء متعدّيا ولازما والخشوع
مثله في المعنى وقد يجيء بمعنى الخشية كما روي في حديث عن جابر انّه عليه السّلم اقبل
علينا فقال ايّكم يحبّ ان يعرض الله عنه قال فخشينا اي خشينا وخضعنا وقيل
الخشوع في الصّوت والبصر كالخضوع في البدن في قوله تعالى وخشعت الاصوات
للرحمن فلا تسمع الّا همسا وقوله خشعت ابصارهم يقال طال عليه واستطال
وتطاول اذا علاه وترفّع عليه واستحقره ومنه الحديث اربى الرّبا الاستطالة
في عرض النّاس اي استحقارهم والتّرفّع عليهم والوقيعة فيهم ثمّ لا يخفى انّ الفرق
متحقّق بين الخضوع والمذلّة والتّواضع والضّعة قال الله تعالى فلا تخضعن بالقول
فيطمع الّذي في قلبه مرض والحديث عنه صلى الله عليه وآله التّحقيق انّ الانسان
له جهتان جهة نسبته الى نفسه وجهة نسبته الى ربّه فيجب عليه رعاية الحقّين
وملاحظة الجانبين جانب العبوديّة وجانب الرّبوبيّة امّا رعاية جانب العبوديّة
فبتصغير النّفس والخضوع والعبوديّة والسّجود لله والانقياد لاوامره ورسالة
والتّواضع لخلقه وعباده حرمة للتّوحيد وقبول الحقّ والنّصيحة من كلّ احد وامّا رعاية
جانب الرّبوبيّة والنّسبة الى الرّبّ تعالى فبرفع الهمّة وعلوّ القصد وطلب
الجاه الرّفيع والمنزلة عنده تعالى بالاحاطة بالمعلومات والتّرفّع عن الخسيسات و
التّكبّر على الاغنياء واعلم انّ في هذا المقام سرّا لطيفا ونكتة شريفة يعزّ من تنبّه
لامثاله وهو انّ آخر درجات السّالكين الفناء في الله بالموت الارادي لقوله
صلى الله عليه وآله موتوا قبل ان تموتوا والبقاء به وبالاستغراق في شهود ذاته

الحديث
قال تع
لاوامره

وانّ نجاة

وانّ نجاة العبد وفوزه في الآخرة بان يتواضع لله في نفسه ويعتقد التّعظيم
لربّه وهذا التّواضع والتّعظيم عمل القلب وآلته الجوارح والاعضاء وهي انّما
استعملت لتطهير القلب وتزكية السّرّ فانّ القلب اعني اللّطيفة الانسانيّة
خلقه الله خلقة يتأثّر عن البدن والجوارح بالمواظبة على الاعمال كما خلقت
الجوارح متأثّرة بمعتقدات القلب ونيّاته ولمّا كان المقصود من وجود الانسان
كما اشرنا اليه ان يتواضع في نفسه بقلبه وبدنه وسرّه وعلنه بان يعرف قدر نفسه
بحسب رتبة الوجود والفقر والامكان والحاجة والنّقصان ليعرف جلال الله
وعلوّه وعظمته ووجوب وجوده وغناه عمّا سواه وكان من اعظم الشّواهد
على خسّته الموجبة لخضوعه وتواضعه انّه مخلوق من التّراب وهو اصله فكلّف
ان يضع على التّراب الّذي هو اذلّ الاشياء وجهه الّذي هو اعزّ الاعضاء
ليستشعر قلبه التّواضع بوضع الجبهة مماسّة للارض فيكون متواضعا في جسمه
صورة شخصه بغاية الوجه الممكن فيه وهو معانقة التّراب الخسيس الوضيع
بالعضو الشّريف العزيز ويكون العقل متواضعا لربّه بما يليق به وهو معرفة
الضّعة وسقوط الرّتبة والفقر والعجز والقصور وكذلك التّعظيم لله وطلب
الفرار عن النّفس والمهاجرة اليه والتّقرّب الى من عنده والانخراط في سلك
مجاوريه وظيفة القلب وفيه نجاته وذلك ايضا ينبغي ان يشترك فيه الجوارح
بالقدر الّذي يمكن ان تتحمّل الجوارح ولا يؤدّي الى مفسدة فتعظيم القلب لله بطريق
اكتساب المعرفة والعلم والتّخلّق باخلاق الله والطّهارة عن رذائل الصّفات
وامّا تعظيم الجوارح لله فبتطهيرها عن الاخباث وتنظيفها والتّجمّل ولبس الزّينة

الضّعة
يشترك

والتختم والطيب والاشارة الى جانب العلوى الذى هو اعلى الجهات ورفع
الايدى بالدعاء الى جانب السماء وطلب المقاصد والمآرب من رب الاعلى
فالانسان ينبغى ان يراعى الحقين ولا يميل احدا الى شيئين بالاعتدال فالكشف
عن حقيقة التواضع انه رعاية للاعتدال بين الكبر والضعة فالكبر رفع الانسان والضعة صح
نفسه فوق قدره بالاستطالة والتفوق على الاقران وهو من الامراض المهلكة
وضع الانسان نفسه مكانا يزرى به ويفضى الى تضييع حقه بالمذلة والهوان قوله
عليه السلم والسلامة وضده البلاء ان من صفات العقل وجنوده السلامة
من الآلام الباطنية والامراض النفسانية والآراء الفاسدة والاعتقادات
الباطلة التى هى نيرانات مشتعلة محرقات للقلوب والجلود ومعذبات
للنفوس والابدان ومن صفات الجهل وجنوده الابتلاء بهذه البليات والآفات
من الحسد والكبر والعداوة والنفاق والبخل وغيرها فالعاقل المؤمن فى عافية
وسلامة من نفسه والخلق منه فى سلامة وراحة امان وهو معهم فى تودد وعطوفة
واحسان شاكرا لنعم الله عليه راضيا بما قسم الله له لا يضمر فى نفسه لاحد عداوة
ودغلا والجاهل المنافق على ضد ما ذكر اجمع فلا الخلق منه فى سلامة وراحة ولا هو
من نفسه فى سعة وامان عذبه الله تعالى فى الدنيا والآخرة كما اشار اليه بقوله
وان جهنم لمحيطة بالكافرين قوله عليه السلم والحب وضده البغض ومن صفات
العقل والايمان المحبة وهى من لوازم الكمال والخيرية فكلما هو اتم وجودا واقوى
شرفا وخيرية فهو اعظم محبة واجل ابتهاجا بذاته وبما يلزم ذاته ومن صفات الجهل
واهله والظلمة واهلها النفرة والبغضة والتوحش وضيق الصدر قال الله
تعالى

تعالى فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه اثبت المحبة له لعباده واثبت
لعباده بالنسبة اليه ومن المتكلمين كالزمخشرى وغيره من ينكر الامرين جميعا
محبة الله لعباده ومحبة عباده اياه مع ان كلتا المودتين ثابتة بطريق الاستبصار
والاعتبار وبطريق التمسك بالآيات والاخبار اما طريق الاستبصار فى اثبات
محبة العباد اياه تعالى فهو انه من انكر حقيقة الحب لله تعالى فلا بد ان ينكر حقيقة تعالى ام
الشوق اليه تعالى اذ لا يتصور الشوق بدونها فاذا ثبت الشوق اليه تعالى ثبت
المحبة له ونحن نثبت وجود الشوق اليه تعالى عقلا ونقلا اما العقل فبيانه ان
الشوق انما يتعلق بشئ ادرك من وجه ولم يدرك من وجه فما لا يدرك اصلا لا يشتاق
اليه وما ادرك بكماله فلا يشتاق اليه ايضا ففى كل مشتاق جهتان ونحن نوضح
ذلك بمثال فمن غاب عنه معشوقه بقى فى قلبه خياله فيشتاق الى استكمال
خياله بالرؤية فلو انمحى عن القلب ذكره وخياله ومعرفته لم يتصور ان يشتاق
ولو رآه وحصل له لم يتصور ان يشتاق اليه فى وقت الرؤية الا ان يراه
من وجه دون وجه كما يرى وجهه دون شعره او يراه فى ظلمة فيشتاق الى استكمال
رؤيته باشراق الضوء عليه والوجهان جميعا يتصوران فى حق الله تعالى بل هما
لازمان لكل العارفين فان ما اتضح للعارف من الامور الالهية وان كان
فى غاية الوضوح فكانه من وراء ستر رقيق وكذلك ينضاف اليها شواغل
الدنيا فانما كمال الوضوح بالمشاهدة وتمام اشراق التجلى لا يكون الا بالآخرة
فذلك يوجب الشوق ولذلك لا بد للعارف الولى ان يتمنى الموت عن هذه
النشأة ليرتفع الحجاب كما قال تعالى يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله

165 فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فهذا احد نوعي الشوق وهو استكمال الوضوح
فيما اتضح اتضاحاً والثاني ان الامور الالهية لا نهاية لها وانما ينكشف لكل عارف
بعضها ويبقى امور لا نهاية لها غامضة والعارف يعلم وجودها بالبرهان ويعلم انه
تعالى فوق ما يتناهى بل وراء ما لا يتناهى بما لا يتناهى فلا يزال متشوقاً الى ان
يحصل له ما لم يحصل وان يتضح له ما لم يتضح والشوق الاول ينتهي في الدار
الآخرة بالمعنى الذي سمي رؤية قلبية ولقاء ومشاهدة ولا يتصور ان يسكن
في الدنيا ولهذا قال امير المؤمنين عليه السلام وهو اكمل العارفين بعد رسول الله
صلى الله عليه وآله لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً ولم يبق وضوحاً
وانكشافاً واما الشوق الثاني فيشبه ان لا نهاية له لا في الدنيا ولا في الآخرة
فلا يزال النعيم واللذة متواصلة متزايدة الى غير النهاية واليه الاشارة
بقوله تعالى حكاية عن اهل السعادة نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون
ربنا اتمم لنا نورنا واما شواهد الاخبار والآثار فيها فاكثر من ان تحصى منها
ما ورد من قوله صلى الله عليه وآله من احب لقاء الله احب الله لقائه
الحديث ومنها ما في الحديث القدسي اذا طال شوق الابرار الى لقائي فانا
اشد شوقاً الى لقائهم وفي اخبار داود عليه السلام ان الله تعالى قال يا داود
ابلغ اهل ارضي اني اجبت لمن احبني ومونس لمن انس بي ومن طلبني بالحق حبيب ظ
وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فارفضوا يا اهل الارض ما انتم عليه من غرورها
وهلموا الى كرامتي ومصاحبتي فاني خلقت طينة احبائي من طينة ابراهيم خليلي وموسى
ويحيى ومحمد صفيي اني خلقت طينة المشتاقين من نوري ونعمتها بجلالي واما بيان
محبة الله

محبة الله لعباده ومعناها بالاستبصار فهو انه قد ثبت بالبرهان ان اجل
مبتهج بذاته هو الحق تعالى لان الابتهاج او المحبة او العشق او الفرح او لفظ آخر
يفيد هذا المعنى ورد به الاذن الشرعي في تسميته تعالى ام لا عبارة عن ادراك
امر هو خير مؤثر عند المدرك فكلما كان المدرك بالفتح اعظم خيرية والمدرك بالكسر
اجل رفعة وقوة والادراك له اشد مرتبة كان الابتهاج او العشق او ما يجري
مجراهما اشد فذاته تعالى مبتهج ومبتهج به وابتهاج وهكذا الحال في كون ذاته
تعالى عالماً ومعلوماً وعلماً والكل في حقه واحد كما حقق في مقامه ولهذا قيل
اجل مبتهج بذاته هو الحق الاول لانه اشد ادراكاً واعظم مدركاً لاجل مدرك
له البهاء الاعظم والجلال الارفع وهو الخير المحض والنور الصرف واذا ثبت
كونه تعالى محباً لذاته فنقول كل من احب شيئاً يحب جميع صفاته وافعاله
من حيث افعاله وليس في الوجود غير ذاته وصفاته وافعاله وآثاره وجميع من في العالم
صنعه وابداعه فالله سبحانه يحب ان يحبه ويريده من حيث انه فعله وصنعه
وهذه المحبة في الحقيقة راجعة ايضاً الى محبة ذاته كمن احب دار معشوقه او كتابه
او تصنيفه فليس يحب في الحقيقة الا ذلك المعشوق وانما محبة آثاره محبة بالعرض
وعلى سبيل التبعية ولذلك قال ابو سعيد المهني لما قرئ عليه قوله تعالى يحبهم
ويحبونه قال بحق يحبهم ويحبونه فانه ليس يحب الا نفسه اذا ثبت هذا
فنقول الاشياء متفاوتة في رتبة الوجود ومنازل القرب منه وكلما كان
المخلوق اعلى درجة واشرف رتبة واقرب منزلة منه تعالى فهو احب عنده
واما شواهد النقل والاخبار في محبة الله لاوليائه وعباده الصالحين فهي متكاثرة

متظاهرة في هذا الباب منها ما ورد في القرآن ان الله يحب عبده كقوله
تعالى يحبهم ويحبونه كما مر وقوله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقوله
ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وقوله قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ومنها الحديث المشهور المستفيض من
الجمهور لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احببته ومنها من احب لقاء
الله احب لقائه ومنها اذا طال شوق الابرار الى لقائي فاني اشد شوقا
الى لقائهم كما سبق لكن يجب ان يعلم انه لا يجوز نسبة الشوق اليه تعالى
لانه كما علمت يستلزم النقصان وهو ممتنع في حقه تعالى فالمراد من لفظ الشوق
في حقه اصل المحبة اما على صنعة التجوز لان مفهومها كما علمت جزء مفهوم الشوق
واما على صنعة المشاكلة واما سر كون المحبة من لوازم العقل وجنوده والعداوة
من لوازم الجهل وجنوده ان العقل من شأنه الاحاطة بكل شيء والاتحاد به
وحضور كل شيء عنده ولان حقيقته النور والنور يلزمه الافاضة على غيره
والاشراق والعطوفة والرحمة والجهل بخلافه لان من لوازمه الوحشة والظلمة
والعداوة والبغضاء اذ قد علمت ان هويته هذا الجهل مما تركب فيه العدم
والظلمات وفي كلمات امير المؤمنين عليه السلم الجاهل عدو لنفسه فكيف يكون
صديقا لغيره قوله عليه السلم والشهامة وضده البلادة والفهم وضده الغباوة
الشهامة ذكاء الفهم وانارته والبلادة ضدها وهو جمود الفهم وجموده وتبلد
اي تكلف البلادة او تردد متحيرا والفهم هو العلم فهمته اي علمته والغباوة عدم
الفهم وكون الاولين من توابع العقل والاخيرين من لوازم الجهل جلي لا يحتاج الى

بيان

والصدق

بيان قوله عليه السلم والصدق وضده الكذب الصدق هو مطابقة الكلام اي الخبر للواقع
او للضمير او مطابقة الاعتقاد للواقع وقوله تعالى والله يشهد ان
المنافقين لكاذبون يدل بظاهره على الثاني دون الباقيين ويمكن دفعه
بان التكذيب متوجه لما ادعوه من الاخبار عن الضمير فالضمير ههنا يقوم مقام
الخارج والصادق قد يوصف به القول وقد يوصف به القائل والصديق
فعيل للمبالغة في الصدق او في التصديق والكذب مقابله في جميع معانيه
تقابل العدم والملكة لانه عدم الصدق لما من شانه الصدق وقد اشرنا
الى صحة اطلاق الضد على هذا العدم باصطلاح اهل الميزان واعلم ان المراد
من هذه الاوصاف المعدودة من جنود العقل وكذا مقابلاتها المعدودة
من جنود الجهل انما يكون مباديها الراسخة وملكاتها الثابتة في النفس دون
اثارها التي هي من الافاعيل والاعمال فالصادق او الصديق في الحقيقة من
في ضميره ملكة الصدق في الاقوال والاعتقادات وان لم يقل قولا ولم يخطر
باله صورة اعتقاد وكذا قياس الكاذب والكذوب ولهذا قيل الكذوب
قد يصدق فملكة الصدق في الاقوال والآراء والاحوال من نعوت العقل
قال سبحانه رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال بعض العرفاء اذا طلبت
الله تعالى بالصدق افادك مرآة بيدك حتى تبصر كل شيء من عجائب الدنيا
والآخرة وملكة الكذب فيها من صفات الجهل وعن رسول الله صلى الله
عليه وآله ان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق
حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار

وانّ الرّجل ليكذب حتّى يكتب عند الله كذّابا وفيه اشارة الى ما ذكرناه مرارا
من انّ العمدة في باب صفات الخير والشّرّ هي الملكات الرّاسخة التي هي
صور الباطن وكفى في فضيلة الصّدق انّ الصّدّيق مشتقّ منه والله وصف
الانبياء عليهم السّلم به فقال واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صدّيقا نبيّا
واذكر في الكتاب ادريس انه كان صدّيقا نبيّا قوله عليه السّلم والحقّ وضدّه
الباطل الحقّ قد يفهم منه الوجود في الاعيان مطلق ويفهم منه حال القول او العقد
الذي يدلّ على حال الشّئ الخارج كالوجود وغيره من الاحوال اذا كان مطابقا
له فيقال هذا قول حقّ وهذا اعتقاد حقّ وهذا المعنى من الحقّ موافق للصّدق فهو نسبة
صادق باعتبار نسبته الى الامر نفسه وحقّ باعتبار نسبته الامر اليه واحقّ
الاقاويل ان يكون حقّا ما كان صدقه دائما واحقّ ذلك ما كان صدقه ضروريّا
او اوّليّا ليس بعلّة كقولنا النفي والاثبات لا يجتمعان وهو اوّل الاوايل
ومبداء جميع الاقاويل الصّادقة الذي ينتهي اليه كلّها عند التّحليل وامّا الحقّ
بالمعنى الاوّل فاحقّ الموجودات بالوجود هو الذي يكون وجوده دائما واحقّ
ذلك ان يكون مع دوامه واجبا لذاته لا بسبب وهو السّبب لوجود غيره
وهو مسبّب الاسباب من غير سبب وما هو الّا الحقّ تعالى والباطل
يقابل الحقّ في كلا المعنيين فكلّ ما سوى الواجب تعالى باطل في نفسه فاذا
عرفت هذه المعاني فاعلم انّ العقل احقّ الاشياء بعد الاوّل تعالى بان
يكون حقّا لما عرفت انّ كلّما وجوده اثبت واتمّ فهو اولى ان يكون حقّا و
العقل باق ببقاء الله دايم بدوامه فذاته حقّ بالمعنى الاوّل وقوله حقّ بالمعنى الثاني

وامّا الجهل المضادّ له فذاته باطل بالمعنى الاوّل كما قرّرناه فيما سلف وقوله
باطل بالمعنى الثاني قوله عليه السّلم الامانة وضدّه الخيانة الامانة والامن والامان
بمعنى وقد امنت فانا آمن وامنت غيري من الامن والامان وامنته على كذا
وائتمنته اذا اتّخذته امينا واطلاقها على المجعول امانة على سبيل المبالغة
ومن اسماء الله تعالى الامين وقوله تعالى انّا عرضنا الامانة على السّموات
الآية قال اهل الاشارة المراد بها الوجود الفايض من الله على الموجودات
كلّها وما سوى الانسان سيّما الكامل الذي هو العقل لم يحمل الامانة من حيث
انّها امانة وهو ان يردّها الى اهلها اذ لم يقبل الوجود الّا على وجه يغني عنه وزوال
متحوّلا اليه تعالى وراجعا منه اليه وهو باق ببقاء الله هالك عن نفسه وغير
الكامل من الانسان ايضا ينتقل من هذه النّشأة الى نشأة ثانية فهذا
الوجود عارية عنده مردودة الى غيره وامّا ساير الموجودات فليس الامر فيها
كذلك لانّها لا تخلو امّا باقية الذّوات او فاسدها امّا القسم الاوّل فما دام
بقاؤه كان كلّ له مقام معلوم من غير تبدّل وامّا القسم الثاني فاذا فسدت
ذاته بالكلّيّة من غير ان يبقى عند اداء الامانة الى اهلها فتأمّل فانّه من غوامض
العلم فاذن العقل امين لانّه يعلم ان لا حول ولا قوّة الّا بالله العليّ العظيم والجهل
خائن لانّه يزعم انّ الحول حوله والقوّة قوّته قوله عليه السّلم والاخلاص وضدّه الشّوب
قال الله سبحانه وما امروا الّا ليعبدوا الله مخلصين له الدّين وقال الا لله
الدّين الخالص وقال الّا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم
لله وقال فمن كان يرجوا لقاء ربّه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربّه احدا

والمراد من الامانة هاهنا
كون الشيء امينا ومن الخيانة
كون الشيء خائنا وامنت من الايمان
وهو التصديق لا تزيد [illegible]
[illegible] في [illegible] الايمان
[illegible] امانة له

وامّا بيان حقيقة الاخلاص فاعلم انّ الخالص من كلّ شئ ما لا يمتزج بغيره ولا يشوبه ١٦٨
ما يخالفه ويضادّه فالخالص من الذهب ما لا يشوبه الحديد والنحاس او غيرهما
والخالص من اللبن هو ما صفى ولا يخالطه فرث او دم او غيرهما قال سبحانه
من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين والاخلاص يضادّه الاشراك
المعبّر عنه ههنا بالشوب الا انّ للشرك والشوب درجات والشرك منه
خفيّ ومنه جليّ وكذلك الاخلاص وهما اعني الاخلاص والشرك يتواردان على
القلب ومحلّه القلب والاخلاص والتشريك قد يكونان في الالهيّة والتوحيد
اي في المبداء تعالى من حيث كونه مبداء خالقا للاشياء فالموحّد يضادّه
المشرك كالثنوي والمجوس وغيرهما والتشريك في العبادة اي في
كونه معبوداً بهوا الرياء وما يجري مجراها من حظوظ النفس فمن يصلّي النوافل
ليقال انه عابد وتعظم قدره عند الناس او يصوم لينتفع بالاحتماء عن الطعام
او يحجّ للتجارة او يغزو طلباً للاشتهار بالشجاعة او يكتب مصحفا ليجود بالمواظبة
خطّه او يتوضّأ للتنظيف او التبريد او يعود المرضى ويشيّع الجنائز ليعرف
بالخير ويذكر بالصلاح وينظر اليه بعين التوقير والتعظيم وكذلك امثال هذه الامور
فان كان باعثه هو التقرّب الى الله تعالى ولكن انضاف اليه هذه الخطرات
فقد خرج عمله من حدّ الاخلاص ولم يكن خالصا لوجه الله وتطرّق الشرك اليه
وبالجملة كلّ عمل تطرّق اليه حظّ من حظوظ الدنيا تستريح اليه النفس والهوى
قليلا كان او كثيرا فقد خرج عن الخلوص وتكدّر بالمشوب واكثر الناس
لكونه منغمسا بالشهوات منهمكا بحظوظ النفس قلّ ما ينفكّ فعل من

افعاله

(هامش: اويغزو طلباً — صح)
(هامش: فعل — صح)

افعاله وعبادة من عباداته عن غرض نفساني ولهذا قيل من سلم له في عمره
خطرة واحدة خالصة لوجه الله نجى وذلك لعزّة الاخلاص وعسرة تنقية
القلب عن هذه الشوائب بل الخالص هو الذي لا باعث له الا طلب القرب
منه تعالى وهذه الحظوظ ان كانت هي الباعثة فقط فلا يخفى شدّة الامر على
صاحبه وانّما كلامنا فيما اذا كان القصد الاصلي هو التقرّب وانضاف اليه
شئ من هذه الامور ثمّ مراتب الشوب بالحظوظ متفاوتة بعضها
في رتبة المشاركة وبعضها في رتبة المعاونة وكلّ من المشاركة والمعاونة
ايضا مختلفة في القوّة والضعف والقلّة والكثرة وانّما الخالص ما تجرّد البتّة
فيه لقصد التقرّب اليه تعالى عن هذه الشوائب كلّها وهذا لا يتصوّر الا
من عارف محبّ لله مستغرق الهمّ بالآخرة قال بعض العرفاء انّ
الاخلاص عند علمائنا اخلاصان اخلاص العمل واخلاص طلب الاجر امّا
اخلاص العمل لله فهو ارادة التقرّب الى الله تعالى وتعظيم امره واجابة
دعوته والباعث عليه الاعتقاد الصحيح وضدّ هذا الاخلاص النفاق وهو التقرّب
الى من دون الله اذ النفاق هو الاعتقاد الفاسد الذي للمنافق في الله
تعالى وليس هو من قبيل الارادة والنيّة وامّا الاخلاص في طلب الاجر
فهو ارادة نفع الآخرة بعمل الآخرة انتهى كلامه اقول مراده من الاوّل ان
يكون منشاء العمل هو الاعتقاد الصحيح ومعبوده الاله الحقّ وضدّه النفاق
وهو ان يكون منشاء العمل هو الاعتقاد الفاسد ومعبوده غير ما هو
المعبود بالحقّ ممّا يظنّ الهاً كما في قوله افرأيت من اتّخذ الهه هواه ومن ثمّ

(هامش: البتّة — قال — صح)

ان يكون عمل من يريد نفع الآخرة عملاً اخروياً لا عملاً دنيوياً ومعنى العمل الاخروي ان لا يكون فيه حظ نفساني او لذة جسمانية او راحة بدنية والعمل الدنيوي ما يكون فيه شيء من هذه الامور والدنيا والآخرة حالتان للنفس متخالفتان فكل ما فيه حظ النفس فهو من الدنيا من هذه الجهة وان كان صلوة وصوماً وكلما فيه خلاف النفس فهو من الآخرة وان كان اكلاً ونكاحاً فلا ينفع شيء من الدنيا في نيل الآخرة كما لا ينفع شيء من الآخرة في نيل الدنيا كفتان ولكفتي الميزان رجحان كل منهما خسران الاخرى فان قلت فما حكم العمل المشوب في استحقاق الثواب او العقاب او لا استحقاق فيما قلنا ان العمل اذا لم يكن خالصاً لوجه الله بل امتزج به شوب من الرياء او حظوظ النفس فقد اختلف اهل العلم في ان ذلك هل يقتضي ثواباً او يقتضي عقاباً او لا يقتضي شيئاً فلا يكون له ولا عليه اما الذي لم يرد به الا الرياء فهو عليه قطعاً وبه يستحق المقت والعقاب جزماً واما الخالص لوجه الله بلا شوب فهو له قطعاً وبه يستحق الثواب فبقي النظر في المغشوش المشوب فالذي دلت عليه الاخبار انه باطل لا ثواب له ولا يخلو الاخبار عن تعارض فيه والذي ينقدح لنا فيه بنور الاستبصار وتتبع الآثار موافقاً لما رآه بعض العلماء والعلم عند الله ان ينظر الى قوة الباعث وضعفه فان كان الباعث الديني مساوياً للباعث النفسي تقاوما وتساقطا وصار العمل كأن لم يكن فلا له ولا عليه وليس هذا معنى الاحباط الذي يراه المعتزلة لان كلامهم

في الجزاء

في الجزاء وكلامنا في اصل العمل وما يقتضيه القصد ويستحقه النية وان كان باعث الرياء اغلب فليس بنافع اصلا بل هو مع ذلك مضر ومقتض للعقاب بحسب تلك الزيادة لكن يكون عقابه اخف من عقاب العمل الذي يجرد الرياء وان كان باعث الدين وقصد التقرب اغلب بالقياس الى الباعث الآخر فله الثواب بقدر ما فضل من قوته على قوة باعث النفس وهذا القول لقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ولقوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة فلا ينبغي ان يضيع قصد الخير وكشف الغطاء عن هذا ان الاعمال مما لها تاثير في القلوب كما مر وتاثيرها في القلوب بتاكيد صفاتها فداعية الرياء من المهلكات وانما قوة المهلك وقوته وغذاؤه بالفعل المناسب له والعمل على وفقه وداعية الخير من المنجيات وانما قوة المنجي وقوته وغذاؤه بالعمل على وفقه واذا اجتمعت الصفتان فهما متضادتان فاذا عمل على وفق الرياء فقد قويت تلك الصفة واذا عمل على وفق مقتضى التقرب فقد قويت هذه الصفة واحدهما مهلك والآخر منجي فان كان تقوية احدهما بقدر تقوية الآخر وكان كالمستضر بالحرارة اذا تناول من المسخنات ما يضره ثم تناول من المبردات ما يقاوم قدر قوته فيكون بعد تناولهما كانه لم يتناولهما وان كان احدهما غالبا لم يخل الغالب عن اثر فحكم الاعمال تاثيراً في القلب كحكم الاغذية والادوية تاثيراً في البدن بكذا جرت سنة الله فلا يضيع مثقال ذرة من الخير والشر ولا ينفك عن تاثير في القلب بتنويره او تسويده وتقريبه من الله وتبعيده فاذا جاء بما قربه شبراً مثلاً وكان ممتزجاً

لم يخلو

١٧٠
بما يبعّده شبراً فقد عاد الى ما كان فلم يكن لا له ولا عليه وان كان الفعل
مما يقرّبه شبرين والآخر يبعّده شبراً واحداً فله لا محالة فضل شبر قال
تعالى انّ الحسنات يذهبن السيّئات وفي الحديث من اتبع السيّئة
الحسنة تمحها واذا كان الرياء يمحوه الاخلاص المحض عقيبه فاذا اجتمعا جميعا
فلا بدّ ان يتدافعا بالضرورة ويشهد لهذا اجماع الامّة على انّ من خرج
حاجّاً ومعه تجارة صحّ حجّه واثيب عليه وقد امتزج به حظّ من حظوظ
النفس وربّما يقال انّما يثاب على اعمال الحجّ عند انتهائه الى مكّة وتجارته
غير موقوفة عليه فهو خالص وانّما المشترك قطع المسافة ولا ثواب فيه
مهما قصد تجارة ولكن الصواب ان يقال مهما كان قصد الحجّ هو المحرّك
الاصلي وكان غرض التجارة كالتابع والمعين فلا ينفكّ نفس السفر من ثواب
وكذا الغزاة وان وجدوا في نفوسهم تفرقة بين غزو الكفار في جهة تكثر فيها الغنائم
وبين جهة لا غنيمة فيها لكن يبعد ان يقال وجدان هذه التفرقة يحبط بالكلّية ثواب
جهادهم بل الحقّ ان يقال اذا كان الباعث الاصلي والمزعج القوي اعلاء كلمة
الله تعالى وانّما الرغبة في الغنيمة على سبيل التبعية فلا يحبط به الثواب نعم
لا يساوي ثوابه ثواب من لا يلتفت قلبه الى غنيمة اصلا فانّ هذا الالتفات
نقصان لا محالة فان قلت الآيات والاخبار تدلّ على انّ شوب الرياء
محبط للثواب كقوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك
بعبادة ربّه احدا وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله يقال لمن اشرك
في عمله خذ اجرك ممّن عملت له وعن ابي عبد الله عليه السلم انه قال لعبّاد
بن كثير

بن كثير البصري في المسجد ويلك يا عبّاد ايّاك والرياء فانّه من عمل لغير الله
وكله الله الى من عمل له وعنه عليه السلم يقول الله انا خير شريك من اشرك
معي غيري في عمل لم اقبله الّا ما كان لي خالصا وعنه عليه السلم قال قال امير المؤمنين
عليه السلم اعملوا في غير رياء ولا سمعة فانّه من عمل لغير الله وكله الى عمله
قلنا هذه الاحاديث لا تناقض ما ذكرناه بل المراد بها من لم يرد بعمله الّا الدنيا
او كان ذلك هو الاغلب وقد ذكرنا انّ ذلك باطل بل عصيان وعدوان
لا لانّ طلب الدنيا حرام ولكن طلبه باعمال الدين حرام لما فيه من الرياء
وتغيير العبادة عن وضعها فامّا لفظ الشركة حيث ورد فمطلقة للتساوي وقد
بيّنا انّه اذا تساوى القصدان تقاوما ولم يكن له ولا عليه ولا ينبغي ان يرجى
عليه ثواب وبعيد ان يقال لا ثواب على غزو يكون معه رغبة الى الغنيمة
ونعوذ بالله ان يكون الامر كذلك فانّ هذا حرج في الدين ومدخل لليأس
على المسلمين لانّ امثال هذه الشوائب التابعة لا ينفكّ الانسان
عنها الّا على الندور فيكون تأثيرها في نقصان الاعمال لا في ابطالها واحباطها
نعم الانسان على خطر عظيم لانّه ربّما يظنّ انّ الباعث الاقوى هو قصد
التقرّب وكان الاغلب على سرّه الحظّ النفسي وذلك امر خفي غاية
الخفاء ولهذا ورد في الخبر عنه صلى الله عليه وآله الشرك في امّتي اخفى من دبيب
النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصمّاء قوله عليه السلم الشهامة
وضدّه البلادة يقال شهم شهامة فهو شهم اي جلد ذكيّ الفؤاد ويقال
قد بلد بالضمّ فهو بليد وتبلّد من متحيّر اي تكلّف البلادة وتبلّد اي تردّد متحيّرا

شهم ج
رجل
تبلّد

والبلد الرجل اذا كانت دابته بليدة وقد سبق ان الشهامة من توابع الاعتدال
في القوة الادراكية وحسنها والبلادة من توابع التفريط فيها فالاول من جنود
العقل وخوادم الملك والثاني من اتباع الجهل واعوان الشيطان قوله عليه السلم
والفهم وضده الغباوة الفهم تصور المعنى من لفظ المتكلم والافهام ايصال المعنى باللفظ
الى ذهن السامع قال الله تعالى لا يكادون يفقهون قولا لان كفار قريش لما كانوا
ارباب الشبهات والشهوات والطبايع الغليظة والقلوب القاسية
فما كانوا يفقهون على ما في كتاب الله من المعاني اللطيفة والمعارف الحقيقية لاجرم
افصح الله على عدم استعدادهم للاطلاع على المقصود الاصلي من انزال ذلك
الكتاب والمراد من الفهم ههنا هو ملكة الاقتدار على فهم المعنى من اللفظ مطلقا او
ومرجعه الى صفاء السر ولطافة الضمير وهو من اجل صفات العقل وضده
الغباوة وهي عدم التفطن للمعنى ومنشاه ظلمة النفس وكثافة الباطن واحتجابه
عن عالم النور ومعدن الحضور فالاول من صفات العقل والنور والثاني
من صفات الجهل والظلمة قوله عليه السلم والمعرفة وضدها الانكار وقد اختلفت
الاقوال في تفسير المعرفة فمنهم من قال انها ادراك الجزئيات والعلم ادراك الكليات
ومنهم من قال انها ادراك البسايط تصورا كان لماهياتها او تصديقا بوجوداتها
والعلم ادراك المركبات سواء كان باعتبار تصور ماهياتها او التصديق باحوالها
ومن ثم يقال عرفت الله ولا يقال علمته ومنهم من قال انها عبارة عن الادراك
التصوري والعلم هو الادراك التصديقي وهولاء جعلوا العرفان اعظم رتبة من العلم
قالوا لان تصديقنا باستناد هذه المحسوسات الى موجود واجب الوجود امر معلوم

بالضرورة

بالضرورة واما تصور حقيقة واجب الوجود فامر فوق الطاقة البشرية لان الشيء
ما لم يعرف لم يطلب ماهيته فعلى هذا الطريق كل عارف عالم من غير عكس ولذلك
فان الرجل لا يسمى عارفا الا اذا توغل في بحار العلوم ومباديها وترقى من
مطالعها الى مقاطعها ومن مباديها الى غاياتها بحسب الطاقة البشرية وقال آخرون
من ادرك شيئا وانحفظ اثره في نفسه ثم ادرك ذلك الشيء ثانيا وعرف ان
هذا ذاك الذي قد ادركه اولا فهو المعرفة وهذا المعنى هو المراد ههنا لان الانكار
لا يصلح ان يكون ضدا الا لمثل هذا المعنى لا المعاني السابقة اذ لا يطلق الا في
الامر الذي من حقه ان يكون مدركا وليس بمدرك واعلم ان من الناس من
يقول بتقدم الارواح الانسانية ومنهم من يقول بتقدمها على الاشباح العنصرية
ويقول انها الذر المستخرج من صلب آدم عليه السلم وانها اقرت بالربوبية
الا انها لظلمة العلاقة البدنية والانغمار في الطبيعة الجسمية نسيت ميثاقها وعهدها
القديم واذا عادت الى نفسها باكتساب العلم والعمل والطاعة والعبادة
والاجتناب عن المعصية والشهوة والتخلص من ظلمة الطبع وهاوية الهوى
ادركت ذاتها بعد ما نسيت وعرفت عالمها ومولاها فلا جرم سمي هذا الادراك
عرفانا واذا غرقت في بحر الشهوات ونامت في مراقد الغفلات وصارت
في الغفلة والجهالة كساير الحيوانات من الدواب والحشرات فسمي هذه
الغفلة والجهالة انكارا هذا ما ذكره قوم والتحقيق في هذا المقام على وجه يطابق
الحق والبرهان ويوافق الدين والقرآن مما يفتقر الى البسط في الكلام ليس ههنا
موضعه وقد بيناه في الاسفار الاربعة وفي الشواهد الربوبية لكن الاشارة

اليه بعد ما تقرر ان في لسان الشريعة الالهية والحكمة العتيقة التعبير عن غوامض
العلوم بالرموز والتمثيلات ان للارواح البشرية من لدن حصولها في علم الله
ومكامن غيبه وصلب قضائه وقدره الى حين بروزها من بطون الملكوت
الى ظهور الشهادة اكوانا متعددة بعضها اعلى من بعض وارفع وانور واشد
جمعية وبساطة واجمالا وبعضها ادنى وانزل واقل نورا واكثر تفرقة وتفصيلا وتركيبا
وليس ما نسب الى الحكماء الاولين كافلاطن الالهي ومن يحذو حذوه ويسلك سبيله
من السلاك الالهيين ان الارواح قبل الابدان او انها قديمة معناه ان هذه النفوس
البشرية بنحو وجودها الجزئية وهوياتها المتكثرة الشخصية وتعيناتها النفسانية كانت
موجودة قبل الابدان في عالم القدس هيهات هذا مما لا يمكن ان يذهب اليه حكيم
فاضل لما دل عليه قواطع البراهين ثم ان الذي وجوده الوجود العقلي التام المجرد عن
النقايص والشرور والآفات ما الذي سنح له حتى اضطره والجاه الى مفارقة العالم
عالم القدس والنور والطهارة والنزول في مهاوي الجهال والارذال ومعدن الشرور
والظلمات ودار الاموات والجمادات ومعرض الآلام والاحزان والبليات
بل مراد اولئك الحكماء الاساطين من تقدم الارواح على الاشباح تقدم نشأتها
العقلية وطورها القضائية ووجودها العلوي السماوي في مكمن سر الغيب قبل
الشهادة وصلب عالم الامر قبل عالم الخلق فان لها اطوارا كونية ونشآت
وجودية بعضها ما قبل الطبيعة كعالم العناية والاسماء والقضاء والقدر والسماء
وبعضها ما بعد الطبيعة كنشأة القبر والبرزخ والبعث والحشر والعرض والجنة
والنار واليه الاشارة في قول النبي صلى الله عليه وآله كنت نبيا وآدم بين الماء

والطين

والطين وفي قوله تعالى ويراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين تلويح الى
ما ذكر وكذا قوله تعالى وننشئكم فيما لا تعلمون وقوله يا ايها الانسان انك
كادح الى ربك كدحا فملاقيه دال على ان للنفوس البشرية اطوارا واكوانا
لاحقة كما لها اكوان سابقة وقد بينا جميع ذلك بالبراهين والحجج في تواليفنا
واوضحنا دليله وكشفنا عن وجه سبيله وبذلك يندفع التناقض في اقوال
الحكماء وتحصيل التوافق بين كلمات ارباب الشرايع حيث ينقل عن
بعضهم القول بقدم الروح وكونه غير مخلوق ولا واقع تحت ذل الكون
وعن بعضهم القول بحدوثه وكونه مكونا من الجسم مخلوقا من الهواء وعلى
ما حققنا يحمل قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم الآية قوله
عليه السلام والمداراة وضده المكاشفة في الحديث ادرأوا الحدود
بالشبهات اي ادفعوا من درأ يدرأ اذا دفع وفيه ايضا اللهم اني ادرأ
بك في نحورهم اي ادفع بك في نحورهم ليكفيني امرهم وانما خص النحور
لانه اسرع واقوى في الدفع والتمكن من المدفوع ومنه الحديث
اذا تدارأتم في الطريق اي تدافعتم واختلفتم والحديث الآخر كان لا يداري
ولا يماري اي لا يشاغب ولا يخالف وهو مهموز وروي في الحديث
غير مهموز ليزاوج يماري فاما المداراة المستعملة في حسن الخلق والصحبة
وهي المرادة ههنا فغير مهموزة وقد تهمز ومنه الحديث ان رسول الله صلى
الله عليه وآله كان يصلي فجاءت بهيمة تمر من بين يديه فما زال تدارئها اي تدافعها
ويروى بغير همزة من المداراة قال الخطابي وليس منها وكشفت الشيء فانكشف

وتكشف البرق ملأ السماء وكاشفه بالعداوة باداه بها وفي الحديث لو تكاشفتم ماتدافنتم اي لو علم بعضكم سريرة بعض لاستثقل تشييع جنازته ودفنه والاكشف الرجل الذي لا ترس معه كانه منكشف غير مستور اعلم ان من جملة الاحوال السنية والصفات الكريمة لاهل العقل والايمان وارباب الفضل والعرفان المداراة مع الخلق والصبر على اذاهم وخفض الجناح لهم لتخلقهم باخلاق الباري وتشبههم برسول الله صلى الله عليه وآله وقد قال سبحانه في معرض الامتنان على النبي صلى الله عليه وآله فبما رحمة من الله لنت لهم واللين هو المداراة وخفض الجناح الا ترى الى الحق يرزق الكافر على كفره ويمهل له في المواخذة عليه وقال عز وجل لموسى وهرون في حق فرعون وقولا له قولاً ليناً وهذا عين المداراة وكان من اخلاق النبي صلى الله عليه وآله المداراة واحتمال الاذى وبلغ من مداراته صلى الله عليه وآله ما روى انه وجد قتيل من اصحابه من اليهود فلم يحف عليهم ولم يزد على مر الحق بل وداه بمائة ناقة وان باصحابه لحاجة الى بعير واحد يتقوون به وكان من حسن مداراته انه لا يذم طعاما ولا ينهر خادما وروى عن انس انه قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وآله عشر سنين فما قال لي اف قط وما قال لشئ صنعته لم صنعته ولا لشئ تركته لم تركته فالمداراة مع كل احد من الاهل والاولاد والجيران والاصحاب وكافة الخلق من اخلاق الانبياء والاولياء عليهم السلم والصوفية والحكماء رضي الله عنهم وقيل لكل شئ جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر وكما

(في الهامش: فلم يحف بدمه بكرم وداه)

ان المداراة

ان المداراة والصبر من خصايص العقل وكذلك من صفات الكفرة والجهال المكاشفة مع الناس والمجاهرة بما اطلعوا على خفيات امورهم وعيوبهم واظهار زلاتهم وقصوراتهم طلباً للتفوق على الخلق والتفاخر والرعونة وغير ذلك من اغراضهم الخسيسة ودواعيهم الباطلة وهذا من صفات الشياطين والاشرار كما ان الاول من نعوت الملئكة والاخيار قوله عليه السلم وستر العيب وضدها المماكرة لما كان العقل جوهراً نورانياً يتجلى فيه حقايق الاشياء وهو محل معرفة الله ومظهر صفاته تعالى وملكوته فلابد ان يكون كمرآة مجلوة صافية عن الكدورات سالماً عن الغش والعيب مبرّا عن الدغل والمكر والكذب واما النفوس الجاهلة المظلمة الخبيثة فلكونها مدنسة بالشهوات ملطخة بالكدورات مملوة بالعيوب والآفات والامراض فتضطر وتلتجي ابداً في المعاشرة مع الخلق وعند المعاملات والمهمات الى المماكرة والخديعة والكذب والبهتان ولا يتيسر له المصادقة مع الرفقاء والخلان والمصافاة مع الاصحاب والاخوان وبالجملة سلامة الصدر وصفاء الباطن من صفات اهل الكمال وخيانة القلب ودغل السريرة وغش الباطن من عادة الجهلة والاراذل قوله عليه السلم والكتمان وضده الافشاء ان من محاسن اخلاق العاقل الكامل انه يستر عيوب اخوانه المسلمين ويسكت عن افشاء سرهم الذي استودعوه وله ان ينكره وان كان كاذبا فليس الصدق واجباً في كل مقام فانه كما يجوز للرجل ان يخفي عيوب نفسه واسراره وان احتاج الى الكذب فله ان يفعل ذلك في حق اخيه المسلم فانه

نازل منزلة نفسه وهما كشخص واحد فانّ المؤمنين كنفس واحدة ولا اختلاف
بينهم الّا بالبدن وقد قال صلى الله عليه وآله من ستر عورة ستر الله عليه
عليه في الدّنيا والآخرة وفي خبر آخر كانّما احيى موؤدة وعنه صلى الله عليه وآله
انّه قال اذا حدّث الرّجل بحديث ثم التفت فهو امانة وقال المجالس بالامانة
الّا ثلثة مجالس مجلس يسفك فيه دم حرام ومجلس يستحلّ دم حرام ومجلس فيه
مال حرام من غير حلّه وعن عيسى على نبيّنا وآله وعليه السّلم انّما يتجالس المتجالسان
بالامانة لا يحلّ لاحد منهما ان يفشي على صاحبه ما يكره قيل لبعض الادباء كيف حفظك
للسّرّ قال انا قبره وقد قيل صدور الاحرار قبور الاسرار وقيل لاحد كيف تحفظ
للسّرّ فقال اجحد المخبر واحلف للمستخبر وقال آخر استره واستر اني استره
وعبّر عنه بعض الشعراء بقوله ومستودعي سرّا تبوّأت كتمه فاودعته صدري
فصار له قبرا وقال آخر زايدا عليه وما السّرّ في صدري كثاو بقبره لانّي ارى
المقبور ينتظر النّشرا ولكنّني انساه حتّى كانّني بما كان منه لم احط ساعة خبرا
ولو جاز كتم السّرّ بيني وبينه عن السّرّ والاحشاء لم يعلم السّرّا وافشى بعضهم سرّا
له الى اخيه ثم قال حفظت فقال بل نسيت وقيل لابي يزيد من تصحب من النّاس
قال من يعلم منك ما يعلم الله ثم يستر عليك كما يستر الله وقال ذو النّون
لا خير في صحبة من لا يحبّ ان يراك الّا معصوما وقال ومن افشى السّرّ عند
الغضب فهو لئيم لانّ اخفاءه عند الرضا يقتضيه الطّباع السّليمة كلّها وقال
بعض الحكماء لا تصحب من يتغيّر عليك عند اربع عند غضبه ورضاه وعند طمعه
وهواه بل ينبغي ان يكون صدق الاخوّة ثابتا على اختلاف هذه الاحوال ولا يكون

ذلك

ذلك الّا لاهل العقل والكرامة كما قيل وترى الكريم اذا تقرّم وصله يخفي القبيح ويظهر
الاحسانا وترى اللئيم اذا تقضّى وصله يخفي الجميل ويظهر البهتانا فلذلك من عادة
اللئام الجهلة والحمقاء افشاء الاسرار وهتك الاستار وقد قيل انّ قلب الاحمق
في فيه ولسان العاقل في قلبه اي لا يستطيع الاحمق اخفاء ما في نفسه فيبديه
من حيث لا يدريه فمن هذا اوجب الحكماء على انفسهم مقاطعة الحمقى والتوقّي
قوله عليه السّلم والصّلوة وضدّها الاضاعة انّ من اشرف ملكات العاقل
الكامل وافعاله وعاداته التّعبّد لله تعالى والدّعاء والتّضرّع والتّذلّل والابتهال
اليه والتّذكّر الدّايم لعظمته وجلاله بالخضوع والخشوع طلبا للزّلفى وتقرّبا اليه تعالى
وذلك على ضدّ احوال الحمقى الجاهلين المتشبّهين بالبهايم والسّباع وساير
الحيوانات كما قال تعالى اضاعوا الصّلوة واتّبعوا الشّهوات وانّما اوجب
الله الصّلوة على الانسان وكلّف بها نفوس الآدميّين لاختصاصها بالعقل
الّذي هو موضع سرّ الله ومحلّ معرفته وطاعته وقابل تعليمه وارشاده ونوره
وهداه واهل كرامته وزلفاه بخلاف ساير الحيوانات فانّها متروكة عن الخطاب
مسلّمة عن الحساب والعقاب ثم لا يخفى على اولي النّهى من اهل البصيرة والهدى
دون اهل النّفس والهوى ما في الصّلوة الكاملة من اجتماع معان وخصال ليست
في شيء من الحسنات والعبادات الظّاهرة من حضور القلب والتّفهّم والتّعظيم
والهيبة والرّجاء والحياء وهذه ستّ خصال شريفة وحالات كريمة وملكات عظيمة
لا يوجد جميعها الّا في مؤمن امتحن الله قلبه بنور المعرفة والايمان انا نبيّنها تفصيلا فالاولى
حضور القلب والمراد به ان يتفرّغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلّم به فيكون

العلم بما يتلبس به من الافعال وينطق به من الاقوال بالفعل ولا يكون فكره
جاريا في غيرها ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان في قلبه ذكر لما هو
فيه ولم يكن غافلا عنه فقد حصل حضور القلب والثاني التفهم لمعنى الكلام وهو
امر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ ولا يكون حاضرا
مع معنى اللفظ فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذي اردنا بالتفهم
وهذا مقام يتفاوت الناس فيه اذ ليس يشترك الجميع في تفهم المعاني
للقرآن والاذكار والتسبيحات وكم من معان لطيفة يفهمها المصلي في
اثناء صلوته ولم يكن قد خطر بباله ذلك ومن هذا الوجه كانت الصلوة تنهى
عن الفحشاء والمنكر فانها تفهم امورا تلك الامور تمنع من الفحشاء لا محالة
الثالث التعظيم وهو امر وراء حضور القلب والفهم اذ الرجل قد يخاطب
عبده وهو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له فالتعظيم زائد عليهما
الرابع الهيبة فامر زائد على التعظيم بل هي عبارة عن خوف منشأه التعظيم
لان من لا يخاف لا يسمى هائبا والمخافة من العقرب وسوء خلق العبد
وما يجري مجراه من الاسباب الخسيسة لا يسمى مهابة بل الخوف
من السلطان المعظم يسمى مهابة فالهيبة خوف مصدرها الاجلال وكان
زين العابدين وسيد الساجدين علي بن الحسين عليهما السلم يصلي في كل يوم وليلة
الف ركعة وكان اذا توضأ اصفر لونه فاذا قام الى الصلوة اخذته رعدة
فسئل عن ذلك فقال ما تدرون بين يدي من اقوم وكان اذا هاجت
الريح سقط مغشيا عليه الخامس الرجاء فلا شك في انه زائد على ما سبق
فكم من

فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه اذ يخاف سطوته ولكن لا يرجو انعامه و
مبرته والعبد ينبغي ان يكون راجيا بصلوته ثواب الله كما انه خائف بتقصيره عقاب الله
السادس الحياء وهي زائدة على الجملة لان مستندها استشعار تقصير
وتوهم ذنب ويتصور التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء حيث
لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب واعلم ان لهذه الامور الستة
اسبابا وبواعث اما سبب حضور القلب فهو الهمة فان قلب
الانسان تابع لهمه فلا يحضر الا فيما يهمه فالقلب ابدا لا يكون معطلا فمهما
لم يكن حاضرا في الصلوة كان حاضرا فيما صرفت الهمة اليه من امور الدنيا
فلا حيلة ولا علاج لاحضار القلب الا بصرف الهمة الى الصلوة وهي
لا تنصرف اليها ما لم يتبين ان الغرض المطلوب منوط بها وذلك هو الايمان
والتصديق بان الآخرة خير وابقى وان الصلوة وسيلة اليها فاذا اضيف
هذا الى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهماتها حصل من مجموعها حضور القلب
في الصلوة واما سبب التفهم فبعد حضور القلب ادمان الفكر و
صرف الذهن الى ادراك المعنى وعلاجه كعلاج احضار القلب اقبال
النفس على الفكر والتشمر لدفع الخواطر الشاغلة وعلاج دفع الخواطر
الشاغلة قطع موادها ودفع اسبابها اعني النزوع عنها وما لم ينقطع
تلك المواد التي تنبعث الخواطر اليها ويتشعب الفكر لاجلها لا ينصرف
الفكر منها الى ذكر الله والتأمل في جلاله وعظمته فمن احب شيئا اكثر ذكره
فذكر ما هو المحبوب يهجم على القلب ويلهيه عن غيره فلذلك ترى ان المحبين للدنيا

لا تصفو لهم صلوة عن الخواطر المشوّشة وامّا سبب التعظيم وهو حالة تتولّد
من معرفتين فهما سبباه احدهما معرفة جلال الله وعظمته وهو من كمال
الايمان فانّ من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه الثانية معرفة حقارة
النفس وخسّتها وكونها عبداً مسخّراً مربوباً فيتولّد من المعرفتين الاستكانة
والانكسار والخشوع لله تعالى فيعبّر عنه بالتعظيم وما لم يمتزج معرفة حقارة
النفس بمعرفة حقارة الدنيا بمعرفة جلال الربّ لا ينتظم حالة التعظيم و
الخشوع فانّ المستغني عن غيره الآمن على نفسه يجوز ان يعرف من غيره صفات
العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله وامّا الهيبة والخوف فحالة للنفس تتولّد
من المعرفة بقدرة الله وسطوته وبطشه ونفوذ امره ومشيّته فيه مع قلّة
المبالاة به وانّه عزّ وجلّ بحيث لو اهلك الاوّلين والآخرين لم ينقص من ملكه
ذرّة هذا مع مطالعة ما يجرى على الانبياء والاولياء عليهم السلم من المصائب
وانواع البلاء فهذه المعارف منشأ حصول الهيبة في القلب وكلّما زاد
العلم بالله وكبريائه زادت الهيبة والخشية ولاجل ذلك قال سبحانه
انّما يخشى الله من عباده العلماء وامّا سبب الرجاء فهو معرفة لطف الله
وكرمه وعميم جوده واحسانه وشمول رحمته وانعامه ولطايف صنعه واتقانه
ومعرفة صدقه في وعده الثواب والجنّة على الصلوة فاذا حصل اليقين بوعده
والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعهما الرجاء وامّا سبب الحياء فاستشعار
التقصير في العبادة وعلم المكلّف بالعجز عن القيام بتعظيم حقّ الله ويقوى ذلك
ويزيد بالاطّلاع على كثرة عيوب النفس وآفاتها وقلّة اخلاصها وميلها الى الحظّ

فاستشعار ذكر

العاجل

العاجل في جميع افعالها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله والعلم بانّه ناقد
بصير مطّلع على السريرة وخطرات القلب وان دقّت وخفيت و
هذه المعارف اذا حصلت يقيناً انبعث منها حالة تسمّى الحياء ثمّ
اعلم انّ الصلوة الكاملة كشخص كامل انسانيّ مشتمل على روح وجسد
منقسم الى ظهر وبطن وسرّ وعلن ولروحه وسرّه اخلاق وصفات ولجسده
وعلنه اعضاء واشكال فروح الصلوة هي عرفان الحقّ الاوّل والعبوديّة
له بالاخلاص والتوحيد واخلاقها وشمايلها الباطنة هي المعاني الستّة المذكورة
من حضور القلب والتفهّم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء وامّا اعضاؤها
واشكالها فهي القيام والقرأة والركوع والسجود فظاهرها يرتبط بظاهر
الانسان وبه يكلّف العوام الذين درجتهم درجة الانعام ليمتازوا به
التعبّد الظاهريّ عن ساير الحيوانات واستحقّوا انواعاً من الثواب في
الآجل وباطنها يلتزم بباطن الانسان لمن كان له قلب او القى السمع وهو
شهيد امّا الظاهر المأمور شرعاً والمعلوم وصفاً الذي الزمه الشارع
وكلّف به كافّة الانسان وسمّاه قاعدة الدين كما في قوله صلى الله عليه
وآله الصلوة عماد الدين وجعلها اشرف الطاعات واعلى درجة من
ساير العبادات فاعداده معلومة واوقاته مرسومة واركانه مضبوطة
واحكامه في الكتب مسطورة فهذا المؤلّف من هذه الاركان المنظومة
والاعداد المرتّبة مرتبط بظاهر الانسان وله تأثير في الصلوة الحقيقيّة
المرتبطة المستلزمة بالروح النطقيّ وهذا يجرى مجرى السياسات البدنيّة

في العبادة

المتلزمة

لانتظام الامور الشرعية كلّف به الشارع انسانا بالغا عاقلا ليشبه جسمه
بما يختص به روحه من التضرع والتعظيم والعبودية للمبدإ العالي جلّ اسمه
فلما رأى الشارع انّ العقل الذي كلا منافيه التزم بالصلوة الحقيقية و
المعرفة الالهية والتعبد الدائم والهيبة والتعظيم كلّفه بصلوة اخرى على بدنه
وجسمه وعلنه وحسّه اثرا على تلك الصلوة وركّب اعدادها ورتّب
اوقاتها ونظمها ابلغ نظام في احسن صورة واتم هيئة ليوافق الظاهر
الباطن ويتابع الجسد الروح والبدن العقل في التعبد والطاعة وان لم
يوافقه في المرتبة ثم لما علم الشارع انّ جميع افراد الانسان لا يرتقون
من حضيض البشرية الى مدارج العقل فلابد لهم من طاعة بدنية ورياضة
وسياسة صح
تكليفية وسياسة تخالف اهوائهم الطبيعية فلم يدعهم برحمته الشاملة
ان يسلموا عن التكليف والخطاب ويرتعوا في مراتع الدواب ولم يذرهم
ياكلوا ويتمتعوا ويلهوا فيحشروا مع الوحوش والبهائم يوم الحساب فسلك بهم
وكلفهم صح
طريقا ومهّد قاعدة وكلّفهم بهذه الاعداد والهيئات تنبيها وعيّن عليهم
هذه الاوقات تذكيرا وتكريرا ليرتبطوا بالانسانية ويتشبهوا بظواهر حقيقة
الانسان ويمنعهم عن التشبه بسائر الحيوان فسهّل لهم وسامح معهم بالسهلة
اصلي صح
السمحاء واقرّ لهم بهذا الامر الظاهر فقال صلّوا كما رأيتموني اصلي وفي هذا مصلحة
كثيرة لا يخفى على العاقل وان لم يقرّ به الجاهل واما القسم الحقيقي من الصلوة
الذي هو مشاهدة الحق الاول والمعبود الاعظم بالقلب الصافي والعقل
المجرد والنفس الذكية المطهرة عن الاماني والاغراض الشهوية والغضبية

وهذا القسم

فهذا القسم لا يجري مجرى الاعمال البدنية والتكاليف الملية وانما يجري
مجرى الخواطر الصافية والمعارف الباقية واليه اشار النبي صلى الله عليه
صلوات صح
وآله المصلي مناج ربه فانّ مناجات الرب بالعقل الدرّاك العلام لا بالاركان
والاجسام فانّ هذه المكالمة والمناجاة لا يصلح لمن يحويه مكان ويظلّ عليه
الا لمن
زمان اما الواحد المنزه عن الامكنة والجهات المقدس عن الازمنة والاوقات
ومن لا يتغير ذاته بوجه ولا تبدل له الاحوال والصفات فكيف يعاينه ويكالمه
الانسان المشكل المجسم المتحيز المتمكن بهيكله وجسمه وقواه وحسّه ومن عادة
لايناجي صح
الجسم والجسمي ان لا يكون ولا يجالس ولا يوانس الا من يراه ويشير اليه
ومن لم ينظر اليه يعتبر غائبا والمناجاة بعيدا مع الغائب محال ومن الضرورة
بعيدة
انه تعالى بعيد عن الاجسام غائب عن الابصار كيف والجواهر العقلية التي هي
من مجعولاته بريئة عن هذه الاجسام الكثيفة منزهة عن المكان والجهة والله سبحانه
الاحياز صح
وتعالى اشد علوا وبراءة وتنزها عن الاجساد والجهات من كل الجواهر المفردة
المفارقة الذوات عن الاجسام والجهات والاحياز والابعاد والازمنة
فمناجاته صح
والاوقات فما هو كذلك فمناجاة بظاهر الشكل والهيكل من امحل المحالات
فاذا قوله صلى الله عليه وآله المصلي مناج ربه اراد بالمصلي العقل العارف
وبالمناجاة عرفانه كلام الله واستماعه بالسمع العقلي لما القاه والهمه
وبالمناجاة صح
به كما روي عنه انه قال صلى الله عليه وآله انّ في امتي محدّثين مكلّمين فالقسم الباطني
الحقيقي وهو روح الصلوة وسرّه عبارة عن توجه وجه السرّ اليه تعالى وتضرّع
العقل العارف العالم بوحدانية الحق تعالى وبعظمته وجلاله ولطفه وجماله وكرمه

178

وافضاله بالخشية والخضوع والهيبة والخشوع فالذوات العاقلة والنفوس
الكاملة يشاهدون الحق مشاهدة عقلية ويبصرون الاله ببصيرة ربانية لا رؤية
جسمانية ويسمعون كلامه بسمع قلبي لا بقرع اصوات ويفهمون منه الخطاب
ويردون الجواب وهم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله يدعون ربهم
خوفا وطمعا ويلتمسون من آلهم فك الاسير وجبر الكسير ويستدعون
من ربهم تكميل نفوسهم بمشاهدته واتمام النور والسعادة بمعرفته والامر العقلي
والفيض القدسي من عالم الاسماء ومعدن القضاء الى حيز ذواتهم ومنزل
نفوسهم بهذه الصلوة والذكر الحقيقي والتعبد العقلي ومن صلى بهذه الصلوة
خلص من عذاب حبس هذا الوجود الطبيعي ونجى من اسر هذه القوى الحيوانية — حبس
وارتقى الى المدارج العقلية والمعارج الربانية واليه الاشارة بقوله عز وجل
ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر فقد بان وتحقق لك ان الصلوة
قسمان وعلمت ان كل قسم منها على من يجب وان القسمين جميعا يجب على
العارف ما دام روحه في الدنيا لان الروحاني اشد وجوبا على روحه من
الجسماني على بدنه واذا ارتحل عن الدنيا وفارق المنزل الادنى لم يزل عنه
الصلوة الاخرى بل انقلبت معرفته مشاهدة وصار علمه عينا وذكره حضورا
ولكل من الصلوتين احكام وآداب وشرايط اما الصلوة الظاهر وصلوة
العامة فلا حاجة الى بيان تفصيلها لشهرتها وكتب الفقه بذكرها واما صلوة الباطن — مشهورتهم
وصلوة اهل الخصوص فلنذكر نبذا من اسرارها وما ينبغي لك ان كنت من اهل
القرب ان تحضر في قلبك باذن الله اما الطهارة فاذا اتيت بها في ثياب

بدنك

بدنك وهو غلافك الابعد ثم في بشرتك وهو قشرك الادنى ولبابك
الاقرب فلا تغفل عن تطهير قلبك وازالة رجز الشيطان عن نفسك بالتوبة
والانابة والندم على التفريط في جنب الله لقوله تعالى وثيابك فطهر والرجز
فاهجر فتطهر بالتوبة باطنك الذي هو موضع نظر معبودك واما ستر العورة
فاعلم ان معناه تغطية مقابح بدنك عن ابصار الخلق اعني سكان عالم
الارض فاذا وجب ستر ظاهر بدنك الذي موضع نظر الخلق فما ظنك
في عورات باطنك وفضايح سرك الذي هو موضع نظر الهك وسكان
ملكوته واهل سمواته فاخطر تلك الفضايح ببالك فاسترها وكفرها
بالندم والحياء والخوف وذلل نفسك وسكنها تحت الخجلة وقم بين
يدي الله قيام العبد المجرم الآبق الذي ندم فرجع الى مولاه ناكسا راسه
من الحياء والخوف وقل يا منجي الهلكى ويا غياث من استغاث
ان ذاتا هبطت فاغتربت وتكدرت فاضطربت وتذكرت فسارعت — فاضطربت خ
وندمت فهل الى وصول من سبيل واما الاستقبال فهو صرف ظاهر
وجهك عن ساير الجهات الى جهة بيت الله افترى ان صرف ظاهر وجهك
الى جهة بيت معبودك اذا كان مطلوبا انه لا يكون صرف القلب عن ساير
الامور الى امر الله مطلوبا منك بل هذه الظواهر مبادي تحريكات للباطن
وضبط للجوارح وتسكين لها عن حركاتها الى رجة كما ان المتفكر في المعاني
الهندسية ينظر ببصره الى الاشكال المناسبة لها ليسكن الخيال
اليها ولا يزاحم الحس العقل في طريقه بل يوافقه ويشايعه في الحركة الى مطلوبه

واعلم انه كما لا يتوجه الوجه الى جهة البيت الا بالصرف عن غيرها فكذلك لا ينصرف
وجه القلب الى الله الا بالفراغ عن ماسوى الله واما القيام فليكن على ذكرك
خطر القيام بين يدي الله في القيامة وفي هول المطلع عند التعرض للحساب واعلم
انك في الحال قائم بين يدي الله وهو مطلع عليك فقم بين يديه قيام ذليل
بين يدي ملك عظيم من ملوك الزمان فانه تهدأ اطرافه وتخشع جوارحه وتسكن
جميع اجزائه خيفة سطوته وغضبه واذا احسست من نفسك بتماسك جوارحك
وهدوء اطرافك عند من تريد ان يعرفك بالصلاح وهو عاجز مسكين مثلك
فعاتب نفسك وقل انك تدعي معرفة الله وحبه افلا تستحيي في استجرائك
عليه مع توقيرك عبداً عاجزاً من عباده وتخشى الناس ولا تخشى معبودك وهو
احق ان تخشاه واما التكبير فاذا نطق لسانك به فينبغي ان لا يكذبه قلبك فان
هواك اغلب عليك من امر الله وانت اطوع له منك لله فقد اتخذته الهاً
وكبرته فيوشك ان يكون قولك الله اكبر كلاماً باللسان المجرد دون موافقة
القلب فيشهد الله عليك بالكذب كما شهد على المنافقين في قولهم انك
لرسول الله فما اعظم الخطر في ذلك لولا التدارك بالاستغفار والاعتراف
بالذنب وحسن الظن بكرم الله وعفوه واما القراءة فالناس على ثلثة اقسام
السابقون وهم المقربون واصحاب اليمين وهم اهل الجنة واصحاب الشمال
وهم المبعدون واهل النار فرجل يتحرك لسانه وقلبه غافل بل مشغول الى الفكر
في اغراض نفسه ومعاملاته وتجاراته وخصوماته ونحوها ورجل يتحرك لسانه
بالتلفظ وقلبه يتبع لسانه فيسمع منه ويفهم من الالفاظ معانيها وهو درجة اصحاب

اليمين

وهو من عرفان لما في الدار من هول المطلع يريد به [illegible] الموقف يوم القيامة [illegible] الموت [illegible] بالمطلع [illegible]

اليمين ورجل يسبق قلبه الى المعاني اولاً ثم يخدم اللسان قلبه فيترجمه وفرق
بين ان يكون اللسان ترجمان القلب وبين ان يكون معلم القلب فالمقربون
لسانهم ترجمان القلب ولا يتبعه قلبهم فاذا قلت اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم فادفع وساوسك وعجبك عن نفسك ليتيسر لك الدخول في باب
الرحمة فينفتح لك باب الملكوت بالمغفرة والرحمة وباب الجبروت بالفضل
والكرامة واذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانو به التبرك باسمه وافهم
ان الامور كلها بالله وهي من فيض رحمته في الدنيا والآخرة فاذا كانت
النعم كلها من الله فلا جرم لا احق ولا حقيق بالحمد والشكر الا هو فاذا قلت
الحمد لله فان كنت ترى النعمة من غير الله فتقصد الى غيره وتتوقع منه وتشكره
دون الله او تشركه مع الله لانه متخلل في توسيط انعامه كالقلم والمداد
ويد الوزير وشخصه ايضاً في انعام الملك عليك بالتوقيع لك ففي تسميتك
وتحميدك نقصان وانك بقدر التفاتك الى غير الله كاذب فيها واذا
قلت الرحمن الرحيم فاحضر في قلبك انواع لطفه وكرمه وآثار رحمته من
طبقات الجنان وغيرها لينفتح لك باب الرجاء واذا قلت مالك يوم
الدين فاحضر في قلبك انواع غضبه وقهره على اهل المعصية والكفر وآثار
سطوته وعقابه كطبقات النيران وغيرها لينفتح لك باب الخوف فاذا حصلت
بين الرجاء والخوف فجدد الاخلاص والتوحيد بقولك اياك نعبد ثم جدد حضور
العجز والاحتياج والتبري من الحول والقوة لغيره تعالى بقوله اياك نستعين
لينفتح لك باب الاخلاص المتولد من معرفة النفس بالعبودية والفقر ومعرفة

الحق بالربوبية والجود فاذا فرغت من التفويض اليه بالبسملة وعن التحميد وعن
العبودية وعن اظهار الحاجة الى الاعانة مطلقا فعين مسؤلك ولا تطلب الا
اهم حاجتك وما مولك وليس ذلك الا طلب القرب منه تعالى ولا يكن
ذلك الا بالحركة نحوه وسلوك السبيل اليه على اقرب الطرق ولا يكون ذلك
الا بالهداية فقل كما علمك ربك اهدنا الصراط المستقيم الذي يسوقنا الى رضوانك
وجوارك ويفضي بنا الى عزيز دارك ويصرفنا عن ما سواك ثم زده شرحا وتفصيلا
وتاكيدا واستشهد بالذين افاض عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار والمنافقين
واليهود والنصارى والصابئين وساير اهل الغضب والضالين فاذا
يكون الفاتحة كذلك فينبغي ان تكون ممن قال الله فيه كما ورد في الحديث
القدسي قسمت الصلوة بيني وبين عبدي فنصفها لي ونصفها لعبدي فاذا
فاذا قال بسم الله الرحمن الرحيم يقول ذكرني عبدي واذا قال الحمد لله
يقول الله حمدني عبدي واثنى علي وهو معنى سمع الله لمن حمده واذا قال
الرحمن الرحيم يقول عظمني عبدي واذا قال مالك يوم الدين يقول الله
مجدني عبدي وفي رواية فوض الي عبدي واذا قال اياك نعبد يقول هذا بيني وبين
عبدي واذا قال اهدنا الصراط المستقيم يقول الله هذا لعبدي ولعبدي ما سال
فقوله اذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرني عبدي مناسب
لقوله تعالى فاذكروني اذكركم وقوله انا جليس من ذكرني فمن ذكرني في نفسه
ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه والذكر مقام شريف

عال

عال ذكره الله في كثير من مواضع القران وقوله اذا قال العبد الحمد لله يقول الله
حمدني عبدي يدل على ان مقام الحمد اعلى من مقام الذكر لانه اول كلام في اول
خلق العالم حيث قالت الملئكة ونحن نسبح بحمدك واخر كلام في الجنة و
اخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين وقوله اذا قال الرحمن الرحيم يقول
الله عظمني عبدي يدل على ان الاله الكامل المكمل الواحد المنزه عن الشريك
والمثل والنظير والضد والند هو في غاية الفضل والرحمة والرافة والكرم و
اللطف مع عباده ولا شك ان غاية ما يصل اليه العقل والفهم والوهم من
تصور معنى الكمال والجلال ليس الا هذا المقام الجامع من غاية العلو والبراءة
وغاية الدنو والعطوفة وهذا هو التعظيم لله وقوله واذا قال مالك يوم الدين
يقول مجدني اي نزهني وقدسني عن الظلم وعن شبهة الظلم حيث نصب
معادا لحشر اليه العباد ويقضي فيه بين الظالم والمظلوم والقوي والضعيف
وقوله واذا قال العبد اياك نعبد واياك نستعين قال الله هذا بيني وبين
عبدي معناه ان اياك نعبد يدل على اقدام العبد على الطاعة والعبادة وذلك
لا يتم الا باعانة الله بخلق داعية فيه خالصة عن المعارض فان العبد غير مستقل
بالاتيان بذلك العمل فهو المراد من قوله واياك نستعين وقوله اذا قال
اهدنا الصراط المستقيم يقول الله هذا لعبدي ولعبدي ما سال تقريره ان
اهل العلم وهم اخص الناس يختلفون بحسب ارائهم بالنفي والاثبات
في جميع المسائل الالهية او في اكثرها وفي المعاد وفي النبوات وغيرها
مع استوائهم في العقل والنظر وطلب الصواب والتحرز عن الخطاء

لامو والبراءة

قبضت

۱۸۱

فلا اهتداء الى الحق ليس الا بهداية الله وارشاده كما قال تعالى قل ان الهدى
هدى الله وقالت الملئكة لا علم لنا الا ما علمتنا وقال ابرهيم صلوات
الرحمن على نبينا واله وعليه لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين
فلا يمكن الخلاص عن ظلمات الجهل والغباوة والنجاة من ورطة الحيرة
والضلالة بسلوك سبيل الرحمة والفوز بالمغفرة والنعيم الا بهدايته
وارشاده واما الركوع والسجود فينبغي ان تجدد ذكر كبريائه وترفع يديك
مستجيرا بعفو الله من عقابه ومتبعا لسنة نبيك في هيئة التواضع
والخشوع والتذلل ثم تستانف له ذلا وتواضعا بركوعك وتجتهد في ذلك
وعز مولاك واتضاع نفسك وعلو ربك في تطاطؤ راسك ومد عنقك — في جهد
وتسوية ظهرك عند الانحناء كمن يمكن احدا من نفسه في ضرب عنقه وتستعين — وسعيه
على تقرير ذلك في قلبك بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة و
انه اعظم من كل عظيم وتكرر ذلك على القلب لتؤكده بالتكرير ثم ترتفع عن
ركوعك راجيا انه راحم عليك لذلك موكدا الرجاء في نفسك بقولك
سمع الله لمن حمده ثم تهوي الى السجود وهو اعلى درجات الاستكانة
والتواضع والتذلل حيث تمكن اشرف اعضائك وهو الوجه والجبهة
من اذل الاشياء وهو التراب واذا وضعت نفسك موضع الذل
وهو السجود على الارض فاعلم بانك وضعته موضعه ورددت الى اصله
فانك من التراب خلقت واليه رددت فعند هذا جدد على قلبك استشعار
عظمة الله وقل سبحان ربي الاعلى وبحمده واكده بالتكرار فان الكرة الواحدة

ضعيفة

ضعيفة الاثر واما التشهد فهو الشهادة لله ولرسوله فاشهد له بالوحدانية
ونفي الشريك ليكون تنصيصا منك بان لا معبود سواه وان لا غاية لك
في العبودية الا رضاه والابتغاء لوجهه وزلفاه ولمحمد بالرسالة لانه الواسطة
في وصول فيضه ورحمته الى عباده فصل عليه واله الذين هم وسائط بينك
وبين الرسول كما انه الواسطة بين الله وبين الخلق ليكون صلوتك عليه
وعليهم وسيلة لنزول الرحمة عليك فان صلوتك غير مقبولة الا بولايتهم — لا ع غير
ومحبتهم عليهم السلم فاحضر في قلبك النبي عليه السلم وشخصه الكريم كانك
تراه وقل السلم عليك ورحمة الله وبركاته وليصدق املك ورجاءك
في ان سلامك يبلغه ويرد عليك ما هو اوفى منه ثم سلم على نفسك
وعلى جميع عباد الله الصالحين وتامل ان يرد الله عليك سلاما بعدد
عباده الصالحين واقصد عند التسليم السلم على الملئكة الحاضرين وختم
الصلوة به واستشعر شكر الله على توفيقه لاتمام هذه الطاعة المفروضة
المكتوبة ثم استشعر قلبك الوجل والحياء من التقصير في الصلوة و
خف ان لا تقبل صلوتك وان تكون ملوثا بذنب ظاهر او باطن
وتكون ممقوتا بسببه فترد صلوتك وتضرب على وجهك وترجو
مع ذلك ان يقبلها بفضله وكرمه فهذا نبذ من اسرار الصلوة واشارات
اهل الاشارة واصحاب القلوب فيها وهذا قليل من كثير ما وصل
الينا من اهل المعرفة واليقين او خطر ببالي بفيض رب العالمين ولولا
مخافة الاطناب لذكرنا اطوارا اخرى من الاسرار اللطيفة والمعاني

الشريفة المتعلقة بالصلوة لكن هذا الموضع لا يسع زيادة التطويل واعلم
ان العقل التام كما يوجب اقامة الصلوة والمحافظة على حدودها و
اركانها وشرائطها واسرارها واذكارها وانوارها فالجهل الراسخ
يوجب اضاعتها والاخلال بها رأسًا لان مبنى الصلوة على التواضع و
الاستكانة والمذلة وهي تنافي الكبر والرعونة والغرور والاستعلاء
وساير ما هو من لوازم الجهل فالانسان بقدر جهله يضيع شيئا من آداب
صلوته وكلما كثر جهله واتباعه للشهوات كثر اهماله واضاعته للصلوة قوله
عليه السلم والصوم وضده الافطار من خصال العقل وملكاته وجنوده
في جهاد النفس ومحاربتها وقتل النفس الامارة بالسوء الصوم وهو
الامساك عن الشهوات ومن خصال الجهل وعاداته وجنوده في طاعة
الهوى المتبع المطاع المتخذ الها وتقوية سلطان النفس الامارة الافطار
وهو تناول الشهوات وفعل المستلذات اعلم ان الصوم على
ثلث درجات صوم العوام وصوم الخواص وصوم اخص الخواص اما صوم
العموم فشرائطه وجهاته وما يجب الامساك عنه مشهور وفي كتب الفقه
مسطور واما صوم الخصوص وهو صوم العابدين واصحاب اليمين فهو
كف الجوارح عن الآثام وتمامه بستة امور الاول غض البصر وكفه
عن الاتساع في النظر الى كل ما يذم ويكره والى كل ما يلهي النفس عن
ذكر الله روى محمد بن مسلم عن ابي جعفر عليه السلم انه قال اذا صمت فليصم
سمعك وبصرك وشعرك وجلدك وعدد اشياء غير هذا وقال لا يكون

يوم صومك

يضيع ام

يوم صومك كيوم فطرك والثاني حفظ اللسان عن الهذيان والكذب
والغيبة والنميمة والفحش والخصومة والمراء والزامه السكوت الا
بذكر الله وتلاوة القرآن فهذا صوم اللسان روى ابو بصير عن الصادق
عليه السلم انه قال ان الصيام ليس من الطعام والشراب وحده
ان مريم عليها السلم قالت اني نذرت للرحمن صوما اي صمتا
فاحفظوا السنتكم وغضوا ابصاركم ولا تحاسدوا ولا تنازعوا فان
الحسد يأكل الايمان كما تأكل النار الحطب وقال الصادق عليه السلم
لا تنشد الشعر بليل ولا تنشده بليل ولا نهار فقال له اسمعيل يا ابتاه
وان كان فينا وسمع رسول الله صلى الله عليه وآله امرأة تسبّ
جارية لها وهي صائمة فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله بطعام فقال
لها كلي فقالت اني صائمة فقال كيف تكونين صائمة وقد سببت
جاريتك ان الصوم ليس من الطعام والشراب فقط وجاء في الخبر ان امرأتين
صامتا على عهد رسول الله صلعم فاجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار
حتى كادتا ان تتلفا فبعثتا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وتستأذنانه
في الافطار فارسل اليهما قدحا وقال قل لهما قيئا فيه ما اكلتما فقاءت
احديهما نصفه دما عبيطا وطعاما غريضا وقاءت الاخرى مثل ذلك حتى ملأتاه
فتعجب الناس من ذلك فقال عليه السلم هاتان صامتا عما احل الله
لهما وافطرتا على ما حرم الله عليهما قعدت احديهما الى الاخرى فجعلتا تغتابان
الناس فهذا ما اكلتا من لحومهم الثالث كف السمع عن الاصغاء

قال وان كان فينا

١٨٤

الى كل مكروه لان كل ما حرم قوله حرم الاصغاء اليه ولذلك سوّى الله بين
آكلي السحت والمستمعين للكذب فقال تعالى سمّاعون للكذب
اكّالون للسحت وقال لولا ينهيهم الربّانيون عن قولهم الاثم واكلهم السحت — ينهيهم
فالسكوت على الغيبة حرام وقال تعالى فلا تقعدوا حتّى تخوضوا في حديث
غيره انكم اذاً مثلهم وعنه صلى الله عليه وآله المغتاب والمستمع شريكان
في الكذب الرابع كف بقية الجوارح من اليد والرجل وغيرهما من المكاره
كف البطن عن الشبهات وقت الافطار فلا معنى للصوم وهو كف
عن الطعام الحلال ثم الافطار على الحرام فمثال هذا الصيام مثال من يبني قصراً
ويهدم مصراً فان الطعام الحلال يضر بكثرته لا بنوعه فالصوم تقليله وتارك
الاستكثار من الدواء خوفاً من ضرره اذا عدل الى تناول السم كان سفيهاً — تناول
الخامس ان لا يستكثر من الحلال وقت الافطار بحيث يمتلي فما من
وعاء ابغض الى الله من بطن مُلئ من حلال وكيف يستفاد من الصوم
قهر عدو الله وكسر الشهوة اذا تدارك الصائم عند فطره ما فاته ضحوة
نهاره وربما يزيد عليه من الوان الطعام كما استمرت العادة من ادخار
انواع الاطعمة لشهر رمضان فيأكل من الاطعمة فيه ما لا يؤكل في غيره ومعلوم
ان مقصود الصوم كسر القوى الشهوية ليقوى النفس على التقوى واذا
خلت المعدة ضحوة النهار الى العشاء حتى هاجت شهوتها وقويت
رغبتها ثم اطعمت من انواع اللذات واشبعت زادت لذتها و — رغبتها
تضاعفت قوتها وانبعثت من الشهوات ما كانت راكدة لو
تركت

تركت على حالها فروح الصوم وسرّه تضعيف القوى التي هي وسائل الشيطان
في العود الى الشرور ولن يحصل ذلك الا بالتقليل من الطعام والاكتفاء
على القدر الذي كان يأكله بالعشاء بل من الآداب ان لا يكثر النوم
بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر ضعف القوى ليصفو
عند ذلك قلبه فعسى الشيطان لا يحوم على قلبه فينظر ملكوت السماء فليلة
القدر عبارة عن الليلة التي ينكشف فيها شيء من الملكوت السادس
ان يكون قلبه بعد الافطار معلقاً مضطرباً بين الخوف والرجاء اذ ليس يدري
أيقبل صومه فهو من المقربين او يرد عليه فهو من الممقوتين ومرّ بعض اصحاب
القلوب بقوم يوم عيد وهم يضحكون فقال ان الله جعل شهر رمضان مضماراً
لخلقه يستبقون فيه بطاعته فسبق اقوام ففازوا وتخلف اقوام فخابوا
فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون
وخاب فيه المبطلون فان قلت ان الذي ذكرته من الشرايط واوجبته
لا يوافق ما افتى به الفقهاء فانهم حكموا بصحة صوم من اغتاب او اصغى
الى الكذب او نحو ذلك قلنا ان فقهاء الظاهر يثبتون الشروط الظاهرة
المشهورة للصوم بادلة ليست هي باقوى من هذه الادلة التي ذكرناها
في هذه الشروط الباطنة لا سيما الغيبة وامثالها ولكن ليس الى فقهاء
الظاهر من اثبات التكليفات الا ما تيسر على عموم الخلق حتى الغافلين
المقبلين الى الدنيا الدخول تحته فاما علماء الآخرة فيعنون بالصحة القبول
وبالقبول الوصول الى المقصود ويعلمون ان المقصود من الصوم التخلق

١٨٤ بخلق من اخلاق الله وهو الصمدية والتشبه بالملئكة والاقتداء بهم في الكف
عن الشهوات والاستغناء عنها بحسب الطاقة والامكان فانهم متنزهون
عن الشهوات بحسب الفطرة الاولى وللانسان رتبة فوق رتبة البهائم
لقدرته بنور العقل على كسر شهوته ودون رتبة الملئكة لاستيلاء الشهوات
عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها فكل من انهمك في الشهوات انحط الى اسفل
السافلين والتحق بالبهائم وكل من قمع الشهوات ارتفع الى اعلى عليين
والتحق بافق الملئكة لاقتدائه بهم وتشبهه باخلاقهم وهم المقربون من الله
تعالى والشبيه الى المقرب مقرب لان ذلك القرب ليس بالمكان
بل بالصفات واذا كان هذا سر الصوم عند اولى الالباب واصحاب العقول
والقلوب فاى جدوى لتاخير اكلة وجمع الكلتين عند العشاء مع الانهماك
في الشهوات ولو كان لمثله جدوى فما معنى ما روى عن النبي صلى الله
عليه وآله كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش ولهذا قال بعض
العرفاء يا حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون صوم الحمقى وسهرهم
ولذرة من ذي يقين وتقوى افضل وارجح من امثال الجبال عبادة من المغترين
ولذلك قال العلماء كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم والمفطر الصائم هو الذي
يحفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب والصائم المفطر هو الذي يجوع
ويعطش ويرسل جوارحه واما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن
الهمم الدنية والاغراض الدنيوية وكفه عما سوى الله تعالى بالكلية لدوام
استغراقه بالحق عن الالتفات بغيره فالفطر في هذا الصوم الذي ضده هو
الفكر

عبادة مر

تعالى
فالفطر

هو الفكر فيما سوى الله واليوم الآخر وصرف الهمة في غير ما يراد به طاعة الله
وطاعة رسوله من اغراض النفس ومقاصد الطبع وبالجملة الاشتغال
بامر من امور الدنيا الا دنيا تراد للدين فان ذلك من زاد الآخرة وليس
من الدنيا حتى قال ارباب القلوب من تحركت همته بالتصرف في
نهاره لتدبير ما يفطر عليه في ليله كتب عليه خطيئته فان ذلك من قلة
الوثوق بفضل الله وضعف اليقين برزقه الموعود وهذه مرتبة الانبياء
والصديقين وبالجملة هذا الصوم عبارة عن الاقبال بكنه الهمة على الله والانصراف
عن غير الله والتحقق بقوله تعالى تعليما لحبيبه صلى الله عليه وآله قل الله ثم ذرهم
وبقوله حكاية عن خليله على نبينا وآله وعليه السلم فانهم عدو لي الا رب العالمين
قوله عليه السلم والجهاد وضده النكول الجهاد محاربة الكفار وهو المبالغة
واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول او فعل يقال جهد الرجل في الشيء
اي جد فيه وبالغ وجاهد في الحرب مجاهدة وجهادا وقد تكرر في الحديث لفظ
الجهد والجهد وهو بالضم الوسع والطاقة وبالفتح المشقة وقيل المبالغة و
الغاية وقيل هما لغتان في الوسع والطاقة فاما في المشقة والغاية فالفتح لا غير
ويراد في حديث ام معبد شاة خلفها الجهد عن الغنم الهزال ومن المضموم
حديث الصدقة اي الصدقة افضل قال جهد المقل اي ما يحتمله القليل الحال
ومن المفتوح ما ورد في الدعاء اعوذ بك من جهد البلاء اي الحالة الشاقة
ويقال جهد الرجل فهو مجهود اذا وجد مشقة وجهد الناس فهم مجهودون اذا
اجدبوا الكلا وورد الناس في جيش العسرة مجهدون معسرون فاما اجهد فهو

رتبة

ويراد

عبارة النهاية هكذا

اي اصابهم الجدب

مجهد بالكسر فمعناه ذو جهد ومشقة او هو من اجهد دابته اذا حمل عليها في السير
فوق طاقتها ورجل مجهد اذا كان ذا دابة ضعيفة من التعب فاستعارة للحال ذا دابة
في قلة المال واجهد فهو مجهد بالفتح اذا وقع في الجهد والمشقة والنكول من النكل
بالتحريك والتنكيل وهو المنع والتنحية عما يريد يقال رجل نكل ونكل شبه عبارة النهاية هكذا النكول بالتحريك من التنكيل وهو المنع والتنحية
وشبه اى ينكل به اعداؤه وقد نكل عن الامر ينكل ونكل ينكل اذا امتنع
ومنه النكول عن اليمين اى الامتناع منها وترك الاقدام عليها وفي الحديث
عن امير المؤمنين عليه السلم غير نكل في قدم اى بغير جبن واحجام في الاقدام
وقد نكل به تنكيلا اذا جعل عبرة لغيره والنكال العقوبة التي تنكل الناس
عن فعل ما جعلت له جزاء وفي الحديث يؤتى بقوم في النكول يعني في القيود جمع
نكل بالكسر ويجمع ايضا على انكال لانها ينكل بها اى يمنع فاعلم ان من عادة
العقل الجهد والسعى في طلب الكمال والتقرب اليه تعالى بالقول والفعل
والجهاد مع اعداء الله لعرفانه بحقارة متاع الدنيا وشهواتها وعظم قدر الدار
الاخرة وما عند الله فلا يبالى بهذه الحيوة العاجلة الزائلة ومن شان الجهل
التبطى والتكاسل عن طلب الرفعة والارتقاء والنكول عن السعى والجهاد
مع الاعداء والاعراض عن الحق تعالى للاخلاد الى الارض والتعلق بهذه الحيوة
الدنيا والعكوف على باب الشهوة والهوى ولما كان الجهاد عبارة عن المحاربة
مع الاعداء والاعداء قسمان داخلية وخارجية اما الخارجية فهم الكفار ومن
يجرى مجريهم من اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم فيجب محاربتهم حتى يقتلوا
او ينفوا او يؤسروا ان لم يكونوا من اهل الكتاب او يعطوا الجزية وهم صاغرون

ان كانوا

ان كانوا من اهل الكتاب واما الاعداء الداخلية فهى [illegible] النفس وجنودها
جنود الجهل والهوى والشيطان واعدى اعدائك نفسك التى بين جنبيك
كما ورد في الحديث فوجبت محاربتها اشد وجوب واتمه واولاه
لانها لو لم تكن فينا لم نحتج الى محاربة الكفار روى محمد بن بابويه مسندا عن الكاظم
عليه السلم عن آبائه عليهم السلم عن امير المؤمنين عليه السلم بعث رسول الله
صلى الله عليه وآله سرية فلما رجعوا قال مرحبا بقوم قضوا الجهاد الاصغر وبقى الجهاد
عليهم الجهاد الاكبر قيل يا رسول الله وما الجهاد الاكبر قال جهاد النفس ثم قال
افضل الجهاد من جاهد نفسه التى بين جنبيه ولانها اقرب الينا فقاتلوا التى
يلونكم وكيفية الجهاد مع الاعداء الخارجية مشهورة مذكورة في الكتب الفقهية
واما كيفية المجاهدة مع هذه الاعداء وطريق المطاردة معها فقد اعتنى بتحقيقها
وتبيينها علماء الاخرة وبينوها في كتبهم العرفانية باتم بيان وجنود الطرفين كثيرة
واعظمها هذه الخمسة والسبعين المذكورة في هذا الحديث من جنود
العقل والملك ومثلها في العدد من حزب الجهل والهوى والشيطان
وهى ايضا بعضها اعظم واقوى من بعض من قبيل الرؤساء للسرايا ولكل من
احاد احدى الطائفتين قرن مقابل من الاخرى يضاده كما علمت ويطارده مع ويقابله
امداد بعضها لبعض يناسبه ومعركة هذه المطاردة والمدافعة ومعسكرها هو
القلب الانسانى مثلا قد يبتدى في القلب خاطر الهوى وهو من اعاظم رؤساء
الجهل فيدعو الانسان الى الشر فيلحقه خاطر الايمان وهو من اعاظم رؤساء العقل
فيدعوه الى الخير فينبعث النفس بشهوتها وهى جند آخر يناسب الهوى الى نصرتها

ونصرة خاطرها فيقوى الشهوة ذلك الى طرو تحسن التمتع والتنعم فينبعث العقل
الى خاطر الخير اعني العقل الذي هو من الجنود لا العقل الذي هو السلطان
الاعظم لانه اجل من ان يتغير ويتحرك من حيزه فيدفع في وجه الشهوة ويقبح
فعلها وينسبها الى الجهل الذي هو من الجنود اعني الحمق ويشبهها
بالبهيمة والسبع في تهجمها على الشر وقلة مبالاتها بالعواقب فتصغي
النفس عند ذلك الى نصح العقل وتميل الى ترك ذلك الشر فيحمل
الشيطان وهو سلطان جنود الشر وحزب الباطل حملة على العقل
بالاغواء ويقوى داعي الهوى ويقول ما هذا التحرج والزهد البارد ولم
تمتنع عن هواك وقد تيسر لك مبتغاك الذي كنت تشتاقه مدة
وماذا تؤذي نفسك وهل ترى احدا من اهل عصرك يخالف هواه او
يترك غرضه ومبتغاه افتترك ملاذ الدنيا لهم وتحجر على نفسك حتى تبقى
محروما كئيبا حزينا مطعونا واعداؤك في التنعم واللذة والعزة فيضحك
عليك اهل زمانك ويغتم ويتألم بذلك اهلك وعيالك من فعالك
افتريد ان يزيد منصبك وصلاحك على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما
اشتهيت ولم يمتنعوا اما ترى العالم الفلاني ليس يحترز عن فعل ذلك
ولو كان شرا لامتنع عنه فتميل النفس الى الشيطان وينقلب اليه فيحمل
الملك بالارشاد وهو العقل الاعظم سلطان جنود الخير وحزب الحق
حملة على الشيطان ويقول هل هلك الا من اتبع لذة الحال ونسي العاقبة
والمآل فتقتنع بلذة يسيرة ودنيا حقيرة في مدة قليلة وتترك السعادة المخلدة

ولذة الجنة ونعيمها ابد الآباد او تستثقل الم الصبر عن شهوة ولا تستثقل
الم النار وتغتر بغفلة الناس عن العاقبة ونسيانهم انفسهم واتباعهم
للهوى ومساعدتهم للشيطان مع ان عذاب النار لا يخفف عنك
بمعصية غيرك ارايت لو كنت في ايام الصيف ووقف الناس كلهم
في الشمس وكان لك ظل ظليل او بيت بارد اكنت تساعد الناس
وتوافقهم في عذاب الحر او تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالفهم وتهجر
الناس خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم خوفا من حر النار فعند ذلك تميل النفس
الى قول الملك فلا يزال يتردد باطن الانسان بين الجندين ويتجاذب الى
الحزبين وينقلب قلبه بين الاصبعين الى ان يغلب على باطنه من هو اولى
به واشد مناسبة اليه فان كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها
الصفات الشيطانية الجهلية التي ذكرت في هذا الحديث غلب جند الشيطان
ومال القلب الى جنده من فئة البغي والجهل وحزب الضلال معرضا عن فئة
الهدى وحزب الحق واولياء الرحمن ومساعدا لاعداء الله واولياء الشيطان
وجرى على جوارحه من سوابق القضاء ولواحق ما هو سبب بعده عن الله
وان كان الغالب على القلب الصفات العقلية الملكية لم يلتفت القلب الى
اغواء الشيطان وتحريصه اياه على العاجلة وتهوينه امر الاجل بل مال الى حزب الآجلة
الله وجنود العقل وظهرت الطاعة بمقتضى ما سبق من القضاء على جوارحه
فقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء اي يتجاذبه
هذان الحزبان فينقلب من جند الى جند حتى تقع الى ما شاء الله وهذا التقلب والانتقال

هو الغالب على اكثر اهل الايمان وانما الثبات على الدوام مع حزب الملئكة
فهو شأن الانبياء والاولياء صلوات الله على نبينا وآله وعليهم او مع حزب
الشيطان فهو حال الكفار والمنافقين وهذه الطاعات والمعاصي تظهر
من خزائن الغيب ومكامن القضاء الى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب
فانه ايضاً من خزائن الملكوت وهي اذا ظهرت على الجوارح كانت علامات
ودلالات يعرف بها ارباب الكشف واليقين سابق القضاء فمن خلق للجنة
يسّر له الطاعة واسبابها من جنود العقل وصفاته والقي في قلبه الهام الملك
ومن خلق للنار يسّر له اسباب المعصية وجنود الجهل وسلط عليه اقران السوء
والقي في قلبه حكم الشيطان فانه بانواع الحيل يغرّ الحمقى كقوله ان الله رحيم فلا
تخف وان العمر طويل فاصبر حتى تتوب غداً يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا
يعدهم بالتوبة ويمنيهم بالمغفرة فيهلكهم بهذه الحيل وما يجري مجراها وكل ذلك
غير خارج عن قانون القضاء والقدر فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره
للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كانما يصعد في السماء
ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده خلق الجنة
وخلق لها اهلاً فاستعملهم بالطاعة وخلق النار وخلق لها اصحاباً فاستعملهم
بالمعاصي وعرّف الخلق علامة كل منهما فقال ان الابرار لفي نعيم وان الفجار
لفي جحيم يصلونها يوم الدين فهذا نبذ من كيفية المجاهدة والمطاردة بين جنود
العقل وحزب الملك وبين جنود الجهل وحزب الشيطان التي وعدنا لك
بيانها محاذياً لما ذكره بعض اهل العرفان والله ولي الفضل والاحسان قوله عليه السلام

وانما

والحج وضده نبذ الميثاق الحج في اللغة القصد الى اي شيء كان وخصه الشرع
بقصد معين ذي شروط معلومة وفيه لغتان الفتح والكسر وقيل الفتح مصدر
والكسر الاسم والحجة بالفتح المرة الواحدة على القياس وقال الجوهري
الحجة بالكسر المرة الواحدة وهو من الشواذ يقال نبذت الشيء انبذه فهو منبوذ
اذا رميته وابعدته وفي حديث الدجال عليه اللعنة تلده امه وهي منبوذة
في قبرها اي ملقاة والنبذ يكون بالقول والفعل في الاجسام والمعاني قال
تعالى فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا ومنه نبذ الميثاق فاعلم
ان من جملة اخلاق العقل الوفاء بالعهود والمواثيق سيما عهد الله وميثاقه
الذي واثقه ومن عادة الجهل نسيان العهد ونبذ الميثاق وترك الوفاء
ومنه حج بيت الله والقصد الى زيارة الحبيب الاول والدخول في حريم الكعبة
والطواف ببيته والسعي لمرضاته والتقبيل وغيره من الاعمال ونشير الى جملة
من اسرار الحج واعماله الباطنة قال تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس
وامناً واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى الآية الاشارة فيها ان البيت
القلب فان قلب العارف بيت الله كما ان الكعبة بيت والمساجد بيته
ايضاً بوجه وقد جاء في الخبر ان الله تعالى اوحى الى داود قال يا داود فرغ لي
بيتاً اسكن فيه فقال كيف يا رب قال فرغ لي قلبك وكذلك قوله تعالى لا يسعني
ارضي ولا سمائي وانما يسعني قلب عبدي المؤمن فالمعنى اذ جعلنا القلب
الان في المعنى مثابة يقصدونه ويرجعون اليه طلابي وزواري كما يرجعون
الى الكعبة في الظاهر وبالصورة وامناً لك من تصرفات الشيطان

ومكائده وحين بلغ منزل القلب وحصل له سلوك مقاماته يأمن عن غيلان
جنود ابليس وقواطع طريق الحق فان الشيطان وجنوده لا يقدر على دخول
القلب كما لا يقدر طوايف الجن والشياطين على الولوج الى السماء الا
من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب فكذلك سماء قلب العارف
لكونه مزينا بزينة كواكب العلوم والمعارف معمورا بذكر الله محفوظا لا يقدر
الشيطان على دخوله ولا يختطفه اتباعه وجنوده فان القلب خزانة من خزائن
الله والخزانة محروسة بحراسة الله وانما جولان لصوص الشيطان فى
ميادين الصدور كقوله تعالى الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة
والناس وقوله واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى يعنى اذا وصلتم
الى كعبة القلب فاجعلوا مقام الخلة والمحبة معبدكم ومقام توجهكم فيكون قصدكم
وذهابكم الى الله لا الى ما سواه كقوله اتبعوا ملة ابراهيم وكانت ملته وطريقته
ما قال انى ذاهب الى ربى سيهدين ومما يدل على المعنى الذى اشير
اليه قوله وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتى للطائفين والعاكفين
والركع السجود اذ الاشارة فيها انه لما شرف الله البيت بالاضافة الى
نفسه بقوله بيتى للطائفين اكرمه بكرامات مخصوصة عن غيره من المساجد الاول
انه كان اول بيت وضع للناس من بيوت الله الثانى عين موضعه
بمكة خير المواضع بارشاد جبرئيل عليه السلم وقد خلق الله موضع البيت قبل
الارض قال ابو جعفر عليه السلم لما اراد الله عز وجل ان يخلق الارض امر الرياح
فضربن متن الماء حتى صار موجا ثم ازبد فصار زبدا فجمعه فى موضع البيت

ثم جعله

ثم جعله جبلا من زبد ثم دحى الارض من تحته وهو قول الله عز وجل ان اول بيت
وضع للناس للذى ببكة فاول بقعة خلقت من الاربعة الكعبة ثم مدت
الارض من تحتها والثالث امر خليله عليه السلم ببنائه بيده والرابع جعله
مباركا على زواره ومستقبليه والخامس جعله سبب هدايتهم بقوله هدى
للعالمين والسادس جعل حرمه حراما لا يصطاد صيده بل لا ينفر ولا يعضد
شجره ولا يختلى خلاه ولا يلتقط لقطه الا المنشد والسابع جعله مأمنا لا يحل
دم من يأوى اليه ويغفر ذنوب من طاف له قال حرما آمنا سئل عبد الله
بن سنان اباعبد الله عليه السلم عن قول الله عز وجل ومن دخله كان
آمنا قال من دخل الحرم مستجيرا به فهو آمن من سخط الله عز وجل وما دخل
من الوحش والطير كان آمنا من ان يهاج او يؤذى حتى يخرج من الحرم والثامن
جعله قبلة حبيبه صلى الله عليه وآله فقال فول وجهك شطر المسجد الحرام وقبلة
امته الذين هم خير الامم وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره والتاسع جعل
طوافه ركنا من اركان الاسلام ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه
سبيلا والعاشر جعله محلا للآيات والحادى عشر جعله مقناطيس الافئدة
يجذب القلوب اليه من المواضع البعيدة فالقلوب مشتاقة اليه والى اهله
لقوله وجعل افئدة من الناس تهوى اليهم والثانى عشر جعل له كرامة
ظاهرة وآية بينة ان الطير لا يقع على حيطانه ولا يطير فوقه ولا يروث
فى حرمه مع كثرة الحاجة فيه والثالث عشر جعله معظما مبجلا فى الجاهلية
والاسلام بل من لدن آدم عليه السلم الى اليوم كانوا يعظمونه ويقصدونه

ويزورونه ويتقربون به اهل الملل كلها حتى اهل الكفر والشرك والرابع
عشر انها منزلة من السماء قال الصادق عليه السلم ان الله انزل
البيت من السماء وله اربعة ابواب على كل باب قنديل من ذهب
معلق الخامس عشر انها باقية ما دامت السموات والارض روي عن
الصادق عليه السلم انه قال ان الله اختار من كل شي شيئا اختار
من الارض موضع الكعبة ولا يزال الدين قائما ما قامت الكعبة
السادس عشر انها كانت بيضاء مضيئة كضوء الشمس لكنها اسودت
وستر ضوؤها لمعصية الخلق وذنوب بني آدم روى محمد بن علي بن بابويه
العجلي رحمه — رحمه الله في كتاب الفقيه سئل محمد بن عمران العجلي ابا عبد الله عليه السلم
الكعبة — اي شي كان موضع حيث كان الماء في قوله تعالى وكان عرشه على الماء قال
كانت مهاة بيضاء يعني درة وفي رواية ابي خديجة عن ابي عبد الله
ازله رحمه — عليه السلم ان الله تعالى انزله لآدم من الجنة وكان درة بيضاء فرفعه
وبقي اسه وهو بحيال هذا البيت يدخله كل يوم سبعون الف ملك
لا يرجعون اليه ابدا فامر الله تعالى ابراهيم واسماعيل ببنيان البيت
على القواعد وفي رواية عيسى بن عبد الله الهاشمي عن ابيه عن ابي عبد الله
عن ابيه عليهما السلم قال كان موضع الكعبة ربوة من الارض بيضاء
تضيء كضوء الشمس والقمر حتى قتل ابنا آدم احدهما صاحبه فاسودت فلما
نزل آدم رفع الله له الارض كلها حتى رآها ثم قال هذه لك كلها قال يا رب
ما هذه الارض البيضاء المنيرة قال هي حرمي في الارض وقد جعلت لك

ان نطوف

بها رحمه — ان نطوف بها كل يوم سبعمائة طواف الثالث عشر كون موضعها احب
المواضع الى الله تعالى ففي الفقيه ايضا روى سعد بن عبد الله الاعرج عن
ابي عبد الله عليه السلم قال احب الارض الى الله تعالى مكة وما تربة احب
الى الله تعالى من تربتها ولا حجر احب الى الله تعالى من حجرها ولا شجر
احب الى الله تعالى من شجرها ولا جبل احب الى الله تعالى من جبالها
ولا ماء احب الى الله تعالى من مائها الثامن عشر كون النظر اليها احتراما
وعرفانا عبادة ففيه ايضا قال الصادق عليه السلم من نظر الى الكعبة فعرف
من حقنا وحرمتنا مثل الذي عرف من حقها وحرمتها غفر الله ذنوبه كلها وكفاه
هم الدنيا والآخرة التاسع عشر انه تعالى جعل فيه الحجر الاسود وهو ياقوت
من يواقيت الجنة العشرون انه تعالى جعل الحجر وهو جزء من البيت بمنزلة
يمين الله ففي الفقيه في باب علل الحج وانما يقبل الحجر ويستلم ليؤدى الى الله
العهد الذي اخذ عليهم في الميثاق وانما وضع الله الحجر في الركن الذي هو فيه
اخذ — ولم يضعه في غيره لانه تعالى حين اخذ الميثاق في ذلك المكان وجرت السنة
بالتكبير واستقبال الركن الذي فيه الحجر من الصفا لانه لما نظر آدم من الصفا
وقد وضع الحجر في الركن كبر الله عز وجل وهلله ومجده وانما جعل الميثاق في الحجر
لان الله تعالى لما اخذ الميثاق له بالربوبية ولمحمد بالنبوة ولعلي بالوصية اصطكت
فرائص الملئكة واول من اسرع الى الاقرار بذلك الحجر فلذلك اختاره الله
والقمه الميثاق وانما اخرج الحجر من الجنة ليذكر آدم ما نسي من العهد والميثاق
وصار الحرم مقدار ما هو لم يكن اقل ولا اكثر لان الله تعالى اهبط على آدم ياقوتة

حجرا فوضعها في موضع البيت فكان يطوف بها آدم وكان ضوئها مبلغ
موضع الاعلام فعلمت الاعلام على ضوئها فجعله تعالى حرما وانما يستلم الحجر
لان مواثيق الخلايق فيه وكان اشد بياضا من اللبن فاسود من خطايا بنو
آدم ولولا ما مسته ارجاس الجاهلية ما مسته ذو عاهة الا برأ فهذه صفات
وخصايص كريمة شرف الله بها بيته اختصرنا من صفاته وكراماته الغير المحصورة
على هذه العشرين مخافة التطويل ومن نظر فيها وتأمل حق التأمل وجد الجميع
مطابقا محاذيا لصفات القلب الانسانى ولولا مخافة الاسهاب لبينا لواحدة
واحدة منها كيف يصدق ويطابق لما في القلب اعنى قلب المؤمن العارف
ولكني اذكر شطرا من وجوه المطابقة والموازنة تنبيها على سايرها وليقاس اليه
غيرها فاقول وبالله التوفيق فمنها ان اول موضع خلق في ارض البدن
وتعلق به الروح وسكن فيه القلب الحقيقي [illegible] هو القلب الصنوبري وقد
تقرر عند الطبيعين والاطباء انه اول ما يتكون من الاعضاء ويتحرك وآخر ما يسكن
فيكون اول بيت وضع للناس للذي ببكة الصدر في الصورة او اول
معبد ومسجد وضع للناس القلب الحقيقي الذي كان ببكة الصدر المعنوي
وذلك الصدر اشرف مقام من النفس وموضع ازدحامات القوى الدراكة
والمحركة ومنها كونه مباركا فان القلب ذا بركة آلية من الفيض الوارد عليه
من جهة الروح المتصل منه بساير القوى التي في الاعضاء لما تقرر في كتب التشريح
وغيره ان قوة الحس والحيوة يسرى بواسطة القلب الى ساير الاعضاء وكذا
نسبة القلب المعنوي الى القوى الحيوانية والنباتية والطبيعية في وصول

فيض

فيض الوجود من الله ومنها ان يكون فيه هدى للناس لان من عرف النفس
يعني القلب المعنوي فقد عرف ربه ومنها ان فيه آيات من العلوم والمعارف
والحكم والحقايق ومنها كونه موضع قدم ابرهيم العقل يعني محل اتصال
نور الروح وهو القلب الحقيقي ومن دخله من السالكين والمتحيرين في
بيداء الجهالات كان آمنا من اغواء غيلان المتخيلة وعفاريت احاديث
النفس واختطاف شياطين الوهم وجن الخيالات واغتيال سباع
القوى النفسانية ومنها كون القلب قبلة لقوى البدن وحاملها من الروح
البخاري يتوجه اليه الجميع ومنه يصل اليها قسطها من الحيوة والحس والحركة
ومنها كونه مأمنا يلتجي اليه القوى بحواملها ومراكبها وتسترجع اليه عند ورود
آفة او مرض او خوف ولاجل ذلك قد يقع الغشي ومنها ان طيور القوى
الحيوانية لا ترتفع فوقها ولا تقع على اطرافه ومنها كونه معظما مكرما عند الخلق
جميعا فان اصحاب القلوب معظمون عند المؤمن والكافر ومنها كون الروح
والعقل مامورين من قبل الله بتطهير بيت القلب عن ادناس التعلقات
وارجاس الشهوات والسيئات واوضار ملاحظة الاغيار على موازاة موازاة آدم اوزار لـ
قوله تعالى وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل ان طهرا بيتي وانما اضافه الى نفسه
لتشريفه وليكون مخصوصا به عما سواه ولا يكون لغيره فيه مثوى ولا سكنى
وان الطائفون فوايدات الحق والهاماته ولوامع انواره وطوالع اسراره فمن
القلوب ما يزوره ملايكة الرحمة في كل يوم سبعين مرة بل منها الملايكة عاكفون
حوله كما يعتكفون حول العرش فقد ورد قلب المؤمن عرش الرحمن وهم يسبحون

الله ويقدسونه ومنهم ايضا سجود لا يركعون وركوع لا يسجدون يشبه ملكة السموات
ومنها انه كما كان بدوام البيت ان آدم عليه السلم لما اهبط الى الارض وفقد
ما كان يجد من روايح الطاف الله في الجنة استوحش فانزل الله تعالى ياقوتة
من يواقيت الجنة لها بابان باب شرقي وباب غربي وفيه قناديل من الجنة
وكذلك لما هبط الروح الى ارض الجسد وفقد ما كان يجد من روايح الطاف الحق
في جنة حظيرة القدس استوحش فانزل الله ياقوتة القلب فبواسطته تعلق
الروح بالبدن وهو بحذاء القلب الحقيقي الذي ياقوت من جنة حظيرة القدس
وهذا الصنوبري الاحمر مثاله وصورته وله بابان كما للحقيقي باب شرقي ايمن
الى حظيرة رب العالمين تطلع منها اليه شوارق الالطاف والالهامات
وباب غربي ايسر الى مغرب الجسد منه ينزل آثار تلك الشوارق الى الجسد
وفيه قناديل الانوار العقلية وانزل حجر الذرة المخاطبة بخطاب الست بربكم
منورا بنور جواب بلى وهو الايمان الفطري وهو الحجر الذي التقم كتاب العهد
يوم الميثاق وهو يمين الله في ارضه وهو الذي يلزم ان يصافح ويستلم ايمانا بك (margin: ايمانا بك)
بوعده ووفاء بعهده فلما كان ايام طوفان آفات الصفات البشرية
من ايام الطفولية الى اوان البلوغ العقلي وفار تنور الشهوات فرفع الله
بيت القلب الى السماء وصار حجر الذرة مخبوا في ابي قبيس صفات النفس
وهواها فلما امر ابراهيم الروح بعد البلوغ ببناء بيت القلب وعمارته
امر ان يرفع قواعده من خمسة اجبل اركان الاسلام وهي خمس فلم يدر ابراهيم
الروح اين يبني فبعث الله السكينة ليدله على موضع البيت وفيه اشارة

(margin: الجبل معروف وجمع جباله / اجبل مع قلة)

الى ان عمارة

الى ان عمارة القلب لا يمكن الا بالسكينة التي ينزل الله في قلوب عباده
ولو كان العبد نبيا من الانبياء عليهم السلم لقوله تعالى فانزل الله سكينته
على رسوله وعلى المؤمنين وقال هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين
فجعل اسمعيل النفس المطمئنة المامورة يجئ باحجار الاعمال الشرعية
من جبال اركان الاسلام وبنيا ولها من الصدق ابراهيم الروح وهو
يبني الى ان بلغ موضع الحجر فنودي من ابي قبيس الهوى ان لك عندي وديعة
فخذها فخلص حجر الذرة من استتار صفات النفس والهوى فوضعه مكانه
وكان عند الميثاق ابيض فلمسته حيض اللذات الدنياوية وشركوا الشهوات
النفسانية في جاهلية الطفولية فصار اسود فلما اتما قواعد البيت رجعا الى
الحضرة بصدق النية وبا سالا ربهما من الاجرة الا تقبل العبودية وقالا ربنا (margin: وبناه)
تقبل منا انك انت السميع العليم بما نتكلم به وبما نضمره مما نحتاج اليه فهذه
جملة من اسرار الحج وطواف البيت اختصرنا عليها لما ذكرنا من الاملال والاحتراز
اكثر المترسمين عن هذا النوع من الكلام لجمود قرايحهم على الظواهر حيث لم يخرجوا من
بيت حجابهم وعتبة باب تجسمهم مهاجرا الى الله والى بيوت اذن الله ان
يرفع ويذكر فيها اسمه قوله عليه السلم وصون الحديث وضده النميمة هي
نقل الحديث من قوم الى قوم على جهة الافساد والشر وقد نم الحديث نميمة
ونما فهو نمام والاسم النميمة ونم الحديث اذا ظهر فهو متعد ولازم فالنميمة اخص
من الافشاء لانه قد يكون بنقل الحديث وقد يكون بغيره كما ان الصون
اخص من الكتمان لانه اعم من صون الحديث وصون شيء آخر واخفائه وذلك

ان الاول صفة محمودة نافعة فى سلوك الهداية فيكون من جنود العقل وان
الثانية صفة مذمومة ضارة فى الحال والمآل فيكون من جنود الجهل وحزب
الشيطان قوله عليه السلم وبر الوالدين وضده العقوق البر بالكسر الاحسان
ومنه بر الوالدين وهو فى حقهما وحق الاقربين من الاهل الاحسان اليهم وضده
وهو الاساءة اليهم والتضييع لحقهم فالبر مطلق ضده الاساءة وقسم من الاساءة
وهو الاساءة الى الاقربين يسمى باسم خاص هو العقوق بخلاف البر فان
التخصيص فيه انما يستفاد مما اضيف اليه والمبرة مثله يقال قد بررت والدى
بالكسر من باب علم برا فانا بر به وبار وجمع البر الابرار وجمع البار البررة
وفلان بر خالقه يبره ويتبرره اى اطاعه وبر فلان فى يمينه صدق وبرت حجته وبر الله
حجته وابره برا وفى الحديث الحج المبرور ليس له ثواب الا الجنة وهو الذى
لا يخالطه شئ من الماثم والبيع المبرور اى الذى لا شبهة فيه ولا كذب
ولا خيانة وفى المثل لا يعرف الهر من البر اى لا يعرف من يكرهه ممن يبره
وقيل الهر دعاء الغنم والبر سوقها وقيل البر الصلاح وقيل الخير قال بعضهم لا اعلم
تفسيرا اشمل منه واجمع لمواقع استعماله والاصل ان البر مطلقا من خصال
العقل فكيف بر الوالدين والاثم مطلقا من خصال الجهل فكيف عقوقهما ومنه
يعلم ان بر الوالدين له فضل عظيم زائد على ساير اقسام البر حيث اختص بالذكر
من بينها وكذا القياس فى العقوق بالنسبة الى ساير اقسام الاساءة
والاثم قوله عليه السلم والحقيقة وضدها الرياء ونسبتهما الى الاخلاص والشوب
كنسبة الاخص الى الاعم فالحقيقة اخلاص العمل لله تعالى ابتغاء لوجهه لا لشئ
اخر من

اخر من هوى او شهوة او عادة او رياء والرياء فعل الطاعة لكى
يراها الخلق منه فيعظمونه فان قلت فكيف يكون داخلا تحت الشوب
حيث هو رياء محض خالص للخلق قلنا لا يخلو مع ذلك عن شوب للحق
لاختياره من جملة الاعمال المقربة الى الخلق فعل الطاعة والعبادة دون
غيرها من الاعمال التى توافق طباعهم فكانه قد علم ان الطاعة فى نفسها خير
الاعمال فيترائى بها الناس وفى الخبر من راءى راءى الله به اى من عمل عملا
لكى يراه الناس شهره الله رياءه يوم القيمة قوله عليه السلم والمعروف و
ضده المنكر المعروف اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله تعالى و
التقرب اليه والاحسان الى الناس وكل ما ندب اليه الشرع
من فعل المحسنات وترك المقبحات وهو من الصفات الغالبة
اى امر معروف بين الناس اذا راوه لا ينكرونه والمعروف ايضا النصفة
وحسن الصحبة مع الاهل وغيرهم من الناس والمنكر ضد ذلك جميعه وروى
فى الحديث اهل المعروف فى الدنيا هم اهل المعروف فى الاخرة اى من
بذل معروفه للناس فى الدنيا اتاه الله تعالى جزاء معروفه فى الاخرة وقيل
من بذل جاهه لاصحاب الجرائم التى لا تبلغ الحدود فيشفع فيهم شفعه الله
فى اهل التوحيد فى الاخرة وروى عن ابن عباس فى معناه انه قال ياتى
اصحاب المعروف فى الدنيا يوم القيمة فيغفر لهم بمعروفهم ويبقى حسناتهم
جامة فيعطونها لمن زادت سيئاته على حسناته فيغفر له فيجتمع لهم الاحسان
الى الناس فى الدنيا والاخرة وفيه انه قراء فى الصلوة والمرسلات

عرفا يعني الملئكة ارسلوا للمعروف والاحسان والعرف ضد النكر وقيل انها
ارسلت متتابعة كعرف الفرس قوله عليه السلم والستر وضده التبرج
سترت الشئ سترا بالفتح اي غطيته فاستتر ورجل ستير اي عفيف وجارية
ستيرة وفي الحديث ان الله حيي ستير يحب الحياء والستر والستير
فعيل بمعنى فاعل اي من شانه وارادته حب الستر والصون برج الحصن
ركنه والجمع ابراج وربما تسمى به الحصن ومنه ولو كنتم في بروج مشيدة و
البرج بالتحريك ان يكون بياض العين محدقا بالسواد كله لا يغيب من سوادها
شئ وفي الحديث كان يكره عشر خلال منها التبرج بالزينة لغير محلها و
التبرج اظهار الزينة للاجانب وهو المذموم من المراة مطلقا يقال امراة
برجاء في معرض الذم واما للرجل فقيد كونه مذموما بقوله لغير محلها والمراد من
التبرج ههنا ما يقابل الحياء وهو التظاهر بما يقبح ويستهجن عند الشرع والعرف
قوله عليه السلم والتقية وضدها الاذاعة التقية كالتقاة من اتقى يتقي اتقاء
واصل اتقى اوتقى على افتعل فقلبوا الواو ياء لكسرة ما قبلها ثم قالوا اتقى يتقي
بفتح التاء فيهما على توهم اصالة التاء والتقية اسم من الاتقاء وتاؤها بدل من
الواو لانها فعيلة من وقيت وهي ان يقي احد نفسه من الاذية او من العقوبة
بما يظهر وان كان على خلاف ما يضمر وهي صفة حسنة جائزة الى يوم القيمة وربما
كانت واجبة وعن ابي عبد الله عليه السلم في قول الله تعالى اولئك يؤتون
اجرهم مرتين بما صبروا قال بما صبروا على التقية ويدرؤن بالحسنة السيئة
قال الحسنة التقية والسيئة الاذاعة وعنه عليه السلم انه قال ان تسعة اعشار

الدين

الدين في التقية ولا دين لمن لا تقية له والتقية في كل شئ الا في النبيذ والمسح
على الخفين وروي عن ابي بصير قال قال ابو عبد الله عليه السلم التقية من دين
الله قلت من دين الله قال اي والله من دين الله ولقد قال يوسف ايتها العير انكم
لسارقون والله ما كانوا سرقوا شيئا ولقد قال ابرهيم اني سقيم والله ما
كان سقيما فاذن ثبت ان التقية من مكارم الاخلاق والاذاعة يعني الاشاعة
ضدها فيكون من مساوي الاخلاق فعن الصادق عليه السلم انه قال ان الله عير
اقواما بالاذاعة في قوله تعالى واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به واياكم
والاذاعة وقال عليه السلم من اذاع علينا حديثا فهو بمنزلة من جحدنا حقنا وقال
للمعلى بن خنيس المذيع حديثنا كالجاحد له وقال من اذاع علينا شيئا من
امرنا فهو كمن قتلنا عمدا ولم يقتلنا خطاء قوله عليه السلم والانصاف وضده الحمية
الانصاف من النصف وهو اخذ احد جزئين متساويين للشئ والنصف
ايضا النصفة وهو الاسم من الانصاف وهو العدل لانه التسوية وقد
انتصف من نفسه وانتصفته انا منه وتناصفوا اي انصف بعضهم بعضا من
نفسه ومنه وينبغي للقاضي ان ينصف الخصمين من مجلسهما اي يسوي بينهما
عنده واناء نصفان بالفتح اي بلغ الماء نصفه والنصف المراة بين المدركة
والمسنة وتصغيرها نصيف بلا هاء لانها صفة ونساء انصاف ورجل نصف
وقوم انصاف والحمية من حماه حماية منعه ودفع عنه وحامية القوم الذي
يحميهم والتاء للمبالغة والحامي في القرآن الفحل اذا القح ولد ولده لا يركب
ولا يمنع من مرعى والحمى موضع الكلا يحمى من الناس فلا يرعى ولا يقرب

194

وكان من عادات الجاهلية فنفاه صلى الله عليه وآله فقال لا حمى الّا لله ولرسوله
اي الّا ما يحمى من النّاس ~~فلا يرعى ولا يترك~~ كان الشريف في الجاهلية
اذا نزل ارضا في حيّه استعوى كلبا فحمى مدى عواء الكلب لا يشركه فيه غيره
وهو يشارك القوم في ساير ما يرعون فيه فنهى النّبي صلى الله عليه وآله عن
ذلك واضاف الحمى الى الله ورسوله اي الّا ما يحمى للخيل التي ترصد للجهاد
والابل التي يحمل عليها في سبيل الله وابل الزكوة وغيرها كذا في النهاية
والحميّة الانفة لانها سبب الحماية وفي الحديث اخذته الحميّة اي الغيرة والانفة
وقوله لئلا تحمله حميّة الشيطان انما اضافها اليه لانها منه والمراد كون الانسان بحيث
يحمله الغيرة النفسانية والتعصب لمذهب او شئ حتى يتجاوز عن العدل
ويتعدى عن الحقّ وهو من صفات الجهل لانه من صفات الجهل لانه ضد الانصاف
والعدل قوله عليه السّلم والتهيّة وضدّها البغي التهيّة من الهيئة وهي الحالة الظاهرة
للمتهيّئ للشئ وقوله اقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم هم الذين لا يعرفون بالشر وقيل
من لم يظهر منه ريبة وهيئت الامر تهيئة وتهيأت تهيؤا بمعنى وهيأته اصلحته
والتهايؤ تفاعل من الهيئة وهو ان يتواضعوا على امر فيتراضوا به وحقيقته انّ
كلّا منهم يرضى بحالة واحدة والتهيّة ايضا بمعنى الاستعداد ولعل المراد ههنا
التأني والتثبت في الامور والكون على حالة واحدة كما هو شأن اهل العقل
والبغي التعدي والتجاوز وبغى عليه اي استطال وبغت السماء اشتد مطرها
وبغي الوادي ظلم وكل مجاوزة وافراط على المقدار الذي هو حدّ الشئ فهو بغي
قوله عليه السّلم والنّظافة وضدّها القذر النظافة النقاوة ونظف الشئ بالضم
فهو نظيف ونظّفته تنظيفا والتنظّف تكلّف النظافة وهو كناية عن الاستنجاء

وهو من

وهو من النظافة كالاستطابة من الطيب والقذر بفتح الذال المعجمة ضد النظافة
وقذر الشئ فهو قذر بيّن القذارة اي غير نظيف وانما كان العاقل نظيفا
والجاهل قذرا لانّ ما في البطن يترشح الى الظاهر ولا شك انّ العقل مجرّد
عن الارجاس الجسمانية والقاذورات المادية وكذا قلبه مطهّر عن رجس
العقايد الجاهلية وقذر الملكات الرديّة فلاجرم يسرى هذه الحالة من القلب الى
القالب فيختار النظافة ويتأذى من القذر فلذلك امر الشارع بالطهارة
عن الاحداث والاخباث في الصلوة وغيرها من القربات وجوبا او
استحبابا وندب الى التنظيف والتطييب استحبابا وباطن اهل
الجهالة والكفر مشحون بنجاسة الملكات والاعتقادات فيتعدى تلك
الحالة الى تلوث الجوارح بالاقذار والانجاس من غير مبالاة بها واستيحاش
عنها قوله عليه السّلم الحياء وضده الخلع حقيقة اصل الحياء انكسار وآفة
تصيب الحياة وذلك لا يصحّ فيه تعالى واطلاقه عليه على سبيل المجاز والحياء
غريزة انسانية يوجد في بعض الانسان وفي الحديث الحياء من الايمان
جعل الحياء وهو غريزة من الايمان وهو اكتساب لانّ المستحيي ينقطع
عن المعاصي وان لم يكن له تقوى كالايمان الذي يقطع بينه وبين المعاصي
وانّما جعله جزءا لانّ الايمان ينقسم الى ايتمار بما امر الله به وانتهاء عمّا نهى الله
عنه فاذا حصل الانتهاء بالحياء كان بعض الايمان ومنه الحديث اذا لم تستحيي
فاصنع ما شئت فله تأويلان احدهما ظاهر وهو المشهور اي اذا لم تستحيي
من العيب ولم تخش العار ممّا تفعله فافعل ما يحدّثك به نفسك من اغراضها

198

حسنا كان او قبيحا ولفظ الامر معناه توبيخ وتهديد وفيه اشعار بان الذي يردع الانسان
عن مواقعة السوء هو الحياء فاذا انخلع منه كان كالمامور بارتكاب كل ضلالة
وتعاطي كل سيئة والثاني ان يحمل على بابه فتقول اذا كنت في فعلك
آمنا ان تستحيي منه لجريك فيه على سنن الصواب وليس من الافعال التي
يستحيي منها فاصنع ما شئت والخلع اصله من خلع ثوبه او نعله او نحوهما
خلعا اي نزعه وخلع عليه خلعة وخالعت المراة بعلها فهي خالع والاسم الخلعة
واختلعت منه فهي مختلعة اذا افتدت منه بما لها فاذا اجابها الى ذلك فطلقها
قيل خلعها والاسم الخلع بالضم وقد تخالعا وانما قيل ذلك لان كلا منهما
لباس لصاحبه لقوله تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن فاذا فعلا ذلك
فكانهما نزعا لباسهما ويقال خلع الفرس عذاره اذا القاه وطرحه
فهام على وجهه ولما كان الشرع كالقيد للانسان والعقل كالعقال فمن
خرج عن طريق الشرع او العقل فكانه كالفرس خلع عذاره فيقال
فلان خليع العذار اي ينسرح في الشهوات ويفعل ما يشتهي كالدابة
التي لا عقال عليها او شبهت الطاعة بالثوب لاشتمالها على الانسان
المطيع لامر الله فمن لم يطع الله ورسوله فكانه خلع ثوب الطاعة عن نفسه
فالخلع ضد الطاعة والحياء مستلزم لها كما سبق فهما جندان متضادان
قوله عليه السلم والقصد وضده العدوان قال تعالى واقصد في مشيك
اي بين الاسراع والابطاء وفي صفته صلى الله عليه وآله كان ابيض
مقصدا وهو الذي ليس بطويل ولا قصير ولا جسيم كان خلقه نحو القصد
من الامور

[illegible]

[illegible]

من الامور والمعتدل الذي لا يميل الى احد طرفي الافراط والتفريط في الحديث
القصد تبلغوا اي عليكم بالقصد من الامور في القول والفعل وهو الوسط
بين الطرفين وهو منصوب على المصدر المؤكد وفيه ايضا عليكم هديا قاصدا
اي طريقا معتدلا وفيه ايضا ما عال مقتصد ولا يعيل اي ما افتقر من لا يسرف
في الانفاق ولا يقتر فالقصد العدل والعدوان من العدو وهو التجاوز
عن الحد والعادي الظالم وقد عدى عليه عدوا وعدوا وعداء بالفتح
والمد اي ظلم ومنه السبع العادي اي الظالم الذي يفترس الناس والعدوان
الظلم الصراح وقد عدا عليه وتعدى عليه واعتدى كله بمعنى فمن صفات
العقل وآدابه الاقتصاد والتوسط في الافعال والاقوال والافكار وساير ما يتعلق
باعمال القوى المدركة والمحركة كما في قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك
ولا تبسطها كل البسط وقوله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان
بين ذلك قواما وقوله واقصد في مشيك وذلك كله نتيجة ملكة العدالة في
القلب الذي هو راس محاسن الاخلاق المؤدي بسالكه الى الارتقاء الى
عالم الجنان والصعود الى منزل الرضوان ومجاورة الرحمن وشان الجهل التعدي
عن قصد الطريق والعدول عن سنن الصواب والتجاوز عن حد الاستقامة
الى الافراط والتفريط والانحراف عن الصراط المستقيم صراط الله العزيز الحميد
الموجب للسقوط الى الجحيم والهوي الى اسفل درك الجحيم منزل الاشرار والشياطين
قوله عليه السلم والراحة وضدها التعب العاقل في راحة لقلة شواغله بالامور
الدنياوية لاستيناسه بذكر الحق ورضائه بما جرى عليه وقسم له من قضاء الله

مشيك

صابراً على احكامه شاكراً لنعمته لا يحسد احداً من الخلق ولا يريد ظلماً ولا سوءً اولا يقهر وعلاً ولا شراً فنفسه ساكنة عن الوسواس وقلبه فارغ عن الخلق يستوي عنده انكارهم واذعانهم لعلمه بحقارة الدنيا ودثورها كما قال امير المؤمنين عليه السلم والله ما دنياكم هذه عندي الا كعفطة عنز واما الجاهل فهو ابداً في تعب ومشقة تارة من جهة عاداته الردية وامراضه النفسانية كالحسد والحقد والعداوة وغيرها من الملكات التي هي كشعلات نارية يحترق بها قلبه في الدنيا والآخرة وتارة من جهة اغراضه النفسانية الشهوية واكتساب مشتهياته التي يتعب بدنه في تحصيلها من ارتكاب الاسفار البعيدة وركوب البحار العميقة وقطع المفاوز البعيدة وتارة من جهة حبه للرياسات والمناصب والترفعات على الاقران بارتكاب المخاطرات كتقرب السلاطين وتعرضه لمكافحة الخصماء ومحاربة الاعداء الى غير ذلك من الامور الباطنة المتعبة للنفوس والابدان المعذبة للقلوب والارواح ومنشأ كلها الجهل بدنائة هذه الحيوة وخساسة هذه الاغراض والشهوات ودثورها وزوالها فاسوء الناس حالاً ومآلاً من يجهل العاقبة ولا يؤمن بيوم الحساب فتمام عمره في تعب ومشقة وفي الآخرة عذاب شديد كما قال تعالى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيمة اعمى الآية قوله عليه السلم والسهولة وضدها الصعوبة السهل له معنيان احدهما ضد الحزن يقال ارض سهلة وسهل الموضع بالضم وفي صفته صلى الله عليه وآله انه سهل الخدين اي سائل الخدين غير مرتفع الوجنتين والآخر ضد الصعب توصف به الدابة كالبعير ونحوه يقال بعير صعب اي غير منقاد ولا ذلول وفي الحديث

من كان

من كان مصعبا فليرجع اي من بعيره صعباً غير ذلول يقال اصعب الرجل فهو مصعب وفيه ايضاً فلما ركب الناس الصعبة والذلول فمن صفات المؤمن السهولة والانقياد ولين الجانب ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله المؤمنون هينون لينون كالجمل الانف ان قيد انقاد وان انيخ على صخرة استناخ هما مخففا الهين واللين بالتشديد وقيل يمدح بالهين واللين مخففتين ويذم بهما مثقلتين والانف المانوف وهو الذي عقر الخشاش انفه فهو لا يمتنع على قائده وقيل الانف الذلول فقال انف البعير يانف انفاً اذا اشتكى انفه من الخشاش وكان الاصل ان يقال مانوف لانه مفعول به كما يقال مصدور ومبطون للذي يشتكي صدره وبطنه وانما جاء هذا شاذ ويروى كالجمل الآنف بالمد وهو بمعناه وعن امير المؤمنين عليه السلم كان يعد صفات المؤمن سهل الخليقة لين العريكة حليم حمول الى غير ذلك من الصفات في حديث طويل والكافر الجاهل على ضد هذه الصفة كالدابة الصائلة والفرس الجموح والبغلة الشموس والبعير الصعب لا ينقاد صاحبه ويخرج من الطريق شمالاً ويميناً لقوة نفسه وقلة خوفه فلا يطيع لقائده ومرشده قوله عليه السلم والبركة وضدها المحق في الحديث وبارك على محمد وآله اي اثبت له ولآله وادم ما اعطيته من التشريف والكرامة وهو من برك البعير اذا اناخ في موضع فلزمه ويطلق البركة على الزيادة والاصل الاول والمحق النقص والمحو والابطال وقد تكرر في الحديث ومنه البيع الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة فالدوام والثبات وكذا الزيادة من صفات العقل لارتفاعه عن عالم التغير والدثور والآفة والامحاق

والبطلان والنقيصة والآفة من لوازم الجهل المتعلقة بعالم الشر والفساد والزوال
قوله عليه السلم العافية وضدها البلاء وَرَدَ في الادعية المأثورة سؤال العفو
والعافية والمعافاة فالعفو محو الذنوب والعافية ان يسلم الانسان من الاسقام
والمحن والبلايا وهي الصحة والمعافاة هي ان يعافيك الله من الناس ويعافيهم
منك اى يغنيك عنهم ويغنيهم عنك ويصرف أذاك عنهم واذاهم عنك وقيل اذاك
هي مفاعلة من العفو وهو ان يعفو عن الناس ويعفوهم عنه البلاء والبلوة والبلية
والبلوى واحد والجمع البلايا وقد ابليت وبليت وقوله ما لم يبل العذر اى لم
يبينه له ولم يظهره وهو في الاصل يتعدى الى مفعولين يقال ابليت فلانا عذرا اذا
بينته له بيانا لا لوم عليك بعده وحقيقته جعلته باليا لعذرا اى خابرا له عالما بكنهه
من بلاه وابتلاه وابلاه وبتلاه اى اختبره وجربه ومنه ابلى في الحرب اذا اظهر
بأسه حتى بلاه الناس وخبروه والبلاء الاختبار قال القتيبي يقال في الخير ابليته ابليه
بلاء وفي الشر بلوته ابلوه بلاء والمعروف ان الابتلاء يكون في الخير والشر معا
من غير فرق بين فعليهما ومنه قوله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات
ونبلوكم بالشر والخير فتنة والابلاء الانعام والاحسان يقال بلوت الرجل وابليت وابليت
بلاء حسنا والبلاء المذكور ههنا اسم لما هو ضد السلامة والعافية فان العاقل العاقل
من جهة عقله في عافية في اولاه واخراه والجاهل في تعب وبلاء في الدنيا والآخرة
ولا خلاص له من رق الشهوات واسر الهوى والتبعات وارتكاب
الخطيئات وخبط العشوات او نقول المراد من العافية والبلاء ما هو بحسب الآخرة
والنشأة الدائمة فلا يرد النقض بان حال المؤمن والكافر على عكس ما ذكر للاحاديث

الواردة

الواردة في ذلك كقوله صلى الله عليه وآله الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وعن
ابى عبد الله عليه السلم ان اشد الناس بلاء الانبياء ثم الذين يلونهم
ثم الامثل فالامثل وعنه عليه السلم انه قال ان عظيم الاجر لمع عظيم البلاء وما
احب الله قوما الا ابتلاهم وقوله ان لله تعالى عبادا في الارض من خالص
عباده ما نزل من السماء تحفة الى الارض الا صرفها عنهم الى غيرهم ولا بلية
فالمقرر له الا صرفها اليهم الى غير ذلك من الاخبار المتواترة والروايات المتظافرة فالمصير
في دفع التناقض الى ما ذكر من الوجهين قوله عليه السلم والقوام وضده
المكاثرة المراد بالاول القناعة بما يقوم به الشخص في الدنيا ويتقوى به
في العبادة والكفاية بالمقدور وبالثانية جمع الاسباب والحرص
على التكاثر في الاموال والاولاد والضياع والعقار والبناء والخيل
والانعام وغير ذلك من متاع الحيوة الدنيا مما يزول عن العبد وتبقى
الحسرة الى يوم القيمة وقد ورد الدنيا دار من لا دار له ولها يجمع من لا عقل
له قوله عليه السلم والحكمة وضدها الهوى الحكمة هي العلم بحقايق الاشياء
كما هي بقدر الطاقة والعمل على وفقه والهوى الرأى الفاسد واتباع
النفس شهواتها الباطلة ويحتمل ان يكون المراد بالحكمة ما يستعمل في
كتب الاخلاق وهو التوسط في القوة الفكرية بين الافراط الذي هو الجربزة
والتفريط الذي هو البلاهة فيكون المراد بالهوى الجربزة بما يلزمها من الآراء
الفاسدة والعقايد الباطلة لانها تضاد الحكمة التي بهذا المعنى وكلا
المعنيين من صفات العقل وملكاته ومقابلاهما من صفات الجهل

198

وتوابعه قوله عليه السلم والوقار وضده الخفة الوقار وهو الثبات والسكينة
والحلم والرزانة من خصايص العقل والخفة وهي الطيش والعجلة من فعل
الشيطان وتوابع الجهل قوله عليه السلم والسعادة وضدها الشقاوة
السعادة نيل ما تشتهيه النفس مع الشعور به والشقاوة فقد ذلك مع
الشعور به فيكون مقابلا لها تقابل التضاد واعلم ان الخير بالحقيقة هو الوجود
والسعادة الحقيقية هي ادراك ما هو الخير والشر الحقيقي هو العدم والشقاوة
الحقيقية هي ادراكه لكن الوجودات متفاوتة متفاضلة فكلما وجوده اشد
واتم كانت خيريته اقوى واعظم وادراكه الذ واشهى ومدركه اسعد وابهى
واشرف الموجودات واتمها هو الحق الاول وبعده الذوات القدسية
على درجات شرفهم وقربهم من الحق واخس الموجودات وانقصها هو المادة
الجسمية والزمان والحركة وما يشبهها فاعظم السعادات ادراك الحق تعالى
وملكوته بالايمان في هذا اليوم بالله وملايكته وانبيائه وكتبه ورسله واوليائه
فان المعرفة واليقين في الدنيا ينقلب مشاهدة ورؤية في الاخرة والمرء يحشر
الى من احبه واعلم ان القدر الذي يناله العارف بالله من البهجة والسعادة
خاف اليوم علينا فلا يمكننا ان نعلم قدر ما يحصل للنفس منها فان البهجة تابعة
للمشاهدة لانها اشد انحاء الادراك وحيث يخفى قدر المشاهدة يخفى
قدر البهجة لكنه من المعلوم ان النفس التي ترتاح في هذه الحيوة الى ذكر الله
ويفرح بسماع صفاته وصفات جبروته بينها وبينه مناسبة تؤذن
بانه ينال من روح السعادة عند الفراغ عن شواغل الدنيا قدرا يعتد به خصوصا خصوصا

النفس العاقلة

النفس العاقلة التي تزينت بمعرفة الله عز وجل فان لها من الابتهاج مرتبة
تكل الالسن عن وصفها ولا تظنن ان روح العارف من الانشراح في
رياض المعرفة وبساتين علمه اقل من يدخل الجنة فيفرحها ويقضي فيها شهوة
البطن والفرج وانى تتساويان ولا تستبعد ولا تنكر ان يكون من العارفين
من رغبته في فتح ابواب المعارف لينظر الى ملكوت السماء والارض
وجلال خالقها ومدبرها وهو بعد في الدنيا اكثر من رغبته في الماكول الهني
والمنكوح الشهي والملبوس البهي فكيف في الاخرة التي يصير فيها العلم
عينا والمعرفة مشاهدة والتخييل ابصارا ثم كيف لا يكون هذه السعادة
اعظم من لذة البطن والفرج والرغبة اليها اغلب على العارف البصير وهي
مشاركة للملايكة في الفردوس الاعلى وحظيرة القدس اذ لا حظ للملايكة في
المطعم والمشرب والمنكح ولعل تمتع البهايم بالمنكح والمطعم والمشرب ازيد
من تمتع الانسان فان كنت ترى مشاركة البهايم في لذاتها احق بالطلب
والرغبة من مشاركة الملاء الاعلى في فرحهم وسرورهم بمطالعة جمال الحضرة الربوبية
فما اشد جهلك وغبنك وما اخس همتك وقيمتك على قدر همتك فالعارفون
لما رزقوا شهوة المعرفة ولذة النظر الى جلال الله تعالى فهم من مطالعتهم
جمال الحضرة الربوبية في جنة عرضها السموات والارض لا بل هي اكبر واوسع
وادوم وابقى والعارفون ينظرون الى العاكفين في حضيض الشهوات الحسية
نظر العقلاء الى الصبيان عند عكوفهم على لذة اللعب ولذلك تراهم يستوحشون
من الخلق ويؤثرون العزلة والخلوة وهو احب الاشياء اليهم ويهربون من

199

الجاه والمال علماً بانها تشغلهم عن لذة المناجاة ويعرضون عن اهلهم والاولاد واولادهم
ترفعاً عن الاشتغال بهم عن ذكر الله تعالى وترى الناس يضحكون عليهم و
يستخرون منهم وينسبون حالهم الى السفه والجنون وهم اعقل الناس ويسخرون لهم
وهم ايضاً يضحكون على الناس بقناعتهم بمتاع الدنيا الفانية ويقولون ان
تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون فالعارف مشتغل
بتهيئة سفينة النجاة لنفسه ولغيره لعلمه بخطر المعاد فيضحك على اهل الغفلة ضحك
ضحك العاقل على الصبيان اذا اشتغلوا باللعب بالصولجان فالعجب ممن
يشتغل ويقنع عن النظر الى جلال الحضرة الربوبية الى اللذات الباطلة والشهوات
العاجلة مع غاية اشراقه وظهوره فانه اظهر الاشياء واجلاها ولم يمنع القلوب
من الاستتار بذلك الجلال الا عدم تزكيتها عن كدورات الشهوات
او شدة الاشراق وضعف الاحداق فسبحان من اختفى عن بصائر الخلق
لغاية جلائه واحتجب عنهم لشدة ظهوره وكما علمت حال حقيقة السعادة
ودرجاتها فقس عليه حال الشقاوة ودركاتها وكما ان السعادة راجعة
الى الوجود والعقل فالشقاوة الى العدم والجهل الذي هو ضد الجهل قوله
عليه السلام والتوبة وضدها الاصرار التوبة الرجوع من الذنب الى الطاعة
لله تعالى وهو يدل على ان الاصل في الانسان الذي فطره الله عليه الايمان
والطاعة وانما نعصي الله بسبب امر طارئ عليه كما دل عليه قوله صلى الله عليه وهو لهم
وآله كل مولود يولد على الفطرة والاصرار من الصر وهو الشد وفلان مصرور
اي ماسور موثوق وصرت الناقة شددت عليها الصرار وهو خيط يشد

فوق

والتودية خشبة تشد على خلف الناقة اذا صرت جمع التوادي

فوق الخلف والتودية لئلا يرضعها ولدها واصر على كذا اي اقام ودام عليه
وقد سبق ان التوبة اسبق المقامات للمريد السالك الى الله
تعالى بعد العلم والارادة وانها منتظمة من امور مترتبة علم وحال وعمل
وذكرنا كيفية ترتيبها وتفصيلها واما وجوبها وفضلها فاعلم ان وجوب التوبة ظاهر
بالآيات والاخبار وهو واضح بنور البصيرة لمن انفتحت بصيرته وشرح الله
صدره بنور الايمان حتى اقتدر ان يسعى بنوره الذي بين يديه في ظلمات
الارض مستغنياً عن قائد يقوده في كل خطوة فالسالك اما اعمى لا يستغني
عن القائد في كل خطوة واما بصير يهدى الى اول الطريق ثم يهتدي بنفسه وكذا
الناس في سلوك طريق الآخرة والدين فالناس ينقسمون هذا الانقسام
فمن قاصر لا يقدر على مجاوزة التقليد في خطوة فيفتقر الى ان يسمع في كل قدم
نصاً من كتاب او سنة وربما يعوزه ذلك فيتحير ويقف فسير هذا
وان طال عمره وعظم جده مختصر وخطاه قصيرة وحركته يسيرة ومن سعد شرح
صدره للاسلام فهو على نور من ربه يتنبه بادنى اشارة لسلوك طريق
معوصة وقطع عقبات متعبة فيشرق في قلبه نور القرآن ونور الايمان وهو
لشدة نور باطنه يجتزي بادنى بيان ويكاد زيته يضيء ولم تمسسه نار فاذا
مسته نار فهو نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء فهذا لا يحتاج الى نص منقول
في كل واقعة فمن هذا حاله اذا اراد ان يعرف وجوب التوبة فينظر اولاً
بنور البصيرة الى التوبة ما هي ثم الى الوجوب ما معناه ثم يجمع بين معنى الوجوب
والتوبة فلا يشك في ثبوته لها وذلك ان معنى الواجب ما هو واجب في الوصول

الى سعادة الابد والنجاة من هلاك السرمد ومعنى قول القائل صار كذا
واجبا بالايجاب حديث محض لا معنى له فان ما لا غرض لنا عاجلا وآجلا
في فعله وتركه فلا معنى لاشتغالنا به اوجبه غيرنا او لم يوجبه فاذا عرف
الوجوب وانه الوسيلة الى سعادة الابد وعلم ان لا سعادة في دار البقاء
الا بالتقرب منه تعالى والوصول الى دار كرامته وكل محجوب عنه فهو شقي
لا محالة يحول بينه وبين ما يشتهيه محترق بنار الفراق ونار جهنم وعلم ان لا مبعد له
عن لقاء الله الا اتباع الشهوات وارتكاب الخطيئات والانس
بهذا العالم الفاني والاكباب على حب ما لا بد من فراقه وعلم ان لا مقرب
من لقاء الله الا قطع العلاقة عن زخرف الدنيا ولذاتها والاقبال
بالكلية على الله طلبا للانس بذكره والمحبة له بمعرفة جماله وجلاله على قدر
طاقته وهمته وعلم ان الذنوب التي هي اعراض عن الله واتباع للشهوات
ومحاب الشياطين اعداء الله المبعدين عن حضرته بكونه محجوبا مبعدا
عن الله فلا يشك في ان الانصراف عن طريق البعد واجب للوصول
الى القرب وانما يتم الانصراف بالعلم والندم والعزم فانه ما لم يعلم ان
الذنوب اسباب للبعد عن المحبوب لم يتندم ولم يتوجع قلبه بسبب
سلوكه في طريق البعد وما لم يتوجع فلا يرجع ومعنى الرجوع الترك والعزم
فلا شك في ان المعاني الثلثة ضرورية في الوصول الى السعادة فهكذا
يكون الايمان الحاصل عن نور البصيرة واما من لم يترسخ قدمه بمثل هذا المقام
المرتفع فذروته عن حدود اكثر الخلق ففي التقليد والاتباع مجال رحب يتوصل

الى النجاة

الى النجاة من الهلاك فليلاحظ فيه قول الله وقول رسوله وقول الائمة
المعصومين عليه وعليهم الصلوة والسلم فقد قال الله تعالى توبوا الى الله
جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله
توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم الآية ومعنى النصوح اي الخالص
لله اي عن الشوائب مأخوذا من النصح ويدل على فضل التوبة قوله تعالى
ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال رسول الله صلى الله عليه
وآله التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وفي رواية
ابي عبد الله عن ابي جعفر عليه السلم قال سمعته يقول الله اشد فرحا
بتوبة عبده من رجل اضل راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها فالله اشد
فرحا بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها وفي رواية اخرى
عن ابي عبد الله عليه السلم قال ان الله يفرح بتوبة عباده المؤمنين
اذا تابوا كما يفرح احدكم بضالته اذا وجدها وفي بعض الروايات الله
افرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في ارض دوية مهلكة معه راحلته
عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته
فطلبها حتى اذا اشتد عليه الجوع والعطش او ما شاء الله قال ارجع
الى مكاني الذي كنت فيه فانام حتى اموت فوضع يده على ساعده ليموت
فاستيقظ فاذن راحلته عنده عليها زاده وشرابه فقال من فرحه اذا
اراد شكر الله انا ربك وانت عبدي والاحاديث في ذلك لا تحصى
والاجماع منعقد من الامة على وجوبها ولا خلاف فيه ومن معانيها ترك المعاصي

في الحال والعزم على تركها في الاستقبال والتدارك لما سبق من التقصير ولا شك
في وجوبه وأمّا التندم على ما سبق والتحزن عليه فواجب وهو روح التوبة وبه
تمام التلافي فكيف لا يكون واجباً بل هو نوع يحصل لا محالة عقيب حقيقة المعرفة
بما فات من العمر وضاع في سخط الله فهذه حقيقة التوبة ووجوبها وفضلها
فالإصرار على المعصية ضدها لأنه في غاية الخلاف لها بحسب أجزائها الثلثة
من العلم والحال والعمل جميعاً كما يظهر بالتأمل والمقايسة قوله عليه السلم الاستغفار
وضده الاغترار الاستغفار مأخوذ من الغفر وهو التغطية والستر ومنه
المغفر وهو ما يلبسه الدارع على رأسه من الزرد ونحوه ومن أسماء الله
تعالى الغفار والغفور وهما من أبنية المبالغة ومعناهما الساتر لذنوب عباده
وعيوبهم المتجاوز عن خطاياهم يقال غفر الله لك يغفر غفراً وغفراناً ومغفرة
والمغفرة إلباس الله تعالى العفو للمذنبين فمعنى الاستغفار طلب المغفرة
والعفو منه تعالى والداعي للعبد على طلب المغفرة من الله علمه بتقصيره في جنب الله
والاطلاع على عيوب نفسه وزلاته ونقايصه فالغرور ضده لأنه غفلة وجهل إلا
أنه نوع خاص من الجهل لأنه يستدعي مغروراً فيه ومغروراً به وهو الذي يغره
بخلاف الجهل مطلق فإنه لا يستدعي ذلك فمهما كان المجهول المعتقد شيئاً يوافق
الهوى وكان السبب الجهل شبهة ومخيلة فاسدة يظن أنها دليل ولا يكون دليلاً
سُمّي الجهل الحاصل به غروراً فمن ظن بنفسه الخير وهو مخطئ فيه فهو مغرور
وهذا حال أكثر الناس فهم مغرورون وإن اختلفت أقسام غرورهم ودرجاتها
وأظهرها غرور الفساق والكفار والعصاة وأخفاها غرور الزهاد والنساك

للجهل
الجهل

والعلماء
والقراء

والقراء لأنهم يغترون بالله وكل ما ورد في فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على
ذم الغرور لما علمت أنه قسم خاص منه قال سبحانه في ذم الغرور لا يغرنكم
الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقال أيضاً ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم
وارتبتم وغرتكم الأماني وعن الرسول صلى الله عليه وآله قال كما ذكر يا حبذا
نوم الأكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة
من صاحب تقوى ويقين أفضل من ملء الأرض من المغترين قوله عليه السلم
والمحافظة وضدها التهاون حفظت الشيء حفظاً حرسته واستظهرته وحفظ الشيء
منعه من الضياع ومنه قولهم الحفظ خلاف النسيان وقد يجعل عبارة عن الصون
وترك الابتذال يقال فلان يحفظ نفسه ولسانه أي لا يبتذله فيما لا يعنيه ومنه
قوله تعالى واحفظوا أيمانكم في أحد الوجوه أي صونوا ولا تبتذلوها والغرض صون
المقسم به عن الابتذال وبيانه في قوله ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم فتبتذلوه
بكثرة الحلف والمراد من المحافظة ههنا المراقبة والمداومة على فعل الخير كالصلوة
ونحوها من الطاعات لكونها ضد التهاون كما في قوله تعالى حافظوا على الصلوات
أي بالمداومة عليها والأداء لوقتها من غير تهاون وهو من الهون بالضم والهوان
والمهانة أي الذل والضعف واستهان به وتهاون به استحقره واستخف به
قوله عليه السلم والدعاء وضده الاستنكاف الدعاء طلب الرحمة من الله
على وجه الاستكانة والخضوع وهو من أسباب نزول الرحمة والخير كالمطر والرزق
وغيرهما ووجوبه وفضله معلوم من العقل والشرع لقوله تعالى ادعوني أستجب لكم
وروى زرارة عن أبي جعفر عليه السلم قال إن الله عز وجل يقول إن الذين

يغبنون فيه

أيضاً الحفظة الملئكة
الذين يكتبون
أعمال بني آدم
والمحافظة المراقبة
والحفيظ المحافظ

وفي الصحاح وأهانه [illegible]
الاسم الهوان والمهانة

يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين قال هو الدعاء وافضل
العبادة الدعاء قلت ان ابراهيم لاواه حليم قال الاواه الدعاء والاخبار
في فضله لا تحصر وهو لا ينافي القضاء كما بيناه في كتبنا الحكمية وعن ميسر بن عبد العزيز
عن ابي عبد الله عليه السلم قال قال لي يا ميسر ادع ولا تقل ان الامر قد
فرغ منه ان عند الله عز وجل منزلة لا تنال الا بمسئلة ولو ان عبدا سد فاه
ولم يسئل لم يعط شيئا فسل تعط يا ميسر انه ليس من باب يقرع الا يوشك
ان يفتح لصاحبه فقد ظهر من كلامه عليه السلم ان الدعاء سبب من اسباب
حصول المبتغى فكون الشيء متوقفا على سببه لا يدافع كونه مما قضى الله
وقدر حصوله اذ كما جرى في القضاء حصوله فقد جرى ايضا حصول هذا السبب.
وكونه مسببا عنه ومن سخيف ما قاله بعض الظاهريين من المتكلمين انه لا المتكلمين
فائدة في الدعاء لان المطلوب ان كان معلوم الوقوع عند الله تعالى كان
واجب الوقوع والا فلا يقع لان الاقدار سابقة والاقضية واقعة وقد جف
القلم بما هو كائن فالدعاء لا يزيد ولا ينقص فيها شيئا ولان المقصود ان كان
من مصالح العبد فالجواد المطلق لا يبخل به وان لم يكن من مصالحه لم يجز طلبه ولان لا يبخل
اجل مقامات الصديقين الرضا واهمال حظوظ النفس والاشتغال بالله
ينافي ذلك ولان الدعاء شبيه بالامر والنهي وذلك خارج عن الادب
ولهذا ورد في الكلام القدسي من شغله قراءة القرآن عن مسئلتي اعطيته افضل
ما اعطي السائلين وهذا ظن فاسد وقول سخيف صادر عن جاهل لا يعرف
الحقايق عن مواضعها واصولها فان الدعاء مما يقاوم القضاء لا من حيث انه

فعل

فعل العبد فانه من هذه الحيثية مما يتحكم فيه القضاء لانه لو لم يقض عليه ان يدعو لم يمكن
يدعو ولكن من حيث ما علمنا الله عز وجل وامرنا به حيث قال ادعوني استجب
لكم وقال ادعوا ربكم فان الدعاء من هذه الحيثية انما ينبعث حيث ينبعث
القضاء فلا تسلط للقضاء عليه فان كلا منهما من الله ولسان العبد والة هذه
ترجمان الدعاء لانه ما دعا بنفسه ولكن بامر الله عز وجل وكل من فعل شيئا
بامر احد فيده يد الامر كما امر الملك بعض خدامه ان يضرب ابنا للملك فان
يده الة دم والة هذه يد الملك ولو كان اليد يده لم يستطع ان يمدها الى ابن الملك
ويبسط دون ذلك يده وانك لتعلم ان الدعاء لا يتحكم على الله وانما
يتحكم علينا والله غالب على امره فاذا كان الدعاء موصول الاصل بالموضع
الذي اتصل به القضاء فالقضاء والدعاء سواء فيتعاليان والحكم لما غلب
ومن غلب سلب هذا ما ذكره بعض المحققين وقال العلامة الليث بوري
تفسير كرم في تفسيره قوله تعالى واذا سالك عبادي عني فاني قريب قال جمهور العقلاء
سورة البقرة
ان الدعاء من اعظم مقامات العبودية وانه من شعار الصالحين وداب
الانبياء والمرسلين والقرآن ناطق بصحته عن الصديقين والاحاديث
مشحونة بالادعية الماثورة بحيث لا مساغ للانكار ولا مجال للعناد والسبب
العقلي فيه ان كيفية علم الله وقضائه غير معلومة للبشر غائبة عن العقول والحكمة
الالهية تقتضي ان يكون العبد معلقا بين الخوف والرجاء اللذين بهما تتم العبودية
وبهذا الطريق صح القول بالتكاليف مع الاعتراف باحاطة علم الله تعالى
وبجريان قضائه وقدره في الكل وما روي عن جابر انه جاء سراقة بن مالك بن جعشم

فغيم ام

فقال يا رسول الله بيّن لنا ديننا كانّا خلقنا الآن ففيم العمل اليوم فيما جفّت به الاقلام
وجرت به المقادير ام فيما يستقبل قال بل فيما جفّت به الاقلام وجرت به المقادير
قال ففيم العمل قال اعملوا فكلّ ميسّر لما خلق له وكلّ عامل بعمله منتهى على ما قلنا

عامل ام

فانّ النبي صلى الله عليه وآله علّقهم بين الامرين رغّبهم بسابق القدر العمل

ثم رغّبهم في

ولم يترك احد الامرين للآخر فقال كلّ ميسّر لما خلق له يريد انه ميسّر في ايّام

الا انه لم

حيوته للعمل الذي سبق اليه القدر قبل وجوده الا انّك يجب ان تعلم
الفرق بين الميسّر والمسخّر كيلا تغرق في لجّة القضاء والقدر وكذا القول في
باب الرزق والكسب والحاصل انّ الاسباب والوسايط والروابط
معتبرة في جميع امور هذا العالم ومن جملة الوسايط والوسائل في قضاء الاوطار
الدعاء والالتماس كما في الشاهد فلعلّ الله سبحانه قد جعل دعاء العبد سببا
لبعض مناجحه فاذا كان كذلك فلا بدّ ان يدعو حتى يصل الى مطلوبه ولم يكن شئ
من ذلك خارجا عن قانون القضاء السابق وناسخا للكتاب المسطور انتهى
كلامه واما قوله الاشتغال بالدعاء ينافي الرضا بالقضاء الذي هو اجلّ مقامات
الصدّيقين فالجواب انه انما ينافيه لو كان لاجل حظوظ النفس واما اذا كان الداعي
عارفا بالله عالما بانه لا يفعل الا ما وافق مشيته ودعا امتثالا لامر مولاه في
قوله ادعوني ونحوه من غير ان يكون في دعائه حظّ من حظوظ نفسه فلا منافاة
بينهما واما قوله الدعاء شبيه بالامر والنهي ففي غاية الركاكة فانّ صيغة افعل
ولا تفعل مشتركة بين الطلب على صفة الاستعلاء والتسلّط فيقال لها الامر
والنهي وبين ما يكون على هيئة الخضوع والتسفّل فيقال لها الدعاء فلا شكّ

انّ الدعاء

انّ الدعاء اظهار الذلّ والانكسار والاقرار بسمة العجز والافتقار وتصحيح
نسبة العبودية والانغماس في غمرات النقصان الامكاني والاملاس
عن الترفّع والاستعلاء الى حضيض الاستكانة والحاجة والفاقة ولهذا
ورد من لم يسئل الله يغضب عليه فاذن ثبت كونه من اجلّ المقامات
وافضل الحالات والاستنكاف الذي ضدّه من ارذل المقامات
واخسّ الحالات الدالّة على تناهي الجهل وغاية الحمق قوله عليه السلم والنشاط
وضدّه الكسل والفرح وضدّه الحزن في الحديث فكانّما انشط من عقال
اي حلّ من عقدة وكثيرا ما يجئ في الرواية كانّما نشط من عقال وليس بصحيح
يقال نشطت العقدة اذا عقدتها وانشطتها اذا حللتها ويقال نشطت
الدلو من البئر اذا جذبتها ورفعتها اليك وفي الرواية بايعت النبي صلى الله
عليه وآله على المنشط والمكره المنشط مفعل من النشاط وهو الامر الذي تنشط
له وتخفّ اليه وتؤثر فعله وهو مصدر بمعنى النشاط وتنشط الدابّة في سيرها
شدّت والمراد ههنا النهوض للعبادة على وجه الخفّة والسهولة والكسل
التثاقل من الامر وقد كسل بالكسر فهو كسلان وقوم كسالى وامرأة مكسال لا تكاد
تبرح مجلسها فاذن النشاط والخفّة للسلوك والسير الحثيث الى الله تعالى
والعود الى حظيرة القدس والمبادي من شأن العقل والتثاقل الى الارض
للرضاء بالحيوة الدنيا من الآخرة والاخلاد الى ارض الابدان والاجساد لاستيفاء
الهوى وقضاء الشهوة من عادة الجهل والفرح معناه السرور والنشاط
والفرح ايضا بمعنى البطر وهو مذموم انّ الله لا يحبّ الفرحين والمراد ههنا

الاوّل والحزن خلافه والوجه في كون الفرح من صفات العقل لانّه من لوازم ادراك
المحبوب وكلّما كان المطلوب اشرف واعلى فادراكه وادراك صفاته وافعاله
وآثاره الذّ وابهج وفرحان المدرك به اشدّ واكثر فالعارف افرح خلق الله واشدّهم
وهو فرحان بالحقّ وبكلّ شيء لانّه يرى كلّ شيء من الحقّ راجعاً اليه لانّه ينظر الى الاشياء
بنور ربّه الّذي هو نور السّموات والارض وامّا الجاهل الّذي لم يدرك الاشياء
الّا من طرق الحواسّ ولم يطلبها الّا بطريق الشّهوة والغضب فهو بمعزل عن الفرح
والسّرور لانّ هذه كلّها آفات وامراض طرأت على النّفس ولاجلها تستدعي
النّفس ما يسكّن لهبها وكربها من الاكل والشّرب والجماع وغير ذلك من الشّهوات
الدّنيويّة فزعم الجاهل انّ هذه لذّات حقيقيّة ويسمّي ما يحصل له عقيب انقضائها
فرحا وسرورا من باب الغلط والاشتباه فيحصل بسببه الغرور كما قال تعالى
انّما الحيوة الدّنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل
غيث اعجب الكفّار نباته ثمّ يهيج فتراه مصفرّا ثمّ يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد
ومغفرة ورضوان وما الحيوة الدّنيا الّا متاع الغرور ومنشأ هذا الغلط وهذه التّسمية
عدم وجدان ما هو اللذّة والسّرور بالحقيقة وعدم الاطّلاع على انّ اللذّات
الدّنيويّة كلّها من اكل الطّيّب وشرب العذب ولبس اللّيّن وركوب الجليل
لانّ الاكل والشّرب انّما هو لدفع الم الجوع والعطش واللّبس لدفع الم الحرّ والبرد
والرّكوب لمنع الم المشي وقهر العدوّ لطلب التّشفّي من الم الغيظ والنّكاح انّما
يعدّ لذّة لدفع حرقة الشّهوة في مجاري القضيب والفرج بورود المنيّ عليها
كالمرهم على الجراحة فتسكن بها الالام ثمّ مع ذلك انّما تحصل هذه المسمّاة باللذّة

بمباشرة

سابقوا الى مغفرة من ربكم

وقد ابعده والتمتع [illegible] بحقيقة [illegible] فرحه وحمد عنه العقلاء والمتعقلين من العلماء

بمباشرة عضو من حقّه ان يستر ويستحي من كشفه وخصوصا من الرّجال
العقلاء الّذين يكرهون ان يكشفوا عن سواعدهم مثلا ففي تلك الحال يحتاج
الى كشف عضوه المستور ويضطرّ الى كشف مثله من المفعول فما اخسّ
هذه اللذّة عند العاقل المتيقّظ وما اوهنها عليه واقبحها عنده وافضحها لديه
ثمّ الحاجة غير طيّبة واللذيذة في نفسها وهذه الاحوال كلّها حاجات منشأها
نقائص وآفات والحاجة والآفات كلّها آلام ومحن ولو كانت فيها
فضيلة لما تنزّهت عنها الملائكة المكرّمون المقرّبون وفي ادعية بعض الصّالحين
من العلماء اللّهمّ انّي اسألك غير محكم ان تكفيني مؤنة هذا الجلد الّذي هو سبب
كلّ مذلّة واصل كلّ حاجة والجاذب الى كلّ بليّة والطّالب لكلّ خطيئة وان
تيسّر الخلاص منه على اسهل وجه وافضل حال الى خير معاد واحسن مآل
بمنّك وفضلك يا ذا المنّ والافضال قوله عليه السّلم والالفة وضدّها الفرقة
الوجه في كون الالفة من صفات العقل انّه جوهر مرتفع الذّات عن الاجسام
والجسمانيّات وعالمه عالم الوحدة والجمعيّة ومنه يتفرّع كلّ اثر وخير ورحمة والجهل
صفة النّفوس المتعلّقة بالاجسام وصورها الّتي وجودها عين قبول الانقسام
والافتراق ووحدتها عين قوّة الكثرة ووصلتها عين الانفصال والمباينة فكلّ
واحد من ذوي النّفوس الجزئيّة قبل ان يستكمل ذاته عقلا بالفعل لا يحبّ الّا نفسه
بل يعادي غيره ويحسده على ما آتاه الله من فضله واذا احبّ بعضهم بعضاً
فانّما احبّه ليتوسّل به الى هواه وشهوته فما احبّ الّا نفسه ولذلك اذا
ارتفعت الاغراض والاعواض بينهم كما في الآخرة رجعوا الى ما كانوا عليه من الفرقة

الفاعل

٢٠٧ والعداوة كما في قوله تعالى الاخلّاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ الّا المتّقون وقوله
عليه السّلم والسّخاء وضدّه البخل انّ من مكارم الاخلاق ومحاسن الصّفات
الّتي يقتضيها العقل ويتّصف بها العاقل وحثّ عليها الشّرع هي السّخاوة
والكرم فينبغي للمرء ان يكون حاله عند فقد المال القناعة وترك الحرص وعند وجوده [ام]
البذل والايثار واصطناع المعروف والتّباعد من البخل والشّحّ والسّخاء من [المعروف]
اخلاق الانبياء عليهم السّلم وهو اصل من اصول النّجاة وبركته تعود الى النّفس
قال تعالى ومن يوق شحّ نفسه فاولئك هم المفلحون وعنه صلى الله عليه وآله
السّخاء شجرة في الجنّة فمن كان سخيًّا اخذ بغصن منها فلم يتركه الغصن حتّى
يدخله الجنّة والشّحّ شجرة في النّار فمن كان شحيحا اخذ بغصن منها فلم يتركه
ذلك الغصن حتّى يدخله النّار واعلم انّ السّخاء جزء من الايمان وعن
جابر رضي الله عنه قال قيل يا رسول الله ايّ الايمان فقال الصّبر والسّماحة
وعنه صلى الله عليه وآله ما جبل الله تعالى اولياءه الّا على السّخاء وحسن الخلق
ولا يخفى عليك انّ الكرم لا ينحصر افراده في بذل المال بل الشّجاعة ايضا نوع
من الكرم بل هي اعلى ضروبه لانّ الشّجاع يجود بنفسه والنّفس اعزّ من المال
فمن جاد بنفسه سهل عليه الجود بماله ومنه ايضا ترك الانتقام ونسيان ما جرى
عليه من ظلم الاعداء وكيد الحسّاد وقال ابو علي بن سينا في الاشارات [ابن سينا]
العارف شجاع وكيف وهو بمعزل عن تقيّة الموت وجواد وكيف وهو
بمعزل عن محبّة الباطل وصفّاح وكيف لا ونفسه اكبر من ان تجرحها زلّة بشر ونسّاء
للاحقاد وكيف وذكره مشغول بالحقّ قال سلطان المحقّقين حامل عرش الحكمة
والتحقيق

[شجرة من شجرة الجنّة اغصانها متدلّية الى الارض من اخذ [illegible] منها غصنًا قاده ذلك الغصن الى الجنّة وفي رواية اخرى السّخاء محمد]

والتحقيق نصير الدين الطوسي قدّس سرّه القدّوسي في شرح هذا الكلام واجاد
فيما افاد الكرم يكون امّا ببذل نفع لا يجب بذله او بكفّ ضرر لا يجب كفّه والاوّل
يكون امّا بالنّفس وهو الشّجاعة وبالمال وما يجري مجراه وهو الجود وهما وجوديّان
والثّاني يكون امّا مع القدرة وهو الصّفح والعفو وامّا مع عدم القدرة وهو نسيان
الاحقاد وهما عدميّان والعارف موصوف بالجميع وعن رسول الله
صلى الله عليه وآله انّه قال انّ بدلاء امّتي لم يدخلوا الجنّة بصلوة ولا صيام
ولكن دخلوها بسخاء الانفس وسلامة الصّدور والنّصح للمسلمين وعن علي
ابن ابي طالب عليه السّلم اذا اقبلت الدّنيا فانفق منها فانّها لا تفنى
واذا ادبرت عنك فانفق منها فانّها لا تبقى وانشد لا تبخلنّ بدنيا وهي مقبلة
فليس ينقصها التّبذير والسّرف فان تولّت فاحرى ان تجود بها فالحمد
منها اذا ما ادبرت خلف وعن الصّادق عليه السّلم اللّؤم من الكفر واهل
الكفر في النّار والجود والكرم من الايمان واهل الايمان في الجنّة وغير ذلك
من الاخبار والآثار الدّالّة على فضيلة السّخاء والجود ممّا لا تعدّ ولا تحصى وكذلك
البخل والتّقتير من صفات الجهل والكفر وكلّ ما يدلّ من العقل والشّرع
على مدح السّخاء فهو دالّ على ذمّ البخل لانّهما متضادّان على انّ الدّالّ على
مذمّة البخل نفسه من الكتاب والسّنّة ايضا متكاثر فقد قال تعالى
ومن يبخل فانّما يبخل عن نفسه وقال ولا تحسبنّ الّذين يبخلون بما آتيهم الله
من فضله هو خيرًا لهم بل هو شرّ لهم سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيمة وقال
الّذين يبخلون ويأمرون النّاس بالبخل الآية وقال الّذين يكنزون الذّهب

والفضّة ولا ينفقونها الى قوله فذوقوا ما كنتم تكنزون الى غير ذلك من الآيات
وعن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال لا يدخل الجنّة بخيل ولا خب
ولا خائن ولا سيّئ الملكة وانّه قال صلى الله عليه وآله ثلث مهلكات
شحّ مطاع وهوى متّبع واعجاب المرء بنفسه وروى ابن بابويه رحمه الله
في الخصال عن ابي جعفر محمّد بن علي الباقر عليهما السّلم ثلث موبقات وثلث
منجيات امّا الموبقات فشحّ مطاع وهوى متّبع واعجاب المرء بنفسه
والمنجيات خوف الله عزّ وجلّ في السّرّ والعلانية والقصد في الغنى والفقر
والعدل في الرّضا والغضب وعن النّبي صلى الله عليه وآله وعن اهل بيته عليهم
السّلم في ذلك كثيرة يطول الكلام بذكرها واعلم انّ لكلّ من السّخاء والبخل
درجات فارفع درجات السّخاء بعد الموت الارادي او بذل المهجة
في سبيل الله الايثار وهو ان يجود بالمال مع الحاجة يكون اشدّ وكان
السّخاوة قد انتهى الى ان يسخو على غيره مع الاحتياج فالبخل قد ينتهي الى
ان يبخل على نفسه مع الحاجة فكم من يمسك المال ويمرض فلا يتداوى ويشتهي
الشّئ فلا يمنعه منه الّا البخل بالثّمن ولو وجده مجّانا لاكله فهذا يبخل عن
نفسه مع الحاجة وذلك يؤثر غيره على نفسه مع انّه بذلك حاجة فانظر
الى ما بين الرّجلين من التّباعد وكلاهما بشر فالاخلاق عطايا ومواهب
يضعها الله حيث يشاء قوله عليه السّلم فلا يجتمع هذه الخصال كلّها من اجناد
العقل اعني الخمسة والسّبعين المذكورة من اخلاق العقل وملكاته
وقواه التي كلّ منها في الحقيقة بمنزلة جند من جنود العقل الكامل وعون

من اعوانه

من اعوانه ورعيّة من رعاياه وخادم من خدمته وسادن من سدنته والعقل
الكامل هو السّلطان القاهر عليها والرّئيس المطاع فيها والمستخدم لها باذن
الله فهي المسمّاة باسماء متعدّدة من جهة اعتبارات فانّها من حيث كونها
صفات راسخة تسمّى بالاخلاق والملكات ومن حيث كونها مبادي
افعال وانفعال تسمّى بالقوى ومن حيث كونها [illegible] لا تفعل شيئا
ولا تنفعل [illegible] بالاستقلال بل باشارة العقل ورأيه وهي مطيعة له
تسمّى بالخوادم والسّوادن ومن حيث يحفظها العقل ويحرسها عن الآفات
وهي مضبوطة تحت ضبطه ورعايته كالرّاعي للغنم والسّلطان للرّعيّة
بل الرّاعي والرّعيّة ههنا بحسب الفطرة والجبلّة التي فطرها الله تعالى عليها ابتداء
وفي غيرها كصاحب الغنم وغنمه وصاحب الحشم وحشمه انّما يكون بحسب التّكلّف
والتّعمّل ودعاء النّبي صلى الله عليه وآله اللّهم اصلح الرّاعي والرّعيّة اشارة
الى حال القلب المعنوي وقواه وامّا اسم الاجناد فهو باعتبار مدافعة
العقل ومقاومته بها الاضداد التي هي جنود الجهل والهوى اذ الجند اسم جمع
معدّ للحرب اعوانا وانصارا والجمع اجناد وجنود وقد جنّد الجنود اي جمعها
وفي الحديث الارواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف
مجنّدة اي مجموعة مهيّاة كما يقال الوف مؤلّفة وقناطير مقنطرة ومعناه الاخبار
عن مبدا كون الارواح الانسانية وتقدّمها على الاجساد وانّها ابدعت
اوّل كونها قسمين من ائتلاف واختلاف كالجنود المجموعة اذا تقابلت
وتواجهت ومعنى تقابل الارواح ما جعلها الله عليه من السّعادة والشّقاوة

والاخلاق الحسنة والسيئة في مبداء الخلق يقول ان الاجساد التي فيها الارواح
تلتقي في الدنيا فتأتلف وتختلف على حسب ما خلقت عليه ولهذا ترى الرجل الخير
يحب الاخيار ويميل اليهم والشرير يحب الاشرار ويميل اليهم واعلم ان هذه
الاسامي المختلفة بالاعتبارات المختلفة كما هي جارية في اخلاق العقل فهي
كذلك بالنسبة الى مقابلاتها من توابع الجهل والهوى وهذه جنود باطنية
في غاية البطون فان لله تعالى جنودا في القلوب والارواح وغيرها من العوالم
والنشآت لا يعلم حقايقها وتفاصيل عددها الا هو كما قال سبحانه وما يعلم جنود
ربك الا هو ومن جملتها جنود القلب الانسي فان الاعضاء وقواها هي الرعايا
والجنود وكلها مسخرة للقلب خادمة له مجبولة على طاعة باذن الله تعالى فهي جندان
جند يرى بالابصار وجند لا يرى الا بالبصائر اما القسم الاول فهي الجوارح والاعضاء
الظاهرة والباطنة اما الظاهرة فكالعين والاذن واليد والرجل وغيرها واما
الباطنة فكالقلب والدماغ والكبد والطحال ونحوها وكلها مجبولة على طاعة
القلب لا يستطيع له خلافا ولا عليه تمردا فاذا امر العين للانفتاح انفتحت واذا
امر الرجل بالحركة تحركت واذا امر اللسان بالتكلم وجزم الحكم به تكلم وكذا
ساير الاعضاء واما القسم الثاني فهو على ثلثة اضرب مدرك وباعث
ومحرك فالجنود المدركة هي الحواس وهي قسمان ظاهرة كالسمع والبصر
والشم والذوق واللمس وباطنة كالحس المشترك والخيال والوهم
والحافظة والذاكرة واما الجنود الباعثة فهي كالارادة وبعدها الشهوة لجلب
المنافع والغضب لدفع المضار واما المحركة فهي الفاعلة للحركة بمباشرة

وتختلف آخر

القابل للحركة وهي المسماة بالقدرة وهي مبثوثة في ساير الاعضاء بواسطة الاعصاب
والاوتار فتجذبها او تبسطها فيحصل منها الحركة المكانية والنقلية ويقع بسببها
الفعل الذي يريده القلب كالكتابة والمشي في الخارج فانظر الى حكمة الصانع
القدير وتدبر العالم الخبير البصير كيف دبر الامر واحكم التقدير في هذا العالم
الصغير الذي هو انموذج للعالم الكبير اعلاه لاعلاه واسفله لاسفله وملكوته
لملكوته وملكه لملكه حذو النعل بالنعل ثم انظر كيف دبر وقدر ترتيب الجنود
ورتبها على مقتضى حكمته ترتيبا بديعا يتحير فيه عقول ارباب البصيرة والشهود
حيث رتبها ترتيب الملك والملكة والسلطان والرعايا وجعل
اشرفها واعلاها ذاتا ووجودا اقواها رياسة وحكومة واشدها سلطانا و
قهرا واكثرها اتباعا ورعية وجعل اخسها جوهرا وارذلها وجودا اقلها رياسة
وتاثيرا وادناها محلا واسفلها موضوعا واكثفها مكانا وهكذا الى ان نزل
الترتيب من اشرف الاشراف الذي هو العقل الى اخس الاخساء الذي
هو العضو الظاهر وهو خادم لا خادم له اذ لا اسفل منه كما ان العقل مخدوم
لا مخدوم له الا الله وهو خليفة الله في الملك والملكوت وكلمة الله العليا
ويطيعه القوى المدركة والمحركة والجنود الظاهرة والباطنة وتلك الجنود
الباطنة هي التي ايدها من جنود لم تروها وجعل كلمة الله هي العليا وكلمة
الذين كفروا السفلى وهي النفس وهواها التي هي كتاب الفجار والمكذبين
وطاعة تلك الجنود له بوجه تشبه طاعة الملايكة لله تعالى لا يستطيعون له
خلافا ولا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وانما يفترقان بشيئين

احدهما ان الملائكة عالمة بطاعتها وامتثالها لربها دون هذه وثانيهما انهم بظاهرها
التي هي مواضع الشعور المستمرات لا يسأمون ولا يتعبون يسبحون الليل يتعبون
والنهار لا يسأمون بخلاف قوى الانسانية ومواضعها فانها يعرضها الكلال
والتعب والفتور والدثور ولكن ما دامت في هذه الدنيا واما في الآخرة
فامرها وامر ابدانها كامر تلك الملائكة والسموات كما ذكره الله تعالى بقوله
لهم فيها ما تشتهي انفسهم وهم فيها خالدون وههنا اسرار لا تحتملها المقام ويكل
عن دركها الافهام واعلم ان هذه الجنود التي هي القوى والاعضاء بعضها اكثر
كالرجل وهي الاعضاء وبعضها كالفرسان وهي القوى المحركة وبعضها كالرجالة
كالطيور وهي القوى المدركة بل نقول بوجه آخر ان العقل كسليمان عليه السلام
والاعضاء كالبلدان والقوى المحركة كالحيوانات والقوى الغضبية والشهوية
كالوحوش والطيور والحواس الظاهرة كالبشر والباطن كالجن والشياطين والخصال
واما الاخلاق الفاضلة والخصال المذكورة وهي الخمسة والسبعين فكاصحاب
سليمان عليه السلام وندمائه الذين جلسوا في مجلسه الشريف وكانوا من الانبياء
والاولياء عليهم السلام ومؤمني زمانه وهذه الخصال كلها لا يجتمع كما قال عليه
السلم الا في نبي او وصي نبي او مؤمن قد امتحن الله قلبه للايمان اي صفاه وجلاه
بنار التكاليف والرياضات الشاقة والمحن الدنيوية حتى صار كالمرآة المجلوة منورة
بنور الايمان فان الايمان نور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده عقيب
تطهيره وتهذيبه وذلك لان معنى الامتحان في الاصل التصفية والتهذيب وخلصتها
والممتحن هو المصفى المهذب من قولك محنت الفضة اذا صفيتها وخلصتها من

الغش

الغش قوله عليه السلم واما ساير ذلك من موالينا فان احدهم لا يخلو من
ان يكون فيه بعض هذه الجنود حتى يستكمل وينقى من جنود الجهل فعند ذلك
يكون في الدرجة العليا مع الانبياء والاوصياء معناه ان غير النبي والوصي والمؤمن
المنور قلبه بنور المعرفة واليقين بالله واليوم الآخر لا يخلوا من اضداد هذه
الجنود وهي الامراض القلبية والرذايل النفسية فان كان من موالي اهل البيت
وشيعتهم ومحبيهم فلا يخلو احدهم من بعض هذه الجنود الحسنات فيجب
ذلك البعض من الفضايل يصفو قلبه ويرفع درجته ويجب ما يبقى فيه من
الرذايل يكدر فيه قلبه ويعذب في النار نفسه حتى اذا استكملت ذاته وتطهر
وتزكى قلبه من جميع الامراض والكدورات فعند ذلك يكون في عليين مع
النبيين والصديقين وان لم يكن من الموالي فان كان مشحون القلب بجنود
الجهل كلها او جلها الغالب على جوهر قلبه فهو في الدرجة السفلى محشور مع الكفرة
والمنافقين والشياطين وان كان خاليا عن الرذايل والفضايل كلها لكونه
ضعيف النفس عديم القلب كالاطفال وكاكثر العوام فهو غير ماحض للايمان
محضا ولا للكفر محضا فدرجته في الآخرة درجة الاتباع والمقلدين فيحشر في زمرة
من نشأ فيهم وقلدهم من اهل الاسلام واهل الكفر قوله عليه السلم وانما يدرك
ذلك بمعرفة العقل وجنوده ومجانبة الجهل وجنوده يعني انما ينال ذلك
الاستكمال اي التخلق بجميع تلك الخصال او الكون في الدرجة العليا
مع الانبياء والاوصياء بمعرفة ماهية العقل ومعرفة هذه الجنود والخصال
وهذا اشارة الى ما سبق ذكره من ان كلا من هذه المقامات الايمانية ما سبق

منتظم من علم وحال وعمل وان الاصل في التخلق بها المعرفة ثم الحال ثم
تكرر العمل ليصير الحال ملكة راسخة لان تكرر الاعمال يجعل الاحوال ملكة ملكات
قوله عليه السلام وفقنا الله واياكم لطاعته ومرضاته دعاء لنفسه ولشيعته
المؤمنين بتوفيق الطاعة والرضوان واشارة الى ان السعادة لا تدرك
الا بعناية الله وتوفيقه والله ولي الهداية والتوفيق الحديث الخامس عشر
جماعة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن فضال عن بعض اصحابنا
عن ابي عبد الله عليه السلام قال ما كلم رسول الله صلى الله عليه وآله العباد بكنه
عقله وقال قال رسول الله صلى الله عليه وآله انا معاشر الانبياء امرنا ان نكلم
الناس على قدر عقولهم الشرح الكلام اسم جنس يقع على القليل والكثير
والكليم الذي يكلمك يقال كلمته تكليما وكلاما وتكلمت كلمة وكلمة وكنه الشيء
حقيقته ويجيء ايضا بمعنى نهايته وقد يجيء بمعنى وقته وقولهم لا يكتنهه الوصف
بمعنى لا يبلغ حقيقته او لا يبلغ نهايته والمعنى ما كلم الناس بحقيقة ما يعقله
هو صلى الله عليه وآله بنفسه المقدس من المعارف الالهية والحقايق
الايمانية الكلية الا بكسوة الامثال كما هو في القرآن الكريم لقوله وتلك الامثال
نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون واعلم ان المراد من العباد جمهور الناس
والجمع المحلى باللام وان كان ظاهره للعموم فيدخل فيه كل عبد من عباد الله
الا انا نعلم يقينا ان امير المؤمنين عليه السلام غير داخل في هذا العموم لانه كان بمنزلة
نفس الرسول صلى الله عليه وآله وصاحب سره ونجواه فكان يعلم كل
ما علمه الرسول وعرف كل منهما ما عرفه الآخر عليهما السلام ولقوله صلى الله عليه
وآله

وآله انا مدينة العلم وعلي بابها واعلم ان بث العلوم والحقايق الى غير اهلها
مذموم في الطرايق كلها ولهذا كانت الاوايل من الحكماء يرمزون عن الحكمة في
كلامهم ويمنعون التصريح بها حذرا عن الاذاعة لئلا يقع بيد غير الاهل فيكون
كتعليق الدر في اعناق الخنازير ولما جاء رجل الى ابن سيرين وقال رأيت لهذا
في المنام كاني اعلق الدر في اعناق الخنازير فقال انك تعلم الحكمة غير اهلها وكان
كما قال وقد تواردت بذلك الانذارات النبوية والتحذيرات الامامية منها
ما روي من قوله صلى الله عليه وآله لا تؤتوا الحكمة غير اهلها فتظلموها ولا تمنعوها
اهلها فتظلموها وقوله ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا لم ينكروا
نطقوا به لم ينكره الا اهل الغرة بالله ومنها قول امير المؤمنين عليه السلام ان
ههنا لعلوما جما لو وجدت له حملة ومنها الابيات المنسوبة الى زين العابدين علي بن
الحسين عليهما السلام اني لاكتم من علمي جواهره الابيات ومنها قول جعفر الصادق
عليه السلام ان الله عير اقواما بالاذاعة في قوله تعالى واذا جاءهم امر من الامن
او الخوف اذاعوا به واياكم والاذاعة وقوله عليه السلام من اذاع علينا حديثنا
فهو بمنزلة من جحدنا حقنا ومنها ما قال بعض العارفين افشاء سر الربوبية كفر
وقال بعضهم حق الاسرار صونها عن الاغيار الحديث السادس عشر علي بن محمد
عن سهل بن زياد عن النوفلي عن السكوني عن جعفر عن ابيه قال قال
امير المؤمنين عليهم السلام ان قلوب الجهال تستفزها الاطماع وترتهنها المنى
وتستعلقها الخدايع الشرح تستفزها اي تستخفها ورجل فز اي خفيف رجل
وافززته اذا ازعجته وافزعته ورهنت فلانا الشيء ورهنت الشيء عنده

وارهنته فالمرهون هو ذلك الشيء والمرتهن الذي عنده المرهون والمنى بضم
الميم جمع يعني التشهي والمنا بفتح الميم القدر ومنى له اي قدر ودار
منا داره اي مقابلتها والمنية الموت لانها مقدرة والجمع المنايا والامنية
واحدة الاماني والخدايع جمع الخديعة وهي اسم ما يخدع به من خدعه فانخدع
اي ختله واراد به المكروه من حيث لا يشعر وفي الحديث الحرب خدعة ويروى
بفتح الخاء وضمها مع سكون الدال وبضمها مع فتح الدال فالاول معناه
المرة اي الحرب ينقضي امرها بخدعة واحدة من الخداع وهو افصح الروايات
واصحها ومعنى الثاني هو الاسم من الخداع ومعنى الثالث ان الحرب تخدع
الرجال وتمنيهم ولا تفي لهم كما يقال فلان رجل لعبة وضحكة للذي يكثر اللعب والضحك
ذكر عليه السلم من خصال الجهال ثلثة امور متقاربة الوقوع احدها انها مما يزعج
قلوبها ويستخفها الاطماع وان كانت فاسدة خالية عن سبب صحيح فان
الجاهل كثيرا ما ينزعج من مكانه بطمع فاسد لا اصل له ولا طائل تحته وثانيها ان
قلوبهم معقدة مرتهنة بالاماني الفارغة والامال الكاذبة فكثيرا ما يفرحون بها
وتطمئن قلوبهم اليها وثالثها انهم ينخدعون سريعا فيستسخر قلوبهم خدايع الخادعين
ويستعبدها مكر الماكرين ولهذا يعدهم الشيطان ويمنيهم بالاماني الباطلة
ويغرهم فيستفزهم ويستعبدهم بالخدايع وما يعدهم الشيطان الا غرورا
الحديث السابع عشر علي بن ابراهيم عن ابيه عن جعفر بن محمد الاشعري ابو جعفر
بن محمد بن عبيد الله له كتاب رضي الله عنه عن محمد البرقي وهو يروي عن القداح كثيرا
عن عبيد الله الدهقان الواسطي ضعيف صه جش له كتاب رضي الله عنه محمد بن

المنية — قال الشارح

عيسى

عيسى بن عبيد جش عن درست بضم الدال وبعده راء وسين مهملة والتاء
المنقطة فوقها نقطتين ابن منصور وقيل ابن منصور له كتاب روى عنه جماعة
منهم سعد بن محمد ابو القاسم الطاطري عن ابراهيم بن عبد الحميد وثقه الشيخ
في الفهرست وقال في كتاب الرجال انه واقفي من اصحاب الصادق عليه السلم
قال سعد بن عبد الله ادرك الرضا عليه السلم ولم يسمع منه فتركت روايته
لذلك وقال الفضل بن شاذان انه صالح هذا ما في الخلاصة وقال زين المجتهدين
في الحاشية لا منافاة بين حكم الشيخ بكونه واقفيا وكونه ثقة وكذلك قول
الفضل انه صالح رحمه الله فلا يعارض القول بكونه واقفيا انتهى قال قال ابو عبد الله
عليه السلم اكمل الناس عقلا احسنهم خلقا الشرح يعني ان حسن الخلق
تابع لكمال العقل وكما ان العقل قد يكون مطبوعا وقد يكون مصنوعا كذلك
الخلق الحسن يكون فطريا ومكتسبا فالفطري منه تابع للمطبوع من العقل والمكتسب
للمكسوب لان الاول جوهر والثاني نعت وقد علمت ان العقل مما يشتد
جوهره ويكمل ذاته بافشاء المعرفة واليقين واذا كمل جوهر العقل واستنار
بنور العلم حسن خلقه لا محالة واذا حسن الخلق تم العمل وقام العدل فيقع
السعادة ويسعى النور يوم القيمة واذا نقص العقل واحتجب عن نور البصيرة
قبح الخلق واظلم القلب فاساء الادب وضل عن الطريق وجاء الجور فيقع
الشقاوة والظلمات يوم القيمة الحديث الثامن عشر علي عن ابي هاشم
الجعفري اسمه داود بن القسم بن اسحق بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب
كان رحمه الله من اهل بغداد ثقة جليل القدر عظيم المنزلة عند الائمة عليهم السلم

باقتضاء [illegible]

شاهد ابا جعفر وابا الحسن وابا محمد عليهم السلم وكان شريفا عندهم له موضع جليل
عندهم روى ابوه عن الصادق عليه السلم كذا في صه وزاد الشيخ الطوسي رحمه
الله في الفهرست انه روى ايضا عن الرضا عليه السلم مضافا الى الثلثة وكذا
ذكر ابن داود رحمه الله قال كنا عند الرضا عليه السلم فتذاكرنا العقل والادب فقال
يا ابا هاشم العقل حباء من الله والادب كلفة فمن تكلف الادب قدر عليه
ومن تكلف العقل لم يزدد بذلك الا جهلا الشرح الحباء بالكسر العطاء وحباه
يحبوه اي اعطاه والادب ادب النفس وهو التعلم والدرس والمراد به السيرة
العادلة وقد ادب بالضم فهو اديب وادبه غيره فتادب واستادب وعن ابي
زيد الادب اسم يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الانسان في فضيلة من
الفضائل والكلفة ما يتكلفه الانسان ويتجشمه وكلفه تكليفا اي امره بما يشق عليه
اعلم ان كلامه عليه السلم يحتمل وجهين احدهما الظاهر المتعارف وهو ان العقل
غريزة من الله ليس للكسب فيه اثر والادب مما يمكن تحصيله بالكسب فيقدر
الانسان على ان يتكلف الاداب وان لم يكن في جبلته ولا يقدر ان يكتسب
العقل اذا لم يكن في جبلته والثاني ان الادب بحيث متى شاء الانسان
ان يتكلفه يمكنه وان لم يكن مما قد حصله سابقا بخلاف العقل فان الرجل
العامي لو اراد ان يتصنع بالعلم والفضل لم يمكنه ذلك كما في قوله تعالى لا اكراه
في الدين لان الدين بالحقيقة هو الايمان والايمان هو العلم بالله واليوم الاخر علما
يقينيا وتصديقا قلبيا وليس ذلك مقدورا لكل احد انما الذي يقدر عليه
جميع الانسان هو الاقرار باللسان والعمل بالاركان وهو امر جسماني كساير

امور الدنيا

امور الدنيا من الهيات والحركات والاشكال وغيرها ولذلك الفرق ثابت
من الاسلام والايمان قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا
ولما يدخل الايمان في قلوبهم لان القلب من عالم الغيب والملكوت وهو بيد الله
يقلبه كيف يشاء ليس لاحد التصرف فيه وفي احواله واللسان والجوارح
من عالم الخلق والشهادة يتصرف فيه النفس بالتحريك والتشكيك فمن
رام ان يتكلم بالشهادة او يصلي او يصوم او يعطي الصدقة بماله او يحج براحلته
وماله او يغزو فيمكنه في كل وقت ومن رام ان يؤمن كما امن اهل الحق لا يمكنه
ذلك الا ان يتنور قلبه بالهام الله وهداه فالايمان عطاء من الله فكذا العقل
سواء كان اصله او كماله جاء من الله فان تكرر الادراكات والافكار وكثرة
التاملات والاذكار وان كان لها تاثير في ازدياد العقل واشتداده وتنور
القلب وانفتاح بابه الى الملكوت لكن الفاعل المعطي هو الحق تعالى بلا توسط
الخلق وتلك الامور معدات ومهيئات ولهذا قال بعض العرفاء ان كل من
سلك سبيل الله على الاستقامة يصير مجذوبا الحديث التاسع عشر
علي بن ابراهيم عن ابيه عن يحيى بن المبارك ليس ذكر اسمه في الخلاصة
وذكر في بعض كتب الرجال انه من اصحاب الرضا عليه السلم عن عبد الله
بن جبلة بالجيم المفتوحة والباء المنقطة تحتها نقطة المفتوحة واللام المخففة
ابن حيان بالحاء المهملة والياء المنقطة تحتها نقطتين كنيته ابو محمد عربي صليب
روى عن ابيه عن جده حيان بن الحر بالحاء المهملة المضمومة والراء المشددة
ادرك ابا هلية وبيت جبلة بيت مشهور بالكوفة وكان عبد الله واقفيا

وكان فقيهاً ثقة مشهوراً صح قال النجاشي له كتب مات سنة تسع وعشر
ومائتين عن اسحق بن عمار عن ابي عبد الله عليه السلم قال قلت جعلت فداك
ان لي جاراً كثير الصلوة كثير الصدقة كثير الحج لا بأس به قال فقال يا اسحق
كيف عقله قال قلت جعلت فداك ليس له عقل قال فقال لا يرتفع بذلك منه
وفي بعض النسخ لا ينتفع بذلك والفاعل على الاول عمل ذلك الشخص
وضمير منه راجع الى الشخص وعلى الثاني يكون الامر بالعكس وقوله عليه السلم بذلك
اي بسبب انه ليس له عقل ومعنى الحديث ظاهر الحديث العشرون الحسين
بن محمد بن عمران بن ابي بكر الاشعري القمي ابو عبد الله ثقة والمذكور في الخلاصة
هكذا الحسين الاشعري القمي ابو عبد الله ثقة قال الشهيد الثاني في الحاشية
كانه يريد به الحسين بن محمد ابن عمران بن ابي بكر الاشعري الثقة وهو شيخ محمد
بن يعقوب الكليني يعلم ذلك من كتاب النجاشي والرواية عنه في الكافي
كثيرة جداً وكان الاولى التصريح باسم ابيه كما فعل في كتاب النجاشي وهو غير
مذكور في كتاب ابن داود انتهى عن احمد بن محمد السياري في الخلاصة احمد بن
محمد بن سيار بالسين غير المعجمة والياء المنقطة تحتها نقطتين المشددة
والراء بعد الالف ابو عبد الله الكاتب بصري كان من كتاب آل طاهر في
زمن ابي محمد عليه السلم ويعرف بالسياري ضعيف الحديث فاسد المذهب
مجفو الرواية كثير المراسيل حكى محمد بن محبوب عنه في كتاب نوادر المصنف انه قال
بالتناسخ انتهى وقال الكشي انه اصبهاني ويقال بصري عن ابي يعقوب البغدادي
الكاتب اسمه يزيد بن حماد الانباري السلمي ثقة وفي الخلاصة عنه وصف انه

يعقوب

يعقوب انه ابن يزيد بن حماد الانباري السلمي ابو يوسف الكاتب
من كتاب المنتصر وقال الكشي عن ابن مسعود عن الحسن بن علي بن فضال
انه كان كاتباً لابي دلف القسم وكان يعقوب من اصحاب الرضا عليه السلم
وروى يعقوب عن ابي جعفر الثاني عليه السلم وانتقل الى بغداد وكان ثقة
صدوقاً وكذلك ابوه قال قال ابن السكيت اسمه يعقوب بن اسحق
ابو يوسف كان متقدما عند ابي جعفر الثاني وابي الحسن عليهما السلم قتله المتوكل
لاجل التشيع وامره مشهور وكان عالما بالعربية واللغة مصدقا لا يطعن عليه
صح لابي الحسن عليه السلم لماذا بعث الله موسى بن عمران بالعصا ويده البيضاء
وآلة السحر وبعث عيسى عليه السلم بآلة الطب وبعث محمدا صلى الله عليه
وآله بالكلام والخطب فقال ابو الحسن عليه السلم ان الله لما بعث موسى كان الغالب
على اهل عصره السحر فاتاهم من عند الله بما لم يكن في وسعهم مثله وما ابطل به سحرهم واثبت
به الحجة عليهم وان الله بعث عيسى عليه السلم في وقت قد ظهرت فيه الزمانات
واحتاج الناس الى الطب فاتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله وبما احيى
لهم الموتى وابرئ الاكمه والابرص باذن الله واثبت به الحجة عليهم وان الله
بعث محمداً صلى الله عليه وآله في وقت كان الغالب على اهل عصره الخطب والكلام
واظنه قال الشعر فاتاهم من عند الله من مواعظه وحكمه ما ابطل به قولهم واثبت
به الحجة عليهم قال فقال ابن السكيت تالله ما رأيت مثلك قط فما الحجة على
الخلق اليوم قال فقال عليه السلم العقل يعرف به الصادق على الله فيصدقه
والكاذب على الله فيكذبه قال فقال ابن السكيت هذا والله هو الجواب

الشرح السحر في اللغة صرف الشيء عن وجهه وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر
وقد سحره من باب منع سحرا والساحر العالم به وسحره ايضا عللّه وخدعه
ايضا وهو ساحر وهم سحرة ولفظ السحر في عرف الشرع مختص بكل
امر خفي سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه ومتى اطلق
ولم يقيد افاد ذم فاعله قال تعالى سحروا اعين الناس يعني موهوا عليهم
حتى ظنوا ان حبالهم وعصيهم تسعى وقال تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى
وقد يستعمل فيما يمدح ويحمد وقوله صلى الله عليه وآله ان من البيان لسحرا
يحتمل الوجهين المدح والذم فمن حيث ان صاحبه قادر على استمالة القلوب
بحسن عبارته وابلاغ كلامه فمن هذا الوجه يشبه بانه سحرا ويذكر في مقام
المدح ومن حيث يكون مقتدرا على تحسين ما يكون قبيحا وتقبيح ما يكون حسنا
فذلك يشبه السحر ويكون مذموما ولذا قال بعضهم في معنى قوله صلى الله
عليه وآله ان من البيان لسحرا اي فيه ما يصرف قلوب السامعين وان
كان غير حق وقيل معناه ان من البيان ما يكتسب به من الاثم ما يكتسبه الساحر
بسحره فيكون في معرض الذم وقيل يجوز ان يكون في معرض المدح لانه يستمال
به القلوب ويترضى به الساخط ويستنزل به الصعب واعلم ان السحر
على اقسام كثيرة منها سحر الكذابين يخدعون الناس ويخوفونهم بالاكاذيب
الكلام ومنها تأثيرات النفوس والاوهام مثاله ان الجذع مما يتمكن الانسان
من المشي عليها لو كان موضوعا على الارض ولو كان كالجسر على هاوية لا يمكنه
المشي عليه وما ذلك الا ان تخيل السقوط متى قوي اوجبه ومنها الرقى

والتسخيرات

السحر قال ابن فارس هو اخراج الباطل في صورة الحق وقال [illegible] سحره لكلامه [illegible] تركيبه قال [illegible] في التفسير لفظ السحر في عرف الشرع مختص بكل امر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع قال [illegible] سحرهم [illegible] واذا اطلق ذم فاعله وقد يستعمل مقيدا فيما يمدح ويحمد نحو قوله [illegible] ان من البيان لسحرا [illegible]

والتسخيرات والطلسمات بالاستعانة بالكواكب او بالنفوس الارضية
او بالتمزيج من القوى السماوية والارضية ومنها ما يفعله المشعبذ من
التخيلات والاخذ بالعيون اما بسرعة التحريكات او بارائة الاشياء
على خلاف ما هي عليه ومن هذا القبيل اغلاط البصر كما يرى راكب السفينة
السفينة ساكنة والشط متحركا وكما يرى الانسان النقطة الجوالة دائرة
والقطر النازل خطا مستقيما وامثال ذلك كثيرة ومنها ما يفعله المرايا و
الانعكاسات الشعاعية ومنها ما يفعله بعضهم من الاعمال العجيبة المبنية
على تركيب الآلات المركبة على نسب وضعية واشكال هندسية
وتحريكها اما بالتسخين بحرارة الشمس او النار او لضرورة الخلاء وغير ذلك
ومن هذا الباب صندوق الساعات وجر الاثقال وهو ان يجر ثقيلا
عظيما بآلة خفيفة وهذا بالحقيقة لا ينبغي ان يعد من السحر لان لها اسبابا
معلومة معينة من اطلع عليها قدر عليها لكن الاطلاع عليها لما كان عسرا شديدا
لا يطلع عليها الا الفرد بعد الفرد لا جرم عد اهل الظاهر ذلك سحرا ومنها الاستعانة
بخواص الادوية كما يجعل في طعام بعض الادوية المبلدة المزيلة للعقل فاذا
تناوله انسان يتبلد ذهنه ويزول عقله فربما يتكلم بكلمات مزخرفة ويفعل
افعالا قبيحة ومنها غير ذلك ولعل الذي كان بسحر سحرة فرعون هو من ضرب
تركيب الآلات على اشكال عجيبة حيوانية وتحريكها بالحرارة وغيرها فيخيل
من سحرهم انها تسعى اي تتحرك بنفسها وارادتها كمشي الحيوان بسرعة الطبع
بحركات الطبيعة والطبيب العالم به وجمع القلة الاطبة والكثرة الاطباء

وما كنت طبيبا ولقد طببت بالكسر والمتطبب المتعاطي علم الطب وكل حاذق في امر عارف به فهو طبيب عند العرب وبه سمّي الطبيب الذي يعالج المرضى ويستطب لوجعه اي يستوصف الدواء ايّها يصلح لدائه والطب ايضا السحر وقد طبّ الرجل فهو مطبوب اي اصابه سحر والطب في الاصطلاح علم يعرف منه احوال بدن الانسان من جهة ما يصح ويمرض ليحفظ الصحة اذا كانت حاصلة ويستردها اذا كانت زايلة وهو قسمان نظري لا يتعلق بعمل او بكيفية عمل وعملي يتعلق به او بها وكلاهما قواعد نظرية وآراء كلية خارجة عن مباشرة عمل او ممارسته فعل الزمانات جمع الزمانة آفة في الانسان بل في الحيوان او في عضو منه يمنعه عن الحركة كالفالج واللقوة والبرص وغيرها ويطلق المزمن بصيغة الفاعل على مرض طال زمانه ويقال رجل زمن اي مبتلى بيّن الزمانة للذي طال مرضه زمانا قال ابو حامد الموت ليس الا زمانة كلية حاصلة في جميع الاعضاء فيخرج به البدن عن تصرف النفس وتحريكها اياه كما يخرج العضو بسبب الزمانة عن تصرفها وتحريكها اقول لعل ما ذكره من باب التشبيه والا فالفرق ثابت بين الموت والزمانة سواء كانا في عضو واحد او في كل البدن فان تعلق النفس ببدن او عضو منه قد يكون بكل القوى النفسانية والحيوانية والطبيعية وقد يكون ببعضها الا ترى ان الانسان عند النوم وهو اخ الموت يجرد نفسه عن بدنه لا لجميع القوى والا لفسد البدن في زمان قريب بل ببعضها كما يظهر من حديث المنقول عن ابي عبد الله عليه السلام في هذا الكتاب وغيره فاذن عند زمانة العضو كاليد مثلا

ينقطع

ينقطع عنه قوة الحس والحركة الحيوانية ولا ينقطع عنه القوى النباتية كالجذب والدفع والامساك والهضم ولهذا يبقى مدة من غير ان يفسد والاكمه الذي يولد اعمى وقد كمه بالكسر كمها واستعاره بعض الشعراء فجعله عارضا بقوله كمهت عيناه حتى ابيضتا والبرص داء مشهور وهو بياض يحدث في ظاهر الجلد وقد يكون اسود ويقرب منه مرض آخر يسمّى بالبهق وهو ايضا يكون ابيض واسود والفرق بينهما ان البهق يكون في الجلد ولا يكون له غور والبرص يكون نافذا في الجلد واللحم والى العظم والسبب العام للجميع كما ذهب اليه الاطباء انصباب خلط رديّ بارد كثيف في العضو يضعف معه فعل الهاضمة فانها اذا ضعفت لم تقدر على تمام التشبيه لكن المادة في البهق ارق والقوة الدافعة اقوى فدفعت الى السطح والمادة في البرص اغلظ والقوة الدافعة اضعف فاستحكمت في الباطن وافسدت مزاج ما نفذت وكانت زيادة الصاق بلا تشبيه واذا تمكنت هذه المادة احالت الغذاء الذي يجيء اليها الى طبعها وان كان اجود غذاء وليست نسبة البرص الاسود الى البهق الاسود كنسبة البرص الابيض الى البهق الابيض الا من جهة ان له غورا والبهق الابيض في سطح الجلد بخلاف الاسودين فانهما يختلفان من جهة اخرى وهي ان البرص الاسود ينتشر معه الجلد ويعرض له خشونة عظيمة وتفليس كما يكون للسمك وتكونه من سوداء ردية فاثرت في العضو تاثيرا اقوى من تغير لونه وهو من مقدمات الجذام ابن السكيت بكسر السين المهملة والكاف المشددة المكسورة وكان اديبا فاضلا فاذا التصحت مع

مفردات الالفاظ فنقول غرض هذا السايل وهو ابن السكيت في سؤاله
عنه عليه السلم مطلبان الاول بيان اللمية والفائدة في اختصاص كل نبي من
الانبياء عليهم السلم بمعجزة مخصوصة كاختصاص موسى عليه السلم بما هو من جنس
السحر بالعصاء واليد البيضاء وما يبطل به السحر ويناسبه وهو المعنى من قوله وآلة السحر
وكاختصاص عيسى عليه السلم بما هو من جنس الطب من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى واختصاص خاتم الرسل
عليه وعليهم السلم بالقرآن وما هو من جنس الكتب والرسايل فاجاب عليه السلم
بذكر ما هو السبب في ذلك وبيان الحاجة اليه والفائدة فيه بان معجزة النبي ينبغي
ان يكون من جنس ما هو الغالب على قومه ليظهر الحجة عليهم باتيان ما لم يقدروا عليه
وليس في وسعهم مع انه من جنس ما كانوا قادرين عليه اما قوم موسى عليه السلم
فكان الغالب عندهم وفيهم السحر والتخييل فاتاهم من عند الله بما لم يكن في مقدرتهم
فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين والقي السحرة
ساجدين قالوا آمنا برب العالمين لانهم علموا الفرق بين السحر والمعجزة فان السحر
كما سبق ذكر اقسامه ليس الا توهمات وتخييلات من باب الحيل والخدايع
والمكايد او من تاثيرات نفسانية مستعملة للشر كاصابة العين ونحوها بخلاف
المعجزة والكرامة فانها جاءت من عند الله بقوة ملكوتية ربانية يطيعها النفوس
والابدان فيؤثر فيها تاثيرا ثابتا حقا مستعملا لاجل الخير واصلاح الخلق وحفظ النظام
فبها كملت الحجة وتمت النعمة واما قوم عيسى عليه السلم فكان الغالب عليهم
الطب اذ كثر فيهم الزمانات والامراض المزمنة واحتاجوا الى المعالجة بالطب
فبعث الله عز وجل من كان يعالجهم ويبرئهم من الكمه والبرص ويحيي الموتى كل ذلك
لا بصناعة طبية بل بقوة ربانية ونفس قدسية وكما علم ان ما فعله الكليم عليه السلم

من قلب

من قلب العصا حية تسعى وانزال الرجز من السماء وتفجير الحجر اثنتا عشرة عينا
وتظليل الغمام عليهم متى شاء بالدعاء وانزال المن والسلوى ليس من
باب السحر بل من قبل الله تعالى فكذا يعلم يقينا ان ما فعله المسيح عليه السلم
من احياء الموتى وغيره ليس من باب صناعة المعالجين والاطباء واما قوم
محمد صلى الله عليه وآله فكان الغالب على نشأتهم انشاء الخطب والرسايل
والمبالغة في فصاحة الكلام وبلاغته وحسن البيان وسلاسته ومراعاة
المطابقة لمقتضى الحال والمحافظة على محاسن اللفظ وبدايع النكت الغريبة
ولطايف المناسبات العجيبة ووجوه الاستعارات والتخييلات
وانحاء المجازات والكنايات وساير ما يزيد في الكلام رونقا وتاثيرا في
القلوب فبعث الله عليهم النبي صلى الله عليه وآله متحديا بالقرآن كتابا ساطعا
تبيانه قاطعا برهانه ناطقا بحجج وبينات وسور وآيات يعجز عن الاتيان
بما يماثلها او يدانيها مصاقع الخطباء مشتملا على رموز واسرار وعلوم وانوار
تحيرت في ادراكها عقول الالباب ومواعظ وحكم تبلدت عن فهمها اذهان
الحكماء ولم يتصد لمعارضته اقصر سورة من سوره واحد من الفصحاء ولم ينهض
للقدح في كلمة من كلماته ناهض من اذكياء البلغاء مع طول المدة وكثرة العدة
وشدة الحرص وقوة الكد وغاية العصبية ونهاية الانانية والافراط في المضادة
والمضارة والرسوخ في المعاندة ~~والرسوخ~~ والمفاخرة فاختاروا المقاتلة
بالسيف والسنان على المعارضة بالكلام والبيان والحجة والتبيان بعد
ما خيروا بين الامرين وجردت لهم آية كلمات المفحمتين الحجة بالفصاحة اولا والسيف وجردت

والشجاعة اخيرا فما اختاروا المعارضة الا الاخير وما عارضوا الا السيف فعلم ان
الماتي به خارج عن مقدرة البشر وانما هو امر من عند خالق القوى والقدر
والنسبة بينهما كالنسبتين المذكورتين آنفا وقوله واظنه قال الشعر شك
من الراوي اعني ابي يعقوب البغدادي ولما وقف ابن السكيت على نبذ
من اسرار علمه عليه السلم وانوار حكمته ومعرفته في باب كيفية ارسال الرسل
بالمعجزات وفائدة انزال الكتب والآيات قال ما رايت مثلك قط و
لعله عرف بامامته وصدق بولايته وعصمته سلام الله عليه وعلى آبائه اجمعين
واما المطلب الثاني فهو انه لما ظهر من كلامه ان الحجة على الخلق في زمان كل نبي
من الانبياء عليهم السلام كانت معجزة ذلك النبي عليه السلم وكانت من جنس
ما كان غالبا على قومه فاطاعوه وآمنوا به وعرفوا صدق دعواه بما شاهدوا منه
اظهار المعجزة واحتجوا بها فان اكثر الناس اذعن واطوع للمحسوس منهم للمعقول
فما الحجة عليهم عند ما غابت عنهم الانبياء المؤيدون بالمعجزات والدليل النقلي
غير كاف في حصول الايمان واليقين والقرآن وان كان باقيا الى الآن لكن
ليس الغالب على الخلق اليوم عزيزة الفصاحة حتى يعرفوا الحجية فاجاب عليه السلم
بان الحجة عليهم في هذا الزمان العقل فقط به يعرف الحق من الباطل والصدق
من الكذب فيقع به اذعان الصادق على الله ورسوله وتكذيب المفتري عليه
وعلى رسوله تنبيها على ترقي الاستعدادات ولطافة القرايح في هذه الامة المسلمة
حتى استغنوا بعقولهم عن مشاهدة المعجزات المحسوسة فان حصول الايمان بالله
واليوم الآخر من جهة المعجزة الحسية دين اللئام ومنهج العوام واهل البصيرة لا يقنعون

بها اذ لا

بها اذ لا يحصل بها الا العقيدة بالقلب دون الانكشاف على البصيرة والاذعان
في الظاهر دون انشراح الصدر بنور اليقين في القلب افمن شرح الله صدره
للاسلام فهو على نور من ربه وذلك لتطرق الشبهة في المعجزات الحسية دون الشبهة
في اليقينيات العقلية ولذلك من آمن بموسى عليه السلم ببصيرة ورؤية
العصا ثعبانا كفر به واذعن للسامري بجعل حليهم عجلا جسدا له خوار فافاد
عليه السلم ان العقل هو الحجة على الناس في هذا الزمان لا غير لما ياتي
عقولهم من الكتاب المنزل على نبيهم والميزان النازل معه من السماء
لقوله تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان
ليقوم الناس بالقسط افيزعم ذو عقل وبصيرة ان الميزان المقرون نزوله
مع نزول القرآن هو ميزان البر والشعير او الذهب والفضة او يحسب ان
الميزان المقابل وضعه برفع السماء في قوله تعالى والسماء رفعها ووضع
الميزان هو نحو الطيار والقبان فما ابعد هذا الحسبان وما اعظم هذا البهتان
وانما هو ميزان المعرفة والدين وقسطاس الحق واليقين علمنا الله عز وجل
طريق الوزن به في معرفة الله تعالى ومعرفة انبيائه وكتبه ورسله وملائكته
وملكوته ومعرفة اليوم الآخر وثوابه وعقابه ورضوانه وميزانه وساير ما جاء
به الانبياء واشارت به الائمة والاوصياء المعصومون من الخطاء سلام الله
عليهم اجمعين فعلمنا كيفية وزن المعارف والعلوم بهذا الجنس من الميزان
المنقسم الى الموازين الخمسة المنزلة في القرآن وهي في الاصل ثلثة اقسام
بالقسمة الاولية ميزان التعادل وميزان التلازم وميزان التعاند لكن الاول

[illegible]

ينقسم الى ثلثة اقسام الاكبر والاوسط والاصغر فيصير الجميع خمسة وتعريف
كل منها واشكالها وشرائطها والفرق بين منتجها وعقيمها ومنحرفها ومستقيمها
ومعيار الوزن بها مذكور في كتب بعض علماء الاسلام وهي وان كان موازين
روحانية لا جسمانية كهذه الموازين المحسوسة ولا اشتراك بين الروحانيات
والجسمانيات في نحو الوجود ولكنها مع ذلك لها مشاركة مع هذه الجسمانيات
في كثير من المفهومات الذاتية اعني ما هو روح المعنى مطلقا عن قيد التجسم
والتجرد وسيما ميزان التعادل باقسامه فانه ذو كفتين متعلقتين بالعمود والعمود
مشترك في الكفتين به ترتبط كل منهما بما ارتبطت به الاخرى واما ميزان
التلازم فهو بالقبان اشبه لانه ذو كفة واحدة لكن مقابلها من الجانب الآخر
الاكثر ازمانه وبها يظهر التفاوت والتقدير واعلم ان من استعمل شيئا
من هذه الموازين النازلة الينا في القرآن هو الخليل على نبينا وآله وعليه السلم
بتعليم الله فانه استعمل الميزان الاكبر في احتجاجه مع نمرود فالميزان الاكبر
ميزان الخليل فمنه تعلمنا اخذ الميزان لكن بواسطة القرآن كما حكى الله عنه انه
قال ربي الذي يحيي ويميت وذلك لان الآله بالاتفاق هو القادر على كل
شيء فقال ابرهيم عليه السلم الهي هو الآله الحق لان الهي يحيي ويميت وهو
القادر عليه وكل ما هو كذلك فهو الآله فالهي هو الآله فلست بآله اذ القرآن
مبناه على الحذف والايجاز كما هو كذلك في مواضع لا تحصى فقال نمرود انا
احيي واميت زعما انه يحيي النطفة بالوقاع ويميت بالقتل فلما رأى ابرهيم
ان ذلك يعسر عليه فهمه فعدل في الاحتجاج معه الى ما هو اوضح عنده فقال ان الله

يأتي

يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر
وقد اثنى الله تعالى عليه ثناء عظيما فقال وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم
على قومه نرفع درجات من نشاء فالحجة والبرهان في قوله وميزانه قرآنيا
في حجته وميزانه اصلين ازدوجا فتولدت منهما النتيجة التي هي المعرفة
فصورة هذا الميزان ان نقول كل من قدر على اطلاع الشمس فهو الآله فهذا اصل
والهي هو القادر على الاطلاع هذا اصل آخر فيلزم من مجموعهما بالضرورة ان
الهي هو الآله دونك يا نمرود واعلم ان امثلة هذه الموازين الخمسة كلها ثابتة
في القرآن نازلة في السور والآيات علم الله تعالى نبيه صلى الله عليه
وآله بها ولولا مخافة الاطناب لاوردنا الجميع واحدا واحدا واوضحنا
كيفية الوزن بها لكن فيما ذكرناه من مثال الميزان الاكبر من موازين التعادل
غنية وكفاية للمستبصر في ان يتفطن بالبواقي فقد علمت اذن ان المعلم
الاول في معرفة هذه الموازين هو الله والثاني جبرئيل بلسان الشريعة وهو
المسمى بروح القدس عند قوم وبالعقل الفعال عند طائفة والمعلم الثالث
هو الرسول صلى الله عليه وآله والخلق كلهم يتعلمون من الرسول ما لهم طريق غير
سبيله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يتقبل منه الا ان بعضهم كالائمة
عليهم السلم يستفيضون العلوم من سره وباطنه بلا واسطة وبعضهم ليسوا
كذلك واعلم ان الرأي والقياس من جملة موازين الشيطان وهو واضعها
ومستعملها اولا فان اول من قاس ابليس ثم اتباعه من اخوان الشياطين
وهو قياس في غاية التعارض والالتباس ومن زعم من رفقائنا ان ذلك

ازدوجا

المعارف

الشياطين

ميزان المعرفة فنسأل الله تعالى ان يكفي شره وضره عن الدين وعن اخواننا
الصالحين فانه للدين صديق جاهل وهو شر من عدو عاقل ثم اعلم ان استعمال
هذه الموازين يجري في انحاء التعاليم وهي صنوف الاغذية الروحانية كما يوزن
بموازين الاجسام اصناف الاغذية البدنية كالحنطة والشعير واللحم واللبن
وغيرها قال الله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة هذه لقوم والموعظة
الحسنة هذه لقوم آخرين وجادلهم بالتي هي احسن هذه لقوم غيرهما فالحكمة ان
غذي بها اهل الموعظة اضرت بهم كما يضر بالطفل الرضيع التغذية باللحم والمجادلة بالطفل
ان استعملت مع اهل الحكمة اشمأزوا عنها كما يشمئز طبع الرجل القوي
من الارتضاع بلبن الآدمي وان استعمل الجدل مع اهل الجدال لا بطريق
الاحسن اضر بهم ايضا لعدم الفهم وعادتهم الا بما نشأوا فيه واعتادوا
بل ينبغي للمعلم ان يتلطف باصحاب المجادلة القاصرين عن درك الحقايق
الحكمية بان يستعمل لاجلهم ما يلايم طباعهم ويوافق قرايحهم من الاغذية العلمية
فان التغذية بالغذاء الموافق احياء والعلاج بما لا يوافق افناء وهذه دقايق
لا يدركها الا بنور التعليم المقتبس من مشكوة النبوة واشراق الولاية الحديث الحديث
الحادي والعشرون الحسين بن محمد عن معلى بن محمد البصري بالباء الموحدة
تحتها نقطة ابو الحسين في الخلاصة مضطرب الحديث والمذهب وقال ابن
الغضايري المعلى بن محمد البصري ابو محمد نعرف حديثه وننكره يروي عن الضعفاء
ويجوز ان يخرج شاهدا عن الوشا هو الحسن بن علي بن زياد الوشا بجلي كوفي
قال الكشي يكنى بابي محمد الوشا وهو ابن بنت الياس الصيرفي خزاز من اصحاب

الرضا

الرضا عليه السلم وكان من وجوه هذه الطايفة وروى الصدوق رحمه الله وكان من
في عيون اخبار الرضا عليه السلم عن ابيه عن سعد عن صالح بن ابي حماد عن
الحسن بن علي الوشا قال كنت قبل ان اقطع على الرضا عليه السلم
جمعت مما روي عن آبائه عليهم السلم وغير ذلك مسائل كثيرة في كتاب
واحببت ان اثبت في امره واختبره فحملت الكتاب في كمي وصرت
الى منزله اريد منه خلوة انا وله الكتاب فجلست ناحية متفكرا في الاحتيال
للدخول فاذا بغلام قد خرج من الدار في يده كتاب فنادى ايكم الحسن بن
علي الوشا فقمت اليه وقلت انا قال فهاك خذ الكتاب فاخذته و
تنحيت ناحية فقرأته فاذا والله وفيه جواب مسألة مسألة فعند ذلك
قطعت عليه وتركت الوقف عن المثنى الحناط المذكور في الخلاصة بهذا
الاسم رجلان احدهما مثنى بن عبد السلم قال الكشي قال ابو النضر محمد
بن مسعود قال علي بن الحسن انه كوفي حناط لا بأس به وثانيهما مثنى
بن الوليد قال الكشي قال ابو النضر محمد بن مسعود قال علي بن الحسن مثل
ما مر وقال الفاضل الاسترابادي المثنى بن عبد السلم له كتاب عنه
القاسم بن اسمعيل ست جش ابن عبد السلم العبدي مولى بني هاشم
كوفي ثقة وقال المثنى بن الوليد الحناط ست جش مولى كوفي روى عن
ابي عبد الله له كتاب عنه جماعة منهم الحسن بن علي بن يوسف بن بقاح
جش عن قتيبة الاعشى بن محمد المؤدب ابو محمد المقري مولى الازد ثقة
عين روى عن ابي عبد الله عليه السلم صه عن ابن ابي يعفور هو عبد الله

بن ابی یعفور بالیاء المنقطة تحتها نقطتین والعین المهملة الساکنة والفاء والراء بعد الواو واسم ابی یعفور واقد بالقاف وقیل وقدان یکنی ابا محمد ثقة ثقة جلیل فی اصحابنا کریم علی ابی عبد الله علیه السلم ومات فی ایامه وکان قاریا یقری فی مسجد الکوفة وروی الکشی عن محمد بن قولویه عن سعد عن علی بن سلیمان داود الازدی عن علی بن اسباط عن ابیه اسباط بن سالم عن ابی الحسن بن سالم عن ابی الحسن موسی علیه السلم ان عبد الله بن ابی یعفور من حواری ابی جعفر محمد بن علی وحواری جعفر بن محمد علیهما السلم وعن علی بن القتیبی عن الفضل بن شاذان عن ابن ابی عمیر عن عدة من اصحابنا قال کان ابو عبد الله علیه السلم یقول ما وجدت احدا یقبل وصیتی ویطیع امری الا عبد الله بن ابی یعفور صه وفی تهذیب الحدیث للشیخ الطوسی علیه الرحمة فی باب الشهادة ان ابن ابی یعفور ازمنة شهادة فشهد بها عند ابی یوسف القاضی فقال له ابو یوسف ما عسیت ان اقول فیک یا ابن ابی یعفور وانت جاری ما علمتک الا صدوقا طویل اللیل ولکن تلک الخصلة قال وما هی قال میلک الی الرفض فبکی ابن ابی یعفور حتی سالت دموعه ثم قال یا ابا یوسف نسبتنی الی قوم اخاف ان لا اکون منهم قال واجاز شهادته عن مولی لبنی شیبان عن ابی جعفر علیه السلم قال اذا قام قائمنا وضع الله یده علی رؤس العباد فجمع بها عقولهم وکملت احلامهم الشرح قوله علیه السلم اذا قام قائمنا هو المهدی صاحب الزمان صلوات الله وسلامه علیه وهو الیوم موجود حی الا انه غائب عن ابصار الناس مستور عن الحواس وانما سمی بالقایم لانه موجود بنحو من الوجود لا یذبل ولا یمرض ولا یهرم

ولا یتاثر بتغیرات الامور ولا یخلله صروف الدهور ولا یعتریه الموت والهلاک بتاثیرات حرکات الکوکب والافلاک بل انما یحیی ویموت حسب ارادة الله تعالی ومشیته من غیر تسبب اسباب وتوسط علل واستعدادات مواد ومع ذلک لیس ان جوهر روحه علیه السلم مفارق عن الجسد بل یاکل ویشرب ویتکلم ویتحرک ویسکن ویمشی ویجلس ویکتب ومعنی قوله اذا قام ای خرج وظهر وهذا الخروج لا محالة کائن ولو لم یبق من الدنیا الا یوم واحد للاخبار والروایات الصحیحة الواردة فی هذا الباب الکثیرة التی لا تعد ولا تحصی رواها المؤالف والمخالف جمیعا وعلیه اتفق اطباق الائمة المسلمة سیما ارباب القلوب واصحاب المکاشفات وقد نقل شیخنا البهائی روح روحه فی شرحه للاحادیث الاربعینیة ملخصا ما ذکره الشیخ العارف المحقق محیی الدین الاعرابی فی هذا المطلب من الفتوحات المکیة ونحن نذکر ذلک الفصل بعینه من غیر حذف شیء منه لیحیط الناظر باطراف کلامه ویزیده بصیرة ووضوحا قال فی الباب الثلثمائة والستون وثلثمائة فی معرفة وزراء المهدی الظاهر فی آخر الزمان اعلم ایدنا الله وایاک ان لله خلیفة یخرج وقد امتلئت الارض ظلما وجورا فیملؤها قسطا وعدلا لو لم یبق من الدنیا الا یوم واحد طول الله ذلک الیوم حتی یلی هذا الخلیفة من عترة رسول الله صلی الله علیه وآله من ولد فاطمة یواطی اسمه اسم رسول الله صلی الله علیه وآله جده الحسین بن علی بن ابی طالب یبایع بین الرکن والمقام یشبه رسول الله صلی الله علیه وآله فی الخلق بفتح الخاء وینزل عنه فی الخلق بضم

لانه لا يكون احد مثل رسول الله صلى الله عليه وآله في خلقه والله يقول فيه
وانك لعلى خلق عظيم هو اجلى الجبهة اقنى الانف اسعد الناس به اهل الكوفة
يقسم المال بالسوية ويعدل في الرعية ويفصل في القضية يأتيه الرجل
فيقول يا مهدي اعطني وبين يديه المال فيحثي له في ثوبه ما استطاع ان
يحمله يخرج على فترة من الدين يزع الله به ما لا يزع بالقرآن يمسي الرجل
جاهلا جبانا بخيلا ويصبح اعلم الناس اكرم الناس اشجع الناس يصلحه الله
في ليلة يمشي النصر بين يديه يعيش خمسا او سبعا او تسعا يقفو اثر رسول
الله لا يخطئ له ملك يسدده من حيث لا يراه ويقوي الضعيف ويعين
على نوائب الحق يفعل ما يقول ويقول ما يعلم ويعلم ما يشهد يفتح المدينة الرومية
بالتكبير في سبعين الفا من المسلمين من ولد اسحق يبيد الظلم واهله ويقيم
الدين ينفخ الروح في الاسلام يعز الاسلام به ويحيى بعد موته يضع الجزية
ويدعو الى الله بالسيف فمن ابى قتل ومن نازعه خذل يظهر من الدين
ما هو الدين في نفسه ما لو كان رسول الله لحكم به يرفع المذاهب من الارض فلا يبقى
الا الدين الخالص اعداؤه مقلدة العلماء واهل الاجتهاد لما يرونه من الحكم
بخلاف ما ذهب اليه ائمتهم فيدخلون كرها تحت حكمه خوفا من سيفه وسطوته
ورغبة فيما لديه يفرح به عامة المسلمين اكثر من خواصهم يبايعه العارفون من
اهل الحقائق عن شهود وكشف بتعريف الهي له رجال الهيون يقيمون دعوته
وينصرونه هم الوزراء يحملون اثقال المملكة ويعينونه على ما قلده الله ينزل عليه
عيسى بن مريم بالمنارة البيضاء بشرقي دمشق بين مهرودتين متكئا على ملكين
ملك

ملك عن يمينه وملك عن يساره يقطر رأسه ماء مثل الجمان يتحدر كانما خرج من ديماس
والناس في صلوة العصر فيتنحى له الامام من مقامه فيصلي بالناس يؤم الناس
بسنة محمد صلى الله عليه وآله يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويقبض الله المهدي
اليه طاهرا مطهرا ثم قال الا ان ختم الاولياء شهيد وعين امام العالمين فقيد
هو السيد المهدي من آل احمد هو الصارم الهندي حين يبيد هو الشمس يجلو كل
غم وظلمة هو الوابل الوسمي حين يجود وقد جاءكم زمانه واظلكم اوانه وظهر في
القرن الرابع اللاحق بالقرون الثلثة الماضية قرن رسول الله صلى الله عليه
وهو قرن الصحابة ثم الذي يليه ثم الذي يلي الثاني ثم يجئ فترات ويحدث امور
وينتشر اهواء ويسفك دماء وعاث الذئاب في البلاد وكثر الفساد الى ان طم
الجور وطمس سبله وادبر نهار العدل بالظلم حين اقبل ليله فشهداؤه خير الشهداء
وامناؤه افضل الامناء وان الله يستوزر له طائفة خبأهم له في مكنون غيبه اطلعهم
كشفا وشهودا على الحقائق وما هو امر الله عليه في عباده فبمشاورتهم يفصل ما يفصل
وهم العارفون الذين عرفوا ما ثم واما هو في نفسه فصاحب سيف حق و
سياسة مدنية يعرف من الله قدر ما يحتاج اليه مرتبته ومنزلته لانه خليفة
مسدد يفهم منطق الحيوان يسري عدله في الانس والجان من اسرار علم
وزرائه الذين استوزرهم الله قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين وهم رجال
صدقوا ما عاهدوا الله وهم من الاعاجم ما هم عربي لكنهم لا يتكلمون الا بالعربية لهم
حافظ ليس من جنسهم ما عصى الله قط هو اخص الوزراء وافضل الامناء
فاعطاهم في هذه الآية التي اتخذوها هجيرا وفي ليلهم سميرا فعلموا ان الصدق سيف الله

في ارضه ما قام باحد ولا اتصف به احد الا نصرة الله لان الصدق نعته والصادق اسمه فنظروا باعين سليمة من الرمد وسلكوا باقدام ثابتة في سبيل الرشاد فلم يروا الحق فيه مؤمنا من مؤمن بل اوجب على نفسه نصرة المؤمنين ثم قال واصحاب علم الرسوم ليست لهم هذه المرتبة اي مرتبة التعريف الالهي والاخذ عن عالم الالهام لما اكبوا عليه من الجاه والرياسة والتقدم على عباد الله وافتقار العامة اليهم فلا يفلحون في انفسهم ولا يفلح بهم وهي حالة فقهاء الزمان الراغبين في المناصب من قضاء وحسبة وتدريس وشهادة واما المتسمون منهم بالدين فيجمعون اكتافهم وينظرون الى الناس من طرف خفي نظر الخاشع ويحركون شفاههم بالذكر ليعلم الناظر اليهم انهم ذاكرون ويتعجبون في كلامهم ويتشدقون ويغلب عليهم رعونات النفس وقلوبهم قلوب الذئاب لا ينظر الله اليهم هذا حال المتدينين منهم لا الذين هم قرناء الشيطان لا حاجة للناس بهم لبسوا للناس جلود الضان من اللين اخوان العلانية اعداء السريرة فالله يراجع بهم فيأخذ بنواصيهم الى ما فيه سعادتهم واذا خرج هذا الامام المهدي فليس له عدو مبين الا الفقهاء خاصة فانهم لا يبقى لهم رياسة ولا تميز عن العامة ولا يبقى لهم علم بحكم الا قليل ويرتفع الخلاف من العالم في الاحكام بخروج هذا الامام ولولا ان السيف بيده لافتى الفقهاء بقتله ولكن الله يظهره بالسيف والكرم فيطمعون ويخافون ويقبلون حكمه من غير ايمان بل يضمرون خلافه بل يعتقدون فيه اذا حكم فيهم بغير مذهبهم انه على ضلالة في ذلك الحكم لانهم يعتقدون ان اهل الاجتهاد وزمانه قد انقطع وما بقي مجتهد في العالم وان الله لا يوجد بعد ائمتهم احدا له درجة الاجتهاد واما من يدعي التعريف الالهي

الالهي بالاحكام الشرعية فهو عندهم مجنون فاسد الخيال لا يلتفتون اليه فان كان ذا مال وسلطان انقادوا له في الظاهر رغبة في ماله وخوفا من سلطانه وهم ببواطنهم كافرون به انتهى كلامه واعلم ان اكثر ما ذكره فيما نقلناه من عبارته اولا موجود في كتب الحديث بعضها على طريقة اصحابنا وبعضها على غير طريقهم وانظروا ايها الاخوان الى ما في طي كلامه من المعاني الدالة على كيفية مذهبه كقوله ان لله خليفة وقوله اسعد الناس به اهل الكوفة وقوله اعداؤه مقلدة العلماء اهل الاجتهاد وقوله انه على ضلالة وقوله لانهم يعتقدون ان اهل الاجتهاد وزمانه قد انقطع الى اخره ثم في كلامه فوائد شريفة ولطائف عجيبة تاملوا فيه لعلكم تهتدون الى مقاصد هداية حكمية ان الثابت بالشرع والعرفان والشهود والايمان وجود مولانا المهدي صاحب الزمان عليه صلوات الرحمن وبقاؤه من حين ولادته الى الان ولنا في تحقيق هذا المرام وامثاله مسلك انيق ومنهج دقيق ليس ههنا موضع تفصيله واجماله ما اشرنا اليه انفا من كون وجوده عليه السلام وحيوته في عالم الارض كوجود عيسى عليه السلام وحيوته في عالم السماء ومما يمكن الاعتقاد به ما قاله صاحب الفتوحات في الباب الخامس والخمسين وثلثمائة منها وهو المعقود في ارض العبادة واتساعها من قوله فاذا نظر الانسان الى نشأته البدنية قامت معه الارض التي خلق منها وجعل منها غذاؤه وما به صلاح نشأته لم يرزقه الله في العادة من غيرها ومن اخرق الله فيه العادة بان لم يرزقه منها رزقه من امر خفي وهو السبب الذي ابقى عليه حيوته فوفر عليه حرارته ورطوبته التي هي مادة حيوته بامر لطيف لا يعلمه الا الله ومن اطلعه عليه لان الله لما وضع الاسباب لم يرفعها في حق احد وانما اعطى البعض

من عباده من النور ما اهتدى به المشي في ظلمات الاسباب غير ذلك مما فعل
فعاينوا من ذلك على قدر انوارهم تحجب الاسباب مسدلة لا ترفع ابداً فلا تطمع
وان نقلك الحق من سبب فانما ينقلك بسبب آخر فلا تطمع فيما لا مطمع فيه ولكن
سبيل الله رش من ذلك النور على ذاتك واظهر الامور اللطيفة ان جعل بدنك
ذا مسام واحاط بك الهواء الذي هو مادة الحيوة الطبيعية فانه حار رطب بالذات
وجعل فيه قوة جاذبة فقد تجذب في وقت فقدك الاسباب المعتادة الهواء من
مسام بدنك فيغتذي بدنك وانت لا تشعر وقد علمنا ان من الحيوانات من يكون
غذاؤه من مسام بدنه مما يجذبه من الرطوبة على ميزان خاص يكون له البقاء من غير
افراط ولا تفريط انتهى كلامه **تبصرة ملكوتية** قوله عليه السلم وضع الله يده على رؤس
العباد اعلم ان الله تعالى منزه عن الجوارح والاعضاء بل منزه عن الكثرة والتغير مطلقا
وعن التشبيه بشيء من الاشياء اذ ليس كمثله شيء في الارض ولا في السماء بل
منزه عن هذا التنزيه ايضا كما انه منزه عن التشبيه الا انه يعبر عن واسطة جوده وفيضه
وهو ملك من الملئكة باليد او الاصبع كما في قوله تعالى بل يداه مبسوطتان ينفق كيف
يشاء وقول النبي صلى الله عليه وآله قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن
يقلبه كيف يشاء والمراد برؤس العباد نفوسهم الناطقة وعقولهم الهيولانية لان
العقل في الآدمي ارفع شيء من قواه واجزائه الباطنة والظاهرة وقوله عليه السلم
فجمع بها عقولهم اي جمع الله بواسطة ذلك الملك القدسي والجوهر العقلي عقول العباد
من جهة التعليم والالهام فان العقول الانسانية في اوايل نشأتها متفرقة في طبايع
الابدان متفرقة في الحواس متوزعة في ميولها واشواقها الى الاغراض والشهوات
منقسمة

منقسمة في هممها ودواعيها الى شجون الاماني وشعب الرغبات ثم اذا ساعده
التوفيق وتنبه بان وراء هذه النشأة نشأة اخرى فعلم ذاته وعرف نفسه واستكمل
عقله بالعلم والحال ودفع الكثرة رجع الى ذاته وارتقى الى معدنه الاصلي وعاد من
مقام التفرقة والكثرة الى مقام الجمعية والوحدة ومن موطن الفصل الى الوصل
ومن الفرع الى الاصل ولما ثبت وتقرر ان النفوس الانسانية من زمن
ابينا آدم عليه السلم الى وقت بعثة الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم
كانت متدرجة في التلطف والتصفي مترقية في حسن القبول والاستعداد
ولهذا كلما جاء رسول بعد رسول كانت معجزة النبي المتأخر اقرب الى المعقول
من المحسوس والى التروح من التجسم من معجزة النبي المتقدم وهكذا ولاجل
ذلك كانت معجزة نبينا صلى الله عليه وآله وعلى ساير الانبياء والمرسلين
القرآن والكتاب وهو امر عقلي انما يعرف كونه اعجازاً اصحاب العقول
الزكية ولو كان منزلاً على الامم السابقة لم يكن حجة عليهم لعدم استعدادهم
لدركه ثم من بعثة الرسول صلى الله عليه وآله الى آخر الزمان كانت الاستعدادات
في الترقي والنفوس في التلطف والتزكي ولهذا لم يحتاجوا الى رسول آخر
يكون حجة من الله عليهم وانما الحجة منه عليهم هو العقل الذي هو الرسول
الداخلي كما دل عليه الحديث السابق والحديث اللاحق ايضا ففي
آخر الزمان يترقى الاستعدادات من النفوس الى حد لا يحتاجون به
الى معلم من خارج على الرسم المعهود من الناس الآن بل يكتفون بالالهام
الغيبي عن التأديب الوضعي وبالمسدد الداخلي عن المؤدب الخارجي وبالمكمل

العقلى عن المعلم الحسى كما لسائر الاولياء فملك روحانى هو يد الله يجمع عقولهم
ويكمل احلامهم فتامل فى هذا الحديث والذى قبله بعين البصيرة وتدبر فيما افدناك
فى شرحهما طالبا للاستكشاف آخذا بالعدل والانصاف معرضا عن الجدل
والاعتساف ليظهر لك بعض الاسرار المختفية تحت الحجب والاستار ويطلع
على بسيط قلبك نور كوكب درى من مطالع عالم الانوار الحديث الثانى
والعشرون على بن محمد عن سهل بن زياد عن محمد بن سليمان ما يحتمل ان يكون
فى هذه المرتبة من المسمى بمحمد بن سليمان مشترك بين الضعفاء والمجاهيل
عن على بن ابراهيم الظاهر انه على بن ابراهيم بن محمد بن الحسن بن محمد بن عبيد الله
بن الحسين بن على بن ابى طالب ابو الحسن الجوانى بفتح الجيم وتشديد الواو
ثقة صحيح الحديث خرج مع ابى الحسن الى خراسان عن عبد الله بن سنان
عن ابى عبد الله عليه السلم قال حجة الله على العباد النبى عليه السلم والحجة فيما بين
العباد وبين الله العقل الشرح قد علمت مما اشرنا اليه فى الحديث ان
للنفوس البشرية من ابتداء العالم الى خاتم الانبياء صلى الله عليه وآله وعليهم
كانت فى الترقى وكانت الاديان والشرايع حسب ترقيهم فى التكامل والانبياء
بمعجزاتهم فى التفاضل الى ان انتهت الاديان الى دين الاسلام وهو اكمل ما يتصور
من الاديان لقوله اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام
دينا وانتهت الرسالة والنبوة الى اشرف الرسل وافضل الانبياء وانتهت
الامم الى خير امة اخرجت للناس يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وشرط
الامر والنهى العلم باحكام الله بمعرفة ما فى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله

فاذن

فاذن لا حاجة بعد الى بعثة نبى آخر او شريعة اخرى ولهذا لم يبعث ولا يبعث
بعد ختم الانبياء عليه السلم نبى ولا بعد شريعته شريعة لما ذكر من السبب اذا
علمت ذلك فنقول مراده عليه السلم من قوله حجة الله على العباد هى الحجة
الواردة من قبل الله لاجل قصور العقول عن درجة الاكتفاء بما اعطاهم الله من
الشريعة والعقل فما هى الا نبى مبعوث من قبل الله ظاهرا مقرونا بالمعجزات
والآيات الواضحة الجلية ومن قوله عليه السلم والحجة فيما بين العباد وبين الله
العقل لان النفوس لما بعث عليهم الانبياء وجاءت الشرايع وانزلت
الكتب غاية ما يمكن ان يكون عليه شىء من الحجج الخارجية من النبى والكتاب
والشريعة فليست الحجة بعد ذلك فيما بين الخلق والحق الا الحجة الباطنة
وما هى الا العقل والحاصل ان الحجة حجتان خارجية وداخلية والناس اما اهل
بصيرة عقلية ام لا فالحجة على غير اهل البصيرة هى الخارجية لان الاعمى يحتاج فى قطع
السبيل الى قائد خارجى يتبعه تقليدا فى كل قدم والحجة على اهل البصيرة
المستفادة من اتباع الحجة الخارجية هى نور البصيرة الداخلية فهم بنور بصيرتهم
يسلكون سبيل الله بعقولهم المقتبسة من مشكوة النبوة المستنيرة بانوار
الكتاب والسنة فلا حاجة لهم فى سلوك السبيل فى كل قدم الى امام خارج وحجة
خارجة بل حجة الله عليهم بصيرتهم ونور عقلهم وهذا هو الحديث الثالث والعشرون
عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد مرسلا قال ابو عبد الله عليه السلم دعامة الانسان
العقل والعقل منه الفطنة والفهم والحفظ والعلم وبالعقل يكمل وهو دليله ومبصره
ومفتاح امره فاذا كان تاييد عقله من النور كان عالما حافظا ذاكرا فطنا فهما

فعلم بذلك كيف ولم وحيث وعرف من نصحه ومن غشه فاذا عرف ذلك
عرف مجراه وموصوله ومفصوله واخلص الوحدانية لله والاقرار بالطاعة فاذا
فعل ذلك كان مدركا لما فات وواردا على ما هو آت يعرف ما هو فيه ولاي
شيء هو ههنا ومن اين يأتيه والى ما هو صاير وذلك كله من تأييد العقل
ودعامة البيت الاسطوان الذي يعتمد عليه السقف ودعامة كل شيء هي اصله الذي
ينشأ منه فروع احواله وشعب اوصافه وكمالاته فمثل هذه الدعامة في الانسان
هي العقل لا غير اذ منه ينشأ ساير الصفات الحسنة والاحوال والملكات
والقوى والاستعدادات كالفطنة والفهم والحفظ والعلم وغيرها من الاحوال
والكمالات كما ينشأ اضدادها من ضده الذي هو الجهل فيكون هو الاصل المعتمد
عليه في جميع الخيرات وكيف ولم وحيث كلمات استفهامية يطلب بكل منها
شيء من المطالب وكذلك ما واي واين وكم ونحوها فكيف سؤال عن صفة
الشيء المستقرة فيه ولم سؤال عن سبب وجوده وحيث سؤال عن
جهته وسمته وكذا ما سؤال عن كنه مهيته الشيء سواء كانت بحسب الحقيقة او
بحسب المفهوم الاسمي واي سؤال عن فصله المميز ذاتيا كان التميز او
عرضيا وكم سؤال عن مقدار الشيء او عدده اعلم انه عليه السلم افاد اولا
ان اصل الانسان ودعامته في كل ما ينشأ منه ويعود اليه هو العقل واوضح
ذلك بآثاره ولوازمه وبكونه مكملا للانسان ودليلا وحجة له او عليه ومبصرا
له في رؤيته للاشياء كما هي ومفتاحا لابواب العلم والرحمة ولكن بعد ما كان
مؤيدا متقويا واشار الى ان ذلك التأييد انما يكون بالنور ومعلوم ان النور

الذي

كالفطنة

الذي يتقوى به جوهر العقل ويؤيد ويستكمل وهو من سنخ الملكوت الاعلى
ليس نورا من الانوار المحسوسة الكائنة في عالم الظلمات اذ الشيء لا يتقوى
ولا يستكمل ولا يتغذى الا بما هو من سنخ ذاته ونوعه بل لا بد وان يكون
هو من الانوار الملكوتية كالعلم والحفظ والذكر والفطانة والفهم والفرق بين هذه
الانوار الظلمة مما قد علمت فيما سبق من الكلام ثم افاد عليه السلم بعد ما
بين ان تأييد العقل الانسانى ليس الا بما هو جنس العلم والمعرفة ان العقل
المؤيد بنور البصيرة العلمية اعني العلم بالله واليوم الآخر مما يهتدي به الانسان
الى سلوك السبيل الى الله ويتمكن من الخلاص عن الجحيم والنجاة من العذاب الاليم
الذي منشأ البعد عن عالم الرحمة والرضوان والاحتجاب عن الحق بالهوى
الى عالم الغضب والنيران وبين ذلك بانه يعلم الانسان بذلك اي بسبب
النور البصيرة التي ايد عقله بها كيفية السلوك الى الآخرة ويعلم علة ذلك
السلوك وهي الداعية للخروج من النقص الى الكمال ومن الهبوط والدنو
الى الشرف والعلو ومن الشقاوة الى السعادة ومن الظلمات
الى النور ويعلم ايضا جهة الآخرة ومنازلها وصراطها المستقيم ويعلم ايضا
الائمة الهداة من ائمة الضلال والمعلم الناصح من المغوي الغاشي فاذا عرف
هذه الامور معرفة صحيحة وعلما يقينيا عرف مجراه ومسلكه المستقيم الى السمت
او معدولا عنه اي موصول لمطلوبه الذي يقصده او مفصول عنه وقوله عليه السلم
وموصوله ومفصوله يحتمل ان يراد بكل منها اسم المفعول او المصدر الميمي
او اسمه يعني ما يوصل به الى المطلوب وما يفصل به عنه واذا علم العاقل

الملكوتية

الفطنة عبارة عن [illegible]

يحتمل

225

المؤيد بهذه الامور اى طريقى الخير والشر وسبيلى النجاة والهلاك وما مبدأ طريق
الخير والنجاة وما غايته وما الوقوع على سمته وما العدول عنه وما الموصل اليه
وما المقطع عنه فلا بد ان يخلص لله بالوحدانية باطناً وقلباً من غير شوب رياء
او غرض ويقرّ له بالطاعة والانقياد والعبودية ظاهراً وبدناً فيكون بسرّه وعقله
ونفسه وبدنه وقلبه وقالبه منخرطاً فى سلك خدمته وعبادته عارفاً بحقه مستغرقاً
فى بحر معرفته وطاعته طالباً اياه معرضاً عمّا سواه فاذا فعل ذلك ودام عليه
كان مستدركاً لما فات عنه بالتقصير والتفريط فى جنب الله بالتوبة والتلافى
لما فرط والخضوع والخشوع وواردا على ما هو آت من الموت والبعث وما بعدها
بقلب سليم وسرّ صحيح ونفس خاشعة لله تعالى صابرة على بلائه شاكرة لنعمائه
وعقل عارف به عاشق لحضرته طالب لما عنده من النعيم المقيم والسرور الدائم
والحضور فى الجنان والروح والريحان فاذا حصل له ذلك عرف حقيقة ما هو فيه
الآن وماهية هذه النشأة وعرف العلة التى بها هبط الى هذا المنزل الادنى
الذى وقع فيه وعرف انه من اى مرتبة وعالم اتى الى هذا العالم الذى هو فيه
اليوم والى اى مقام ومصير سيرجع مما هو فيه اشارة الى العلم باحوال المبدأ
والمعاد وما بينهما والنظر اليها حق النظر والاعتبار على طبق ما روى عن امير المؤمنين
عليه السلم حيث قال رحم الله امرءاً اعدّ لنفسه واستعد لرمسه وعلم من
اين وفى اين والى اين فالاول اشارة الى معرفة الاول تعالى وملئكته ورسله
وكتبه والثانى اشارة الى معرفة النفس وكيفية كونها فى هذه النشأة ومعرفة
عبوديتها وافتقارها وكيفية سلوكها منهج النجاة وصراط الآخرة والثالث العلم

باحوال

الباب الاول فى العقل والجهل

باحوال المعاد ومنازلها من القبر والبرزخ والصراط والميزان والكتاب والحساب
والعرض والجنة والنار ومعرفة ذلك كله من تأييد العقل اى من العقل
المنور وآثره بنور العلم والبصيرة اذ بذلك النور يخرج ذاته من النقص والقصور
ويسعى الى الله بقدمى الايمان والعبودية ويطير بجناحيه العلمى والعملى الى فضاء
عالم القرب والشهود اعلم ان اهل الدين طايفتان الواقفون والسائرون
فالواقف من لزم عتبة الصورة ولم ينفتح له باب الى عالم فهو من اهل التقليد
فيكون شربه من عالم المعاملات البدنية فلا سبيل له الى عالم العقل ومعاملاته
فهو محبوس فى قيد الصورة وعليه ملكان موكلان يكتبان عليه من اعماله الظاهرة
بالتغير والتطهير والسائرون هم المسافرون من عالم الصورة الى عالم المعنى
ومن مضيق المحسوسات الى متسع المعقولات وهم صنفان سيّار وطيّار
فالسيار من يسير بقدمى الشرع والعقل على جادة الآخرة وسبيل الجنان
والطيار من يطير بجناحى العرفان والعشق فى فضاء الحقيقة الى عالم ومعدن
الالوهية الى مولاه غير ملتفت الى ما سواه الحديث الرابع والعشرون على
بن محمد عن سهل بن زياد عن اسمعيل بن مهران بن محمد بن ابى نصر السكونى
واسم ابى نصر زيد مولى كوفى يكنى ابا يعقوب ثقة معتمد عليه روى عن
جماعة من اصحابنا عن ابى عبد الله عليه السلم كذا ذكره العلامة فى صه والشيخ
فى الفهرست وذكر الشيخ ايضاً فيه انه لقى الرضا عليه السلم وروى عنه
وروى النجاشى ايضاً انه من اصحاب الرضا عليه السلم وقال الشيخ ابو الحسين
احمد بن الحسين بن عبيد الله الغضايرى انه يكنى ابا محمد ليس حديثه بالنقى

الربوبية

السكونى

مضطرب تارة ويصلح اخرى وروى عن الضعفاء ويجوز ان يخرج شاهداً
وقال الفاضل الاسترآبادي والاقوى عندي الاعتماد على روايته لشهادة
الشيخ والنجاشي له بالثقة. قال الكشي حدثني بن مسعود ديكذبون عليه كان
تقياً ثقة خيراً فاضلاً كذا في صه عن بعض رجاله عن ابي عبد الله عليه السلم
قال العقل دليل المؤمن الشرح معناه ان المؤمن يعني الحقيقي لا يكون
الا من كان عارفاً بالله واليوم الآخر بنور البرهان العقلي لا بتقليد او
سماع او رواية او شهادة او حكاية وغير ذلك من الامور التي ينتهي الى
الحس والمحسوس فان شيئاً من ذلك وان حصل به اذا تأكد العقيدة
الجازمة التي تصير مبداء للعمل الصالح والاجتناب عن العمل السيئ الذي
به تحصل النجاة عن العقاب والفوز بالجزاء والثواب كسائر المسلمين
الناجين ولكن الذي به يحصل القرب من الله والارتقاء الى عالم القدس
لا يمكن حصوله الا بنور البصيرة العقلية التي بها يعرف الحقايق بالبرهان و
يرى الاشياء كما هي وذلك النور العقلي هو الايمان الحقيقي فاذا كان المؤمن
بهذا فليس دليله وحجته في جميع ما له ان يعلم او يعمل الا العقل لا غيره من الامور
المذكورة الا في بعض المسائل الفرعية العملية الحديث الخامس والعشرون
الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن الوشا عن حماد بن عثمان الناب ثقة
جليل القدر من اصحاب الرضا عليه السلم ومن اصحاب الكاظم عليه السلم
وروى الكشي عن حمدويه سمعت اشياخي يذكرون ان حماداً وجعفراً
والحسين بن عثمان ثقات وقال انه ممن اجمعت العصابة على تصحيح ما يصح عنه

والاقرار له بالثقة عن السري بن خالد الناجي من اصحاب الصادق عليه السلم
عن ابي عبد الله عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله يا علي
لا فقر اشد من الجهل ولا مال اعود من العقل الشرح معناه ظاهر و
معلوم فان بالعقل ينال الرجل من المنافع والحظوظ والخيرات ما لا ينال
منها بالمال وبالجهل الذي هو عدم العقل ينفقد عنه من الحظوظ ما لا ينفقد
بالفقر الذي هو عدم المال فالفقير بالحقيقة من لا عقل له وان كان ذا مال كثير
والغني من كان ذا عقل وان لم يكن له مال الحديث السادس والعشرون
محمد بن الحسن الظاهر انه الصفار مولى عيسى بن موسى بن طلحة ابو عبد الله
بن السايب بن مالك بن عامر الاشعري ابو جعفر الاعرج كان وجهاً في اصحابنا
القميين ثقة عظيم القدر راجحاً قليل السقط في الرواية توفي رحمه الله بقم سنة
تسعين ومائتين صه ويحتمل ايضاً ان يكون محمد بن الحسن بن احمد بن الوليد
ابو جعفر شيخ القميين وفقيههم ومتقدمهم ووجههم ويقال انه نزيل قم وما كان
اصله منها ثقة ثقة عين مسكون اليه جليل القدر عارف بالرجال موثوق
به عظيم المنزلة يروي عن الصفار وسعد صه عن سهل بن زياد عن ابن
ابي نجران بالنون والجيم والراء والنون اخيراً واسمه عمرو بن مسلم التميمي
كوفي ابو الفضل روى عن الرضا عليه السلم وروى ابوه ابو نجران عن ابي عبد الله
عليه السلم وكان عبد الرحمن ثقة ثقة معتمداً على ما يرويه صه عن العلا بن رزين
عن محمد بن مسلم عن ابي جعفر عليه السلم قال لما خلق الله العقل قال له اقبل
فاقبل ثم قال له ادبر فادبر فقال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً احسن منك

اياك آمر واياك انهى واياك اثيب واياك اعاقب الشرح
هذا الحديث مما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله بالفاظ متغايرة من
طرق العامة وقد روى في هذا الباب خاصة بروايات خمس والفاظ واسناد
مختلفة ثلث منها عن العلا بن رزين عن محمد بن مسلم عن ابي جعفر عليه السلم
لكن الذي روى في اول الاحاديث عن ابي جعفر عليه السلم والذي روى عن
ابي عبد الله عليه السلم كانت فيهما زيادات على الروايات الباقية سيما
الحديث الثاني منها مشتمل على جنود العقل والجهل وقد مر في شرحه ما فيه غنية
لكن الذي يخطر بالبال ههنا في التاويل انه يحتمل ان يكون المراد بالعقل العقل
الجزئي الذي في الانسان فانه ايضا اول ما خلق الله فيه بالنسبة الى ساير
قواه واعضاه لست اقول ان حدوثه في مادة خلقة الانسان متقدم بالزمان
على وجود ساير القوى والاعضاء المتدرجة في الحدوث المتعاقبة في الكون
ولكن اقول جميع القوى والاعضاء التي في الشخص عند تمام الخلقة وهو بفيضان
النفس الناطقة العاقلة مفتقرة في وجودها وثباتها الى جوهر النفس الناطقة
وهذه القوى التي تستخدمها النفس بالفعل هي بالعدد غير التي كانت في
المادة البدنية سابقة على وجود النفس بحسب الزمان وانما تلك معدات
لهذه غير باقية بعد فيضان النفس لانها الحافظة اياها وهي مبدأها وفاعلها
وغايتها باذن الله تعالى والقوى انما هي فروعها وشعبها وخوادمها وجنودها
ولا شبهة ان الجوهر العقلي من الانسان لكونه من عالم الملكوت احسن
خلقة واشرف وجودا من ساير قواه ومن جميع الاكوان الدنيوية ولهذا قال

تعالى

بفيضان

تعالى بعد قوله ثم انشاناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين ومعنى اقبال
النفس الناطقة الى الله تعالى قربها اليه بواسطة تحصيل المعرفة واليقين
وسلوك منهج الصدق والارتقاء الى عالم القدس والتجرد عن الدنيا وشهواتها
والخلاص من مضايق الابدان وسجون الحدثان فهذا حركة من الخلق الى الحق
فاذا بقي في المحو ولم يرجع الى الصحو كان مستغرقا في الحق غافلا عن الخلق على عكس
حال المحجوبين المستغرقين في الخلق الغافلين فهذا حال بعض اولياء الله ولكن
الولي الكامل من رجع بالوجود الحقاني الموهوب الى الصحو بعد المحو وعاد الى التفصيل
بعد الجمع ووسع صدره لغاية الانشراح للحق والخلق فانتصب في مقام الخلافة
والتكميل وتنزل الى المعاشرة مع الخلائق كما قيل في حق امير المؤمنين عليه السلم
كان فينا كاحدنا فهذا هو الفضل العظيم يؤتيه من يشاء من عباده فقد ظهر ان
للانسان الكامل في العقل حركتين احديها اقبالية صعودية لتكميل ذاتية والثانية
ادبارية نزولية لتكميل غيره فقوله عليه السلم قال له اقبل فاقبل اشارة الى الحركة
الاولى الصعودية وقوله ادبر فادبر اشارة الى الثانية النزولية وقوله اياك اثيب
يعني عند استكمال ذاتك وصيرورتك راجعا الى حاق جوهرك القدسي
المفارق عن الموذيات والمولمات وقوله اياك اعاقب يعني عند انغمارك
في التعلقات الجسمانية واستغراقك في الشهوات الدنياوية والا
فالجوهر العقلي من جهة ذاته بذاته سعيد في الدنيا والآخرة لا ذنب له ولا معصية
وانما يعتريه شيء من ذلك لاجل صحبة البدن ومخالطة الوهم والخيال والنزول
الى منزل الاراذل الحديث السابع والعشرون عدة من اصحابنا عن احمد بن

عكس

الخلائق

النهدي

محمد عن الهيثم بن ابي مسروق النهدي واسم ابي مسروق عبد الله وكنيته
ابو محمد قريب الامر قال الكشي قال حمدويه عن اصحابنا انه فاضل وقال قال
حمدويه لابي مسروق ابن يقال له الهيثم سمعت اصحابنا يذكرونهما كلاهما فاضلان
صه قال النجاشي له كتاب النحنة محمد بن علي بن محبوب عن الحسين بن خالد من
اصحاب الكاظم عليه السلم وفي بعض النسخ الصيرفي من اصحاب ويحتمل ان
يكون الحسين بن خالد بن طهمان وهو ابن ابي العلاء الخفاف وقال احمد بن الحسين
هو مولى بني عامر واخواه علي وعبد الحميد روى الجميع عن ابي عبد الله عليه السلم
وكان الحسين اوجههم جش له كتاب يعد في الاصول روى عنه ابن ابي عمير وصفوان
ثقة عن اسحق بن عمار قال قلت لابي عبد الله عليه السلم الرجل آتيه واكلمه
ببعض كلامي فيعرفه كله ومنهم من آتيه فاكلمه بالكلام فيستوفي كلامه كله ثم يرده
علي كما كلمته ومنهم من آتيه فاكلمه فيقول اعد علي قال فقال يا اسحق وما تدري
لم هذا قلت لا قال الذي تكلمه ببعض كلامك فيعرفه كله فذاك من عجنت نطفته
بعقله واما الذي تكلمه فيستوفي كلامك فذاك الذي ركب عقله فيه في بطن
امه واما الذي تكلمه بالكلام فيقول اعد علي فذاك الذي ركب عقله فيه بعد ما كبر
فهو يقول لك اعد علي الشرح لما ذكر اسحق بن عمار عند ابي عبد الله عليه السلم
تفاوت احوال المخاطبين في استماع الكلام بان بعضهم كان بحيث اذا اتاه
وكلمه ببعض كلامه فهم من ذلك البعض معنى الكلام كله ومنهم من اذا كلمه وسمع
بعض الكلام يحتاج في فهم المعنى الى ان يستوفي سماع الجميع حتى يفهم لكن اذا استمع
الجميع فهم معناه وعرفه فيرده كما سمعه حافظا لالفاظه ومعانيه ومنهم من اذا سمع الكلام
لم يفهم

النجاشي اكبر

الصيرفي

ثم يجيبك على كلامك

لم يفهم اول سمعه بل يحتاج الى الاعادة والتكرير وكان غرضه الاستكشاف
عن لمية هذا التفاوت في افراد البشر فافاد عليه السلم علة ذلك وسره واعلم
ان الله تعالى خلق جواهر النفوس الانسانية مختلفة في الصفاء والكدورة
وعقولها متفاوتة في القوة والنورانية فبعضها شريفة نورانية مايلة الى الخير
مستعدة لقبول النور والعلم بادنى وسيلة كاستعداد الكبريت للاشتعال
يكاد زيتها يضيء ولم تمسسه نار ومنها خاسية الجوهر كدرة الذات خبيثة
ظلمانية فهي لجمود نور الفطرة وجمود ماء القريحة بحيث لا ينجع فيها التعليم والتهذيب
اصلا ومنها ما يتوسط بينهما والى هذا التفاوت والاختلاف اشير في قوله
تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية
قلوبهم عن ذكر الله اولئك في ضلال مبين ثم اعلم ان هذه النفوس كما هي مختلفة
متفاوتة في جواهرها وذواتها وقبولها واستعدادها لافاضة العلوم والانوار فكذلك
ايضا موادها وابدانها متفاوتة في اللطافة والاعتدال فاشرف النفوس لالطف
الاجساد واعدلها وابعدها عن التضاد واخسها لاكثفها واخرجها عن التسوية
والاعتدال كما في قوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحي جعل نفخ الروح متوقفا
على التسوية والتعديل فاذا كانت المواد متفاوتة في اللطافة والاعتدال
فكلما كانت المادة الطف واجود كان تعلق النفس بها اقدم واسرع
فاذا تقرر ما ذكرناه فنقول اشار عليه السلم الى منشأ تفاوت النفوس
في الفهم بتفاوتها في الجوهر شرفا وخسة ونورانية وظلمانية والى تفاوتها
في الجوهر بتفاوتها في اللطف والمواد فبعض النفوس ممن عجنت

مادة بدنه بآثار نور العقل منذ كانت نطفة فتلك النفس في الدرجة العليا
من القبول وبعضها ممن عجنت مادته بذلك عند كونه في بطن امه فهي في
الدرجة الوسطى وبعضها ممن تركب فيه اثر العقل عندما تولد بدنه وبلغ
فنفسه في الدرجة السفلى فالقسم الاول من افراد البشر من اذا تكلمه
احد ببعض كلامه عرف الكل والثاني من اذا تكلمه احد فيستوفي كلامه
جميعا عرف المعنى فيجيبه او يرده والثالث من اذا سمع كلاما واستوفى
لم يفهم الكلام ولم يعرف معناه فيقول اعد علي كلامك حتى انظر الى معناه
فالاول سابق بالخيرات والثاني مقتصد والاخير ظالم لنفسه لظلمة جوهره
والله اعلم بالصواب الحديث الثامن والعشرون عدة من اصحابنا
عن احمد بن محمد عن بعض من رفعه عن ابي عبد الله عليه السلم قال قال رسول الله
صلى الله عليه وآله اذا رايتم الرجل كثير الصلوة كثير الصوم فلا تباهوا به حتى
تنظروا كيف عقله الشرح المباهاة المفاخرة وقد باهى به يباهي مباهاة
افتخر ومنه قوله صلى الله عليه وآله اني اباهي بكم الامم يوم القيمة ومنه الحديث
من اشراط الساعة ان يتباهى الناس في المساجد ومعنى الحديث واضح
غني عن الشرح الحديث التاسع والعشرون بعض اصحابنا رفعه عن
مفضل بن عمر الجعفي بضم العين ابو عبد الله ضعيف كوفي فاسد المذهب مضطرب
الرواية لا يعبأ به متهافت مرتفع القول خطابي وقد زيد عليه شيء كثير
وحمل الغلاة في حديثه حملا عظيما ولا يجوز ان يكتب حديثه روى عن ابي
عبد الله وابي الحسن عليهما السلم وقد اورد الكشي احاديث يقتضي مدحه
والثناء

الى ... العقل والجهل

والثناء عليه واحاديث تقتضي ذمه والبراءة منه عن ابي عبد الله عليه السلم
قال يا مفضل لا يفلح من لا يعقل ولا يعقل من لا يعلم وسوف ينجب من يفهم
ويظفر من يحلم والعلم جنة والصدق عز والجهل ذل والفهم مجد والجود نجح
وحسن الخلق مجلبة للمودة والعالم بزمانه لا يهجم عليه اللوابس والحزم
مساءة الظن وبين المرء والحكمة نعمة العالم والجاهل شقي بينهما والله ولي
من عرفه وعدو من تكلفه والعاقل غفور والجاهل ختور وان شئت ان
تكرم فلن وان شئت ان تهان فاخشن ومن كرم اصله لان قلبه ومن
خشن عنصره غلظ كبده ومن فرط تورط ومن خاف العاقبة تثبت عن التوغل
فيما لا يعلم ومن هجم على امر بغير علم جدع انف نفسه ومن لم يعلم لم يفهم ومن لم
يفهم لم يسلم ومن لم يسلم لم يكرم ومن لم يكرم تهضم ومن تهضم كان الوم ومن كان
كذلك كان احرى ان يندم الشرح الفلاح هو الفوز بالمطلوب والنجاة
والبقاء وفي الاذان حي على الفلاح اي هلموا الى سبب الفوز بالجنة والنجاة
فيها والنجابة الكرامة في الذات ورجل نجيب اي كريم بين النجابة وهو نجبة
القوم اي النجيب منهم وانجب الرجل ولد نجيبا وامراة منجبة ومنجاب تلد
النجباء ونسوة مناجيب وقد نجب ينجب نجابة اذا كان فاضلا نفيسا في
نوعه والحلم بالضم ما يراه النائم وحلم الغلام حلما من باب طلب اي احتلم و
الحالم في الاصل المحتلم ثم عم فقيل لمن بلغ مبلغ الرجال حالم واولوا الاحلام
والنهى اي ذووا الالباب والعقول واحدها الحلم بالكسر وكانه من الحلم بمعنى
الاناة والحليم ذو الاناة ومن اسماء الله تعالى الحليم وقيل في معناه هو الذي

لا يستخفه الخ

لا يستخفه شيء من عصيان العباد ولا يستفزه الغضب عليهم ولكنه جعل لكل شيء
مقدارا فهو منتهٍ اليه والجُنّة السترة وما استترت به من سلاح والاجتنان
الاستتار وانما سُمّيت دار النعيم الاخروي بالجنّة لتكاثف اشجارها
وتظليلها بالتفاف اغصانها كما يفعل تكاثف الاشجار في هذه البساتين
من الاظلال فيستتر به من تحتها عن حرّ شعاع الشمس وبالجملة الجُنّة ههنا الوقاية
عن كل شرّ وآفة والمجد الكرم والنُجح بالضم والنجاح الظفر بالمطالب والحوائج
وانجح الرجل صار ذا نجح فهو منجح وقوم مناجح وما افلح فلان ولا انجح وانجحت حاجته

قضيتها الخ

قضيتها مجلبة للعداوة اي مكسبة لها وهي اسم ما يجلب به والهجوم الاتيان
بغتة واللوابس جمع اللابس واللُبس بالضم مصدر لبست الثوب
بالكسر واللَبس بالفتح اختلاط الظلام ومصدر لبست عليه الامر وفي الامر
لُبسة بالضم اي شبهة والختر الغدر يقال ختر يختر فهو خاتر وختّار للمبالغة

يعني الخ

وكذا الختور يعني الغدّار الكثير الغدر وفي الحديث ما ختر قوم بالعهد الا سُلّط
عليهم العدوّ واللين ضد الخشونة والهون بالضم الهوان والاهانة الاستخفاف
وعنصر الشيء اصله ونسبه والتفريط التقصير والورطة الهلاك وهي في الاصل
ارض مطمئنة لا طريق فيها والتورّط الوقوع في الورطة والتوغّل الدخول في شيء
واصله من وغل الرجل يغل وغولا دخل في الشجر وتوارى فيه واوغل في السير وتوغّل
اذا اسرع والجدع بالدال المهملة قطع الانف او الاذن والشفة وهو بالانف اخص
والهضم في الاصل الكسر وهضمه اي كسره يقال هضم له حقه واهتضمه اذا ظلمه وكسر عليه
حقه وهضمت لك من حقي طائفة اي تركتها وكسرتها من حقي وتهضمه ظلمه ورجل مهضم

ومهتضم

ومهتضم اي مظلوم واللؤم العذل ولامه على كذا فهو ملوم **تنبيه** هذا الحديث مشتمل
على نبذ من فضايل العقل ومحاسنه ورذايل الجهل ومقابحه ومتضمن لجملة من
المواعظ العقلية والنصايح الحكمية والحث والترغيب على اقتناء الاخلاق الحسنة
والزجر عن الملكات والصفات الرديّة مقرونة بدلايل واضحة وشواهد ساطعة
فقوله عليه السلم والعالم بزمانه لا يهجم عليه اللوابس اي من علم طور زمانه وعرف
عادات ابنائه وهو لم يقع في الشبهات ولا يهجم عليه الاغاليط فيكون ذا حزم
واحتياط والرجل لا يتوقع من اهل زمانه فوق ما هم عليه لحسن الظن بهم بل الحزم
مساءة الظن اي نتيجة سوء الظن اذ بها يحصل الاحتياط والمراد بسوء الظن ههنا
ما يقع به الحزم والاحتياط لا وقوع الظن بمساتهم فان ذلك مذموم بل ينبغي ان يكون
الانسان حسن الظن بالخلايق ولا منافاة بين الامرين لان الاول من باب
التجويز العقلي الباعث على الحزم والثاني من باب الاعتقاد والتي سند والقول بالشيء رجما
بالغيب وقوله عليه السلم ومن المرء والحكمة نعمة العالم والجاهل شقي بينهما لعل المراد به ان
الرجل الحكيم من لدن عقله وتميّزه الى بلوغه حدّ الحكمة متنعم بنعمة العلم ونعيم العقلاء
فانه لا يزال في نعمة من اغذية العلوم وفواكه المعارف فان معرفة الحضرة الالهية
كروضة فيها عين جارية واشجار مثمرة قطوفها بل جنة عرضها كعرض السماء والارض
والجاهل من اول امره ومنتهى عمره في شقاوة عريضة وطول امل طويل ومعيشة
ضنكة وضيق صدر وظلمة قلب الى قيام ساعته وكشف غطائه وفي الآخرة
عذاب شديد وقوله عليه السلم والله ولي من عرفه لان عرفان الشيء حصول
عنده وتقرب اليه كما في الحديث الالهي انا جليس من ذكرني وهذا القرب ليس
بالمكان وانما هو بالمكانة والمنزلة لاجل شرف المناسبة بينه وبين المؤمن

241

العارف والمناسب للشئ محبوب عنده وما يقرب من الشريف فهو شريف
والشريف يحب نفسه فيحب القريب منه بقدر قربه وشرفه وانما يكون زيادة
القرب والشرف بقدر شدة المعرفة وقوة العلم ولذلك قال الله ولي الذين
امنوا الاية واذا علمت ان المعرفة منشأ ولاية الله وقربه فقس حال
الجهل وكونه منشأ عداوة الله والبعد من رحمته كما قال والذين كفروا اولياؤهم
الطاغوت الاية اذ من كان وليه الطاغوت والطاغوت عدو الله فيكون
هو ايضا من اعداء الله واعلم ان المتكلف بالعرفان المتصنع المرائي به هو
اخبث ذاتا واشد ابعادا عن الحق من الجاهل المحض اذ النفاق اسوء
من الكفر وقوله عليه السلم والعاقل غفور لانه قريب النسبة بالذي هو منبع
الرحمة والمغفرة والجاهل ختور لانه قريب الشبه بمعدن المكر والخديعة وان
شئت ان تكرم فلن اي ان اردت ان تكون عزيزا كريما عند الخلق
بل عند الخلق ايضا فتواضع للناس ولن لهم في الكلام وافش السلام — الخالق
فان الله وصى به رسوليه الكريمين موسى وهرون عليهما السلام حين
بعثهما الى فرعون وملته حيث قال فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى
وكذلك وصى وامر به حبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله بمثل قوله تعالى وان جنحوا
للسلم فاجنح لها وتوكل على الله وقوله واخفض جناحك للمؤمنين وقوله ولو كنت
فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في
الامر فاذا عزمت فتوكل على الله وقوله عليه السلم وان شئت ان تهان
فاخشن يعني ان الخشونة من لوازمها المهانة والمذلة من فعل الخشونة بارادته
واختياره فكانما شاء ان يكون مهانا ذليلا ثم حاول عليه السلم ان يبين السبب الذاتي

لحسن

لحسن الخلق ولين القلب ولطافته ورحمته وكذا السبب الاصلي لمقابله
اعني سوء الخلق وقساوة القلب وغلظته وجفاؤه فقال ومن كرم اصله
لان قلبه ومن خشن عنصره غلظ كبده لما علمت سابقا ان الابدان تابعة
للارواح وهي معادن كمعادن الذهب والفضة وان الاخلاق والعادات
مترتبة على اجتماع النفس والبدن فاشرف الارواح وانورها لالطف
الابدان فيترتب على العلاقة بينهما لين القلب وحسن الخلق وان اخس
الارواح واظلمها لاكثف الابدان واخشنها عنصرا فيحصل من العلاقة
بينهما ضيق الصدر وغلظ القلب واورد بدل لفظ القلب لفظ الكبد تنبيها
على نفي استحقاقيته لهذا الاسم لان اسم القلب غالبا يطلق على
محل المعرفة فيقال مثلا هم من اصحاب القلوب وكذا قوله تعالى لمن كان
له قلب او القى السمع وهو شهيد قوله عليه السلم ومن لم يعلم لم يفهم
الى قوله كان اللوم بمنزلة قياسات مترادفة مطوية النتائج والصغريات
لدلالة الكلام عليهما بذكر الكبريات فيكون حاصل الجميع اعني النتيجة الاخيرة
الحاصلة من موضوع الصغرى الاولى ومحمول الكبرى الاخيرة هو ان
من لم يعلم كان اللوم اي من لم يكن من اهل العلم والمعرفة كان من اهل اللوم
والعيب فهو احرى الناس بالطرد والذلة الحديث الثلثون محمد
بن يحيى رفعه قال قال امير المؤمنين عليه السلم من استحكمت لي فيه خصلة من خصال
الخير احتملته عليها واغتفرت فقد ما سواه ولا اغتفر فقد عقل ولا دين لان مفارقة
الدين مفارقة الامن فلا يتهنأ بحياة مع مخافة وفقد العقل فقد الحيوة ولا يقاس الا بالاموات

جفا الرجل يجفو اذا غلظ ... جفاء

يعني كرمي

فيقال

من فرط تورط اي من قصر في طلب الخير والنجاة وقع في ورطة الشر والهلاك وقوله عليه السلم حم

[illegible]

الشرح هذا حديث لطيف مختصر اللفظ كثير المعنى وقبل الخوض فيه يجب ان نعلم
ان للنفس الانسانية قوّتين احديهما نظريّة والاخرى عمليّة فبالاولى تتأثر
وتنفعل عمّا فوقها وعن المبدأ الاعلى وبالثانية تؤثّر وتفعل فيما تحتها وفي
المادّة السّفلى ونسبة الاولى الى الثانية كنسبة الرّوح الى البدن
ولكلّ منهما صفات وخصال وهي ان كانت غير راسخة تسمّى احوالا
وان كانت راسخة مستحكمة تسمّى اخلاقا وملكات اذا تقرّر هذا فنقول
كمال النّفس من جهة القوّة العمليّة هي اتّصافها بالفضايل العمليّة كالعفّة
والكرم والشّجاعة ونحوها وهي خصال الخير وتخلّيها عن الرّذايل كالشّهوة
والحسد والبخل والكبر والجبن وغيرها وهي خصال الشّرّ ومرجع الجميع الى العدالة
والطّهارة وكمالها من جهة القوّة النظريّة هو كونها ذا عقل يعلم الاشياء
كما هي وتلك العلوم امّا بحيث لا غاية لها غير حصولها انفسها وامّا بحيث
لها غاية غير حصولها انفسها وهي العمل بمقتضاها كالعلم بكيفيّة الصلوة والزكوة
والحجّ والجهاد وساير المعاملات والسّياسات المدنيّة وغيرها وقد يعبر
عن الاوّل بالايمان وعن مبدأه بالعقل كما في هذا الحديث وعن الثاني
بالدّين فاذا تقرّرت عندك هذه المقدّمات فاعلم انّه عليه السّلم كان
يقول حكاية عنه تعالى من استحكمت لي فيه اي رسخت لاجلي في نفسه
خصلة واحدة من خصال الخير يعني من جملة الاخلاق الفاضلة التي محاسن
القوّة العمليّة من النّفس احتملته اي قبلته ورحمته عليه بناء على وجدانه
تلك الخصلة الواحدة من خصال الخير واغتفرت له وعفوت عنه فقده
لما سوى تلك الخصلة فانّ الله كريم لا يعذّب المؤمن الكريم ولو من جهة
كرامة

فنقول · أقول · ملكة راسخة

كرامة واحدة وهو خير محض لا يعذّب العبد الخيّر ولو بصفة واحدة ولكن
بشرطين احدهما ان يكون تلك الصّفة ملكة راسخة غير زايلة والثّاني
ان يكون متحقّقة مع العقل والدّين فان فقد شئ منهما غير مغتفر اصلا ولو
تحقّق معه الف حسنات فانّه اذا كان العبد فاقد العقل او فاقد الدّين
فلا يغتفر عنه شئ من الذّنوب والنّقايص لانّ اصل العقل بمنزلة الحيوة
في النّشأة الباقية ونسبته الى ساير الخصال كنسبة القلب ههنا الى
ساير اعضاء البدن ونسبة الدّين اليه كنسبة الامن والسّلامة
في البدن فمن فقد عقله كان هناك كمن فقد حيوته في هذه النّشأة فلا عبرة
فيه بحصول شئ من الخصال كما لا عبرة لفاقد الحيوة بحصول الاعضاء فيلحق
بالجمادات ولا يحشر الّا بالاموات ومن فارق الايمان كان مع العقل
كان بمنزلة انسان حيّ مقطوع الاطراف فهو وان كان باقيا لكنّه ليس
متهنّي الحيوة ولا رغيد العيش بل يكون مع الم وخوف وشدّة وبؤس
وكما انّ من كان حيّا في الدّنيا صحيح البدن سليم الاعضاء غير عليل ولا مريض
فيمكن ان يتدارك فقدان ما سوى ذلك عنه فكذلك قياس من كان
ذا عقل ودين وله خصلة من خصال الخير اذا كان [illegible] حشر في الآخرة فالله سبحانه
يمكن ان يتجاوز عن ذنوبه ويعفو عن سيّئاته ويغتفر فقده لكثير من الخصال
الحسنة بان لا يدخله النّار ولا يعذّبه اصلا واعلم انه لا يدوم في النّار من كان
له حيوة عقليّة فانّ اصل الايمان ينافي التّخليد في العذاب فلا بدّ ان يخرج من
كان في قلبه مثقال ذرّة من الايمان ولو بعد حين كما دلّت عليه الاخبار والآيات

الصحيحة كما سيجيء في كتاب الايمان ومراده عليه السلام ان من كانت له مع
العقل والدين خصلة من خصال الخير فلا يعذب بالنار بل يغفر سائر ذنوبه والله
اعلم الحديث الحادي والثلثون علي بن ابراهيم بن هاشم عن موسى بن
ابراهيم المحاربي مجهول عن الحسن بن موسى نشاب من وجوه اصحابنا مشهور
كثير العلم والحديث صه عن موسى ابن عبد الله بن عبد الملك بن هشام
عن ميمون بن علي مجهول مهمل عن ابي عبد الله عليه السلام قال قال امير المؤمنين
عليه السلام اعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله الشرح الاعجاب
عبارة من استعظام المرء بنفسه بما يرى فيه من علم او عمل او مال او جاه
او نعمة اخرى من نعم الله فيه مع نسيان اضافتها الى الله تعالى فان انضاف
الى ذلك ان غلب على نفسه ان له عند الله حقا وانه منه بمكان حتى يتوقع
بعمله كرامة في الدنيا واستبعد ان يجري عليه مكروه استبعادا زائدا على استبعاد
بما يجري على الفساق سمي هذا ادلالا بالعمل فكانه يرى لنفسه على الله دلالة
وكذلك قد يعطي غيره شيئا فيستعظمه ويمن عليه فيكون معجبا ايضا فان
استخدمه او اقترح عليه الاقتراحات واستبعد تخلفه عن قضاء حقه كان
مدلا عليه قال بعض المفسرين في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا تدل بعملك
اعلم ان العجب مذموم في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله
قال تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم ذكر ذلك في معرض الانكار وقال
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وهذا يرجع الى العجب وقال صلى الله عليه
وآله قال ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه
وآفة

وآفة العجب كثيرة فان العجب يدعو الى الكبر لانه احد اسبابه فيتولد من
العجب الكبر ومن الكبر الآفات العظيمة التي لا تخفى هذا مع العباد واما مع الله
تعالى فالعجب يدعو الى نسيان الذنوب واهمالها فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا
يتفقدها لظنه انه مستغن عن تفقدها فينساها وما يتذكر منها فيستصغرها ولا يستعظمها
ويتبجح بها ويمن على الله تعالى بفعلها وينسى نعمة الله تعالى عليه بالتوفيق و
التمكين منها ثم اذا اعجب بها لم يتفقد آفاتها فكان اكثر سعيه ضايعا وانما يتفقد
من يغلب عليه الخوف والاشفاق دون المعجب لانه يغتر بنفسه وبربه ويأمن
مكر الله وعذابه ويظن انه عند الله بمكان وان له عليه منة وحقا باعماله التي هي
نعمة من نعمائه وعطية من عطاياه ويخرجه العجب الى ان يثني على نفسه ويحمدها
ويزكيها وربما يعجب برأيه واعتقاده الخطأ سيما في الاصول الايمانية فيمنعه
العجب عن الاستكشاف والسؤال فيهلك ولو اتهم نفسه ولم يغتر ولم يثق
برأيه فاستضاء بنور القرآن والحديث او استضاء بعلماء الدين وواظب
على مدارسة العلم والتلمذ والسؤال عن اهل البصيرة لكان ذلك يوقظه و
يوصله الى الحق فهذا وامثاله من آفات العجب ولذلك كان من المهلكات
ومن اعظم آفاته انه يفتر في السعي لظنه انه قد فاز وقد استغنى وهو الهلاك
الصريح الذي لا شبهة فيه فقد ثبت وتبين ان منشأ الاعجاب قلة العقل وقصور
العلم فهو مرض قلبي وآفة نفسانية منشأه ضعف العقل يعني البصيرة وعلاجه
بتحصيل المعرفة بحال نفسه وبكونه عاجزا مضطرا ذليلا بين يدي ربه لا يقدر على
جلب شيء مما يريده ودفع شيء مما يكرهه ولا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا

و لا حيوة فكل ما يزعم انه حاصل له من علم او مال او نعمة فيمكن زواله عنه في لحظة
واحدة فلا بد ان يخاف من سوء عاقبته ويتوكل على الله ويرجو رحمته
ويخشى عقابه ويتعوذ به دايما من شر نفسه وشر عدوه ومكره وغروره
واحزابه واعوانه كما هو حال العارفين اى ضعين لله اى شعين اى يخفين
منه وانما يخشى الله من عباده العلماء فعلاج آفة العجب ليس الا بالعلم والمعرفة
الحديث الثاني والثلثون ابو عبد الله العاصمي اسمه احمد بن محمد بن عاصم
المحدث ويقال له ثقة في الحديث سالم الجنبة اصله الكوفة وسكن بغداد
وروى عن شيوخ الكوفيين كذا في فهرست عن علي ابن الحسن مشترك
بين الضعفاء عن علي بن اسباط بياع الزطي ابو الحسن كوفي قال
الكشي انه كان فطحيا ولعلي بن مهزيار رسالة في النقض عليه مقدار جزء
صغير قالوا فلم ينجع ذلك ومات على مذهبه وقال النجاشي انه كان فطحيا
جرى بينه وبين علي بن مهزيار رسايل في ذلك رجعوا فيها الى ابي جعفر
الثاني عليه السلم فرجع علي بن عن ذلك القول وقد روى عن الرضا عليه السلم
من قبل وكان ثقة اوثق الناس واصدقهم لهجة قال العلامة فانا اعتمد
عليه وقال الشيخ في الفهرست له اصل وروايات روى عنه محمد
بن الحسين بن ابي الخطاب وموسى بن جعفر البغدادي عن الحسن
ابن جهم عن ابي الحسن الرضا عليه السلم قال ذكر عنده اصحابنا وذكر العقل
قال فقال لا يعبأ باهل الدين ممن لا عقل له قلت جعلت فداك ان ممن
يصف هذا الامر قوما لا بأس بهم عندنا وليست لهم تلك العقول فقال

ليس

ليس هؤلاء ممن خاطب الله ان الله خلق العقل فقال له اقبل فاقبل وقال له
ادبر فادبر فقال وعزتي ما خلقت شيئا احسن منك واحب الي منك
بك اخذ وبك اعطي الشرح قوله لا يعبأ بصيغة المجهول اى لا يبالي
به ولا يلتفت اليه وقوله بمن لا عقل له بدل قوله باهل الدين والمراد
انه لا يعبأ بالذي لا عقل له وان كان بحسب الظاهر معدودا من اهل
الدين وفي بعض النسخ ممن لا عقل له بدل بمن لا عقل له وقوله ممن يصف
هذا الامر الخ اى ممن يدعى القول بالامامة ويقول بهذا الاعتقاد الصحيح قوما
لا بأس بهم عندنا اى في اعمالهم الظاهرة الموافقة لمذهب هذه الطايفة
قوله عليه السلم ليس هؤلاء ممن خاطب الله الخ معناه ان مدار التكليف
والخطاب من الله تعالى بالاوامر والنواهي على العقل وكذا الثواب والعقاب
انما يترتبان على الاعمال الصادرة عن ذوي العقول دون الاغبياء فلا تكليف
عليهم من قبل الله اذ لا حجة بينه تعالى وبينهم وانما للحاكم ان يكلفهم بالاعمال الظاهرة
ويسوسهم بالسياسات المدنية ويفرض عليهم امورا بها صلاحهم وصلاح الامة
ويكون لهم بسببها حسن معيشة في الدنيا ونجاة في الآخرة فان قلت كلما كان
العقل كان مطيعا لله تعالى مؤتمرا بامر الله منتهيا بنهيه وكلما لم يكن لم يكن
مكلفا فاين العقاب قلنا قد علمت ان العقل ذو درجات متفاضلة
والذي هو التام الكامل هو اول المبدعات واكرم المجعولات وهو العبد
المطيع والممكن الاشرف ليس فيه الا الطاعة والخدمة لله تعالى من غير شوب

تمرّدا وعصيان واما العقول الذين هم دونه اعنى ان زنة المتفرقة فى الابدان
البشرية فلشوب التركيب فيها والاقتران بالدواعي الحسية والقوى
الحيوانية من الشهوة والغضب وغيرها فيتصور منها الطاعة والعصيان
والتوفيق والخذلان بحسب زيادة قوة العقل ونور البصيرة ونقصانها
فالعقاب انما يترتب على اقتراف سيئة او تفريط في جنب الله ممن
كان له في ذاته ملكة قوة عقلية يمكن الارتقاء بها الى عالم الملكوت فعطلها
عما خلقت لاجله واما من ليس له عقل فليس فيه استعداد التخلص عن عالم الظلمات
والشرور ولا شوق الارتقاء الى عالم النور ولا يكلف الله نفسا الا وسعها
الحديث الثالث والثلثون علي بن محمد عن احمد بن محمد بن خالد عن ابيه هو
محمد بن خالد بن عبد الرحمن بن علي البرقي ثقة من اصحاب الرضا عليه السلم
ابو عبد الله مولى الاشعري وقال ابن الغضايري انه مولى جرير بن عبد الله
حديثه يعرف وينكر ويروي عن الضعفاء كثيرا ويعتمد المراسيل وقال النجاشي
انه ضعيف الحديث قال العلامة في صه والاعتماد عندي على قول الشيخ ابي جعفر
الطوسي من تعديله وقال الكشي قال نصر بن صباح لم يلق البرقي ابا بصير
بينهما القاسم بن حمزة ولا اسحق بن عمار وينبغي ان يكون صفوان قد
لقيه والبرق رعد قرية من سواد قم عن بعض اصحابنا عن ابي عبد الله
عليه السلم قال ليس من الايمان والكفر الا قلة العقل قيل وكيف ذلك
يا بن رسول الله قال ان العبد يرفع رغبته الى مخلوق فلو اخلص نيته لله
لاتاه الذي يريده في اسرع من ذلك الشرح لما علمت في تضاعيف

ماذكر

ماذكر في تحقيق مهية العقل ومهية الجهل ان الايمان عبارة عن نور العقل والكفر
عبارة عن ظلمة الجهل فمتى كان عقل الرجل كاملا كان مؤمنا حقا ومتى كان
جاهلا محضا كان كافرا صرفا ومتى كان متوسطا في مراتب العقل والجهل كان
ضعيف الايمان فلا واسطة بين الايمان الحقيقي والكفر الحقيقي الا قلة العقل
وقصور نور البصيرة كما لا واسطة بين البصر والعمى الا قلة نور العين ولا بين
الضياء والظلمة الا الظل وهو قلة الضوء ضرب عليه السلم لهذا مثلا ليفهم
السائل عن كيفية ما ذكره ان كل ما وقع من العبد من زلة او معصية فذلك
من قلة عقله فمن جملة ما يقتضيه كمال العقل ان لا مؤثر في الوجود ولا معطي للجود
الا الله سبحانه فاذا رفعت الحاجة الى غيره تعالى كان ذلك لقلة العقل
الموجب لضعف الايمان وكذا القياس في ساير ابواب الدين ومقاماتها
الحديث الرابع والثلثون عدة من اصحابنا عن سهل بن زياد عن عبيد الله
الدهقان عن احمد بن عمر بن ابي شعبة الحلبي ثقة روى عن ابي الحسن الرضا
عليه السلم وعن ابيه من قبل وهو ابن عم عبيد الله وعبد الاعلى وعمران ابيه رحم
ومحمد الحلبيين وروى ابوهم عن ابي عبد الله عليه السلم وكانوا ثقات
صه عن يحيى بن عمران الحلبي بن علي كوفي كانت تجارته الى حلب فغلب
ابن عمران بن علي بن ابي شعبة الحلبي روى عن ابي عبد الله وابي الحسن
عليهما السلم ثقة ثقة صحيح الحديث صه وفي الفهرست للشيخ له كتاب روى
عنه النضر بن سويد وقال النجاشي روى عنه ابن ابي عمير عن ابي عبد الله
عليه السلم قال كان امير المؤمنين عليه السلم يقول بالعقل استخرج غور الحكمة

وبالحكمة استخرج غور العقل وبحسن السياسة يكون الادب الصالح قال وكان
يقول بعقله التفكر حياة قلب البصير كما يمشي الماشي في الظلمات بالنور
بحسن التخلص وقلة التربص الشرح اما قوله عليه السلم بالعقل استخرج
غور الحكمة فمعناه ظاهر فان الانسان بقوة نور البصيرة اعني بالعقل
النظري يستخرج غوامض المعارف الحكمية العلوم الالهية التي بها يصير
الانسان من جملة سكان العالم العلوي مجردا عن شوائب الشبهات
وقيود التعلقات ورق الهوى والشهوات وظلمة الطبايع والجسمانيات
واما قوله عليه السلم وبالحكمة استخرج غور العقل فالمراد ان بادراك الحقايق
العقلية وتحصيل المعارف الحكمية يستخرج النفس من حد القوة الى الفعل
ومن حد النقص الى الكمال في باب العقل والمعقول فيصير عقلا كاملا
بالفعل وهو المراد من غور العقل يعني غايته وكماله الاقصى كما ان غور البحر
عمقه واصله الاقصى وبالجملة كل واحد من العقل والحكمة يوجب خروج الاخر
من القوة والنقص الى الفعل والكمال على وجه لا يكون مستحيلا فان كلا
منهما ذو مراتب في الشدة والضعف فكل مرتبة من العقل تقتضي استعداد
الوصول الى مرتبة من الحكمة اذا حصلت للنفس تجعلها مستعدة لفيضان
مرتبة اخرى من العقل فوق المرتبة الاولى وكذا العكس وهكذا يتدرجان
في الاشتداد والازدياد الى ان يبلغا الى الغاية القصوى والدرجة العظمى
فبكل منهما يقع الوصول الى غور الاخر وغايته واما قوله عليه السلم وبحسن السياسة
يكون الادب الصالح فنقول لما علمت ان الانسان له قوتان احدهما
العقل

العقل النظري وهو كالاصل والمخدوم وغاية كماله ان يصير جوهرا مفارقا
وعقلا بالفعل ولا يصير كذلك الا بالحكمة الغائرة في ادراك الحقايق والاخرى
وهو كالفرع والخادم وهو العقل العملي وكماله هو ان يصير الانسان متادبا
بالاداب الصالحة والاعمال الشرعية ويكفي في ذلك حسن السياسة سواء
السايس من خارج كالسلطان او من داخل كحسن تدبير النفس ولما
ظهر بكلامه عليه السلم حال غاية العقل وهي ادراك اعماق الحكمة واغوارها وحال
غاية الحكمة وهي الوصول الى اقصى درجات العقل وكمالاته وهو الوصول
الى قرب الحق الاول وحال غاية السياسة وهو الادب الصالح وتهذيب
النفس بالاعمال الحسنة والطاعات والاجتناب عن القبايح والسيئات
اراد ان يشير عليه السلم الى كيفية استخراج الحكمة والامر الذي به يقع السير
الى عالم القدس والمرور على صراط الله العزيز الحميد فقال التفكر حياة قلب البصير
يعني كما ان حيوة الابدان التي يقع بها الامتياز بين الجماد والحيوان هي قوة الحس
والحركة فكذلك حيوة القلوب والارواح انما هي بقوة التفكر ونور الفهم الذي
يقع به الانتقال والحركات في ظلمات النفس الى عالم النور ودار الحيوان
وبه يقع الفرق بين الجمود على الصورة الساكن في بيت الطبيعة الواقف
في هذا المنزل الادنى وبين المهاجر الى الله الساعي الى منزل الرضوان ودار
الحيوان فظهر ان قوة التفكر ونور التقدس في الحيوان العقلي الماشي في دار الحيوان
بمنزلة قوة الحركة والحس في الحيوان الحسي اللحمي في دار الابدان فمن لم يتفكر
في ايات الله تعالى وصنايعه وخلق سمواته وارضه وملكه وملكوته بنور البصيرة

لم تتخلص من عالم الظلمات واسر الشهوات بل اما ان يقف في اول منازل
الحس فيكون كالبهايم والحشرات وذلك اذا كان جامد الطبع خامد نور العقل
واما ان يتورط في الهلكات ويتقحم في الشبهات والجهالات فيكون كابناء
الشياطين والمنافقين المستاهلين للدرك الاسفل من السجين وانهم
اسوء حالا من الجهال واخس الاعمال من الارذال او قد ضل سعيهم في الحيوة
الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ثم انه عليه السلم ضرب مثلا للذين
يمشون على سبيل الحق بنور التفكر وقوة الانتقال الى منازل اليقين وهم
بعد في ظلمات اراضي النفوس وليالي الابدان بماش من الحيوان يمشي في
ظلمات الليالي بنور السراج ونحوه فيحصل له حسن التخلص من غير تورط وقلة التعب
بسرعة المشي من غير تبطؤ وانتظار كثير والله ولي الهداية والفضل
قال الشيخ اعلى الله درجته ههنا آخر كتاب العقل والحمد لله رب العالمين
هكذا وقعت العبارة في النسخ التي رايناها ولو قال هنا آخر باب العقل لكان
اوفق

باب فرض العلم ووجوب طلبه والحث عليه وهو الباب الثاني من كتاب العقل وفيه تسعة احاديث

الاول وهو الخامس والثلثون
اخبرنا محمد بن يعقوب عن علي بن ابراهيم بن هاشم عن ابيه عن الحسن
بن ابي الحسين الفارسي لم اجد هذا الاسم في كتب الرجال عن عبد الرحمن
بن زيد بن اسلم التنوخي المدني من اصحاب الصادق عليه السلم عن
ابيه زيد بن اسلم مولى عمر بن الخطاب من اصحاب الصادق عليه السلم
المدني العدوي صه قال الشيخ الطوسي فيه نظر عن ابي عبد الله عليه السلم

قال

قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله طلب العلم فريضة على كل مسلم الا ان
الله يحب بغاة العلم الشرح بغاة العلم اي طلابه وهي جمع باغ كالهداة
جمع هاد ويقال بغى يبغي بغاء بالضم اذا طلب وقد يجمع الباغي على بغيان كما
في الحديث انطلقوا بغيانا اي ناشدين وطالبين كرعيان ورعاة
جمع راع واما حديث عمار رضي الله عنه تقتلك الفئة الباغية فهي فيه
بمعنى الظالمة الخارجة عن طاعة الامام واصل البغي مجاوزة الحد
ومنه قوله تعالى فلا تبغوا عليهن سبيلا اي ان اطعنكم لا يبغي لكم عليهن
طريق الا ان يكون بغيا وجورا اعلم ايدك الله ان هذا الحديث المنقول
عن رسول الله صلى الله عليه وآله بالاتفاق مشتمل على مقصدين الاول
فضل العلم وشرفه مطلقا والثاني تعيين العلم الذي وجب على كل مسلم
اما فضل العلم فشواهده من القرآن شهد الله انه لا اله الا هو والملئكة
واولوا العلم فانظر كيف بدأ بنفسه وثنى بالملئكة وثلث باهل العلم
وناهيك بهذا شرفا وفضلا وجلالة وقوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا
منكم والذين اوتوا العلم درجات قال ابن عباس رض للعلماء درجات
فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام
وقال تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى
وقال كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقال تعالى
قال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن عظم قدر الآخرة
لا يعرف الا بالعلم وقال وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها

وناهيك

انما يخشى الله من عباده العلماء صح

الا العالمون يبين ان رموز القرآن واسراره واغواره لا يعلمها الا اولوا
العلم ولذا قال وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم على قراءة الوصل
وقال ايضا تعالى ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو
الحق دلّ بمفهومه على ان غيرهم لا يعلم المنزل على الرسول صلى الله عليه وآله
حقا ومن الحديث قوله صلى الله عليه وآله يا علي نوم العالم افضل من عبادة
العابد يا علي ركعتان يصليهما العالم افضل من الف ركعة يصليها العابد يا علي
لا فقر اشد من الجهل ولا عبادة مثل التفكر وعن الصادق عليه السلام اذا
كان يوم القيمة جمع الله الناس في صعيد واحد ووضعت الموازين
فيوزن دماء الشهداء مع مداد العلماء فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء
وقال صلى الله عليه وآله العامل على غير بصيرة كالسائر على الطريق لا يزيده
سرعة السير من الطريق الا بعدا وقال صلى الله عليه وآله الانبياء قادة
والعلماء سادة ومجالستهم عبادة وقال النظر الى وجه العالم عبادة وروى
في الاحياء عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال اذا كان يوم القيمة يقول الله
تعالى للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا
فيقول الله تعالى انتم عندي كبعض ملائكتي اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون
الجنة وهذا انما يكون للعلماء المعلمين ومن اجل العلم المتعدي لا العلم اللازم
الذي لا يتعدى وقال صلى الله عليه وآله ان الله وملائكته واهل السموات والارض
حتى النملة في جحرها والحوت في البحر ليصلون على معلم الناس بالخير وقال صلى الله
عليه وآله اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا بالثلث علم ينتفع به او صدقة جارية

اوولد

اوولد صالح يدعو له وقال صلى الله عليه وآله لا حسد الا في اثنين رجل آتاه
الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس ورجل آتاه الله مالا فسلطه على
انفاقه في الحق فهو ينفق منه سرا وجهرا وسيجي احاديث عن الائمة عليهم
في باب صفة العلم وفضله فيها غنية لهذا المقصد من طريق الخبر واما طريق
العقل فيه فاعلم ان العلم عبارة عن حصول الصورة المجردة عن المواد والاجسام
عند العقل ولا شك ان اشرف الممكنات واعلاها وانورها هو الموجود
الذي لا تعلق له بالامور الجسمانية وايضا قد تقرر في علم النفس ان النفس
في اول الفطرة امر بالقوة في باب العقل والمعقول كالهيولى التي لا صورة
لها في ذاتها في باب الحس والمحسوس فاذا ادركت اوايل العلوم والضروريات
حصل لها استعداد ادراك النظريات وصارت عقلا بالملكة ثم اذا تكررت
منه الافكار والانظار فصارت باشراق النور العقلي على ذاتها من المبدء
الاعلى عقلا بالفعل وعاقلة ومعقولة فيصير وجودها وجودا آخر عقليا بعد ما كان
وجودها وجودا حسيا حيوانيا فيكون احد سكان عالم الجبروت بعد ما كانت
احد سكان العالم الادنى فاي فضيلة وكمال اشرف واعلى من فضيلة العلم
وكماله الذي يجعل الاموات احياء والظلمات انوارا اعني الاموات بالقياس
الى الحيوة العقلية واعني بالظلمات ظلمات الجهل والعمى كما سبق ذكره
واما المقصد الثاني وهو تعيين العلم الذي وقع في قوله صلى الله عليه وآله طلب العلم
فريضة على كل مسلم وكذا في قوله صلى الله عليه وآله اطلبوا العلم ولو بالصين
فاعلم ان الناس اختلفوا في العلم الذي هو فرض عين على كل مسلم وتحزبوا

فيه احزابا وافترقوا على فرق كثيرة ولا حاجة في تفصيل الاقوال ونقلها جميعا
وحجة كل فريق ولكن حاصله ان كل فريق نزل الوجوب على العلم الذي
هو بصدده فقال المتكلمون هو علم الكلام اذ به يدرك التوحيد ويعلم ذات الله
وصفاته وقال الفقهاء رحمهم الله تعالى هو علم الفقه اذ به يعرف العبادات
والحلال والحرام وكيفية المعاملات وما يحرم منها ويحل وقال المفسرون والمحدثون
هو علم الكتاب والسنة اذ بهما يتوصل الى العلوم كلها وقال المتصوفة المراد
به هذا العلم اى التصوف وهو علم السلوك وعلم الشهود فقال بعضهم
هو علم العبد بحاله ومقامه من الله عند الله وقال بعضهم هو علم الباطن
وهو العلم بالاخلاص وآفات النفوس وتميز لمة الملك من لمة الشيطان
وذلك يجب على اقوام مخصوصين وهم اهل لذلك وقد صرفوا اللفظ عن
عمومه وقال ابو طالب المكي هو العلم بما تتضمنه الحديث الذي فيه مباني
الاسلام وهو قوله صلى الله عليه وآله بني الاسلام على خمس لان الواجب
هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب اقول التحقيق
في هذا المقام ان لفظ العلم كلفظ الوجود من الالفاظ المشككة وهو الذي
له معنى واحد مشترك متفاوت الحصول كمالا ونقصا شدة وضعفا
واذا كان كذلك ولا شبهة في انه شيء يستكمل به الانسان ويحتاج اليه
في معرفة نفسه ومعرفة ربه ومعرفة انبيائه ورسله وحججه وآياته ومعرفة
العمل بما يسعده ويقربه الى الله وبما يخلصه من الشقاوة والعذاب والبعد
عن الله تعالى ودار كرامته فكلما حصل له شيء من العلم وجب عليه مرتبة اخرى

فوقه

قال [illegible] للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة [illegible] الملك [illegible] السلطان [illegible] النزول [illegible] الملك [illegible] السلطان [illegible] العلم [illegible]

فوقه ولا حد له يقف عنده اذ مراتب القرب ومنازل الوصول غير متناهية
ولهذا قال اعلم الخلايق صلى الله عليه وآله رب زدني علما فعلى هذا
كان معنى الحديث ان طلب جنس العلم وطبيعته واجب على كل مسلم
سواء كان المسلم جاهلا او عالما ناقصا او كاملا اعني بالنسبة الى ما دونه
والا فلا حد لكمال العلم وقريب من هذا المعنى ما ذكره صاحب كتاب الاحياء
وليس بذاك وهو قوله ان العلم ينقسم الى علم معاملة وعلم مكاشفة وليس
المراد بهذا العلم الا علم المعاملة والمعاملة التي كلف العبد العاقل البالغ
بها ثلث اعتقاد وفعل وترك فاذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام او السن
ضحوة النهار مثلا فاول واجب عليه تعلم كلمتي الشهادتين وفهم معناهما
وليس يجب عليه ان يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر والاستدلال
والبحث عن تحرير الادلة بل يكفيه ان يصدق به ويعتقده جزما من غير اختلاج
ريب واضطراب نفس وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسماع
من غير بحث وبرهان اذ اكتفى رسول الله صلى الله عليه وآله من اجلاف
العرب التصديق والاقرار من غير تعليم دليل فاذا فعل ذلك فقد ادى واجب
وقته وكان العلم الذي هو فرض عينه في وقت تعلم الكلمة وفهمها بدليل انه
لو مات عقيب ذلك مات مطيعا لله تعالى غير عاص وانما يجب غير
ذلك بعارض يعرض وليس ذلك ضروريا في حق كل شخص بل يتصور
الانفكاك عنه وتلك العوارض اما ان تكون في الفعل واما في الترك واما
في الاعتقاد اما الفعل فبان يعيش من ضحوة النهار الى وقت الظهر فيتجدد عليه

اكثر
والمعاملة

ضحوة النهار [illegible]

بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلوة وان كان صبيا وكان بحيث
لو صبر الى زوال الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل في الوقت بل يخرج
الوقت لو اشتغل بالتعلم فلا يبعد ان تقول الظاهر بقاؤه فيجب عليه
تقديم التعلم على الوقت ويحتمل ان يقال وجوب العلم الذي هو شرط العمل
بعد وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال وهكذا في بقية الصلوة فان
عاش الى شهر رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم وكيفيته فان
تجدد له مال او كان عنده مال لزمه تعلم ما يجب من الزكوة ولكن لا في الحال
انما يلزم عند تمام الحول من وقت الاسلام وكذا الكلام في الحج والجهاد
وغيرهما من الواجبات التي هي فروض الاعيان واما الترك فيجب علم ذلك
ايضا بحسب ما يتجدد من الحال وذلك يختلف باختلاف الشخص فلا يجب على
الاعمى تعلم ما يحرم من النظر ولا على الابكم تعلم ما يحرم من الكلام ولا على البدوي
تعلم ما يحل الجلوس فيه من المساكن وذلك ايضا واجب بحسب ما يقتضيه
الحال فما ينفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملابس له يجب تنبيهه فيه كما لو كان
عند الاسلام لابسا للحرير جالسا في مكان الغصب وناظرا الى غير محرم فيجب
تعريفه ذلك وكذا ما هو بصدد التعرض له على القرب كالاكل فيجب تعليمه
حتى اذا كان في بلد يتعاطى فيه شرب الخمر واكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك
وتنبيهه عليه وما وجب تعليمه وجب عليه تعلمه واما الاعتقادات واعمال
القلوب فيجب علمها بحسب الخواطر فان خطر له [illegible] ذلك ومات قبل ان يعتقد
ان كلام الله قديم او حادث او انه مرئي او غير مرئي او انه محل الحوادث او لا الى

بغير ذلك

تقديم العلم

شك في المعاني التي يدل عليها كلمة الشهادة فيجب عليه تعلم ما يتوصل به الى ازالة الشك فان لم يخطر له صح

غير ذلك مما يذكر في المعتقدات فقد مات على الاسلام اجماعا ولكن
كلما خطر له خاطر شك او نحوه في معتقده فيجب عليه تعلمه وطلب العلم
برفعه هذا حاصل ما ذكره وفيه نظر اما اولا فتخصيص ذلك العلم بعلم الاعمال
والمعاملات دون غيره من العلوم التي لا يتعلق بعمل او كيفية عمل ليس بموجه
لان العلم بوحدانيته تعالى وبرائته عن النقايص كلها يجب طلبه واكتسابه
وكذا العلم بكيفية صفاته وافعاله وملئكته وكتبه ورسله وملكه وملكوته و
خلقه وامره واحاطته بالاشياء كلها علما وحفظا ورحمة ووجودا وكذا
العلم باحوال النفس وصفاتها واحوالها ونشأتها وخلقها وبعثها الى الله
والنشأة الآخرة وسعادتها وشقاوتها مما يجب تعلمه وطلبه على كثير من
الناس ولا يلزم ان يكون العلم الذي يجب تعلمه على كل مسلم علما
واحدا بعينه ولا الواجب على احد بعينه هو الواجب على الآخر
واما ثانيا فنقول ظاهر الحديث يفيد ان وجوب طلب العلم غير منفك
عن المسلم في وقت من الاوقات كما قيل من المهد الى اللحد فان هذا
هو المدلول الحقيقي الموافق للفظ من غير تجوز اذ قوله عليه السلم طلب العلم
فريضة اي بالفعل يجب ان يكون متلبسا بطلبه ودل عليه
الدليل العقلي الذي ذكرناه فما الباعث على صرف الحديث عن ظاهره
كما فعله واما ثالثا فان الذي تصوره وصوره يلزم على مقتضاه سقوط
هذا الفرض عن اكثر الناس بناء على ما حصل له في اول بلوغه
سيما اذا لم يختلج باله شك في صدق كلمة الشهادة فيكون باقي عمره

فارغاً عن طلب وكسب وذلك في غاية البعد واما رابعاً فالذي ظهر
ظهر من كلامه انّ وجوب الاعتقاد بمدلول كلمة الشهادة انّما هو لتوقف
صحّة العمل والعبادة عليه لا غير ممنوع بل الحق انّ ذلك مع قطع النظر
عن توقّف الاعمال امر واجب على كلّ احدٍ ولا منافاة بين كون الشيّ
واجباً في نفسه وواجباً لغيره فالاولى ان يحمل معنى الحديث على ما حملنا من
انّ طلب العلم واجب على كلّ احدٍ في كلّ وقت فانّ طبيعة العلم معنى
واحد مشكّك ليس له حدّ مخصوص والانسان ايضاً سيّما العاقل
الزكي دائم الانتقال من نشأة الى نشأة ومن طور الى طور وكلّما بلغ
الى مرتبة كمالية كان حكمه كحكم الصّبي اذا بلغ فيجب عليه من التعلّم والتفكّر
ما لا يجب قبل ذلك ويكون حكمه في الاعراض عنه والتقاعد او الجحود
له والانكار حكم ما سبق في ترتّب العقاب ولزوم الشقاوة و
العذاب الّا ان يتداركه الله تعالى بلطفه ورحمته او بجوده ويعفو عنه
ويتجاوزه الحديث الثاني وهو السادس والثلثون محمد بن يحيى عن محمد
بن الحسين بن ابي الخطاب واسم ابي الخطاب زيد ويكنّى محمد
بابي جعفر الزيات الهمداني جليل من اصحابنا عظيم القدر كثير الرواية
ثقة عين حسن التصانيف مسكون الى روايته له تصانيف صحه
ويحتمل ان يكون ابن سعيد الصّايغ وهو كوفي ينزل في بني زمل ابو جعفر
ضعيف وقيل انه غال احمد بن محمد رباح روى عنه بكتبه ومات سنة
تسع وستّين ومأتين صح عن محمد بن عبد الله مشترك بين جماعة

ضعفاء

ضعفاء عن عيسى بن عبد الله العمري الظاهر انه عيسى بن عبد الله بن محمد
بن عمر بن علي بن ابي طالب الهاشمي وله كتاب وقد جمع ابو بكر
محمد بن سالم الجعابي روايات عيسى عن آبائه ويحتمل ان يكون سعد
بن مالك الاشعري روى عن ابي عبد الله وابي الحسن عليهما السلم
وله مسائل للرضا عليه السلم قال علي بن احمد العقيقي انه يشبه اباه
وكان وجيهاً عند ابي عبد الله عليه السلم مختصاً به صحه روى الكشي عن
حمدويه بن نصير عن محمد بن الحسين بن ابي الخطاب عن احمد بن عيسى
عن يونس بن يعقوب انّ الصادق عليه السلم قبّل بين عينيه وقال
انت منّا اهل البيت قال الكشي روى محمد بن مسعود قال حدثني
علي بن محمد قال حدثني احمد بن محمد عن موسى بن طلحة عن ابي محمد اخي
يونس بن يعقوب قال كنت بالمدينة فاستقبلني جعفر بن محمد عليهما
السلم في بعض ازقتها قال فقال اذهب يا يونس فانّ بالباب
رجلاً منّا اهل البيت قال فجئت الى الباب فاذا عيسى بن عبد الله
القمي قال فقلت من انت فقال انا رجل من اهل قم قال فلم يكن من
ان اقبل ابو عبد الله قال فدخل على الحمار الدار ثم التفت الينا فقال
ادخلا ثم قال يا يونس بن يعقوب احسبك انكرت قولي لك انّ
عيسى بن عبد الله منّا اهل البيت قال قلت اي والله جعلت فداك
لانّ عيسى بن عبد الله رجل من اهل قم فقال يا يونس بن يعقوب
عيسى بن عبد الله هو منّا حيّ وهو منّا ميّت عن ابي عبد الله عليه السلم

[illegible]

قال طلب العلم وبقية الشرح قد مضى ما فيه كفاية لشرح الحديث الثالث
وهو الرابع والثلثون علي ابن ابراهيم عن محمد بن عيسى بن عبيد بن
يقطين مولى بني اسد بن خزيمة ابو جعفر العبيدي اليقطيني يونسي قال
العلامة اختلف علماؤنا في شانه فقال شيخنا الطوسي رحمه الله انه ضعيف
استثناه جعفر بن بابويه من رجال نوادر الحكمة وقال لا اروي ما يختص به
وقيل انه كان على مذهب الغلاة وقال الكشي حدثني علي بن محمد القتيبي
كان الفضل بن شاذان رحمه الله يحب العبيدي ويثني عليه ويمدحه
ويميل اليه ويقول ليس في اقرانه مثله وقال النجاشي جليل في اصحابنا
ثقة عين كثير الرواية حسن التصانيف روى عن ابي جعفر الثاني عليه السلم
مكاتبة ومشافهة وذكر ابو جعفر بن بابويه عن ابن الوليد انه قال ما تفرد به
محمد بن عيسى من كتب يونس وحديثه لا يعتمد عليه قال ورايت اصحابنا
ينكرون هذا القول ويقولون من مثل ابي جعفر محمد بن عيسى سكن بغداد
وله كتب قال العلامة والاقوى عندي قبول روايته عن يونس بن
عبد الرحمن مولى علي بن يقطين ابو محمد كان وجيها في اصحابنا متقدما عظيم
المنزلة روى عن ابي الحسن موسى وعن الرضا عليهما السلم وكان الرضا
عليه السلم يشير في العلم والفتيا وكان ممن بذل له على الوقف مال
جليل فامتنع من اخذه وثبت على الحق وروى الشيخ المفيد عن ابي القسم
جعفر بن محمد بن قولويه عن علي بن الحسين بن بابويه عن عبد الله بن جعفر
الحميري رحمهم الله تعالى قال قال لنا ابو هاشم داود بن القسم الجعفري

رحمه الله

اليونسية ... [illegible] ... ان الله [illegible] ... المعرفة ... والمحبة ... [illegible] ... العقول

رحمه الله عرضت على ابي محمد صاحب العسكر عليه السلم كتاب يوم وليلة
ليونس فقال تصنيف من هذا قلت تصنيف يونس مولى آل يقطين
فقال اعطاه الله لكل حرف نورا يوم القيمة صه وروى الكشي عن علي بن
محمد القتيبي عن الفضل بن شاذان قال حدثني عبد العزيز بن المهتدي
وكان خير قمي رايته وكان وكيل الرضا عليه السلم وخاصته قال سالت
الرضا عليه السلم فقلت اني لا القاك في كل وقت فعمن آخذ معالم ديني
قال خذ عن يونس بن عبد الرحمن وقال العلامة وفي حديث صحيح عن علي
بن محمد القتيبي عن الفضل بن شاذان عن محمد بن الحسن الواسطي وجعفر
بن عيسى ومحمد بن يونس ان الرضا عليه السلم ضمن ليونس الجنة ثلث
مرات وقال النجاشي ومدايح يونس كثيرة ليس هذا موضع بيانها وانما
ذكرنا هذا حتى لا نخليه من بعض حقوقه رحمه الله وقال زين المتاخرين طاب
ثراه اورد الكشي في ذمه نحو عشرة احاديث وحاصل الجواب عنها
يرجع الى ضعف سندها وجهالة بعض رجالها والله اعلم بحاله قال النجاشي
قال محمد بن الحسين سمعت محمد بن الحسن بن وليد رحمه الله يقول كتب
يونس بن عبد الرحمن التي هي بالروايات كلها صحيحة معتمد عليها الا ما تفرد
به محمد بن عيسى بن عبيد عن يونس ولم يروه غيره فانه لا يعتمد عليه ولا
يفتى به عن بعض اصحابه قال سئل ابو الحسن عليه السلم هل يسع الناس
ترك المسئلة عما يحتاجون اليه فقال لا الشرح المسئلة والسؤال ما سئله
الانسان وسالته الشي وعن الشي سؤالا ومسئلة فترك عما يحتاجون

اليه اى فى امور دينهم كما هو الظاهر فيجب على المسئول الجواب عنه اذا كان
السؤال فى الواجبات ويستحب اذا كان فى المندوبات والسؤال
فى كتاب الله والحديث نوعان احدهما ما كان على وجه التبيين والتعلم
مما تمس الحاجة اليه وهو مباح او مندوب او مامور به والآخر ما كان على
طريق التكلف والتعنت وهو مكروه ومنهى عنه وكلما كان من هذا الوجه
فان وقع السكوت عن جوابه فانما هو ردع وزجر للسائل وان وقع
الجواب عنه فهو عقوبة وتغليظ فقوله عليه السلم عما يحتاجون اليه اشارة
الى تخصيص السؤال بما يكون من القسم الاول سواء كانت الحاجة اليه للشخص
بخصوصه او للامة فان كان الاول كان الفرض المستفاد عن المنع عن ترك
السؤال فرض عين وان كان الثانى كان الفرض فرض كفاية فما ورد فى بعض
الاحاديث من النهى عن كثرة السؤال قيل هو الذى كان من القسم الثانى
فلا يجب الجواب عنه ولا يستحب بل ربما يحرم وقيل هو من سؤال الناس
اموالهم وكذا ما ورد عنه صلى الله عليه وآله انه كره المسائل وعابها المراد
بها المسائل الدقيقة التى لا يحتاج اليها الناس ولا يصلح لهم التفتيش عنها
والخوض فيها فيحرم الجواب عنها كما فى قوله صلى الله عليه وآله لا تؤتوا الحكمة
غير اهلها لانه من قبيل تعليق الدر باعناق الخنازير الحديث الرابع وهو الثامن والثلثون
علی بن محمد وغيره عن سهل بن زياد ومحمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى جميعا
عن حسن بن محبوب عن هشام ابن سالم الجواليقى الجعفى مولى بشر بن
مروان ابو الحكم من سبى الجوزجان روى عن ابى عبد الله وابى الحسن عليهما السلم

ثقة ثقة

ثقة ثقة صح قال النجاشى له كتاب روى عنه ابن ابى عمير وفى الفهرست له اصل روى عنه
ابن ابى عمير وصفوان بن يحيى وعلى بن حكم قال ابن طاوس قدس سره ظاهر انه
صحيح العقيدة معروف الولاية غير مدافع قال بعض الفضلاء وما رواه الكشى
من انه يزعم ان الله عز وجل صورة وان آدم مخلوق على مثال الرب تعالى
ففى الطريق محمد بن موسى بن عيسى الهمدانى وهو ضعيف والسكيب بن عبد
الكيسانى وعبد الملك بن هشام الحناط وهما مجهولا الحال على ان كون عبدك
كيسانيا ذم حافر انتهى اقول لا حاجة فى الاعتذار عن ما نسب اليه الى ما ذكره لان
القول بان الله صورة لا يستلزم القول بالتجسيم فان مثله قد يصدر عن العرفاء
الكاملين فان لفظ الصورة عند العلماء يطلق على معان غير ما وقع فى العرف من لفظ الصورة
معنى الشكل والخلقة فانهم يطلقون تارة على ماهية الشئ وتارة على وجوده
فى العقل وتارة على كمال الشئ وتمامه وتارة على الوجود البحت الذى
لا تعلق له بجسم ولا جسمانى كالذوات المفارقة عن المواد والاجرام
فيقولون ذاته تعالى صورة الصور وحقيقة الحقائق كان غيره سبحانه بالنسبة
اليه ناقص الوجود والحقيقة حيث يحتاج الى مصور يصوره ويخرجه من حد
القوة والامكان الى حد الفعل والوجود فعلى هذا لا يلزم من اطلاق الصورة
عليه تعالى اعتقاد التجسم سواء كانت التسمية بها ماذونا فيها من الشرع لم يرد الشرع
او لا ثم قد ورد الحديث المشهور بين الخاصة والعامة ان الله خلق آدم
على صورته كما سيجئ فى هذا الكتاب والمراد منه كونه مخلوقا على مثال
الرب تعالى والفرق حاصل بين المثال والمثل والاول لا يستلزم التشخص

فان مثل الشيء هو المشارك له في تمام الحقيقة بحيث يشاركه في النسب والاضافات
والله سبحانه منزه عن المثل لا عن المثال لقوله تعالى ولله المثل الاعلى في السموات
عن ابي حمزة الثمالي اسمه ثابت بن دينار ابو صفية مولى عربي ازدي ثقة
قال النجاشي لقي علي بن الحسين وابا جعفر وابا عبد الله وابا الحسن عليهم السلم وروى
عنهم وكان من خيار اصحابنا وثقاتهم ومعتمديهم في الرواية والحديث وقال الكشي
قال الفضل بن شاذان سمعت الثقة يقول سمعت الرضا عليه السلم يقول
ابو حمزة الثمالي في زمانه كلقمان في زمانه وذلك انه خدم اربعة منا علي بن الحسين
ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وبرهة من عصر موسى بن جعفر ويونس في زمانه
كسلمان في زمانه وبعض النسخ سلمان بدل لقمان كما في كتاب النجاشي
وفيه مات سنة خمسين ومائة واختلف في بقائه الى وقت ابي الحسن
عليه السلم عن ابي اسحق السبيعي عمرو بن عبد الله بن علي تابعي وياتي
عمر كما في رجال الشيخ على ما يوجد من نسخه وفي القاموس السبيع كامير
السبيع بن سبع ابو بطن من همدان منهم الامام ابو اسحق عمرو بن
عبد الله ومحلة بالكوفة منسوبة اليهم ايضا انتهى وقال ابن الاثير في
النهاية السبيع هو بفتح السين وكسر الباء محلة من محال الكوفة منسوبة
الى قبيلة وهم بنو سبيع من همدان انتهى وقال بعض الفضلاء في رجاله
هو وولده يونس من العامة عمن حدثه قال سمعت امير المؤمنين عليه
السلم يقول ايها الناس اعلموا ان كمال الدين طلب العلم والعمل به الا
وان طلب العلم اوجب عليكم من طلب المال ان المال مقسوم مضمون
لكم

ومثاله كم — خدم كرم — [illegible] — يعني ضامن

لكم قد قسمه عادل بينكم وضمنه وسيفي لكم والعلم مخزون عند اهله وقد
امرتم بطلبه من اهله فاطلبوه الشرح قد علمت فيما سبق ان
الاعمال الدينية كالصلوة والصيام وغيرها انما يراد للاحوال اعني
طهارة القلب وصفاؤه عن الاخباث والشهوات والتعلقات
والاحوال انما يراد للعلوم فهذا معنى قوله عليه السلم ان كمال الدين طلب
العلم اي غاية الاعمال الدينية والتكاليف الشرعية طلب العلم ثم
العلم قسمان علم مكاشفة كالعلم بذات الله وصفاته وافعاله وعلم
معاملة وهو العلم المتعلق بكيفية اعمال الطاعات وتروك المعاصي و
السيئات فالاول يراد لنفسه والثاني يراد للعمل به والعمل يراد للعلم
ايضا فالعلم هو الاول والآخر والمبداء والغاية فضرب من العلم وسيلة
وضرب من العلم غاية وهو الاشرف الاعلى والعمل لا يكون الا وسيلة
لانه من الدنيا والدنيا وسيلة للآخرة فكذا ما هو منها فلا خير في طاعة
لا يكون وسيلة للعلم وكذا العلم المتعلق بها اذا لم يكن وسيلة الى العمل المؤدي
الى الحال المؤدي الى العلم الحق والمعرفة الخالصة لوجه الله فقوله عليه السلم
والعمل به اشارة الى ثمرة ضرب من العلوم واوائلها ومباديها دون غاياتها
وثمراتها واما قوله عليه السلم الا وان طلب العلم اوجب عليكم من طلب المال
فهو من قبيل دعوى الشيء ببينة ومن قبيل قضايا قياساتها معها كقولنا
الاربعة زوج لكونها منقسمة بمتساويين وذلك لان نسبة العلم الى الروح
كنسبة المال الى البدن حيث ان العلم غذاء للروح يحيى به ويقوى ويتكمل

كما ان بالمال يتغذى البدن ويحيى وينمو ويتكمل ولا شك ان الروح
اشرف من البدن وحيوته ادوم وابقى من حيوة البدن لانها حيوة
زايلة منقطعة وحيوة الروح ابدية لا نهاية لها فطلب ما يوجب حيوة الروح
وهو العلم اوجب من طلب المال والمراد انه لو فرض ان طلب المال
واجب فطلب العلم اوجب فهذا الانيا في فضيلة الزهد وما يستفاد
ايضا من قوله عليه السلم ان المال مقسوم الى آخره وبيانه ان رزق العبد
وما ينوط به في الدنيا امر مقدر مقسوم في القدر لا صنع للعبد فيه اصلا ولا دخل
للطلب والتدبر فيه كما هو مكشوف عند من علم كيفية انتظام الامور الكاينة
الارضية بالاسباب السماوية والاغراض العلوية التابعة للاحكام
القدرية ومع ذلك قد اخبر الله تعالى بان الرزق مقسوم في الازل واكد
ذلك بالضمان والاقسام المقتضي للايفاء اما الاول فقوله تعالى نحن قسمنا
بينكم معيشتكم في الحيوة الدنيا وقوله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون
واما الثاني فقوله فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون
واما العلم فلا يمكن حصوله للعبد الا بالكسب والسعي والطلب والجد ومع
ذلك فقد وقع الامر من الله ورسوله علينا بطلبه فان العلم مخزون في خزاين
الله الغيبية من الاذهان العالية والسافلة وهي اهل العلم والانسان
في اول الفطرة خالية عنه لكونه بعيد المناسبة الى عالم الملكوت العلوي
وانما يمكن له ان يصير اهلا للعلم والاخزان اذا طلب وارتاض بالفكر والسعي
وامعن في تصفية القلب وتهذيبه حتى يصير مشبها لمعادن العلم
وخزاين

في الذاريات وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون

وخزاين المعرفة كالحديدة الحامية تتشبه بالنار بمجاورتها فتصير مثلها في الاضاءة
والاحراق فكذلك النفوس الانسانية اذا تفكرت في الملكوت و
طلبت العلم بالمواظبة على تحصيله تشبهت بالخزانة العقلية فصارت
مثلها ولهذا امر عليه السلم بعد امر الله ورسوله صلى الله عليه وآله بقوله
عليه السلم فاطلبوه تامل تعرف والله اعلم الحديث الخامس وهو التاسع
والثلثون عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد البرقي عن يعقوب بن يزيد
الكاتب الانباري ويعرف بالقمي ثقة وقد مر اسم ابيه ابو يعقوب
ووصفه بالثقة في الحديث العشرين قال النجاشي بن يزيد بن حماد الانباري
السلمي ابو يوسف الكاتب من كتاب المنتصر روى عن ابي جعفر
الثاني عليه السلم وانتقل الى بغداد وكان ثقة صدوقا وكذلك ابوه وقال
الشيخ انه كثير الرواية ثقة عن ابي عبد الله مشترك بين جماعة اكثرها ضعفاء
ومجاهيل عن رجل من اصحابنا رفعه قال قال ابو عبد الله عليه السلم قال
رسول الله صلى الله عليه وآله طلب العلم فريضة على كل مسلم الا وان الله
يحب بغاة العلم الشرح قد مر شرحه وبيانه وعلمت ما العلم الذي
هو فرض عين مطلق والذي هو فرض عين لكل احد بخصوصه وانه ليس امرا
معينا بل ذلك مما يختلف بالقياس الى الاشخاص والاوقات
فان اشتهيت ان تعرف العلم الذي هو من فروض الكفايات
والذي هو محمود والذي هو محمود والذي هو مذموم فاستمع فيه كلاما
سنذكره قال ابو حامد الغزالي في كتاب الاحياء اعلم ان العلوم

قال في الحديث العشرين ابو يعقوب البغدادي الكاتب اسمه يزيد بن حماد ابو عبد الله السلمي ثقة وذكره عند وصف ابيه يعقوب ان اباه يزيد بن حماد ابو عبد الله السلمي ابو يوسف الكاتب من كتاب المنتصر

تنقسم الى شرعية وغير شرعية واعني بالشرعية ما يستفاد من الانبياء عليهم
السلم ولا يرشد العقل اليه مثل الحساب ولا التجربة مثل الطب ولا
السماع مثل اللغة والعلوم التي ليست شرعية تنقسم الى ما هو محمود
والى ما هو مذموم والى ما هو مباح فالمحمود ما يرتبط به مصالح الدنيا كالطب
والحساب وذلك تنقسم الى ما هو فرض كفاية والى ما هو فضيلة وليس بفريضة
اما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في المعاملات وقسمة المواريث
والوصايا وغيرها وهذه هي العلوم التي لو خلى البلد عمن يقوم بها وقع اهل البلد
في الحرج واذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الاخرين واما ما يعد فضيلة
لا فريضة كالتعمق في دقايق الحساب وخفايا الطب وغير ذلك مما يستغنى
عنه ولكنه زيادة قوة في القدر المحتاج اليه واما المذموم من العلم فعلم السحر والطلسمات
وعلم الشعبذة والتلبيسات والمباح منها كالعلم بالاشعار التي لا سخف فيها
وتواريخ الاخبار ونحوها واما العلوم الشرعية وهي المقصودة بالبيان ولكن يلتبس
بها ما يظن انها شرعية ويكون مذمومة فينقسم الى المحمودة والمذمومة اما المحمودة
فلها اصول وفروع ومقدمات ومتممات اما الاصول فهي الكتاب والسنة
والاجماع واما الفروع فما فهم من هذه الاصول لا بموجب الفاظها بل بمعان
تنبهت لها العقول واتسع بسببها الفهم حتى يفهم من اللفظ الملفوظ وغيره
كما فهم من قوله صلى الله عليه وآله لا يقضي القاضي حين يقضي وهو غضبان انه
لا يقضي اذا كان جايعا وحاقنا ومتالما لمرض او عطشان او شبهها مما
يشغله عن الاحتياط فيما هو بصدده واما المقدمات فهي ما يجري منها

مجرى الالات كعلم اللغة والنحو فانهما آلتان لعلم الكتاب والسنة وليسا
في ذاتهما من العلوم الشرعية ولكن لزوم الخوض فيهما بسبب الشارع اذ
جاءت هذه الشريعة بلغة العرب فيصير تعلم اللغة والنحو من الآلات واما
المتممات فهي في علم القرآن ينقسم الى ما يتعلق باللفظ كعلم القراءة ومخارج
الحروف والى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير والى ما يتعلق باحكامه كمعرفة الناسخ
والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر وكيفية استعمال البعض
منه مع البعض وهو العلم المسمى باصول الفقه قال فهذه العلوم الشرعية
وكلها محمودة بل كلها من فروض الكفايات فجعل علم الفقه ملحقا بعلم الدنيا
والحق الفقهاء بعلماء الدنيا وبين ذلك ببيان تفصيلي يطول ذكره من اراد
ان يطلع عليه فليرجع الى ما ذكره ثم قال فان قلت فقد سويت بين
الفقه والطب اذ الطب ايضا يتعلق بالدنيا وهو صحة الجسد ويتعلق
به صلاح الدين وهذه التسوية تخالف اجماع المسلمين فاعلم ان التسوية
غير لازمة بل بينهما فرق فان الفقه اشرف منه لثلثة اوجه احدها انه علم
شرعي اي مستفاد من النبوة بخلاف الطب والثاني انه لا يستغنى
عنه احد من سالكي طريق الآخرة البتة لا الصحيح ولا المريض واما الطب
فلا يحتاج اليه الا المرضى وهم الاقلون والثالث ان علم الفقه مجاور لعلم
طريق الآخرة لانه نظر في اعمال الجوارح ومصدر الاعمال ومنشأها
صفات القلوب فالمحمود من الاعمال يصدر من الاخلاق المحمودة
المنجية في الآخرة والمذموم من المذمومة ولا يخفى اتصال الجوارح بالقلب

وأما الصحة والمرض فمنشؤهما صفات في المزاج والاخلاط وذلك
من اوصاف البدن لا من اوصاف القلب فمهما اضيف الفقه الى
القلب ظهر شرفه واذا اضيف الى علم طريق الآخرة ظهر شرف علم
الآخرة وانه قسمان علم مكاشفة وعلم معاملة والاول هو علم الباطن
وذلك غاية العلوم وهو علم الصديقين والمقربين وهو عبارة عن نور
يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة وينكشف
في ذلك النور امور كان يسمع من قبل اسماءها ويتوهم لها معاني
مجملة غير متضحة فيتضح له ذلك حتى يحصل له المعرفة الحقيقية بذات الله تعالى
وبصفاته التامات وافعاله وبحكمته في خلق الدنيا والآخرة ووجه ترتب
الآخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبي ومعنى الوحي ومعنى لفظ الملائكة
والشياطين وكيفية معاداة الشيطان للانسان وكيفية ظهور الملك
للانبياء عليهم السلام وكيفية وصول الوحي اليهم والمعرفة بملكوت السموات
والارض ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه ومعرفة
لمة الملك ولمة الشيطان ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر
والصراط والميزان والحساب ومعنى قوله تعالى وكفى بنفسك اليوم عليك
حسيبا ومعنى قوله وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ومعنى
لقاء الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول في جواره ومعنى
السعادة والشقاوة وتفاوت درجات اهل الجنان حتى يرى بعضهم
البعض كما يرى الكوكب الدري في جو السماء الى غير ذلك مما يطول
تفصيله

تفصيله قال واما القسم الثاني من علم الآخرة وهو علم المعاملة فهو العلم باحوال
القلب اما ما يحمد منها كالصبر والشكر والخوف والرجاء والزهد والتقوى
والقناعة والسخاوة ومعرفة المنة لله تعالى في جميع الاحوال ومعرفة الاحسان
وحسن الظن وحسن الخلق وحسن المعاشرة والصدق والاخلاص فمعرفة
حقايق هذه الاحوال وحدودها واسبابها التي بها يكتسب وثمراتها وعلاماتها
ومعالجة ما ضعف منها حتى يقوى وما زال حتى يعود هي من علم الآخرة واما ما
يذم فخوف الفقر والغل والحسد والحقد والغش وطلب العلو وحب الثناء
وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع والكبر والرياء والغضب والعداوة
والبغضاء والطمع والبخل والاشر والبطر والفخر والخيلاء والمباهاة والاستكبار
عن الحق والعجب والمكر والخيانة والمخادعة وطول الامل والقسوة والفظاظة
الى غير ذلك من رذايل الاخلاق فهذه وامثالها هي مغارس الفواحش
ومنابت الاعمال المحظورة واضدادها هي الاخلاق المحمودة منبع الطاعات
والقربات فالعلم بحدود هذه الامور وحقايقها واسبابها وعلاماتها
وثمراتها وعلاجها هو علم الآخرة وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة
فالمعرض عنها هالك بسطوة ملك الموت في الآخرة كما ان المعرض
عن الاعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاء الدنيا
فنظر الفقهاء في فروض العين بالاضافة الى صلاح الدنيا وهذا بالاضافة
الى صلاح الآخرة ولو سئل فقيه عن معنى من هذه المعاني حتى عن الاخلاص مثلا

او عن التوكل او عن وجه الاحتراز عن الرياء ليتوقف فيه مع انه فرض عينه
الذي في اهماله هلاكه في الآخرة ولو سألته عن الظهار واللعان والسبق
والرمي يسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التي تنقضي الدهور
ولا يحتاج الى شيء منها وان احتيج لم تخل البلاد عمن يقوم بها ويكفيه مؤنة التعب
فيها فلا يزال يتعب فيه ليلاً ونهاراً في حفظه ودرسه ويغفل عما هو المهم نفسه في
الدين ويزعم انه مشتغل بعلم الدين ويلبس على نفسه وعلى غيره والفطن
يعلم انه لو كان غرضه اداء حق الامر في فرض الكفاية لقدم عليه فرض العين
بل قدم عليه كثيراً من فروض الكفايات فكم من بلد ليس فيه طبيب الا من
اهل الذمة ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالاطباء من احكام الفقه ثم
لا ترى احداً يشتغل به ويتهافت على علم الفقه لا سيما الخلافيات الجدليات
والبلد مشحون من الفقهاء وليس الباعث الا ان الطب ليس ميسر
الوصول به الى تولي الاوقاف والوصايا وحيازة مال الايتام وتقلد القضاء
والحكومة والتقدم به على الاقران والتسلط على الاعداء هيهات قد اندرس
علم الدين بتلبيس علماء السوء والله المستعان واليه الملاذ في ان يعيذنا
من هذا الغرور الذي يسخط الرحمن ويضحك الشيطان انتهى كلامه ثم لا يخفى
ان قوله عليه السلم ان الله يحب بغاة العلم اي طالبيه مما يدل على ان العلم الذي
طالبوه محبوبون لله ينبغي ان يكون علماً شريفاً الهياً مقصوداً لذاته لا الذي هو
مقصود لغيره مما يتعلق بالامور الخسيسة فان الذي يكون مقصوداً لغيره لا يكون

هو مراداً

الباب الثاني في فرض العلم

هو مراداً او محبوباً لنفسه بل ذلك الغير ويكون هو وسيلة والوسيلة
للشيء دائماً يكون اخس رتبة من ذلك الشيء فالعلم المتعلق بالعمل
ادون منزلة من العمل والعمل اذا رجع الى خسيس فذلك العلم اخس
منه واما العلم المطلق المجرد عن التعلقات فلا شبهة في انه رفيع القدر
شريف المنزلة فطالبه وصاحبه هو الحري بان يكون من محبوبي الحق تعالى
ومقربيه ومجاوريه في ملاء الاعلى والله اعلم الحديث السادس والاربعون

علي بن محمد بن عبد الله عن احمد بن محمد بن خالد عن عثمن ابن عيسى هو ابو عمرو
العامري الكلابي الرواسي من ولد عبد الله بن رواس بتشديد الواو وبعد
الراء والسين المهملة اخيرا واقفي من اصحاب الكاظم والرضا عليهما السلم
كذا في الفهرست وفي الخلاصة على وفق ما ذكره النجاشي كان شيخ الواقفة
ووجهها واحد وكلاء المستبدين بمال موسى بن جعفر عليهما السلم ذكر نصر بن
صباح ان عثمن بن عيسى كان واقفياً وكان وكيل ابي الحسن موسى عليه السلم
وفي يده مال فسخط عليه الرضا عليه السلم ثم تاب عثمن وبعث بالمال اليه و
كان شيخاً عمر ستين سنة وكان يروي عن ابي حمزة الثمالي ولا يتهمون
عثمن بن عيسى قال حمدويه قال محمد بن عيسى ان عثمن ابن عيسى رأى في
منامه انه يموت بالحيرة ويدفن فيه فرفض الكوفة ومنزله وخرج الى الحيرة
وابناؤه بمصر فقال لا ابرح حتى يمضي الله مقاديره واقام يعبد ربه عز وجل
حتى مات ودفن ونقل الكشي قولاً بان عثمن بن عيسى ممن اجتمعت
العصابة على تصحيح ما يصح عنهم واقروا له بالفقه والعلم وذكر الفاضل محمد

الاسترآبادي انّ العلامة رحمه الله حسّن طريق الصدوق الى سماعة وفيه عثمن بن عيسى وقال هنا الوجه عندي التوقف فيما ينفرد به وفي كتب الاستدلال جزم بضعفه عن علي بن ابي حمزة الثمالي قال سمعت ابا عبد الله عليه السّلم يقول تفقّهوا في الدّين فانه من لم يتفقّه منكم في الدّين فهو اعرابي انّ الله يقول في كتابه ليتفقّهوا في الدّين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلّهم يحذرون

الشرح قد علمت فيما سبق ما معنى التفقّه في الدّين وما معنى الفقه الّذي يترتب عليه الانذار والتخويف فلا نعيده وقوله فهو اعرابي اي عاميّ جاهل بامر الدّين لانّ الاعراب سكّان البادية الّذين لا يقومون الامصار ولا يدخلونها الّا لحاجة فهم جهلة لا يعرفون مناهج الشريعة والدّين فسمّى عليه السّلم من لم يكن متفقّها في الدّين اعرابيًّا لكونه مثله في الحال والصّفة ممّا يتعلّق بحال العاقبة وامر الآخرة وانّما جعل المهاجر ضدّ الاعرابي لاجل اكتسابه للدّين وتعلّمه للفقه واليقين والّا فيكون مثله لا ضدّه

الحديث السّابع وهو الحادي والاربعون الحسين بن محمد عن جعفر بن محمد عن القسم بن ربيع مشترك بين اثنين احدهما من روى عنه علي بن ابرهيم بكتابه وجعفر بن محمد بن مالك الغزاري الكوفي قال حدثنا القاسم يعني الربيع بن بنت زيد الشحّام والثاني المذكور في الخلاصة ابن الربيع الصحّاف كوفي ضعيف في حديثه غال في مذهبه لا التفات اليه ولا ارتفاع به عن مفضّل بن عمر قال سمعت ابا عبد الله عليه السّلم يقول عليكم بالتفقه في دين الله ولا تكونوا اعرابا فانّ من لم يتفقّه في دين الله لم ينظر الله اليه يوم القيمة ولم يزكّ له عملا

الشرح معنى النظر ههنا الاختيار والرحمة والعطوفة قال تعالى

ولا ينظر

[Margin note beside the right page: تعرف ... [illegible] ... الا انه قال في الاحيا ... [illegible] ... وقد صرف ... [illegible] ... ذلك]

[Margin note beside the right page: بن ربيع]

ولا ينظر اليهم ولا يزكّيهم وفي الحديث انّ الله لا ينظر الى صوركم واموالكم ولكن الى قلوبكم ونيّاتكم فترك النظر مقابل الرّحمة والمحبّة اعني الغضب والنقمة لانّ النظر في الناس دليل المحبّة وترك النظر دليل البغض والكراهة والنظر يقع على الاجسام المحسوسة وعلى المعاني المعقولة فما كان بالابصار فهو للاجسام وما كان بالبصاير فهو للمعاني والله مقدّس عن شبه المخلوقين فجعل نظره الى ما هو السّرّ واللّبّ وهو القلب واحواله فمن كان ذا قلب منوّر بالعلم والفقه كان منظورًا له تعالى باللطف والعناية ومن لم يكن كذلك بل كان حكم قلبه في القساوة والظلمة كحكم الاجسام لم يكن منظورًا بعناية الله تعالى ولا يتنوّر القلب ويتجرّد عن شبه الجسم الّا بنور المعرفة واليقين فمن لا علم له لا قلب له اعني اللّطيفة الملكوتية فليس في مثل هذا الانسان شيء ينظر اليه الحقّ تعالى فقد دلّ كلامه عليه السّلم على انّ باكتساب العلم والتفقه يصير الصّورة معنى والمحسوس معقولا وبه يخرج النفس العاقلة من القوّة الى الفعل ويصير وجود الانسان به وجودًا آخر اخرويًّا غير الوجود الدّنيوي الذي كان اوّلا ولمّا كان العمل تابعًا للذات كانت زكوته وطهارته تابعة لتزكية القلب وتطهيره فتأمّل تعرف

الحديث الثامن وهو الثاني والاربعون محمد بن اسمعيل هذا الاسم مشترك بين اثني عشر رجلًا من الرواة سوى محمد بن اسمعيل بن بزيع وهم محمد بن اسمعيل بن ميمون الزعفراني ومحمد بن اسمعيل بن احمد البرمكي الرازي صاحب الصومعة

[Margin note beside the left page: واعمالكم]

وعشرة اخرون اما العشرة الباقون فلم يوثق احد علماء الرجال
احداً منهم فانهم لم يذكروا من حال الاثنين منهم وهما الكناني والجعفري
الا ان لكل منهما كتاباً ولا من حال الاثنين الآخرين وهما الصيمري
والسلمي الا انهما من اصحاب ابي الحسن الثالث عليه السلم ولا من
حال الستة البواقي الا انهم من اصحاب الصادق عليه السلم وبقاء احدهم
الى عصر الكليني بعيد جداً وقد اطبق متاخروا علمائنا رحمهم الله على
تصحيح ما يرويه عن محمد بن اسمعيل فبقى الاحتمال في ابن بزيع والاثنين
الباقيين وهما محمد بن اسمعيل بن ميمون الزعفراني ومحمد بن اسمعيل بن
احمد البرمكي الرازي صاحب الصومعة ولنذكر اولاً حال كل من هؤلاء
الثلثة ثم نتكلم في ان المراد ههنا اي واحد منهم اما المطلب الاول فنقول
فيه اما محمد بن اسمعيل بن بزيع ابو جعفر مولى ابي جعفر المنصور وله
بزيع بيت منهم حمزة بن بزيع ثقة صحيح الرواية مولى المنصور وقال الكشي
كان من رجال ابي الحسن موسى عليه السلم وادرك ابا جعفر الثاني عليه
السلم قال حمدويه عن اشياخه انه واحمد بن حمزة كانا في عداد الوزراء
وكان علي بن النعمن وصى بكتبه لمحمد بن اسمعيل وقال علي بن الحسن
انه ثقة ثقة عين وحكى بعض اصحابنا عن ابن الوليد قال وفي رواية محمد
بن اسمعيل بن بزيع قال الرضا عليه السلم ان لله تعالى بابواب الظالمين
من نور الله به البرهان ومكن له في البلاد ليدفع بهم عن اوليائه ويصلح الله
به امور المسلمين لانهم ملجاء المؤمنين من الضرر واليه مفزع في الحاجة

وكان من صالحي هذه الطائفة وثقاتهم كثير العمل قال الشيخ الطوسي رحمه الله ان محمد بن اسمعيل بن بزيع

من شيعتنا

من شيعتنا بهم يؤمن الله روعة المؤمن في دار الظلم اولئك المؤمنون
حقاً اولئك امناء الله في ارضه اولئك نور الله في رعيته يوم القيمة
ويزهر نورهم لاهل السموات كما يزهر الكواكب الدرية لاهل الارض
اولئك من نورهم نور القيمة يضيئ منهم القيمة خلقوا والله للجنة وخلقت
الجنة لهم فهنيئاً لهم ما على احدكم ان لو شاء لنال هذا كله قال قلت له بماذا
جعلني الله فداك قال يكون معهم فيسرنا بادخال السرور على المؤمن
من شيعتنا فكن منهم يا محمد وروى الكشي عن علي بن محمد قال حدثني
بنان بن محمد عن علي بن مهزيار عن محمد بن اسمعيل بن بزيع قال سألت
ابا جعفر عليه السلم ان يوجه الي بقميص من قمصه اعده لكفني فبعث به الي
قال قلت له كيف اصنع به جعلت فداك قال انزع ازراره قال
الكشي وجدت في كتاب محمد بن الحسن بن بندار القمي بخطه حدثني
محمد بن يحيى العطار عن محمد بن احمد بن يحيى قال كنت بفيد فقال لي محمد
بن علي بن بلال مر بنا الى قبر محمد بن اسمعيل بن بزيع لنزوره فلما اتيناه
جلس عند راسه مستقبل القبلة والقبر امامه ثم قال اخبرني صاحب
هذا القبر يعني محمد بن اسمعيل انه سمع ابا جعفر عليه السلم يقول من زار
قبر اخيه المؤمن فجلس عند قبره واستقبل القبلة ووضع يده على القبر
وقرأ انا انزلناه في ليلة القدر سبع مرات امن من فزع الاكبر و
قال النجاشي بعد الحكاية المذكورة وله كتب روى عنه احمد بن محمد بن
عيسى ومعوية بن حكيم وابراهيم بن هاشم ومحمد بن ابي الخطاب واما محمد

بن اسمعيل بن ميمون الزعفراني وكنيته ابو عبد الله فهو عين ثقة روى عنه
الثقات وروى عنهم ولقى اصحاب ابي عبد الله عليه السلم قال النجاشي
له كتاب روى عنه عبد الله بن محمد بن خالد واما محمد بن اسمعيل بن احمد
بن بشير البرمكي فهو ابو عبد الله المعروف بصاحب الصومعة سكن بقم
وليس اصله منها ذكر ذلك ابو العباس بن نوح قال النجاشي له كتب روى
عنه محمد بن جعفر الاسدي وقال العلامة اختلف علمائنا في شأنه فقال النجاشي
انه ثقة مستقيم وقال ابن الغضائري انه ضعيف وقول النجاشي عندي ارجح
واما المطلب الثاني فاعلم انه قال شيخنا المكرم بهاء الملة والدين العاملي عظم الله
قدره في كتابه المسمى بمشرق الشمسين بهذه العبارة بتقرة دأب ثقة
الاسلام رحمه الله في كتاب الكافي انه يأتي في كل حديث بجميع سلسلة
السند بينه وبين المعصوم عليه السلم ولا يحذف من اول السند احدا
ثم انه كثيرا ما يذكر في صدور السند محمد بن اسمعيل عن الفضل بن شاذان
وهو يقتضي كون الرواية عنه بغير واسطة فربما ظن بعضهم ان المراد به الثقة
الجليل محمد بن اسمعيل بن بزيع وايدوا ذلك بما يعطيه كلام الشيخ تقي
الدين حسن بن داود رحمه الله حيث قال في كتابه اذا وردت رواية
عن محمد بن يعقوب عن محمد بن اسمعيل ففي صحتها قولان فان في لقائه
له اشكالا فتقف بجهالة الواسطة بينهما وان كانا مرضيين معظمين انتهى
كلامه والظاهر ان ظن كونه ابن بزيع من الظنون الواهية ويدل على ذلك
وجوه الاول ان ابن بزيع من اصحاب ابي الحسن الرضا وابي جعفر الجواد عليهما السلم

وقد ادرك

وقد ادرك عصر الكاظم عليه السلم وروى عنه كما ذكره علماء الرجال فبقاؤه
الى زمن الكليني مستبعد الثاني ان قول علماء الرجال ان محمد بن اسمعيل
ادرك ابا جعفر الثاني عليه السلم يعطي انه لم يدرك من بعده احدا من الائمة
عليهم السلم فان مثل هذه العبارة انما يذكرونها في آخر امام ادركه الراوي
كما لا يخفى على من له انس بكلامهم الثالث انه رحمه الله لو بقي الى زمن
الكليني نور الله مرقده لكان قد عاصر ستة من الائمة عليهم السلم وهذه
مزية عظيمة لم يظفر بها احد من اصحابهم عليهم السلم فكان ينبغي لعلماء الرجال
ذكرها وعدها من جملة مزاياه وحيث ان احدا لم يذكره علم انه غير واقع الرابع
ان محمد بن اسمعيل الذي يروي عنه الكليني بغير واسطة يروي عن الفضل
بن شاذان وابن بزيع كان من مشايخ الفضل بن شاذان كما ذكره الكشي
الخامس ما اشتهر على الالسنة ان وفات ابن بزيع كانت في حيوة
الجواد السادس انا استقرينا جميع احاديث الكليني المروية عن محمد بن
اسمعيل فوجدناه كلما قيده بابن بزيع فانما يذكره في اواسط السند ويروي
عنه بواسطتين هكذا محمد بن يحيى عن احمد بن محمد عن محمد بن اسمعيل بن بزيع
واما محمد بن اسمعيل الذي يذكره في اول السند فلم نظفر بعد الاستقراء
الكامل والتتبع التام بتقييده مرة من المرات بابن بزيع ويبعد ان يكون
هذا من الاتفاقيات المطردة السابع ان ابن بزيع من اصحاب الائمة
الثلثة اعني الكاظم والرضا والجواد عليهم السلم وقد سمع منهم سلام الله عليهم
احاديث متكثرة بالمشافهة فلو لقيه الكليني لنقل عنه شيئا من تلك الاحاديث

التي نقلها عنهم بغير واسطة ليكون الواسطة بينه وبين كلّاً من الائمة الثلثة عليهم السلام
واحداً فانّ قلة الوسايط شيء مطلوب وشدة اهتمام المحدثين بعلوّ السند
امر معلوم ومحمد بن اسمعيل الذي يذكره في اوايل السند ليس له رواية عن
احد المعصومين سلام الله عليهم بدون واسطة اصلا بل جميع رواياته عنهم
عليهم السلام انما هي بوسايط عديدة فان قلت للمناقشة في هذه الوجوه
مجال واسع كما ناقش في الاول بانّ لقاء الكليني من لقي الكاظم عليه السلم
غير مستنكر لانّ وفاته عليه السلم سنة ثلث وثمانين ومائة ووفات
الكليني سنة ثمان وعشرين وثلثمائة وبين الوفاتين مائة وخمس واربعون
سنة فغاية ما يلزم تعمير ابن بزيع الى قريب مائة سنة وهو غير مستبعد
وفي الثاني بمنع كون تلك العبارة نصاً في ذلك ولو سلّم فلعل المراد بالادراك
الرؤية ولا ادراك الزمان فقط وفي الثالث بانّ المزية العظمى رؤية الائمة عليهم
السلم والرواية عنهم بلا واسطة لا لمجرد المعاصرة لهم من دون رؤية ولا رواية
فيجوز ان يكون ابن بزيع عاصر باقي الائمة لكنهم لم يرهم قلت اكثر هذه الوجوه وان
امكنت المناقشة فيه بانفراده لكن الانصاف انه يحصل من مجموعها ظنّ غالب
يتاخم العلم بانّ الرجل المتنازع فيه ليس هو ابن بزيع وليس الظنّ الحاصل منها
ادون من ساير الظنون المعوّل عليها في علم الرجال كما لا يخفى على من خاض في ذلك
الفن ومارسه والله اعلم انتهى كلامه زيد اكرامه فنقول اذا تقرر هذا وظهر ضعف القول
وبعد الظن بانّ المذكور هو ابن البزيع وقد اطبق علماؤنا المتاخرون قدس الله
ارواحهم على تصحيح ما يرويه الكليني عن محمد بن اسمعيل الذي فيه النزاع واطباقهم هذا

قرينة

الباب الثالث في ...

قرينة على انه ليس احداً من اولئك الذين لم يوثقهم احد من علماء الرجال فبقي الامر
دايراً بين الزعفراني والبرمكي فانهما ثقتان من اصحابنا لكن الزعفراني ممن لقي
الصادق عليه السلم كما نص عليه النجاشي فيبعد بقاؤه الى عصر الكليني فيقوى الظن
في جانب البرمكي فانه مع كونه رازيا كالكليني فزمانه في غاية القرب من زمانه
لانّ النجاشي يروي عن الكليني بواسطتين وعن محمد بن اسمعيل البرمكي بثلث
وسايط والصدوق يروي عن الكليني بواسطة واحدة وعن البرمكي بواسطتين
والكشي حيث انه معاصر للكليني يروي عن البرمكي بواسطة وبدونها وايضا محمد
بن جعفر الاسدي المعروف بمحمد بن ابي عبد الله الذي كان معاصراً للبرمكي
توفي قبل وفاة الكليني بقريب من ستة عشر سنة فلم يبق مرية في قرب
زمان الكليني من زمان البرمكي جداً واما روايته عنه في بعض الاوقات بتوسط
الاسدي فغير قادح في المعاصرة فانّ الرواية عن الشيخ تارة بواسطة واخرى
بدونها امر شايع متعارف لا غرابة فيه والله اعلم هذا ما ذكره ايضا شيخنا البهائي
جلّ بهاؤه ومجده بعد ما زيف القول بكون المذكور ابن البزيع او واحد من
العشرة الباقية عن الفضل بن شاذان بالشين والذال المعجمتين والنون
ابن الخليل بالخاء المعجمة ابو محمد الازدي النيشابوري كان ابوه من اصحاب
يونس وروي عن ابي جعفر الثاني عليه السلم وقيل عن الرضا عليه السلم ايضا
وكان ثقة جليلا فقيها متكلما له عظم الشان في هذه الطائفة قيل انه صنف مائة
وثمانين كتابا وترحم عليه ابو محمد عليه السلم مرتين وروي ثلثا ولاء ونقل الكشي
عن الائمة عليهم السلم مدحه ثم ذكر ما ينافيه وقد اجبنا عنه في كتابنا الكبير وهذا الشيخ

عنه

٢٥٤ أجلّ من أن يغمز عليه فانّه رئيس طائفتنا رضي الله عنه صه وقال النجاشي أجلّ طائفتنا رحمه
أصحابنا الفقهاء والمتكلمين وله جلالة في هذه الطائفة وهو في قدره أشهر من
أن نصفه وقال الشيخ في الفهرست متكلم فقيه جليل القدر له كتب ومصنفات
روى الكشي عن الملقب بتورة من أهل البرزجان من نيشابور أنّ أبا محمد الفضل
بن شاذان كان وجّهه إلى العراق فذكر أنّه دخل على أبي محمد عليه السلم فلما أراد
أن يخرج سقط عنه كتاب وكان من تصنيف الفضل فتناوله أبو محمد عليه السلم
ونظر فيه وترحّم عليه وذكر أنّه قال أغبط أهل خراسان بمكان الفضل بن شاذان
وكان بين أظهركم عن ابن أبي عمير وهو محمد بن زياد بن عيسى أبو محمد مولى الأزد
من موالي المهلب بن أبي صفرة وقيل مولى بني أميّة والأوّل أصحّ بغدادي
الأصل والمقام لقي أبا الحسن موسى عليه السلم وسمع منه أحاديث كنّاه في بعضها
فقال يا أبا محمد وروى عن الرضا عليه السلم جليل القدر عظيم المنزلة فينا وعند
المخالفين صه قال الكشي انه ممن اجمعت أصحابنا على تصحيح ما يصح عنه واقرّوا
له بالفقه والعلم وقال الشيخ الطوسي انه أوثق الناس عند الخاصة والعامة
وأنسكهم نسكاً وأورعهم وأعبدهم أدرك من الائمة ثلثة أبا ابراهيم موسى بن
جعفر عليه السلم ولم يرو عنه وروى عن أبي الحسن الرضا عليه السلم وأبي جعفر الثاني
عليه السلم عن جميل بن درّاج بالدال غير المعجمة والراء المشدّدة والجيم ودرّاج يكنّى
بأبي الصبيح بن عبد الله أبو علي النخعي وقال ابن فضال أبو محمد شيخنا ووجه الطائفة ثقة
روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلم وأخوه نوح بن درّاج القاضي أيضا
من أصحابنا وكان يخفي أمره ومات في أيام الرضا عليه السلم وكان أكبر من نوح وعمي
بعد
في آخر

زرارة رحمه في آخر عمره وأخذ عن زرارة له أصل صه قال الكشي انه ممن اجمعت
العصابة على تصحيح ما يصح عن هؤلاء وتصديقهم لما يقولون واقرّوا لهم بالفقه
جميل بن درّاج وعبد الله بن مسكان وعبد الله بن بكير وحماد بن عيسى
وحماد بن عثمان وأبان بن عثمن قالوا وزعم أبو اسحق الفقيه يعني ثعلبة
بن ميمون انّ أفقه هؤلاء جميل بن درّاج وهم أحداث أصحاب أبي عبد الله
عليه السلم عن أبان بن تغلب بالتاء المنقوطة فوقها نقطتين المفتوحة
والغين المعجمة الّا كنّه ابن رباح ثقة جليل القدر عظيم المنزلة في أصحابنا
لقي أبا محمد علي بن الحسين وأبا جعفر وأبا عبد الله عليهم السلم وقدم إلى المدينة
وروى عنهم وقال له الباقر عليه السلم فقال الصادق عليه السلم لما أتاه نعيه
أما والله لقد أوجع قلبي موت أبان ومات في سنة احدى وأربعين ومائة
وروى انّ الصادق عليه السلم قال له يا أبان ناظر أهل المدينة فانّي أحبّ
أن يكون مثلك من رواتي ورجالي عن أبي الله عليه السلم قال لوددت
أصحابي ضربت رؤسهم بالسياط حتى يتفقهوا الشرح معناه واضح
السياط جمع سوط وهو الذي يجلد به والأصل سواط بالواو فقلبت ياء
لكسرة ما قبلها وقد يجمع على الأصل أسواط والذي نقل عن أبي هريرة
فجعلن تقرب بأسياطنا وقتبينا بالياء هو شاذ والقياس أسواطنا
كما يقال في جمع ريح أرياح شاذ والقياس أرواح وهو المطّرد المستعمل
وانما قلبت الواو في سياط لكسرة ما قبلها ولا كسرة في أسواط الحديث
التاسع وهو الثالث والأربعون علي بن محمد عن سهل بن زياد عن محمد بن عيسى

اجلس في مسجد المدينة وأفت الناس فانّي أحبّ أن يرى في شيعتي مثلك ومات في حيوة أبي عبد الله عليه السلم رحمه

عمّن رواه عن ابى عبد الله عليه السّلم قال قال رجل جعلت فداك رجل
عرف هذا الامر لزم بيته ولم يتعرف الى احد من اخوانه فقال كيف يتفقّه
هذا فى دينه الشرح اعلم انّ النّاس اختلفوا فى انّ لزوم البيت والعزلة
من الخلق افضل او المخالطة والصّحبة معهم والتحقيق انّ كلّا من الامرين
يفضل على الآخر فى وقت ومن جهة وذلك يختلف باختلاف حال
الاشخاص بل باختلاف حال شخص واحد بحسب الاوقات فانّ
كثيرا من المقاصد الدينية والدّنياوية يتوقّف حصولها على الاستعانة
بالغير واعظم ذلك كلّه التعلّم والتفقّه فى الدّين فانه اعظم واهمّ من كلّ عبادة
وطاعة ولا يتصوّر ذلك الّا بالمخالطة والصّحبة مع المعلّمين والاستادين
وكلّ ما يستفاد من المخالطة يفوت بالعزلة فالمحتاج الى التعلّم كما هو فرض
عليه فما يفوت به وهو العزم حرام عليه فهو يكون عاصيا بالعزلة ولزوم
البيت اللّهم الّا ان لا يتأتّى منه الخوض فى العلوم ورأى الاشتغال بالعبادة
والاكتفاء بالتقليد فيما سمعه منذ اوّل الامر واعتقده اولى فلا يبعد ان
يكون العزلة فى حقّه راجحا سيّما اذا لم يتمشّ منه انفاع الخير ولا اكتساب
الخيرات الدّنيوية فانّ عبادة الجهّال ليس فيها كثير خير وامّا من كان يقدر
على التبرّز فى علوم الدّين واصول اليقين فالعزلة فى حقّه قبل التعلّم
والتفقّه هى الخسران المبين ولهذا قال بعضهم تفقّه ثم اعتزل ومن اعتزل
قبل التعلّم فهو فى الاكثر مضيّع اوقاته بنوم او فكر فى هوس وغايته ان
يستغرق الاوقات باوراد يستوعبها وهو لا ينفكّ فى اعماله بالبدن

والقلب

والقلب عن انواع من الغرور يخيّب سعيه ويبطل عمله من حيث لا يدرى
ولا ينفكّ فى اعتقاده فى الله تعالى وصفاته عن اوهام يتوهّمها ويأنس
بها وعن خواطر فاسدة تعتريه فيها فيكون فى اكثر احواله ضحكة للشيطان
وهو يرى نفسه من العبّاد فالعلم هو اصل الدين فلا خير فى عزلة العوام
والجهّال قال بعض العلماء مثال النفس مثال مريض يفتقر الى طبيب متلطّف
ليعالجها فالمريض الجاهل اذا خلا بنفسه قبل ان يتعلّم الطبّ تضاعف لا محالة
مرضه فلا يليق العزلة الّا بالعلماء باب صفة العلم وفضله وفضل العلماء
وهو الباب الثالث وفيه تسعة احاديث الحديث الاوّل وهو التاسع
والاربعون محمّد بن الحسن وعلى بن محمّد عن سهل بن زياد عن محمّد بن عيسى
عن عبيد الله بن عبد الله الدهقان عن درست الواسطى عن ابراهيم
بن عبد الحميد عن ابى الحسن موسى عليه السّلم قال دخل رسول الله صلى الله
عليه وآله المسجد فاذا جماعة قد اطافوا برجل فقال من فقيل علّامة قال وما العلّامة
فقالوا اعلم النّاس بانساب العرب ووقايعها وايّام الجاهلية والاشعار
العربية فقال النّبى صلى الله عليه وآله ذاك علم لا يضرّ من جهله ولا ينفع من علمه
ثم قال النّبى صلى الله عليه وآله انّما العلم ثلثة آية محكمة او فريضة عادلة او سنّة
قائمة وما خلاهنّ فهو فضل الشرح قوله عليه السّلم فقيل علّامة اى عالم جدّا
والهاء فيه للمبالغة قوله قال وما العلّامة كلمة ما من جملة كلمات الاستفهام
التى يقع بها السّؤال عن ماهيّة الشئ او جنسه او وجوده او كمّه او كيفه
او متاه او اينه او غير ذلك فالسّؤال عن ماهيّة الشئ بما هو وعن جنسه

بلم هو وعن وجوده بهل هو وعن مقداره او عدده بكم هو وعن صفته بكيف هو
وعن زمانه بمتى هو وعن مكانه باين هو فان قلت المناسب ههنا ايراد كلمة
لم بدل ما قلنا قد تقرر في العلوم العقلية ان مطلب ما هو ولم هو في كثير من الاشياء
متحدان وهي كالمفارقات العقلية التي وجودها الخاص تعين مهيتها فمن علم
ان العقل مثلا ما هو علم ايضا لم هو وكذا اذا اخذت المهية مع وجودها الخاص
فان سبب وجود الشيء وان كان خارجا عن نفس مهيته لكنه داخل في قوام
وجوده فاذا كان السؤال عن المهية الموجودة فصح ايراد كلمة لم بدل ما وكذا اذا
كان السؤال عن سبب وجود الشيء بما هو نفس الوجود صح ايراد كلمة ما بدل
لم ونظير ذلك انه اذا اخذ الموصوف مع صفته كالجسم مع البياض كانهما امر
واحد مركب من مادة وصورة فاذا سئل عن المجموع سئل بما هو ويقع في
الجواب الجسم الابيض كما يقع الحد المركب من الجنس والفصل ففي هذا المثال
قد وقع في جواب ما هو ما كان يقع في جواب كيف هو ففيما نحن فيه لما كان غرضه
صلى الله عليه وآله الاستكشاف عن حقيقة عالمية ذلك الرجل المقيد بالعلم
المأخوذ بكونه عالما فكان السؤال عن سبب اتصافه بالعلامة راجعا الى
السؤال عن حقيقة كونه علامة ولهذا وقع الجواب بنحو علمه الداخل في كونه علامة
بزعمهم وهو علمه بانساب العرب وحكاياتها وعلمه بالاشعار العربية فذلك
العلم داخل في حقيقة عالميته وعلة لاتصاف ذاته بنعت العلم وهذا كما اذا
سئل ما الخسوف يقع الجواب بانه محق ضوء القمر لحيلولة الارض بينه

ومن

ومن الشمس عند المقابلة الحقيقية واذا سئل لم الخسوف يقع الجواب بحيلولة
الارض بينهما عند المقابلة فيمحق نوره فاذن يشارك فيه الجوابان اعني الحد
والبرهان فافهم هذا فانه من غوامض العلوم ثم لما زعموا ان ما حصل لذلك
الرجل هو من العلوم المعتبرة الحقيقية فنبههم رسول الله صلى الله عليه وآله
بان الذي حصل ليس علما بالحقيقة اذ العلم بالحقيقة هو الذي يضر جهله في
المعاد وينفع اقتناؤه ذخرا ليوم يقوم فيه الاشهاد لا الذي يستحسنه العوام
ويكون مصيدة للحطام ثم افاد صلى الله عليه وآله لهم ان العلم الذي يضر
جهله وينفع علمه في الآخرة ماذا فقال انما العلم ثلثة الخ واعلم انك قد علمت
سابقا ان العلوم الاخروية قسمان علم معاملة وعلوم مكاشفة والظاهر
ان هذه الاقسام التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه وآله وحصرها في ثلثة
هي علوم المعاملة لانها التي يقع بها الانتفاع لاكثر الخلق واما علوم المكاشفة
فلم توجد ولا توجد في كل وقت الا في اقل قليل من الناس وهو اعز من
الكبريت الاحمر كما دل عليه بعض الاحاديث الآتية في كتاب الايمان والمذكور
منها في القرآن انما كان على سبيل الرمز في متشابهات القرآن التي لا يعلم
تأويلها الا الله والراسخون في العلم ولما كانت العلوم الدينية النافعة
في الآخرة اما متعلقة بالاصول الاعتقادية او بالفروع العملية والثانية اما
متعلقة بالافعال واعمال الجوارح من الحلال والحرام واما متعلقة باحوال واعمال
القلب من محاسن الاخلاق ومقابحها ونيات الضماير واغراضها ففي ثلثة
اقسام فقوله صلى الله عليه وآله آية محكمة اشارة الى القسم الاول وهو الاصول

المحكمات (هامش)

العقايد وارکانها المستفادة من الآيات المحكمات القرآنية وقوله صلى الله
عليه وآله او فريضة عادلة اشارة الى العلم بفرايض الاعمال وواجباتها ومحرماتها
التي يجب على المكلفين الاتيان بها والكف عنها وقوله او سنة قائمة اشارة
الى العلم بالسنن والنوافل فانها من الاعمال التي يؤثر في جلب الاحوال للقلوب
وكسب الاخلاق الحسنة وازالة الملكات الردية وکلها ثابتة من طريق الحديث
والسنة ويحتمل ان يكون الثاني اشارة الى علوم الاخلاق وصفات القلب
وان اکثر مما يستقل العقل بادراكه اعني محاسن تلك الاحوال ومقابحها والثالث
وهو قوله صلى الله عليه وآله او سنة قائمة اشارة الى العلم باعمال المكلفين و
احكامها الخمسة المستفاد جلها بل كلها من السنة القائمة اي الاحاديث
الصحيحة الثابتة بنقل الرواة العدول والرجال الثقات وقوله صلى الله وآله
وما خلاهن فضل اي ما خلا هذه الثلثة المذكورة سواء كان محمودا كالطب ونحوه
او مذموما كعلم السحر والشعبذة والفال واحكام النجوم ونحوها فان اكثر ما يعده
العامة من العلوم المستحسنة المحمودة ليس منها بل يكون مذموما فان قلت
العلم هو معرفة الشئ على ما هو عليه وهو من صفات الله تعالى فكيف
يكون الشئ علما ومع كونه علما مذموما قلت ان العلم لا يذم بعينه ولا لكونه
علما على الاطلاق وانما الذم متوجه اليه لاحد اسباب ثلثة احدها ان يكون
مؤديا الى ضرر اما بصاحبه او بغيره كما يذم علم السحر والطلسمات وهو
حق اذ شهد القرآن له وبه يتوسل الى ما يفرقون به بين المرء وزوجه
الثاني ان يكون مضرا بصاحبه في اكثر الامر كعلم النجوم فانه في نفسه غير
مذموم

والطلسمات (هامش)

مذموم اذ هو قسمان قسم يتعلق بالحساب والهيئة وقد نطق القرآن بان
مسير الكواكب محسوب اذ قال والشمس والقمر بحسبان وقال والقمر
قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم وقال ولتعلموا عدد السنين والحساب
والثاني الاحكام وحاصله يرجع الى الاستدلال على الحوادث بالاسباب
وهو كالاستدلال الطبيب بالنبض وحركة الشرايين على ما سيحدث
في بدن الانسان من الصحة والمرض ولكنه ذمه الشرع وزجر عنه وانما زجر عنه
لثلثة اوجه الاول انه مضر باكثر الخلق فانه اذا القي اليهم ان هذه الآثار تحدث
عقيب سير هذه الكواكب والانظار وقع في نفوسهم ان الكواكب هي
المؤثرات وانها الالهة المدبرة لانها [illegible] جواهر شريفة سماوية يعظم
وقعها في القلوب فيلتفت اليها ويرى الخير والشر مرجوا او محذورا من
جهتها وينمحي ذكر الله عن القلب فان الضعيف يقصر نظره على الوسايط
والعالم الراسخ هو الذي يطلع على ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات
بامره سبحانه والثاني ان احكام النجوم تخمين محض ليس بعلم لا باليقين
ولا بالظن فالحكم به حكم بجهل فيكون مذموما على هذا من حيث انه جهل وكذب
لا من حيث انه علم وحق ولقد كان ذلك معجزة لادريس النبي عليه السلم
وقد اندرس وانمحى وما يتفق احيانا من اصابة المنجم فهو اتفاق والثالث
الوجه انه لا فايدة فيه واقل احواله انه خوض في فضول لا يعني وتضييع العمر
الذي هو النفس بضاعة الانسان بغير فايدة وهو غاية الخسران فالخوض
في النجوم وما يشبهه اقتحام خطر او خوض جهالة من غير فائدة فان ما قدر كاين

والاحتراز عنه غير ممكن بخلاف الطّبّ فانّ الحاجة ماسّة اليه واكثر ادلتها
السّبب الثالث غموض بعض العلوم الحقّة ودقّته فانّ الخوض في علم لا يستقل
الخايض بدركه مذموم فيجب كفّ النّاس عن البحث عنه والخوض فيه و
لهذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله اذا ذكر القدر فامسكوا وقال امير المؤمنين
عليه السّلم كما رواه الصّدوق في كتاب التّوحيد باسناده عن الاصبغ بن
نباتة الا انّ القدر سرّ من سرّ الله وستر من ستر الله وحرز من حرز الله
مرفوع في حجاب الله مطويّ عن خلق الله مختوم بخاتم الله الحديث بطوله
واعلم انّه كما يطلع الطّبيب الحاذق على اسرار في معالجات المرضى يستبعدها
من لا يعرفها فكذا الانبياء عليهم السّلم اطبّاء القلوب عارفون باسباب الحيوة
الاخرويّة فلا تحكم بعقولك على سنّتهم واحكامهم ففي اسرار الشّريعة ولطايفها
المفيدة لصفاء القلوب وطهارتها واصلاحها المترقي الى جوار الله والوصول
الى دار كرامته امور تكلّ عن ادراكها الافهام وتدقّ عن ادراكها عقول الانام
بقوّة افكارها واستدلالاتها وكلّ ما لم يصل عقلك الى وجه الحكمة فيه فاعزل
العقل عن الفكرة فيه والزم الاتّباع ولذلك ورد عن النّبي صلى الله عليه وآله
انّه قال انّ من العلم جهلاً وانّ من العقل عيّاً ومعلوم انّ العلم لا يكون جهلاً ولكنّه
يؤثّر تاثير الجهل في الاضرار وانّه قال صلى الله عليه وآله قليل من التّوفيق خير من
كثير من العلم فقد تبيّن انّ معنى كون العلم مذموماً ماذا والّا فالعلم في نفسه اي
علم كان نوع من النّور والظهور قلّ او كثر والنّور لا يكون الّا محموداً بنفسه
وانّما الذّمّ لاجل ما لزم من ضرر او شرّ الحديث الثاني وهو الخامس والاربعون

محمّد بن

محمّد بن يحيى عن احمد بن محمّد بن عيسى عن محمّد بن خالد عن ابي البختري بالباء المنقطة
تحتها نقطة والخاء المعجمة والتاء المنقطة فوقها نقطتين والراء اسمه وهب
بن وهب بن وهب بن عبد الله بن ربيعة بن الاسود ابن عبد المطلب بن عبد
العزى روى عن ابي عبد الله عليه السّلم وكان كذّاباً عاميّاً الّا انّ له احاديث
عن جعفر بن محمّد عليهما السّلم كلّها لا يوثق بها وله احاديث مع الرّشيد في الكذب
قال سعد تزوّج ابو عبد الله عليه السّلم بامّه صه قال الكشي عن علي القيتبي
عن الفضل بن شاذان كان ابو البختري من اكذب البريّة وقال الشيخ
في الفهرست انّه ضعيف عامّي المذهب له كتب روى عن السّندي عنه ره
بن محمّد وابراهيم بن هاشم وسهل بن رجاء الشّيباني عن ابي عبد الله
عليه السّلم قال انّ العلماء ورثة الانبياء وذلك انّ الانبياء لم يورّثوا
درهماً ولا ديناراً وانّما اورثوا احاديث من احاديثهم فمن اخذ بشيء منها
فقد اخذ حظّاً وافراً فانظروا علمكم عمّن تاخذونه فانّ فينا اهل البيت في كلّ
خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتاويل الجاهلين
الشّرح الحديث لغة يرادف الكلام سمّي به لانّه يحدث شيئاً فشيئاً
وفي الاصطلاح كلام خاصّ عن النّبي صلى الله عليه وآله او الامام او الصّحابي او
التّابعي ومن يحذو حذوه يحكي قولهم او فعلهم او تقريرهم وبعض المحدّثين لا يطلق
اسم الحديث الّا على ما كان عن المعصوم والانتحال من النّحلة وهي النّسبة
بالباطل ونحلت القول من باب منع نحلاً اضفت اليه قولاً قاله غيره وادّعيته
عليه وانتحل فلان شعر غيره او قول غيره ادّعاه لنفسه وتنحّله مثله وفلان منتحل

مذهب كذا وقبيلة كذا اذا انتسب اليه قوله عليه السلم ان العلماء ورثة الانبياء ٢٥٨
اعلم ايها الطالب الزكي الفهم اضاء الله قلبك بانوار العلم والعرفان انه كما ان
الولادة قسمان احديهما الصورية وهي المعروفة عند الناس في هذه النشأة
البدنية والاخرى المعنوية وهي ولادة الروح في النشأة الباطنة واشار المسيح
على نبينا وآله وعليه السلم الى الولادتين جميعا بقوله لن يلج ملكوت السموات
من لم يولد مرتين فكذا الوراثة قسمان مالية وعلمية والانبياء عليهم السلم
من حيث كونهم انبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا بل ميراثهم هو العلم والكلام
فورثتهم لا يكونون الا العلماء قال بعض الفضلاء المتأخرين في معرض تحقيق الآل
ما حاصله ان آل النبي صلى الله عليه وآله كل من يؤل اليه وهم قسمان الاول من يؤل
اليه مآلا صوريا جسمانيا كاولاده ومن يحذو حذوهم من اقاربه الصوريين الذين
يحرم عليهم الصدقة في الشريعة المحمدية والثاني من يؤل اليه مآلا معنويا روحانيا
من العلماء الراسخين والاولياء الكاملين والحكماء المتألهين المقتبسين من
مشكوة انواره سواء سبقوه بالزمان او لحقوه ولا شك ان النسبة
الثانية آكد من الاولى واذا اجتمعت النسبتان كان نورا على نور كما في
الائمة المشهورين من العترة الطاهرة صلوات الله عليهم اجمعين وكما حرم
على اولاده الصوريين الصدقة الصورية حرم على الاولاد المعنويين الصدقة
المعنوية اعني تقليد الغير في العلوم والمعارف انتهى ملخص كلامه قوله عليه السلم
وانما اورثوا احاديث من احاديثهم اي احاديث هي بعض من كل احاديثهم
وكما ان المواريث الصورية متفاوتة في القدر والعدد حسب تفاوت القرابة

فكذا

وقد اختلفوا في معنى آل محمد فاكثر علمائنا [illegible] ان آل محمد [illegible] الصدقة [illegible] آل محمد هم الذين [illegible]

فكذا في هذه الوراثة المعنوية من كان اكثر نصيبا واوفر استفادة من النبي صلى الله
عليه وآله كان اشد قرابة وآكد نسبة وليس المراد من اخذ الاحاديث عنهم
عليهم السلم مجرد حفظ الالفاظ الكتابية فان ذلك شيء قليل النفع ليس من الميراث
العلمي بشيء بل اللفظ من الدنيا والاخذ به يشبه الميراث الصوري وانما
المراد اخذ معانيها العلمية ومطاويها العقلية ومضامينها الحكمية كما دل عليه
قوله عليه السلم فمن اخذ بشيء منها فقد اخذ حظا وافرا لان قليلا من العلم والمعرفة
خير مما طلعت الشمس عليه من شرق الدنيا الى غربها قوله عليه السلم فانظروا
علمكم هذا عمن تأخذونه اي تأملوا في علمكم الذي به تكونون من جملة العلماء الذين
هم من وراث الانبياء فان لكل علم وصنعة بيتا واهل بيت مخصوص
والائمة المعصومون عليهم السلم اهل بيت النبوة والعلم واصل شجرة
العلم المعبر عنه بلسان الشريعة بطوبى في دارهم والشجرة الخبيثة كناية
عن العلوم الباطلة والمغاليط الوهمية التي لا حقيقة لها ولا ثبات كما
قال تعالى اشارة الى الاول كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء
تؤتي اكلها كل حين باذن ربها وقال في الثانية كشجرة خبيثة اجتثت من
فوق الارض ~~ثابت وفرعها في السماء~~ ما لها من قرار يثبت الله الذين
آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله
والشجرة الملعونة في القرآن التي نزلت في آل ابي سفيان كناية
عن ما ينتحل به الفجار المنافقون والامراء الباغون والرؤساء المضلون
والائمة المفسدون فالمأخوذ من اهل بيت النبوة عليهم السلم هو ميراث

[illegible] اجتثت [illegible]

الملعونة

العلم والآخذون العلم منهم ورثة الانبياء عليهم السلم المستفيدون بانوارهم دون
من اخذ النصيب من غيرهم فان ذلك ليس علما ولا حكمة بل ما كان الا جدلا
يختصم به طالب المباهاة بالغلبة والافحام او فتوى حكومة يستعين بها القضاة
وغيرهم على الحكومة وفصل الخصام او خطابة يتقنع به الواعظ في مجمع العوام
او سجعا مزخرفا يتوسل به الحطام وقوله عليه السلم فان فينا اهل البيت
في كل خلف عدولا اي ائمة وسطا لهم الاستقامة في طريق الحق من غير
تحريف ولا غلو ولا تقصير فينفون عن العلم ويذبون عن الدين تحريف الغالين
واضلال المضلين ويدفعون انتحال المبطلين اي المنتحلين بالشرع على
الوجه الباطل وهم اكثر المنتسبين الى الشريعة والدين من غير بصيرة
ولا يقين ويبطلون تاويلات الجاهلين المؤولين لكلام الله لا على طريقة
المحرفين للكلم عن مواضعها فاهل البيت عليهم السلم هم الراسخون في العلم
وعندهم تاويل الاحاديث واهل الظاهر والقشر بمعزل عن معرفة بطون
القرآن وتاويل الاحاديث اذ القشر لا يعرف الا القشر واللب لا يعرفه
الا اولوا الالباب وهم الذين عبرت ارواحهم عن عالم الصورة والحس
الى عالم المعنى والعقل فهم يأخذون العلم عن الله بنور الاحوال وغيرهم يأخذون
عن الرجال وليس سبيلهم الا جمع الاقوال واعلم ان الفرق بين اهل البيت
عليهم السلم اعني الاولياء الكاملين وبين غيرهم من العلماء في باب الوراثة
عن النبي صلى الله عليه وآله ان الولي المعصوم من الخطاء لا يأخذ العلم الذي هو
هو ميراث الانبياء والرسل الا بعد ان يرث الله منهم ثم يلقيه اليه الا ان

بالغلبة يتعظ

ينفون عنه الى آخره يعني ان فينا في كل ما يخلف عن النبي صلى الله عليه وآله من العلوم الحقيقية جماعة عدولا

الكاملين عليهم

ساير علماء الرسوم يأخذون العلم خلفا عن سلف عن خلف حتى ينتهي الى
النبي صلى الله عليه وآله او الى الوارث الالهي وهكذا الى يوم القيمة فبعد
النسب واما الاولياء عليهم السلم فهم يأخذون ميراث الانبياء عليهم
السلم عن الله من حيث كونه ورثة وجاء به على هؤلاء فهم ورثة الرسل
ورواة الاحاديث عنهم بمثل هذا السند العالي المحفوظ الذي لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ولاجله قال بعض
اهل الحق اخذتم علمكم ميتا عن ميت واخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت
وقال الله تعالى لنبيه في مثل هذا المقام بعد ذكر الانبياء عليه وعليهم السلم
في سورة الانعام اولئك الذين هدى الله فبهديهم اقتده وكانوا قد
ماتوا وورثهم الله وهو خير الوارثين ثم جاء على النبي صلى الله عليه وآله
بذلك الهدى الذي هداهم به وهذا عين ما ذكرنا في علم الاولياء وهديهم
بهدى النبي وهدى الانبياء عليه وعليهم صلوات الله اجمعين هذا خلاصة
ما ذكره بعض العرفاء وهو تحقيق شريف حقيق بالتصديق والله ولي التوفيق

الحديث الثالث وهو السادس والاربعون الحسين بن محمد عن معلى
بن محمد عن الحسن بن علي الوشا عن حماد بن عثمن عن ابي عبد الله عليه السلم
اذا اراد الله بعبد خيرا فقهه في الدين الشرح يستفاد من هذا الحديث
ان العلم امر وهبي لا يحصل بمجرد العمل والسعي بل يتعلق بمشية الله بل
الانسان بحسب النشأة الباطنة انواع مختلفة والعالم مخالف بغيره
لغيره من افراد البشر مخالفة ذاتية كما دل عليه قوله تعالى هل يستوي الذين

يعلمون والذين لا يعلمون وقول النبي صلى الله عليه وآله الناس معادن
كمعادن الذهب والفضة الحديث وقد مرّ غير مرة ان المراد من التفقه في
الدين ماذا فلا نعيده الحديث الرابع وهو السابع والاربعون محمد بن اسمعيل
عن الفضل بن شاذان عن حماد بن عيسى الجهني البصري ابو محمد مولى وقيل
عربي اصله الكوفة وسكن البصرة روى عن ابي عبد الله وابي الحسن والرضا
عليهم السلم ومات في حيوة ابي جعفر الثاني عليه السلم ولم يحفظ عنه رواية عن الرضا
ولا عن ابي جعفر عليهما السلم وكان ثقة في حديثه صدوقا قال سمعت من ابي عبد الله
سبعين حديثا فلم ازل ادخل الشك على نفسي حتى اقتصرت على هذه العشرين
دعا له ابو عبد الله عليه السلم بان يحج خمسين حجة فحجها وغرق بعد ذلك صه قال
زين المجتهدين كان الغرق في غسل احرام الحج الحادي والخمسين وكان من جهينة
وتوفي سنة تسع ومائتين وقيل ثمان ومائتين بوادي قناة وهو واد يسيل من
الشجرة الى المدينة وهو غريق الجحفة وله نيف وتسعون سنة صه وقال الشيخ
في الفهرست له كتب وقال الكشي اجمعت العصابة على تصحيح ما يصح عنه و
اقروا له بالفقه في آخرين روى الكشي عن حمدويه عن العبيدي عن حماد بن عيسى
قال دخلت على ابي الحسن الاول فقلت جعلت فداك ادع الله ان يرزقني
دارا وزوجا وولدا والحج في كل سنة فقال اللهم صل على محمد وآل محمد وارزقه
دارا وزوجة وولدا وخادما والحج خمسين سنة فلما شرط خمسين سنة علمت
اني لا احج اكثر من خمسين سنة قد رزقت كل ذلك وحججت ثمان واربعين
سنة فحج بعد هذا الكلام حجتين تمام الخمسين ثم خرج بعد حاجا فلما صار في موضع

الاحرام

الاحرام دخل يغتسل فجاء الوادي فحمله فغرقه الماء رحمه الله عن ربعي بن عبد الله
بالباء المنقطة تحتها وبعدها العين المهملة ابن عبد الله ابن جارود بن ابي
سبرة بفتح المهملة وسكون الموحدة ابو نعيم بصري ثقة روى عن ابي عبد الله
وابي الحسن عليهما السلم وصحب الفضيل بن يسار واكثر الاخذ عنه وكان خصيصا
به صه في الفهرست روى عنه ابن ابي عمير وحماد بن عيسى قال الكشي قال محمد
بن مسعود سألت ابا محمد عبد الله بن محمد بن خالد الطيالسي عن ربعي بن عبد الله
فقال هو ابن جارود بصري ثقة عن رجل عن ابي جعفر عليه السلم قال الكمال كل الكمال
التفقه في الدين والصبر على النائبة وتقدير المعيشة الشرح النائبة هي ما ينوب
الانسان اي ينزل به من المهمات والحوادث من ناب عني فلان ينوب منابا
اذا قام مقامي وانتاب فلان القوم انتيابا اتاهم مرة بعد اخرى والنائبة المصيبة
واحدة نوائب الدهر قدّر على الانسان رزقه قدرا مثل قتر وقدر على عياله
قدرا مثل قتر ومعناه ضيق وقدرت الشيء قدرا من التقدير والمراد من تقدير
المعيشة ههنا اما الضيق والعسرة واما كون المعيشة على قدر الكفاية من غير تقتير
ولا توسعة كما في قوله تعالى في معرض المدح والذين اذا انفقوا لم يسرفوا
ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ولكل منهما وجه في كتب العلم فالاول
من جهة رياضة النفس وتصفية الذهن وترقيق القلب والثاني من جهة فراغ
البال وقلة الاشتغال بامور الدنيا تنبيه وتذكرة جعل عليه السلم مجامع الكمالات
الانسانية منحصرة في ثلثة امور العلم والصبر وتقدير المعيشة وذلك لان الخير
والكمال بالحقيقة عبارة عن الاحاطة بالمعلومات والتجرد عن الدنيات وبها

يحصل التخلق باخلاق الله والتشبه بالملائكة المقربين اما التفقه في الدين فبه يحصل الاحاطة
بالمعلومات واما الصبر فهو عبارة عن ثبات باعث الدين وجنود العقل في مقابلة
باعث الهوى وجنود الشهوة وذلك لان التجرد المحض دأب الملائكة المقربين
والتجرد للشر دون الخير سجية اهل الشهوة والهوى كالبهائم والشياطين والرجوع
الى الخير بعد الوقوع في الشر من خواص الادميين والانسان خلق في ابتداء الصبى
ناقصا مثل البهيمة لم يخلق فيه الا قوة الشهوة فليس فيه الا جند الهوى كما في البهائم
ولكن الله فضله ورفع درجته عن درجة البهائم والشياطين بان وكل له ملكين
احدهما يهديه والاخر يقويه فاختص بصفتين احديهما قوة معرفة الله ومعرفة
رسوله والعلم باليوم الاخر وهو التفقه في الدين والثانية قدرة وقوة يدفع بها
في نحر الشهوات فيجاهد بتلك القوة وهي عبارة عن الصبر اذ به فارق
الانسان البهائم في قمع الشهوات والتحمل للشدائد والنائبات واما
التقدير في المعيشة فلان يكون فارغ البال لا يهتم بشيء غير طلب العلم للكمال
وقمع الاعداء للارتحال فالاول هو الكمال بالحقيقة والاخران هما المطلوبان
بالتبع لتوقفه عليهما الحديث الخامس وهو الثامن والاربعون محمد بن يحيى
عن احمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن سنان عن اسمعيل بن جابر الجعفي
الكوفي ثقة ممدوح وما ورد فيه من الذم فقد بينا ضعفه في كتابنا الكبير وكان
من اصحاب الباقر عليه السلم وحديثه اعتمد عليه صح قال النجاشي ثقة ممدوح
له اصول رواها عنه صفوان بن يحيى وهو من اصحاب الباقر عليه السلم روى
عنهما عليه السلم ايضا عن ابي عبد الله عليه السلم قال العلماء امناء والاتقياء

(في الهامش: للارتحال)

حصون

حصون والاوصياء سادة وفي رواية اخرى العلماء منار والاتقياء حصون
والاوصياء سادة الشرح اما كون العلماء امناء الله في ارضه فلانهم حملة كتابه
وحفظة لاسراره وخزنة لحكمته وليس لغيرهم هذا الشأن حتى يكون امينا
اذ ليس من اهل الحفظ والخزانة في شيء واما كونهم منارا في بلاده
كما في الرواية الاخرى فلان بهم يعرف معالم دين الله وسبيل طاعته
وطريق رضوانه واما كون الاتقياء حصونا للشريعة فلان بالتقوى يدفع فساد
المفسدين فان مواظبة اهل التقوى واصحاب الورع على فعل الطاعات
وترك المنكرات تؤثر تاثيرا عظيما في قلوب الناس فلا يجترؤن على
هتك حرمة الشريعة وهم حصونها واما كون الاوصياء سادة فلانهم
اجل العلماء وافضلهم واعظمهم واكملهم والافضل من الافضل اولى بان
يكون افضل واجل فالاوصياء عليهم السلم اولى بان يكونوا سادة الخلايق
اجمعين سوى النبيين عليهم الصلوة والسلم والسادة جمع السيد من ساد
قومه يسودهم سيادة وسوددا وسيدودة فهو سيد وقوم سادة اى
جل وعظم عليهم وتقدير سيد فيعل لانه يجمع على سيائد بالهمزة كتبيع وتبائع
وقيل فعيل وسوده قومه وهو اسود من فلان اى اجل منه وهذا سيد قومه
اليوم وهو سائد قومه عن قليل وفي النهاية فيه انه جاءه رجل فقال انت
سيد قريش فقال السيد الله اى هو الذي يحق له السيادة كانه
كره ان يحمد في وجهه واحب ومنه الحديث لما قالوا له انت سيدنا
قال قولوا بقولكم اى ادعوني نبيا ورسولا كما سماني الله تعالى ولا تسموني

(في الهامش: [illegible])

(في الهامش: [illegible])

(في الهامش: التواضع)

سيّداً كما يسمّون رؤساءكم فانّي لست كاحدهم ممّن يسودكم في اسباب الدّنيا وفي الحديث انا سيّد ولد آدم ولا فخر قاله اخباراً عمّا اكرمه الله تعالى من الفضل والسّؤدد وتحدّثاً بنعمة الله عنده واعلاماً لامّته ليكون ايمانهم به على حسبه وموجبه ولهذا اتبعه بقوله ولا فخر اي انّ هذه الفضيلة التّي نلتها كرامة من الله لم انلها من قبل نفسي ولا بلغتها بقوّتي فليس لي ان افتخر بها ومنه كلّ بني آدم سيّد فالرّجل سيّد اهل بيته والمرأة سيّدة اهل بيتها وفيه قال للانصار قوموا الى سيّدكم يعني سعد بن عباده اراد افضلكم رجلاً وفي رواية انظروا الى سيّدكم اي مقدّمكم الحديث السّادس وهو السّابع والاربعون احمد بن ادريس ابو علي الاشعري القمّي كان ثقة فقيهاً في اصحابنا كثير الحديث صحيح الرّوايات عن محمّد بن حسّان عن ادريس بن الحسن مجهول غير مذكور في كتب الرّجال التّي رأيناها عن ابي اسحق الكندي عن بشير الدّهان روى عن ابي عبد الله عليه السّلم وقيل بسير بالياء والسّين غير المعجمة من اصحاب الكاظم عليه السلم قال قال ابو عبد الله عليه السّلم لا خير فيمن لا يتفقّه من اصحابنا يا بشير انّ الرّجل منهم اذا لم يستغن بفقهه احتاج اليهم فاذا احتاج اليهم ادخلوه في باب ضلالتهم وهو لا يعلم الشّرح لمّا كانت الفرقة النّاجية الفائزة مذهبهم يخالف مذهب العامّة وجماهير الفرق في اكثر الاصول كما دلّ عليه قول الصّادق عليه السّلم حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله الّا ملك مقرّب او نبيّ مرسل او عبد امتحن الله قلبه للايمان فلابدّ للمرء الذّي هو شيعيّ اماميّ المذهب ان يكون متفقّهاً عارفاً باصول هذا المذهب عالماً بمآخذه

وقواعده

وقواعده ليكون على بصيرة في دينه متخلّقاً باخلاق الائمّة عليهم السلام تابعاً منهجهم سالكاً طريقهم والّا لكان اما متحيّراً في دينه لما رأى من محن الفقه لمذاهب الجمهور المنتسبين الى العلم والفضيلة او داخلاً في ضلال اهل الاهواء مفتتناً بطريقة علماء الدّنيا الرّاغبين الى طلب الجاه والرّياسة الضّالين المضلّين للخلق لانّهم ليسوا من دين الله ومعرفته ومعرفة الآخرة في شيء ولا خبر لهم من مفسدات الاعمال ومشوّشات القلوب ومكدّراتها ومبعّدات النّفوس عن الله والدّار الآخرة لاغترارهم بمجرّد حفظ الاقوال ونقل الاخبار والرّوايات وضبط اسامي الرّجال فوجب ان لا يكون المنتحل بهذا المذهب عامياً مقلّداً من غير بصيرة بل عارفاً فقيهاً متديّناً صالحاً ورعاً معرضاً عن الخلق مؤثراً للخلوة مع الله بالمناجاة والفكر والصّمت عن محمّد بن احمد بن ابي نصر البزنطي قال قال ابو الحسن عليه السّلم من علامات الفقه الحلم والعلم والصّمت الحديث السّابع وهو الخمسون علي بن محمّد عن سهل بن زياد عن النّوفلي عن السّكوني عن ابي عبد الله عليه السّلم عن آبائه عليهم السّلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا خير في العيش الّا لرجلين عالم مطاع ومستمع واع الشّرح العيش الحيوة والمراد العيش الآخرة وهي العيشة الرّاضية وقد سبق في الكلام انّ حيوة الآخرة لا تحصل الّا بالعلم بل الحيوة الاخرويّة نفس قوّة العلم والادراك واليه الاشارة بقوله تعالى او من كان ميتاً فاحييناه واما العمل الصّالح فانّما يطلب لكونه وسيلة الى العلم والمعرفة واذا تقرّر هذا فنقول النّاس على اربعة اقسام لانّه اما

جاهل او غير جاهل والثانى اما عالم بالفعل او بالقوة وهو المستمع والاول اما جاحد
للعلم او غير جاحد واذا كانت حيوة الآخرة وعيشها بالعلم فالقسمان
الاولان من اهل العيشة الراضية والنعمة الباقية الا انها للاول بالذات
وللثانى بالتبعية لان الاول منته الى الغاية والثانى فى سبيل الهداية
واما الآخران فالثالث من اهل النقمة والعذاب والمعيشة الضنك والرابع مرجا
فى مشية الله تعالى او فى الرحمة الواسعة الحديث الثامن وهو الحادى
والخمسون على بن ابرهيم عن ابيه عن ابن ابى عمير ومحمد بن يحيى عن احمد
بن محمد عن ابن ابى عمير عن سيف بن عميرة عن ابى حمزة عن ابى جعفر عليه السلم
قال عالم ينتفع بعلمه افضل من سبعين الف عابد الشرح قد علمت
ان العقل وهو الصورة المفارقة عن المواد والتغيرات والنقايص و
الاعدام والشرور اقرب المجعولات اليه تعالى واكرم المنظورات لديه
والانسان فى اول النشأة عقل بالقوة جسمانى بالفعل ومن شأنه
ان يخرج من القوة الى الفعل ومن الظلمة الى النور فيصير عقلا بالفعل بعد
ما كان عقلا بالقوة نفسا بالفعل وانما الشئ الذى به يصير جوهرا نورانيا
عقليا بالفعل هو العلم اعنى الملكة الراسخة الحاصلة للنفس الانسانية
عقيب تكرر الادراكات والانظار العقلية وتكرار التأملات والافكار
العلمية واذا حصلت تلك الملكة النورية فى قلب المؤمن بالفيض الربانى
يحصل له بصيرة عقلية يترآى له حقايق الاشياء كما هى فيراها رؤية عقلية
كما يرى صور الاشياء الحسية ببصره الحسى وهو نور حسى يفيض على العين
الصحيحة باشراق الشمس عليها فتلك الملكة العلمية اصل كل سعادة وخير ودفع اصل كل
كل شقاوة

كل شقاوة وشر وهو غاية كل سعى وحركة ونهاية كل عمل وطاعة فاى فضيلة
ومنقبة افضل واشرف مما يجعل به الحيوان البشرى ملكا مقربا والبواهر الظلمانى
نورا عقليا والاعمى بصيرا والضال مهتديا هاديا والسفلى علويا والمسجون
فى سجين صايرا فى عليين فالعلم هو الاكسير الكبير اذ به يصير القلب الاسود
الكاسد نقدا رايجا فى سوق الآخرة والحديد القاسى الجامد درة بيضاء
بل كوكبا دريا يستضئ بنوره اهل الارض والسماء وهو الدرياق الفاروق
الذى به يفرق بين الحق والباطل وبه يميز الخبيث من الطيب وهو النور الذى
يحيى به الاموات ويسعى بين ايدى المؤمنين وبايمانهم يوم جزاء الحسنات
والسيئات وهو القوة التى يقع بها الطيران الى عالم العرش فوق السموات
واية نسبة فى الفضل والشرف بينه وبين الاعمال والحركات وآداب
الجوارح فى الطاعات ونسبة العلم الى العمل كنسبة القلب الى القالب
والروح الى الاعضاء فحق ان عالما ينتفع بعلمه افضل من سبعين الف عابد
وهذه النسبة ايضا اى نسبة سبعين الف الى الواحد انما يكون محققة
لاجل ما فى العبادة من رايحة العلم اذ النية معتبرة فيها والنية ضرب من المعرفة
والا فلا نسبة بين العلم ومجرد العمل بلا نية الحديث التاسع وهو الثانى
والخمسون الحسين بن محمد عن احمد بن اسحق المسمى باحمد بن اسحق
رجلان اثنان كلاهما ثقتان احدهما الرازى من اصحاب الهادى عليه السلم
ثقة اورد الكشى ما يدل على اختصاصه بالجهة المقدسة صه حكى بعض
الثقات بنيسابور انه خرج لاسحق بن اسمعيل من ابى محمد عليه السلم

توقيع باسحق بن اسمعيل الى ان قال فليؤد حقوقنا الى ابراهيم وليحمل ذلك ابراهيم
بن عبدة الى الرازى رضـ او الى من يسمى له الرازى فان ذلك عن امرى
ورأيى ان شاء الله انتهى وقد اوردمن ذلك فى ابن اسحق القمى ويحتمل
الاتحاد والثانى القمى وهو احمد بن اسحق بن عبد الله بن سعد بن مالك بن
الاحوص الاشعرى وكان وافد القميين روى عن الجواد والهادى عليهما السلم
وكان خاصة ابى محمد عليه السلم ورأى صاحب الزمان عليه السلم وهو شيخ
القميين وكان صالحا ثقة صه وروى الكشى عن ابى محمد الرازى قال كنت
انا واحمد بن ابى عبد الله بالعسكر فورد علينا رسول من الرجل فقال لنا الغائب
العليل ثقة وايوب بن نوح وابراهيم بن محمد الهمدانى واحمد بن حمزة واحمد
بن اسحق ثقات جميعا وقال الشيخ فى كتاب الغيبة وقد كان فى زمان
السفراء المحمودين اقوام ثقات ترد عليهم التوقيعات من قبل المنصوبين
للسفارة من الاصل ثم قال ومنهم احمد بن اسحق وجماعة خرج التوقيع فى
مدحهم روى احمد بن ادريس عن محمد بن احمد عن محمد بن عيسى عن ابى محمد
الرازى قال كنت واحمد بن ابى عبد الله بالعسكر فورد علينا رسول الله
من قبل الرجل فقال احمد بن اسحق الاشعرى وابراهيم بن اسحق الاشعرى و
ابراهيم ابن محمد الهمدانى واحمد بن حمزة اليسع ثقات وفى ربيع الشيعة
انه من الوكلاء وانه من السفراء والابواب المعروفين الذين لا يختلف
الشيعة القائلون بامامة الحسن بن على عليهما السلم فيهم والظاهر ان المذكور
ههنا هو الاول لكونه رازيا كالكلينى رحمهما الله واحتمال الاتحاد ايضا قوى كما مر

عن سعد

عن سعد بن مسلم اسمه عبد الرحمن كوفى من اصحاب الصادق عليه السلم قال النجاشى
ابو الحسن العامرى مولى ابى العلا كرز بن جميد العامرى من عامر بن ربيعة روى عن
ابى عبد الله وابى الحسن عليهما السلم وعمر عمرا طويلا وقال الشيخ فى الفهرست
له اصل روى عنه محمد بن عذافر وصفوان ابن يحيى والعباس بن معروف
وعبد الله بن الصلت القمى واحمد بن اسحق انتهى عن معوية بن عمار بن ابى معوية
خباب بن عبد الله الدهنى مولاهم كوفى ودهن بضم الدال واسكان العين
من بجيلة هو دهن بن معوية بن مسلم بن احمس بن الغوث بن انمار كان
وجها فى اصحابنا ومقدما كبير الشان عظيم المحل ثقة وكان ابوه عمار ثقة فى العامة
وجيها يكنى ابا معوية عن ابى عبد الله وابى الحسن موسى عليهما السلم ومات
سنة خمس وسبعين ومائة صه قال الكشى انه كان مبيع السابرى
وعاش مائة وخمسا وسبعين سنة وقال على بن احمد العقيقى لم يكن معوية
بن عمار عند اصحابنا بمستقيم كان ضعيف العقل مامونا فى حديثه وقال النجاشى
يكنى ابا معوية وابا القاسم وابا حكيم وكان له من الولد القاسم وحكيم ومحمد
وقال فى الفهرست له كتب روى عنه ابن ابى عمير ومحمد بن سكين وصفوان بن يحيى
قال قلت لابى عبد الله عليه السلم رجل راوية لحديثكم يبث ذلك فى الناس
ويشدده فى قلوبهم وقلوب شيعتكم ولعل عابدا من شيعتكم ليست له هذه
الرواية ايهما افضل قال الراوية لحديثنا يشد به قلوب شيعتنا افضل من الف عابد
الشرح التاء فى الراوية للمبالغة كما فى العلامة والنسابة معناه كثير الرواية
وبث الحديث نشره واظهاره وفى حديث ام زرع زوجى لا ابث خبره

ای لا انشره لقبح اثره وبث الخبر وابثه بمعنی وانبثثت سری اظهرته لک وبثث الخبر شدد للمبالغة وفيه ايضا لا تبثث حديثنا تبثيثا والشدة القوة 265
وشد عضده ای قواه وشده ای اوثقه فقوله ويشده فی قلوبهم ای نؤکد
حديثکم وتقويته فی قلوب العامة وقوله يشد به قلوب شيعتنا ای يقوی بسبب الحديث
بث الحديث عقيدة قلوبهم ويزداد ايمانهم ومحبتهم لنا اهل البيت فان قلت
الوارد فی الحديث السابق ان العالم المنتفع بعلمه افضل من سبعين الف عابد وفی
هذا الحديث ان الراوية للحديث افضل من الف عابد فما وجه التوفيق بينهما حيث ان
مرتبة الثانی فی الفضل جزء من سبعين جزءا من مرتبة الاول فيه قلنا له وجهان احدهما
ان الراوی للحديث لا يعتبر فی مفهومه ومعناه الا ضبط الفاظ الحديث ونقلها او بها
مع فهم مدلولاتها اللغوية ولا يعتبر فيه ان يکون له علم بحقايق معانيها او له قوة الفکر والروية
فی استنباط معانيها العقلية فليس کل حامل حديث عالما بما فيه فليست رتبة الراوی
والمحدث وان حفظ جميع الاحاديث کرتبة العالم والفقيه ومع ذلک لا يبعد ان
يکون افضل من العابد بالف درجة لان رواية الراوی وسيلة لحصول العلم و
استفادة المعرفة واليقين بخلاف عبادة العابد فانها لا يتعدی خيرتها
ولو تعدت لم يتعد بان يصير وسيلة الی حصول علم ومعرفة فشتان ما بين
الوسيلتين وسيلة العلم ووسيلة العمل کما بين اصليهما وثانيهما ان يکون
المراد من الالف او سبعين الف مجرد الکثرة اللامعدود والعدد اللامحصور
لا خصوصية المرتبة کما هو المتعارف من الناس فی بيان التفاضل الفاحش
بين شيئين والله اعلم **باب** اصناف الناس

وهو الباب

وهو الباب الرابع وفيه اربعة احاديث الحديث الاول وهو الثالث
والخمسون علی بن محمد عن سهل بن زياد ومحمد بن يحيی عن احمد بن محمد بن عيسی
جميعا عن ابن محبوب عن ابی اسامة هو زيد الشحام بن يونس وقيل ابن
موسی وقال زين المتاخرين فی حاشيته صه جعل ابن داود ابن موسی غير
ابن يونس وانه واقفی وسيأتی فی قسم الضعفاء ما يناسبه انتهی وهو
ابو اسامة مولی شديد بن عبد الرحمن بن نعيم الازدی الغامدی الکوفی
روی عن ابی عبد الله وابی الحسن عليهما السلم ثقة عين صه عن هشام بن
سالم غير معروف ولا مذکور فی کتب الرجال عن ابی حمزة عن ابی اسحق
السبيعی ممن يثق به قال سمعت امير المومنين عليه السلم يقول ان الناس
آلوا بعد رسول الله صلی الله عليه وآله الی ثلثة آلوا الی عالم علی هدی من الله
قد اغناه الله بما علم من علم غيره وجاهل مدع للعلم لا علم له معجب بما عنده وقد
فتنته الدنيا وفتن غيره ومتعلم من عالم علی سبيل هدی من الله ونجاة ثم هلک
من ادعی وخاب من افتری الشرح قوله عليه السلم آلوا بفتح اللام من
آل الشیء يؤل الی کذا ای رجع وصار اليه وفيه من صام الدهر فلا صام ولا
آل ای لا رجع الی خير والاول الرجوع وقد مر معنی آل النبی صلی الله عليه وآله
وهم بالحقيقة الذين آلوا اليه فی طريق الهداية ومنهج الحق واليقين الفتنة
فی الاصل الامتحان والاختبار وافتتن الرجل وفتن فتونا فهو مفتون اذا
اصابته فتنة فذهب ماله وعقله وکذلک اذا اختبر والفاتن المضل عن
الحق والفتان بالضم جمع الفاتن وبالفتح هو الشيطان لانه يفتن الناس

قال الجوهری آل الرجل اهله وعياله وآله ايضا اتباعه

الذين وفتّان من صيغ المبالغة في الفتنة وقد كثرت في الحديث الاستعاذة
من فتنة القبر وفتنة الدجّال وفتنة المحيا والممات وغير ذلك وقوله عليه السلام
وقد فتنة الدنيا وفتن غيره اي قد اضلّته الدنيا واوقعته في فتنة الجاه والمال
وحبّ الرياسة وهو اضلّ غيره واوقعهم فيما وقع فيه من المهالك لاستحسانهم
ما رأوه منه بسبب اشتهاره بالعلم الظاهر مع افلاس باطنه عن حقيقة
العلم ومعنى الحديث انّ الناس كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله
على قسمين امّا علماء هادين وامّا متعلّمين مهتدين لا ثالث لهم فصاروا
بعد رسول الله الى ثلثة اقسام احدها عالم على هدى من الله وبيّنة من ربّه اخذ
علمه من الله على وجه الالهام والالقاء في الروع لا جرم قد اغناه الله بعلمه الفايض
من لدنه عن علم غيره وثانيها جاهل القلب مغرور ممكور مدّع للعلم لاجل حفظه للاقوال
وحمله للاسفار او وقوعه في صحبة المشايخ والرجال والحال انّه جاهل لا علم
له وقلبه اعمى لا بصيرة له معجب بما عنده من ظواهر الاقوال وصور الاحاديث
او المجادلات الكلامية والمغالطات الفلسفية او الخيالات والتمويهات
التصوفية او الخطابات الشعرية التي يجلب بها نفوس العوام وسايرها اغترّت
به علماء الدنيا الراغبون في المال والجاه والصيت والشهرة فهو من الذين
غرّتهم الحيوة الدنيا عن الآخرة والذين نسوا الله فانساهم انفسهم والذين يخادعون
الله والذين آمنوا وما يخدعون الّا انفسهم في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا
والذين اتخذوا دينهم هزوا ولعبا والذين ضلّ سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون
انهم يحسنون صنعا والذين اذا جاءتهم رسلهم بالبيّنات فرحوا بما عندهم من العلم
وحاق

وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن الى غير ذلك من ذمايم الاخلاق والاحوال المذكورة
عنهم في القرآن وثالثها طالب العلم متعلّم ممن علّمه الله فهو وان لم يكن بالفعل على هدى
لكنّه واقع على سبيل الهدى والنجاة من العذاب كما انّ العالم على هدى من الله
وفضل ورحمة والحاصل انّ الاقسام الثلثة احدها واصل الى المطلوب والثاني
معرض عنه منحرف عن سمته والثالث سالك اليه واقع في طريقه فان قلت
ههنا قسم رابع كما ذكرته فيما سبق وهو الابله الغافل الذي ليس بمتعلّم ولا
ضالّ قلت الكلام فيمن ليس من اهل القصور والزمانة والنقيصة بل فيمن كانت له
قوّة الارتقاء الى ملكوت السماء ولانّ قوله عليه السلام انّ الناس آلوا بعد
رسول الله صلى الله عليه وآله يدلّ على انّ الكلام فيمن كان من الصحابة الذين
ادركوا المدينة والصحبة وشاهدوا الوحي ورأوا الآيات والمعجزات ومثلهم
لا يخلو عمّا يتزيّن به الانسان او يفتخر به على الاقران امّا بحقّ او بشبهة حقّ ثم قال
عليه السلام بعد ما ذكر الاقسام هلك من ادّعى وخاب من افترى وانما هلك
المدّعي للعلم وخاب المفتري على الله لانّ الحيوة الاخروية والبقاء السرمدي
انّما يحصل بالعلم بالله واليوم الآخر وهو الايمان الحقيقي فالعالم بالفعل حيّ
بتلك الحيوة وانما يمنعه التحقق بها والالتذاذ بمشتهياتها الاحتجاب بهذا البدن
وهذه الحيوة الطبيعية والمتعلّم الناجي حيّ بالقوّة اذ فيه استعداد الوصول الى
تلك الحيوة وهو على سبيلها وامّا المدّعي للعلم مع جهله المشفوع بالغرور والاستكبار
المقرون بالاستنكاف عن التعلّم مع اللجاج والعناد والفرح بما عنده من
شبه العلم فقد ابطل استعداده وضلّ عن طريق معاده فهو من الهالكين في

الآل اذ بطلت قوته في المال وانما خاب وخسر لانه قد فسدت
مرآت قلبه لما ارتكمت عليها من القساوات والظلمات وعميت
بصيرته بالغشاوات والكدورات كقوله تعالى بل ران على قلوبهم
ما كانوا يكسبون فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
تبصرة وتذكرة اعلم ان اكثر هؤلاء غرورا وعجبا جماعة اقتصروا على علم
الفتاوى والاحكام وحفظ مسائل الحلال والحرام وزعموا انه علم الدين
وعلم كتاب الله وسنة سيد المرسلين وتركوا علم طريق الآخرة و
مجاهدة النفس وتهذيب الباطن عن ذمايم الاخلاق ونهى النفس عن
الهوى وتطهير القلب بالزهد والتقوى عن ارجاس الشهوات وادناس
الخطيئات ورفضوا بالكلية طريق المعرفة والفقه عن الله بادراك عظمته
وجلالته وتوحيده وتقديسه وان منه البدا والانشاء واليه العود والرجعى
وهو العلم الذي يورث الخوف والهيبة والخشوع ويبعث الاطلاع على
حقارة الدنيا ودثورها وفنائها وعظمة الآخرة ودوامها وبقائها وبه يحصل
الوقوف والعثور على حقيقة البعث والنشور وذلك من اغمض المعارف
وادق العلوم واكثر الخلق منه غافلون بل عنه معرضون قل هو نبأ عظيم انتم
عنه معرضون وكثير من القائلين بالبعث على توهمات سخيفة وتخيلات
فاسدة او مبهمة وغاية ما تخيلوا ان الموت عدم والبعث ايجاد مقيد
بانه بعد عدم مثل الايجاد الاول والجميع ضلال واضلال وغلط ووبال فاما
ظنهم ان الموت عدم فهو باطل بل الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وان
القبر

سخيفة

القبر اما روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران والميت اما سعيد او
شقي اما السعداء فاولئك ليسوا امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون
فرحين بما آتيهم الله من فضله واما الاشقياء فهم ايضا احياء بضرب آخر
من الحيوة ولذلك ناداهم الرسول صلى الله عليه وآله في واقعة بدر ثم لما
قال له عمر انهم موتى لا يسمعون قال ما انتم لما اقول باسمع منهم لكنهم لا يقدرون
على الجواب وقال تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم القيمة
ادخلوا آل فرعون اشد العذاب واما ظنهم ان البعث ليس الا ايجادا
ثانيا وهو مثل الايجاد الاول فهو ايضا غير صحيح بل البعث انشاء آخر لا يناسب
الانشاء الاول اصلا بل الانسان نشئات كثيرة وبوجوده شئونات
وتقلبات وحركات جوهرية ذاتية من نشأة الى نشأة وطور الى طور
بعد نشأة الدنيا في القبر والبرزخ والحشر والعرض الى ان شاء الله كما
له نشأة في اطوار الخلقة الى ان انشأه الله خلقا آخر وهو احسن اطوار
الخلقة الدنياوية ولهذا اعقبه ذكره بقوله سبحانه فتبارك الله احسن الخالقين
وقال تعالى وقد خلقكم اطوارا ثم ظهور خاصية الولاية لمن رزق له نشأة اخرى
ثم ظهور نشأة النبوة طورا آخر والله باعث الرسل عليهم السلم كما انه باعث
يوم القيمة وكما يعسر على ابن المهد فهم حقيقة التميز وما ينكشف في طور العقل
من العجايب يعسر فهمه على المميز قبل حصول العقل فكذلك يعسر فهم طور الولاية
والنبوة في طور العقل الذي عليه اكثر الناس وكما ان من طباع الناس
انكار ما لم يبلغوه ولم ينالوه فمن طباعهم ايضا انكار النشأة الثانية والحيوة

للانسان

[illegible]

الآخرة وهو حيوة العلم وشهود الملكوت لان نشأة الولاية والنبوة ايضا من ظهور
سلطان الآخرة فمن انكر حقيقة الآخرة فقد انكرهما لا محالة ولم يعرف النبي بما
هو نبي والولي بما هو ولي ولا شك ان هؤلاء المغترين بصورة العلم المشغوفين
بما عندهم من العلم منكرون لهذه النشآت اذ لا خبر لهم عن العلوم التي هي بالحقيقة
علوم وعن المعارف التي اشرنا اليها فلا جرم اعرضوا عنها وجحدوها استكبارا
وعتوا وقالوا مثل ما قال الاولون واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك
قديم واكثرهم على طباع السباع والاساود خلقهم الايذاء وطبعهم التفاخر والاستعلاء
على الاقران والتطاول على الناس ولا يقصدون العلم الا لضرورة ما يلزمهم
من المباهات فكل علم لا يحصل به المباهات والتظاهر والتفاخر فلا وقع له عندهم
كعلم القلب وعلم سلوك الآخرة ومحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة
بل انهم يستحقرونه ويسمونه التزويق والتخييل وانما التحقيق عندهم اما معرفة
المجادلات الكلامية في المذاهب وتفاصيل العربدة والنزاع من ارباب
المذاهب واصحاب الدعاوي والخصومات او معرفة الفروع الخلافية
والترجيحات في قوانين حفظ الابدان والانساب والاموال فحفظ الاموال
بشروط المعاملات وحفظ الانساب بشروط المناكحات وحفظ الابدان
بدفع القتل والجراحات ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب وان المال
آلة وعلف للدابة الماشية في طريق الله والبدن مركب والنفس راكبة
عليه في الذهاب الى الله كما قال المسيح النوراني على نبينا وآله وعليه السلم
وزادوا الآخرة العلم والتقوى وانما العلم المهم هو معرفة النفس وحفظها

عن المهلكات

عن المهلكات والموذيات ومعرفة زادها وطريقها الى الله واستقامتها
على الصراط ومعرفة قواطعها وعقباتها التي هي الصفات المذمومة وهي الحجب
بينها وبين الله فاذا مات العبد ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا عن
ربه كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ومن احتجب عن ربه كان في عذاب
الجحيم ثم انهم لصالوا الجحيم بل كل ميسر لما خلق له ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان
انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل
الحديث الثاني وهو الرابع والخمسون الحسين بن محمد الاشعري عن معلى بن
محمد عن الحسن بن علي الوشاء عن احمد بن عائذ بالذال المعجمة ابو حبيب
الاحمسي بالسين الغير المعجمة البجلي مولى ثقة كان صحب ابا خديجة سالم
بن مكرم واخذ عنه وعرف به وكان حلالا صه قال الكشي قال محمد بن
مسعود سألت ابا الحسن علي بن الحسن بن فضال عن احمد بن عائذ كيف
هو فقال صالح كان يسكن بغداد وانا لم القه وفي كتاب الفاضل الاسترابادي
احمد بن عائذ بن حبيب فابو حبيب كما في صه سهو من اصحاب الصادق
عليه السلم انتهى عن ابي خديجة اسمه سالم بن مكرم بن عبد الله ويقال
ابو سلمة الكناسي يقال صاحب الغنم مولى بني اسد الجمال يقال كنيته
كانت ابا خديجة وان ابا عبد الله سماه ابا سلمة ثقة ثقة روى عن ابي عبد الله
وابي الحسن عليهما السلم له كتاب روى الحسن بن علي الوشا عنه قاله النجاشي
وسيأتي تتمة شرح احواله عند اسم سالم بن مكرم عن ابي عبد الله عليه السلم
قال الناس ثلثة عالم ومتعلم وغثاء الشرح الغثاء بالغين المعجمة المضمومة

والثاء المثلثة والالف الممدودة ما يجيء فوق السيل مما يحمله من الزبد والوسخ
وجاء في كتاب مسلم كما تنبت الغثاءة يريد به ما احتمله السيل من البزورات
وفي حديث القيمة كما تنبت الحبة في غثاء السيل وقد تكرر في الحديث
اريد اراذل الناس وسقطهم والوجه في حصر اصناف الناس في هذه الثلثة
ان لكل نوع من انواع الموجودات الطبيعية غاية لاجلها خلقت وبها تمامه
وكماله وغاية خلقة الانسان ان يستكمل بالعلم والطاعة ويحيى حيوة ثانية هي
حيوة العلم والعرفان وبها يستحق النعيم الدايم والسعادة الابدية فالناس اما واصلون
الى هذه الغاية وهم العلماء اي الذين خرجت نفوسهم من القوة الى الفعل في باب
العقل والمعقول لا في باب الادراكات الخيالية او الوهمية وساير ما يعده
الجمهور علما وفضيلة واما في طريق الوصول وسبيل الهدى وهم المتعلمون
الذين اشتغلوا باكتساب العلوم الحقيقية التي يصير النفس بها عقلا وعاقلا
بالفعل والقسم الباقي هو الذي ليس بواصل الى ما خلق لاجله ولا في طريق الوصول
اليه فهو من الهالكين اذ بطل معاده وفسد استعداده وانما استعير لاسمه
الغثاء لمشاركته معها في بطلان الصورة وفساد القوة التي تحرك المادة
الى صورة اخرى فوقها هي غاية الاولى وكمالها في ساير ~~الطبيعة~~ الطبايع   الاولى
التي هي متوجهة بالفطرة التي فطرها الله عليها الى ما هو اشرف منها واقرب
الى جهة الاخرة ودار البقاء والقرار اذ الموجودات كلها على مراتبها ومنازلها
في القرب والبعد من الحق تعالى متوجهة نحوه سايرة اليه تعالى ما دامت على
صورتها وفطرتها الاصلية لكن اذا فسدت او انسلخت عن صورتها بعروض

عارض

عارض مفسد كالغثاء ونحوها من المواد المتعفنة والصور العاطلة الفاية وقفت
عن طلب غايتها وتعطلت عن سيرها قال تعالى ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا
الخيرات الا ترى المعادن يستحيل الى اجسام النبات والنبات يستحيل
الى اجسام الحيوان واشرف الحيوانات هو الانسان فصورة النبات
صراط ممدود وقد جاوزتها النفس الحيوانية ونجت منها ما من دابة الا
هو اخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم وصورة الحيوان صراط ممدود
وقد جاوزتها النفس الانسانية ونجت منها وصورة الانسان صراط
مستقيم من النار والجنة واقع على متن جهنم التي قال تعالى في شانها
وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر
الظالمين فيها جثيا وهذه الصورة آخر باب في جهنم فان النفس جاوزتها نجت
من جهنم ودخلت الجنة التي فيها الصور الخالصة الطاهرة كصورة الملائكة
والروحانيين والا تردت الى اسفل سافلين كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان
في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الاية فالعلماء الربانيون هم الذين
جاوزوا هذه الصراطات والحجب ووصلوا الحجب المرتبة والمقام الى
النعيم المقيم واما المتعلمون منهم المقتدون بهم فهم في سمتهم سالكون سنتهم
سايرون على آثارهم مقتفون فان وصلوا الى الغاية وفازوا بالبلوغ
الى النهاية فذاك والا فاجرهم على الله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله
ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله فهولاء الاتباع حشرهم مع
اولئك الاخيار واما القسم الثالث فان لم يكن جهلهم مقرونا بالعناد والاستكبار

فهم فى رحمة الله الواسعة والا فالهم كما افصح الله عنه بقوله والذين كفروا الى جهنم
يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه
جميعا فى جهنم اولئك هم الخاسرون واحسن من هذا البيان واوضح واصرح
من هذا القرآن النازل من عند الله الرحمن لا يكون ولا كان ولكن اهل المغرور
بما عنده من القشور عسوف والجمود على صورة ما فى يديه من العلم مشغوف
لظنه ان العلم الممدوح المشكور عند الله ورسله هو الذى اخذه من افواه
الرجال ويحفظ به الابدان والانساب والاموال وينتظم به هذه الحيوة بدفع
الجراح والقتال وانه الموجب للشهرة والجاه والتسلط على الاقران والاشباه
ومن يضلل الله فلا هادى له ونذرهم فى طغيانهم يعمهون الحديث الثالث وهو
الخامس والخمسون محمد بن يحيى عن عبد الله بن محمد كانه عبد الله بن محمد
بن حصين الحصينى بالحاء المهملة والنون قبل الياء وبعدها الاهوازى روى
عن الرضا عليه السلم ثقة ثقة جرت الخدمة على يده للرضا عليه السلم او عبد الله
ابن محمد بن خالد بن عمر الطيالسى ابو العباس وهو ايضا ثقة كما فى صه
عن على بن الحكم من اهل الانبار قال الكشى عن حمدويه عن محمد بن عيسى ان
على بن الحكم هو ابن اخت داود بن النعمان بياع الانماط وهو نسيب بنى الزبير
الصيارفة وعلى بن الحكم تلميذ ابن ابى عمير ولقى من اصحاب ابى عبد الله عليه السلم
مثل ابن فضال وابن بكير عن علا بن رزين عن محمد بن مسلم عن ابى حمزة الثمالى
قال قال لى ابو عبد الله عليه السلم اغد عالما او متعلما او احب اهل العلم
ولا تكن رابعا فتهلك ببغضهم الشرح اغد صيغة امر من الغدو بالضم

وهو سير

وهو سير اول النهار نقيض الرواح وقد غدا يغدو غدوا والغدوة البكرة
ما بين صلوة الغداة وطلوع الشمس وقد تكرر فى الحديث اسما وفعلا
واسم فاعل وغيره والمراد ههنا مطلق الصيرورة اى اصبح عالما او
متعلما او كن محبا لاهل العلم ولا تكن قسما رابعا اى غير عالم ولا متعلم ولا محب
لها فتكون من الهالكين اى المعذبين بنار الجحيم وقوله عليه السلم فتهلك ببغضهم
اى بسبب عداوتك وحسدك لهم باضافة المصدر الى المفعول وفيه
اشعار بان المقسم المنقسم الى هذه الاقسام ما سوى النفوس القدسية
الساذجة عن الدواعى النفسانية والاغراض والامراض الباطنية وفى بعض
النسخ بالعين المهملة وعلى تقديره كان فيه مضاف محذوف اى ببعداوة
بعض هذه الثلثة او حسده وتربيع الاقسام فى هذا الحديث لا ينافى تثليثها
كما فى الحديث السابق فان القسمين الاخيرين ههنا داخلان فى القسم الثالث
الذى هناك كما وقعت الاشارة اليه الحديث الرابع وهو السادس
والخمسون على بن ابراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس عن جميل عن ابى
عبد الله عليه السلم قال سمعته يقول يغدو الناس على ثلثة اصناف عالم
ومتعلم وغثاء فنحن العلماء وشيعتنا المتعلمون وساير الناس غثاء الشرح
يا حبيبى ايدك الله انه يستفاد من هذا الحديث امور قد اكثرنا ذكرها وكررنا
بيانها عند اصحابنا المعاصرين واستبعد عند اكثرهم بل كلهم ما ادعيناه كما ير
ما تفردنا بتحقيقه منها ان المراد من العلم الممدوح عند الله ليس ما اصطلح عليه الجمهور
وسموه فقها واعتقدوا الماهر فيه من علماء الدين فان اختصاص العلم بهم

ومن يتلوهم من الاولياء الكاملين والعلماء الراسخين كما في هذا الحديث نص على
ان المراد به العلم الالهي والحكمة الدينية المشار اليها في القران الحكيم في مثل قوله
وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وقوله ومن يؤت
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وقوله فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ومحبة العبد
لله تعالى فرع عرفانه بالله وظاهر ايضا ان المحبوبين لله تعالى لا يكونون الا العلماء
الربانيين ومنها ان المراد من شيعة علي واولاده عليه وعليهم السلم ليس مجرد
المحب لهم بقلبه ولسانه من غير ان يعرف ما هم عليه من خصايص العلوم الباطنة
والاسرار الغامضة التي هم عليه دون علماء الرسوم فانهم اهل التاويل والراسخون
في العلم بخلاف علماء الدنيا الذين هم حملة اسفار ونقلة اخبار وهم المصطلح
عليهم عندا ولئك المصطفين الاخيار بالعامة اذ المراد بهم المقتصرون على الظواهر
الشرعية المترسمون بالعلم من غير بصيرة قلبية ورؤية عقلية من اية فرقة كانوا
من فرق الاسلام ويؤيد هذا ما ذكره الشيخ العارف المحقق عبد الرزاق القاساني
في كتابه المسمى باصطلاحات الصوفية العامة هم الذين اقتصرت علومهم على
الشريعة ويسمى علماؤهم علماء الرسوم ومنها ان الايمان عبارة عن معرفة الله
ومعرفة الملئكة والكتب والرسل والائمة ومعرفة اليوم الاخر ويندرج فيها
معرفة النفس ودرجاتها واحوالها ومنازلها في القيمة والعلم بالقبر والبعث
والحشر والحساب والميزان وتطاير الكتب وغير ذلك وهذه مرتبة عظيمة
فوق الاسلام الذي يقع به حقن النفوس والاموال وصحة العقود والمناكحات
والمعاملات ولذلك قال تعالى وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وقال

قالت

ذكر الملئكة

الباب الخامس في ثواب العلم

قالت الاعراب امنا الاية ويدل عليه ايضا ما ورد من الاحاديث في فضل
المؤمن وعظيم منزلته عند الله باب ثواب العلم والتعلم وهو الباب
الخامس وفيه ستة احاديث الحديث الاول وهو السابع والخمسون
محمد بن الحسن وعلي بن محمد عن سهل بن زياد ومحمد بن يحيى عن احمد بن
محمد جميعا عن جعفر بن محمد الاشعري عن عبد الله بن الميمون القداح
بن الاسود كان يبري القداح مولى بني مخزوم روى ابوه عن ابي جعفر وابي
عبد الله عليهما السلم وروى هو عن ابي عبد الله عليه السلم وكان ثقة وروى
الكشي عن حمدويه عن ايوب بن نوح عن صفوان بن يحيى عن ابي خالد
القماط عن عبد الله بن ميمون عن ابي جعفر عليه السلم قال يا ابن ميمون
كم انتم بمكة قلت نحن اربعة قال انكم نور الله في ظلمات الارض قال
العلامة في صحة هذا لا يفيد العدالة لانه شهادة منه على نفسه لكن الاعتماد على
ما قاله النجاشي وروى الكشي عن جبرئيل بن احمد قال سمعت محمد بن عيسى
يقول كان عبد الله ابن ميمون يقول بالتزيد وفي هذا الطريق ضعف
وعلي بن ابراهيم عن ابيه عن حماد بن عيسى عن القداح عن ابي عبد الله
عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه واله من سلك طريقا يطلب فيه
علما سلك الله به طريقا الى الجنة وان الملئكة لتضع اجنحتها لطالب العلم
رضا به وانه يستغفر لطالب العلم من في السماء ومن في الارض حتى
الحوت في البحر وفضل العالم على العابد كفضل القمر على ساير النجوم ليلة البدر
وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ولكن

٢٧١

ورثوا العلم فمن اخذ منه اخذ بحظ وافر الشرح هذا الحديث مشتمل على خمسة
احكام في فضيلة العلم ونحن نريد ان نبين كل واحد منها ببيان حكمي وبرهان
عقلي لمي اما قوله صلى الله عليه وآله من سلك طريقا الى قوله في الجنة فالوجه
اللمي فيه ان الامور على اربعة اقسام قسم يرضاه العقل ولا يرضاه الشهوة
وقسم يرضاه الشهوة ولا يرضاه العقل وقسم يرضاه العقل والشهوة
وقسم لا يرضاه العقل والشهوة فالاول هو الامراض والمكاره في الدنيا
واما الثاني فهو المعاصي اجمع واما الثالث فهو العلم واما الرابع فهو الجهل فمن
اشتغل بالعلم فقد خاض في جنة حاضرة اذ الجنة ما تشتهيه الانفس وفيها
النعيم ومن رضي بالجهل فقد رضي بنار حاضرة اذ الجحيم ما يسخط ويستكره النفس
ثم من اختار العلم ويسلك سبيله يقال له غدا تعودت المقام في الجنة
فادخل الجنة ومن اكتفى بالجهل يقال له غدا تعودت بالنار فادخل النار
والذي يزيدك ايضاحا ان العلم جنة والجهل نار ان كمال اللذة في ادراك
المحبوب وكمال الالم في البعد عن المحبوب لكن محبوب كل قوة ما هو من
جنسه فلذة البصر ادراك الملونات ولذة اللمس ادراك الملموسات الملموسات
ولذة الشهوة ادراك المشتهيات التي من جنسها فلشهوة البطن
المأكولات ولشهوة الفرج المنكوحات ولذة القوة الغضبية نيل
القهر والانتقام وحقيقة الانسان ليست شيئا من هذه القوى المذكورة
ومحالها من الجوارح والاعضاء بل النفس الناطقة الباقية بعد موت هذا
البدن الكائن الفاسد ولها قوى وحواس اخروية باقية معها وبدن

مكتسب

مكتسب كما حقق في مقامه اذا تقرر هذا وتبين ان اللذة ادراك المحبوب
والالم ادراك المكروه فنقول كلما كان الادراك اغوص واشد والمدرك
اشرف واكمل وابقى وانقى وجب ان يكون اللذة اشرف واشد
ولا شك ان محل العلم هو الروح وهو اشرف من البدن ولا شك ان
الادراك العقلي اغوص واشرف اما انه اغوص من ادراك الحواس
لانه يتعلق بباطن الشيء وظاهره وبحقيقته وعارضه وكنهه ووجهه
واما الحواس فيتعلق بظواهر الاشياء وسطوحها واطرافها ولا شك
المعقول ان المعلوم اشرف من المحسوس لانه هو رب العالمين وصفاته
ومخلوقاته من الملائكة والانبياء عليهم السلام والعقول والنفوس وحقائق
الانواع الكونية من الافلاك وما فيها وما تحتها واوامره وتكاليفه واحكامه
وكتبه المنزلة ووعده ووعيده واي محسوس اشرف من ذات الله تعالى
وافعاله وآثاره فثبت ان لا لذة ولا كمال فوق لذة العلم وكماله ولا شقاوة
ولا نقصان فوق شقاوة الجهل ونقصانه فاذا ثبت ذلك ثبت ان كل
من سلك طريقا الى الجنة وان كل باب في العلم باب في الجنة واما قوله
صلى الله عليه وآله وان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضا به فتاويله
ان طالب العلم بالله وتوحيده شانه ان يتفكر في المعقولات وينتقل من
ظ معقول معقول الى معقول حتى ينتهي الى معرفة الله وصفاته وخواصه وكيفية صنعه
وابداعه وامره وخلقه واقرب الطرق واشرفها طريق النفس فمن عرف
النفس انتقل منها الى معرفة العقل وما فوقه بان ينتقل الى عالم الملكوت

ومنه الى عالم الجبروت ومنه الى عالم الالهية ولفظ الملائكة يطلق على الجواهر
القدسية الغائبة عن الابصار واجنحتها عبارة عن جهاتها وقواها العلمية
والعملية شبهت باجنحة الطيور التي بها يقع الطيران الى فوق او تحت
وجناح الطائر يده والجوانح الاضلاع مما يلي الصدر وهي جمع الجانحة وقيل
معنى تضع اجنحتها ان تضعها ليكون وطاء له اذا مشى وهو استعارة
بليغة لانتقال النفس بقوتها الفكرية عليها وطيها بقدم العقل وقيل هو
بمعنى التواضع له تعظيما لحقه وهو ايضا حسن موجه ووجه ذلك ان النفس
اذا ادركتها واحاطت بها علما فكانها نزلت من سماء ملكوتها ومقامها و
وضعت عند نفس العالم حتى وطاتها وقيل اراد بوضع الاجنحة نزولهم في
مجالس العلم والوجه العقلي فيه ما ذكرنا على انا لا ننكر تصورها بصورة الطيور
الباسطة اجنحتها لطالب العلم باذن الله الا ان ذلك مجرد احتمال وتجويز
غير ثابت وما ذكرناه امر محقق واما قوله صلى الله عليه وآله وانه ليستغفر
لطالب العلم من في السماء ومن في الارض حتى الحوت في البحر فالوجه العقلي
فيه ان كل نعمة من نعم الله التي انعم بها على الانسان قد وجب عليه شكرها
ولا يمكن الشكر على نعمة ما لم يعرف قدرها ولا يعرف قدر نعمة من النعم من
لم يعلمها ولا ما يتوقف عليه من اسبابها وعللها ولا كيفية الانتفاع بها وما من
نعمة من النعم ولو شيء حقير كفتح العين او اقل منه الا ويتوقف وجوده على وجود الاسباب
التي لا يتناهى ومن كفر به كفر بها جميعا فمن كفر بنعمة العين كفر بنعمة الله في خلق
الاجفان التي من جملتها خلق اطرافها حادة منطبقة على الحدقة ليكون كالصيقلة

للمرآة

للمرآة ودافعا لاصابة الغبار اياها وقد انصقلت عن الغبارات بتطبيق
اطراف الجفن عليها مرة ومرتين وخرجت الاقذار الى زوايا العين و
منها الى الخارج فقد كفر نعمة الله في خلق العين وما يتوقف عليه من الموجودات
المتسلسلة عرضا الى ما لا يقف وطولا الى ما يقف عند الله اذ الاجفان لا تقوم
الا بالعين والعين لا يقوم الا بالراس ولا الراس الا بجميع البدن ولا
البدن الا بالغذاء ولا الغذاء الا بالارض والماء والهواء والمطر والغيم والسحاب
ولا هي الا بالشمس والقمر والنجوم المسخرات بامره ولا يقوم شيء منها الا بالسموات
ولا السموات الا بالملائكة المدبرات ولا يقوم هذه المدبرات الا بحملة العرش
واهل الجبروت واللوح المحفوظ والقلم الاعلى فان العالم كله كالشخص يرتبط
البعض منه بالبعض فمن كفر بنعمة الطرفة الواحدة فقد كفر بكل نعمة منه تعالى
في الوجود من منتهى العرش الى الارض السفلى ومن اعلى الثريا تحت الثرى
فلم يبق ملك ولا فلك ولا حيوان ولا نبات ولا حجر ولا مدر الا ويلعنه ويتبرا
منه ولذلك ورد في الخبر ان كل بقعة يجتمع فيها قوم اما ان تلعنهم اذا تفرقوا
او تستغفر لهم فعلى هذا القياس لما كان العالم هو الذي يعرف قدر نعم الله
عظائمها ودقائقها وظواهرها وبواطنها واصولها وفروعها وما يتوقف عليه
من المبادي والاسباب وما يترتب عليها من الغايات والمسببات
وقد عرفت ان افضل ضروب الشكر للنعمة هو معرفتها فلا يقدر على شكر
نعمة واحدة هي احقر نعم الله كفتح عين او تنفس او اكل لقمة او شربة ماء
الا الحكيم العالم بكيفية النظام وارتباط النعم بعضها ببعض ولهذا قال تعالى

وقليل من عبادي الشكور فكما ان كل من كفر نعمة من نعم الله تعالى استحق ان يلعنه
كل من في السماء والارض حتى الجماد فكل من يعلم نعمة من الله فحق له ان يستغفر والنبات صح
له كل ملك في السماء وكل حيوان في الارض والماء حتى الحيتان في البحر فهذا هو الوجه
العقلي والسر الحكمي في هذا الكلام واما قوله صلى الله عليه وآله فضل العالم على العابد
كفضل القمر على ساير النجوم فاعلم ان العلم يطلق على ثلثة معان احدها اضافة
بين العالم والمعلوم يشتق منها اسم الفاعل واسم المفعول وغيرهما كالقدرة
اذا اريد بها نفس الاضافة اعني القادرية وثانيها الصورة الحاصلة في
النفس من الامر العيني كليا كان ذلك الامر كصورة الانسان وصورة الفرس
او جزئيا كصورة زيد وصورة عمرو وصورة هذا الفرس وذاك الشجر
وثالثها الملكة الراسخة التي بها ينكشف المعلومات وينجلي الحقايق
وهذه كملكة القدرة التي بها يتمكن القادر من فعل مقدوراته متى شاء
وكذلك في الابصار ثلثة امور اضافة بين البصر والمبصر يقال لها الرؤية و
صورة حاصلة من المرئي في العين وقوة بها يتمكن الحيوان من الرؤية متى اراد
فالعلم بالمعنى الاضافي ليس هو المراد هيهنا اذ لا وجود له متقررا ولا المعنى
الثاني هو المراد لانه مطابق للمعلوم متحد المهية معه متكثر بتكثر المعلومات قابل
للتغير والزوال ولهذا قالت الصوفية مقام واحد خير من سبعين الف حال
بل المراد من العلم انما هو تلك الملكة الحاصلة في نفوس العلماء بعد كثرة الافكار
والانظار والتاملات والتعقلات وهي تختلف شدة وضعفا وكمالا ونقصانا
بحسب تفاوت صفاء النفس وكثرة التعقلات والرياضات توفيقا من الله

وتاييدا

وتاييدا منه ولا شك انها نور عقلي يقذفه الله في قلب من يشاء من
عباده ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وهو الايمان الحقيقي لقوله الحقيقي صح
الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وبه الحيوة الاخروية
الدايمية لقوله تعالى اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به
في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها وقوله نورهم يسعى
بين ايديهم وبايمانهم وهذا النور يتفاوت في اهل الايمان بقدر تفاوت
قوة ايمانهم وتفاوت قربهم من الله فمنهم من نوره كنور الشمس وهم
الانبياء والاولياء الكاملون عليهم الصلوة والسلم ومنهم كنور القمر ومنهم
كنور اعظم الكواكب ثم اصغر منه وهكذا الى السها وبعدها كانوار النيرات
فمنهم من نوره في القيمة مد بصره ومنهم من نوره عند ابهام قدمه وهو آخرهم
وعلى قياس قوة هذا النور وضعفه قوة سرعة المشي على الصراط وبطوه
فمنهم يمر عليه كلمح البصر او اقرب منه ومنهم كالبرق الخاطف ومنهم كهبوب
الريح العاصف ومنهم كعدو الفرس الشديد العدو وهكذا الى ان ينتهي
الى قوة من يضع رجله مرة ويكبو اخرى والنار تصيب من اطرافه فليس
النور هناك بكثرة الاعمال انما النور بقدر قوة العلم والايمان وانما يعظم ثواب
الاعمال بحسب ما لها من النيات وبحسب مدخليتها في اكتساب العلوم و
الاحوال فاذا تقرر ما ذكرنا وتحقق ان مدار الفضل والتفاضل بين العباد
عند الله هو بحصول نور العلم في قلوبهم وفيه يقع الموازنة والمفاضلة بميزان
يوم الحساب فنقول لما كان النور الحسي البصري مثالا للنور المعنوي العقلي

والتفاوت من مراتبه مثال التفاوت من مراتب ذلك النور وان كان التفاوت
فيما هناك يبلغ الى حدّ لا نهاية بخلاف ما ههنا لامتناع اللاتناهى بحسب فى
الاجسام والجسمانيات فوقع التمثيل فى التفاضل من علم العالم وعبادة العابد
بنور القمر ونور النجوم وانّما يصحّ هذه المقايسة لما فى العبادة من اشتراط ضرب
من العلم المثمر فى عمل العابد واشتراط فى هذا التمثيل ايضاً امران كون القمر بدراً
لا هلالاً ولا فى حالة التربيع وغيره وكون البدر واقعاً فى الليلة لا فى النهار اذ
نور البدر ضعيف فى النهار واما الليلة القمراء فاكثر النجوم مضمحلة النور فيها
والقليلة منها فى غاية ضعف النورية فتحصل التقريب فى هذا التمثيل الذى
لبيان التفاوت فى الفضل بين العالم والعابد ثم لا يخفى عليك انّ المراد بالعالم
المذكور فى هذا الحديث غير العالم الربّانى الذى علمه لدنّى حاصل بالموهبة الربّانية
كعلوم الانبياء والاولياء عليهم السلم كما يدلّ عليه التمثيل بالقمر والّا لكان الّلائق
ان يمثّل له بالشمس لانها التى نورها مستفاد من افاضة الله تعالى بلا توسّط شئ
آخر من نوعه او جنسه بخلاف ساير الاجرام الكوكبيّة كالقمر والنجوم كما هو التحقيق
عند حكماء الفرس والاشراقيين وتبعهم الشيخ السهروردى فى حكمة الاشراق حيث
قال وهو رخش اى الشمس بلغة الفرس قاهر الغسق رئيس السماء فاعل النهار
تعطى جميع الكواكب ضوءها ولا تأخذ منها فاذن الشمس مثال النبى والولى عليهما السلم
ونورها الذاتى مثال الله فى هذا العالم ولله المثل الاعلى فى السموات وانوار
الكواكب على تفاوتها امثلة علوم العلماء المستفادة من علم النبى والولى على تفاوت
مراتبهم فى العلم والنسبة بين نور القمر وانوار النجوم المختفية على البصر فى ليلة البدر

مثال

مثال فضل العالم على العابد فلا تغفل واما قوله صلى الله عليه وآله انّ العلماء
ورثة الانبياء الخ فقد مرّ بيانه على حسب ما فى وسعنا ومن الله التوفيق
والعصمة الحديث الثانى وهو الثامن والظّمو انّ محمد بن يحيى عن احمد بن
محمد عن الحسن بن محبوب عن جميل بن صالح الاسدى ثقة وجه روى
روى عن ابى عبد الله وابى الحسن عليهما السلم ذكره ابو العباس فى كتاب
الرجال صه وقال الشيخ فى الفهرست ابن صالح الكوفى له اصل من اصحاب
الصادق عليه السلم عن محمد بن مسلم عن ابى جعفر عليه السلم قال انّ الذى يعلّم العلم
منكم له مثل اجر المتعلم وله الفضل عليه فتعلّموا العلم من حملة العلم وعلّموه اخوانكم
كما علّمكموه العلماء الشرح قوله عليه السلم منكم ليس صلة للتعليم بل المراد من
من جملتكم يعنى الطائفة الفائزة اشعاراً بانّه لا ثواب فى التعليم والتعلّم
لغير هؤلاء من اصحاب المذاهب العامية وقوله كما علّمكموه العلماء الضمير
المخاطب للجمع هو المفعول الاوّل لفعل التعليم والضمير المفرد العايد الى الموصول
للمفعول الثانى والفاعل هو لفظ العلماء وههنا مسائل الاولى انّ اجر التعليم
والتعلّم وثوابهما من قبيل ثواب الاعمال دون ثواب العلم لانّ ثواب
العلم هو القرب والمنزلة عند الله بل العلم الذى هو العلم بالحقيقة هو نفس
التقرّب الى الله والارتقاء اليه واما ثواب الاعمال البدنية فهو على
حسب المشقة والتعب فافضل الاعمال اشقّها واحمزها ولهذا اجر
التعليم كاجر التعلّم او ازيد منه بقليل وهذا معنى قوله وله الفضل عليه والثانية
انّ التعلم واجب بالسنّة والاجماع والدليل العقلى اما الاوّل فلقوله

صلى الله عليه وآله طلب العلم فريضة على كل مسلم وقوله اطلبوا العلم
ولو بالصين ونحوهما من الاحاديث وقد مرّ كيفية وجوبه وانّ اي العلوم
من فروض العين وايّها من فروض الكفاية واما الاجماع فلاتفاق الامّة
على انّ الكافر يخلّد في النار والكفر ليس الّا الجهل بالتوحيد والنبوة
والمعاد وانّ المؤمن يستحق الثواب الدائم والايمان ليس الّا العلم
بهذه الاركان وكلما يوجب استحقاق الثواب الدائم وضدّه يوجب
العذاب الدائم فتعلّمه واكتسابه واجب واما الدليل العقلي فبيانه على
الوجه المفصّل مذكور في كتب الحكماء والعرفاء واجماله انّ النفس الانسانية
في مبداء تكوّنها ناقصة بالقوّة قابلة للموت والحيوة وحيوتها بالعلم وموتها
بالجهل فيجب عليها عقلاً اكتساب ما يوجب حيوتها الابديّة وازالة ما يوجب
موتها الابدي والثالثة انّ المتعلّم يجب عليه ان يتعلّم من حملة العلم لا من
غيرهم والّا لكان كمريض يستعلج من مريض آخر مثله بل مرض النفس وهو
الجهل اشدّ واقرب الى الهلاك من مرض البدن وهلاك النفس
ابديّ لانّه هلاك الذات الانسانية وهلاك البدن هلاك غير ابديّ اذ
المادّة من شأنها ان ينبعث بصورة اخرى والبدن بمنزلة آلة للنفس
وفساد الآلة لا يوجب فساد الذات المستعملة ايّاها فالمريض بمرض الجهل اولى
بان يكون طبيبه وهو المعلّم عالماً بما ينفعه في الآخرة او يضرّه حتّى لا يهلكه هلاكاً
ابديّاً الرابعة انّ التعليم واجب كما دلّ عليه قوله عليه السّلم فعلّموه من اخوانكم
اذ صيغة الامر ظاهرها تدلّ على الوجوب ولقول النبي صلى الله عليه وآله

لا تؤتوا

لا تؤتوا الحكمة غير اهلها فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم وقوله من اخوانكم اشارة
الى الاهل المستحق للتعليم ولانّه كما وجب على كل احد وجوباً على الكفاية
تخليص المسلم من الهلاك او العذاب او ارشاده بما يخلّصه فكذلك وجب
على كل من يقدر على تعليمه بما يوجب نجاته عن الهلاك الدائم ان يعلّمه ويهديه
وجوباً على الكفاية بل هذا اولى بالوجوب كما علمت فثبت انّ التعليم واجب
عقلاً وشرعاً والخامسة انّه يجب على المعلّم ان يكون تعليمه وارشاده للمتعلّمين
مثل ما تعلّمه من العلماء الراشدين من غير تحريف ولا تغيير ولا نقصان او
كتمان للحق كما فعله قوم من احبار اليهود للاغراض النفسانيّة والمآرب الدنيويّة
قال تعالى فيهم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرّفونه من بعد
ما عقلوه وهم يعلمون وقال انّ الذين يكتمون ما انزلنا من البيّنات
والهدى من بعد ما بيّنّاه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم
اللاعنون الحديث الثالث وهو التاسع والخمسون علي بن ابراهيم
عن احمد بن محمد البرقي عن علي بن الحكم عن علي بن ابي حمزة هذا الاسم
مشترك بين رجلين احدهما علي بن حمزة الثمالي وهو المراد ههنا قال الكشي
سألت ابا الحسن حمدويه بن نصير عن علي بن ابي حمزة الثمالي والحسين
ومحمد اخويه وابيه فقال كلّهم ثقات فاضلون والثاني علي بن ابي حمزة
سالم البطائني ابو الحسن مولى الانصار قايد ابي بصير يحيى بن القاسم
وله اخ يسمّى جعفر بن ابي حمزة روى عن ابي الحسن موسى وابي عبد الله
عليهما السّلم وهو احد عمد الواقفة قال الشيخ في الفهرست له اصل رواه عنه

ابن ابي عمير وصفوان وقال علي بن الحسن بن فضال علي بن ابي حمزة كذاب
متّهم ملعون قد رُويتُ عنه احاديث كثيرة وكتبُ تفسير القرآن كلّه من
اوّله الى آخره الّا انّي لا استحلّ ان اروي عنه حديثا واحداً قال ابن الغضايري
علي بن ابي حمزة لعنه الله اصل الوقف واشدّ الخلق عداوة للولي بعد ابي
ابرهيم عليه السّلم صه وروى الكشي في ذمّه روايات كثيرة منها عن حمدويه
عن الحسن بن موسى عن داود بن محمد عن احمد بن محمد قال وقف على ابو الحسن
عليه السّلم فقال يا احمد قلت لبيك قال انّه لمّا قبض رسول الله صلى الله
عليه وآله جهد الناس في اطفاء نور الله فابى الله الّا ان يتمّ نوره بامير المؤمنين
عليه السّلم فلمّا توفّي ابو الحسن عليه السّلم جهد علي بن ابي حمزة واصحابه في اطفاء
نور الله فابى الله الّا ان يتمّ نوره عن ابي بصير ليث بن البختري بالباء المنقطة
تحتها نقطة والياء المعجمة التّ كنة والتاء المنقطة فوقها نقطتين المفتوحة والراء
المكسورة المرادي ويكنّى ابا محمد ايضاً روى الكشي عن حمدويه بن بصير عن
يعقوب بن يزيد عن محمد بن ابي عمير عن جميل بن دراج قال سمعة ابا عبد الله
عليه السّلم يقول بشّر المخبتين بالجنّة بريد بن معوية العجلي وابو بصير ليث بن
بن البختري المرادي ومحمد بن مسلم وزرارة اربعة نجباء امناء الله على حلاله وحرامه
لولا هؤلاء انقطعت آثار النبوة واندرست وقال الكشي انّ ابا بصير الاسدي
احد من اجتمعت العصابة على تصديقه والاقرار له بالفقه وقال بعضهم موضع
ابي بصير الاسدي ابو بصير المرادي وهو ليث المرادي وروى احاديث
في مدحه وجرحه ذكرناها في كتابنا الكبير واجبنا عنها وقال ابن الغضايري ليث

بن البختري

بن البختري المرادي ابو بصير كان ابو عبد الله عليه السّلم يتضجّر به ويتبرّم واصحابه
يختلفون في شانه وقال وعندي انّ الطعن انما وقع على دينه لا على حديثه
وهو عندي ثقة صه قال العلامة والذي اعتمد عليه قبول روايته وانه من
اصحابنا الامامية للحديث الصحيح الذي ذكرناه اوّلاً وقول ابن الغضايري لا يوجب
الطعن انتهى وفي رجال الفاضل الاسترآبادي ليث المرادي ابن البختري
ابو محمد وقيل ابو بصير الاصغر روى عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السّلم
قاله النجاشي عن ابي عبد الله وابي الحسن عليهما السّلم كما في الفهرست روى
الكشي عن الحسين بن الحسن بن بندار القمي قال حدثني سعد بن عبد الله عن
محمد بن عبد الله المسمعي عن علي بن حديد وعلي بن اسباط عن جميل بن
دراج قال سمعت ابا عبد الله عليه السّلم يقول اوتاد الارض واعلام الدين
اربعة محمد بن مسلم وبريد بن معوية وليث بن البختري المرادي وزرارة
بن اعين وبهذا الاسناد عن محمد بن عبد الله المسمعي عن علي بن اسباط
عن محمد بن سنان عن داود بن سرحان قال سمعت ابا عبد الله عليه السّلم
يقول انّ اصحاب ابي كانوا زيناً احياء وامواتا اعني زرارة ومحمد بن مسلم
ومنهم ليث المرادي وبريد العجلي هؤلاء القوّامون بالقسط هؤلاء القوّالون
وهؤلاء السابقون السابقون اولئك المقرّبون ورواه ايضاً عن محمد بن قولويه
عن سعد بن محمد بن عبد الله المسمعي وعن حمدويه قال حدثني يعقوب بن يزيد
عن ابن ابي عمير عن هشام بن سالم عن سليمان بن خالد الاقطع قال سمعت ابا
عبد الله عليه السّلم يقول ما اجد احداً احيي ذكرنا واحاديث ابي الّا زرارة

وابي بصير ليث المرادي ومحمد بن مسلم وبريد بن معوية ولولا هؤلاء ما كان
احد يستنبط هذا هؤلاء حفاظ الدين وامناء ابي على حلال الله وحرامه وهم
السابقون الينا في الدنيا السابقون الينا في الآخرة وبهذا الاسناد عن
ابن ابي عمير عن جميل بن دراج قال سمعت ابا عبد الله عليه السلم يقول بشر
المخبتين بالجنة بريد بن معوية العجلي وابو بصير ليث بن البختري المرادي ومحمد
بن مسلم وزرارة اربعة نجباء امناء الله على حلاله وحرامه لولا هؤلاء لانقطعت
آثار النبوة واندرست وروي في ذمه ما لا يصلح معارضا ولا حجة انتهى كلامه
قال سمعت ابا عبد الله عليه السلم يقول من علم خيرا فله مثل اجر من عمل به قلت
فان علمه غيره يجزي ذلك له قال ان علمه الناس كلهم جرى ذلك له قلت
فان مات قال وان مات الشرح قوله يجزي بالجيم والزاء وعلى صيغة
المجهول ويحتمل ان يكون بالحاء والراء المهملتين وصيغة المعلوم وكذا قياس
قوله جرى ذلك ومعنى الحديث واضح مكشوف لكن يجب ان يعلم ان المراد
بالخير في قوله عليه السلم من علم خيرا هو قاعدة كلية في علم من العلوم الدين نظرية
ليست بديهية ولا بحيث من شأن كل احد ان يتفطن به حتى يظهر وجه صحة
الحكم الذي ذكره عليه السلم من ان له اجر من عمل به ولو كان جميع الناس
ولو بعد وفاته الى يوم القيمة اذ لا استبعاد في ان اجر المعلم لقاعدة عقلية
دينية كاجور جميع العالمين الى يوم القيمة والدليل على ما ذكرنا انه ورد في
الحديث الآتي بدل قوله من علم خيرا قوله عليه السلم من علم باب هدى وكذا
القياس في مقابل كل منها اعني شرا او باب ضلال في ترتب الوزر

الحديث الرابع

الحديث الرابع وهو الستون وبهذا الاسناد عن محمد بن عبد الحميد بن
سالم العطار ابو جعفر روى عبد الحميد عن ابي الحسن موسى عليه السلم
وكان ثقة من اصحابنا الكوفيين صح قال زين الفقهاء في الحاشية هذه
عبارة النجاشي وظاهرها ان الموثق الاب لا الابن اقول كون الظاهر
الاب غير مسلم بل الظاهر ان النعوت المذكورة في مثل هذا الموضع
راجعة الى الاصل الاسم عن العلاء بن رزين عن ابي عبيدة الحذاء اسمه
زياد بن عيسى الكوفي مولى ثقة روى عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلم
وقال الحسن بن علي بن فضال انه مات في حيوة ابي عبد الله عليه السلم
وقال الكشي حدثني احمد بن محمد بن يعقوب قال اخبرني عبد الله بن حمدويه
قال حدثني محمد بن عيسى عن بشير عن الارقط عن ابي عبد الله عليه السلم قال
لما دفن ابو عبيدة الحذاء قال انطلق بنا حتى نصلي على ابي عبيدة قال فانطلقنا
فلما اتينا الى قبره لم يزد على ان دعا له فقال اللهم برد على ابي عبيدة
اللهم نور له قبره اللهم الحقه بنبيه ولم يصل عليه فقلت هل على الميت
صلوة بعد الدفن قال لا انما هو الدعاء وقال السيد علي بن احمد
العقيقي العلوي ابو عبيدة زياد الحذاء حسن المنزلة عند آل محمد
عليهم السلم وكان زامل ابا جعفر عليه السلم الى مكة له كتاب يرويه
علي بن رئاب عن ابي جعفر عليه السلم قال من علم باب هدى فله مثل
اجر من عمل به لا ينقص اولئك من اجورهم شيئا ومن علم باب ضلال
كان عليه مثل اوزار من عمل به ولا ينقص اولئك من اوزارهم شيئا الشرح

قوله عليه السلم باب الهدى الرشد خلاف الضلالة وانما يراد به المبدأ
والمنشأ للرشد لا المعنى المصدري ثم ان المراد بالهدى المستعمل المذكور في
الكتاب والسنة عند التحقيق نور عقلي فايض من الله على قلب من استقام
على سبيل المعرفة والطاعة وانما سمى هدى اذ بذلك النور يرى الاشياء
على ما هي عليه ويهتدي الى الحق ويسلك سبيل القرب من الله كما ان بالنور
الحسي يرى المحسوسات ويهتدي الى المآرب الحسية كما في قوله تعالى وبالنجم
هم يهتدون وذلك النور سماه اهل الحكمة العتيقة عقلا بالفعل وهو الايمان
الحقيقي قال تعالى ان الهدى هدى الله وقال اولئك على هدى من ربهم وانما
سمى القرآن هدى كما في قوله عز وجل ذلك هدى الله يهدي به من يشاء
من عباده وقوله هذا هدى لكونه وسيلة اليه تسمية للسبب باسم المسبب
ولذلك الهدى ابواب متعددة وطرق كثيرة وهي بالحقيقة مسائل علمية
ومقاصد دينية اذ كل قاعدة كلية علمية لها مدخل في تحصيل تلك الملكة النورية
المسماة بالهدى لانها ان كانت نظرية فلها تأثير بالذات في تنوير القلب
وان كانت عملية فلها تأثير بواسطة العمل بها في صفاء الضمير وتهذيب الباطن
وطهارة النفس فاذا تقرر ما ذكرناه ظهر لمية قوله عليه السلم من علم باب هدى
فله مثل اجر من عمل به اي اجر كل من عمل به الى يوم القيمة كما يعلم بقرينة قوله
عليه السلم ولا ينقص اولئك من اجورهم شيئا وبما ذكر في غير ذلك من الاحاديث
وكذا المراد بالضلال ظلمة باطنية متراكمة في النفس لرسوخ الجهالات والاعراض
عن سماع الحق وقبول الصدق وتلك الملكة النفسانية اصل كل شر وآفة

في الدين

في الدين وانحراف عن سبيل المسلمين وتولّ عن الحق واليقين ولها شعب
كثيرة وابواب مختلفة هي ابواب الجحيم لكل باب جزء مقسوم كباب الشهوة
وباب الغضب وباب الحرص وباب الحسد وباب المكر والخديعة وباب
التكبر والعجب وباب طول الامل والاخلاد الى الدنيا وغير ذلك فاذن قد
ظهر سر قوله من علم باب ضلال كان عليه مثل اوزار من عمل به

تذكرة استبصارية

اعلم انه ليس المراد من هذا الحديث وامثاله مثل ما روي عن رسول الله
صلى الله عليه وآله من قوله ايما داع دعى الى الهدى فاتبع كان له اجر من
تبعه لا ينقص من اجرهم شيء وايما داع دعى الى الضلالة فاتبع كان عليه مثل
وزر من تبعه ولا ينقص منه شيء ان الله تعالى يوصل الثواب والعقاب
الذي يستحقه الاتباع الى القادة والرؤساء لقوله تعالى وان ليس للانسان
الا ما سعى وقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى والا لما دخل احد من الناس
الجنة الا الرسل عليهم السلم ولا دخل احد ابدا بل كانت مقصورة على
ابليس وحده بل المعنى ان المعلم الهادي الواضع لسنة او هدى يهتدى
به انما يصدر تعليمه عن نفس ذات صفاء واشراق فكمل نورها فاشرق على
غيرها من النفوس القابلة التابعة لها فاستضاءت بنورها وذلك الباب
العلمي المفتوح منه او السنة المأخوذة من جملة انوارها الفايضة عنها على النفوس
التابعة التي اقتبستها فكان في النفس المتبوعة من الاستكمال بالنور الالهي
والهدى الرباني الذي هو اصل كل نور ورأس كل هدى ما هو في قوة جميع
الانوار المقتبسة عن ذلك القانون العلمي والسنة العملية ومثل لها جميعا فكان

لتلك النفس المتبوعة من الاجر والثواب مثل ما للتابعين لها من غير نقصان الاجر لهم
عن اجور التابعين وكذلك في جانب السيئات والضلال فان المراد
ان الرئيس المضل اذا علم باب ضلال او وضع سيئة يكون فتنة للناس
وضلالا لهم لم تصدر ذلك الاضلال او تلك السيئة الا عن نفس قد استولى
عليها ظلمة الجهل المركب المضاد لنور اليقين وصارت ملكة من ملكاتها فتسود ملكاتها لهم
وجهها بر عن قبول الانوار الالهية وصار ذلك حجابا بينها وبين قبول الرحمة
بحيث يكون ذلك في القوة والشدة اضعاف حجب التابعين له
والمقيدين به الناشئة عن فتنته واضلاله واظلاله فان تلك الحجب الطارية
على قلوب التابعين مستندة الى ذلك الحجاب الحاصل في نفسه
وهو اصلها فلا جرم يكون وزره وسيئته في قوة اوزار اتباعه وسيئاتهم
التي حصلت بسبب اضلاله لا لكل سيئاتهم من كل جهة ولذلك قال تعالى
ومن اوزار الذين يضلونهم اي بعض اوزارهم وهي الحاصلة بسبب المضلين
وقال الواحدي ان من في هذه الآية ليست للتبعيض بل لبيان الجنس
والا لخف عن الاتباع بعض اوزارهم وذلك يناقض قوله صلى الله عليه
وآله من غير ان ينقص من اوزارهم شيء وفيه نظر فان الذي حكاه وان كان القايل لهم
حسنا الا ان الالزام الذي ذكره غير لازم على كونه للتبعيض لان القايل بكونها
كذلك يقول ان المراد وليحملوا بعض امثال اوزار التابعين لا بعض اعيان
اوزارهم اعتضادا وتمثيلا ومما يؤيد ما ذكرناه ما ورد في مثل هذا الباب من الاشارة
الواردة في الخبر ان حسنات الظالم ينتقل الى ديوان المظلوم وسيئات
المظلوم

المظلوم ينتقل الى ديوان الظالم فانك تعلم ان الحسنة والسيئة اعراض ولو الحوال
لا يمكن نقلها من محل الى محل فليس ذلك نقلا حقيقيا بل على وجه الاستعارة كما
يقال انتقلت الخلافة من فلان الى غيره وانما المقصود من نقل سيئات المظلوم
الى الظالم حصول امثالها في قلب الظالم ونقل حسنات الظالم الى المظلوم
حصول امثالها في قلبه وذلك لان للطاعة تاثيرا في النفس بالتنوير وللمعاصي
تاثيرا فيها بالقسوة والظلمة يستعد للبعد والحجاب عن مشاهدة الجلال الالهي
فالطاعة مورثة لذة المشاهدة بواسطة الصفاء والنور الذي يحدث في النفس
والمعصية مولدة للحجاب بواسطة القسوة والظلمة التي تحدث عنها ومن
الحسنات والسيئات تتضاد وتتعاقب على النفس كما قال تعالى ان
الحسنات يذهبن السيئات وقال ولا تبطلوا اعمالكم وقال صلى الله
عليه وآله اتبع السيئة بالحسنة تمحها والالام ممحصات للذنوب ولذلك
قال صلى الله عليه وآله ان الرجل ليثاب حتى بالشوكة التي تصيب رجله وقال
الحدود كفارات لاهلها والظالم متبع شهوته بالظلم وفيه ما يقسي القلب ما يقسي لهم
ويسود لوح النفس فيمحو اثر النور الذي يكون من طاعته فكانه احبط طاعته
والمظلوم يتالم نفسه وتنكسر شهوته ويستكين قلبه ويرجع الى الله تعالى
فيفارقه الظلمة والقسوة التي حصلت له من اتباع الشهوات فكان النور
انتقل من قلب الظالم الى قلب المظلوم وانتقل السواد والظلمة من قلبه الى
قلب الظالم وذلك الانتقال على سبيل الاستعارة كما علمت وكما يقال
انتقل ضوء الشمس من مكان الى مكان واعلم ان ذلك النقل وحمل الظالم اوزار

[illegible] بالقسوة والظلم

المطلوم وان كان امرا حاصلا فى الدنيا الا انه لما لم ينكشف للبصائر الا
فى يوم القيمة لاجرم خصص بيوم القيمة وسيأتى لك بيان وظائف
المعلم فى تعليمه ووظائف المتعلم فى تعلمه فى باب بذل العلم ان شاء الله
تعالى الحديث الخامس وهو الواحد والستون الحسين بن محمد عن
على بن محمد بن سعد مجهول رفعه عن ابى حمزة عن على بن الحسين عليهما
السلم قال لو يعلم الناس ما فى طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج
وخوض اللجج ان الله تعالى اوحى الى دانيال ان امقت عبيدى الى
الجاهل المستخف بحق اهل العلم التارك للاقتداء بهم وان احب عبيدى
الى التقى الطالب للثواب الجزيل اللازم للعلماء التابع للحكماء القابل
عن الحكماء الشرح السفك الاراقة والاجراء لكل مايع يقال سفك — بيان رمز الشرح
الدم والدمع والماء يسفكه سفكا وكانه بالدم اخص وقد تكرر فى الحديث
والمهج جمع المهجة وهى الدم وقيل دم القلب خاصة وخرجت مهجته اى
روحه لاستلزام الدم الروح الحيوانى لكونه مركبه فكان خروجه خروج الروح
والخوض اصله المشى فى الماء وتحريكه يقال خضت الماء اخوضه خوضا ثم
استعمل فى التصرف فى شئ والامعان فيه ويقال خضت الغمرات
اقتحمتها واللجج جمع اللجة بالضم وهى معظم الماء ومنه بحر لجى مقته مقتا ابغضه — واللجج
فهو مقيت وممقوت والمقت اشد من البغض ونكاح المقت كان فى
الجاهلية وهو ان يتزوج الرجل امرأة ابيه اذا طلقها او مات عنها اعلم ان
المطلوب كلما كان اعز واشرف واجل كان طلبه اكد واوجب وارتكاب
التعب

التعب والمشقة فى تحصيله اسهل على النفس واهون ثم قد لاح لك
فيما سبق وسنزيدك وضوحا ان قلب الانسان اى نفسه الناطقة
ميت بالفعل من شانه ان يحيى بروح الحيوة الدائمة وان حيوته بالعلم
وحيوة القلب هى الحيوة الدائمة الذاتية التى لا يمكن زوالها وانقطاعها
فالعلم اشرف المقاصد واجل المآرب فاولى به ان يصرف الهمم فى
طلبه ويرتكب المخاطرات وخوض الغمرات فى تحصيله ثم انا نرى كثيرا
من الناس يتعبون انفسهم ويفرغون سعيهم ويبذلون جهدهم ويقعون
فى المخاوف والمهالك وسفك الدماء وخوض اللجج الخضراء كل ذلك
فى طلب المال وهو احد اسباب المعيشة الدنياوية فى مدة قليلة — ذكر المال مع الآفات رمز
مع ما لها من شوايب الآفات والعاهات والامراض والمكروهات
التى لا محيص عنها فما بالهم لا يرتكبون ادنى مشقة فى طلب العلم وبه الحيوة
الابدية من غير شوب آفة وخلل وما السبب فى ذلك الا جهلهم
بحقيقة العلم وذهولهم عن شرفه وجلالته ونوره ولهذا قال عليه السلم
لو يعلم الناس ما فى طلب العلم الخ تنبيها على ان عدم توجه الخلق الى
اكتساب العلم سببه عدم شعورهم بما فيه من الفائدة العظيمة التى
لا يوجد مثلها فى طلب شئ من الاشياء قال بعض الحكماء القلب ميت
وحيوته بالعلم والعلم ميت اى مفقود عن القلب اولا والا فهو عين الحيوة
العقلية وهو ضد الموت ولا معنى لاتصاف احد الضدين بالآخر وحيوته
اى وجدانه بالطلب والطلب ضعيف وقوته بالمدارسة فاذا قوى

بالمدارسة فهو مجتنب واظهاره بالمناظرة فهو عقيم ونتاجه بالعمل فاذا زوج بالعمل
توالد وتناسل ملكاً ابدياً لا آخر له وان نملة واحدة نالت الرياسة
بمسئلة واحدة علمتها وذلك قولها وهم لا يشعرون كانها اشارة
الى تنزيه الانبياء عليهم السلم عن المعصية وايذاء البرئ من غير جرم فقالت لو
حطمكم سليمان فانما يصدر منه لانه لم يشعر بكم فمن علم حقايق الاشياء من الموجودات
قديمها وحادثها جواهرها واعراضها جسمانياتها وروحانياتها وملكها وملكوتها
ودنياها واخراها مشهوداتها ومغيباتها فكيف لا يستحق الرياسة العظمى والخلافة
الكبرى من الله في الدين والدنيا وان الكلب المعلم يكون صيده طاهراً
ببركة العلم مع انه نجس في الاصل فالنفس الطاهرة في الفطرة الاولى اذا
تلوثت باوضار المعصية كيف لا يتطهر ولا يتقدس ببركة العلم بالله واليوم باوساخ م
الآخر حتى ينخرط في سلك القدسيين وحزب الملئكة المقربين قيل السارق
اذا كان عالماً لا يقطع يده لانه يقول كان المال وديعة لي وكذا الشارب الخمر
يقول حسبته حلالاً فشربتها وكذا الزاني يقول في غير ذات البعل تزوجتها وفيها
حسبتها زوجتي فانه لا يحد ومن الدلايل على فضيلة العلم ان يوسف على نبينا
وآله وعليه السلم مع ما له من الملك والمال والجاه وحسن الخلق والخلق ذكر
منة الله على نفسه بالعلم حيث قال وعلمتني من تاويل الاحاديث فانت يا عالم
اما تذكر نعمة الله عليك حيث جعلك من اهل تاويل الاحاديث فضلاً عن تفسير
ظاهرها ومن العارفين باسرار الحقيقة واليقين فضلاً عن الواقفين على الظواهر
والقشور من فروع الشريعة والدين وجعلك سمياً لنفسه وهو العليم الحكيم وجعل

شهادتك

شهادتك قريناً لشهادته وشهادة ملئكته في باب التوحيد حيث قال شهد الله
انه لا اله الا هو والملئكة واولوا العلم وجعلك وارثاً لنبيه لقوله صلى الله عليه
وآله العلماء ورثة الانبياء وداعياً لخلقه وسراجاً لاهل بلاده ومناراً في عباده
لقوله تعالى وجعلنا له نوراً وقوله نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم وقوله صلى الله
عليه وآله فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على ساير الكواكب وشفيعاً
يوم القيمة لما روي عنه صلى الله عليه وآله يشفع يوم القيمة ثلثة الانبياء ثم العلماء
ثم الشهداء واميناً في ارضه لقوله صلى الله عليه وآله العالم امين الله في الارض
وسيداً وقايداً للخلق الى جنته وثوابه وزاجراً لهم عن ناره وعقابه كما قال
صلى الله عليه وآله العلماء سادة والفقهاء قادة ومجالستهم عبادة وخليفة
لنبيه صلى الله عليه وآله كما قال صلى الله عليه وآله اللهم ارحم خلفائي فقيل يا رسول
الله ومن خلفاؤك قال الذين يأتون من بعدي يروون حديثي وسنتي ومن لطايف
الشواهد اليقينية على جلالة قدر العالم وارتفاع مكانه ان من اخص الاعمال الباطنية
التي يفعلها ويتشبه بالله المفيض للارواح المحيي للاجساد هو انه بقوته الفكرية
ينتزع من كل مادة حسية صورة عقلية مجردة عن الشوايب الدنيوية ثم يجعلها
مخزونة في خزينة من خزاين الملكوت يحفظها متى شاء باذن الله فالعالم الحقيقي
الرباني هو الذي يجرد المهيات من الشخصيات ويأخذ الكليات من الجزئيات
فمن شانه نزع الارواح من الاجساد وتصويرها تارة في عالم التعقل بصورة
العقليات وتارة اخرى بصورة تحاكيها في عالم التمثل من الحسيات فمن كان
هذا صنعه وديدنه ما دام متلبساً بهذه الدار الكائنة المستحيلة الداثرة فعند المفارقة

كيف ينحبس في سجن التعلقات ويتقيد بقيود الشهوات وشبكة الدنيات
وانّي يحشر مع الاموات في قبور الابدان الدارسات او يقف على الصراط
مدة مكث ذوي الحجبات لا والله بل هداية الله ادركتهم وجذبة نوره التي قد
في قلوبهم من فوق حجب السموات رفعتهم من منازل السافلين ومواطن المجرمين
الى درجات العليين عند ذي العرش اله العالمين وتحت كبريائه قوم مصطفون
كانوا مدة حيوتهم الدنيوية باسطي ايديهم ينتظرون الرزق السماوي ويدعون
ربهم خوفا وطمعا ويلتمسون النور وهم في ظلمة ليل داج والتوحد مع الحق وهم
بعد قرين ازواج ذات تركيب وامتزاج ولما انفتحت ابصارهم بنور الله
وحدوه وعظموه وعبدوه عبادة الاحرار شوقا وطربا فريق عبدوه عبادة
الاجراء او عبيد الغلة فيطلبون منه غيره من قضاء شهوة او دفع الم فاولئك
ليسوا احباء الله واوليائه واما العلماء بالله فهم اولياء الله على الحقيقة لانهم
قوم يحبهم ويحبونه ولولا وجودهم في الارض لتنوير قلوب الناس وتطهير
نفوسهم عن الارجاس والادناس لقذفت السموات وبالا على من في
الارض لانها تطحن بدورانها حبوب الكائنات ومواليد الظلمات ليصير
بالتلطيف والتصفية اغذية للصالحات من النفوس العايدات الى جوار الله
فسبحان الذي برزت له الذوات الصالحات وخرجت من ظلمات الهياكل
ومضايق الابدان الى فسحة انوار القدس واضواء الرحمن ولنمسك عنان القلم
عن صوب هذا النحو من الكلام لانه مما يشمئز عنه طباع الاكثرين وربما يحرك
سلسلة الحمقى المجانين ولنصرفه الى منهج السماع الحسي لان اجاهير الطوع للحس

والرواية

والرواية منهم للبرهان والدراية فنقول دلايل فضيلة العلم من طريق النقل عن
الكتاب والسنة وآثار السلف كثيرة لا تعد ولا تحصى ولنذكر جملة منها اما
من الكتاب فوجوه الاول انه تعالى سمى العلم بالحكمة ثم انه عظم امر الحكمة في
كثير من مواضع القرآن فدلك على عظم شأن العلم اما بيان الاول فهو ان المفسرين
قالوا ان الحكمة جاءت في القرآن على اربعة وجوه احدها مواعظ القرآن قال
في البقرة وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة وفي النساء وانزل عليكم الكتاب
والحكمة يعني المواعظ ومثلها في آل عمران وثانيها الفهم والعلم قوله وآتيناه الحكم صبيا
وفي لقمن ولقد آتينا لقمن الحكمة يعني الفهم والعلم وفي الانعام اولئك الذين آتيناهم
الكتاب والحكم وثالثها النبوة في النساء ولقد آتينا آل ابرهيم الكتاب
والحكمة يعني النبوة وفي ص وآتيناه الحكمة يعني النبوة ورابعها القرآن في
النحل ادع الى سبيل ربك بالحكمة وفي البقرة ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا
كثيرا وجميع هذه الوجوه عند التحقيق يرجع الى العلم واما الثاني فهو ظاهر مكشوف
من صريح القرآن في مواضع الامتنان ثم تأمل حيث سمى الله الدنيا بجذافيرها
قليلا قل متاع الدنيا قليل وما سماه قليلا لا نحيط بكمية مقدارها في علمك
بما سماه خيرا كثيرا كيف يعلم احد قدره الا الله ثم البرهان العقلي قائم
على قلة الدنيا كما وكيفا وكثرة الحكمة قدرا وشرفا لان الدنيا متناهية
الابعاد والكميات وكذا القوى والكيفيات المتعلقة بها والحكمة
لا نهاية لقدرها وعدتها ومدتها لانها فوق الكميات وورآء الاعداد
والمدد وبها قامت السموات والارض في الدنيا واقيمت القيمة

وطبقات الجنّات في الآخرة فهذا ينبّهك على فضيلة العلم الثاني قوله هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون اعلم انه عزّ وجلّ قد فرّق في كتابه بين سبعة
امور واضداد ها فرّق بين الخبيث والطيّب فقال قل لا يستوي الخبيث
والطيّب وبين الاعمى والبصير قل هل يستوي الاعمى والبصير وبين النور
والظلمة وبين الجنّة والنار وبين الظلّ والحرور واذا تأمّلت وجدت
كلّ ذلك مأخوذا من الفرق بين العلم والجهل امّا بالحقيقة او على التشبيه و
التمثيل الثالث قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرّسول واولي الامر منكم و
المراد منه على اصحّ الاقوال امّا العلماء بالله واليوم الآخر عامّة او الائمة المعصومون
عليهم السلم كما هو عند اصحابنا لانهم اعلم العلماء فالمرجع في القولين الى العلم وكان
لانّ الملوك يجب عليهم طاعة العلماء ولا ينعكس ثم انظر الى هذه المرتبة فانه
تعالى ذكرهم في موضعين من كتابه في المرتبة الثانية فقال شهد الله انه لا اله
الا هو والملئكة واولوا العلم قائما بالقسط وقال اطيعوا الرّسول واولي الامر منكم
ثم انه زاد في التعظيم والاكرام فجعلهم في المرتبة الاولى في آيتين قال وما يعلم
تأويله الا الله والراسخون في العلم وقال وكفى بالله شهيدا بيني
وبينكم ومن عنده علم الكتاب الرابع قوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا
منكم والذين اوتوا العلم درجات قال بعض المفسّرين انه تعالى ذكر
الدرجات لاربعة اصناف اوّلها للمؤمنين من اهل بدر وهو قوله
انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله لهم درجات
عند ربّهم الثانية للمجاهدين لقوله فضّل الله المجاهدين على القاعدين

القاعدين اجرا

درجة

درجة والثالثة من عمل الصالحات قوله من يأته مؤمنا قد عمل الصالحات
فاولئك لهم الدرجات العلى والرابعة للعلماء والذين اوتوا العلم درجات
فالله فضّل اهل بدر على غيرهم من المؤمنين بدرجات وفضّل المجاهدين
على القاعدين بدرجات وفضّل الصالحين على هؤلاء بدرجات ثم
فضّل العلماء على جميع الاصناف بدرجات فوجب كون العلماء افضل
الناس الخامس قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء اعلم انّ
الله تعالى وصف العلماء في كتابه بخمس مناقب التوحيد ذا الشهادة
شهد الله الى قوله واولوا العلم وثانيها البكاء ويخرّون للاذقان يبكون
ورابعها الخشوع انّ الذين اوتوا العلم من قبله وخامسها الخشية انما يخشى الله
من عباده العلماء واما الحديث فكثير منها ما مرّ في طريقنا وما سيأتي وما نحن فيه
من قوله عليه السلم انّ امقت عبيدي الى الجاهل الخ فاذا كان ابغض الجاهل المستخف
بحق العلماء التارك للاقتداء بهم امقت الناس عند الله وكان التقيّ الصالح
الطالب للثواب الجزيل في لزومه للعلماء واتباعه لهم وقوله عنهم احبّ الناس
اليه تعالى دلّ ذلك على فضل العلم وشرفه اتمّ دلالة واوضحه ومنها ما في طريق الجمهور
من وجوه احدها ما ثبت عن انس قال صلى الله عليه وآله من احبّ ان ينظر
الى عتقاء الله من النار فلينظر الى المتعلّمين فوالذي نفسي بيده ما من متعلّم
يختلف الى باب العلم الّا كتب الله له بكل قدم عبادة سنة وبنى له بكل قدم
مدينة في الجنة ويمشي على الارض والارض تستغفر له ويمسي ويصبح مغفورا
له وشهدت الملئكة لهم بانهم عتقاء الله من النار وثانيها عن انس قال

سورة المجادلة
يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا
العلم درجات والله بما تعملون خبير

سورة بني اسرائيل
ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم
يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان
ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون
للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا

رسول الله صلى الله عليه وآله من طلب العلم فهو كالصائم نهاره وكالقائم ليله وان
بابا من العلم يتعلمه الرجل بمنزلة من يكون له ابو قبيس ذهبا فينفقه في سبيل الله و
ثالثها الحسن مرفوعا من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام كان
بينه وبين الانبياء درجة واحدة في الجنة ورابعها ابو موسى الاشعري مرفوعا يبعث
الله يوم القيمة ثم يميز العلماء فيقول يا معشر العلماء اني لم اضع نوري فيكم الا لعلمي
بكم ولا اضع علمي فيكم لاعذبكم انطلقوا فقد غفرت لكم وخامسها قال صلى الله
عليه وآله معلم الخير اذا مات بكى عليه طير الهواء ودواب الارض وحيتان البحر
وسادسها ابو هريرة مرفوعا انه قال من صلى خلف عالم من العلماء فكانما
صلى خلف نبي من الانبياء وسابعها ابن عامر مرفوعا فضل العالم على العابد
سبعين درجة بين كل درجة حضر الجواد المضمر سبعين سنة وذلك لان الشيطان
يضع البدعة للناس فيبصرها العالم ويزيلها والعابد مقبل على عبادته لا يتوجه لها
ولا يعرف بها وثامنها الحسن مرفوعا رحمة الله على خلفائي فقيل يا رسول الله
من خلفاؤك قال الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله وتاسعها قال النبي
صلى الله عليه وآله من خرج يطلب بابا من العلم ليرد باطلا الى حق او ضلالا الى
هدى كان عمله كعبادة اربعين عاما وعاشرها قال صلى الله عليه وآله لعلي عليه
السلام حين بعثه الى اليمن لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك مما تطلع عليه
الشمس او تغرب الحادي عشر ابن مسعود قال صلى الله عليه وآله من طلب
العلم ليحدث به الناس ابتغاء لوجه الله اعطاه الله اجر سبعين نبيا الثاني
عشر من الجهني مرفوعا يؤتى بمداد طالب العلم ودم الشهداء يوم القيمة لا يفضل

احدهما

احدهما على الآخر وفي رواية فيرجح مداد العلماء والثالث عشر ابو واقد انه صلى الله
عليه وآله بينما هو جالس والناس معه اذ اقبل ثلثة نفر فاما احدهم فرأى فرجة
في الحلقة فجلس اليها واما الآخر فجلس خلفهم واما الثالث فانه رجع وفر فلما
فرغ من كلامه قال الا اخبركم عن النفر الثلثة اما الاول فاوى الى الله فآواه الله
واما الثاني فاستحيى من الناس فاستحيى الله منه واما الثالث فاعرض فاعرض
الله عنه والرابع عشر قيل يا رسول الله اي الاعمال افضل قال العلم بالله تعالى
فقيل اي الاعمال تزيد قال العلم بالله فقيل نسئل عن العمل وتجيب عن العلم
فقال صلى الله عليه وآله ان قليل العمل ينفع مع العلم وكثير العمل لا ينفع مع الجهل
الخامس عشر قال النبي صلى الله عليه وآله اذا كان يوم القيمة يقول الله تعالى للعابدين
والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء ان هؤلاء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا
فيقول الله انتم عندي كبعض ملئكتي اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون وهذا
انما يكون للعلم المتعدي بالتعليم لا العلم اللازم الذي لا يتعدى السادس عشر
قال صلى الله عليه وآله الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله تعالى وما والاه
او معلما او متعلما السابع عشر قال صلى الله عليه وآله ان الله تعالى وملئكته
واهل السموات والارض حتى النملة في جحرها والحوت في البحر ليصلون على معلم
الناس الخير الثامن عشر انه صلى الله عليه وآله خرج ذات يوم فرأى مجلسين
احدهما يدعون الله ويرغبون اليه والثاني يعلمون الناس فقال صلى الله عليه
وآله اما هؤلاء فيسئلون الله تعالى ان شاء اعطاهم وان شاء منعهم واما
هؤلاء فيعلمون الناس وانما بعثت معلما ثم عدل اليهم وجلس معهم والتاسع عشر

لاحسد الا في اثنين رجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلّمها الناس ورجل آتاه مالاً فسلّطه على انفاقه في الحق فهو ينفق منه سرًّا وجهرًا العشرون قال صلى الله عليه وآله نعم الهدية ونعم العطية كلمة حكمة تسمعها فتنطوي عليها ثم تحملها الى اخ لك مسلم تعلّمه ايّاها تعدل عبادة فهذه عشرون حديثا رواها العلماء والعامة بعضها متفق عليه وفي كتاب الاحياء للغزالي قال علي عليه السلم يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق وقال عليه السلم العالم افضل من الصائم القائم المجاهد واذا مات ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدّها الا خلف منه وقال ايضا نظمًا وقيل انه لابنه الحسين عليهما السلم ٭ الناس من جهة التمثال اكفاء ٭ ابوهم آدم والام حوّاء ٭ فان يكن لهم في اصلهم شرف ٭ يفاخرون به فالطين والماء ٭ ما الفخر الا لاهل العلم انهم ٭ على الهدى لمن استهدى ادلّاء ٭ ووزن كل امرء ما كان يحسنه ٭ والجاهلون لاهل العلم اعداء ٭ ففز بعلم تحز طيب الحيوة به ٭ فالناس موتى واهل العلم احياء ٭ وفي الآثار فعيل العلماء سراج الازمنة فكل واحد مصباح زمانه يستضيء به اهل عصره اقول قد مرّ ان العلم في الحقيقة نور عقلي ووجود صوري مجرّد عن الجسم وظلماته وغواشيه ومثاله في الشاهد المحسوس هو النور الحسي الذي يبصر لذاته ويبصر به ساير المبصرات وكما ان النور المحسوس يتفاوت شدة وضعفا وكمالا ونقصا فمراتبه امثلة لمراتب النور النور العلمي الا ان من العلم ما هو مجرد عن غيره قائم بذاته بلا مهية وهو علم الله تعالى ومنه ما هو مجرد عن المواد والاجرام ثابت الذات من غير تغير لكن غير بريء الذات

عن المهية ولوازمها من الامكان والحاجة اليه تعالى وهو علم الذوات العقلية التي هي كلمات الله من الملئكة والانبياء عليهم السلم وضرب من الاولياء ومنه ما هو مع كونه زائدًا على الذات فهو متغير زماني وهو العلوم النفسانية الفائضة على النفوس بواسطة العقول الثابتة وهو علم ساير العلماء على تفاوته فيهم اذا تقرّر هذا فنقول لو كان في النور الحسي ضوء قائم بذاته لكان مثالا لعلم الله تعالى والله نور السموات والارض واما الشمس فمثال لعلم الملئكة والانبياء والاولياء عليهم السلم فان علومهم زائدة على ذواتهم فائضة عليهم من الله ضرورة كالشمس وضوءها اللازم لها لا بواسطة نيّر آخر والكواكب امثلة لعلوم الاولياء المستفادة عن الله بتابعية النبي صلى الله عليه وآله على وجه الاعداد لا الايجاد كانوار الكواكب عند من جعلها فائضة من الله تعالى على اجرامها بتبعية نور الشمس تبعية لازمة واما النيّرات والمصابيح والسرج فانوارها امثلة لعلوم الحكماء والنظّار والمجتهدين لان علومهم ليست مستفادة من الله وملكوته الاعلى كعلوم الانبياء والاولياء عليهم السلم بل انما هي حاصلة لهم بتعليم بشري خارجي لا باستفاضة باطنية بطريق الوحي والالهام فالمراد من العلماء في قوله العلماء سرج الازمنة هو العلماء والنظّار واهل الاجتهاد واما ساير المتعلمين والمقلدين فمثالهم في علمهم الحاصل بالتقليد كمثال نور الارض نور الجدار والسطح وصحن الدار قال ابن مسعود عليكم بالعلم قبل ان يرفع ورفعه ان يهلك رواته فوالذي نفسي بيده ليودّن رجال قتلوا

في سبيل الله تعالى شهيد الا انّ يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم وقال
يحيى بن معاذ العلماء ارحم بامّة محمد صلى الله عليه وآله من آبائهم وامّهاتهم
قيل فكيف ذلك قال لانّ آباءهم وامّهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظون
من نار الآخرة وقال معاذ بن جبل تعلّموا العلم فانّ تعلّمه لله حسنة وطلبه
عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله
لاهله قربة وهو الانيس في الوحدة والصاحب في الخلوة والدليل على
الهدى والمصباح في السرّاء والضرّاء والدين عند الاخلاء والقريب عند
الغرباء والسلاح عند الاعداء ومنار سبيل الجنة يرفع الله تعالى به اقواماً
فيجعلهم في الخير قادة هداة فيقتدى بهم ادلّة في الخير تقتصّ آثارهم وترمق افعالهم
وترغب الملائكة في خلّتهم وباجنحتها تمسحهم وكل رطب ويابس يستغفر لهم حتى
الحيتان في البحر وهوامه وسباع البرّ وانعامه وهوام الارض والسماء ونجومها
لانّ العلم حيوة القلب من العمى ونور الابصار من الظلم وقوة الابدان من الضعف
يبلغ به العبد منازل الاخيار والدرجات العلى وبه يطاع الله وبه يعبد وبه
يوحّد وبه يتورّع ويزهد وبه توصل الارحام وتعرف الحلال والحرام وهو امام
العمل والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء والله اعلم وسئل ابن المبارك
عن الناس فقال العلماء قيل فمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة قال الذي
يأكل بدينه وانّما لم يجعل غير العالم من الناس لانّ الخاصية التي بها ميّز الانسان
عن البهائم هي العلم والانسان انسان بما هو شريف لاجله وليس ذلك بقوة
شخصه فانّ الجمل اقوى منه ولا بعظمه فانّ الفيل اعظم ولا بشجاعته فانّ السبع
الشجع

الشجع منه ولا باكله فانّ الحمار اوسع منه بطناً ولا بالجماع فانّ اخسّ العصافير اخضر
اقوى على السفاد منه بل لم يخلق الّا للعلم ولا يشرف الّا بذلك وقال فتح
الموصلي اليس المريض اذا منع الطعام والشراب والدواء يموت قال
بلى قال كذلك القلب اذا منع العلم والحكمة ثلثة ايام ولقد صدق فانّ غذاء
القلب العلم والحكمة بهما حيوته كما انّ غذاء الجسد الطعام ومن فقد العلم والحكمة العلم
فقلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر اذ حبّ الدنيا واشتغاله بحيوة الجسد
ابطل احساسه بالموت واذا حطّ عنه موت الجسد اعباء الدنيا احسّ بهلاكه
وقال الاحنف كاد العلماء ان يكونوا ارباباً وكل عزّ لم يؤكّد بعلم فالى ذلّ مصيره
وقال ابن ابي الجعد اشتراني مولاي بثلثمائة درهم واعتقني فقلت بايّ حرفة
احترف فقال باحسن حرفة فاحترفت بالعلم فما تمّت لي سنة حتى اتاني
امير المدينة زايراً فلم اذن له وقيل لبعض الحكماء ايّ الاشياء يقتنى قال الاشياء
التي اذا غرقت سفينتك سبحت معك يعني العلم ولعله اراد بغرق السفينة بغرق
هلاك البدن بالموت وهذا اي تشبيه البدن بالسفينة والدنيا بالبحر يوافق
كلام فيثاغورس في رسالة له في معاتبة النفس حيث قال يا نفس انّ هذا
المركب الذي قد ركبته في هذا البحر الاعظم جوهره من جوهر هذا الماء وانّما هذه
السفينة مياه جامدة وبالغرور تركبت ويوشك ان تطلع عليها الشمس فتنحلّ
فتعود الى عنصرها وتتركك جالسة على وجهها ان امكنك الجلوس ولا مركب
حينئذ الّا ما اكتسبته من جودة السباحة وحسن التهدي انتهى والمراد انّ النفس
عند هلاك البدن لا يمكنها الخلاص من بحر الطبيعة التي ستبرز في القيمة نار جهنم

٢٨٨

الا بسفينة العلم والهدى ولا المشى على الصراط الا بقوة اليقين والتقوى وقيل لاسكندر ما بالك تحب معلمك اكثر مما تحب لابيك فقال لان معلمى سبب حيوتى الروحانية الاخروية وابى وسيلة حيوتى الجسمانية ومن وصايا لقمن لابنه يا بنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله يحيى القلوب بنور الحكمة كما انه يحيى الارض بوابل السماء واعلم ان ساير كتب الله ناطقة بفضل العلم اما التورية ففيها انه تعالى قال لموسى عليه السلم عظم الحكمة فانى لا اجعل الحكمة فى قلب عبد الا واردت ان اغفر له فتعلمها ثم اعمل بها ثم اترکها لى تنال بذلك كرامتى فى الدنيا والاخرة واما الزبور فقال الله تعالى يا داود قل لاحبار بنى اسرائيل ورهبانهم حادثوا من الناس الاتقياء فان لم تجدوا فيهم تقيا فحادثوا العلماء فان لم تجدوا فحادثوا العقلاء فان التقى والعلم والعقل ثلث مراتب ما جعلت واحدة منهن فى احد من خلقى واريد هلاكه وانما قدم التقى على العلم لان التقى لا يوجد بدون العلم كما بين فى موضعه من ان الخشية لا تحصل الا مع العلم ولا شك ان الموصوف بالامرين اشرف من الموصوف باحدهما ولهذا السر قدم العالم على العاقل لان كل عالم عاقل ولا عكس كليا قال تعالى واتقوا الله ويعلمكم بل اقول التقوى يوجب تجرد النفس عن الدنيا والاجرام والتجرد مستلزم للعلم وكل مجرد عن المواد ذاتا وتعلقا فهو كامل بالفعل واما الانجيل فقال تعالى فى السورة السابعة ويل لمن سمع بالعلم ولم يطلبه كيف يحشر مع الجهال الى النار اطلبوا العلم وتعلموا فان العلم ان لم يسعدكم لم يشقكم وان لم يرفعكم لم يضعكم وان لم يغنكم فلم يفقركم وان لم ينفعكم لم يضركم ان الله يقول يوم القيمة يا معشر العلماء ما ظنكم

ربكم

منهن

ربكم فيقولون ظننا ان ترحمنا وتغفر لنا فيقول فانى قد فعلت انى استودعكم حكمتى لا لشر اردته بكم بل لخير اردته بكم فادخلوا فى صالح عبادى الى جنتى برحمتى وقال مقاتل وجدت فى الانجيل ان الله تعالى قال لعيسى عليه السلم يا عيسى عظم العلماء واعرف فضلهم وانى فضلتهم على جميع خلقى الا النبيين والمرسلين كفضل الشمس على الكواكب وكفضل الاخرة على الدنيا وكفضلى على كل شئ وروى عن عيسى عليه السلم انه قال ان من امة محمد صلى الله عليه وآله علماء حكماء كانهم من الفقه انبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل ويدخلون الجنة بلا اله الا الله واعلم ان المراد بهذه الكلمة فى مثل هذا الموضع هو علم التوحيد لا مجرد التلفظ بها لسانا او الاخطار بالبال مفهوما ولا التصديق بها تقليدا ولا الاعتقاد بها قلبا بادلة يحررها المتكلم وان كان شئ من هذه المقامات يكتفى به لعامة المكلفين ويحكم باسلامهم فى الشريعة وعلم التوحيد علم شريف يتشعب منه ساير العلوم ويختص بدركه اخص خواص هذه الامة كما قيل جل جناب الحق عن ان يكون شريعة لكل وارد او يطلع عليه الا واحد بعد واحد وروى مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال يشفع يوم القيمة ثلثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء قال الراوى فالعلم مرتبة هى واسطة بين النبوة والشهادة وعنه صلى الله عليه وآله الناس كلهم موتى الا العالمون والخبر مشهور الناس موتى واهل العلم احياء والناس مرضى وهم فيه اطباء والناس ارض واهل العلم فوقهم سماء نوره وما فى النور ظلماء وزمرة العلم روح الخلق كلهم وساير الناس فى التمثيل اعضاء قال ابو سعيد

وكفضلى

الخدری یقسم الجنّة علی عشرة آلاف جزء تسعة آلاف وتسعمائة وتسعة وتسعون
للّذین عقلوا عن الله امره فکان قدر ثوابهم تدرما قسم لهم من العقول یقسمون
المنازل فیها وجزء للمؤمنین الضعفاء وقال آخر وقد نسب الی علیّ علیه السّلم
وفی الجهل قبل الموت موت لاهله • واجسادهم قبل القبور قبور • وانّ امرءً
لم یحیی بالعلم میّت • ولیس لهم حتّی النّشور نشور • وقال سقراط اذا اقبلت
الحکمة خدمت الشهوات العقول واذا ادبرت خدمت العقول الشهوات
وقیل لذیمقراطیس لا تنظر فغمض عینیه قیل له لا تسمع فسدّ اذنیه قیل له لا تتکلّم
فوضع یده علی شفتیه قیل له لا تعلم قال لا اقدر وانّما اراد انّ البواطن من عالم
الملکوت بامر الله لا تندرج تحت الاختیار فاشار الی ضرورة السرّ واختیار الظاهر
ولمّا کان الانسان بصورته الظاهرة من عالم الخلق والحدوث کان معزول الولایة
عن التصرّف فی قلبه ولهذا قال صلّی الله علیه وآله قلب المؤمن بین اصبعین من
اصابع الرحمن یقلّبه کیف یشاء وانّما خصّ ذلک بالمؤمن اذ الکافر لا قلب له ودلّ
هذا الکلام علی فضیلة العلم للتمیّز الحاصل بین الادراک العقلی والادراک الحسّی فانّ الاوّل
امر ربانی لا یتصوّر الانفکاک عنه لمن کان له ولا الاعراض عنه والنسیان له بالاختیار
بخلاف الادراکات الحسّیة فدلّ علی انّ العلم لیس من جنس الحسّ ولا العقل
من عالم البدن وقال ارسطو سلطان العقل علی باطن العاقل اشدّ تحکّما من سلطان
السیف علی ظاهر الاحمق وقال العقل لا یتألّم فی طلب معرفة الاشیاء بل الجسد یتألّم
ویألم واخذ یوماً تفّاحة فقال ما الطف قبول هذه الهیولی لصورتها وانفعالها لما یؤثّر
الطبیعة فیها من الاصباغ والروایح والطعوم التی هی دلایل وآثار روحانیّتها حسب

تمثیل

تمثیل النفس لها کلّ ذلک دلیل علی ابداع مبدع الکلّ وآله الکلّ وقیل الطف
منها قبول هذه النفس الانسانیّة العلّامة لصورتها العقلیّة وانفعالها
لما یؤثّر العقل الکلّی فیها من العلوم الروحانیّة حسب تمثیل العقل ایّاها
وکلّ ذلک دلیل علی ابداع مبدع الکلّ وآله الکلّ قال الشیخ الیونانی وهو
من قدماء الفلاسفة کما انّ البدن الخالی من النفس یفوح منه نتن الجیف
کذلک النفس الخالیة من العلم والادب تنقصها بالکلام والافعال اقول
ویظهر خبثها ونجاستها ونتنها علی مشام اهل العقل ولهذا قال تعالی انّما
المشرکون نجس وقال انّک لا تسمع الموتی وقال افلاطون علّة هبوط
النفس الی هذا العالم سقوط ریشها فاذا ارتاشت ارتفعت الی عالمها
الاوّل اراد بالریش العلم والمعرفة تشبیها للنفس بالطایر ولعلمها بالریش
اذ به یصعد الی عالم الملکوت ولجهلها وخطایاها بسقوط ریشها لانّه الموجب
لهبوطها وقال ارسطاطالیس من قدر علی خلع بدنه وتسکین حواسّه
ووساوسه وقدر فی فکره الرجوع الی ذاته والصعود بعقله علی العالم الاعلی
فیری حسنه وبهاءه ونوره وبقاءه وذهب اسکندر الافرودیسی وهو
احد تلامذة ارسطو الی انّ الذی یبقی مع النفس من جمیع ما لها من القوی
هی القوّة العقلیّة وخالف استاده والمتأخّرون یثبتون بقاءها علی هیئات
اخلاقیّة استفادتها من مشارکة البدن فیستعدّ بها لقبول هیئات
ملکیّة فی ذلک العالم ونحن قد حقّقنا الکلام فی هذا المرام بما لا مزید علیه فی
سایر کتبنا وقال زینون الکبیر فی رسالة له نقلا عن معلّمه ارسطو حکایة عن

معلّمه افلاطن انّه قال انّ شاهق المعرفة اشمخ من ان يطير اليه كلّ طاير وسرادق
البصيرة احجب من ان يحوم حوله كلّ ساير وقال فيثاغورس في رسالته المسمّاة
بالذهبية يا نفس اعلمي انّ اربعة هي السبب في هلاك النفس الجهل والجور والفقر
والخوف فمن بحث عن العلم عدم الجهل ومن ترك المقتنيات الى رحبة عدم الجور
ومن ترك الشهوات وعفّ عنها عدم الفقر ومن تشوّق الى الموت الطبيعي
عدم الخوف يا نفس هذه رتب جماعة ثلث فكوني على اشرفها واجلّها فادناها
رتبة عامل غير عالم كرجل ذي سلاح لا شجاعة له وما عسى يصنع الجبان بالسلاح
والرتبة الثانية رجل عالم غير عامل وهو كرجل شجاع لا سلاح معه وكيف يلقى
عدوّه ولا سلاح معه غير انّ الشجاع على السلاح اقدر من الجبان على الشجاعة
وكذلك عامل غير عالم الرتبة الثالثة هي رجل عالم عامل وهو كرجل ذي شجاعة
وسلاح وهذه ينبغي ان يكون الرتبة الشريفة اقول ههنا دقيقة غفل عنها الاكثرون
وهي انّ العلم علمان علم حرّ لا تعلّق له بالعمل وعلم مقيّد متعلّق بالعمل وبعبارة
اخرى العلم علمان علم هو وسيلة العمل ومبداه وعلم هو نتيجة العمل وثمرته وبعبارة
اخرى العلم علمان علم السلوك وعلم الوصول اذا تقرّر هذا فنقول انّ الذي
وقع عليه التقسيم بهذه الاقسام الثلثة في كلام هذا الحكيم انما هو العلم المتعلّق
بالاعمال والعبادات لا العلم بالمعنى الآخر وهو العلم الاعلى المطلق الحرّ الذي
ساير العلوم خدمه وعبيده وصاحبه ارفع حالاً من ان يؤثّر فيه عداوة احد او كيد
كايد او حسد حاسد لانّ سرّه مشغول بالحقّ خارج من عالم الظلمات الى عالم
النور ونفسه اكبر من يخرجه زلّة بشر او يغويه شيطان مريد وقال ايضا انّي تاملت

اللذات

اللذات كلّها فلم اجد الذّ من ثلثة هي الاصل الامن والعلم والغنى ولكلّ من هذه الثلثة
اصل وينبوع يحرّكه فمن طلب العلم فليذهب الى معنى التوحيد فانه بالتوحيد يكون
المعرفة والعلم وبالتخمين والاشراك يكون النكرة والجهل والشكّ ومن طلب الغنى
فليذهب الى رتبة القنوع فانه حيث لا قنوع لا غناء ومن طلب الامن فليعتقد
التحرّي بمفارقة عالم الطبيعة وهو الموت الطبيعي اقول لقد صدق هذا الفيلسوف
في قوله بالتوحيد يكون المعرفة والعلم وذلك انّ من امعن في النظر وجد انّ كلّ علم
ومعرفان انما يرجع الى ضرب من التوحيد وانّ مدار العلم بحقايق الاشياء بالاطلاع
على جهة وحدتها وكلّ من كان علمه احكم واقوى وارفع واعلى كان اطلاعه على حقيقة
الوحدة اكثر وهو على ارجاع الكثرات الى الوحدة اقدر وايضا كلّ موجود هو
اشدّ وحدة واتمّ بساطة فهو اكثر جمعيّة للفضايل والمعاني واوفر احاطة بالموجودات
حتّى انّ العقل لبساطته كلّ المعقولات والبسيط الحقيقي كلّ الموجودات
وهو مع ذلك متفرّد عن جميع الاشياء غنيّ عمّا عداه وقال ايضا انّ من اصعب
الاشياء ان تعمل صناعة الصياغة بآلة الفلاحة او صنعة التجارة بآلة الخياطة
ولكلّ صنعة اداة لن يستوي عملها الّا بها فمن اراد ان يعمل الخياطة فينبغي ان يرمي
من يده آلة الفلاحة ويأخذ للخياطة اداتها التي تصلح لها فكذلك يا نفس ينبغي لمن
اراد عمل الآخرة ان يترك من يده اداة الجهل والشرّ فخذي للعلم والخير اداتها فانّه
متى عملتها باداتها حصلا بغير تعب ولا نصب واعلمي انّ الشهوة والعلم
وحبّ الدنيا والخير لا يجتمعان في قلب ابداً فتصوّري يا نفسي حقيقة هذا وانّ
بالعلم تدركين ببصر عقلك اتّصالك بباريك ومناسبتك ايّاه فتلذّذي

بذلك لذة الحق وانه بالجهل تعدمين ذلك فتنكرينه وذلك لعمايك وظلمتك وقال
ايضا يا نفس ان الموت الطبيعي ليس هو شيء غير غيبة النفس عن الجسد فاذا
تقررتها في علمك فتعلمي ان الرجل الحكيم العالم عند حضوره هو حكيم عالم في مغيبه
لن ينتقل عن حكمته وعلمه اينما توجه واينما سلك فتنبهي يا نفس لهذا المعنى
وتيقني ايضا بان غارس شجرة الخير وغارس شجرة الشر مختلفان لان شجرة
الخير ان تثمر الا خيرا وشجرة الشر لا تثمر الا شرا فقد اتضح ضرورة وعقلا وحسا ان
الشيء لا يثمر الا نوعه وشكله ولا يلد الا مثله فهل رايت حمارا اولد انسانا
او انسانا ولد فرسا فان اتضحت لك يا نفس هذه المعاني فاطلبي العلم
بحقايق الاشياء واغرسي شجرة العلم والخير لينجلي بصرك فتستثمري من علمك
علما ومن فعلك الخير خيرا ومن استبصارك بصيرة ونورا وهدى فتسكني بذلك
المحل الاعلى وتتم لك السعادة القصوى والراحة الابدية اقول قد اشرنا
فيما سبق ان المعرفة في هذا العالم ينقلب مشاهدة وان العلم بحقايق الامور
وعظايم الموجودات كالباري جل اسمه بذر ملاقاتها فان باطن الانسان
وسره يصير في القيمة ظاهره وعلنه ويصير بصيرته بصره الذي به يبصر هناك
ما علمه ههنا وكل من كان جاهلا ناسيا ههنا يحشر في الآخرة اعمى وكل من
الف الدنيا ومحسوساتها وشهواتها يحترق في القيمة بنار الجحيم وقال يا نفس
تاملي جوهرك واعتبري وتعلمي ان جوهرك جوهر عال شريف وذلك لمناسبتها
جميع العوالم فتارة ينسب الى عالم الطبيعة فتكون انسانية حسية مشاهدة
للمحسوسات مشارفة للماكل والمشارب والشهوات وجميع معاني الطبيعة و

ظ او م لا

تارة

تارة ينسب الى عالمها الاخص بها فتكون متخيلة مدبرة مستعملة محركة لقوى الوهم و
الخيال ذات استبحاث وتامل واختيار وارادة فهذه المعاني هي معاني
النفس والحيوة المنبثة في جميع ما يحتوي عليه ملكوت النفس وتارة ينسب
الى عالم العقل فيكون منتزعة الصور من الهيولى مدركة للبسايط الاولى مميزة
مصورة عاقلة لجميع المعاني الفاردة وتارة ينسب الى العالم الالهي فيكون
فاعلة للخير والجود امارة به خالية من الشر والجور حكيمة الافعال متقنة الاعمال ومن
اوضح الدلالة على انها تنتسب الى العلة الاولى انها تسمو الى الاحاطة بجميع الاشياء
التي تحتوي عليه الملكوت الاعظم وانها لن تلقى مستقرة راضية تامة الرضا
دون ان يبلغ العالم العقلي بجميع ما فيه فح تلقى تامة مستقرة تامة الرضا وقال
يا نفس ان القليل من العمل مع العلم به خير من كثير العمل مع قلة العلم به انتهى
ما استخرجنا من كلام هذا الحكيم وقال بعض الفضلاء لا شك ان الانسان
افضل الحيوانات وليست تلك الفضيلة لقوته وصورته فان كثيرا من الحيوانات
يساويه او يزيد عليه فاذن ليست تلك الفضيلة الا اختصاصه بالمزية النورانية
واللطيفة الربانية التي لاجلها صار مستعدا لادراك حقايق الاشياء والاطلاع
عليها والاشتغال بعبادة الله على ما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
وايضا الجاهل كانه في ظلمة شديدة لا يرى شيئا البتة والعالم كانه يطير في اقطار
الملكوت ويسبح في بحار المعقولات فيطالع الموجود والمعدوم والواجب والممكن
والممكن والمحال ثم يعرف انقسام الممكن الى الجوهر والعرض والجوهر الى البسيط
والمركب ويبالغ في تقسيم كل منها الى انواعها وانواع انواعها وتحليلها الى

٢٩٢

اجزائها واجزاء اجزائها والجزء الذي به يشارك غيره والجزء الذي به يمتاز عن غيره
حتى ينتهي في الترتيب الاول الى الاجناس البسيطة العالية وفي الترتيب الثاني
الى الفصول البسيطة الاخيرة ويعرف اثر كل شئ ومؤثره ومادته وصورته
وجنسه وفصله ولازمه وملزومه وواحده وكثيره حتى يصير عقله كالنسخة المعقولة
المأخوذة من جميع الموجودات اثبتت فيها صور جميع المعلومات بتفاصيلها
واقسامها فاى سعادة فوق هذه الدرجة سيما وقد علمت ان علوم الانسان
يصير في القيمة اعيانا خارجية فيكون له في ذاته عالم عظيم مفارق مصفى عن كل كدر
وظلمة وآفة وشر تحت حيطته وتصرفه يفعل فيه ما يريد وهذا هو الملك الدائم
الذي لا يزول والجاه الرفيع الذي لا يرتفع ثم انه بعد صيرورته كذلك تصير
مكملة للناقصين جاعلة للنفوس الجاهلة عالمة فيصير كالشمس في عالم الارواح سببا
للحيوة الابدية لساير النفوس فيكون كبعض الملئكة واسطة بين الله وبين
عباده في نفخ روح الحيوة العقلية على قوابل نفوسهم ولهذا قال تعالى تنزل
الملئكة والروح من امره على من يشاء فالعلم حيوة النفس والمفسرون فسروا
هذا الروح بالعلم والقرآن فكما ان البدن بلا روح اى نفس ميت فاسد
فكذا الروح بلا علم ميت ونظيره قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا
من امرنا وقوله او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا الآية فالعلم روح
الروح ونور النور ولب اللب ومن خواص هذه السعادة انها تكون
باقية آمنة من الفساد والتغير فان التصورات الكلية لا يتطرق اليها الزوال
والتغير فاذا كانت هذه السعادة في نهاية الجلالة في ذاتها ثم انها باقية ابد
الآباد

الآباد ودهر الداهرين كانت لا محالة اكمل السعادات وايضا ان الانبياء
صلوات الله عليهم ما بعثوا الا للدعوة الى الحق قال تعالى ادع الى سبيل
ربك بالحكمة الخ وقال قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا
ومن اتبعني ثم خذ من اول الامر فانه سبحانه لما قال اني جاعل في الارض
خليفة فلما قالت الملئكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء قال سبحانه
اني اعلم ما لا تعلمون فاجابهم بكونه سبحانه عالما فلم يجعل ساير صفات الجلال
من القدرة والارادة والسمع والبصر والوجوب والقدم والاستغناء
جوابا لهم وذلك يدل على ان صفات الجلال والكمال وان كانت في نهاية
الشرف الا ان صفة العلم اشرف ثم انه سبحانه لما اراد ان اقام الحجة عليهم
في استحقاق آدم منصب الخلافة انما اظهر فضيلته عليهم بالعلم وذلك ايضا يدل
على ان العلم اشرف من العمل سيما عمل الملئكة وهو التسبيح والتقديس ثم انه
تعالى لما اظهر علمه جعله مسجودا للملئكة وخليفة العالم السفلي وهو يدل على ان
تلك المرتبة انما استحقها آدم عليه السلم بالعلم ثم ان الملئكة افتخرت بالتسبيح
والتقديس والافتخار بهما انما يحصل لو كانا مقرونين بالعلم واما ان حصلا
بدون العلم كان ذلك نفاقا والنفاق اخس المراتب وان وقعا تقليدا
فالتقليد مذموم فثبت ان تسبيحهم وتقديسهم انما صارا موجبا للافتخار ببركة العلم
ثم ان آدم عليه السلم انما وقع عليه اسم المعصية لانه اخطأ في مسئلة واحدة
اجتهادية فلاجل هذه الخطاء وقع فيما وقع فيه والشئ كلما كان الخطر فيه اكثر كان
اشرف فذلك يدل على غاية جلالة العلم ثم انه ببركة العلم لما تاب واناب

وترك الاصرار والاستكبار وجد خلعة الاجتباء واما اللعين فلما اصر على جهله
واستكباره طوقه الله المقت واللعن ثم انظر الى ابراهيم على نبينا وآله
وعليه السلم كيف اشتغل في اول امره بطلب العلم على ما قاله سبحانه فلما
جن عليه الليل رأى كوكبا ثم انتقل من الكوكب الى القمر ومن القمر الى الشمس
ولم يزل ينتقل بفكره من شئ الى شئ الى ان وصل بالدليل الزاهر والبرهان
الباهر الى المقصود واعرض عن الشرك فقال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات
والارض فلما وصل الى هذه الجملة مدحه الله باشرف المدائح وعظمه على اتم الوجوه
فقال تارة وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وتارة اخرى
وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ثم انه عليه السلم
بعد الفراغ عن معرفة المبداء اشتغل بمعرفة المعاد فقال واذ قال ابراهيم
رب ارني كيف تحيي الموتى ثم لما فرغ من التعلم اشتغل بالتعليم والمحاجة تارة
مع ابيه على ما قال لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر وتارة مع قومه ما هذه التماثيل التي
انتم لها عاكفون واخرى مع ملك زمانه الم تر الى الذي حاج ابراهيم الآية وكذلك
حال موسى على نبينا وآله وعليه السلم مع فرعون ووجود دلايله معه ثم انظر الى حال
سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وآله كيف من الله عليه بالعلم
مرة بعد اخرى فقال ووجدك ضالا فهدى وقال ايضا ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان وقال ما كنت تعلمها انت ولا قومك ثم انه اوحى ما اوحى اليه و
قوله اقرء باسم ربك الذي خلق ثم قال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله
عليك عظيما وقال في معرض الامتنان على امته هو الذي ارسل رسوله بالهدى

هو الذي

الباب الخامس في العلم والتعليم

هو الذي انزل على عبده الكتاب هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا
عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة واشار الى العلم والحكمة بقوله ذلك
فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وهو صلى الله عليه وآله كان يقول
في دعائه رب ارنا الاشياء كما هي وقال يوسف عليه السلم رب قد آتيتني
من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث وقال اجعلني على خزائن الارض اني
حفيظ عليم ولم يقل اني نسيب حسيب فصيح مليح وايضا قد جاء في الخبر المرء مرء
باصغريه قلبه ولسانه لان الاول محل الاعتقاد والرأي والثاني محل الحكاية والقول
فيعلم بجنانه ويتكلم بلسانه قال الشاعر لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
فلم يبق الا صورة اللحم والدم وايضا فانه عز وجل قدم عذاب الجهل على عذاب النار
فقال كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم وعن علي عليه السلم عين العلم
من العلو ولامه من اللطف وميمه من المروة وقيل العلم عشرة علم التوحيد للاديان
وعلم السر للشيطان وعلم المعاشرة للاخوان وعلم الشريعة للاركان
وعلم السياسة للسلطان وعلم النجوم للازمان وعلم المبارزة للفرسان وعلم الرؤيا
للعيان وعلم الطب للابدان وعلم الحقيقة للرحمن وقيل ضرب الله المثل في العلم
بالماء قوله انزل من السماء ماء الآية لانه سبب للحيوة الباقية والمياه
اربعة والعلوم اربعة ماء العين لعلم التوحيد لا يجوز تحريكه لئلا يتكدر ولذا لا ينبغي
البحث عن كيفية ذات الله وقضائه لئلا يحصل الكفر وماء القناة لعلم الفقه
يزداد بالاستنباط كماء القناة يزداد بالحفر وماء المطر لعلم الزهد ينزل صافيا و
يتكدر بغبار الهواء وكذلك علم الزهد يتكدر بالهوى والطمع وماء السيل لعلم

البدع والمقاييس كماء السيل يهلك الاحياء ويميت الخلق فهذه جملة من
الاخبار والآثار دالة على فضيلة العلم وقد علمت الوجه العقلي في ذلك ولو ذهبنا
الى ذكر الدلايل والشواهد والحكايات الدالة على هذا المطلب لما وفى بذلك
المجلدات الكثيرة والله اعلم الحديث السادس وهو الثاني والثلثون علي
بن ابراهيم عن ابيه عن القاسم بن محمد الظاهر ان يكون المراد به قاسم بن محمد
الاصبهاني المعروف بكاسولا لمشاركته مع سليمان في البلد كما في صه ويحتمل ان
يكون قاسم بن محمد الخلقاني كوفي قريب الامر صه قال النجاشي له كتاب روى عنه
احمد بن هيثم عن سليمان بن داود المنقري ابو ايوب الشاذكوني بصري قال النجاشي
ليس بالمتحقق بنا غير انه روى عن جماعة اصحابنا من اصحاب جعفر بن محمد وقال ابن
الغضايري انه ضعيف جدا لا يلتفت اليه يوضع كثيرا على المهمات وفي الفهرست
والنجاشي له كتاب يروي عنه القاسم ابن محمد عن حفص بن غياث القاضي عامي
المذهب له كتاب معتمد صه قال النجاشي ابن غياث بن طلق ابن معوية ابو عمرو
القاضي الكوفي من اصحاب الصادق عليه السلم روى عنه وعن ابي الحسن عليهما السلم
ولي القضاء ببغداد الشرقية لهرون ثم ولاه قضاء الكوفة ومات بها سنة اربع و
تسعين ومائة روى عنه ابن عمر قال قال لي ابو عبد الله عليه السلم من تعلم العلم
وعمل به وعلّم به لله دعي في ملكوت السموات عظيما فقيل تعلم لله واعمل به لله وعلّم
لله الشرح قوله عليه السلم علّم به بالتشديد للتعدية وقوله لله اولا متعلق بكل واحد
من الافعال الثلثة اعني التعلم والعمل والتعليم بدليل ما فصل اخيرا والملكوت اسم
مبني من الملك كالجبروت والرهبوت من الجبر والرهبة والمراد بملكوت كل شيء

علیهما السلم وكان ثقة انتهى وفي صه مثله الا ان فيها الاصبهاني بدل البصري وابطل جعفر بدل جعفر بن محمد م

باطنه

باطنه المتصرف فيه المالك لامره باذن الله فان لكل موجود في هذا العالم الحسي
الشهادي صورة باطنية في آخر روحاني غيبي نسبتها اليه نسبة الروح الى
البدن وكما يتفاوت الموجودات في هذا العالم شرفا وفضيلة كذلك يتفاضل
الموجودات في ذلك العالم فملكوت الاشرف من ملكوت الاخس
اذ لا شبهة في ان باطن الحيوان اشرف من باطن الجماد مثلا لكن التفاضل في الدرجات
هناك اكثر واعظم كما في قوله تعالى وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا ولما كان اشرف
الاجسام في هذا العالم هو السموات بما فيها من الاجرام الكريمة النورانية فملكوت
السموات وما فيها اشرف واعلى من ملكوت الارض وما فيها ثم من كان يدعى
عظيما في ملكوت السموات كان مقامه اشرف واعلى من مقام اهل الملكوت
الاعلى فما اجل واعظم فضيلة العلم حيث يجعل به الانسان السفلي الارضي اعظم
من اهل الملكوت العلوي السماوي ثم لا يخفى ان العلم كما مر قسمان علم معاملة
وعلم مكاشفة والثاني اشرف من الاول والمذكور في هذا الحديث هو الاول
لدلالة قوله عليه السلم واعمل به فاذا كان حال القسم الادون من العلم هذا فما
ظنك بحال القسم الاعلى المطلق الالهي باب صفة العلماء وهو الباب السادس
من كتاب العقل وفيه سبعة احاديث الحديث الاول وهو الثالث والثلثون
محمد بن يحيى العطار عن احمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن محبوب عن
معوية بن وهب البجلي ابو الحسن كوفي عربي صميم ثقة صحيح حسن الطريقة
روى عن ابي عبد الله وابي الحسن عليهما السلم صه قاله النجاشي وفي
الفهرست له كتب منها فضايل الحج روى عنه ابن ابي عمير وعلي بن الحكم

عالم غ

٢٩٥

قال سمعت ابا عبد الله عليه السلم يقول اطلبوا العلم وتزيّنوا معه بالحلم والوقار
وتواضعوا لمن تعلّمونه وتواضعوا لمن طلبتم منهم العلم ولا تكونوا علماء جبّارين
فيذهب باطلكم بحقّكم الشرح الحلم والوقار متقاربان في المعنى والحليم من اسماء
الله وهو الذي لا يستخفّه شيء من عصيان العباد ولا يستفزّه الغضب عليهم وفي
الحديث اولوا الاحلام والنهى اي ذوو الالباب والعقول واحدها الحلم بالكسر
وهو الاناة والتثبّت في الامور وذلك من شعار العقلاء وقد مرّ في الحديث
الرابع عشر انه من جنود العقل وضده السفه وهو من توابع الجهل ومن شعب
الانحراف عن طريق العلم وكذلك الوقار ضده الخفّة والطيش والعجلة
من فعل الشيطان والتواضع التذلّل والانكسار امر عليه السلام بعد الامر
باكتساب العلم بتزيين النفس اي تكميلها بالحلم والوقار والتواضع للمعلّم
والمتعلّم فضلا عن التواضع والتذلّل لمن خلق العلم والتعلّم والتعليم واوجد
العالم والمعلّم والمتعلّم اما التواضع للمعلّم فلكونه كالاب في كونه وسيلة لحيوة
المتعلّم في دار الباقية فكما اوجب الشرع طاعة الابوين والانقياد والتواضع وليس
ذلك الا لجعلهما وسيلة لهذه الحيوة للولد فكذلك اوجب العقل والشرع التواضع
وحسن الانقياد للمعلّم واما التواضع للمتعلّم فذلك لما له من المدخلية في حصول الاجر
والثواب للمعلّم ولكونه باعثا لمزيد العلم للاستاد وقوّته بالمذاكرة والتكرار معه
ثم نهى عليه السلم عما هو ضد التواضع وهو التجبّر والتكبّر فقال ولا تكونوا علماء جبّارين
ثم افاد بقوله عليه السلم فيذهب باطلكم بحقكم ان الجبّارية والكبر امر باطل فيما سوى
الرب تعالى وانه محقّ للعلم مزيل له لان كون العبد عالما بالله ينافي كونه جبّارا

فمتى

فمتى كان الرجل متجبّرا استحال كونه عالما بالحقيقة فمن ادّعى العلم وتكبّر على خلق الله
فدلّ ذلك على ان علمه ليس بعلم حقيقي بل انما هو مجرّد حفظ الاقوال من غير بصيرة
والله قاصم ظهور المتكبّرين ومهلك الجبابرة والفراعنة قال اليس في جهنم مثوى للمتكبّرين — مثوى لهم
وفي الحديث الالهي الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني فيهما قصمت ظهره ثم
ان قوله ولا تكونوا علماء جبّارين دالّ على ان دفع هذا المرض المهلك وعلاجه مما
واقع تحت اختيار العبد والا لكان التكليف به تكليفا بما لا يطاق وعلاجه
مذكور في الاخلاق مستفاد من الشرع وهو المداومة على افعال المتواضعين
والمواظبة على سنتهم وطريقتهم بل نقول دواء هذا المرض الباطني معجون مركّب
من اجزاء علمية وعملية اما العلمية فان يعلم بالله وتوحيده في الذات والصفات
والافعال وان كل وجود وكمال وجود من حيوة وعلم ومعرفة فهو لا يكون الا بفيض
جوده ورحمته وان يعلم بان جميع ما سواه ليس لها في ذاتها متفردة عن آثار
فيضه وكرمه الا الليس الصرف والعدم الساذج وان لا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم ويعلم بان النفس الآدمية في اول نشأتها كانت من اذلّ
الاشياء واذونها واضعفها واخسّها فخلقها الله واوجدها بعد العدم وخلقها
من النطفة القذرة ودم الطمث وصوّرها اولا بصورة العلقة ثم المضغة ثم — المضغة
العظام ثم الجنين المشتمل على اللحم والعظم والرباط والعصب وساير الاعضاء
طورا بعد طور ونشأة بعد نشأة الى ان استعدّ لصورة الانسانية القابلة
للامر الرباني والسرّ المودع الملكوتي ويعلم انه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرّا ولا موتا
ولا حيوة ولا نشورا ويعلم ايضا ان السبب في استكمالات الاشياء ورقيّها

سواء كانت طبيعية او إرادية كما يظهر عند التفتيش والتحقيق ليس الا انكسار وضعف
وعجز لحقها اولاً فصارت مستعدة لقبول صورة او صفة كمالية اخرى الا ترى ان الحجر
ما لم ينكسر سورة كيفياتها الشديدة المتضادة لم يتصور بصورة اخرى كمالية وهكذا
البذر والنواة المدفونة في الارض ما لم يعرض قريبة من التعفن والفساد في صورة الجمادية
لم تفض عليها صورة النباتية وكذا القياس في صيرورة النبات حيواناً والحيوان
ناطقاً وهكذا حال الانسان في التدرج على اطوارها الكونية ونشآتها فما لم يمت عن
نشأة اولى لم يحيى بحيوة اخرى فالعلم الذي به يكمل النفس الانسانية لا يحصل الا بعد
رياضة شاقة وتذلل وتخضع لله ولرسوله صلى الله عليه وآله والائمة من بعده عليهم السلم
ولساير المعلمين والمشايخ الذين هم ايضاً من الوسايط من المبدأ الفياض للعلوم و
من النفس القابلة المستعدة لها فاذا كان الامر كما بيّنا فمن اين للعبد سيما
العالم التجبر والتكبر فهذا هو الدواء العلمي واما الدواء العملي فهو التواضع بالفعل لله
تعالى والمواظبة على ما ذكرنا اقتداءً بسنة الرسول صلى الله عليه وآله وسيرة الائمة
الطاهرين عليهم السلم وغيرهم من العلماء الكاملين والاخيار الصالحين فان من احوال
الرسول صلى الله عليه وآله كما هو المنقول انه يأكل على الارض ويقول انما انا عبد
آكل كما تأكل العبيد وكان صلى الله عليه وآله يركب على الحمار مردوفاً مع آخر وروي
ان علياً عليه السلم اشترى لحماً بدرهم فحمله في ملحفته فقال له احد انا احمل عنك
يا امير المؤمنين فقال لا ابو العيال احق ان يحمل شيئاً الى عياله وعوتب عليه السلم
في ازار مرفوع فقال يقتدي به المؤمن ويخشع له القلب وحال امير المؤمنين عليه السلم
وتواضعه مع الناس سيما مع عبيده وخدمه مشهور لا يحتاج الى البيان وكذا روي

ان الحسن

ان الحسن عليه السلم اجتاز بالمدينة في طريق وهو راكب فرأى جماعة من المساكين
وقد اخرجوا كسراً يابسة وهم يأكلونها فسلم عليهم فقالوا هلم يا ابن رسول الله الى الغداء
فجلس معهم على الارض وشاركهم في الاكل حتى فرغوا ثم قام وروي انه عليه السلم
مر يوماً بجماعة من المجذومين وهم يأكلون وكان عليه السلم صائماً فقالوا هلم الى الغداء
فقال اني صائم وخشي ان يكون قد حصل لهم كسر قلب بذلك فقال تأتون الليلة
جميعاً لافطر معكم فأتوه عند المساء واكل معهم على خوان واحد جبراً لقلوبهم وربما روي
ذلك عن الامام زين العابدين عليه السلم وروي انه تكلم رجل في زين العابدين
عليه السلم وافترى عليه فقال عليه السلم له ان كنت كما قلت فاستغفر الله وان
لم اكن كما قلت فغفر الله لك فقام الرجل وقبّل رأسه وقال جعلت فداك لست
كما قلت فاغفر لي قال غفر الله لك فقال الرجل الله اعلم حيث يجعل رسالته وخرج
يوماً من المسجد فلقيه رجل فسبّه فثارت اليه العبيد والموالي فقال لهم عليه السلم مهلاً
عن الرجل ثم اقبل عليه وقال ما ستر عنك من امرنا اكثر الك حاجة نعينك عليها فاستحيى
الرجل فالقى اليه خميصة كانت عليه وامر بالف درهم وقيل لسلمان رضي الله عنه
لم لا تلبس ثوباً جديداً فقال انما انا عبد فاذا عتقت يوماً لبست اشار به الى العتق
في الآخرة قال الغزالي في الاحياء ولا يتم التواضع بعد المعرفة الا بالعمل ولذلك امر العرب
الذين تكبروا على رسول الله صلى الله عليه وآله بالايمان والصلوة جميعاً وقيل الصلوة عماد الدين
وفي الصلوة اسرار لاجلها كانت عماداً ومن جملة ذلك ما فيها من التواضع بالمثول بين
يدي الله قائماً وبالركوع والسجود وقد كان العرب قديماً يأنفون من الانحناء فكان يسقط
من الواحد سوط فلا ينحني لاخذه وينقطع شراك نعله فلا ينكس رأسه لاصلاحه فلما كان

اليوم

نعينك

فلا ينكس رأسه

السجود عندهم هو منتهى المذلة والضعة أمروا به ليكسر بذلك خيلاؤهم ويزول كبرهم
ويستقر التواضع في قلوبهم وبه أمر سائر الخلق فإن الركوع والسجود والمثول
قائما هو العمل الذي يقتضيه التواضع فكذلك من عرف نفسه فلينظر كل ما يتقاضاه
الكبر من الأفعال فليواظب على نقيضه حتى يصير التواضع له خلقا فإن القلوب لا تتخلق
بالأخلاق المحمودة إلا بالعلم والعمل جميعا وذلك لعلاقة خفية ارتباطية بل اتحادية
بين النفس والبدن وسر الارتباط الذي بين عالمي الملك والملكوت والغيب
والشهادة لا يعرفه إلا الكاملون في المعرفة واعلم أن الذي يعرض للمتكبرين له أسباب
سبعة ليس شيء منها بكمال حقيقي أما الكمال بالحقيقة هو العلم الحقيقي لأنه باق
لا يزال والعمل الصالح وسيلة إليه وأما ما عداه مما يفنى بالموت فهو كمال وهمي فمن
هذا التقرير على المتصف بالعلم الظاهري أن لا يتكبر وطريق العلاج في كل من تلك الأسباب
السبعة بالعلم والعمل مذكور في موضعه ولنذكر أنموذجا من ذلك السبب الأول النسب
فمن تكبر من جهته فليعالج قلبه بمعرفة أمرين أحدهما أن هذا جهل من حيث تعزز بكمال غيره
ولذلك قيل إن افتخرت بآباء ذوي شرف فلقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا أي المتكبر
بالنسب إذا كان خسيسا في صفات نفسه فمن أين يجبر خسته بكمال غيره بل لو كان الذي ينسب
إليه حيا لكان له أن يقول الكمال والفضل لي ومن أنت وإنما أنت دودة خلقت من بولي
والثاني أن يعرف نسبه الحقيقي فيعرف أباه وجده فإن أباه القريب نطفة قذرة وجده
البعيد تراب وقد عرفه الله نسبه فقال وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله
من سلالة من ماء مهين فمن كان هذا أصله كيف يتكبر إذ يقال له يا أذل من التراب ويا أنتن
من الحمأة ويا أقذر من المضغة فإن كان كونه من أبيه أقرب من كونه من التراب فيقول

افتخر

افتخر بالقريب دون البعيد فالنطفة والمضغة أقرب إليه من الأب فليفتخر
بها فهذا هو النسب الحقيقي للإنسان الطبيعي ومن عرفه لم يتكبر بالنسب
ويكون مثاله بعد هذه المعرفة وانكشاف الغطاء له عن حقيقة أصله كرجل
لم يزل عند نفسه أنه هاشمي لما أخبره بذلك والداه فكان ذا نخوة للشرف
فبينما هو كذلك إذ أخبره عدول ثقات لا يشك في قولهم أنه ابن هندي
حجام يتعاطى القذر وكشفوا له وجه التلبيس عليه بحيث لم يبق له شك في
صدقهم أفترى يبقى من كبره وتشرفه بالنسب شيء بل يصير عند نفسه أحقر الناس
وأرذلهم فهكذا البصير إذا تفكر في أصله السبب الثاني التكبر بالجمال وهو
صفاء ورواء في ظاهر البدن وتناسب في الأشكال والصور فلو نظر
المتكبر به نظر العقلاء إلى باطنه ولا ينظر نظر البهائم إلى الظاهر لرأى من الفضائح
ما يكدر عليه تعززه بجماله فإنه وكل به الأقذار في جميع أعضائه والرجيع في أمعائه
والبول في مثانته والمخاط في أنفه والبزاق في فيه والوسخ في أذنيه والدم
في عروقه والصديد تحت بشرته والصنان تحت إبطيه يغسل الغائط كل يوم
دفعتين ويتردد إلى الخلاء مرتين يخرج من باطنه ما لو رآه بعينه لاستقذره
فضلا من أن يمسه إلى غير ذلك من المستقذرات التي يفضحه مما يؤدي ذكره
إلى التطويل مع ما كان عليه في بداية أمره من الأقذار الشنيعة الصور من
النطفة ودم الحيض وخروجه من مجرى القذر مرتين وما يؤدي إليه في نهاية
أمره من الجيفة والقيح والصديد والرفات والتراب الذي تذروه
الرياح فمن عرف حاله بهذا لم يتفخر بجماله الذي هو كخضراء الدمن السبب الثالث

298 الْقُوَّة والأَيْد ويمنعه من التفاخر بها ان يعلم ما سلّط عليه من العلل والأمراض
فانّه لو توجّع بعرق واحد على بدنه لصار اعجز من كل عاجز واذلّ من كل ذليل
وان سلبه الذباب شيئاً لم يستنقذه وانّ بقّة لو دخلت انفه او نملة
دخلت اذنه لقتلته فمن لا يقدر ان يدفع عن نفسه ذبابة ولا يقاوم بقّة
ويعجزه شوكة دخلت في رجله فما ينبغي ان يفتخر ثم راى الفيل والجمل والحمار
والبقر اقوى منه السبب الرابع الغنى وكثرة المال والسبب الخامس
كثرة الاتباع والانصار وولاية السلاطين وقربهم والتمكن من جهتهم والتكبر
بهذين السببين اقبح انواع التكبر لانه بمعنى خارج عن ذات الانسان وصفاته
كالجمال والقوة والعلم فالمتكبر بفرسه وداره لو مات فرسه وانهدم
داره بقي ذليلا والمتكبر بتمكين السلاطين وولايتهم بناء امره على قلب
اشد غليانا من القدر فان تغير عليه كان اذل الخلق وبالجملة فكل متكبر
بامر خارج عن ذاته فهو ظاهر الجهل فكيف المتكبر بالغنى والثروة والتجمل
فانّ هذه شرف يسبقه اليهود به وانه شرف يأخذه السارق في لحظة
فيعود صاحبه ذليلا مفلسا ذا وبال ونكال فالتفاخر به غاية الجهل السبب
السادس التفاخر بالعلم وهذه الآفة اعظم الآفات واشد الادواء لانّ قدر
العلم عظيم عند الله وعند الخلائق وهو مع ذلك مشتبه بالجهل ولهذا قيل اذا
ذلّ العالم ذلّ بذلته العالم فينبغي للعالم ان لا يستعظم نفسه بالاضافة الى الجاهل
فانّ خطر العلم اكثر من خطر الجهل وحجة الله على اهل العلم آكد وانه تعالى يحتمل من
الجاهل ما لا يحتمل عشره من العالم وانه من عصى الله تعالى عن معرفة وعلم فجنايته
افحش

قوله تندلق: تندلق اقتاب بطنه اي خرجت امعائه صح

افحش اذا لم يقض حق نعمة الله في العلم ولذلك قال عليه على نبينا وآله وعليه السلام
يؤتى بالعالم يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى
فيطيف به اهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت آمراً بالخير ولا آتيه وانهى عن
الشر وآتيه وقد مثّل الله تعالى للعالم الذي لا يعمل بعلمه ولا يطابق ظاهره باطنه
ولسانه قلبه تارة بالحمار مثل الذين حُمّلوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفاراً
اراد به علماء اليهود وتارة بالكلب واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ
منها فاتبعه الشيطان الى قوله فمثله كمثل الكلب اراد به بلعم بن باعورا فالعالم
وان كان قدره اعظم من قدر الجاهل لكن خطره اعظم من خطر غيره والجاهل اقرب
الى السلامة من العالم لكثرة آفاته وعظم اخطاره نعم لو خلص من آفاته ونجى
يوم القيمة من العذاب كان نعيمه اعظم من نعيم الجاهل لكن ذلك غير معلوم
فكم من عالم يشتهي في الآخرة سلامة الجهال والعياذ بالله فهذا الخطر يمنع عن
التكبر لانه ان كان من اهل النار فالخنزير افضل منه فكيف يتكبر فان قلت فكيف
يتواضع للفاسق الظاهر الفسق وللمبتدع وكيف يرى نفسه دونهم وهو عالم
عابد وكيف يجهل فضل العلم والعبادة ومعلوم انّ خطر الفاسق والمبتدع
اكثر واعظم قلت هذا العالم ان كان عالما حقيقيا ربانيا فهو مستغرق في شهود
الحق وغافل عن نفسه وعن علمه وعرفانه والتكبر على الغير فرع على الالتفات
بالنفس وكمالها وعرفانها والعارف بالحق المحب له لا يعرف ولا يحب
غيره تعالى وان كان ذلك الغير نفسه او عرفانه ونعم ما قال صاحب الاشارات

٢٩٩

في مقامات العارفين واحوالهم من آثار العرفان للعرفان فقد قال بالثاني ومن وجد العرفان فكانه ما وجده بل وجد المعروف به فقد خاض لجة الوصول وان لم يكن عالما حقيقيا فليتفكر في خطر العاقبة بل لو نظر الى كافر لم يمكنه ان يتكبر عليه اذ يتصور ان يسلم الكافر فيختم له بالايمان وحسن العاقبة ويضل هذا العالم ويختم له بالكفر وسوء العاقبة ثم ان المتكبر ممقوت عند الله معذب في الآخرة قال ابليس في جهنم مثوى للمتكبرين والكلب والخنزير احسن حالا ممن هو عند الله من اهل النار وهو لا يدري انه ناج من العذاب ام لا فكم من مسلم نظر الى عظيم من عظماء الصحابة قبل اسلامه كابي ذر وحذيفة ونحوهما رضي الله عنهم فاستحقره وازدراه وقد رفعه الاسلام وعظم منزلته و فاق على اكثر الصحابة فاذا حق العالم ان لا يتكبر على احد بل ان نظر الى جاهل قال انه عصى الله بجهل وانا عصيته بعلم فهو اقرب الى العذر مني وان نظر الى عالم هو اعلم منه فيقول انه يعلم ما لم اعلم فكيف اكون مثله وان نظر الى كبير هو اكبر منه قال انه اطاع الله قبلي فكيف اكون مثله وان نظر الى صغير قال اني عصيت الله قبله فكيف اكون مثله وان نظر الى مبتدع او كافر قال ما يدريني لعله يختم له بالاسلام ويختم لي بما هو عليه فبملاحظة الخاتمة يقدر على ان يدفع عن نفسه الكبر وكل ذلك بان يعلم ان الكمال في سعادة الآخرة والقرب من الله لا فيما يظهر في الدنيا مما لا بقاء له ولعمري هذا الخطر مشترك بين المتكبر والمتكبر عليه وحق كل منهما ان يكون مصروف الهم الى اصلاح نفسه ومشغول القلب بخوفه

لعاقبة

لعاقبة لا ان يشتغل بخوف العاقبة لغيره السبب الرابع التكبر بالورع والعبادة وذلك ايضا فتنة عظيمة ومرض شديد فلما يقبل العلاج لانه مع حسن العمل وجودة الظاهر وما ورد في الكتاب والسنة من مدايح اهل الورع والعبادة ربما يكون قسي القلب جامد القريحة خامد الفطنة وقد سمع ان المقصود من العلم هو العمل لا غيرها وقد راى من بعض العلماء ما يقبح عنده فيزدريهم وينظر اليهم بعين الحقارة فهذا انما يمتنع علاجه وهو من الهالكين ولكن اذا كان في ذاته لطيف الجوهر زكي الطبع يمكن قبوله للعلاج بان يعلم ان من يتقدم عليه بالعلم لا ينبغي ان يتكبر عليه كيف ما كان لما عرفت من فضيلة العلم وقد قال تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال صلى الله عليه وآله فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي الى غير ذلك مما ورد في فضل العلم فان قال العابد ذلك العالم عامل بعلمه وهذا عالم فاجر فيقال له اما عرفت ان الحسنات يذهبن السيئات وكما ان العلم يمكن ان يكون حجة على العالم يمكن ان يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما ممكن وقد وردت الاخبار بما يشهد لذلك واذا كان هذا امرا غايبا عنه فلم يجز له ان يحتقر عالما بل وجب عليه ان يتواضع له ويخدمه فهذا حال العابد مع العالم فاما مع غير العالم فهو اما مستور الحال واما مكشوف الفسق وعلى اي القسمين لا ينبغي له التكبر عليه اما الاول فلعله اقل ذنبا واكثر عبادة منه واشد حبا لله تعالى واما الثاني فلا ينبغي للعابد ان يتكبر عليه بظاهر حاله اذ ذنوب القلوب من الكبر والحسد والرياء والغل واعتقاد الباطل والوسوسة في صفات الله تعالى وتخييل الخطاء فيه كل ذلك شديد عند الله فربما جرى عليك في باطنك من خفايا الذنب

ما امرت به عند الله ممقوتا مطرودا عن باب رحمته وقد جرى للفاسق الظاهر الفسق
من طاعات القلوب من حب الله واخلاصه والخوف عنه والتعظيم له وملئكته
وانبيائه واوليائه عليهم السلم ما انت خال عنه وقد كفر ذلك سيأته فاذا
انكشف الغطاء يوم القيمة فتراه ارفع منك بدرجات فهذا احمق فاذا تفكرت
فى هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر على غيرك فهذا وامثاله يكون دواء هذا
المرض المهلك الحديث الثانى وهو الرابع والستون على بن ابرهيم عن محمد
بن عيسى عن يونس عن حماد بن عثمان عن الحرث بن المغيرة النصرى بالنون و
الصاد غير المعجمة روى الكشى عن محمد بن قولويه قال حدثنا سعد بن عبد الله عن احمد
بن محمد بن عيسى عن عبد الله بن محمد الحجال عن يوسف بن يعقوب قال كنا عند ابى
عبد الله عليه السلم فقال اما لكم من مفزع اما لكم من مستراح يستريحون اليه ما يمنعكم
من الحرث بن المغيرة النصرى وروى ايضا حديثا فى طريقه سجاده انه من اهل الجنة
وقال النجاشى حارث بن المغيرة النصرى من بنى نصر بن معوية بصرى روى عن
ابى جعفر الباقر والصادق والكاظم عليهم السلم وعن زيد بن على عليه السلم ثقة ثقة
عن ابى عبد الله عليه السلم فى قول الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء قال يعنى
بالعلماء من صدق فعله قوله ومن لم يصدق فعله قوله فليس بعالم الشرح قد علمت
ان العلم علمان علم حقيقى هو العلم بحقايق الاشياء على ما هى عليها كما هو مسئول النبى
صلى الله عليه وآله فى دعائه وعلم غير حقيقى هو معرفة الجزئيات المتغيرة وما يتعلق بالاعمال
والافعال والعلم بالحكايات والروايات ولكل منهما خواص ولوازم يعرفها العارفون
فمن لوازم الاول الخشية عن الله والحياء فى الباطن لما يخطر على القلب من جلال الله

وخوف

وخوف القرب والرجاء لا خوف المعصية والمحبة له تعالى والشوق اليه
والى ملكوته الاعلى والانزجار عن الدنيا والزهد فيها وتمنى الموت لاجل
لقاء الله والصدق فى جميع الاقوال والاعمال والقناعة بالقليل والتواضع
ومن خصايص الثانى الامن من مكر الله والخوف من عذاب المعصية
لا من لا استحقاقية القرب والاستحياء من الخلق الظاهر لا من الذى
يتجلى فى القلب ويطلع على الضماير والذكر والنسك باللسان والجوارح
والظواهر لا الذكر بالقلب والضماير فى السر فالعالم الحقيقى يلزمه الخشية
لله والتقوى والورع عن محارمه ظاهرا وباطنا فلا جرم يصدق فعله قوله
وظاهره باطنه وغيره فى الاغلب بخلاف ذلك الحديث الثالث وهو
الخامس والستون عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد البرقى عن اسمعيل
بن مهران عن ابى سعيد القماط هو خالد بن سعيد ابو سعيد كوفى ثقة روى
عن الصادق عليه السلم وفى كتاب الكشى قال حمدويه اسم ابى خالد القماط
يزيد وقال الشيخ الطوسى رحمه الله خالد بن يزيد يكنى ابا خالد القماط قيل
انه ناظر زيديا فظهر عليه فاعجب الصادق عليه السلم ذلك عن ابى عبد الله
عليه السلم قال قال امير المؤمنين عليه السلم الا اخبركم بالفقيه حق الفقيه من لا يقنط
الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من عذاب الله ولم يرخص لهم فى معاصى الله
ولم يترك القرآن رغبة عنه الى غيره الا لا خير فى علم ليس فيه تفهم الا لا خير فى قراءة
ليس فيها تدبر الا لا خير فى عبادة لا فقه فيها الا لا خير فى نسك لا ورع فيه الشرح

قد مرّ سابقا انّ اسم الفقه كان في اصل اللّغة بمعنى الفهم مطلقا سواء كان
في امور الدّين او في امور الدّنيا يقال فقه الرّجل بالكسر يفقه فقها اذا فهم وعلم
وفقه يفقه بالضّم اذا صار فقيها عالما وقد جعله العرف السّابق خاصّا بعلم
حقايق الايمان وعلم طريق الآخرة وكيفيّة سلوك سبيلها ثمّ خصّ بعلم الفروع الشّرعيّة [الدّين ومعارفه]
في عرف اللّاحق فيقال لمن عرف المسائل الفرعيّة من العبادات والمعاملات
والحدود وغيرها وان لم يعرف اصول المعارف واحوال المبداء والمعاد انّه
رجل فقيه والقنوط اشدّ اليأس من الشّيء يقال قنط يقنط وقنط يقنط فهو
قانط وقنوط والقنوط بالضّم هو المصدر وقوله عليه السّلم لا يقنّط النّاس من
باب التّفعيل للتّعدية اي لا يجعلهم قانطين من رحمة الله وقوله لا يؤمنهم اي
لا يجعلهم آمنا والا حرف يفتتح به الكلام للتّنبيه يقول الا انّ زيدا ضارب ذكر سلام الله
عليه للفقيه بالعرف المتقدّم علامات اربع يعرف بها الاولى ان لا يقنّط النّاس
من رحمة ربّهم والثّانية ان لا يؤمنهم من عذابه الثّالثة ان لا يرخّص لهم في شيء من معاصيه
الرّابعة ان لا يترك القرآن من حيث تلاوته والتّدبّر في آياته وسوره واستفادة
العلوم كلّها منه رغبة عن القرآن الى غيره من الكتب سواء كانت سماويّة او غيرها
اذ فيه علم الاوّلين والآخرين لمن كان له فهم وفقه فمن اعرض عن القرآن وحاول
اكتساب العلم والعرفان من كتب الفلاسفة وغيرهم فهو ليس بفقيه ولا عالم
ولعلّه عليه السّلم انّما اخبر النّاس بالفقيه او عن الفقيه بذكر هذه العلامات على
الخصوص له دون غيرها لانّ اكثر من يسمّى عند الجمهور بهذا الاسم في كلّ زمان
يكون

يكون موصوفا باضداد هذه الصّفات ويؤيّد ما ذكرنا انّ هذه المذكورات الاربعة
كلّها من باب السّلوب فدلّ على انّ الغرض التّعريض بجهال العلماء السّوء المتظاهرين
بالفقه والتّنبيه على انّ الفقيه بالحقيقة من الّذي صفاته على نقايض صفات اولئك
المشهورين عند الخلق باسم الفقيه وهذا من باب تعريف الشّيء بضدّه **تبصرة**
قوله عليه السّلم ولا يقنّط النّاس من رحمة الله اشارة الى بطلان مذهب المعتزلة
القائلة بايجاب الوعيد وتخليد صاحب الكبيرة في النّار وقوله ولم يؤمنهم من عذاب
الله اشارة الى حال المرجئة ومن يجري مجريهم من المغترّين بالشّفاعة وقوله ولم
يرخّص لهم في معاصي الله اشارة الى حال الحنابلة ومن يشبههم كاكثر المتصوّفة
وقوله ولم يرخص القرآن رغبة عنه الى غيره اشارة الى حال الحنفيّة لانّهم عملوا [ولم يترك]
بالقياس وتركوا القرآن مهجورا ففي كلامه اشارة الى انّ الفقيه غير هؤلاء
واشباههم فتدبّر وكن على بصيرة في دينك ثمّ اخذ عليه السّلم في التّنبيه على انّ [وكن]
ظواهر هذه الصّفات الحسنة المشهورة سواء كانت من باب العلم او من
العمل اذا كانت معرّاة عن الاحوال السّنيّة الباطنيّة ممّا لا خيريّة فيها ولا طائل تحتها
بل ضررها في الآخرة اكثر من نفعها وخسارتها اكبر من فائدتها كما نبّه الله تعالى عليه
بقوله قل هل ننبّئكم بالاخسرين اعمالا الآية وقوله تعالى مخاطبا لنبيّه صلّى الله عليه وآله
ومن النّاس من يعجبك قوله في الحيوة الدّنيا الآية والمراد من العلم الّذي ليس فيه
تفهّم هو احد امرين احدهما العلم التّقليدي او الظّنّي الّذي ليس عليه برهان ولا حصل [التّقليدي]
من دليل قاطع والثّاني العلوم النّقليّة والحكايات فانّ حافظي القصص والاخبار
وناقلي الاحاديث والرّوايات ربّما ظنّوا بانفسهم انّهم من جملة العلماء وانّهم كذلك

٣٠٢

عند اكثر الناس والله يشهد انهم لكاذبون وكذا القراء ومن يجري مجراهم اذا لم يكونوا من المتدبرين فالعالم بلا تفهم والقاري بلا تدبر لا ينفكان غالباً عن ضرب من النفاق العلمي وهو اشد قسمي النفاق واشار عليه السلم الى القسم الآخر وهو النفاق في العمل بقوله الا لا خير في عبادة ليس فيها تفكر وانما كانت تلك العبادة كذلك اي لا خير فيها لان صاحبها لا يخلو عن اعجاب بنفسه واعجاب المرء بنفسه من المهلكات كما مر وههنا نكتة لطيفة وهي ان النفاق بالحقيقة عبارة عن ايثار الدنيا على الآخرة واختيار الادنى الاخس على الارفع الاشرف فكل من آثر العمل على العلم واعمال الجوارح على الحركات الفكرية واستعمال الحواس والمشاعر الجزئية على استعمال العقل والمدارك الكلية العقلية وكذا العلوم والصنايع الجزئية على العلوم الكلية والمعارف الحكمية فهو من اهل النفاق عند ذوي البصاير واصل هذه النفاقات استيلاء القوة الوهمية التي هي رئيس القوى الحيوانية والشيطانية وهي اعظم جنود الكفر وحزب الشيطان قبل ان اسلمت واطاعت وخدمت للقوة العقلية التي هي رئيس القوى الملكية والقوى المسلمة المطيعة وهي اعظم جنود الحق وحزب الرحمن واما الرواية الاخيرة فلا تخالف ولا تزيد على هذه الرواية الا بتبديل لفظ ليس فيها تفكر بلفظ لا فقه فيها في قوله الا لا خير في عبادة الخ وما اراد التفقه الاخيرة ههنا وهو قوله عليه السلم الا لا خير في نسك لا ورع فيه والنسك وان كان معناه معنى العبادة كما هو المذكور في كتب اللغة ولكن يشبه ان يكون فيه زيادة تأكيد وكأنه عبادة مع زهد وهو الورع فكان المراد انه لا خير في عبادة لا زهادة معها فان الزهد الحقيقي منشأه العرفان فلا يتحقق الا مع العلم ولعل فائدة هذه الزيادة الواقعة

[illegible]

الملكية

في الرواية

في الرواية الاخيرة التنبيه على ان العبادة لا تتم بدون الزهد في الدنيا ومعلوم ان ذلك لا يتحقق الا بالعلم بحقارة الدنيا وجلالة قدر الآخرة وان ما عند الله خير وابقى فثبت ان العلم هو الاصل في كل عمل صالح فعلاً كان كالعبادة او تركاً كالزهد

الحديث الرابع وهو السادس والثلثون محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى ومحمد بن اسمعيل عن الفضل بن شاذان النيشابوري جميعا عن صفوان بن يحيى هو ابو محمد البجلي بياع السابري كوفي قال الشيخ الطوسي رحمه الله انه اوثق زمانه عند اصحاب الحديث وعبّادهم وكان يصلي كل يوم خمسين ومائة ركعة ويصوم في السنة ثلثة اشهر ويخرج زكوة ماله كل سنة ثلث مرات وذلك انه اشترك هو وعبد الله بن جندب وعلي بن النعمن في بيت الله الحرام فتعاقدوا جميعا ان مات واحد منهم يصلي من بقي منهم صلوته ويصوم عنه ويزكي عنه زكوته فمات صاحباه وبقي صفوان بعدهما وكان يفي لهما فيصلي عنهما ويزكي عنهما ويحج عنهما وكل شيء من البر والصلاح يفعله لنفسه كذلك يفعله عن صاحبيه وكان وكيل الرضا عليه السلم وقال ابو عمرو الكشي اجمع اصحابنا على تصحيح ما يصح عن صفوان بن يحيى والاقرار له بالفقه وروى عن محمد بن قولويه عن سعد عن احمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن معمر بن خلاد قال قال ابو الحسن عليه السلم ما ذئبان ضاريان في غنم غاب عنها رعاؤها باضر في دين المسلم من حب الرياسة ثم قال لكن صفوان لا يحب الرياسة وكانت له عند الرضا عليه السلم منزلة شريفة وتوكل للرضا وابي جعفر عليهما السلم وسلم مذهبه من الوقف وكانت له منزلة من الزهد والعبادة صه وقال النجاشي انه ثقة ثقة عين روى ابوه عن الصادق

علیه السلم ذکره الکشی فی رجال موسی علیه السلم وسلم مذهبه من الوقف وجماعة
من الواقفة بذلوا له مالاً کثیراً وکانت له منزلة من الزهد والعبادة وکان من
الورع والعبادة علی ما لم یکن احد من طبقته وروی الکشی عن علی بن محمد عن
احمد بن محمد عن علی بن الحسین بن داود القمی قال سمعت ابا جعفر علیه السلم
یذکر صفوان بن یحیی ومحمد بن سنان بخیر وقال رضی الله عنهما فما خالفانی وما خالفا
ابی علیه السلم قط بعد ما جاء فیهما ما قد سمعه غیر واحد وروی عن محمد بن قولویه
عن سعد عن احمد بن محمد بن عیسی مثل ما تقدم الا ان فیه رضی الله عنهما برضائی
عنهما فما خالفانی قط وعن ابی طالب عبد الله بن الصلت القمی قال دخلت
علی ابی جعفر الثانی علیه السلم فی آخر عمره فسمعته یقول جزی الله صفوان
بن یحیی ومحمد بن سنان وزکریا بن آدم عنی خیرا فقد وفیا لی وصفوان بن
یحیی فقال رحم الله اسمعیل بن خطاب ورحم الله صفوان فانهما من حزب
آبائی ومن کان حزبنا ادخله الله الجنة مات صفوان بن یحیی فی سنة عشر
ومائتین بالمدینة بعث الیه ابو جعفر علیه السلم بحنوط وکفنه وامر اسمعیل بن موسی
بالصلوة علیه عن ابی الحسن الرضا علیه السلم قال ان من علامات الفقه الحلم
والصمت الشرح قوله علیه السلم من علامات الفقه یدل علی ان کون
الرجل فقیها امر مختفٍ غامض لا یمکن لاکثر الناس الاطلاع علی حقیقته بکنهه فاحتیج
فی معرفة الفقه الی هذه العلامات واللوازم ولو کان المراد من الفقه معرفة
الفتاوی الغریبة فی الاحکام الفرعیة والوقوف علی الاقوال المختلفة فیها وحفظ المقالات
المتعلقة بها لکان الموصوف به معروفا مشهورا عند الناس ولم یحتج الی فی

الاطلاع

فی الاطلاع علیه الی مثل هذه العلامات العامة التی قد یوجد فی غیره فعلم من هذا
ان المراد به غیر ما هو المشهور عند الجمهور وذکر الغزالی فی کتاب الاحیاء انه
سئل رجل عن الحسن البصری عن شیء فاجابه فقال ان الفقهاء یخالفونک فقال
الحسن ثکلتک امک وهل رأیت فقیها بعینک انما الفقیه الزاهد فی الدنیا الراغب
فی الآخرة البصیر بدینه المداوم علی عبادة ربه الورع الکاف عن اعراض المسلمین
العفیف عن اموالهم ولم یقل فی جمیع ذلک الحافظ لفروع الفتاوی ولست اقول
ان اسم الفقیه لم یکن متناولا للفتاوی فی الاحکام الظاهرة ولکن کان بطریق
العموم والشمول او بطریق الاستتباع وکان اطلاقهم علی علم الآخرة اکثر فثار من
هذا التخصیص تلبیس بعث الناس علی التجرد له والاعراض عن علم الآخرة واحکام
القلب ووجدوا علی ذلک معینا من الطبع فان علم الباطن غامض والعمل به عسیر
والتوصل به الی طلب القضاء والولایة والجاه والمال متعذر فوجد الشیطان
لتحسین ذلک فی القلوب مجالا بواسطة تخصیص اسم الفقه الذی هو اسم محمود
فی الشرع به الحدیث الخامس وهو السابع والستون احمد بن عبد الله هو ابا
ابن عیسی بن مصقلة بن سعد القمی الاشعری ثقة له نسخة عن ابی جعفر علیه السلم
وابا ابن احمد بن جبلین بضم الجیم وتشدید اللام المکسورة ابو بکر الوراق کان
من اصحابنا ثقة فی حدیثه مسکونا الی روایته روی عنه الغضائری عن احمد بن محمد
البرقی عن بعض اصحابه رفعه قال قال امیر المؤمنین علیه السلم لا یکون السفه
والغرة فی قلب العالم الشرح السفه هو الخفة والطیش وسفه فلان رأیه
اذا کان مضطربا لا استقامة فیه ولهذا وقع فی مقابلة الحلم فی حدیث جنود

طلب الحکم

العقل والجهل والسفيه الجاهل وفي الحديث انما البغي من سفه الحق اي من جحده وقد
مر شرح معناه والظاهر ان السفه لازم للجهل لانه نفس مفهومه وتسمية احد
المتلازمين باسم الآخر شايع والغرة هي الغفلة عن لوازم الشيء وقلة الفطنة للشر الذي
تحته وترك البحث والتفتيش عنه اعلم انه يستفاد من هذا الحديث ان اكثر الموصوفين
بالعلم عند الناس ليسوا من العلماء وانما هم من الجهلة بالحقيقة وذلك لما
شوهد من اكثرهم ممن تعاطى افعال السفهاء والمغترين وذلك لركونهم الى اهل الدنيا
وسعيهم في طلب الجاه والشهرة وميلهم الى الشهوات واللذات وتشوقهم
الى تقرب السلاطين والتفوق على الاقران والامثال وتهالكم على كثرة الاتباع
والمريدين بل من ينكرهم بالضرب والشتم والايذاء ان كانت لهم قدرة او بالتكفير
والطعن والافتراء ان لم يكن وساير ما يصدر عنهم مما يجري مجرى هذه الامور وجميع
ذلك سفه وغرور كما لا يخفى على من له بصيرة قلبية فثبت ان العلم الممدوح عند الله
ورسوله واوليائه عليه وعليهم السلم نوع آخر من العلم يباين هذا الذي هو معروف
عند الناس تباينا بالحقيقة لا لاجل الزيادة والنقصان او الشدة والضعف
فان هذا المشهور كلما ازداد اكثر او وقع الامعان فيه اشد كان صاحبه اكثر
احتجابا عن المعبود وازيد ابعادا عن الحق والى هذا اشار بقوله تعالى ومن الناس
من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين وقوله اذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس
قالوا انؤمن كما آمن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لا يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله
مرضا الحديث السادس وهو الثامن والستون وبهذا الاسناد عن محمد بن خالد
عن محمد بن سنان رفعه قال قال عيسى بن مريم عليه السلم يا معشر الحواريين لي اليكم

واظهار العداوة لمن لم يصدقهم او يرد عليهم او يناظرهم ولو في مسئلة واحدة وربما يتهجموا عليهم

حاجة

حاجة اقضوها لي قالوا قضيت حاجتك يا روح الله فقام وقبل اقدامهم فقالوا كنا
نحن احق بهذا يا روح الله فقال ان احق الناس بالخدمة العالم انما تواضعت
هكذا لكيما تتواضعوا بعدي في الناس كتواضعي لكم ثم قال عيسى عليه السلم
بالتواضع يعمر الحكمة لا بالتكبر وكذلك في السهل ينبت الزرع لا في الجبل
الشرح المراد بالحواريين اصحاب عيسى عليه السلم اي خلصائه وانصاره
واصله من التحوير التبييض قيل انهم كانوا قصارين يحورون الثياب اي يبيضونها
ومنه الخبز الحواري الذي نخل مرة بعد مرة قال الازهري الحواريون خلصان
الانبياء عليهم السلم وتأويله الذين اخلصوا ونقوا من كل عيب قوله قضيت
بصيغة المجهول رعاية للادب وقعت بدل قضينا حاجتك وفي بعض النسخ
وقع فغسل اقدامهم بدل وقبل اقدامهم السهل من الارض خلاف الحزن
او الصعب الغرض من هذا الحديث اثبات ان العالم يجب ان يكون
متواضعا لا متكبرا والاشارة الى لمية ذلك فذكر ان عيسى روح الله
عليه السلم مع غاية رفعته وجلالته وعلمه وشرافة ذاته تواضع لاصحابه غاية
التواضع من وجوه الاول حيث اراد تقبيل اقدامهم وهذا غاية ما يصنع للتواضع
والثاني انه عليه السلم استأذن في ذلك عنهم اولا رعاية للادب والثالث
انه جعله مطلوبا له وسماه حاجة اليهم والرابع انه صنع ما صنع لمن هو دونه وهم
تابعوه وتلامذته والمستفيدون منه والمقتبسون عن مشكوة نوره ثم قال
في جواب قولهم نحن احق بمثل هذا الصنع ان احق الناس بالخدمة هو العالم
اي وان كان بالقياس الى من دونه ثم اخذ في بيان فائدة ما فعله وغاية ما صنعه

واصله

من التواضع والخدمة وجعلها غايتين احديهما متعدية والاخرى لازمة اما التى
يتعدى الى الغير فهو تعلمهم ذلك منه واقتداؤهم به عليه السلم وذلك لكيلا ينتفعوا
كما انتفع به ويستكملوا واما الثانية وهى الغاية الذاتية والسبب الاصلى فى
فعل التواضع فما اشار اليه بقوله عليه السلم بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبر واكتفى
فى بيان هذا الحكم بمثال كما هو عادة الانبياء والرسل عليهم السلم حيث اتوا بالمثال
وصوروا الحقايق الغامضة العقلية بكسوة الامثلة الحسية وذلك لان اكثر
الناس يغلب عليهم الجهة الحسية فلا يمكنهم ادراك البراهين العقلية ولا تجريد
المعانى عن ملابس الصور واما الذين صفت اذهانهم وكملت عقولهم وهم
الاقلون فلعزة ذكائهم وقوة حالهم يتفطنون بالحقايق بواسطة الامثال المضروبة
للناس كما قال سبحانه وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون
واما الوجه العقلى والسبب اللمى فى ذلك ان العلم الحقيقى كمال عقلى لا يحصل للانسان
الا بحدوث فطرة ثانية ونشأة آخرة له غير الفطرة الاولى المشتركة بين الناس
كلهم ونسبة الاولى الى الثانية كنسبة الجنس الى النوع ونسبة الحيوانية الى الانسانية
العامية ولا يمكن الترقى من نشأة الى نشأة اخرى الا باستحالات وتبدلات
من شأن الى شأن موجبة لهدم الاولى وزوالها واحكام الثانية وبقائها فالتواضع
والخضوع ولين الجانب وخفض الحال ورقة القلب وساير ما هو من هذا القبيل
مما له مدخلية فى لطافة النفس وصفائها وصيرورتها بمنزلة زجاجة لا لون لها وصحيفة
لا نقش لها فلاجل ذلك يقبل الهيآت العقلية والعلوم الالهية فاذا امعن المريد
للحق فى الرياضة ورفض الانانية ومحو الصفات والآثار استحدث لنفسه فطرة

ثانية

لكيلا

فالتواضع

ثانية وصار قلبه كمرآة مجلوة يتراءى بها الحقايق كما هى واما اذا اتصفت نفس الانسان
باضداد تلك الصفات فازدادت قساوة وفظاظة فانجمدت وتراكمت
عليها الظلمة والجهالة فتسفلت وبعدت عن قبول آثار الرحمة وفيض النور فهذا
هو بيان لمية قوله عليه السلم بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبر الحديث السابع وهو
التاسع والستون على بن ابرهيم عن ابيه عن على بن معبد قال النجاشى هو بغدادى
من اصحاب الهادى عليه السلم له كتاب روى عنه ابرهيم بن هاشم وفى
الفهرست روى عنه موسى بن جعفر عمن ذكره عن معوية بن وهب عن ابى عبد الله
عليه السلم قال كان امير المومنين عليه السلم يقول يا طالب العلم ان للعالم
ثلث علامات العلم والحلم والصمت وللمتكلف ثلث ينازع من فوقه بالمعصية
ويظلم من دونه بالغلبة ويظاهر الظلمة الشرح لما كان كثيرا ما يقع للطلبة المريدين
للعلم اشتباه بين العالم النحرير والمتكلف الجاهل المتكبر فيتبعون لمن يضلهم
عن الطريق ويغويهم عن سواء السبيل فيبطل استعدادهم ويضطرب احوال
معادهم فاراد امير المومنين عليه السلم ترحما عليهم واشفاقا بهم ان يعرفهم طريق
معرفة الهداة المعلمين والتميز بينهم وبين المدعين المضلين لئلا يضيع اوقاتهم
فى طلب ما لا يمكن الوصول لهم اليه ولا يتعطلوا عما خلقوا لاجله بسبب الانحراف
عن منهج الهداية والخوض فى مسلك الغواية فضلوا ضلالا بعيدا وخسروا خسرانا مبينا
فعين عليه السلم لهم علامات واوصاف يوصف بها العالم المستبصر وعلامات
واوصاف يوصف بها الجاهل المتجبر ليحصل لهم التميز بينهما ويرتفع عنهم الاشتباه
بها اما علامات العالم المذكور ههنا فثلث احديها وجود العلم فان قلت هذا

ويضطرب

يرجع الى تعريف الشيء بنفسه وهو محال فانّ المطلوب معرفة العالم الحقيقي الذي يصلح للاقتداء
بهم والاهتداء بهديه وله علامات متعددة تحصل من مجموعها تلك المعرفة ثم العلم
الذي هو احدى العلامات ليس يجب ان يكون نفس العلم الذي هو بها عالم حقيقي
فانّ ذلك ملكة نفسانية ونور ربّاني يقذفه الله في قلب من يشاء وفضل الهي
يختص به من يشاء من عباده وهذا ثمرة صادرة من بحر ذلك النور فيجوز ان
يكون من جملة العلامات وثانيتها الحلم وهو التمكين والوقار خلاف السفه والطيش
وثالثتها الصمت وهو السكوت الّا عند الضرورة واما علامات الجاهل المموّه
بصورة العلم والمنافق المتكلّف بزيّ العلماء بحسب ما ذكر ههنا فهي ايضا ثلث
احدها انّ من عادته وصنيعه انه ينازع من فوقه بالمعصية وذلك لانّ غرضه الاصلي
من المباحثة والمناظرة اظهار الفضيلة والعلم عند العوام والجهال فاذا ناظر من دونه
لم يظهر له عندهم فضيلة واذا ناظر من فوقه فلا يمكنه المعارضة معه بوجه الحق فلا بدّ
ان ينازعه بوجه الغدر والمراوغة والافتراء ونحوها ليدلّس على الناس انه
الزم الفلاني الفاضل في البحث فيحصل مطلوبه وهو الجاه والقبول عند الخلق وان
كان عاصيا مردودا عند الله والثانية انه يظلم من دونه بالغلبة اي يفعل الزام من
هو دونه في القدر والاعتبار بسبب الغلبة بالمال والجاه او نحوهما لا بسبب
قوة العلم والثالثة انه يظاهر سلاطين الظلم وامراء الجور ويعاونهم على ظلمهم و
يصدقهم في كذبهم وجورهم لانه بالتقرب اليهم يصل الى اغراضه الدنياوية من
الجاه والمال والشهرة التي لاجلها اكتسب العلم ومعلوم انّ التقرب اليهم
والمنزلة عندهم لا يمكن الّا بمظاهرتهم ومعاونتهم على ظلمهم وجورهم وكذبهم ويحتمل ان

يراد

يراد باللفظ صيغة المصدر فقوله عليه السلم يظاهر الظلمة اي يعاون وينصر جانب
الظلم والظلمة كما في حديث علي عليه السلم انه بارز يوم بدر وظاهر اي نصر واعان
الحق والاسلام واما فعل الجاهل المدّعي للعلم فهو اعانة الظلم والجور لانه عند
ظهور العدل واقامة الحق لم يبق له فضيلة ومنزلة عند احد بل ينكشف عواره
وتدحض حجته ويزهق باطله وهكذا حال اعداء الله يوم الحساب ولهذا قيل
يوم العدل اشد على الظالم من يوم الجور على المظلوم **باب** حق العالم وهو
الباب السابع من كتاب العقل والعلم وفيه حديث واحد هو الحديث
السبعون علي بن محمد بن عبد الله ابو الحسن القزويني القاضي وجه من وجوه
اصحابنا ثقة في الحديث قدم بغداد سنة ست وخمسين وثلثمائة ومعه من كتب
العياشي قطعة وهو اوّل من اوردها بغداد ورواها عن ابي جعفر احمد بن عيسى
الزاهد عن العياشي كذا في صه وفي كتاب النجاشي وفيه اشكال وهو انّ هذا
التاريخ بعد وفات الكليني رحمه الله لانّ وفاته سنة ثمان وعشرين وثلثمائة
ويمكن التفصي عنه بانه يحتمل ان يكون ملاقات الشيخ اياه قبل قدومه بغداد بمدة
هي ازيد من اثنين وعشرين سنة عن احمد بن محمد بن خالد عن سليمان بن جعفر
الجعفري بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر الطيار ابو محمد الطالبي الجعفري
روى عن الرضا عليه السلم وروى ابوه عن ابي عبد الله وابي الحسن عليهما السلم و
كانا ثقتين صه وفي الفهرست ابن جعفر الجعفري ثقة من اصحاب الرضا والكاظم عليهما
السلم وروى الكشي عن الحسن بن علي عن سليمان بن جعفر الجعفري قال قال العبد الصالح
لسليمان بن جعفر يا سليمان ولدك رسول الله صلى الله عليه وآله قال نعم وولدك

على مرتين قال نعم قال انت لجعفر رحمه الله عليه قال نعم قال ولولا الّتي انت عليها ٢١٧
ما انتفعت قال النجاشي لكتاب عبد الله بن محمد بن عيسى روى عنه عمن ذكره
عن ابي عبد الله عليه السلم قال كان امير المؤمنين عليه السلم يقول انّ من حقّ العالم
ان لا تكثر عليه السؤال ولا تأخذ بثوبه واذا دخلت عليه وعنده قوم فسلّم عليهم جميعا
وتخصّه بالتحيّة دونهم وتجلس بين يديه ولا تجلس خلفه ولا تغمز بعينك ولا تشر
بيدك ولا تكثر من القول قال فلان وقال فلان خلافا لقوله ولا تضجر بطول صحبته
فانّما مثل العالم مثل النخلة تنتظر ما يسقط عليك منها شيء والعالم اعظم اجرا من
الصّايم القايم الغازي في سبيل الله تعالى الشرح قوله عليه السلم لا تغمز من غمز
الشيء بعيني او بالحاجب من باب ضرب اذا اشار اليه فحذف المفعول وهو
الضمير العايد الى العالم وكذا في قوله عليه السلم ولا تشر بيدك اي لا تغمزه بعينك ولا
تشر اليه بيدك ويحتمل ان يكون المراد انّ النّهي عن فعل الغمز بالعين والاشارة
باليد في حضوره وان كان بالقياس الى غيره لانّ ذلك ينافي التعظيم والادب ولذلك
حذف المفعول لانّ الغرض ترك اصل الفعل مطلقا وكذا الحال اذا كان المطلوب
اثبات اصل الفعل كقولك فلان يكتب وفلان يزرع اذا المقصود اثبات اصل الكتابة
او الزراعة قوله عليه السلم ولا تكثر القول اي لا تكثر من نقل قول الغير عنده مخالفا
لقوله وقوله عليه السلم لا تضجر صيغة نهي من باب تفعّل اي لا تتضجّر فحذفت احدى
التائين كما هو القياس وباقي الفاظ الحديث واضحة لا سترة فيها **تذنيب**
اعلم انّ لكلّ من العالم في تعليمه والمتعلّم في تعلّمه حقوقا على الآخر ووظايف
بالقياس اليه امّا حقّ المعلّم على المتعلّم فلا يعرف قدره الا الله لانّ حقّه اعظم
من حقّ

من حقّ الوالد لولده وانّما وقعت الاشارة في هذا الحديث الى ما هو الجلي
المكشوف منه في رعاية الآداب الظاهرة بالنسبة اليه وامّا وظيفته
بالقياس الى المتعلّمين فامور الاوّل الشفقة عليهم وان يجري بهم مجرى بنيه اي ابنه
كما روي عنه صلى الله عليه وآله انه قال انّما انا لكم مثل الوالد لولده فيكون
قصده انقاذه من نار الآخرة الّتي تطّلع على الافئدة ولذا كان حقّه اعظم
من حقّ الوالدين فانّ الوالد سبب الوجود الدّنيوي المنقطع والحيوة
الدّنيّة المنقطعة وانّ المعلّم هو المفيد للحيوة الاخرويّة الشريفة الدّائمة الدّنية
اعني معلّم العلوم الاخرويّة ولولا تعليمه لانساق ما حصل من جهة الاب الى
الهلاك الدائم وامّا التعليم لعلوم الدّنيا لا على قصد الآخرة فذلك هلاك
واهلاك نعوذ بالله منه الثاني ان يقتدي بصاحب الشرع صلى الله عليه وآله
فلا يطلب على افادة العلم اجرا ولا يقصد جزاء منهم ولا شكورا بل يعلّم
لوجه الله وطلبا للزلفى لديه ولا يرى لنفسه منّة عليهم وان كانت المنّة لازمة
عليهم بل يرى الفضل لهم اذ ثوابك في التعليم اكثر من ثوابهم في التعلّم عند الله تعالى
ولولا المتعلّم ما نلت هذا الثواب ومثاله في المحسوس كالذي يعير الارض
لتزرع فيها لنفسك زراعة فمنفعتك بها تزيد على منفعة صاحب الارض
فالمتعلّم ايضا هذّب ارض قلبه لان تتقرّب الى الله بزراعة العلوم فيها و
انتفاعك منها ازيد من انتفاعه فلا تطلب الاجر الّا من الله فانّ الله قال
لنبيّه صلّى الله عليه وآله قل لا اسألكم عليه اجرا الثالث ان يقتصر بالمتعلّم على
قدر فهمه فلا يلقي اليه ما لا يبلغ عقله ايّاه فينفّره او يخبط عليه عقله اقتداء بسيّد المعلّمين

٣٠٨

عليه وآله السلم حيث قال نحن معاشر الانبياء امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم
ويقول المعلم الثاني امير المؤمنين عليه السلم واومى الى صدره الشريف ان ههنا
علوما جمة لو وجدت لها حملة فقلوب الاحرار قبور الاسرار فلا ينبغي ان يفشي المعلم فاش كردن ۱۲
كل ما يعلمه الى كل واحد وعن النبي صلى الله عليه وآله لا تعلقوا الجواهر في اعناق
الخنازير فان الحكمة خير من الجوهرة ومن كرهها فهو اشر من الخنزير وسئل بعض
العلماء رحمهم الله عن مسئلة فلم يجب فقال السائل اما سمعت النبي صلى الله
عليه وآله حيث يقول من كتم علما نافعا جاء يوم القيمة ملجما بلجام من نار فقال اترك
اللجام واذهب فان جاءني من يفقهه فكتمته فليلجمني وقول الله تعالى ولا فكتمته [illegible]
تؤتوا السفهاء اموالكم تنبيه على ان حفظ العلم ممن يفسده ويضره اولى وليس الظلم
في اعطاء غير المستحق باقل من الظلم في منع المستحق وما احسن ما قيل ٥ فمن منح الجهال
علما اضاعه ٥ ومن منع المستوجبين فقد ظلم ٥ الرابع ان يزجر المتعلم عن الاخلاق
الردية بطريق التعريض ما امكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فان
التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص
على الاصرار وعنه صلى الله عليه وآله لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا الفت شم الراعي بول البعير المهيوم ٥
ما نهينا عنه الا وفيه شيء ومما ينبه على هذا قصة آدم وحوا عليهما السلم وقصدهما
الى ما نهيا عن تناوله وهو ادون شيء من ثمار الجنة ولان التعريض بالشيء ايضا
يميل النفوس الفاضلة والاذهان الزكية الى استنباط معانيه فيزيد فرح
التفطن بمعناه رغبة في العمل به ليعلم ان ذلك مما لم يعزب عن فطنته الناس
ان يكون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فعله لان العلم يدرك بالبصائر والعمل
بالابصار

بالابصار وارباب الابصار اكثر فاذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل
من تناول شيئا وقال للناس لا تتناولوه فانه سم مهلك سخر الناس به
واتهموه وزاد حرصهم عليه ويقولون لولا انه اطيب الاشياء والذها لما كان
يستأثر به قال تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم ولذلك كان
وزر العالم في المعاصي ازيد لانه يزل بزلته عالم فيقتدون به فهذه خمس وظايف
من جملة وظايف المعلم وهي كثيرة لكن معظمها واوجبها ما ذكرناه واما وظايف المتعلم معظمها اهم
المتعلم وآدابه فهي ايضا كثيرة نذكر منها ستة الوظيفة الاولى تقديم طهارة النفس
عن رذايل الاخلاق وذمايم الصفات اذ النفس القابلة لتجلي الصور العلمية
بمنزلة المرآة القابلة لتجلي الصور الحسية والمرآة اذا تكدرت بالرين والغشاوة
والطبع لم يقبل شيئا وكذا النفس اذا تلطخت بادناس الاخلاق الذميمة
وارجاس الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية لم تقبل شيئا من العلوم
الحقة فلا بد من تهذيبها وتطهيرها اولا ثم الى تنويرها وتصويرها بالعلم ثانيا وايضا
العلم عبادة القلب وصلوة السر وقربة الباطن الى الله تعالى فكما لا تصح الصلوة
التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة الا بتطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث فكذلك
لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم الا بعد طهارته عن خبائث الاخلاق
وانجاس الصفات وقال تعالى انما المشركون نجس تنبيها للعقول على ان
الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحس فالمشرك قد يكون
نظيف الثوب مغسول البدن لكنه نجس الجوهر اي باطنه ملطخ بالخبائث والنجاسة
عبارة عن ما يجتنب ويتنفر منه وخبائث الباطن اهم بالاجتناب لانها مع خبثها

في الحال مهلكات في المآل ولذلك قال صلى الله عليه وآله لا يدخل الملائكة بيتاً فيه كلب
والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط اثرهم والصفات الردية مثل الغضب
والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب واخواتها كلاب نابحة وسباع ضارية
فانّى يدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب والسباع ونور العلم لا يقذفه الله بالقلب
الا بواسطة الملائكة لقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً او من وراء حجاب
او يرسل رسولاً الآية وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم الى القلوب انما يتولاها يتولاها اهم
الملائكة الموكلون بالعلوم وهم اجل قدراً واصفى جوهراً من الملائكة الموكلين بالاعمال
فهم المقدسون المطهرون المنزهون عن المذمومات رأساً فلا يلاحظون الا طيبا
ولا يعمرون بما عندهم من خزائن رحمة الله الا طاهراً فان قلت نحن نرى من الطلاب
من هو ردي الاخلاق وقد حصّل العلوم قلنا هيهات ما ابعدك عن معرفة العلم
الحقيقي النافع في الآخرة والذي تظنه العلم ليس بعلم ولهذا ورد ان العلم نور يقذفه
الله في القلب وليس ذلك بكثرة الرواية وحفظ الاقوال ولا بقوة المباحثة والجدال
ولو كنت عرفت مراتب العلم وعرفت علم الآخرة استبان لك ان اكثر من
يعدّون من العلماء الفحول والبارعين في الفروع والاصول الذي اشتغلوا به وسموه
علم الدين ليس يغني عن الحق شيئاً من حيث كونه علماً وانما الفائدة والغناء فيه من
حيث العمل اذا كان القصد فيه التقرب الى الله والاخلاص له والحاصل ان هذه العلوم
المشهورة عند الجمهور من باب الاعمال لانها متعلقة بها وثوابها ثواب الاعمال
واجرهم فيها لا يزيد على اجر العمال لانها كالجزء منها واما العلم المحض المطلق الذي
يترتب عليه نيل رتبة العلماء من حيث كونهم علماء فذلك علم آخر غير متعلق يترتب اه
بعمل

بعمل ولا بكيفية عمل ولا حاجة فيه الى نية التقرب زائدة عليه لانه نفس التقرب اليه
تعالى الوظيفة الثانية ان يقلل علايقه من شواغل الدنيا كالاهل والولد والوطن والمال
والجاه وغيرها بل يجب ان يكون المريد الطالب بسيط المطلب احدي الهمة حتى لا يشغله
شيء عن سلوكه وذلك لان الذي لا يشغله شأن عن شأن ويمكنه الجمع من الحق والخلق
ولا يلهيه تجارة ولا بيع عن ذكر الله انما يمكن ذلك ان يتحقق له بعد تحصيل الكمال وحصول
الملكة الراسخة في العلم لا قبله سيما في بداية السلوك واوايل الحال اللهم الا ان يكون
جوهر نفسه جوهراً قدسياً في غاية الانارة والصفاء يكاد زيتها يضيئ ولو لم تمسسه
نار وهذا يقع على سبيل الشذوذ كنفس النبي صلى الله عليه وآله والولي الكامل
عليه السلام واما نفوس امثالنا فكما قال تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه فمهما
توزعت افكارنا قصرت عن ادراك الحقايق كما هي ولذلك قيل العلم لا يعطيك
بعضه حتى تعطيه كلك والفكرة الموزعة على امور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فنشف
الارض بعضه ويختطف الهواء بعضه فلا يبلغ شيء منه الزرع الوظيفة الثالثة
ان يلقي المتعلم المريد زمام امره بالكلية الى المعلم المرشد ويذعن له في كل ما يعين له
من العلم المناسب لرتبته وحاله حتى يجعل نفسه بين يديه كالمريض الجاهل بين يدي
الطبيب الحاذق يداويه باي شيء من الدواء بل كالميت بين يدي الغاسل يقلبه
كيف يشاء وينقاد لما ينقله من علم الى علم الوظيفة الرابعة ان يتواضع له في الظاهر
ويخدمه كما يعتقده وينقاد له في الباطن فان الاعمال الظاهرة مؤكدات للاحوال القلبية
فيطلب الثواب بخدمته وطاعته ونيل الشرف الذي له بملازمته قال الشعبي صلى
زيد بن ثابت على جنازة فقربت اليه بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد

٢١

تخلّ عنه یا بن عمّ رسول الله صلی الله علیه وآله فقال ابن عباس وکذا امرنا ان نفعل
بالعلماء والکبراء فقبّل زید بن ثابت یده وقال هکذا امرنا ان نفعل باهل بیت
نبیّنا صلی الله و آله روی عنه صلی الله علیه وآله لیس من اخلاق المؤمن الملق الّا علیه
فی طلب العلم ومن تکبّر علی العلم بان یستنکف من الاستفادة الّا من المشهورین یستنکف
فهو من عین الحماقة فانّ العلم سبب النجاة من الهلاک الدایم فحاله کحال من
یطلب مهرباً من سبع ضار یفترسه فیرشده رجل الی المهرب فلا یقبل منه
الارشاد لانّه خامل غیر مشهور فالحکمة ضالّة المؤمن یغتنمها حیث یظفر بها
ویتقلّد المنّة لمن ساقها الیه کائناً من کان الوظیفة الخامسة ان لا یدع طالب
العلم فنّاً من العلوم المحمودة ونوعاً من الانواع الّا وینظر فیه نظراً یطّلع علی العلوم
مقصده وغایته ویقف علی مجامع مفصّلاته وجمل مسائله فان ساعده العمر طلب
التبحّر فیه والّا اشتغل بالعلم الذی هو الاهمّ فاستوفاه واکتفی من البقیة بطرف التبحر
وایّاه وانکار شیء من العلوم المتعارفة فانّ ذلک منشؤه الجهل کما قیل الناس
اعداء لما جهلوا قال تعالی واذ لم یهتدوا به فسیقولون هذا افک قدیم قال الشاعر
ومن یک ذا فم مرّ مریض ٥ یجد مرّاً به الماء الزلالا ٥ فالعلوم علی درجاتها اذ انّها
متفاوتة بعضها فوق بعض فهی امّا مقرّبة للعبد الی الله او معینة له علی سلوک
طریق القرب نوعاً من الاعانة ولکلّ منها رتبة وللعبد بحسبه اجر فی الآخرة
اذا قصد به وجه الله وذلک برعایة الترتیب فی تحصیلها زماناً وکمیّة وشرفاً
واهتماماً حتی لا یصیر بعضها حجاباً عن بعض سیّما الادنی عن الاعلی الوظیفة السادسة
ان یعرف المتعلّم السبب الذی به ینال شرف العلم ویعلم انّ ایّ العلوم
اشرف

اشرف واجلّ وذلک قد خفی علی اکثر الطلبة وغیرهم واعلم انّ ذلک یراد بثلثة
امور احدها شرف الثمرة والثانی وثاقة الدلیل والثالث شرافة الموضوع
فاذا قیس بین علم وعلم فانّما یحکم بشرف احدهما علی الآخر بواحد من الامور الثلثة
او باکثر وربّما کان احدهما اشرف من الآخر بوجه والآخر اشرف منه بوجه
آخر وذلک کعلم الشریعة وعلم الطبّ فانّ ثمرة احدهما سلامة العاقبة وثمرة
الآخر سلامة الدنیا فیکون علم الشریعة اشرف اذ لا تفاضل بینهما فی وثاقة الدلیل
لکون الدلیل فی کلّ منهما ظنّیّاً ولا فی فضیلة الموضوع لکون الموضوعین متقاربین
لانّ موضوع احدهما بدن الانسان وموضوع الآخر فعله ومثل علم الحساب
وعلم النجوم فانّ الحساب اشرف لوثاقة ادلّته واذا نسب الحساب الی الطبّ
کان الطبّ اشرف باعتبار الثمرة والحساب باعتبار الادلّة وملاحظة الثمرة
اولی ومثل علم الحیوان وعلم المعادن فانّ الاوّل اشرف باعتبار الموضوع
واذا قیس علم الحیوان الی الحساب کان الاوّل اشرف باعتبار الموضوع والثانی
اشرف باعتبار الادلّة وبما ذکرنا تبیّن انّ اشرف العلوم العلم بالله وملئکته
وکتبه ورسله والعلم بالطریق الموصل الی هذه العلوم وهو علم النفس امّا من
جهة الموضوع فلا موضوع اجلّ وارفع من ذات الله تعالی وبعده من جواهر
الملئکة والقلم الاعلی واللوح المحفوظ والکتب المکرّمة عن الادناس والرسل
المطهّرة عن الآثام والوسواس وامّا من جهة الدلیل فبراهین هذا العلم یقینیّات
ضروریّة دائمة غیر مقیّدة بزمان او وصف او شرط وامّا الثمرة فلا ثمرة اشرف
من السعادة الحقیقیّة الاخرویّة اعنی لقاء الله تعالی ومجاورة المقدّسین ومصاحبة

المقربين فاياك وان ترغب الا فيه وتحرص الا عليه فكن حريصا على معرفة هذا
السر المكنون والكنز المخزون الخارج من بضاعة الفقهاء والمتكلمين ومن صناعة
المتفلسفة والطبيعيين وانما يستنبط من النظر في كتاب الله المبين واحاديث
رسوله الامين وكلمات اهل بيته الطاهرين سلام الله عليه وعليهم اجمعين وهو
بحر لا يدرك منتهى غوره واقصى درجة البشر فيه رتبة الانبياء ثم الاولياء الذين
يلونهم وحكى انه رؤيت صورة حكيمين من الحكماء المتعبدين في مسجد وفي يد احدهما
رقعة وفيها ان احسنت كل شيء فلا تظنن انك احسنت شيئا حتى تعرف الله
وتعلم انه مسبب الاسباب وموجد الاشياء وفي يد الآخر كنت قبل ان
عرفت الله اشرب واظمأ حتى اذا عرفته رويت بلا شرب فهذه ست
وظايف من وظايف الطالب المتعلم خصصناها بالذكر فان لكل من المعلم
والمتعلم وظايف وآدابا كثيرة وانما اخترنا واوردنا ما هو اهم وادق واشرف
واتركنا ساير الآداب الحسية والوظايف الفعلية تعويلا على المذكور في كتب الفعلية ر
الاخلاق وغيرها كرسالة آداب المتعلمين للمحقق الطوسي واخرى لزين الملة
والدين رحمه الله واعلم ان العلوم بالقياس الى سلوك الآخرة وطلب المقصد
الاعلى والثمرة العظمى على ثلث درجات واقسام قسم يجري مجرى اعداد
الزاد والراحلة في السفر وذلك كعلم الفقه وعلم الطب وما يتعلق بمصالح
البدن في الدنيا لان البدن مركب النفس في سفر الآخرة وقسم يجري مجرى
سلوك البوادي وقطع العقبات وهو علم تطهير الباطن عن كدورات الصفات
وخبايث الملكات وقطع تلك العقبات الشامخة ودفع موذياتها عن القلب
هو سلوك

هو سلوك طريق السعادة ولا بد فيه من علم متكفل لمعرفة جهات هذا الطريق و
منازله وهو علم تهذيب الاخلاق وعلم السياسات والعلم بهذه الامور التي
هي الاعمال القلبية غير نفس العمل والمباشرة ولكن لا يتم العمل بدون العلم
والقسم الثالث يجري مجرى حضور اركان المنزل واعيان الموطن وشهودها
وهو العلم بالله وصفاته وملئكته وافعاله الاولية وهذا العلم يقال له علم المكاشفة
والقسمان الاولان يقال لهما علم المعاملة واعلم ان النجاة غير والفوز بالسعادة
غير فالنجاة والسلامة حاصلة لكل سالك للطريق بنية صادقة واما الفوز بالسعادة
فلا ينالها الا العارفون اولئك المقربون المنعمون فلهم روح وريحان وجنة نعيم
واما الكون الناجون فهم اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين واما
الواقفون عن السلوك نحو المقصد فهم من اصحاب الشمال فنزل من حميم و
تصلية جحيم باب فقه العلماء وهو الباب السابع من كتاب العقل والعلم
وفيه ستة احاديث الحديث الاول وهو الواحد والسبعون عدة من
اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد عن عثمان بن عيسى عن ابي ايوب الخزاز بالخاء
المعجمة والزاء قبل الالف والزاء بعدها وقيل قبلها ايضا اسمه ابرهيم بن عيسى وقيل
ابن عثمان في النجاشي من اصحاب الصادق عليه السلم وفي صه ثقة كبير المنزلة روى
عن ابي عبد الله وابي الحسن الكاظم عليهما السلم وفي كتاب ابن داود قال محمد بن
مسعود عن علي بن الحسن ابو ايوب الخزاز كوفي اسمه ابرهيم بن عيسى وقيل ابن
عثمان ثم فيه ابرهيم بن عثمان الخزاز المكنى بابي ايوب لم ست ثقة وعن الشهيد
الثاني رحمه الله ظاهر الحال ان ابن عثمان هذا هو زياد الذي فيه قولان ابن عثمان

الاسترآبادي

وابن عيسى وهو الذي يقتضيه طبقته وكلام غيره من علماء الفن انتهى قال الفاضل
بعد ما نقل كلام الشهيد فلا يخفى ان ما فيه من علامة لم سهو ايضا عن سليمان ابن
خالد بن دهقان بن نافلة مولى عفيف ابو الربيع الاقطع خرج مع زيد فقطعت
اصبعه لم يخرج من اصحاب ابي جعفر عليه السلم غيره ثقة صاحب القران وقال
البرقي سليمان بن خالد البجلي الاقطع كوفي كان خرج مع زيد بن علي فافلت
وفي كتاب سعد انه خرج مع زيد فافلت فمن الله عليه وتاب ورجع وكان
فقيها وجها روى عن الصادق والباقر عليهما السلم وكان الذي قطع يده يوسف
بن عمر بنفسه مات في حيوة ابي عبد الله عليه السلم وروينا في معناه احاديث
ذكرناها في كتابنا الكبير صه وقال الشهيد الثاني رحمه الله سليمان بن خالد لم
يوثقه النجاشي ولا الشيخ الطوسي ولكن روى الكشي عن حمدويه انه سئل
ايوب بن نوح عنه اثقة هو فقال كما يكون الثقة فالاصل في توثيقه ايوب
بن نوح وناهيك به انتهى وقال الكشي محمد بن الحسن وعثمان بن خالد قالا
حدثنا محمد بن داود عن محمد بن الحسين عن الحسن بن علي بن فضال عن مروان بن
مسلم عن عمار الساباطي قال كان سليمان بن خالد خرج مع زيد بن علي فقال له
رجل ونحن وقوف في ناحية وزيد في ناحية ما تقول في زيد هو خير ام جعفر قال
سليمان قلت ليوم من جعفر خير من ايام الدنيا من زيد قال فحرك دابته واتى زيداً
وقص عليه القصة قال فمضيت نحوه فانتهيت الى زيد وهو يقول جعفر امامنا في
الحلال والحرام عن ابي عبد الله عليه السلم قال ما من احد يموت من المؤمنين
احب الى ابليس من موت فقيه الشرح معنى الفاظه واضح ودليله معلوم لانه

اذا كانت

اذا كانت ثلمة العالم ثلمة العالم كما سبق فكان موته موت العالم فان حيوة
المقلد بحيوة من قلده من المجتهدين الحديث الثاني وهو الثاني والسبعون
علي بن ابراهيم عن ابيه عن ابن ابي عمير عن بعض اصحابنا عن ابي عبد الله عليه السلم
قال اذا مات المؤمن الفقيه ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها شيء الشرح
الثلمة الخلل في الحيطان وغيره وثلم من باب علم فهو اثلم من الثلم وثلمته من باب
ضرب ثلما فانثلم وتثلم فقد يقال ثلمته بالتشديد للتكثير وفي السيف ثلم وفي
الاناء ثلم اذا انكسر من شفته شيء وفي الحديث نهى عن الشرب من ثلمة القدح
اي موضع الكسر قيل انما نهى عنه لانه لا يتماسك عليها فم الشارب وربما انصب
الماء على ثوبه وبدنه وقيل لان موضعها لا يناله التنظيف التام اذا غسل الاناء
وقد جاء في لفظ الحديث على بعض الرواية انه مقعد الشيطان ولعله اراد به
عدم النظافة واعلم ان قوله عليه السلم ثلم في الاسلام استعارة بالكناية تشبيها
للاسلام بحايط او بيت والعالم بمنزلة ما يسد به من الخلل به وهذا كما روي ان
رسول الله صلى الله عليه وآله مثل النبوة بالحايط من اللبن وقد كمل الا موضع
لبنة واحدة وكان صلى الله عليه وآله تلك اللبنة فختمت به النبوة وههنا
اشكال وهو انه اذا مات فقيه يحتمل ان يوجد بدله فقيه واحد او اكثر افضل
منه يسد به الخلل الواقع في الاسلام ويمكن دفعه بان المراد باللام في المؤمن
الفقيه الجنس وقد ثبت ان ارتفاع الطبيعة برفع جميع افرادها فكذا حكم الموت
لانه عدم الحديث الثالث وهو الثالث والسبعون محمد بن يحيى عن
احمد بن محمد عن ابن محبوب عن علي بن ابي حمزة قال سمعت ابا الحسن

موسى بن جعفر عليهما السلم يقول اذا مات المؤمن بكت عليه الملئكة وبقاع الارض
التي كان يعبد الله عليها وابواب السماء التي كان يصعد فيها باعماله وثلم في الاسلام
ثلمة لا يسدها شيء لان المؤمنين الفقهاء حصون الاسلام كحصون سور المدينة لها الشرح
اعلم ان العالم الحقيقي هو الذي يستحضر عنده صور الاشياء وحقايقها
والاشياء ضربان ضرب منها ماصورة ذاتية مخلوطة بالامور الغريبة والغواشي
والعوارض التي اذا عرضت لشيء تجعلها جزئية قابلة للتجزي والانقسام والعدم
والفساد وضرب آخر ماليس كذلك بل صورة ذاتية له لا لشيء آخر وحقيقة ذاتية
مجردة عن الملبوسات الحسية والغواشي المادية فالقسم الاول كعالم الدنيا
وكل ما فيها والقسم الثاني عالم الآخرة وعالم الملكوت اذا تقرر هذا فنقول
شأن العالم الحكيم ان ينظر اولا في الموجودات التي في هذا العالم ويعرف حقيقة
كل نوع من الجمادات والنباتات واقسام الحيوانات ويفرق بين ذاتياتها
وعرضياتها ويجرد صورة ذاتها ولب حقيقتها عن ما يلابسها من القشورات
والغواشي الغريبة ثم ينظر في اسبابها وعللها وغاياتها ومنافعها فيعرف
بها موجدها الحقيقي ومسبب اسبابها فيستكمل ذاته بتلك المعارف و
الصور العقلية فيصير كانها اجزاء ذاتها ثم ينتقل منها ويترقى بذهنه الى عالم الربوبية
مشاهدا هناك لتلك الحقايق الصافية عن الكدورات المطهرة عن الادناس
والظلمات مسافرا من الخلق الى الحق فاذا كان الامر كذلك فلكل موجود مما
في عالم الارض وبقاعها رابطة معنوية وحنو ذاتي وانجذاب طبيعي الى ذات
العالم لما علمت من كون بواطنها وارواحها متصلة به اذ كل ما في هذا العالم له

حقيقة

حقيقة روحانية بها يسبح لله تعالى ويحمده فاذا مات المؤمن العارف اي صعد
روحه الى العالم الاعلى بكت عليه الملئكة الارضية واهل البقاع الارضية
لان هوياتها الجزئية من جنس ما يصحبه من الهويات الروحانية وكذا ابواب
السماء اي طبايعها ونفوسها التي يصعد اليها اعمال بني آدم اي نتايج
اعمالها وافق لها وغاية علومها وافكارها التي لا يزيد على ذاتها وكمالات
ذاتها واما قوله عليه السلم وثلم في الاسلام الخ فوجهه كما مرت سابقا
الاشارة اليه ان الاسلام عبارة عن مجموع اعتقادات عقلية وقوانين
كلية معلومة بالبراهين واهل الاسلام اما عارفون بهذه الاعتقادات
عرفانا عقليا او كشفيا او متلقفون تقليدا او رسما والاعتقاد التقليدي قابل
للانحلال والزوال بادنى شبهة فلو لم يكن في هذا العالم ذوات كاملة نورية
حاملة لهذه الاصول الاسلامية حافظة لها بالبراهين دافعة عنها شبه المنكرين
واوهام المضلين لما بقيت قواعد الدين وعقايد المسلمين مستمرة محفوظة
مصونة الى يوم الدين بل ينثلم شيئا فشيئا الى ان يندرس ويضمحل بالكلية
نعوذ بالله من ذلك فقد شبه الاسلام بمدينة هي مدينة السلام المحفوظة
اهلها من جور الطغاة وعفاريت الجن ومردة الشياطين والعلماء والفقهاء
بمنزلة حصونها وحيطانها وكل مؤمن عارف بمنزلة حصة من حصن او جزء من
حايط واذا مات ثم ثلمة لا يسدها الا خلف مثله في المعرفة واليقين الحديث
الرابع وهو الرابع والسبعون وعنه عن احمد بن محمد عن ابن محبوب عن سليمان
بن خالد عن ابي عبد الله عليه السلم قال ما من احد يموت من المؤمنين احب الى ابليس

٢١٤

فقيه الشرح معنى الفاظه واضح واما الوجه في سرور ابليس بموت الفقيه وهو العالم
بالمعارف الايمانية وكيفية السلوك على الصراط بالاعمال الصالحة الاعتدالية فلان
شانه وصنعه ضد ما هو شان ابليس وصنعه لان شان العالم افادة العلم وتعليم الحق
والارشاد الى سبيل الهداية والحث على طاعة الله والتقرب اليه وشان ابليس
القاء الشك والوسوسة في النفوس واراءة الباطل في صورة الحق واضلال
الخلق وازاغتهم عن سبيل الصواب والحث على المعاصي فاذا كان العالم الرباني
واقعا على طرف الضد وغاية الخلاف من ابليس وهو ايضا كذلك على ضده والمتضادان
متغالبان متفاسدان في التغالب فلا جرم كل منهما يحب فقد صاحبه غاية المحبة
لانه بمنزلة حب الذات وليس موت ساير المؤمنين بهذه المنزلة لان كلا منهم ان
كان بالفعل وما بالقوة انقص من ما بالفعل فاحباب ابليس موته اضعف وانقص
من احبابه موت ما هو ضد له بالفعل على نسبة حال القوة والاستعداد الى
حال الفعلية والحصول وان لم يكن من شانه ذلك الاستعداد ايضا فالحال في
ضعف السرور بموته اظهر الحديث الخامس والسبعون علي بن
محمد عن سهل بن زياد عن علي بن اسباط قال الشيخ في الفهرست له اصل و
روايات روى عنه محمد بن الحسين بن ابي الخطاب وموسى بن جعفر البغدادي
قال النجاشي روى عنه محمد بن ايوب الدهقان واحمد بن هلال واحمد بن
يوسف بن حمزة بن زياد الجعفي عن عمه يعقوب بن سالم الاحمر الكوفي اخو
اسباط بن سالم ثقة من اصحاب ابي عبد الله عليه السلام عن داود ابن فرقد
مولى آل بني السمال الاسدي النصري بالنون وفرقد يكنى ابا يزيد الكوفي ثقة روى

عن ابي عبد الله

من شانه الاستعداد بهذه الدرجة فيكون كونه على طرف الضد من حال ابليس امرا له بالقوة لا مح

عن ابي عبد الله وابي الحسن عليهما السلام واخوته يزيد وعبد الرحمن وعبد الحميد قال
ابن فضال داود ثقة ثقة صح قال الشهيد رحمه الله في الحاشية كذا
في كتاب النجاشي بني السمال وفي كتاب الشيخ وابن داود آل ابي السمال
واكثر نسخ الكتاب وجميع النسخ لغيره من الكتب السمال باللام وفي بعض
نسخ الكتاب بالكاف وفي كتاب الكشي محمد بن مسعود قال حدثني
عبد الله بن محمد قال حدثني الوشاء عن علي بن عقبة عن داود ابن فرقد قال
قلت لابي عبد الله عليه السلام جعلت فداك كنت اصلي عند القبر واذا رجل
خلفي وهو يقول اتريدون ان تهدوا من اضل الله والله اركسهم بما كسبوا
قال فالتفت اليه وقد تاول على هذه الآية وما ادري من هو وانا اقول ان
الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون فاذا
هو هرون بن سعيد قال فضحك ابو عبد الله عليه السلام ثم قال اصبت الجواب
قبل الكلام باذن الله ثم قال جعلت فداك لا جرم والله ما تكلم بكلمة فقال ابو عبد الله
عليه السلام ما احد اجهل منهم ان في المرجئة فتيا وعلما وفي الخوارج فتيا وعلما وما
احد اجهل منهم قال قال ابو عبد الله عليه السلام ان ابي كان يقول ان الله تعالى
لا يقبض العلم بعد ما يهبطه ولكن يموت العالم فيذهب بما يعلم فيليهم الجفاة
فيضلون ويضلون ولا خير في شيء ليس له اصل الشرح الجفاة جمع الجافي
من الجفاء وهو الغلظ في العشرة والخرق في المعاملات وغيرها وترك
الرفق واللين والمراد من الجفاة هنا اهل النفوس الغليظة والقلوب
القاسية الذين ليس لهم استعداد اكتساب العلوم والمعارف

فيليهم

المعنى ان ذهاب العلم من الدنيا ليس كذهاب صفات الاجسام من الالوان كالطعوم
والروايح لان العلم اذا حصل في نفس العالم يصير صورة ذاته ونحو وجود لنفسه وبه
يصير ذاته ذاتا عقلية غير قابلة للموت والزوال وهذا معنى قوله ان الله لا يقبض
العلم بعد ما يهبطه بل ذهاب العلم عن الدنيا انما يتحقق بموت العلماء وانقراضهم
وان يخلفهم وينوبهم نفوس جافية غليظة يلوا امور الناس فهو لقصور جوهرهم وسوء
طريقتهم يضلون عن طريق الحق ثم بادعائهم الفضل واستدعائهم استتباعهم الناس
يضلونهم واذ لا يكون للمتبوع علم فكيف يحصل للتابع علم فينعدم العلم والعدل عن
العالم وينتشر الجور والظلم وهذا معنى قوله عليه السلم ولا خير في شيء ليس له اصل كالاشياء
بدون العلم والعمل ويحتمل ان يكون المراد منه ان الخيرات كلها في هذا العالم تابعة
للعلم اذ العلم اصل العبادات والاعمال الحسنة وهو الخير الكثير كما في قوله تعالى ومن
يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فاذا انفقد العلم انفقد الخير مطلقا ولا خير في عبادة
ليس معها علم كما ورد في الحديث السادس وهو السادس والسبعون
عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد عن محمد بن علي عمن ذكره عن جابر بن يزيد الجعفي ابو عبد الله
تابعي اسند عنه روى عنهما عليهما السلم وقيل ابو محمد الجعفي عربي قديم لقي اباجعفر
وابا عبد الله عليهما السلم ومات في ايامه سنة ثمان وعشرين ومائة وقال يحيى
بن معين مات سنة اثنتين وثلثين قال العلامة في صه روى فيه الكشي مدحا عظيما
وروى بعض الذم والطريقان ضعيفان ذكرناهما في الكتاب الكبير وقال السيد
علي بن احمد العقيقي العلوي روى ابي عن عمار بن ابان عن الحسين بن ابي العلا ان
الصادق عليه السلم كان ترحم عليه وقال انه كان يصدق علينا وقال ابن عقده

روى

روى محمد بن احمد البزاز الصايغ عن احمد بن الفضل عن حنان بن سدير عن زياد بن
ابي الحلال عن الصادق عليه السلم ترحم على جابر وقال انه كان يصدق علينا ولعن
المغيرة وقال انه كان يكذب علينا وقال ابن الغضايري جابر بن يزيد الجعفي الكوفي
ثقة ولكن جل من روى عنه ضعيف فممن اكثر عنه من الضعفاء عمرو بن شمر الجعفي
ومفضل بن صالح السكوني ومنخل بن جميل الاسدي واري الترك لما روى هؤلاء
عنه والتوقف في الباقي الا ما خرج شاهدا وقال النجاشي جابر بن يزيد الجعفي لقي
اباجعفر واباعبد الله عليهما السلم ومات في ايامه سنة ثمان وعشرين ومائة وروى
عنه جماعة غمز فيهم وضعفوا منهم عمرو بن شمر ومفضل بن صالح ومنخل بن جميل ويوسف
بن يعقوب وكان في نفسه مختلطا وكان شيخنا ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان
ينشدنا اشعارا كثيرة في معناه تدل على الاختلاط ليس هذا موضع ذكره قال العلامة
والاقوى عندي التوقف فيما يرويه هؤلاء عنه كما قاله الشيخ ابن الغضايري قال
المحشي لا وجه للتوقف فيما يرويه هؤلاء عنه لشدة ضعفهم في انفسهم الموجب لرد
رواياتهم وانما كان ينبغي التوقف فيما يرويه الجابر بنفسه لاختلاف الناس في مدحه
وذمه وان لم يترجح الجارح على كل حال فلا وجه لادراجه في هذا القسم انتهى واقول
زايدة اولا ايضا لا مماثلة بين ما قاله الشيخ ابن الغضايري وبين ما رآه وقواه العلامة رحمه الله
فان الذي قاله ابن الغضايري في حق الجابر ورآه الترك لما روى هؤلاء عنه والتوقف
في الباقي لا التوقف فيما رواه هؤلاء فايراد لفظ كما في كلامه ليس كما ينبغي عن ابي جعفر
عليه السلم قال كان علي بن الحسين عليهما السلم يقول انه ليسخي نفسي في سرعة الموت و
القتل فينا قول الله عز وجل اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها وهو ذهاب

العلماء الشرح السخاء والسخاوة الجود والطرف الناحية من النواحي والطائفة
من الشيء وفلان كريم الطرفين يراد به نسب ابويه واطراف الشخص ابواه
واخوته واعمامه وكل قريب له محرم ولا يدرى اى طرفيه اطول اى ذكره ولسانه ولا يملك
طرفيه اى فمه واسته اذا سكر والاطراف الاشراف وقوله عليه السلم
ليسخى نفسى من باب التفعيل ونفسى مفعوله وفاعله قول الله اى معنى هذه الآية يجعل
نفسى سخية فى باب سرعة الموت او القتل فينا اهل البيت يعنى يجود نفسى بهذه
الحيوة اشتياقا الى لقاء الله تعالى ويرغب فى سرعة وقوع الموت او الشهادة
الواقعة فينا لان المراد من نقصان الارض من اطرافها وهى نهايا تها ذهاب العلماء
واعلم ان الذى ذكره المفسرون فى هذه الآية وجهان فعن ابن عباس فى تفسير هذه الآية
ان المراد من قوله انا نأتى الارض ننقصها من اطرافها موت اشرافها وكبرائها وعلمائها
وذهاب الصلحاء والاخيار وقال الواحدى وهذا القول وان احتمله اللفظ الا ان اللائق
بهذا الموضع هو المراد انا نأتى الارض الكفرة وننقصها من اطرافها لان المسلمين يستولون
على اطراف مكة فيأخذونها من الكفرة قهرا وجبرا وذلك لانه تعالى وعد رسوله صلى الله
عليه وآله بان يريه بعض ما وعده او يتوفيه قبل ذلك بين فى هذه الآية ان آثار تلك
المواعيد قد ظهرت وعلاماتها قويت وهو قوله انا نأتى الارض ننقصها من اطرافها والله
يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب فانتقاص احوال الكفرة وازدياد قوة المسلمين
من اقوى العلامات والامارات على ان الله منجز ما وعده ونظيره قوله تعالى اولا يرون
انا نأتى الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون وقال الفخر الرازى فى الكبير ويمكن ان
ذلك الوجه ايضا لائق بهذا الموضع وتقريره ان يقال اولم يروا ما يحدث فى الدنيا من
الاختلافات

الاختلافات خراب بعد عمارة وموت بعد حيوة وذل بعد عز ونقص بعد كمال واذا
كانت التغيرات محسوسة مشاهدة فما الذى يؤمنهم ان يقلب الله الحال على هولاء الكفرة
بان يجعلهم ذليلين بعد ان كانوا عزيزين ومقهورين بعد ان كانوا قاهرين وعلى هذا الوجه
فانه يجوز اتصال هذا الكلام بما قبله وقيل ننقصها من اطرافها بموت اهلها وتخريب ديارهم
وبلادهم فهولاء الكفرة كيف آمنوا من ان يحدث امثال هذه الوقايع هذا غاية ما ينتهى اليه
افكارهم وآراؤهم فان قلت فما تأويل هذه الآية ومعنى اتيانه تعالى الارض وما الوجه فى
كونها سببا لان يصير العالم الربانى سخيا يجود بنفسه فى طلب سرعة الموت او القتل
قلت للآية تأويلان احدهما بحسب الآفاق والثانى بحسب الانفس فالاول ان الكفرة لما كانوا
منكرى المعاد ومعتقدين ان الدنيا باقية فاشار تعالى الى انهم لو نظروا وتأملوا فى احوال
الارض وتقلباتها واستحالاتها لرأوا انها يتلطف ويتصفى فيصير نباتا ثم حيوانا ثم انسانا
فيتبدل صورة فصورة فكانت صورة كثيفة ارضية فتدرجت فى اللطافة فصارت
طبيعة حافظة للتركيب والكيفية الاعتدالية ثم نفسا فاعلة للجذب والتغذية والنمو طبيعة
والتوليد ثم نفسا ذات حس وارادة ثم صارت ذاتا روحانية ذات توهم وفكر
وروية فاشتدت لطافة وروحانية الى ان خرجت من هذه النشأة الى نشأة
اخرى فنقصت ارضيتها من جهة اطرافها وانضافت الى عالم الروحانية والمراد من
اطرافها هو اواخر مراتبها اللطيفة التى بعدت عن غاية الكثافة والارضية وقربت
فى التصفى والتجرد الى عالم الآخرة وذلك كله باتيان القوى الفعالة باذن الله المتصرفة
فى المواد الارضية المحركة لها الى غاياتها الكمالية وتلك القوى الملكوتية الجاذبة والسائقة
متفاوتة المراتب حسب مراتب الانواع الارضية فان فى النبات قوة تجذب المواد

العنصرية وتلطفها وتصفيها عن بعض الكدورات وتجعلها صاعدة الى درجة القوة
النباتية وفي عامة الحيوان قوة اخرى اعلى منها درجة شانها تصفية الصور الطبيعية
الواقعة في الاوضاع والامكنة والجهات وتجريدها عن هذه الاغشية واللبوسات
الى ان تجعلها صورة محسوسة حيوانية مجردة عن المادة والجهة والمكان لكن بشرط حضور
المادة الخارجية وفي خواص الحيوان قوة اخرى اعلى وارفع من الاولين تجرد الصورة
الحسية تجريدا اتم وتصفيتها تصفية اكثر من المادة ومن النسبة اليها ايضا نسبة
وضعية فيسوقها من درجة الحس الى درجة التمثل والصور المثالية وفي خواص البشر قوة
الهية تجرد صورة الادراك من التعينات الجزئية الخيالية وتجعلها كلية عقلية وينقلها
من حد التخيل الى حد التعقل باشراق نور العقل عليها وتجعل ذات النفس الانسانية بنور العلم
ذاتا عقلية من الله مبدأها والى الله منتهاها وهذا اعلى ضروب الحيوة بعد الموت عن
النشأة السابقة وهو معنى قوله تعالى افمن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا واذا
علمت هذا فنقول النفوس ثلثة اقسام النباتية والحيوانية والانسانية ولكل منها جاذب
الى جهة الفوق باعمال يناسبه ومدرك محيط لما تحته بادراكات يناسبه قال تعالى
وجاءت كل نفس معها سايق وشهيد اشارة الى قوتيه الادراكية والتحريكية العلمية صح
والعملية فكما ان هذه النفوس متفاوتة المراتب فكذا الملئكة الموكلة عليها
المباشرة لافعالها باذن الله آلات لقواها والشاهدة عليها متخالفة وهو القاهر
فوق عباده فقوله انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها اي نأتي بملائكتنا عالم الارض و
ناخذ كمالاتها وانوارها وصورها الشريفة على التدريج الى ان نستوفيها فيبقى ناقصة
مظلمة لا خير فيها فيقوم الساعة واليه الاشارة في قوله صلى الله عليه وآله لا يقوم
الساعة

من قبيل م

الساعة وفي وجه الارض الله الله والتأويل الثاني بحسب النفس الانسانية وهو ان
الانسان بكماله العقلي نشأة جامعة مشتملة على جملة ما في الكون مفصلا فله في ذاته درجات
كمالية يتحول من بعضها الى بعض طبعا وارادة فكان اولا في الرحم كجوهر نباتي يجذب الغذاء و
وينمو في المقدار نماء ثم صار حيوانا ذا حس وحركة وشهوة وغضب ثم انتقل الى
آخر درجة الحيوانية واول درجة الانسانية وهو استعداد العقل والعلم بسبب
النطق والفكر والروية وفيه يشترك جميع افراد البشر فان ساعدته العناية الالهية
والجذبة الربانية التي توازي عمل الثقلين واستكمل بنور العلم والعرفان تصير ذاته ذاتا
اخرى عقلية بعد ما كانت حيوانية وهذه المرتبة انما يحصل له بمحض افاضة الله اياه
واشراقه عليه بنور الهدى فيحييه حيوة طيبة عقلية بلا واسطة امر متوسط بينه تعالى وبين
عبده من ملك او معلم بشري فقوله تعالى انا نأتي الارض اي ارض نفسه القابلة لما
ينزل اليها من سماء العقل من الصور والهيئات المشرقة بنور ربها ننقصها من اطرافها
اي نزيل عنها جهة النقصية والتغير والانفعال فيجعلها عقلا صرفا وجوهرا قدسيا
محضا واصلا الى جوار رحمة الله ناجيا من عذاب القطيعة ونار الفرقة فاذا
تقررت لك هذه المعاني فنقول لما دلت الآية على ان الله تعالى هو المتولي المباشر
لتوفي نفوس العلماء الكاملين وقبض ارواحهم اليه تعالى ولا شك ان الائمة
المعصومين صلوات الله عليهم اجمعين بحسب ذواتهم الشريفة المقدسة
النورانية من اعاظم العلماء الراسخين وساداتهم واشرافهم ففي رغبته عليه السلم
في لقاء الله وتشوقه الى حلول الاجل وورود الموت او القتل سريعا و
زهوق روحه الشريف من الدنيا وخلعه لباس البدن وغطاء النفس ايضا

فيجود ويسخو نفسه بنفسه وروحه بروحه حتى يلحق الى لقاء الله وشهود جماله وجلاله
وذلك هو الفوز الكبير

باب مجالسة العلماء وصحبتهم وهو الباب التاسع من كتاب العقل والعلم وفيه خمسة احاديث

الحديث الاول وهو السابع والسبعون

علي بن ابراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس رفعه قال قال لقمن لابنه يا بني اختر
المجالس على عينك فان رايت قوما يذكرون الله فاجلس معهم فان تكن عالما
نفعك علمك وان تكن جاهلا علموك ولعل الله ان يظلهم برحمته فيعمك معهم واذا
رايت قوما لا يذكرون الله فلا تجلس معهم فان تكن عالما لم ينفعك علمك وان
كنت جاهلا يزيدوك جهلا ولعل الله ان يظلهم بعقوبة فيعمك معهم الشرح
قوله عليه السلم اختر المجالس اي اطلب مختارها واجتنب عما لا يكون كذلك
قوله عليه السلم على عينك اي بعينك او في عينك كما يقال كان ذلك على
عهد فلان اي في عهده وقوله عليه السلم يظلهم برحمته اي يلقي عليهم ظل رحمته ويستر
ذنوبهم بعفوه انه يقال اظلك كذا اي سترك والقى ظله عليك ويقال ايضا ظلل
عليه قوله عليه السلم فان رايت قوما يذكرون الله اي قوما يكونون من اهل الذكر
يعني من اهل العلم كما في قوله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون او قوما يتذاكرون
بالفعل ويذكرون محامد الله والمعارف الالهية قوله عليه السلم فان تكن عالما نفعك
علمك وذلك باحد وجهين اما بان تتذاكر معهم فيحصل له التمرن في علمه والقوة
في حفظه والرسوخ في ملكته واما بان تعلمهم وتفيدهم مما عند نفسه وباقي الفاظ
الحديث ومعانيها واضحة

الحديث الثاني وهو الثامن والسبعون

علي بن ابراهيم
عن ابيه ومحمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى جميعا عن ابن محبوب عن درست
بن ابي منصور

بن ابي منصور عن ابراهيم بن عبد الحميد قال العلامة طاب الله ثراه في صه
وثقه الشيخ في الفهرست وقال اي الشيخ في كتاب الرجال انه واقفي من اصحاب
الصادق عليه السلم قال سعد بن عبد الله ادرك الرضا عليه السلم ولم يسمع منه
فتركت روايته لذلك وقال الفضل بن شاذان انه صالح انتهى كلام العلامة وقال
المحشي الشهيد رحمه الله لا منافاة بين حكم الشيخ بانه واقفي وكونه ثقة وكذلك قول
الفضل انه صالح فلا يعارض للقول بكونه واقفيا كما لا يخفى وفي رجال الشيخ الاسترابادي
ابراهيم بن عبد الحميد في الفهرست من اصحاب الرضا عليه السلم ثقة له اصل روى عنه
ابن ابي عمير وصفوان وفي النجاشي البزاز الكوفي من اصحاب الصادق عليه السلم
كوفي انماطي وهو اخو محمد بن عبد الله بن زرارة لامه روى عن ابي عبد الله عليه السلم
واخواه الصباح واسمعيل ابنا عبد الحميد له كتاب نوادر يرويه جماعة كما في النجاشي
من اصحاب ابي عبد الله عليه السلم ادرك الرضا عليه السلم ولم يسمع منه على قول
سعد بن عبد الله واقفي له كتاب وهذا يبطل ما في كتاب ابن داود وعندي انه الثقة
من رجال الصادق عليه السلم وهو الذي في الفهرست والواقفي من رجال الكاظم عليه
السلم وليس بثقة وفي ظم ابراهيم ابن عبد الحميد له كتاب ثم فيه ايضا ابراهيم
بن عبد الحميد واقفي انتهى فكانه كرر لنسبة الواقف او للتامل في كونه اياه لما قاله
ابن داود وفي ميم ابن عبد الحميد ثقة من اصحاب الكاظم عليه السلم الا انه واقفي
له اصل وكتاب نوادر وهو ايضا صريح في خلافه عن ابي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلم
قال محادثة العالم على المزابل خير من محادثة الجاهل على الزرابي الشرح الزبل
السرجين وموضعه مزبلة والزرابي النمارق والنمرقة وسادة صغيرة وربما سموا

٢١٨

الطنفسة التي فوق الرحل نمرقة ومعنى الحديث واضح الحديث الثالث وهو التاسع والسبعون
عدة من علمائنا عن احمد بن محمد البرقي عن شريف بن سابق بالباء المنقطة تحتها نقطة قبل
القاف التفليسي ابو محمد روى عن الفضل بن ابي قرة السهندي عن ابي عبد الله وهو ضعيف
مضطرب الامر صه وفي الفهرست روى عنه البرقي احمد وعن ابيه ايضا والنجاشي اصله كوفي
انتقل الى تفليس صاحب الفضل بن ابي قرة عن الفضل بن ابي قرة التفليسي من اصحاب الصادق
عليه السلم التميمي السهندي بلد من بلاد آذربايجان انتقل الى ارمنية ضعيف لم يكن بذاك صه
وقال النجاشي له كتاب روى عنه شريف بن سابق عن ابي عبد الله عليه السلم قال قال رسول الله
صلى الله عليه وآله قالت الحواريون لعيسى يا روح الله من نجالس قال من يذكركم الله رؤيته
ويزيد في علمكم منطقه ويرغبكم في الآخرة عمله الشرح الحواريون اصحاب عيسى عليه السلم قيل
لانهم كانوا قصارين والتحوير التبييض واحور اي ابيض ويقال الحواري الناصر وقيل للنساء
الحواريات لبياضهن والاحور كوكب وهو المشتري والحور شدة بياض العين في
شدة سوادها وامرأة حوراء بينة الحور وقال ابو عمرو الحور ان تسود العين كلها مثل اعين
الظباء والبقر وقال ليس في بني آدم حور وانما قيل للنساء حور العين لانهن شبهن بالظباء
والبقر والغرض من هذا الحديث الحث والترغيب في مجالسة العلماء ومصاحبتهم
وقد دل عليه لان الصفات الثلث المذكورة لا يوجد الا في العالم اما كون رؤيته
يذكر الله لان سيماه وخضوعه وخشوعه يدل على خوفه من الله وخشيته له تعالى
واما كون منطقه موجبا لزيادة العلم للجالس عنده لانه لا ينطق ولا يتكلم حشوا من الكلام
وقلما ينطق الا بذكر الله واحوال صفاته وافعاله وذكر الآخرة واحوالها واما كون عمله مرغبا
للآخرة فان عمله دائما القناعة والزهد في الدنيا والانقطاع عن شهواتها وايضا فان

غير العالم

غير العالم لا يعلم شرف الآخرة ودوامها وخسة الدنيا ودثورها وانصرامها الحديث
الرابع وهو الثمانون محمد بن اسمعيل عن الفضل بن شاذان عن ابن ابي عمير عن
منصور بن حازم بالحاء المهملة والزاء بعد الالف ابو ايوب البجلي كوفي ثقة عين
صدوق من اجلة اصحابنا وفقهائهم روى عن الصادق والكاظم عليهما السلم صه
وفي الكشي عن جعفر بن محمد بن ايوب عن صفوان عن منصور بن حازم ما يشهد
بحسن عقيدته واستقامة طريقه وانه عرض ذلك على الصادق عليه السلم وانه
عليه السلم قال له مرارا رحمك الله وضحك وقال له سلني عما شئت فلا انكرك
بعد اليوم عن ابي عبد الله عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله مجالسة
اهل الدين شرف الدنيا والآخرة الشرح الدين في اللغة العادة والشأن
ودانه اي اذله واستعبده يقال دنته فدان ودانه دينا بالكسر اي جازاه يقال
كما تدين تدان اي كما تجازي تجازى بفعلك وبحسب ما عملت وقوله انا لمدينون
اي مجزيون ومنه الديان في صفات الله تعالى ويوم الدين يوم الجزاء والدين
في العرف هو مذهب الاسلام وطريق الحق والمراد باهل الدين هم العلماء
العارفون باركانه واصوله وقواعده وفروعه الحديث الخامس وهو الواحد
والثمانون علي بن ابراهيم عن ابيه عن القاسم بن محمد الاصبهاني عن سليمان
بن داود المنقري عن سفيان بن عيينة بالعين المهملة المضمومة والياء المنقطة تحتها
نقطتين ثم الياء المنقطة تحتها نقطتين والنون بعدها ليس من اصحابنا ولا من عدادنا
صه النجاشي ابن عيينة بن ابي عمران الهلالي مولى هم ابو محمد الكوفي اقام بمكة كان
جده ابو عمران عاملا من عمال خالد القسري له نسخة عن جعفر بن محمد عليهما السلم روى عنه

محمد بن ابی عبد الرحمن الكشی حمدویه عن نصیر عن محمد بن عیسی عن علی بن اسباط قال قال
سفیان بن عیینة لابی عبد الله علیه السلم انه یروی ان علی بن ابی طالب علیه السلم
كان یلبس الخشن من الثیاب وانت تلبس القوهی المروی قال ویحك ان علیاً
علیه السلم كان فی زمان ضیق فاذا اتسع الزمان فابرار الزمان اولی به عن جسر
بن كدام غیر مذكور فی كتب الرجال التی رأیناه قال سمعت اباجعفر علیه السلم
یقول لمجلس اجلسه الی من اثق به اوثق من نفسی من عمل سنة الشرح
یعنی ای مجلس من المجالس اجلس فیه عند من اعتمد علیه فی علمه وحاله اوثق من علیه لزم
نفسی فی اكتساب الخیر والثواب وحسن العاقبة من عبادة سنة منها فی ذلك

باب سؤال العالم وتذاكره وهو الباب العاشر من كتاب العقل والعلم فی الحث علی السؤال
عن الاشیاء المجهولة والتعلم من العالم بها والمذاكرة معه وفیه عشرة احادیث

الحدیث الاول وهو الثانی والثمانون علی بن ابراهیم عن ابیه عن ابن ابی عمیر
عن بعض اصحابه عن ابی عبد الله علیه السلم قال سألته عن مجدور اصابته جنابة
فغسلوه فمات قال قتلوه الا سألوا فان دواء العی السؤال الشرح الجدری
بفتحتین وبضم الجیم داء معروف وقد جدر فهو مجدر والمجدور ما به الجدری والجدر
بفتح الجیم نبت واجدر المكان وارض مجدرة ذات جدری والا مشددة كهلا حرف
تخضیض فمعناها اذا دخلت علی الماضی التوبیخ واللوم علی ترك الفعل كما فی هذه
العبارة واذا دخلت علی المضارع الحض علی الفعل والطلب له فهی فی المضارع بمعنی
الامر ولا یكون التخضیض فی الماضی الذی قد فات الا انه یستعمل فی لوم المخاطب علی
انه ترك فی الماضی شیئا یمكن ان یتداركه فی المستقبل فكانها من حیث المعنی للتخضیض

من فعل

علی فعل مثل فات والعی خلاف البیان وقد عی فی منطقه وعیی ایضا فهو
عیی علی فعیل وعی علی فعل وعی بامره وعیی اذا لم یهتد لوجهه والمراد ههنا الجهل
وهو مرض یحتاج فیه الی الدواء والعلاج قوله سألته عن مجدور اصابته جنابة فغسلوه
الغرض من هذا السؤال استعلام حكم المسألة فی هذا المقام وحكم من غسل المجدور
عندما اصابته جنابة وادی غسله الی الموت فافاد علیه السلم ان الذین غسلوه
قتلوه قتل الخطاء لان حكم المریض اذا اجنب ولم یقدر علی الغسل او انه یتضرر به
هو التیمم فمن غسله او افتی بغسله فهو ضامن ثم وبخهم بترك السؤال اذ لو سألوا اولا
عن كیفیة الامر فی هذا المقام وبین لهم الحكم فی الجواب لما وقعوا فیما وقعوا من هلاك
انفسهم فی الآخرة بهلاك غیرهم فی الدنیا اللهم الا ان یتوبوا ولم یكن منشأ ذلك الا
الجهل فاشار علیه السلم بقوله فان دواء العی السؤال الی ان الجهل داء عظیم ومرض شدید
فی القلب الانسانی الذی من شأنه ان یبقی بعد البعث فی النشأة الآخرة لكونه
لطیفة روحانیة واذا لم یتداوی هذا المرض القلبی یهلك هلاكا اخرویا دائما كما قال
تعالی الا من اتی الله بقلب سلیم ودواء هذا الداء العظیم والمرض المهلك السؤال
فان كثیرا من المجهولات یعلم بالسؤال والتعلیم من الخلق وما لا یستعلم من جهة الخلق والتعلم
من العلوم الالهیة والاسرار فیحتاج فیها الی التضرع والابتهال الی الله والسؤال
منه بلسان المقال علی طبق لسان الحال الحدیث الثانی وهو الثالث والثمانون
محمد بن یحیی عن احمد بن محمد بن عیسی عن حماد بن عیسی عن حریز بالراء قبل الیاء المنقطة
تحتها نقطتین والزاء اخیرا ابن عبد الله السجستانی ابو محمد الازدی من اهل الكوفة
كثیر السفر والتجارة الی سجستان فعرف بها وكان تجارته فی السمن والزیت

قيل روى عن ابى عبد الله عليه السلم وقال يونس لم يسمع من ابى عبد الله
عليه السلم الا حديثين وقيل روى عن ابى الحسن موسى عليه السلم قال النجاشى ولم يثبت
ذلك قال الشيخ الطوسى رحمه الله ثقة وقال النجاشى كان حريز ممن شهر السيف
فى قتال الخوارج بسجستان فى حيوة ابى عبد الله عليه السلم وروى انه جفاه وحجبه
عنه وهذا القول من النجاشى لا يوجب الطعن لعدم العلم بتعديل الراوى للجفاء
وروى ان ابا عبد الله عليه السلم حجبه عنه وفى طريقه رحمه محمد بن عيسى وفيه
قول مع ان الحجب لا يستلزم الجرح لعدم العلم بالسر فيه صح وقيل يحتمل ان
يكون المراد بالجفاء فى الرواية السابقة مجرد الحجب ويكون عطف حجبه على جفاه عطف
تفسير قال الكشى حمدويه ومحمد عن محمد بن عيسى عن صفوان عن عبد الرحمن بن الحجاج
قال سأل فضل البقباق لحريز الاذن على ابى عبد الله عليه السلم فلم يأذن فعاوده
فلم يأذن فقال اى شئ للرجل ان يبلغ فى عقوبة غلامه قال على قدر جريرته فقال قد
عاقبت والله حريزا باعظم مما صنع قال ويحك انى فعلت ذلك ان حريزا جرد
السيف ثم قال اما لو كان حذيفة بن منصور ما عاودنى فيه بعد ان قلت لا انتهى
وقيل بعد ما ذكر ما قاله العلامة رحمه الله انه وان كان فى محمد بن عيسى قول لكنه قوى
قبول روايته مع ان الرواية صريحة فى الجرح فيه عن زرارة بن اعين بن سنسن بضم
السين المهملة واسكان النون وبعدها سين مهملة شيخ من اصحابه فى زمانه
ومتقدمهم وكان قاريا فقيها متكلما شاعرا اديبا قد اجتمعت فيه خلال الفضل والدين
ثقة صادقا فيما يرويه وقد ذكر الكشى احاديث تدل على عدالته وعارضت تلك
الاحاديث اخبار اخر تدل على القدح فيه قد ذكرنا فى كتابنا الكبير وذكرنا وجه الخلاص

عنها

عنها والرجل عندى مقبول الرواية مات رحمه الله سنة خمسين ومائة صح
قال الشهيد الثانى فى الحاشية حاصل ما ذكره الكشى فى حق زرارة احاديث
تزيد على العشرين تقتضى ذمه وكلها ضعيفة السند جدا وفى اكثرها محمد بن عيسى
العبيدى الا حديثا واحدا طريقه صحيح الا انه مرسل لان رواية محمد بن قولويه عن
محمد بن ابى القاسم بن ماجيلويه عن زياد بن ابى الحلال عن الصادق عليه السلم
وظاهر ان زياد الذى هو من رجال الباقر والصادق عليهما السلم لم يبق الى زمن
ابن ماجيلويه المعاصر لابن بابويه ومن فى طبقته وثلثت الاخبار الواردة بمدحه
خالية عن المعارض المعتبر وفيها خبر صحيح السند يدل على ثقته وجلالته وقد تقدم
متنه وسنده فى باب الباء هذا ما يتعلق بكتاب الكشى الذى اشار اليه المصنف
ووقفت فى الكافى للكلينى على اربعة اخبار اخر تقتضى القدح فيه اثنان منها فى كتاب
الايمان وفى طريقها محمد بن عيسى عن يونس والاخران فى كتاب الميراث وطريقها
كذلك ايضا ولكن احدهما بطريق آخر حسن ولكنه مرجوح عند معارضة الصحيح الذى
ورد فى مدحه وبالجملة فقد ظهر اشتراك جميع الاقوال القادحة فى اسنادها الى
محمد بن عيسى وهو قرينة عظيمة على الميل والانحراف منه على زرارة مضافا الى ضعفه
فى نفسه وقال السيد جمال الدين طاوس ونعم ما قال ولقد اكثر محمد بن عيسى من
القول فى زرارة حتى لو كان بمقام عدالة كادت الظنون تسرع اليه بالتهمة
فكيف وهو مقدوح انتهى كلام المحشى رحمه الله وقال الكشى اجمعت العصابة على
تصديقه والانقياد بالفقه فى ستة هم افقه الاولين من اصحاب ابى جعفر وابى عبد الله
عليهما السلم قالوا وافقه الستة زرارة وذكر احاديث كثيرة تدل على علو رتبته

وعظم منزلته وجلالة قدره يضيق المقام عن ايرادها وقد تقدم منها في بريدة وعارض
ذلك باخبار تدل على القدح فيه وكفى جوابا عنها وعذرا فيها ما روي في الصحيح
ان ابا عبد الله عليه السلم ارسل اليه انما اعيبك دفاعا مني عنك فان الناس
والعدو يسارعون الى كل من قربناه وحمدنا مكانه لادخال الاذى فيمن نحبه
ونقربه ويذمونه لمحبتنا وقربه ودنوه منا ويرون ادخال الاذى عليه وقتله و
يحمدون كل من عبناه نحن فانما اعيبك لانك رجل اشتهرت بنا وبميلك الينا
وانت في ذلك مذموم عند الناس فيكون ذلك دافع شرهم عنك يقول الله
عز وجل واما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت ان اعيبها
وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا هذا التنزيل من عند الله صالحة هولاء
ما عابها الا لكي تسلم من الملك فافهم المثل يرحمك الله فانك احب الناس الي
واحب اصحاب ابي حيا وميتا فانك افضل ذلك البحر القمقام وان من
ورائك ملكا ظلوما غصوبا يرقب عبور كل سفينة صالحة ترد من بحر الهدى ليغصبها صالحة
واهلها فرحمة الله عليك حيا ورحمته ورضوانه عليك ميتا هذا مع اسنادها
مقدوحة وبلوايح الكذب اكثرها مشحونة ومحمد بن مسلم بن رباح ابو جعفر الاوقص
الطحان مولى ثقيف الاعور وجه اصحابنا بالكوفة فقيه ورع صاحب ابا جعفر
وابا عبد الله عليهما السلم وروى عنهما وكان من اوثق الناس وقد مضى شرح
حاله وبريد العجلي بضم الباء وفتح الراء ابن معوية ابو القاسم عربي روي انه
من حواري الباقر والصادق عليهما السلم وروى عنهما ومات في حيوة ابي عبد الله
عليه السلم وهو وجه من وجوه اصحابنا ثقة فقيه له محل عند الائمة عليهم السلم قال
الكشي

قال الكشي انه ممن اتفقت العصابة على تصديقه وممن انقادوا له بالفقه وروى في حديث على
صحيح عن جميل بن دراج قال سمعت ابا عبد الله عليه السلم يقول بشر المخبتين بالجنة
بريد بن معوية العجلي وذكر آخرين ومات في سنة مائة وخمسين صح الحديث هكذا
بشر المخبتين بالجنة بريد بن معوية العجلي وابو بصير ليث بن البختري المرادي ومحمد
بن مسلم وزرارة اربعة نجباء امناء الله على حلاله وحرامه لولا هولاء انقطعت آثار
النبوة واندرست قال قال ابو عبد الله عليه السلم لحمران بن اعين في شيء سأله انما
يهلك الناس لانهم لا يسألون الشرح قد مر في الحديث السابق ان الجهل داء مهلك
ودواءه السؤال ولكن الجاهل اذا لم يشعر بجهله وظن بنفسه انه عالم يستنكف عن
السؤال فيبقى على جهله ابدا فيهلك هلاكا سرمدا ولهذا قالت الحكماء ان صاحب الجهل
المركب المشفوع بالعناد عذابه ابدي ووجه ذلك بان حيوة النشاة الآخرة انما يكون
بالعلم والمعرفة فصاحب الجهل المركب وهو من يعلم شيئا او شيئا على غير ما هي عليه
فعلمه مركب مع الجهل فحيوته الاخروية ممتزج بالموت كما قال تعالى لا يموت فيها ولا يحيى
فله غاية الاذى والالم اذ كل الم وعذاب انما هو بادراك فقد ما يلايمه او ضده مالامن
الحالة الملائمة كتفرق الاتصال بعضو وحصول حرارة محرقة فيه او برودة شديدة
فيه ونحوها وهذه الاعدام والاضداد الموجبة للالام الشديدة ههنا انما وقعت في امور
خارجة عن ذات المدرك كالاعضاء ونحوها ولكن يصل اثرها الى النفس للعلاقة التي
اليها للنفس فما ظنك بادراك العدم الحاصل في نفس المدرك وذاته وما اشد واعظم لها
من الم وعذاب يكون بادراك هلاك النفس وفقد الذات وموت الهوية وذلك
هو الخسران المبين نعوذ بالله من ذلك الحديث الثالث وهو الرابع والثمانون

علي بن محمد عن سهل بن زياد عن جعفر ابن محمد الاشعري عن عبد الله بن ميمون القداح
عن ابي عبد الله عليه السلم قال قال ان هذا العلم قفل ومفتاحه السؤال الشرح
اشار عليه السلم بقوله هذا العلم تنبيهاً على ان العلم الذي هو مقفل مغلق هو ما يوجد
عند هم عليه السلم وعند من ينهج على مناهجهم ويسلك سبلهم ومفتاحه السؤال
منهم او ممن اخذ منهم لا العلم الذي اكب عليه الاكثرون من علماء العامة ومن يجري
مجراهم من الصحفيين واهل الكتاب فانه يمكن اخذه من الكتب والصحايف فالعلوم
الحقيقية انما ينزل من عند الله او من عند من نزل عليه من عنده تعالى ومفتاحه السؤال
اياهم بلسان الحال او بلسان المقال مع ضرب من الاستيهال الحديث الرابع
وهو الخامس والثمانون علي بن ابراهيم عن ابيه عن النوفلي عن السكوني عن
ابي عبد الله عليه السلم مثله الحديث الخامس وهو السادس والثمانون

علي بن ابراهيم عن محمد ابن عيسى بن عبيد عن يونس بن عبد الرحمن عن ابي جعفر
الاحول محمد بن علي بن النعمان الملقب بمؤمن الطاق مولى بجيلة من اصحاب الكاظم
عليه السلم ثقة وكان ملقب بالاحول والمخالفون يلقبونه شيطان الطاق وكان
كثير العلم حسن الخاطر حاضر الجواب وفي الكشي حمدويه بن نصير قال حدثنا محمد بن الحسين بن ابي
الخطاب عن النضر بن شعيب عن ابان بن عثمن عن عمر بن زيد عن ابي عبد الله
عليه السلم قال زرارة وبريد ابن معوية ومحمد بن مسلم والاحول احب الناس
الي احياء وامواتا ولكنهم يجيئوني فيقولون لي فلا اجد بداً من ان اقول علي بن محمد
بن الحسن قال حدثني محمد بن احمد عن يعقوب بن يزيد عن ابن ابي عمير عن ابي العباس
البقباق عن ابي عبد الله عليه السلم قال اربعة احب الناس الي احياء وامواتا

[Marginal note: وعند هم]

[Marginal note: كان دكانه في الطاق ... الكوفة ويرجع اليه ... فيخرج ... فقال شيطان الطاق]

بريد العجلي وزرارة ومحمد بن مسلم والاحول حمدويه قال حدثنا محمد بن عيسى عن
ابي محمد القاسم بن عروة عن ابي العباس قال ابو عبد الله عليه السلم زرارة بن
اعين ومحمد بن مسلم وبريد بن معوية والاحول احب الناس الي احياء وامواتا ولكن
الناس يكثرون فيهم فلا اجد بداً من متابعتهم قال فلما كان من قابل قال انت
الذي تروي علي ما ترويني في زرارة وبريد ومحمد بن مسلم والاحول قال قلت نعم
فكذبت عليك قال انما ذلك اذا كانوا صالحين قلت هم صالحون حدثني حمدويه عن
يعقوب بن يزيد عن القاسم بن عروة عن ابي العباس الفضل بن عبد الملك قال
سمعت ابا عبد الله عليه السلم يقول احب الناس الي احياء وامواتا اربعة
بريد بن معوية العجلي وزرارة ومحمد بن مسلم والاحول وهم احب الناس الي
احياء وامواتا وروايات اخر تدل على حسن خاطره وجودة ذهنه وقوة مناظرته
وروي في ذمه عن محمد بن مسعود عن علي بن محمد القمي قال حدثني احمد بن محمد بن عيسى
عن علي بن الحكم عن فضل بن عثمن عن ابي عبد الله عليه السلم انه اشار بعد ان جرى حديث
كون صاحب الطاق جدلاً الى انه ابن قال له احد اخبرني عن كلامك هذا من كلام امامك
فان قال نعم كذب علينا وان قال لا قال له كيف تتكلم بكلام لا يتكلم به امامك ثم قال
انهم يتكلمون بكلام انا اقررت به ورضيت اقمت على الضلالة وان برئت منهم شق
علي نحن قليل وعدونا كثير قلت جعلت فداك فابلغه عنك ذلك قال اما انهم قد دخلوا
في امر ما يمنعهم من الرجوع عنه الا الحمية قال فابلغت ذلك ابا جعفر الاحول فقال صدق
بابي وامي ما يمنعني من الرجوع الا الحمية علي قال حدثنا محمد بن احمد عن محمد بن عيسى عن
مردك بن عبيد عن احمد بن النضر عن المفضل بن عمر قال قال لي ابو عبد الله عليه السلم ايت

الاحول فهو لا يتكلم فاتيته في منزله فاشرف علي فقلت له يقول لك ابو عبد الله
عليه السلم لا تتكلم قال اخاف ان لا اصبر ولا اجيب ان في سند الاول علي
بن محمد القمي ويحتمل كونه ابن محمد بن يزيد كما في روايات اخر وهو غير معلوم الحال ولا مذكور
في كتب الرجال قال احمد بن طاوس ظاهر كلام الصادق عليه السلم راجع الى ايثار التقية
في ايثار ترك اصحابه للخوض في الكلام واما قوله ما يمنعهم من الرجوع عنه الا الحمية فهو اشارة
الى ان الكلام المشار اليه لم يقارنه نية الاخلاص وفي سند الثاني محمد بن عيسى والمفضل
وفيهما قول وبعد فمن الذي يامن ان يخطئ بذراعه ما في روايات المدح ما يصير عذرا عن
مثل ذلك فتنبه عن ابي عبد الله عليه السلم قال لا يسع الناس حتى يسألوا ويتفقهوا ويعرفوا
امامهم ويسعهم ان ياخذوا بما يقول وان كانت تقية الشرح اي لا يسع الناس ولا يجوز
لهم ان يقفوا على الجهل بالمعارف الدينية والمسائل العملية الفرعية بل يجب عليهم الطلب
والسؤال والتفقه في الدين ومعرفة امام المسلمين حتى يسألوا منه لقوله تعالى فاسئلوا اهل الذكر
ان كنتم لا تعلمون واذا عرفوا امامهم حق معرفته الواجبة عليهم من كونه معصوما عن الخطا يسعهم
ان ياخذوا بقوله ويعملوا بمؤداه وان كانت الحالة تقية او وان كانت فيما قاله تقية
فقوله تقية اما منصوبة بالخبرية لكانت وهي ناقصة او مرفوعة بالفاعلية لها وهي تامة
الحديث السادس وهو السابع والثمانون علي عن محمد بن عيسى عن يونس عمن ذكره
عن ابي عبد الله عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله اف لرجل لا يفرغ نفسه
في كل جمعة لامر دينه فيتعاهده ويسأل عن دينه وفي رواية اخرى لكل مسلم الشرح
اف بالتشديد كلمة تضجر يقال اف له وافة له اي قذرا له والتنوين للتنكير وافة وتفة
وقد اف تافيفا اذا قال اف وفيه ست لغات حركات الفاء منونا وغير منون

والهمزة

والهمزة مضمومة قوله عليه السلم في كل جمعة اي كل يوم جمعة او في كل اسبوع والمراد
الاول لانه مجمع الناس يعني يجب على كل رجل مسلم ان يفرغ نفسه في كل يوم جمعة
عن شواغل الدنيا ومكاسب المعيشة لاستعلام ما هو من امور دينه وحلاله وحرامه
فعليه ان يتعاهد يوم الجمعة ويتحفظ حتى لا يفوت عنه حضور الجمعة ويسئل عن مسائل
دينه وما يحل له ويحرم عليه الحديث السابع وهو الثامن والثمانون علي بن ابراهيم عن
ابيه عن ابن ابي عمير عن عبد الله بن سنان عن ابي عبد الله عليه السلم قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله عز وجل يقول تذاكر العلم بين عبادي مما تحيى
عليه القلوب الميتة اذا هم انتهوا فيه الى امري الشرح لما كان هذا الباب متضمنا
لمقصدين احدهما الحث على السؤال عما هو ضروري في امر الدين لكل مسلم وثانيهما
مذاكرة العلم فالاحاديث الستة الماضية كانت في المقصد الاول وهذا الحديث
والثلثة البواقي في تذاكر العلوم المتعلقة بامر المبدا والمعاد واصول الاعتقاد فالمعنى
ان تذاكر العلم علومه ومعارفه من جماعة من عباد الله المستمعين لكلامه المستفيدين منه
مما تحيى قلوبهم الميتة حيوة اخرى وقد سبقت الاشارة مرارا الى ان العلوم الحقيقية
والمعارف الالهية مما يتنور بها باطن الانسان وقلبه المعنوي ويحيى بها حيوة عقلية
يصعد بها الى عالم القدس ويصير ذاته من جوهر الملئكة المقربين والعقول المقدسين
وقوله اذا هم انتهوا فيه الى امري يعني ان مذاكرة العلوم انما توجب حيوة القلوب
الميتة اذا كانت مؤدية الى المعارف الالهية والعلوم الربانية من احوال المبدا وصفاته
وافعاله واحوال النبوة والمعاد ويحتمل ان يكون هذه التتمة من كلام النبي صلى الله عليه
وآله اي بشرط ان العلوم التي تتذاكر بها مقتبسة من مشكوة خاتم الانبياء صلوات الله

وسلامه عليه وآله فان العقول البشرية بمجرد مداركها الفكرية قاصرة عن البلوغ الى درك ما ينكشف
في طور النبوة والولاية كعجز الحس والوهم عن البلوغ الى درك ما ينكشف في طور العقل
فان كثيراً من المعارف الايمانية التي شهدت بصحتها اعاظم الاولياء وأماثل الكبراء
مما احاله جمهور العقلاء منها هذه المسئلة التي نحن فيها من صيرورة الانسان جوهراً قدسياً
وحيواناً عقلياً بعد ما كان جوهراً انفسانياً وحيواناً بشرياً حسياً فان اكثر الفلاسفة كابن سينا
ومن في طبقته ينكرون هذه الحركة الجوهرية الواقعة في حدود الانسانية ومنازلها ومقاماتها
ونحن بفضل الله القوية من ثبت اوضحنا بيانه واتقنا برهانه مستمداً من بحار القرآن وآيات
الرحمن مستضيئاً بانوار التنزيل واسرار التأويل الحديث الثامن وهو التاسع والثمانون
محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى بن سنان عن ابي الجارود زياد بن منذر الهمداني بالدال
المهملة الحارقي بالخاء المعجمة وبعد الالف راء مهملة وقاف وقيل الخارق بالخاء المضمومة والراء
والقاف واختار ابن داود قولاً ثالثاً وهو انه الحوفي بالحاء المهملة والفاء وحكى القولين
المذكورين ههنا الكوفي الاعمى تابعي زيدي المذهب واليه ينسب الجارودية من الزيدية
وكان من اصحاب ابي جعفر عليه السلم وروى عن الصادق عليه السلم وتغير لما خرج زيد
رضي الله عنه وروى عن زيد وقال ابن الغضايري حديثه في حديث اصحابنا اكثر منه في
الزيدية واصحابنا يكرهون ما رواه محمد بن سنان عنه ويعتمدون ما رواه محمد بن بكر الارجني
وقال الكشي زياد بن المنذر ابو الجارود الاعمى السرحوب بالسين المهملة المضمومة والراء
والحاء المهملة والباء المنقطة تحتها نقطة واحدة بعد الواو مذموم لا شبهة في ذمه وسمي سرحوبا
باسم شيطان اعمى يسكن البحر قال سمعت ابا جعفر عليه السلم يقول رحم الله عبداً احيى
العلم قال قلت وما احياؤه قال ان تذاكر به اهل الدين واهل الورع الشرح انما قيد

اهل تذاكر

اهل تذاكر العلم بان يكونوا من اهل الدين والورع حتى يكون في تذاكرهم احياء للعلم لوجهين
احدهما ما مر من كون العلم الحقيقي ما يكون نوره مقتبساً من مشكوة النبوة والثاني ان
طهارة القلب بالورع والتقوى شرط حصول العلم كما قال تعالى واتقوا الله ويعلمكم
فان جلاء المرآة وصفاؤها عن الكدورات شرط حلول الصور فيها والتخلية قبل التحلية
الحديث التاسع وهو التسعون محمد بن يحيى عن احمد بن محمد عن عبد الله بن محمد
الحجال بالحاء المهملة والجيم الاسدي مولاهم كوفي المزخرف ابو محمد وقيل انه
مولى بني تيم ثقة ثقة ثبت صح وفي النجاشي قيل انه مولى تميم قال الشيخ مولى بني
تيم الله ثقة من اصحاب الرضا عليه السلم وفي الفهرست روى علي بن حسن
ابن علي بن عبد الله بن المغيرة عن ابيه عنه بكتابه عن بعض اصحابه رفعه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله تذاكروا وتلاقوا وتحدثوا فان الحديث جلاء
للقلوب ان القلوب لترين كما يرين السيف جلاؤه الحديث الشرح
الرين الطبع والدنس وران على قلبه ذنبه يرين ريناً وريوناً اي غلب عليه
وقيل هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب وقال ابو عبيد كل ما غلبك
فقد ران بك ورانك وران عليك وقال ابو زيد رين بالرجل اذا وقع فيما
لا يستطيع الخروج عنه ولا قبل له به وران النعاس في العين ورانت الخمر عليه غلبته
هكذا في الصحاح وغيره ولعل اصل معنى الرين هو الطبع والدنس كما ذكرا اولاً وهو
مما يتفاوت شدة وضعفاً واذا اشتد غلب على محله وسلب وقد مر ان
القلوب كالمرائي والمعاصي والشهوات كالادناس والطبائع فاذا تكثرت
وترادفت المعاصي تراكمت الادناس والظلمات عليها ففسدت ذاتها

٢٢٥ ينجع اثر

وبطلت فلم يجتمع فيها النصيحة ولا التعليم فقوله صلى الله عليه وآله ان القلوب لترين كما يرين
السيف جلاؤه الحديث اشارة الى رين القلوب قبل ان يشتد ويستحكم وح
ينفع الحديث والتذاكر فاما اذا اشتد واستحكم فلا ينفع الذكرى كما في قوله تعالى
بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقوله فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون الحديث العاشر
وهو الواحد والتسعون عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد عن ابيه عن فضالة
بن ايوب الازدي من اصحاب ابي ابراهيم موسى الكاظم عليه السلم سكن الاهواز
روى عن الكاظم عليه السلم وكان ثقة في حديثه مستقيما في دينه صه الكشي قال بعض
اصحابنا انه ممن اجمع اصحابنا على تصحيح ما يصح عنهم وتصديقهم واقروا لهم بالفقه والعلم قيل
ابن ايوب روى عنه الحسين بن سعيد وهو ممن لم يرد فتامل فيه عن عمر بن ابان
الكليني — الكلبي ابو حفص مولى كوفي ثقة روى عن ابي عبد الله عليه السلم صه وفي النجاشي له
كتاب روى عنه جماعة منهم عباس بن عامر القصباني وفي الفهرست عنه الحسن بن
محمد بن سماعة عن منصور الصيقل بن الوليد من اصحاب الباقر عليه السلم يكنى ابا محمد روى
عنهما قال سمعت ابا جعفر عليه السلم يقول تذاكر العلم دراسة والدراسة صلوة حسنة
الشرح درست الكتاب درسا ودراسة ودارسته وتدارسته قرأته وقال
اي رم — ابن الاثير في الحديث تدارسوا القرآن اي اقرأوه وتعهدوه لئلا تنسوه واصل الدراسة
الرياضة والتعهد للشيء ومنه حديث اليهودي الزاني فوضع مدراسها كفه على آية الرجم
المدراس صاحب دراسة كتبهم ومفعل ومفعال من ابنية المبالغة يعني ان مذاكرة
العلم بمنزلة دراسة القرآن في الفضيلة والثواب ودراسة القرآن بمنزلة صلوة حسنة
لان فضل الصلوة على غيرها من العبادات لاجل اشتمالها على الذكر كما قوله اقم الصلوة
ظ
لذكري

لذكري وحقيقة الذكر هي ما يتذكر به القلب لا ما يتحرك به اللسان والمصلي متى كان
في صلوته حاضر القلب بذكر الله وخضوعه وخشوعه كانت صلوته احسن و
بقدر غفلته ينقص ثوابه ويقل حسن صلوته فمذاكرة العلم افضل واحسن من صلوة
لا تذكر فيها قال ابن عبد الحكيم كنت عند مالك اقرأ عليه العلم فدخل الظهر فجمعت الكتب
لاصلي فقال يا هذا ما الذي اليه بافضل من الذي كنت فيه اذا صحت النية و
ليس غرضنا من هذا النقل الاعتضاد بكلام مالك فيما نحن فيه بل الاشعار بان
هذا الامر مما لم يخف على مثله مع كونه من اهل الظاهر فكيف على من له قسط في كشف
المعاني والاسرار

باب بذل العلم

وهو الباب الحادي عشر من كتاب العقل والعلم
وفيه اربعة احاديث الحديث الاول وهو الثاني والتسعون محمد بن يحيى عن احمد
بن محمد بن عيسى عن محمد بن اسمعيل بن بزيع عن منصور بن حازم عن طلحة بن زيد
ابو الخزرج بالخاء المعجمة والزاء ثم الراء كما في الايضاح النهدي الشامي ويقال له
الحزري بالحاء المهملة والزاء ثم الراء روى عن جعفر الصادق عليه السلم عامي المذهب
قال الشيخ الطوسي رحمه الله في مواضع انه بتري وفي آخر انه عامي المذهب
الا ان كتابه معتمد صه النجاشي الحزري القرشي من اصحاب الصادق عليه
السلم النهدي الشامي وفي كتاب البرقي ابو الخزرج النهدي الشامي — ابو الخزرج
ابن الحزري عن ابي عبد الله عليه السلم قال قرأت في كتاب علي عليه السلم
ان الله لم يأخذ على الجهال عهدا بطلب العلم حتى اخذ على العلماء عهدا
ببذل العلم للجهال لان العلم كان قبل الجهل الشرح العهد في اللغة لمعان
كثيرة منها الامان ومنه لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده ومنها

الذمة والحفاظ والوصية ويقال عهدت اليه اي اوصيته ومنه العهد الذي
يكتب للولاة والمعهود الذي عهد وعرف وعهدته بمكان كذا لقيته و
عهدي به قريب ومتى عهدك بفلان اي متى عهدته ومنه متى عهدك بكلف
ونحوه اي متى لبسته والتعهد التحفظ بالشيء والعهد المطر يكون بعد المطر والجمع والعهود والعهد
العهاد والعهود والمعاهد الذمي وقرية عهيدة اي قديمة اتى عليها عهد طويل
ومنها اليمين وهو العقد الموثق قوله تعالى الذين ينقضون عهد الله والنقض
فسخ التركيب واصله في طاقات الحبل واستعماله في ابطال العهد من حيث
ان العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط احد المتعاهدين بالآخر فان اطلق
مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد فقط كان تخييلا ورمزا
الى ما هو من روادفه فهو ان العهد حبل في ثبات الوصلة من المتعاهدين
كقولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس فان فيه تنبيها
على انه اسد في شجاعته بحر بالنظر الى افادته ووضع العهد مطلقا لما من
شانه ان يراعى ويتعهد كالوصية والذمة واليمين ويقال للدار والقرية و
نحوهما من حيث انها تراعى بالرجوع اليها والتاريخ لانه يحفظ واما عهد الله فهو
الذي جعل الله يوم الميثاق في قوله واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم الآية
وهو في الحقيقة ما ركز في العقول وفطر ذوات النفوس الآدمية عليه من الحجة
والآيات الدالة على توحيده ووجوب وجوده واتصافه بالصفات الكبرى
والاسماء الحسنى وبرائته عن النقايص والشرور ورجوع الخلايق اليه في العقبى
وعليه اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم فهذا هو العهد الماخوذ به العباد
وكذلك

وكذلك الماخوذ به على امم الرسل والانبياء عليهم السلم وهو انهم اذا بعث اليهم رسول
مصدق بالبينات والمعجزات صدقوه وآمنوا به واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا
حكمه واليه اشار بقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونظايره واما
الماخوذ به الرسل فهو التبليغ والتعليم والهداية والتاديب كما في مثل قوله يا ايها
الرسول بلغ ما انزل اليك ونظايره واذا انكشف لك حال عهد الله على الامم
بالاتباع وعلى الرسل بالتبليغ فقس عليه حال عهده على الجاهل بطلب العلم وعلى العالم
ببذله ولهذا قيل عهود الله ثلثة عهد اخذه على جميع ذرية آدم بان يقروا بربوبيته و
عهد اخذه على النبيين بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه على العلماء بان يبينوا
الحق ولا يكتمونه وعن النبي صلى الله عليه وآله من علم علما فكتمه الجم يوم القيمة بلجام من
نار واما قوله لان العلم كان قبل الجهل فيحتمل ان يكون من تتمة كلام امير المومنين عليه السلم كما هو
الظاهر او من كلام الصادق عليه السلم وعلى اي الوجهين فلا يخلو معناه عن خفاء وغموض
اذ فيه اشكال وهو ان كل واحد من افراد الناس يكون في اول خلقه جاهلا ثم يكتسب
العلم ويصير عالما او يبقى على جهله فما معنى كون العلم قبل الجهل والجواب من وجوه احدها
ان العلم كمال وخير والجهل نقصان وشر والكمال والخير هو غاية كل شيء فللعلم تقدم على
الجهل تقدما بالغاية والثاني ان النفوس الانسانية لها كينونة سابقة على البدن عند
اخذ الميثاق وكونهم في ظهور آبائهم العقلية وتلك الكونية ضرب من الوجود العقلي
والوجود العقلي لا ينفك عن العلم بالذات وبمبدع الذات فكان الانسان هناك
عالما فاذا نزل الى الدنيا صار جاهلا ناسيا واليه الاشارة بقوله ولقد عهدنا الى آدم
من قبل فنسي ثم ان ساعده التوفيق يصير عالما راجعا الى عالمه الذي نزل منه والا فهو

فى الجحيم شقيّا جاهلا فى غصّته وعذاب اليم والثالث انّ العلم اشرف من الجهل فله فضيلة
بالشرف عليه والرابع انّ طبيعة العلم قبل طبيعة الجهل لانّ وجود الحقّ تعالى ووجود الجواهر
العقلية والنفسية قبل الاجسام والاغشية الظلمانية التى يلزمها الاعدام والجهالات
والشرور والخامس انّ الجهل عدم ملكة العلم والاعدام انّما يعرف بملكاتها فالجهل لا يعرف
الّا بالعلم والعلم بذاته لا بالجهل فالعلم يتقدّم على الجهل بالماهية والحقيقة وبالكمال والغاية
وبالشرف وبالرتبة وبالذات وبالزمان ايضا اذا اعتبر حال النوع وايضا لولا وجود
العلماء لم يكن للجهّال وجود لانّها انّما خلقت لاجلهم لقوله تعالى وما خلقت الجنّ والانس
الّا ليعبدون اى ليعرفون الحديث الثانى وهو الثالث والتسعون عدّة من اصحابنا
عن احمد بن محمد البرقى عن ابيه عن عبد الله بن المغيرة بضمّ الميم وكسر الغين المعجمة قبل
الياء المنقطة تحتها نقطتين ابو محمد البجلى مولى جندب بن عبد الله بن سفيان العلقى
كوفى ثقة ثقة لا يعدل به احد من جلالته ودينه وورعه روى عن ابى الحسن عليه السلم
قال الكشى روى انّه كان واقفيا ثم رجع ثم قال انّه ممن اجمعت العصابة على تصحيح ما يصحّ عنه
والاقرار له بالفقه صح وقال النجاشى قيل انّه صنّف ثلثين كتابا روى عنه ايوب بن
نوح والحسن بن على بن عبد الله بن ابيه ومحمد بن سنان عن طلحة بن زيد عن ابى عبد الله
عليه السلم فى هذه الآية ولا تصعّر خدّك للناس قال ليكن الناس عندك فى العلم سواء
الشرح الصعر ميل فى العنق وانقلاب فى الوجه الى احد الشقّين عن الليث
ويقال داء اصاب البعير يلوى منه عنقه وقد صعّر خدّه وصاعر اى اماله تكبّرا
ومنه الحديث كلّ صعّار ملعون والصعّار المتكبّر لانّه يميل بخدّه ويعرض عن
الناس بخدّه ويروى بالقاف بدل العين وبالضاد المعجمة والقاف والزاء

دوه

وقوله تعالى ولا تصعّر خدّك للناس اى لا تعرض عنهم تكبّرا وهذا التأويل الذى ذكره
عليه السلم تأويل حسن لانّ المعلّم ينبغى ان يكون التفاته وتعليمه بالقياس الى جميع
الناس على درجة واحدة فان كان التفاته الى البعض دون البعض او استنكف
عن تعليم البعض او نصحه فكأنّه مال بوجهه عنه او تكبّر والدليل على صحّة هذا التأويل
انّ هذا الخطاب وقع من مثل لقمان الحكيم الى ابنه اجالس مجلسه واوصى به لا يكونون
الّا طلّاب العلوم فكانت النصيحة منه لابنه التسوية بين الطلّاب فى افادة العلم
والهداية والارشاد والله اعلم بالصواب الحديث الثالث وهو الرابع
والتسعون وبهذا الاسناد عن ابيه عن احمد بن النضر بالنون والضاد المعجمة
ابو الحسن الجعفى مولى كوفى ثقة صح وفى الفهرست له كتاب يروى عنه محمد بن
خالد البرقى ومحمد بن سالم عن عمرو بن شمر بن يزيد ابو عبد الله الجعفى الكوفى روى
عن ابى عبد الله وعن جابر ضعيف جدّا زيد احاديث فى كتب جابر الجعفى ينسب
بعضها اليه والامر ملتبس فلا اعتقد على شئ مما يرويه صح عن جابر عن ابى عبد الله
عليه السلم قال زكوة العلم ان تعلّمه عباد الله الشرح كما انّ للمال زكوة وزكوته
الانفاق للمستحقّين فكذلك للعلم زكوة وزكوته التعليم لمن هو اهله ومستحقّه من
عباد الله تعالى وكما انّ المال يزداد بالانفاق فكذا العلم يزداد ويشتدّ بالتعليم
وفيه الاجر والثواب للآخرة وقد روى عن النبى صلّى الله عليه وآله انّه قال
لا حسد الّا فى اثنين رجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلّمها الناس ورجل آتاه الله
مالا فسلّطه على انفاقه فى الحقّ فهو ينفق سرّا وجهرا الحديث الرابع وهو الخامس
والتسعون على بن ابرهيم عن محمد بن عيسى عن عبيد عن يونس بن عبد الرحمن

عمن ذكره عن ابي عبد الله عليه السلم قال قام عيسى خطيباً في بني اسرائيل فقال يا بني اسرائيل
لا تحدثوا الجهال بالحكمة فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم الشرح اراد عليه السلم بحكاية
عن كلام عيسى عليه السلم واهتمامه في ذلك حيث ذكره حين قام خطيباً في محتشد
من بني اسرائيل التنبيه على ما ينبغي ان يفعله المعلم من ملاحظة احوال المتعلمين والنظر في
مراتب افهامهم وقابلياتهم بالقياس الى درجات العلوم فرب متعلم يفهم مرتبة
من العلم دون اخرى فوقها فضلاً عمن لم يفهم شيئاً ورب علم يفهمه بعض المتعلمين دون
غيرهم فضلاً عما لا يدركه احد منهم فلا ينبغي للمعلم ان يفشي ما يعلمه الى كل احد هذا اذا كان
يفهمه المتعلم ولكن لم يكن من اهل الانتفاع به فكيف فيمن لا يفهمه او كيف فيما لا يفهمه بل ينبغي
ان يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه وعلى قدر ما ينتفع به اذا فهمه فلا يلقي اليه ما لا يبلغه عقله فينفره
او يخبط عليه عقله اقتداءً بسيد الانبياء والمعلمين عليه وآله الصلوة والسلم حيث قال
نحن معاشر الانبياء امرنا ان ننزل الناس منازلهم ونكلم الناس على قدر عقولهم و
ليبث اليه الحكمة والحقيقة اذا علم انه يستقل بفهمه وقد روي عنه صلى الله عليه وآله
انه قال ما احد يحدث قوماً بحديث لا يبلغه عقولهم الا كان فتنة على بعضهم وقال علي
عليه السلم واومى بيده الى صدره الشريف ان ههنا لعلوماً جمة لو وجدت لها حملة
وصدق سلام الله عليه فان قلوب الابرار قبور الاسرار وعن رسول الله صلى الله
عليه وآله لا تعلقوا الجواهر في اعناق الخنازير فان الحكمة خير من الجوهر الثمين ومن كرهها
فهو اشر من الخنزير فيكون اعطاؤها اياه ظلماً في حقها لانه وضع لها في غير موضعها وسئل
بعض العلماء عن مسئلة فلم يجب فقال السائل اما سمعت النبي صلى الله عليه وآله
حيث يقول من كتم علماً نافعاً جاء يوم القيمة ملجماً بلجام من نار فقال اترك اللجام واذهب

فان جاء من

فان جاء من ينفعه فكتمته فليلجمني وقول الله ولا تؤتوا السفهاء اموالكم تنبيه على ان فليلجمني
حفظ العلم ممن يفسده ويضره اولى ومما يؤيد ما نحن فيه انه ذكر في كتاب بصائر الدرجات
لمحمد بن الحسن باسناده عن عبد الله بن سلمان قال سمعت اباجعفر عليه السلم
وعنده رجل من اهل البصرة يقال له عثمان الاعمى وهو يقول ان الحسن البصري
زعم ان الذين يكتمون العلم يؤذي ريح بطونهم اهل النار فقال ابو جعفر عليه السلم
فهلك مؤمن آل فرعون وما زال العلم مكتوماً منذ بعث الله نوحاً عليه السلم
فليذهب الحسن يميناً وشمالاً فوالله لا يوجد العلم الا ههنا ثم انه ليس الظلم في اعطاء
غير المستحق باقل من الظلم في منع المستحق بل الظلم في الثاني اقل منه في الاول
لانه مما يتدارك دون الاول وذلك لان الاول تفويت والثاني تاخير والتاخير
يتدارك دون التفويت ونعم ما قيل نظماً ٥ فمن منح الجهال علماً اضاعه ٥ ومن منع
المستوجبين فقد ظلم ٥ باب النهي عن القول بغير علم وهو الباب الثاني عشر
من كتاب العقل والعلم وفيه تسعة احاديث الحديث الاول وهو السابع
والتسعون محمد بن يحيى عن احمد وعبد الله ابني محمد بن عيسى وهو ملقب ببنان
صرح به الكشي عن علي بن الحكم عن سيف بن عميرة عن مفضل بن يزيد كوفي
من اصحاب الصادق عليه السلم وليس اسمه في الخلاصة قال قال ابو عبد الله
عليه السلم انهاك عن خصلتين فيهما هلك الرجال انهاك ان تدين الله بالباطل
وتفتي الناس بما لا تعلم الشرح النهي خلاف الامر ونهيته عن كذا فانتهى عنه
وتناهى اي كف وتناهوا عن المنكر نهى بعضهم بعضاً وانه لامور بالمعروف
ونهوّ عن المنكر فعول للمبالغة ويتعدى الى مفعول الثاني بحرف عن فقوله مفعوله

عليه السلم انهاك ان تدين الله اى انهاك عن ان تدين الله بالباطل وعن ان تفتى
الناس بما لا تعلم فاراد بالاول جميع الاعتقادات الفاسدة فى اصول الدين
وبالثانى الاحكام الفرعية الاجتهادية فالنهى فى الاول عن نفس التدين به اى الاعتقاد
وفى الثانى عن الفتيا والحكومة بها كان فى الثانى لو اعتقد على حسب ظنه الفاسد ولم
يفت به الناس لم يكن فيه كثير محذور لانه من الفروع العملية فاذا عمل به على ظنه ولو
كان فاسدا ولم يتعد منه الى غيره فلا يبعد ان لا مؤاخذة به عليه فى الآخرة الحديث
الثانى وهو السابع والتسعون على بن ابراهيم عن محمد بن عيسى بن عبيد عن يونس
بن عبد الرحمن عن عبد الرحمن بن الحجاج البجلى مولاهم ابو عبد الله الكوفى بياع السابرى
سكن بغداد ورمى بالكيسانية روى عن ابى عبد الله وابى الحسن عليهما السلم
وبقى بعد ابى الحسن عليه السلم ورجع الى الحق ولقى الرضا عليه السلم وكان ثقة ثقة
ثبتا وجها وكان وكيلا لابى عبد الله عليه السلم ومات فى عصر الرضا عليه السلم على
ولاية صه وفى النجاشى له كتب روى عنه جماعة منهم ابن ابى عمير وفى الكشى حمدويه
عن محمد بن الحسين عن عثمان بن عيسى عن حسن بن ناجية قال سمعت ابا الحسن عليه
السلم وذكر عبد الرحمن بن الحجاج فقال انه لثقيل على الفؤاد ابو القاسم نصر بن صباح قال
عبد الرحمن ابن الحجاج شهد له ابو الحسن عليه السلم بالجنة وكان ابو عبد الله يقول لعبد
الرحمن يا عبد الرحمن كلم اهل المدينة فانى احب ان يرى فى رجال الشيعة مثلك انتهى
وفى هذا الكتاب اعنى الكافى ما يأتى فى يحيى بن حبيب من كونه من اهل الجنة وقيل لا يبعد
ان يكون المراد من الحديث الاول ان هذا الاسم ثقيل على الفؤاد من حيث عبد الرحمن
والحجاج مع احتمال المدح معنى فليتدبر قال قال لى ابو عبد الله عليه السلم اياك وخصلتين

فقيها

فقيها بهلك من هلك اياك ان تفتى الناس برأيك او تدين بما لا تعلم الشرح فيه نهى
عن الفتوى بمجرد القياس الفقهى وهو اجراء الحكم الشرعى الوارد فى مادة على مادة
اخرى لاشتراكهما مع تلك المادة فى معنى يوجد فيهما وله اقسام ليس ههنا موضع
بيانها وقد ذكر بيان احواله واقسامه فى كتب الاصول الفقهية الحديث الثالث وهو
الثامن والتسعون محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن محبوب عن على
بن رئاب الكوفى له اصل كبير وهو ثقة جليل القدر صه فى النجاشى الطحان السعدى مولاهم
كوفى من اصحاب الصادق عليه السلم ابو الحسن مولى جرم بطن من قضاعة وقيل مولى
بنى سعد بن بكر الطحان روى عن ابى عبد الله عليه السلم ذكره ابو العباس وغيره و
روى عن ابى الحسن عليه السلم له كتب وذكر المسعودى فى مروج الذهب ان على
بن رئاب كان من علية علماء الشيعة وكان اخوه اليمان بن رئاب من علماء
الخوارج وكانا يجتمعان فى كل سنة ثلثة ايام يتناظران فيها ثم يفترقان ولا يسلم احدهما
على الآخر ولا يخاطبه عن ابى عبيدة الحذاء عن ابى جعفر عليه السلم قال من افتى الناس
بغير علم ولا هدى لعنته ملئكة الرحمة وملئكة العذاب ولحقه وزر من عمل بفتياه الشرح
ان من افتى بغير علم مستنبط من الكتاب والسنة استنباطا صحيحا وبغير هدى والهام
من الله كان غرضه حب الدنيا والثروة والجاه والشهرة والرياء وساير الاغراض
الفاسدة فهو من اسوء الناس عذابا يوم القيمة وابعدهم عن الله فطردته ملئكة
الرحمة المتعلقة بطبقات الجنان والمدبرة لنفوس الاخيار للارتقاء الى مقاماتهم
فى دار الحيوان وملئكة العذاب المتعلقة بعالم الاكوان السائقة لنفوس الاشرار الى
منازلهم فى دركات الجحيم والنيران وبالجملة لعنته ملئكة الآخرة وملئكة الدنيا لان فيها هو

يفسده فساد الآخرة والدنيا جميعا اما الاول فلاجل اعتقاداته الفاسدة واغراضه
الباطلة واما الثاني فلاجل احكامه وفتاويه التي قد يحلل ما حرم الله فيؤدي الى فساد
النظام في الفروج والدماء واموال الناس وحقوق الايتام وذوي الارحام وغير
ذلك فلا جرم اليه يعود وزر من عمل باحكامه وفتاويه الى يوم القيمة الحديث الرابع
وهو التاسع والتسعون عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد عن الحسن بن علي
بن زياد الوشا البجلي كوفي يكنى بابي محمد الوشا وهو ابن بنت الصير في خيران
من اصحاب الرضا عليه السلم وكان من وجوه هذه الطائفة صه وقد سبق ذكر احواله
قيل لفظ خيران خزاز الا ان في عامة نسخ الكشي هكذا وهو تصحيف عن ابان الاحمر
وهو ابان بن عثمان الاحمر قال الكشي قال محمد بن مسعود حدثني علي بن الحسن قال
كان ابان بن عثمان من الناووسية وكان مولى البجيلة وكان يسكن الكوفة ثم قال
ان العصابة اجمعت على تصحيح ما يصح عن ابان بن عثمان والاقرار له بالفقه قال العلامة
طاب ثراه والاقرب عندي قبول روايته وان كان فاسد المذهب للاجماع
المذكور انتهى وقال فخر المحققين قال سألت والدي عنه فقال الاقرب عدم قبول
روايته لقوله تعالى ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ولا فسق اعظم من عدم الايمان
وقد يقال فذلك يقتضي عدم الحكم بكونه ناووسيا سيما مع الاجماع الثابت بنقل
الكشي العدل عن زياد بن ابي رجا بالجيم بعد الراء واسم ابي رجا منذر كوفي ثقة
صحيح صه وهو من اصحاب الباقر عليه السلم قال الكشي قال محمد بن مسعود سألت
ابن فضال عن زياد بن ابي رجا فقال ثقة عن ابي جعفر عليه السلم قال ما علمتم فقولوا وما
لم تعلموا فقولوا الله اعلم ان الرجل لينتزع الآية من القرآن يخر فيها ابعد ما بين السماء

والارض

والارض الشرح نزعت الشيء من مكانه نزعا وانتزعته ايضا فانتزع اي قلعته
فانقلع وقد جمع بين اللغتين في قوله نزع سن رجل فانتزع المنزوعة سنه من
النازع ويجوز المنزوع سنه وخر يخر بالضم والكسر اذا سقط من علو وخر الماء يخر
بالكسر صوت وعين خرارة وعن ابن عباس من ادخل اصبعيه في اذنيه سمع
خرير الكوثر وخرير الماء صوته اراد به مثل صوت خرير الكوثر وخر لله ساجدا وخرورا
اي سقط وفي الحديث للوضوء الا خرت خطاياه اي سقطت وذهبت يعني اذا سألكم
سائل عن شيء مما علمتموه يقينا فقولوا واجيبوا عن مسئلته وما لم تعلموه علما يقينا
ان كانت المسئلة اصولية ولا ظنا راجحا مستفادا من الادلة الشرعية ان كانت
فقهية فلا تفتوا بها ولا تجيبوا عنها بل قولوا الله اعلم اي اعلم العلماء من الملئكة والانبياء
ومن والاهم في العلم والا فلم يجز للجاهل ان يقول الله اعلم مني لان مقتضى صيغة التفضيل
ان يكون للمفضل عليه شركة في طبيعة ما فيه الفضل وهو مبدأ الاشتقاق وليست
للجاهل العامي حصة من العلم اليقيني والمعرفة الحقيقية فلا يجوز له ان يقول الله اعلم
كما سيجيء في الحديث التالي لهذا الحديث ولا يخفى ان قوله فقولوا في الاول ليس
امر ايجاب بل امر اباحة او استحباب الا ان لا يكون في البلد من يعلم الجواب وكان
الحكم مما يحتاج اليه وكذا في الثاني لجواز السكوت وقوله عليه السلم ان الرجل لينتزع
الآية الى آخره اي يستخرج الرجل من القرآن آية للاستدلال بها على مقصوده
من الحكم الذي يقضي به والحال انه يسقط في هذا الانتزاع للآية والاستدلال بها
ويهوي الى مكان سحيق ابعد من التحقيق من ما بين السماء والارض فضمير فيها راجع
الى الآية على حذف مضاف اي في انتزاعها وفي بعض النسخ يخر فيها وكانه تصحيف

الحديث الخامس وهو المائة محمد بن اسمعيل عن الفضل بن شاذان عن حماد بن عيسى
عن ربعي بن عبد الله عن محمد بن مسلم عن ابي عبد الله عليه السلم قال للعالم اذا سئل
عن شيء وهو لا يعلمه ان يقول الله اعلم وليس لغير العالم ان يقول ذلك الشرح
قد مضى وجه ذلك واني بحمد الله تفطنت به وكتبته في شرح الحديث السابق
قبل ان انظر الى هذا الحديث والآن الحقت بذلك قولي كما سيجيء في الحديث
التالي فان قلت حكم العالم فيما سئل عما لا يعلمه كحكم الجاهل فكيف يصح له ان
يقول الله اعلم قلت يصح نظرا الى جنس العلم الموجود شيء منه في العالم
دون الجاهل نعم ينبغي ان يكون العالم عالما ربانيا علومه من باب العقليات ذات
الدائمة التي لا تتبدل ولا تتغير لا من باب الظنيات والعمليات والنقليات
وسائر العلوم والادراكات المسلوبة عن الباري جل مما يوجب تجسما او
تكثرا او تغيرا تعالى عنه علوا كبيرا فاذن ليس لغير العالم الرباني ان يقول الله اعلم
موهما انه اعلم منه وانما يصح للعالم الرباني وان كان علمه بالقياس الى علم الله
كنسبة القطرة بل الرشحة الى البحر لا نهاية لعمقه الحديث السادس وهو الواحد
والمائة علي بن ابراهيم عن احمد بن محمد بن خالد عن حماد بن عيسى عن حريز بن عبد الله
عن محمد بن مسلم عن ابي عبد الله عليه السلم قال اذا سئل الرجل منكم عما لا يعلم
فليقل لا ادري ولا يقل الله اعلم فيوقع في قلب صاحبه شكا واذا قال المسئول
لا ادري فلا يتهمه السائل الشرح اتهمه فهو متهم وذاك متهم والتهمة فعلة من
الوهم والتاء بدل من الواو وقد تفتح الهاء كذا في النهاية وقال الجوهري الاسم
التهمة بالتحريك نهى عليه السلم عن ان يقول المسئول عن شيء لا يعلمه الله اعلم

بل

بدل لا ادري وعلل ذلك بانه يوقع غالبا في قلب السائل شكا فيتهمه اي بالعلم
واذا قال لا ادري فلا يتطرق اليه تهمة من جانب السائل ولا غيره قال الغزالي في
الاحياء في باب آفات العلم ومنها ان لا يكون مبتدرا الى الفتوى بل يكون متوقفا
ومتحرزا ما وجد الى الخلاص سبيلا فان سئل عما يعلمه تحقيقا افتى وان سئل عما يشك
فيه قال لا ادري وان سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه واحال
الى غيره ان كان في غيره غنية هذا هو الحزم لان تقلد خطر الاجتهاد عظيم وفي الخبر
العلم ثلثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا ادري وقال الشعبي لا ادري نصف العلم
ومن سكت حيث لا يدري لله فليس باقل اجرا ممن نطق لان الاعتراف بالنقص
اشد على النفس وهكذا كانت عادة الصحابة قال ابن مسعود ان الذي يفتي
الناس لمجنون وكان يقول تريدون ان تجعلونا جسرا تعبرون علينا الى جهنم و
قال جنة العالم لا ادري قال ابراهيم بن ادهم ليس شيء اشد على الشيطان من
عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم يقول انظروا الى هذا سكوته اشد علي من كلامه و
وصف بعضهم الابدال فقال اكلهم فاقة وكلامهم ضرورة اي لا يتكلمون حتى يسئلوا
واذا سئلوا ووجدوا من يكفيهم سكتوا وان اضطروا اجابوا وكانوا يعدون
الابتداء قبل السؤال من الشهوة الخفية من الكلام ومر علي عليه السلم وعبد الله
بن مسعود برجل يتكلم على الناس فقالا هذا يقول اعرفوني وكان ابراهيم التيمي
اذا سئل عن مسئلة يبكي ويقول لم تجدوا غيري حتى احتجتم الي وكان من الفقهاء
من يقول لا ادري اكثر من ان يقول ادري منهم سفيان الثوري ومالك بن انس
والفضيل بن عياض وبشر بن الحارث وقال عبد الرحمن بن ابي ليلى ادركت في هذا

المسجد مائة وعشرين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ما منهم من احد يسأل
عن حديث او فتوى الا ودّ ان اخاه كفاه ذلك وفي لفظ آخر كانت المسئلة تعرض
على احدهم فيردّها الى الآخر ويردّها الى آخر حتى يعود الى الاول وهكذا كانت عادة
اصحاب الصفة فيما اهدي الى واحد منهم فاهداه الى الآخر فدار بينهم حتى رجع الى الاول
فانظر الآن كيف انعكس امر العلماء فصار المرغوب عنه مطلوبا والمطلوب مهروبا
الحديث الرابع وهو الثاني والمائة الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن علي بن اسباط
عن جعفر بن محمد بن سماعة ثقة في الحديث واقفي صه في النجاشي ابو عبد الله اخو ابي محمد
الحسن وابرهيم ابي محمد وجعفر اكبر اخوته عن غير واحد عن ابان يحتمل رجلين كلاهما
ثقتان جليلا القدر احدهما ما مرّ ذكره وهو ابن عثمان الاحمر والثاني ابان بن تغلب بالتاء
المنقوطة فوقها نقطتين المفتوحة والغين المعجمة الساكنة ابن رباح بن سعيد البكري الجريري
بالجيم المضمومة والراء قبل الياء المنقطة تحتها نقطتين وبعدها مولى بني جرير ثقة جليل
القدر عظيم المنزلة في اصحابنا لقي ابا محمد علي بن الحسين وابا جعفر وابا عبد الله عليهم السلم
وقدّم وروى عنهم وقال له الباقر عليه السلم اجلس في مجلس المدينة وافت الناس
فاني احب ان يرى في شيعتي مثلك ومات في حيوة ابي عبد الله عليه السلم فقال
الصادق عليه السلم لما اتاه نعيه اما والله لقد اوجع قلبي موت ابان ومات في
سنة احدى واربعين ومائة وروي ان الصادق عليه السلم قال له يا ابان ناظر
اهل المدينة فاني احب ان يكون مثلك من رواتي ورجالي صه وفي الفهرست
والنجاشي وكان قاريا فقيها لغويا وفي النجاشي ايضا انه من وجوه القرّاء لغوي سمع
العرب وحكى عنهم وكان مقدما في كل فن من القرآن والفقه والحديث واللغة والنحو
وله كتب

وله كتب وله قراءة مفردة مشهورة عند القرّاء وروي انه دخل على ابي عبد الله واعتنقه
فلما بصر به امر بوسادة فالقيت له وصافحه واعتنقه وسائله ورحّب به وانه كان
اذا قدم المدينة تقوّضت اليه الخلق واخليت له سارية النبي صلى الله عليه وآله
عن زرارة بن اعين قال سألت ابا جعفر عليه السلم ما حق الله على العباد قال
ان يقولوا ما يعلمون ويقفوا عند ما لا يعلمون الشرح فان قلت حق الله على العباد
كثير فما وجه اختصاص هذا بالذكر قلنا ليس المراد الانحصار ولعل المراد من العباد
ههنا العلماء من اهل الكتب والفتاوى بقرينة حالية او مقالية تحققت عند السؤال
وقد وقع في القرآن كثيرا ميثاق اهل الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق ولا يفتروا
على الله كذبا وكل من افتى بغير علم فهو ممن افترى على الله كذبا وقال بغير حق وظهر ان
من حق الله الواجب عليهم ان لا يقولوا الا ما علموه علما حقيقيا ولا يفتوا في المسائل
الا ما فيه نص صريح من كتاب او خبر ثابت صحيح من سنة او انعقد عليه اجماع عدم
قطعي وان يسكتوا عند عدم العلم وورود الشبهات هكذا كان دأب العلماء
الزاهدين والفقهاء المتورعين وفي الخبر اذا رأيتم الرجل قد اوتي صمتا وزهدا فاقتربوا
منه فانه يلقن الحكمة الحديث الثالث وهو الثالث والمائة علي بن ابرهيم عن ابيه الثالث
عن ابن ابي عمير عن يونس عن ابي يعقوب واسحق بن عبد الله بن سعد بن مالك
الاشعري قمي ثقة روى عن ابي عبد الله وابي الحسن عليهما السلم وابنه احمد بن اسحق
مشهور عن ابي عبد الله عليه السلم قال ان الله خص عباده بآيتين من كتابه ان
لا يقولوا حتى يعلموا ولا يردّوا ما لم يعلموا وقال تعالى الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان
لا يقولوا على الله الا الحق وقال بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله الشرح

٣٣٣

يعنى ان الله خصّ عباده الذين من اهل الكتاب والكلام كان من سواهم ليس مضافا
اليه تعالى بالعبودية له بآيتين من كتابه لان لا يقولوا على الله الّا الحقّ كتابه او شريعته الّا ما
علموا انه الحق الثابت باليقين والبرهان وان لا يردّوا ايضا ما لم يعلموا انه المردود
والآيتان هما اللتان ذكرهما وفيه ان الآيات المخصوص بها هؤلاء العباد كثيرة فوق
اثنتين كقوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذّب باياته انه لا يفلح الظالمون
وقوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وقوله فاولئك هم الفاسقون
الى غير ذلك من الآيات ويحتمل ان يكون المراد بآيتين هما بحسب الجنس او جنسان
من الآيات وفيه بعد ولا يبعد ان يكون لفظ آيتين تصحيفا للفظ باثنين اى خصّهم الله
بامرين من امور كتابه اى حكمين من احكام الكتاب احدهما ان لا يقولوا على الله الّا
الحق والثانى ان لا يردّوا ما لم يعلموا حتى لا يقعوا فى تحليل حرام او تحريم حلال كما فى قوله
تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا
قليلا الحديث التاسع وهو الرابع والمائة على بن ابرهيم عن محمد بن عيسى عن يونس
عن داود بن فرقد عمّن حدثه عن ابن شبرمة اسمه عبد الله وشبرمة بالشين المعجمة
وبعدها باء منقطة تحتها نقطة والراء قبل الميم من اصحاب على بن الحسين عليهما السلم
كان قاضيا لابى جعفر على سواد الكوفة ومات سنة اربع واربعين ومائة صه ابن
شبرمة الضبى الكوفى ابو شبرمة وكان شاعرا قال ما ذكرت حديثا سمعته عن جعفر بن محمد
عليهما السلم الّا كاد ان يتصدع قلبى قال حدثنى ابى عن جدى عن رسول الله صلى الله
عليه وآله قال ابن شبرمة واقسم بالله ما كذب ابوه على جده ولا جده على رسول الله
صلى الله عليه وآله من عمل بالمقاييس فقد هلك واهلك ومن افتى الناس وهو لا يعلم

الناسخ

الناسخ من المنسوخ والمحكم من المتشابه فقد هلك واهلك الشرح اعلم ان هذا
القياس ليس المراد به ما اصطلحت عليه علماء الميزان وهو القول المؤلف من قضايا
اذا سلمت لزم عنه لذاته قول آخر وهو منقسم الى اقسام خمسة افضلها واشرفها البرهان
المؤلف من اليقينيات لانه المعطى لليقين الدايم الذى لا يزول ابدا ولا يزلزله
الشكوك والاوهام وبعده الخطابة المؤلفة من المظنونات وهى مما ينفعل فعل
البرهان ولكن فى الاذهان الصافية والقلوب اللطيفة ثم الجدل المؤلف من المشهورات
والمسلمات وهو مما ينفع النفوس العامية ويقع به كسر قوة الجاحدين للحق وقمع
صولة الكافرين حتى يستعدوا لسماع الحق بالبرهان ولا يستنكفوا عما يخالف
ما تلقفوه تقليدا من الآباء والاسلاف وليكن هذا هو الغرض من استعمالها
عند المجادلة لا لمجرد الغلبة ليكون بالتى هى احسن والى هذه الثلثة التى هى العمدة
اشير فى الكتاب الالهى تعليما من الله لنبيه صلى الله عليه وآله لدعوة
الخلق فى قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة و
جادلهم بالتى هى احسن واما القسمان الآخران فهما الشعر المؤلف من التخيلات
والمغالطة المؤلفة من المشبهة باليقينيات والجدليات وليست الآية بهما
ويقال للاول القياس السفسطى والثانى المشاغبى فاحدهما وهو الشعر
لا ينبغى للنبى صلى الله عليه وآله لارتفاع منصب النبوة عما يشبه الهزل
انه لقول فصل وما هو بالهزل وكذا الثانى وهو المغالطة لان فايدتها اما
الحذر عن الغلط او تغليط الخصم المجادل ومرتبة النبى صلى الله عليه وآله وكذا
من يتلوه من اهل العصمة تنافى ان تغلط ويتعالى ان تغلط والشعر وان كان

الآخر والثانى

مفيد لاسيما للعوام فان التخييل ربما يؤثر في بعض الناس اقداما واحجاما
اكثر من التصديق الا ان مداره على الاكاذيب فلا يليق بالصادق المصدوق
كما شهد به قوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له بل المراد به ما سماه الميزانيون
التمثيل وهو كما سبقت الاشارة اليه اثبات الحكم في جزئي لثبوته في جزئي
آخر لمعنى مشترك بينهما كقول القائل العالم مؤلف فيكون حادثا قياسا على البيت
وهو اضعف الحجج غير مفيد لليقين بل ولا ظنا قويا ويسمى القياس الفقهي لان
الفقهاء يسمونه قياسا وكثير منهم كابي حنيفة واصحابه يقولون عليها والغزالي جعله
باطلا وعد صورة هذا القياس من موازين الشيطان حيث قال اما ميزان الرأي
والقياس فحاش لله ان يعتصم به ومن زعم من اصحابي ان ذلك ميزان المعرفة
فاسأل الله ان يكفيني شره عن الدين فانه صديق جاهل وهو شر من عدو عاقل
انتهى كلامه ويفوح منه رائحة التشيع ثم ان حدود هذا القياس اربعة الاصل و
الفرع والعلة والحكم فالاصل هو الصورة التي الحكم فيها ثابت بالاتفاق كالبيت
في مثالنا هذا والفرع هو الصورة الاخرى التي يراد اثبات الحكم فيها كالعالم والعلة
وهي المشترك بينهما الجامع كالتأليف والحكم هو القول المترتب عليه وهو كقولنا
العالم حادث وانما قرر اصحاب الرأي والجدل هذا النمط بطريقين احدهما
ويسمى الطرد والعكس عند قدماء الجدليين والدوران عند متأخريهم هو ان
المعنى الشامل حيث عهد كما في البيت والسرير ونحوهما كان مقترنا بهذا الحكم
وكذا بالعكس اي وحيث انتفى المعنى الشامل انتفى الحكم كالحدوث فهما متلازمان
وجودا وعدما فيعتبران في محل النزاع وهم في حيز الانقطاع والعجز عند مطالبتهم

ظ رح يقولون

ظ اشر

المعنى صح

عدم

جواز انفكاكهما في موضع لم يعهدوه فاذا جاز انفكاكهما في موضع لا يلزم تلازمهما وجودا
وعدما والثاني ويسمى السبر والتقسيم وهو انهم يعدون صفات ما يوجد فيه
الحكم بالاتفاق الذي سموه الاصل او الشاهد كقولهم علة حدوث البيت اما التأليف
او الامكان او الموجودية او الجوهرية او الجسمية وهو ايضا ليس بشيء لانا لا نسلم
انحصار العلة فيما ذكروا لجواز وصف آخر وهو العلة والمناط لان الترديد غير دائر
بين النفي والاثبات ليكون حصرا عقليا فاذن لا ينقطع عنهم احتمال وجود وصف غفلوا
عنه هو مناط الحكم والعلة فرب حكم يتعلق بشيء لا يطلع عليه الا بعد حين فهذا خلاصة
البيان في تقرير هذا القياس وما يرد عليه فظهر انه مما لا تعويل عليه في المقاصد العلمية
والدينية ولهذا وقع الحكم في هذا الحديث على هلاك من عمل به سيما في اصول الاعتقادات
او في مقابلة النص وهلاك من اتبعه في العمل بمثل عمله او في العمل بما يستخرجه بهذا العمل
فهو هالك ومهلك لكونه ضالا مضلا واول من عمل بهذا القياس في مقابلة النص
هو الشيطان حيث امره الله بسجدة آدم فابى وعارض الامر بالقياس وهو قوله
كما حكى الله عنه خلقتني من نار وخلقته من طين يعني ان النار اشرف من الطين فانا
لكوني منها اشرف وافضل من آدم لكونه من الطين والشريف كيف يسجد للخسيس
والفاضل كيف يخدم المفضول فخبط اللعين وغلط وخلط اذ قاس شرف
الروح على شرف البدن وفضيلة النار على فضيلة الطين فالغلط ههنا
انما نشأ من باب اخذ ما ليس بعلة علة او اخذ ما بالقوة مكان ما بالفعل
وقوله ومن افتى الناس الى آخره اعلم ان في آيات القرآن اقساما كثيرة
كثيرة متقابلة فيكون ناسخا ومنسوخا ومحكما ومتشابها ومجملا ومبينا ومنطوقا

ومفهوماً وظاهراً ومأوّلاً وعامّاً وخاصّاً ومطلقاً ومقيّداً وغير ذلك من الاقسام
وكذلك في الحديث كما بيّن وفصّل معانيها في كتب الاصول الفقهيّة والمفتي للناس
لابدّ ان يعلم هذه الاقسام ويتميّز عنده بعضها عن بعض والّا فهلك ذاته واهلك
غيره ممّن يتبعه في الفتوى او العمل باب من عمل بغير علم وهو الباب الثالث
عشر من كتاب العقل والعلم وفيه ثلثة احاديث الحديث الاوّل وهو الحادي والمائة
عدّة من اصحابنا عن احمد بن محمّد بن خالد عن ابيه عن محمّد بن سنان عن طلحة بن زيد
قال سمعت اباعبد الله عليه السلم يقول العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق
لايزيده سرعة السير الّا بعداً الشرح توضيح هذا المرام وتحقيق هذا المقام بان نقول
اوّلاً انّ الانسان يكون في هذه النشأة الدنياويّة مركّباً من بدن طبيعيّ مظلم سفليّ
ومن روح ملكوتيّ علويّ ولكلّ منهما خاصيّة اخرى غير خاصيّة صاحبه فخاصيّة الروح
اذا كملت العلم والمعرفة وخاصيّة البدن اذا قوّى الحركة والاستيلاء وايضاً خاصيّة
الروح البقاء والدوام وخاصيّة البدن الدثور والانصرام ومع ذلك كلّ منهما يحتاج
الى الآخر في هذه النشأة التعلّقيّة وعلّة تعلّق النفس بهذا البدن الكثيف الظلمانيّ
وهبوطها عن عالم النور ومعدن السرور نقصها وقصورها فيحتاج في استكمالها
وبلوغها من حدود النقص الى درجة الكمال الى سعي وعمل وحركات علميّة وعمليّة
واعمال وطاعات بدنيّة وقلبيّة وكلّ ذلك لايمكن الّا بالبدن فهي محتاجة في تحصيل الكمال
الى البدن والبدن ايضاً مادام بقاؤه وحيوته محتاج في التغذية والتكميل والتوليد
المثل الى نفس مدبّرة له فكلّ منهما يفتقر الى الآخر وينتفع به ومثالهما مثال المقعد والاعمى
فالنفس كبصير لاقدرة له على المشي والبدن كماش لايبصر شيئاً فاذا اعان كلّ منهما

صاحبه

صاحبه امكنهما سلوك طريق تؤدّي الى المطلوب والظفر بالمقصود بان يركب البصير
المقعد على الاعمى الراجل فيسيرا معاً في بساتين العشرة ومناهل الشهوة ومراحل
النعمة واللذّة فيتمتّعان بالمشارب والمآكل والمناكح فعلى هذا لو اراد الاعمى ان
يمشي منفرداً من غير ان يقوده البصير فيوشك ان يقع في بئر او بادية او يفترسه
سبع فيهلك وفي الغالب يكون على غير سمت المطلوب فيزداد بعداً كلّما ازداد
سيراً وسرعة فهذا امثال ضرب للنفس والبدن في سلوك سبيل الله والمشي
الى دار المغفرة والرحمة والرضوان وبساتين الجنان فاذن حال العامل بلا علم والناسك
بلا بصيرة كحال السائر الاعمى بلا قائد بصير حذو القذّة بالقذّة وهذا امر محقّق بالبرهان
مكشوف عند ذوي العيان لا انّه اكتفى فيه بمجرّد المثال اذ قد مرّ انّ التمثيل ممّا لايعوّل
عليه سيّما في مثل هذه المقاصد الاصوليّة ولولا مخافة التطويل لاوردنا بياناً برهانيّاً
على انّ عبادة الجاهل لايزيده الّا حجاباً عن الحقّ وبعداً عن المعبود الحديث الثاني
وهو الثاني والمائة محمّد بن يحيى عن احمد بن محمّد بن عيسى عن محمّد بن سنان عن
ابن مسكان هو عبد الله بن مسكان بالميم المضمومة والسين الساكنة المهملة
ابو محمّد مولى عنزة ثقة عين روى عن ابي الحسن موسى عليه السلم قيل انّه روى عن
ابي عبد الله عليه السلم وليس بثبت وروى انّه لم يسمع من الصادق عليه
السلم الّا حديث من ادرك المشعر فقد ادرك الحجّ وكان من اروى اصحاب ابي
عبد الله عليه السلم وكان لايدخل على ابي عبد الله عليه السلم شفقة ان لايوفيه
حقّ اجلاله وكان يسمع من اصحابه ويأبى ان يدخل عليه اجلالاً واعظاماً له اقول
ولعلّه انّما دخل على الكاظم عليه السلم مع امتناعه عن الدخول على ابيه عليه السلم لرقيه

فی العلم والعمل حتی صار فی زمن الکاظم علیه السّلم اهلاً للدخول قال الکشی وهو ممّن اجمعت
العصابة علی تصحیح ما یصحّ عنهم واقرّوا لهم بالفقه قال النجاشی مات فی ایّام ابی الحسن علیه
السّلم قبل الحادثة له کتب روی عنه محمّد بن سنان والحسین بن هاشم عن حسین
الصیقل قال سمعت ابا عبد الله علیه السّلم یقول لا یقبل الله عملاً الّا بمعرفة ولا معرفة الّا
بعمل فمن عرف دلّته المعرفة علی العمل ومن لم یعمل فلا معرفة له الا انّ الایمان بعضه من بعض
الشرح قد مرّ انّ الایمان وکلّ مقام من مقاماته کالصبر والشکر والتوکل وغیرها ینتظم
من المعارف والاحوال والاعمال فکلّ معرفة تثمر حالاً وکلّ حال تثمر عملاً وبالعکس من هذا
الترتیب بعینه فانّ کلّ عمل یتأدّی الی اثر او حال فی النفس وکلّ حال وصفاء فی النفس
یتأدّی الی معرفة اخری فیها فکلّ من هذه الامور الثلثة یکون اوّلاً وآخراً فیتقدّم علی نفسه
لکن لا علی سبیل الدور المستحیل لانّ الذی فی الاوّل غیر الذی فی الآخر بالعدد وکیفیة
التقدّم والتأخّر والعلیّة والمعلولیّة فی احد الترتیبین غیر التی فی عکسه فانّ تقدّم المعرفة
علی الحال وبتوسّطها علی المعرفة تقدّم بالزمان لا بالذات کتقدّم القابل واستعداده
المقبول الحادث بعده فظهر انّ کلّاً من العلم والعمل له مدخلیّة فی حصول الآخر بوجه دون
وجه لکنّ العلم کالروح وهو الاصل والعمل کالبدن والفرع والآلة فقوام العمل بالعلم کقوام
البدن بالروح ولکن شرط دوام العلم وکماله وازدیاده مواظبة الاعمال ومثالهما کمن
یمشی باللیل المظلم وبیده مصباح فکلّ خطوة منه لا یحصل الّا بوقوع الضوء علی موضع
قدم فاذا قطع ذلک الموضع بالحرکة وقع الضوء علی موضع آخر فلا یزال کلّ حرکة یتوقّف
علی ضوء یستضیء به موضع وکلّ ضوء یحصل عقیب حرکة یقطع بها موضع آخر وهکذا
یترادف الاضواء ویتعاقب الحرکات الی ان یتأدّی الماشی الی الغایة والمصباح
وانتهت

معنا تقدمه بالذات والطبع کتقدّم [illegible] الی [illegible] التقدم [illegible] وشبهه [illegible]

وانتهت الحرکة فهکذا یتکامل ایمان المرء بالمعرفة والطاعة حتی یبلغ الغایة ویخلص
من التعب والمشقّة ومعه نور الیقین والمعرفة یتنعّم به فی الآخرة ویلتذّ بشهود
الحضرة الالهیّة التی صورتها الجنّة التی عرضها کعرض السماء والارض اذا تمهّدت
هذه المقدّمات فلنرجع الی شرح الحدیث فقوله علیه السّلم لا یقبل الله عملاً الّا
بمعرفة لانّ قوام العمل یعنی العبادة کالصلوة والصوم بمعرفة الله ونیّة التقرّب
الیه وقصد الطاعة والخضوع له والتشوّق الی جنابه والوصول الی جنانه ظ
ورضوانه فمن لا معرفة له بالله والیوم الآخر فکیف یشتاقه وکیف ینوی ویقصد له
التقرّب الیه وهو لم یعرفه بعد ولکن اذا عرفه یعلم انّه ممّا یجب طاعته والتوسّل الیه بطاعته
وعبودیّته وهو معنی قوله علیه السّلم فمن عرف دلّته المعرفة علی العمل فظهر انّ المعرفة
والنیّة روح العمل وان کان العمل ایضاً وسیلة الیه کالبدن للروح والبذر
للثمرة کما نظمه بعض العرفاء ٭ الروح للجسم والنیّات للعمل ٭ یحیی بها کحیوة الارض بالمطر
فتصیّر الزهر للاشجار بارزة ٭ وکلّ ما تخرج الاشجار من ثمر ٭ کذلک تخرج من اعمال صورة
لها روایح من نتن ومن عطر ٭ ثمّ لمّا کان کمال المعرفة وازدیاد نور القلب لا یحصل
الّا بتکرّر الاعمال وترادف الاحوال فمن لم یعمل عملاً صالحاً فلا یتمّ ولا یتبقّی له معرفة
وهو قوله علیه السّلم ومن لم یعمل فلا معرفة له فانّ العمل والعبادة والریاضة ممّا تصفّی
النفس وترقّق القلب وتطهّره فیستعدّ بذلک لفیضان الصور العلمیّة علیه واما قوله
علیه السّلم الا انّ الایمان بعضه من بعض فیحتمل معنیین لانّ الایمان امّا ان یراد به
نفس المعرفة والعلم بالله وکتبه ورسله والیوم الآخر او مجموع العلم والعمل والمعرفة
والطاعة فمعناه علی الاوّل انّ کلّ مرتبة من مراتب الایمان فی القوّة والکمال

يحصل من مرتبة اخرى منه سابقة لاجل العمل بها وهي دونها في القوة والكمال ثم تؤدي
هذه المرتبة ايضا بوسيلة العمل الى مرتبة اخرى لاحقة هي اشرف واكمل من الاوليين
وهكذا الى الغاية التي ليست بعدها غاية وعلى الثاني كان المعنى ان الايمان كل من
جزئيه العلمي والعملي تحصيل من الآخر فعلمه يحصل من عمله وعمله يحصل من علمه على الوجه الذي [يحصل]
مرّ بيانه وبالله التوفيق الحديث الثالث وهو السابع والمائة عنه عن احمد بن
محمد عن ابن فضال عمن رواه عن ابي عبد الله عليه السلم قال قال رسول الله
صلى الله عليه وآله من عمل على غير علم كان ما يفسد اكثر مما يصلح الشرح قد علمت
ان نفس العمل واصلاحه ليس من الخيرات الحقيقية انما الفايدة فيه اصلاح القلب [واصلاحه]
وتطهيره وتصفيته وتهذيبه عن الغواشي والكدورات وشوايب الدنيا وشواغل
الخلق وهذه الفايدة ايضا ليست مقصودة بالذات لان هذه الاحوال من التطهير
والتصفية ونحوهما كالاعدام للملكات والعدم لا يكون مطلوبا الا بالعرض انما
المطلوب ان ينكشف له المعارف الحقيقية من جلال الله في ذاته وصفاته وافعاله
فمن اقتصر في سلوكه على مجرد العمل والرياضة والمجاهدة من غير بصيرة ولا معرفة في تصفية
يصير وبالا عليه اذ تحرك النفس تحريكا بالخواطر الوهمية ويستولي عليه الوساوس
النفسانية فيتشوش القلب حيث لم يتقدم رياضة النفس بحقايق العلوم
والافكار الصحيحة فيتشبث بالقلب خيالات فاسدة اذ شأنه عدم
الثبات والسكون على حالة واحدة والاطمينان عليها كما روي عنه
صلى الله عليه وآله انه قال قلب المؤمن اشد تقلبا من القدر في غليانه
وقال قلب المؤمن بين اصبعين الحديث فحيث لم يكن قلب العابد مهذبا

بالعلوم

بالعلوم الحقة يخترع بفكره الفاسد تصورات باطلة واوهاما كاذبة وربما
يتخيل في ذات الله وصفاته اعتقادات فاسدة من باب الكفر والزندقة
وفي زعمه انها صحيحة حقة نعوذ بالله ثم مع ذلك قل ما يخلو عن اعجاب بنفسه و
افتخار بعلمه واغترار بعبادته ونظر الى ساير الناس بعين الحقارة والنقص والعيب
وربما يتشحن باطنه بامراض نفسانية وعلل قلبية وهو غافل عنها غير ملتفت الى
معالجة النفس وازالتها عن القلب لجهله بذمايم الاخلاق عن محامدها فيزعم
الرذايل فضايل ويزعم مثلا الخمود عفة وعدم الغيرة حلما والتهور شجاعة ونحو ذلك
ويبقى طول عمره في العمل والنسك الى ان يحل الاجل وهو على هذه الحالة زاعما بنفسه
انه على شيء وهو كما قال تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة
الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قصم
ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك فهذا معنى قوله عليه السلم عن جده
من عمل على غير علم الى آخره **باب** استعمال العلم وهو الباب الرابع عشر
من كتاب العقل والعلم وفيه سبعة احاديث الحديث الاول وهو الثامن
والمائة محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى عن حماد بن عيسى عن عمر بن محمد بن عبد
الرحمن بن اذينة بضم الهمزة وفتح الذال المعجمة وسكون الياء المنقطة تحتها نقطتين
وفتح النون شيخ من اصحابنا البصريين ووجههم روى عن ابي عبد الله عليه السلم
بمكاتبة له كتاب الفرايض وكان ثقة صحيحا قال الكشي قال حمدويه سمعت
اشياخي منهم العبيدي وغيره ان ابن اذينة كوفي وكان هرب من المهدي
ومات باليمن فلذلك لم يرو عنه كثير ويقال اسمه محمد بن عمر بن اذينة غلب عليه اسمه

228

ابيه وهو كوفي مولى لعبد القيس وقال الشيخ في الفهرست له كتاب يرويه عنه ابن ابي عمير
وصفوان والحسن بن محمد بن سماعة واحمد بن هيثم عن ابان بن ابي عياش بالعين
غير المعجمة والشين المعجمة واسمه فيروز بالفاء المفتوحة والياء المنقطة تحتها
نقطتين الساكنة وبعدها راء وبعد الواو زاء تابعي ضعيف روى عن انس
ابن مالك وروى عن علي بن الحسين عليهما السلم لا يلتفت اليه وينسب اصحابنا
وضع كتاب سليم بن قيس اليه هكذا قاله ابن الغضائري وقال السيد علي
بن احمد العقيقي في كتاب الرجال ابان بن ابي عياش كان سبب تعريفه
هذا الامر سليم بن قيس الهلالي حيث طلبه الحجاج ليقتله حيث هو من اصحاب
امير المؤمنين صلوات الله عليه فهرب الى ناحية من ارض فارس ولجا الى
ابان بن ابي عياش فلما حضرته الوفاة قال لابن ابي عياش ان لك علي حقا
وقد حضرني الموت يا ابن اخي انه كان من الامر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله
كيت وكيت واعطاه كتابا فلم يرو عن سليم بن قيس احد من الناس سوى
ابان وذكر ابان في حديثه قال كان شيخا متعبدا له نور يعلوه قال العلامة والاقوى
عندي التوقف فيما يرويه لشهادة ابن الغضائري عليه بالضعف وكذا قال
شيخنا الطوسي في كتاب الرجال عن سليم بن قيس الهلالي بضم السين روى
الكشي احاديث تشهد بشكره وصحة كتابه وفي الطريق قول صح القول ماذكره
الشهيد الثاني رحمه الله ان في الطريق ابرهيم بن عمر الصنعاني وابان بن
ابي عياش وقد طعن فيهما ابن الغضائري وفي الفهرست سليم بن قيس الهلالي
يكنى ابا صادق له كتاب اخبرنا به ابن ابي جنيد قال حدثنا محمد الحسن بن الوليد قال

حدثنا

حدثنا محمد بن ابي القاسم ماجيلويه عن محمد بن علي الصيرفي عن حماد بن عيسى وعثمن
بن عيسى عن ابان بن ابي عياش عن سليم بن قيس قال حماد بن عيسى وحدثناه
ابرهيم بن عمير اليماني عن سليم بن قيس وقال السيد علي بن احمد العقيقي
كان سليم بن قيس من اصحاب امير المؤمنين عليه السلم طلبه الحجاج ليقتله الى
آخر الحكاية وهو قوله له نور يعلوه وقال ابن الغضائري سليم بن قيس الهلالي العامري
روى عن ابي عبد الله والحسن والحسين وعلي بن الحسين عليهم السلم وينسب اليه
هذا الكتاب المشهور وكان اصحابنا يقولون ان سليما لا يعرف ولا ذكر في خبر
وقد وجدت ذكره في مواضع من غير جهة كتابه ولا من رواية ابان بن عياش
عنه وقد ذكر له ابن عقدة في رجال امير المؤمنين عليه السلم احاديث عنه والكتاب
موضوع لا مرية فيه وعلى ذلك علامات فيه تدل على ما ذكرناه منها ما ذكر ان
محمد بن ابي بكر وعظ اباه عند الموت ومنها ان الائمة ثلثة عشر وغير ذلك واسانيد
هذا الكتاب يختلف تارة برواية عمر بن اذينة عن ابرهيم بن عمر الصنعاني
عن ابان بن ابي عياش عن سليم وتارة يروي عن عمر عن ابان بلا واسطة فالوجه
عندي الحكم بتعديل المشار اليه والتوقف في الفاسد منه قال الشهيد الثاني
رحمه الله وانما كان الذي ذكر اولا من علامات وضعه لان محمد بن ابي بكر ولد في
حجة الوداع وكانت سنتين واشهرا فوعظه اباه غير معقول وذكر بعض الفضلاء
ان ما وصل الينا من نسخة المذكور فيها انما هو عبد الله بن عمر وعظ اباه عند الموت
وان الائمة ثلثة عشر مع النبي صلى الله عليه وآله وشيء من ذلك لا يقتضي كون
الكتاب موضوعا انتهى اقول ومما يدل على حسن حاله وعدالته وصحة كتابه و

الحجاج

والمراد امير المؤمنين عليه السلم

خلافة ابيه

عقيدته وجلالة شأنه وصحبته لامير المؤمنين عليه السلم ما روى عنه محمد بن علي بن بابويه
في كتاب الاعتقادات من حديث طويل في باب الاعتقاد في الحديثين
المختلفين انه قال قلت لامير المؤمنين عليه السلم اني سمعت من سلمان و
المقداد وابي ذر شيئاً من تفسير القرآن ومن الاحاديث عن نبي الله صلى الله
عليه وآله غير ما في ايدي الناس وسمعت منك تصديق ما سمعت منهم
ورايت في ايدي الناس اشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الاحاديث
عن نبي الله صلى الله عليه وآله انتم تخالفونهم فيها وتزعمون ان ذلك كله باطل أفترى
الناس يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدين ويفسرون القرآن
بآرائهم فقال علي عليه السلم قد سألت فافهم الجواب ان في ايدي الناس الى
آخره في حديث طويل مشتمل على لب الاعتقاد والذي عليه اهل الحق والنص
على واحد واحد من الائمة عليهم السلم الى ان تم بهديٰ هذه الائمة عليهم السلم ثم قال
والله اني لاعرفه يا سليم حيث يبايع بين الركن والمقام واعرف انصاره و
قبائلهم — قال سليم صح — بن قيس ثم لقيت الحسن والحسين عليهما السلم بالمدينة بعد ما ملك معوية
فحدثتهما الحديث عن ابيهما قالا صدقت قد حدثك امير المؤمنين بهذا الحديث
ونحن جلوس وقد حفظنا ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله كما حدثك
فلم تزد فيه حرفاً ولم تنقص منه حرفاً قال سليم ثم لقيت علي بن الحسين عليهما السلم
وعنده ابنه محمد الباقر عليه السلم فحدثته بما سمعت من ابيه ومن امير المؤمنين عليهما السلم
فقال عليه السلم قد اقرأني امير المؤمنين عليه السلم من رسول الله صلى الله عليه وآله
وهو مريض وانا صبي ثم قال ابو جعفر عليه السلم واقرأني عليه السلم من رسول الله
صلى الله

صلى الله عليه وآله وانا صبي قال ابان بن ابي عياش فحدثت علي بن الحسين — ابي
كله عن سليم بن قيس الهلالي فقال صدق وقد جاء جابر بن عبد الله الانصاري
الى ابني محمد وهو يختلف الى الكتاب فقبّله واقرأه السلم من رسول الله صلى الله
عليه وآله فقال ابان بن ابي عياش فحججت بعد موت علي بن الحسين عليهما السلم
ولقيت اباجعفر عليه السلم فحدثته بهذا الحديث كله عن سليم فاعرفه وترقت — ناعرفه وقت م
عيناه وقال صدق سليم رحمة الله عليه وقد اتى ابي بعد قتل جدي الحسين عليه السلم
وانا عنده فحدثه بهذا الحديث بعينه وقال له عليه السلم صدقت والله يا سليم
قد حدثني بهذا الحديث ابي عن امير المؤمنين عليه السلم وهذا الحديث قد رواه
ايضاً محمد بن يعقوب الكليني رحمه الله في هذا الكتاب بسنده المتصل هكذا
عن علي بن ابرهيم عن ابيه عن حماد عيسى عن ابرهيم بن عمر اليماني عن ابان بن
ابي عياش عن سليم بن قيس الا انه اقتصر على بعض الحديث اكتفاء بموضع
الحاجة والقول بان الذي دل فيه على فضله وحسن حاله من باب الشهادة على
نفسه خروج عن الانصاف قال سمعت امير المؤمنين عليه السلم يحدث
عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال في كلام له العلماء رجلان رجل عالم آخذ بعلمه فهذا
ناج وعالم تارك لعلمه فهذا هالك وان اهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه
وان اشد اهل النار ندامة وحسرة رجل دعا عبداً الى الله فاستجاب له وقبل منه
فاطاع الله فادخله الله الجنة وادخل الداعي الى النار بتركه علمه واتباعه الهوى
وطول الامل اما اتباع الهوى فيصد عن الحق وطول الامل ينسي الآخرة الشرح
قوله عليه السلم العلماء رجلان اي قسمان من الرجال والمراد من العلم الذي هو

داخل في المقسم هو مطلق العلم وما يسمى علماً اعم من ان يكون علماً حقيقياً او علماً
عرفياً غير حقيقي فان اكثر ما يسمون في عرف الناس علماء ليسوا بالحقيقة علماء
وكان حاصل علومهم مجرد حفظ الاقوال المشهورة وضبط الاحاديث والروايات
او القدرة على مجادلة الخصوم بايراد المقدمات الجدلية والابحاث الكلامية
وكل ذلك ليس بعلم حقيقي انما العلم بالحقيقة نور يقذفه الله في قلب المؤمن كما ورد
في الخبر وذكر في مواضع من القرآن باسامي مختلفة من الحكمة والهدى والفضل والنور
وغير ذلك فالمقسم الصادق على القسمين هو المعنى الاعم من الحقيقي والرسمي
او المراد منه العلم المتعلق بالاعمال وكيفيتها واحوالها وهو المشهور بين الناس
والعالم به ان عمل بعلمه فهو ناج وان لم يعمل به فهو هالك فالعلماء قسمان علماء الآخرة
وعلماء الدنيا فالاول ناج والآخر هالك واما العالم الحقيقي والعارف الرباني فهو
خارج عن القسمين ولا يكون هالكاً ابداً ولا يكون الا ناجياً وانه بحيث اذا وقع منه
زلة او ذنب يكون سريع التذكر والاستغفار كثير التضرع اليه شديد التشوق
الى عالم الآخرة والرجوع الى الحق تعالى واما العالم الرسمي فهو ايضاً ناج ان كان قصده
من علمه منحصراً في طلب الآخرة والنشأة الباقية والزلفى عند الله ومجاورة الملائكة
واما ان كان قصده من العلم الدنيا ولذاتها والجاه والشهرة فهو لا يكون الا هالكاً و
سنشير الى السبب العقلي والوجه اللمي في ذلك قوله عليه السلم وان اهل النار
ليتأذون عن ريح العالم التارك لعلمه اعلم انه قد وردت في العلماء السوء اعني علماء
الدنيا تشديدات عظيمة دلت على انهم اشد الناس عذاباً يوم القيمة فمن
المهمات العظيمة معرفة العلامة الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة اما التي

وردت

وردت من الاخبار فمنها ما في طريق اصحابنا كهذا الحديث وما يتلوه في هذا
الباب والتي في مواضع اخرى من هذا الكتاب ومنها ما ذكر في الكتب المشهورة
فقد روي فيها عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ان اشد الناس عذاباً يوم
القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه وقال ايضاً العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة
الله على ابن آدم وعلم في القلب فذلك العلم النافع وقال ايضاً يكون في آخر
الزمان عباد جهال وعلماء فساق وقال من ازداد علماً ولم يزدد هدى لم يزدد من
الله الا بعداً وعن اسامة بن زيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول
يؤتى بالعالم فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى
فيطوف به اهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى
عن الشر وآتيه واما الوجه العلمي اللمي في كون عذاب العالم كثوابه مضاعفاً
هو انه عصى عن علم وان مزاولة العلوم الفكرية والرياضات الادبية يحرك
النفوس تحريكاً شديداً ويخرج ما كمن في ذواتها من الصفات والافعال
من حد القوة الى حد الفعل سواء كانت من باب الخيرات او من الشرور
والنفس اذا قويت واشتدت وخرجت من القوة الى الفعل كان
تألمها وتحسرها من فوات المألوفات اقوى وتأذيها من ادراك المؤذيات
ونيل المكروهات اشد بخلاف النفوس الناقصة التي هي بعد بالقوة
في باب الشر والخير كالبله والصبيان وغيرهما من ضعفاء النفوس وساير
العوام الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً فهؤلاء لقصور جواهرهم
ونقصان غرائزهم اذا عذبوا ليس عذابهم شديداً وكذلك اذا اثيبوا ليس ثوابهم

قوله فتندلق اقتاب بطنه اى خرجت امعاؤه [illegible]

كمن فيه

عظيما فهذه الاخبار تبين ان العالم الذي هو من ابناء الدنيا اخس حالا واشد
عذابا من الجاهل وان الفايزين المقربين هم علماء الاخرة وللعالم الاخروي الرباني
علامات فمنها ان لا يطلب الدنيا بعلمه ومنها ان لا يكون متسرعا الى الفتوى بل
يكون محترزا ما وجد الى الخلاص سبيلا فان سئل عما شك فيه قال لا ادري وان
سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه واحال على غيره ان كان
في غيره غنية هذا هو الحزم والورع فان خطر الاجتهاد عظيم كما مر ومنها ان يكون اكثر
اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الاخرة وسبيل الحق وجهة
القدس ومنها ان يكون موثرا للخلوة والانقطاع عن الناس والجلوس مع الله
في الخلوة مع حضور القلب وصفاء الفكر فذلك مفتاح الالهام ومنبع الكشف
فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة وكم من مقتصر على المهم
في التعلم ومتوفر على عمل الباطن ومراقبة القلب فتح الله عليه من لطايف العلوم
والمعارف ما يحار فيه عقول ذوي الالباب وهذا معنى ما قال رسول الله صلى الله
عليه وآله من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم وفي بعض الكتب يا بني اسرائيل
لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به ولا في تخوم الارض من يصعد به ولا من
وراء البحار من يعبر فياتي به العلم مجعول في قلوبكم تادبوا بين يدي باداب الروحانيين
وتخلقوا باخلاق الصديقين اظهر العلم من قلوبكم حتى يغطيكم ومنها ان يكون
اكثر بحثه في علم الاعمال عما يفسدها ويشوش القلب ويهيج الوسواس ويثير الشر
فان اصل الدين التوقي من الشر ولذلك قيل عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومنها
ان يكون اكثر بحثه في العلوم النظرية عما يغيب عن المحسوسات والجسمانيات

ويكون

ويكون اكثر فكره في احوال الروحانيات وعالم الملكوت واحوال الاخرة ومقاماتها
واما علماء الدنيا فانهم يتتبعون غرايب التعريفات والاقضية والحكومات التفريعات
ودقايق المجادلات ويتعبون انفسهم في وضع مسئلة فقهية غريبة لا يتفق
مثلها في انقضاء الدهور وما ابعد عن السعادة من باع مهم نفسه اللازم تعهّدهم
غيره النادر ايثارا لقبول الخلق والتقرب اليهم على قبول الحق والقرب من الله
وفرحا وسرورا في ان يسميه البطالون من ابناء الدنيا فاضلا علامة بالدقايق
فجزاء من كانت حالة هذه ان لا ينتفع في الدنيا بقبول الخلق ثم يرد القيمة مفلسا
خاسرا متحسرا على ما يشاهده من ربح العلماء ونور المقربين وذلك هو الخسران الاخر خاسرا
المبين ثم ان هذا العالم الطالب للدنيا المعرض عن الاخرة ممن يزيد حسرته و
ندامته في ان يرى من تلامذته ومستمعي كلامه ووعظه من عمل بما تعلم منه واتعظ
بما سمعه منه واستجاب له فيما دعاه اليه فحسن حاله يوم الاخرة ودخل الجنة بروح
وريحان وسرور ونعيم لاجل قبوله دعوة الحق وطاعته وهو في النار بغصته و
عذاب اليم ونزل من زقوم وحميم وتصلية جحيم بتركه العمل بما علمه واتباعه الهوى
وطول الامل وذلك لان اتباع الهوى والشهوات يصد النفس عن طريق
الحق ويحجب القلب عن فهم المعارف اذ الشهوة والعلم كانهما متضادان و
كل من غلبت شهوته نقص عقله ومن غلب عقله انكسرت شهوته فاعتبر بحال الملكة
والبهايم فالمتجرد للعقل كالملك والمتجرد للشهوة كالبهيمة وان طول الامل في
الدنيا يوجب نسيان الاخرة اذ الدنيا والاخرة كانهما ضرتان متى ارضيت احدها
اسخطت الاخرى على انا قد اشرنا سابقا ان نشاة الاخرة نشاة الذكر ودار المعرفة

والمنسي معدوم من الناسي فكل من نسي الآخرة يكون من الهالكين وكل من جحد ما او شيئا من مواقفها ومقاماتها الواردة في الشريعة يكون من المعذبين الحديث الثاني وهو التاسع والمائة محمد بن يحيى عن احمد بن محمد عن محمد بن سنان عن اسمعيل بن جابر عن ابي عبد الله عليه السلم قال العلم مقرون الى العمل فمن علم عمل ومن عمل علم والعلم يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل عنه الشرح الهتف الصوت من باب ضرب وهتف به هتفا فصاح به ودعاه ويقال سمعت هاتفا يهتف اذا كنت تسمع الصوت ولا تبصر احدا قد علمت ان العلم والعمل كالروح والجسد يتصاحبان ويتكاملان معا وان كل مرتبة من العلم تقتضي عملا بحسبه وكل عمل يهيئوا به لضرب من الحال والعلم كل ذلك اذا كانت النية صحيحة والعمل خالصا فقوله عليه السلم والعلم يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل عنه يعني ان العلم اذا عمل بما يستدعيه ويقتضيه يتقوى به ويتكامل واذا لم يعمل بمقتضاه ومؤداه يمحي وينسى ويزول بالكلية الحديث الثالث وهو العاشر والمائة عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد عن علي بن محمد القاساني اصبهاني من ولد زياد مولى عبيد الله بن عباس من ولد خالد بن الازهر ضعيف قال الشيخ انه من اصحاب ابي جعفر الثاني الجواد عليه السلم ثم قال علي بن الشيرة بالشين المعجمة المكسورة والياء الساكنة المنقطة تحتها نقطتين والراء ثقة من اصحاب الجواد عليه السلم والذي يظهر لنا انهما واحد لان النجاشي قال علي بن محمد بن شيرة القاساني ابو الحسن كان فقيها مكثرا من الحديث فاضلا غمز عليه احمد بن محمد بن عيسى ذكر انه سمع منه مذاهب منكرة وليس في كتبه ما يدل على ذلك وقال الفاضل الاسترابادي رحمه الله اني لم اجد قول

الشيخ

الشيخ الا في رجال الهادي عليه السلم هكذا علي بن شيرة ثقة علي بن محمد القاساني ضعيف اصبهاني من ولد زياد مولى عبيد الله بن عباس من آل خالد بن الازهر عمن ذكره عن عبد الله بن القاسم الجعفري غير معروف عن ابي عبد الله عليه السلم قال ان العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل المطر عن الصفاء الشرح الزلل هو انتقال الجسم من مكان الى مكان وزل اي زلق وفي صفة الصراط مدحضة مزلة وهي مفعلة من زل يزل اذا زلق اريد انه تزلق عليه الاقدام ولا يثبت استعير ههنا اعني في قوله عليه السلم زلت موعظته لعدم اثر الموعظة وثباتها في قلوب المستمعين والصفاء صخرة ملساء والجمع صفي واصفاء والصفواء والصفوان الحجارة والواحدة صفوانة وقوله عليه السلم كما يزل المطر عن الصفاء كانه شبه العلم والموعظة بماء المطر وعدم تاثيره وثباته في القلوب بعدم استقرار المطر في الحجر الاملس والسر في عدم تاثير الموعظة اذا صدر عمن لا يوصف بمقتضاها ولا يعمل بمؤداها ان الكلام من حيث مبتداه مصدره من القائل يمكن ان ينتهي مورده الى مثل ذلك من السامع فان كان ابتداء نزوله من قلب المتكلم كان انتهاء صعوده الى قلب السامع فيتأثر منه القلب وان كان الابتداء من اللسان دون ما شاركه القلب كان الانتهاء الى ظاهر السمع فيتأثر منه الصماخ بمقارعة الهواء دون القلب فلا وقع لمثل هذا الكلام فالتاثير للروحاني والجسماني للجسماني

الحديث الرابع وهو الحادي عشر والمائة علي بن ابرهيم عن ابيه عن القاسم بن محمد عن المنقري وهو سليمن بن داود كما مر ذكره عن علي بن هاشم بن البريد

ابو الحسن الزيدي الخزاز مولاهم الكوفي من اصحاب الصادق عليه السلم عن ابيه
غير مذكور في كتب الرجال قال جاء رجل الى علي بن الحسين عليهما السلم فسأله عن مسائل
فاجاب ثم عاد ليسأل عن مثلها فقال علي بن الحسين عليهما السلم مكتوب في
الانجيل لا تطلبوا علم ما لا تعلمون ولما تعملوا بما علمتم فان العلم اذا لم يعمل به لم يزدد
صاحبه الا كفرا ولم يزدد من الله الا بعدا الشرح قوله عن مثلها اي عن مسائل
اخرى هي مثلها في نوع العلم وقوله عليه السلم لا تطلبوا علم ما لا تعلمون ولما تعملوا
بما علمتم الواو للحالية اي لا تسألوا عن اشياء لا تعلمونها وانتم لم تعملوا الشيء
مما علمتم او علمتم الى الآن واعلم ان العلوم كما مر على قسمين فمنها ما يتعلق بالعمل
ويقال له علم المعاملة وثمرتها وغايتها نفس العمل ومنها ما لا يتعلق بعمل ولا المقصود
منه شيء من الاعمال والمعاملات وهو العلم المحض والمعرفة الخالصة ولا غاية
له الا الجلايا القدسية كالعلم بذات الله وصفاته وافعاله فهذا العلم كلما ازداد
ازداد صاحبه بصيرة وفي قلبه نورا وبالحق استيناسا والى عالم الآخرة ودار الملكوت
اشتياقا وعن دار الدنيا استيحاشا واما العلم المتعلق بالاعمال والمعاملات
فليس في ازدياده واشتداده فائدة الا بقدر ما يحتاج اليه لاجل العمل ففايدته
اذا انما هي نفس العمل بحسبه فاذا لم يعمل به كان وجوده في النفس لكونه علما جزئيا
متعلقا بامور جزئية جسمانية متغيرة حجابا عن الحق وزيادته والاستغراق فيه نسيانا
للآخرة وسدا عن الرجوع الى جانب القدس واشتغالا بما سواه طول العمر ثم
يتشعب منه آثار ردية وينبعث منه عادات ممرضة للنفس مميتة للقلب
فهذا هو المراد من قوله عليه السلم فان العلم اذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه الا كفرا

تعملوا

والمراد

والمراد به انه اذا وقع الاهتمام به لا على قصد العمل والاستغراق فيه الحديث
الخامس وهو الثاني عشر والماية محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن
سنان عن المفضل بن عمر عن ابي عبد الله عليه السلم قال قلت له بم
يعرف الناجي قال من كان فعله لقوله موافقا فاثبت له الشهادة ومن
لم يكن فعله لقوله فانما ذلك مستودع الشرح قوله فاثبت يحتمل ان يكون
بصيغة الماضي المجهول او بصيغة الامر المخاطب وفي بعض النسخ فانما له الشهادة
والمعنى انه انما يعرف الناجي يوم القيمة من الهالك بان يكون قوله لفعله موافقا
او لا يكون فمن كان فعله لقوله موافقا وعمله لعلمه مطابقا فيكون ايمانه وشهادته
ثابتا مستقرا ومن لم يكن كذلك كان ايمانه مستودعا مستعارا وعليه يحمل
قوله تعالى فمستقر ومستودع فالذي ايمانه بعلم ويقين وبصيرة فذلك اثبت
في قلبه من الجبال الرواسي فهو من اهل النجاة والفوز بالدرجات بلا شك وريب
وعلامته ان يعمل بمقتضاه والذي ايمانه ليس عن بصيرة ويقين بل حصل له
من افواه الرجال او من جهة التقليد او الاستحسان فذلك لا اعتماد عليه و
يزول بادنى شبهة فهو في مشية الله ان شاء سلبه عنه واهلكه وان شاء
تممه وانجاه من النار الحديث السادس وهو الثالث عشر والماية عدة
من اصحابنا عن احمد بن خالد عن ابيه قال قال امير المؤمنين عليه السلم في كلام
له خطب به على المنبر ايها الناس اذا علمتم فاعملوا بما علمتم لعلكم تهتدون ان
العالم العامل بغيره كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق عن جهله بل قد رايت ان
الحجة عليه اعظم والحسرة ادوم على هذا العالم المنسلخ عن علمه منها على هذا الجاهل

ذكر الرجال

رفعه

344

المتحير في جهله وكلاهما حاير باير لا ترتابوا فتشكوا ولا تشكوا فتكفروا ولا ترخصوا
لانفسكم فتدهنوا ولا تدهنوا في الحق فتخسروا وان من الحق ان تفقهوا ومن الفقه
ان لا تغتروا وان انصحكم لنفسه اطوعكم لربه واغشكم لنفسه اعصاكم لربه ومن يطع
الله يامن ويستبشر ومن يعص الله يخب ويندم الشرح المنبر مفعل من
النبر وهو الرفع الاستفاق من مرضه وسكره ويستفيق اي خلص وكذا افاق
يفيق افاقة بمعناه فقوله عليه السلم لا يستفيق عن جهله اشعار بان الجهل كالسكر
والجاهل كالسكران المعنى اما قوله عليه السلم اذا علمتم فاعملوا لعلكم تهتدون فالمراد
كما اشرنا اليه ان العلم هو المبداء والغاية فان الانسان اذا عمل بمقتضى علمه يودي
عمله الى صفاء في قلبه واستعد لعلم آخر وبحسبه علم وانكشف آخر وهكذا يتزايد
العلم قوة وضياء حسب تتابع الاعمال حتى ينتهي الى الاهتداء بهدى الله وهو نور
اليقين والايمان الحقيقي وذلك النور غاية كل علم وعمل وحركة وسعي يفعله الانسان
الموفق قوله عليه السلم ان العالم العامل بغيره اي بغير علمه او بغير ما تقتضيه
علمه كالجاهل الذي لا ينتبه لشيء من العلوم اصلا ولا يخرج من جهله الساذج
البسيط وهذه المساوات لان العلم الذي هو الكمال والفضل هو العلم
الحقيقي الثابت والنور العقلي المسمى في القران بالهدى والحكمة والفضل لا العلوم
الجزئية المتعلقة بالاعمال والافعال فهذه اذا لم يعمل بها كان وجودها كعدمها ولان
مثل هذه العلوم لتغيرها وتجددها لا تدوم يوم القيمة فتمحو وتزول فتكون حال مثل هذا
العالم الذي لم يعمل بعلمه في عدم العلم وانسلاخه عنه كحال الجاهل المتحير الذي لم يتعلم
اصلا ولم يفق عن جهله ابدا قوله عليه السلم بل قد رايت ان الحجة عليه اعظم والحسرة

ادوم

ادوم على هذا العالم المنسلخ عن علمه منها على هذا الجاهل المتحير في جهله اما ان
الحجة عليه اعظم فظاهر اذ لم يبق له مجال عذر في ترك العمل والطاعة واتيانه
بالمعصية واما ان الحسرة عليه ادوم فلوجهين احدهما انه يرى منازل العلماء
الذين لم ينسلخوا عن العلم في الجنة ودرجاتهم في القرب منه تعالى فتشتد حسرته
وندامته بادراك انه لو لم ينسلخ عن علمه بترك العمل لكان مثلهم في النعيم والقرب
وهذا بخلاف حال الجاهل المحض الذي لم يذق رتبة العلم قط والثاني ان النفس
كلما كانت اقوى كان ادراكها للامور المولمة اشد فان الحركات الفكرية سواء
كانت في جانب الخير بمقتضى العقل الصحيح او في جانب الشر بمقتضى الوهم الغالط
يخرج بها النفس من القوة الى الفعل اما النفوس العامية فكانها لم تخرج بعد
من القوة الى الفعل في شيء من طرفي الخير والشر فلاجل ذلك يكون الحسرة والنكال
على اهل الغواية والضلال اشد وادوم منها على اهل الغباوة والجهال قوله
عليه السلم وكلاهما حاير باير اي كلاهما مشترك في الحيرة والجهل لان احدهما
لم يكن عالما قط والثاني انسلخ عن علمه ونسيه فصار مثله في البوار والهلاك
يعني موت الجهالة والنسيان لان عالم الآخرة عالم الذكر والعرفان وفيها
حيوة العلم والايمان فالجاهل الناسي لا يموت فيها ولا يحيى لانه يدرك الآلام
الواصلة اليه التي هي من باب الشرور واعدام الملكات الوجودية ولا يدرك
الخيرات الملايمات الروحانية قوله عليه السلم لا ترتابوا فتشكوا الى آخره كلام
مستانف فيه خطابات علمية ومواعظ برهانية في باب اكتساب العلم
والعمل والاجتناب عن الارتياب والمداهنة والكسل اي لا ترتابوا ولا تمكنوا

والوسواس لكم [illegible]

الريب والشك في قلوبهم بل ادفعوا عنكم لئلا يستقر في قلوبكم واعتقدوا به فتقصروا
من اهل الشك والشرك فتكونوا كفاراً فان من غلب عليه الشكوك والوساوس
يصير من اهل الكفر هذا في باب العلم واما في باب العمل فقوله عليه السلم ولا
ترخصوا لانفسكم فتدهنوا اي اعزموا على الطاعات وترك المعاصي والمحرمات
ولا تساهلوا بان ترخصوا لانفسكم في ارتكاب الشهوات والمنكرات فتقعوا
في المداهنة في امر الدين والمسامحة في باب الحق فتخسروا خسراناً مبيناً وان
من الحق اللازم عليكم اولاً ان تتفقهوا في الدين وتعلموا الحلال والحرام والخير والشر
ثم اعملوا بما فقهتم وافعلوا الخير واجتنبوا عن الشر حسب ما علمتم ولا تغتروا
بعلمكم ولا بعملكم فان الغرور من المهلكات والمغرور بالعلم والطاعة ادون
حالاً من الجاهل والعاصي فان انصحكم لنفسه تخليتها عن المعاصي والرذايل
وتحليتها بالعلوم والفضايل اطوعكم لربه وان اغشكم لنفسه اباحها عن الطهارة
والعلم ارسالها في مرعى الشهوات ومهوى الجهالات لان الرب تعالى
غني عما سواه وانما الغاية في الامر بالطاعة والعبودية اصلاح النفوس واكمالها
وتخليصها عن النقايص والشرور والظلمات قوله عليه السلم ومن يطع الله يامن
الخ لما اشار عليه السلم الى ان مدار الطاعة والعصيان على نصح النفس والغش
لها عقب ذلك بان من يطع الله بنصح نفسه وتجريدها عن التعلقات وتطهيرها
عن الرذايل وتنويرها بالفضايل يامن من العذاب ويستبشر للمثوبات
والمشهدات ومن يعص الله بغش نفسه وتلطخها بالشهوات وارسالها
في مهوى الجهالات يجب بخسران نفسه ويندم على تفويت الفرصة وتضييع العمر

في الكتاب

في اكتساب السيئات واقتراف الخطيئات الحديث الرابع وهو الرابع
عشر والمائة عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد عن ابيه عمن ذكره عن محمد
بن عبد الرحمن بن ابي ليلى الانصاري القاضي الكوفي مات سنة ثمان واربعين
ومائة من اصحاب الصادق عليه السلم روى ابن عقدة عن عبد الله بن ابراهيم
بن قتيبة عن ابن نمير وسئل عن ابي ليلى فقال كان صدوقاً مأموناً ولكنه سيئ
الحفظ جداً وهذه الرواية لا توجب تعديلاً صه عن ابيه عبد الرحمن بن ابي ليلى
الانصاري من اصحاب امير المؤمنين علي عليه السلم شهد مع امير المؤمنين عليه
السلم كوفي ضربه الحجاج حتى اسود كتفاه على سب امير المؤمنين علي عليه السلم صه
وفي الكشي يعقوب بن شيبة قال حدثنا خالد بن ابي يزيد العرني قال حدثنا
ابن شهاب عن الاعمش قال رايت عبد الرحمن بن ابي ليلى وقد ضربه
الحجاج حتى اسود كتفاه ثم اقامه للناس فجعل يقول العن الكذابين علي عليه السلم
وابن الزبير والمختار قال ابن شهاب اصحاب العربية يقولون سمعك
يعلم ما تقول لقوله علي اي ابتدأ الكلام قال سمعت اباجعفر عليه السلم يقول
اذا سمعتم العلم استعملوه ليتسع قلوبكم فان العلم اذا كثر في قلب رجل
لا يحتمله قدر الشيطان عليه فاذا خاصمكم الشيطان فاقبلوا عليه بما تعرفون فان
كيد الشيطان كان ضعيفا قلت وما الذي نعرفه قال خاصموه بما ظهر لكم من
قدرة الله الشرح قوله عليه السلم اذا سمعتم العلم استعملوه اي اعملوا
بما تعلمتم وليكن اهتمامكم بالعمل لا بكثرة السماع والحفظ وقوله عليه السلم ليتسع
قلوبكم اي ينبغي ان لا تكثروا من العلم على حد يضيق قلوبكم عن احتماله وتضعف

[illegible]

عن الاحاطة وهذا كما قاله اهل التصوف واصحاب الاحوال لمريديهم ولكن انت لمتحكما على الحال لا الحال متحكما عليك ونحن نرى كثيرا من مزاولي العلم يفوت منهم كثيرا من الفضايل والخيرات ويضيق قلوبهم عن التخلق بساير محاسن الاخلاق لعدة مسائل تلقفوها وبحثوا عنها فيجب ان يكون قلب الرجل العلمي متسع المجال لا يشغله كثرة العلم عن فعل الخير وطاعة المعبود فان القلب اذا ضاق عن قبول الحق وضعف يستولي عليه الشيطان بالوسوسة والاغواء واليه اشار بقوله عليه السلام فان العلم اذا كثر في قلب رجل لا يحتمله قدر الشيطان عليه ثم اذا كان لقائل ان يقول فبما ذا نخاصم الشيطان اذا كانت كثرة العلم سبب اقتدار الشيطان واستيلائه علينا اشار الى الجواب بقوله عليه السلام فاذا خاصمكم الشيطان فاقبلوا عليه بما تعرفون يعني ادنى المعرفة يكفي لدفع كيد الشيطان لان كيده كان ضعيفا ثم اشار الى ادنى المعرفة التي يكفي لمخاصمة الشيطان ودفع شره وكيده وهي معرفة ما ظهر من قدرة الله على كل الاشياء فيقدر على النشأة والنشأة الاخرى فيثيب المطيع ويعاقب العاصي فهذا القدر من المعرفة كاف اولا لان ينبعث به العبد على فعل الطاعات وترك السيئات ثم كلما ازداد علما وسعيا في طلب الآخرة ازداد يقينا وانكشافا وبصيرة فظهر ان العلم الممدوح في الكتاب والسنة الذي هو غاية كل علم وعمل ليس عبارة عن كثرة المسائل والادراكات التصورية والتصديقية وانما هو نور وضياء في القلب يحصل عقيب الرياضات العلمية والفكرية مع اخلاص النية وصدق العمل وقوة التقوى

باب المستاكل بعلمه والمباهي به وهو الباب الحادي عشر

من كتاب

من كتاب العقل والعلم وفيه خمسة احاديث الحديث الاول وهو الحادي عشر والمائة محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى وعلي بن ابراهيم عن ابيه جميعا عن حماد بن عيسى عن عمر بن اذينة عن ابان بن ابي عياش عن سليم بن قيس قال سمعت امير المومنين عليه السلم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله منهومان لا يشبعان طالب دنيا وطالب علم فمن اقتصر من الدنيا على ما احل الله له سلم ومن تناولها من غير حلها هلك الا ان يتوب او يراجع ومن اخذ العلم من اهله وعمل بعلمه نجا ومن اراد به الدنيا فهي حظه الشرح النهمة بالفتح الشهوة والحاجة وقيل النهمة بلوغ الهمة في الامر وقد نهم بكذا فهو منهوم اي مولع به ونهم نهيما من باب ضرب زجر ونهم من باب لبس نهما هو افراط الشهوة في الطعام اعلم ان اهل الطلب من الناس صنفان طالب الدنيا المزاولون لاعمالها كالتجار والصناع وارباب الحرف وطالب العلم المزاولون لتحصيله المباشرون للبحث والتكرار والتعليم والتعلم وكل منهما اما حريص في شانه كالمنهوم في شهوة الطعام الذي لا يشبع واما مقتصد في امره قانع بما رزقه الله غير حريص فاشار عليه السلم الى ان الحريص من كل منهما هالك والمقتصد ناج فخرج من الجميع اقسام اربعة اثنان سالمان واثنان هالكان والفاظ الحديث واضحة غنية عن الشرح وقد سبق ان العلم الذي الاكثار منه مذموم غير العلم الذي كلما ازداد كان افضل وانور الحديث الثاني وهو السادس عشر والمائة الحسين بن محمد بن عامر بن عمران الظاهر ان هذا بعينه الحسين بن محمد بن عمران بن ابي بكر الذي مر ذكره في سند الحديث العشرين كما نبه عليه بعض علماء الرجال وهو شيخ محمد بن يعقوب مصنف هذا الكتاب كما يفهم من

كتاب النجاشي عن معلى بن محمد عن الحسن بن علي الوشاء عن احمد بن عائذ عن ابي خديجة
اسمه سالم بن مكرم ومكرم يكنى ابا سلمة قال الشيخ الطوسي رحمه الله انه ضعيف
وقال في موضع آخر انه ثقة وروى الكشي عن محمد بن مسعود قال سألت
ابا الحسن علي بن الحسين عن اسم ابي خديجة فقال سالم بن مكرم فقلت له
ثقة وقال صالحا وكان من اهل الكوفة وكان جمالا ذكر انه حمل ابا عبد الله من
مكة الى المدينة قال اخبرنا عبد الرحمن بن ابي هاشم عن ابي خديجة قال قال
ابو عبد الله لا تكتني بابي خديجة قلت بم اكتني قال بابي سلمة قال الكشي وكان
سالم من اصحاب ابي الخطاب وقال النجاشي انه ثقة ثقة روى عن ابي عبد الله
وابي الحسن عليهما السلم والوجه عندي التوقف فيما يرويه لتعارض الاقوال فيه
وقال الكشي بعد قوله وكان سالم من اصحاب ابي الخطاب وكان في المسجد يوم
بعث عيسى بن موسى بن علي وكان عامل المنصور على الكوفة الى ابي الخطاب لما
بلغه انهم قد اظهروا الاباحات ودعوا الناس الى نبوة ابي الخطاب وانهم يجتمعون
في المسجد ولزموا الاساطين يرون الناس انهم قد لزموها للعبادة وبعث
اليهم فقتلهم جميعا لم يفلت منهم الا رجل واحد فسقط بين القتلى يعد فيهم فلما جنه
الليل خرج من بينهم فتخلص وهو ابو سلمة بن سالم بن مكرم الجمال الملقب بابي خديجة
فذكر بعد ذلك انه تاب وكان ممن يروي عن ابي عبد الله عليه السلم قال من
اراد الحديث لمنفعة الدنيا لم يكن له في الاخرة من نصيب ومن اراد به الاخرة
اعطاه الله خير الدنيا والاخرة الشرح اما وجه الاول فانه جعل الدنيا
والدنيا غاية له ومقصودا وطلب الدنيا بعمل الدين واستخدم عقله
للشهوات

فقال

طريق الدين الى م

للشهوات ومن كانت غاية سعيه وعمله ومنتهى قصده ونيته الدنيا
والشهوات وهي امور فانية باطلة فلم يكن له في الآخرة الا النار واعلم
ان هذا اسوء حالا من ساير طلبة الدنيا لانهم طلبوا الدنيا بالدنيا وطلبوا الجسمانيات
والمحسوسات بالاعضاء والحواس وهذا الرجل الذي تعلم الحديث لمنفعة
الدنيا طلب هذه القشور الكثيفة الحسية بلب ذاته ولطيف جوهره و
عقله فهو ممن يجعل مادة عقلة مصورة بصورة الشهوات الفانية والاماني الباطلة
فيتعذب في الآخرة عذابا اليما بخلاف عامة اهل الدنيا حيث لم يجمعوا من
المتضادين ولم يقعوا بين المتجاذبين المتفاسدين واما وجه الثاني فانه لما قصد
الآخرة وسعى لها سعيها حصلت لنفسه ملكة فاضلة وتصورت ذاته بصورة
الآخرة وصورة العلم والعرفان كان في الآخرة سعيدا مقربا وفي الدنيا عزيزا مكرما
الحديث الثالث وهو الرابع عشر والمائة علي بن ابراهيم عن ابيه عن
القاسم عن المنقري عن حفص بن غياث عن ابي عبد الله عليه السلم قال
اذا رايتم العالم محبا لدنياه فاتهموه على دينكم فان كل محب لشيء يحوط ما احب
وقال عليه السلم اوحى الله الى داود عليه السلم لا تجعل بيني وبينك عالما مفتونا
بالدنيا فيصدك عن طريق محبتي فان اولئك قطاع طريق عبادي المريدين ان
ادنى ما انا صانع بهم ان انزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم الشرح اتهمت
فلانا بكذا اي توهمته كذا والاسم التهمة بالتحريك والمراد بقوله عليه السلم فاتهموه
على دينكم اي اعتقدوه متهما على هذا الدين ليس على حقيقة فيه وذلك لان حب الدين
وحب الدنيا لا يجتمعان في قلب واحد وحاط يحوط حوطا وحياطا اذا حفظه وصانه و

قلوبهم

توفر على مصالحه وفي حديث العباس قلت يا رسول الله ما اغنيت عن عمك يعني
ابا طالب عليه السلم فانه كان يحوطك ويغضب لك والنجو السر بين اثنين يقول
نجوته نجوا او ناجيته اي ساررته وانتجيته اي خصصته بمناجاتك وحاصل الكلام
ان العالم المحب للدنيا ليس بعالم بالحقيقة ولا متدين بل جاهل غاو وضال ومغو
مضل صاد عن طريق محبة الله وشوق الآخرة وقد انتقم الله منه في الدنيا وهو
ادنى انتقامه حيث نزع عن قلبه لذيذ مكالماته العقلية وهي عبارة عن الاعلامات
الحكمية والالهامات العلمية التي كانت قابلة لها في اوايل فطرته ومبادي حاله قبل
ان تفسد قريحته وطبع على قلبه كما في قوله تعالى فطبع على قلوبهم الحديث الرابع وهو
الثاني عشر والمائة علي عن ابيه عن النوفلي عن السكوني عن ابي عبد الله عليه السلم
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله الفقهاء امناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا
قيل يا رسول الله وما دخولهم في الدنيا قال اتباع السلطان فاذا فعلوا ذلك
فاحذروهم على دينكم الشرح قيل العلماء ثلثة اما مسعد نفسه وغيره واما مهلك
نفسه وغيره واما مهلك نفسه مسعد غيره اما الاول فهم الداعون الى الله المعرضون
عن الدنيا ظاهرا وباطنا واما الثاني فهم المصرحون لطلب الدنيا والمقبلون عليها
صريحا وهم اتباع السلاطين لان الوصول الى الثروة والمال والجاه والترفع على
الامثال لا يحصل الا باتباعهم والخلط بهم واما الثالث فهو الذي يدعو الناس الى الآخرة
ونصب نفسه في مقام الوعظ والتذكير والامامة وقد رفض الدنيا في الظاهر و
قصده في الباطن قبول الخلق واقامة الجاه وربما كمن في باطنه باعث الهوى فيما
هو بصدده من دعوة الخلق وارشادهم وهو بحيث لا يدري ذلك وزعم ان باعثه

الدين

الدين وداعيه ثواب الآخرة في الارشاد والتعليم ومثله سخرة الشيطان
في تمام عمره وغاية امره ان يحرق نفسه ويضيئ غيره الحديث الخامس وهو
التاسع عشر والمائة محمد بن اسمعيل عن الفضل بن شاذان عن حماد بن
عيسى عن ربعي بن عبد الله عمن حدثه عن ابي جعفر عليه السلم قال من طلب العلم
ليباهي به العلماء او يماري به السفهاء او يصرف وجوه الناس اليه فليتبوأ
مقعده من النار ان الرياسة لا تصلح الا لاهلها الشرح المباهاة التفاخر و
تباهوا تفاخروا والمراء بالكسر الجدال والتماري والمماراة المجادلة وفي الحديث
لا تماروا في القرآن فان المراء فيه كفر باء يبوء بوءا اذا رجع والباءة والمباءة
وهي الموضع الذي تبوء اليه الابل هذا اصلها ثم جعلت عبارة عن المنزل مطلقا
ويتبوأ من كذا اي تخذه منزلا ويقال بوأه الله منزلا اي اسكنه اياه فقوله فليتبوأ
مقعده من النار اي لينزل منزله من النار ومقعده منصوب بكونه مفعولا له
لا يكون له مفعولا به لان فعله لازم والمعنى ان من طلب العلم لغرض من اغراض
النفس ولمنفعة الدنيا فهو من اهل النار وانما ذكر منها هذه الثلثة لان علماء
الدنيا الذين يطلبون العلم لا للعمل به ولا للكشف عن وجوه الحقايق تقربا اليه
تعالى انما تدور اغراضهم حول احد الامور اما المباهاة والافتخار بالعلم على
العلماء والامثال واما المماراة والمجادلة مع السفهاء لاظهار القدرة و
الغلبة عليهم في البحث عند العامة ليقولوا فلان رجل منطيق فايق في البحث
وفي ذلك لذة نفسانية واما طلب الرياسة وصرف وجوه الناس اليه
لما في ذلك من نيل كل لذة دنيوية من الجاه والعزة والمال والثروة ولذلك قيل

والباءة ... لغة المباءة صح

لا بكونه لازم

عليه السلم على خطر امر الرياسة وعظم آفتها بانها لا تصلح الا لاهلها وهم الكاملون في
فوق العلم والعمل الجالسون في حد المشترك من العالمين اي معون من الحق
والخلق من النفوس القدسية التي لا يشغلهم شأن عن شأن كما في قوله تعالى
رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله باب لزوم الحجة على العالم وتشديد
الامر عليه وهو الباب السادس عشر من كتاب العقل والعلم وفيه اربعة احاديث
الحديث الاول وهو العشرون والمائة علي بن ابراهيم بن هاشم عن ابيه
عن القاسم ابي محمد المنقري عن حفص بن غياث عن ابي عبد الله عليه السلم [illegible]
قال قال يا حفص يغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل ان يغفر للعالم ذنب واحد
الشرح قد سبق منشاء هذا الحكم وليس الوجه كما زعمه اكثر الناس بقياسهم
فعل الله في المغفرة والعقوبة على فعل الناس القادرين على العقوبة لواحد والعفو
عنه فرأوا انهم لا يواخذون للطفل والغافل والساهي على ذنوبهم وجرائمهم ويواخذون
العقلاء على معاصيهم طلبا للتشفي والانتقام ودفعا لما يعتريهم من اشتعال الغضب
بثوران دم القلب وليس غضب الله من هذا الباب تعالى عن ذلك علوا
كبيرا وانما هي نتايج افعال واقوال وتبعات قصود ونيات بل الوجه كما مر
ان اللذات والالام من باب الادراكات فكلما قوي الادراك لقوة النفس
كان الالم ومقابله بحسبه ومن نوعه ومن النفوس ما هي بعد بالقوة كنفوس
ضرب من العوام ومنها ما حصلت له ملكة الشوق الى كمال ما نفس في اخروي [illegible]
فاذا زاغ عنه او اشتغل بما هو ضده من الدواعي الحيوانية الباطلة كان له في
الاخرة عذاب اليم الحديث الثاني وهو الحادي والعشرون والمائة وبهذا الاسناد
قال

قال قال ابو عبد الله عليه السلم قال عيسى بن مريم ويل للعلماء السوء كيف تلظى
عليهم النار الشرح اصله تتلظى حذفت احدى التائين للتخفيف اي تتلهب وتضطرم
وهو من لظى اسم من اسماء النار لا ينصرف للعلمية والتانيث الحديث
الثالث وهو الثاني والعشرون والمائة علي بن ابراهيم عن ابيه ومحمد بن اسمعيل
عن الفضل بن شاذان جميعا عن ابن ابي عمير عن جميل بن دراج قال سمعت ابا عبد الله
عليه السلم يقول اذا بلغت النفس الى ههنا واشار بيده الى حلقه لم يكن للعالم
توبة ثم قرأ انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة الشرح النفس بالتحريك
واحد الانفاس وهو ما يخرج من الحي حال التنفس وكل ذي رية متنفس ودواب
الماء لا نفس لها وتنفس الصبح تبلج واما قوله صلى الله عليه وآله اني لاجد نفس
الرحمن من قبل اليمن فقيل عنى به الانصار لان الله نفس بهم الكرب عن المؤمنين
وهم يمانيون لانهم من الازد وهو مستعار من نفس الهواء الذي يرده التنفس الى
الجوف فيبرد من حرارته ويعدلها او من نفس الريح الذي ينسمه فيستروح
اليه يقال انت في نفس من امرك او من عمرك اي في سعة ووقت بلوغ
النفس الى الحلقوم هو عند ما يغرغر النفس وهو اول وقت الاحتضار ومعاينة
الغيب وقبل حد المعاينة وان كان متصلا بها يكون التوبة مقبولة لقوله صلى الله
عليه وآله ان الله يقبل التوبة ما لم يغرغر واما عند المعاينة وبعدها فلا تاثير للتوبة
والندم فقوله عليه السلم اذا بلغت النفس الى ههنا المراد به الوقت القريب منه
المتصل به والوجه في صحة توبة الجاهل دون العالم ان ذنوب العالم ذنوب
باطنية وصفات قلبية وملكات ردية نفسانية لا يمكن محوها عن النفس دفعة

[illegible]

او فى اقل زمان بل لا بد من مرور زمان يتبدل سيئاته الى الحسنات بخلاف
معاصى الجهال الناقصين فانها من الاعمال البدنية والاحوال النفسانية الى رجة
عن صميم القلب وباطن الروح فيمكن محوها فى لحظة وقوله تعالى انما التوبة
على الله اى قبول التوبة كالامر المحتوم على الله بمقتضى وعده وهو من تاب
عليه اذا قبل توبته وهو مبتداء وخبر وقوله للذين يعملون السوء بجهالة حال عن
الضمير فى الظرف او الخبر للذين يعملون وعلى الله حال من محذوف تقديره
انما التوبة اذا كانت على الله والعامل فى اذا للذين يعملون وكانت تامة
وصاحب الحال ضمير الفاعل وهذا نحو قولك هذا بسرا اطيب منه رطبا وقوله
بجهالة فان ارتكاب المعصية سفه وتجاهل ولذا قيل من عصى الله فهو جاهل حتى
ينزع من جهالته وقوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات
الآية المراد من هولاء هم البالغون فى المعصية المتعمدون فيه ولهذا سوى
الله تعالى بين من سوف التوبة الى حضور الموت من الفسقة وبين
من مات على الكفر فى نفى التوبة ولهذا قيل المراد بالذين يعملون السوء
عصاة المسلمين وبالذين يعملون السيئات المنافقون الحديث الرابع
وهو الثالث والعشرون والمائة محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى عن
الحسين بن سعيد بن حماد بن مهران الاهوازى مولى على بن الحسين عليهما السلم
ثقة جليل القدر روى عن الرضا وعن ابى جعفر الثانى وابى الحسن الثالث عليهم السلم
اصله كوفى وانتقل مع اخيه الحسن الى الاهواز ثم تحول الى قم فنزل على الحسن بن
ابان وتوفى بقم صه عن النضر بن سويد الصيرفى من اصحاب الكاظم عليه السلم
كوفى

انما فى موضع الحال اى يعلمون السوء جاهلين او متصفين بالجهالة او التميز اى متلبسين بها سفهاء وجهالة

كوفى ثقة صحيح الحديث انتقل الى بغداد له كتاب صه فى النجاشى روى عنه عيسى
بن عبيد وفى الفهرست عنه ابو عبد الله البرقى والحسين بن سعيد عن
يحيى الحلبى عن ابى سعيد المكارى هاشم بن حيان واقفى روى عن ابى عبد الله
عليه السلم له كتاب عنه جماعة منهم القسم بن اسمعيل عن ابى بصير
عن ابى جعفر عليه السلم فى قول الله عز وجل فكبكبوا فيها هم والغاون قال
هم قوم وصفوا عدلا بالسنتهم ثم خالفوه الى غيره الشرح كبه على وجهه
صرعه فاكب هو على وجهه وهذا من النوادر ان يقال افعلت انا وفعلت
غيرى وكبكب الله عدو المسلمين ولا يقال اكب وكب الاناء قلبه من باب
طلب وكبكبه اى كبه والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير فى اللفظ دليلا على التكرير
فى المعنى والغى الضلال والخيبة ايضا وقد غوى من باب ضرب غيا وغواية
فهو غاو والغاون جمعه وقوله تعالى فكبكبوا فيها هم والغاون قال اهل التفسير
اى الالهة والكفار وياباه ضمير جمع العقلاء بخلاف قوله تعالى انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم فيجوز ما تعبدون اصناما الهة والذى ذكره عليه
السلم اولى وانسب من كون المراد بضمير جمع العقلاء السوء الذين لم يعملوا
بعلمهم ووصفوا عدلا اى عادلا او صفة عدالة بالسنتهم ثم لم يعملوا بموجب الوصف
وخالفوه معرضا عنه الى غيره فضلت وغوت اتباعهم ومقلديهم بما راوا منهم و
صنيعهم ويؤكد ذلك قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون
الله واعلم انه قد وردت فى العلماء السوء اى علماء الدنيا الراغبين
فى مالها وجاهها تشديدات عظيمة وشكايات كثيرة يتبين منها انهم

[illegible]

٣٥١

اقبح حالاً واشد عذاباً يوم القيمة وقد اشرنا الى لمية ذلك وهولاء في الحقيقة
ليسوا بعلماء انما هم ظاهريون متشبهون بالعلماء في حفظهم المنقولات وتعلمهم
الروايات والاحاديث والحكايات مما يعده الجمهور علماً وحالاً والا فلا
ينفك العلم عن مقتضاه قال عيسى عليه السلم كيف يكون من اهل العلم من مسيره
الى آخرته وهو مقبل على دنياه وكيف يكون من اهل العلم من يطلب الكلام
ليخبر به لا ليعمل به قال صالح بن حميان البصري ادركت الشيوخ وهم يتعوذون
بالله من الفاجر العالم بالسنة ومما ورد في هذا الباب من غير طريقة اصحابنا بالسنة خ
الاماميين هو ما روى ابو الدرداء انه صلى الله عليه وآله قال اوحى الله الى بعض
الانبياء عليهم السلام قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون
الدنيا بعمل الآخرة ويلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب
السنتهم احلى من العسل وقلوبهم امر من الصبر اياي يخادعون وبي يستهزؤن
لافتحن لهم فتنة تذر الحكيم حيراناً وروى الضحاك عن ابن عباس عن النبي صلى الله
عليه وآله قال علماء هذه الامة رجلان فرجل آتاه الله علماً فبذله للناس
ولم يأخذ عليه طمعاً ولم يشتر به ثمناً فذلك يصلي عليه طير السماء وحيتان
الماء ودواب الارض والكرام الكاتبون يقدم على الله تعالى سيداً
شريفاً حتى يرافق المرسلين ورجل آتاه الله علماً في الدنيا فضن به على عباد الله
واخذ عليه طمعاً واشترى به ثمناً فذلك يأتي يوم القيمة ملجماً بلجام من نار
وينادي مناد على رؤس الخلائق هذا فلان بن فلان آتاه الله علماً في الدنيا
فضن به عن عباد الله واخذ عليه طمعاً واشترى به ثمناً يعذب حتى يفرغ

الله من

الله من حساب الخلق واشد من هذا ما روي ان رجلا كان يخدم موسى
عليه السلم فجعل يقول حدثني موسى عليه السلم حدثني موسى نجي الله حدثني موسى
كليم الله حتى اثرى وكثر ماله ففقده موسى عليه السلم فجعل يسأل عنه فلا يحس له اثراً
حتى جاءه رجل ذات يوم وفي يده خنزير وفي عنقه حبل اسود فقال له موسى
عليه السلم اتعرف فلاناً قال نعم هو هذا الخنزير فقال موسى عليه السلم يا رب
اسئلك ان ترده الى حاله حتى اسأله فيم اصابه هذا فاوحى الله اليه لو دعوتني
بالذي دعانا به آدم ومن دونه ما اجبتك فيه ولكن اخبرك لم صنعت به هذا
لانه كان يطلب الدنيا بالدين واغلظ من هذا ما ورد عن معاذ بن جبل ان
رسول الله صلى الله عليه وآله قال من فتنة العالم ان يكون الكلام احب اليه
من الاستماع وفي الكلام تنميق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطأ وفي
الصمت سلامة وعلم ومن العلماء من يخزن علمه فلا يحب ان يوجد في غيره
فذلك في الدرك الاول من النار ومن العلماء من يكون في علمه بمنزلة سلطان
او يهين الشرح علمه م فان رد عليه شيء من علمه غضب فذلك في الدرك الثاني من النار ومن
العلماء من يجعل علمه وغرايب حديثه لاهل الشرف واليسار ولا يرى اهل الحاجة
اهلا له فذلك في الدرك الثالث من النار ومن العلماء من ينصب نفسه
للفتيا ويفتي بالخطاء والله يبغض المتكلفين فذلك في الدرك الرابع من النار
ومن العلماء من يتكلم كلام اليهود والنصارى ليعزز به علمه فذلك في الدرك
الخامس من النار ومن العلماء من يتخذ علمه مروة ونبلا وذكرا في الناس فذلك
في الدرك السادس من النار ومن العلماء من يستفزه الزهو والعجب فان

وعظ عنف وان وعظ انف فذلك في الدرك السابع من النار وفي الخبر ان
العبد لينشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة
وعنه صلى الله عليه وآله العلماء امناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان
فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم وقال صلى الله عليه وآله شرار العلماء
الذين يأتون الامراء وخيار الامراء الذين يأتون العلماء وعنه صلى الله عليه وآله
سيكون عليكم امراء تعرفون منهم وتنكرون فمن انكر فقد برئ ومن كره فقد سلم
ولكن من رضي وتابع ابعده الله فقيل افلا نقتلهم قال لا ما صلوا وقال حذيفة اياكم
ومواقف الفتن قيل وما هو قال ابواب الامراء يدخل احدكم على الامير فيصدقه
بالكذب ويقول ما ليس فيه وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزوار للملوك

باب النوادر وهو الباب السابع عشر من كتاب العقل والعلم وفيه خمسة عشر حديثا

الحديث الاول وهو الرابع والعشرون والمائة علي بن ابراهيم عن ابيه عن
ابن ابي عمير عن حفص بن البختري بالخاء المعجمة بعد الباء المنقطة تحتها نقطة مولى بغدادي
اصله كوفي ثقة روى عن ابي عبد الله وابي الحسن عليهما السلم ذكره ابو العباس وانما
كان بينه وبين آل اعين نبوة فغمزوا عليه بلعب الشطرنج رفعه قال كان امير المؤمنين المغمور المتهم
عليه السلم يقول روحوا انفسكم ببديع الحكمة فانها تكل كما تكل الابدان الشرح
الروح والراحة من الاستراحة واراح الرجل رجعت اليه نفسه بعد الاعياء
وراح فلان للمعروف اذا اخذته له خفة واريحية وراحت يده بكذا اذا خفت له
والكلال الضعف والثقل اعلم ان البدن في عالم الطبيعة مثال للنفس في عالمها
وكما ان البدن يحتاج الى اغذية وادوية يناسبها فكذا النفس تحتاج الى اغذية

وادوية يناسبها من العلوم وكما ان البدن قد يعتريه كلال وثقل ثم يرجع الى قوته
وراحته بتناول شيء من المقويات والمفرحات فكذا النفس قد يعرض لها كسالة
وقبض ثم تتروح وتنتعش بسماع خبر او حكاية لما فيه نفع او لذة اما النفوس العامية
فهي تستريح بامور فيها اغراض دنيوية ولذات حيوانية ولكن النفوس الفاضلة
التي من شأنها ادراك المقاصد العالية والمطالب العقلية لا يفرحون الا بذكر الله
ولا يتلذذون الا بالمعارف الالهية فهذا الخطاب منه سلام الله عليه كانه انما
وقع لخواص اصحابه وتلامذته مثل كميل بن زياد النخعي وابن عباس ونحوهما والا فكثير
من الناس من مزاولي الكتب والكلام تراهم تشمئز قلوبهم وتكل نفوسهم من استماع
بدايع الحكم وطرايف العرفان الحديث الثاني وهو الخامس والعشرون والمائة عدة
من اصحابنا عن احمد بن محمد عن نوح بن شعيب النيسابوري الذي ذكر في كتب الرجال
نوح ابن شعيب البغدادي من اصحاب ابي جعفر الثاني عليه السلم ذكر الفضل
بن شاذان انه كان فقيها صه وفي رجال الشيخ عالما صالحا مرضيا وقيل انه نوح
بن صالح عن عبيد الله بن عبد الله الدهقان الواسطي عن درست بن ابي منصور
عن عروة بن اخي شعيب العقرقوفي ابو يعقوب بن اخت ابي بصير يحيى بن القاسم
عم شعيب م روى عن ابي عبد الله وابي الحسن عليهما السلم عين ثقة عن ابي بصير قال سمعت
ابا عبد الله عليه السلم يقول كان امير المؤمنين عليه السلم يقول يا طالب العلم ان
العلم ذو فضائل كثيرة فرأسه التواضع وعينه البراءة من الحسد واذنه الفهم ولسانه
الصدق وحفظه الفحص وقلبه حسن النية وعقله معرفة الاشياء والامور ويده
الرحمة ورجله زيارة العلماء وهمته السلامة وحكمته الورع ومستقره النجاة

وقايده العافية ومركبه الوفاء وسلاحه لين الكلمة وسيفه الرضاء وقوسه المداراة
وجيشه محاورة العلماء وماله الادب وذخيرته اجتناب الذنوب وزاده المعروف
وماواه الموادعة ودليله الهدى ورفيقه محبة الاخيار الشرح كانه عليه السلم حاول
التنبيه لطلاب العلم على ان العلم لا يحصل الا لمن له هذه الفضايل والحسنات فشبه
العلم بشخص كامل روحاني له اعضاء وقوى كلها روحانية بعضها ظاهرة وبعضها
باطنة فالظاهرة كالراس والعين والاذن واللسان واليد والرجل والباطنة
كالحفظ والقلب والعقل والهمة والحكمة وله مستقر روحاني وقايد روحاني
وله مركب روحاني وسلاح وسيف وقوس وجيش ومال وذخيرة وزاد
وماوى ودليل ورفيق كلها روحانية معنوية فاستعار بهذه الالفاظ الموضوعة
في اللغة لهذه المحسوسات لاجل تلك الفضايل ترشيحا وتمثيلا كلا لما يشبه
او لما يناسبه من جهة او لما هو غاية له فجعل الراس الذي موضع الكبر والنخوة للتواضع
لان الاصل والمبداء في تحصيل العلم التواضع والمذلة وترك العلو والافتخار والعين
التي هي آلة للتجسس وطلب المشتهيات للبراة والتعفف وجعل الاذن للفهم لانه
غايتها واللسان للصدق لانه غايته وكذلك القياس في اكثر المذكورات فمن
اجتمعت في ذاته هذه الفضايل فهو عالم بالحقيقة ربانى ومن اتصف باضدادها
او باضداد اكثرها فهو جاهل مردود الى دار الجحيم وما بين المنزلتين منازل ومراتب لا تحصى
ونال كل احد من المترددين الى ما هو الغالب عليه من المحاسن والمساوى والعلم عند الله
وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس باى ارض تموت الحديث الثالث
وهو السادس والعشرون والماية محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى عن احمد بن محمد

بن ابي

باب النوادر

بن ابي نصر زيد مولى السكوني ابو جعفر وقيل ابو علي المعروف بالبزنطي كوفي لقي الرضا
عليه السلم وكان عظيم المنزلة عنده ثقة جليل القدر صح وفيها ايضا وفي الكشي وكان
له اختصاص بابي الحسن الرضا وابي جعفر عليهما السلم اجمع اصحابنا على تصحيح ما يصح عنه واقروا
له بالفقه وفي النجاشي لقي الرضا والجواد عليهما السلم وكان عظيم المنزلة عندهما وفي الفهرست
روى عنه احمد بن محمد بن عيسى ومحمد بن الحسين بن ابي الخطاب ومحمد بن عبد الحميد
وفي الخلاصة والنجاشي انه مات رحمه الله سنة احدى وعشرين ومائتين بعد وفات
حسن بن علي بن فضال فتح وفيها ان حسن بن فضال مات سنة اربع وعشرين ومائتين
وعلى هذا فتقدم وفات الحسن بثلث سنين والظاهر ان هذا النسبة وفات ابن
محبوب الى وفات ابن فضال او بالعكس عن حماد بن عثمن عن ابي عبد الله عليه السلم
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله نعم وزير الايمان العلم ونعم وزير العلم الحلم ونعم
وزير الحلم الرفق ونعم وزير الرفق العبرة وفي نسخة الصبر الشرح نعم وبئس فعلان
ماضيان لا يتصرفان كتصرف الافعال لانهما استعملا للحال بمعنى الماضي فنعم مدح وبئس
ذم وفيهما اربع لغات فتح العين وسكونها وكل منهما مع فتح الفاء وكسرها فاذا قلت
نعم الرجل زيد فالرجل فاعل نعم وزيد اما مبتداء قدم عليه خبره او خبر مبتداء محذوف
تقديره هو زيد واذا قلت نعم رجلا زيد فاضمرت في الرجل بالالف واللام ويراد
تعريف الجنس لا تعريف العهد او نكرة منصوبة ولا يليهما علم ولا غيره ولا يتصل بهما
الضمير فلا تقول نعم زيد ولا الزيدون نعموا وتثنى نعم المراة هند ونعمت المراة هند
وقد يحذف المخصوص بالمدح كما في قوله تعالى نعم العبد ولبئس المصير والوزير الموازر
كالاكيل لانه يحمل عنه وزره اي ثقله وقد استوزر فلان وهو يوازر الامير واطلق الوزير

ههنا للمعين تسمية اللازم الاعم باسم الملزوم الاخص او استعير من باب التشبيه
استعارة مصرحة تشبيها للايمان بالسلطان والعلم بوزيره وكذلك
في البواقي واعلم ان المراد بالايمان ههنا هو النور القلبي والعقل الاجمالي الذي به
يدرك الحقايق ويفعل الخيرات وبالعلم الصور الادراكية التفصيلية بتكررها
يشتد قوة الايمان وباقي الحديث غني عن الشرح الحديث الرابع
وهو الرابع والعشرون والمائة علي بن محمد عن سهل بن زياد عن جعفر
بن محمد الاشعري هو جعفر بن محمد بن عبيد الله يروي عن ابن القداح كثيرا
كما مر ذكره عن عبد الله بن ميمون القداح عن ابي عبد الله عليه السلم عن آبائه
عليهم السلم قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا رسول
الله ما العلم فقال الانصات قال ثم مه قال الاستماع قال ثم مه قال الحفظ قال
ثم مه قال العمل به قال ثم مه يا رسول الله قال نشره الشرح عرف صلى الله
عليه وآله العلم بهذه الامور الخمسة من باب تعريف الشيء بعلامته اللازمة
وباسبابه وغاياته فعلامته حصول العلم في احد كونه منصتا وسبب حدوثه
الاستماع من المعلم خارجيا كان او داخليا ~~فعلامته حصول العلم~~ بالاذن الحسي
او الاذن العقلي كما للانبياء والاولياء عليهم السلم وسبب بقائه حفظه و
العمل بموجبه وغايته المتفرعة عليه في الدنيا نشره واما غايته الذاتية فالتقرب
الى الله وملكوته الحديث الخامس وهو الخامس والعشرون والمائة علي بن
ابراهيم رفعه الى ابي عبد الله عليه السلم قال طلبة العلم ثلثة فاعرفوهم باعيانهم و
صفاتهم صنف يطلبه للجهل والمراء وصنف يطلبه للاستطالة والختل وصنف
يطلبه

يطلبه للفقه والعقل فصاحب الجهل والمراء موذ ممار متعرض للمقال في اندية
الرجال بتذاكر العلم وصفة الحلم قد تسربل بالخشوع وتخلى من الورع فدق الله
من هذا خيشومه وقطع منه حيزومه وصاحب الاستطالة والختل ذو خب وملق
يستطيل على مثله من اشباهه ويتواضع للاغنياء من دونه فهو لحلوائهم هاضم
ولدينه حاطم فاعمى الله على هذا خبره وقطع من آثار العلماء اثره وصاحب الفقه
والعقل ذو كآبة وحزن وسهر قد تحنك في برنسه وقام الليل في حندسه يعمل
ويخشى وجلا داعيا مشفقا مقبلا على شانه عارفا باهل زمانه مستوحشا من اوثق اخوانه
فشد الله من هذا اركانه واعطاه يوم القيمة امانه الشرح انقسام طلاب
العلم الى هذه الاقسام الثلثة انما يعلم بالاستقراء ولا يبعد ان يقال الدواعي
لهم اما طلب الدنيا او طلب الآخرة وطلب الدنيا اما لغرض التفوق والجاه
او لغرض المال والثروة فبحسب كل واحد من الغايات يحصل قسم واحد
فيحصل اقسام ثلثة بحسب الغاية او يقال مبدا الفعل والتحصيل اما مبدا عقلي او
مبدا نفساني حيواني والمبدا النفساني ينقسم الى ما الغالب عليه اما قوة غضبية
سبعية او قوة شهوية بهيمية فيحصل اقسام ثلثة بحسب المبدا لكن قد يتركب بعض
هذه الدواعي والاغراض ببعض بحيث يعسر التميز منها في الافراد الا لمن كان له مكاشفة
القلوب والبواطن فيعلم في كل واحد من الطلبة منشا ما يصدر منه الافعال والاقوال
وغرضه وداعيه اذا تقرر هذا فلنرجع الى معاني الالفاظ قوله عليه السلم فاعرفوهم
باعيانهم وصفاتهم اي بذواتهم الشخصية ونعوتهم الكلية اذ يمكن معرفة الاشخاص التي
تحت كل صنف من حيث هي كذلك من جهة الاوصاف والعلامات التي لذلك

الصنف قوله عليه السلام صنف يطلبه للجهل المراد به ليس عدم العلم مطلقا ليلزم تحصيل
الحاصل بل المراد مثل الانفة والغضب والشتم ونحوها الذي يصدر من اهل الجاهلية
وفي الحديث ولكن استجهلته الحمية اي حملته على الجهل وفيه ان من العلم جهلا قيل هو ان
يتكلف العالم القول فيما لا يعلمه فيجهله ذلك وفيه انك امرؤ فيك جاهلية قيل وهي الحال
التي كانت عليها العرب قبل الاسلام من الجهل بالله ورسوله وباليوم الآخر والمفاخرة
بالانساب والكبر والتجبر قوله عليه السلام للاستطالة والختل عليه واستطال وتطاول طال م
اذا علاه وترفع عليه وختله وخاتله اذا خدعه ومنه قولهم اختل من ذيب والتختل التخادع
وقوله عليه السلام للفقه والعقل لعله اراد بالاول معرفة الاشياء كما هي وبالثاني التخلق
بالاخلاق الحسنة او العقل العملي او ملكة العلوم المتعلقة بالاعمال او اراد بالاول العلوم
الكلية التصورية والتصديقية وبالثاني الملكة التامة العلمية التي تحصل عقيب التعقلات
والافكار الكثيرة التي يقال لها العقل الاجمالي والعقل البسيط عند طائفة قوله عليه السلام
فصاحب الجهل موذ ممار لخبث باطنه وسبعيته مع قدرته على التكلم فيوذي الخلق
بلسانه كما يوذي السباع والحيات بالاظفار والانياب ويماري مع امثاله
من السفهاء قوله عليه السلام متعرض للمقال في اندية الرجال لان غرضه اظهار
التفوق والغلبة في البحث والجدال وانما يحصل ذلك في المجامع والاندية وهي
جمع النادي وهو مجلس القوم ومتحدثهم ويقال له الندي على فعيل والندوة والمنتدى والمنتدى
ايضا ما داموا يندون اليه اي يجتمعون فاذا تفرقوا فليس بندي ومنه سميت دار
الندوة بمكة التي بناها قصي ع لان قريشا كان يجتمعون فيها للمشورة ثم صار مثلا لكل
دار يرجع اليها ويجتمع فيها وقوله تعالى فليدع نادية يريد عشيرته وانما هم اهل النادي كما يقال

تقوض

تقوّض المجلس قوله عليه السلام بتذاكر العلم وصفة الحلم اي متعلق بقوله للمقال وقوله
قد تسربل بالخشوع وتخلى من الورع تفعل من السربال وهو القميص اي اظهر الخشوع
بالتشبه بالخاشعين والتزيي بزيهم مع خلوه عنه لخلوه عن الورع اللازم له قوله
عليه السلام فدق الله من هذا خيشومه دعا عليه والخيشوم اقصى الانف وكذا
قوله وقطع منه حيزومه والحيزوم والحزيم وسط الصدور وما يضم عليه الحزام قوله عليه السلام
وصاحب الاستطالة والختل ذو خب وملق الخب بكسر الخاء الخدعة و
الجربزة وقد خببت خبا من باب علم وخببه خدعه والخب بفتح الخاء الخداع
الجربز وقد يكسر خاؤه واما المصدر فبالكسر لا غير والملق الود واللطف الشديد
ورجل ملق يعطي بلسانه ما ليس في قلبه قوله فهو لحلوائهم هاضم ولدينه حاطم اي اكل اللذيذة
من مطعوماتهم ويعظمهم من دينه فوق ما ياخذ من مالهم فلا جرم يحطم دينه ويهدم ايمانه
قوله عليه السلام فاعمى الله على هذا خبره وقطع من آثار العلماء اثره دعاء عليه بالاستيصال
بحيث لم يبق عنه خبر ولا اثر عمي عليه الخبر اي خفي مجاز من عمي البصر وهو ذهاب البصر
وعمي عليه الامر التبس وانما دعى عليه السلام على هذين الصنفين من طلبة العلم بالفناء
والاستيصال لانه لا فائدة في وجودهم لهم ولا لغيرهم وضررهم على العلماء المحققين
اكثر من ضرر الكفار المتمردين قوله عليه السلام وصاحب الفقه ذو كآبة اي سوء حال
وانكسار قلب من الحزن فهو كئيب حزين لكثرة خوفه من امر الآخرة وشدة خشيته
لله ولما يلحقه من المشقة والتعب وطول الفكر والسهر ولما يرى من مقاساة
الزمان وشدائد الدوران وجفاء الاقران ونفاق الاخوان الى غير ذلك من
ترفع الجهلة والارذال ورثاثة حال الافاضل والاماثل وسائر اسباب الحزن

لمثله مما لا يخلو الزمان عنها قط قوله عليه السلم قد تحنك في برنسه التحنك التلحي وهو ادارة العمامة
ونحوها من تحت الحنك وتحنيك الميت ادارة الخرقة تحت الحنك والبرنس قلنسوة طويلة
وكان النساك يلبسونها في صدر الاسلام وقد تبرنس اذا لبسه قوله عليه السلم
وقام الليل في حندسه الليل منصوب بنزع الخافض والحندس الليل الشديد الظلمة
والاضافة الى الضمير الراجع الى الليل اما بيانية او بتقدير من قوله عليه السلم يعمل ويخشى
اى ربه على ضد حال المغترين بالعلم من احد الصنفين حيث لا يعملون ويرجون الفلاح
آمنين من مكر الله قوله عليه السلم وجلا داعيا مشفقا اى خائفا من عذاب القيمة متضرعا
اليه تعالى لطلب المغفرة حذرا عن سوء العاقبة وكل من الثلثة منصوب على الحالية
من ضمير الفاعل والاول يحتمل المصدرية قوله عليه السلم مقبلا على شأنه لاصلاح نفسه
وتهذيب باطنه لا كغيره من الذين يقبلون على الناس بالوعظ والنصيحة وقد اهملوا
امر انفسهم واصلاح بواطنهم وقد تلطخت بالرذايل والآثام واعتلت بالامراض
المهلكة والاسقام قوله عليه السلم عارفا باهل زمانه اى باحوال نفوسهم واغراض بواطنهم
لما شاهد من افعالهم واعمالهم الدالة على اخلاقهم واغراضهم قوله عليه السلم مستوحشا
من اوثق اخوانه لاجل ما ذكر من عرفانه باحوال نفوسهم فيعلم ان الاستيحاش منهم خير
من الخلطة معهم والاستيناس بهم وقوله عليه السلم فشد الله من هذا اركانه واعطاه
يوم القيمة امانه دعاء له بالتثبت له على العلم واليقين واحكام اركان الايمان والدين
واعطاء الامن له والامان يوم يقوم الناس لرب العالمين قوله هذا الحديث طريق
آخر للمصنف رحمه الله وهو قوله حدثني به محمد بن محمود ابو عبد الله القزويني عن عدة
من اصحابنا منهم جعفر بن احمد الصيقل بقزوين عن احمد بن عيسى العلوي العمري ثقة من اصحاب

اصحاب

والاستيناس ... (margin)

باب النوادر وهو الباب الرابع عشر

العياشي صه قال ابن داود العياشي هه بالياء المنقطة تحتها والشين المعجمة عن عباد
بن صهيب البصري قال الكشي انه بتري وقال النجاشي انه يكنى ابا بكر التميمي الكليبي اليربوعي
بصري ثقة روى عن ابي عبد الله عليه السلم صه وفي الايضاح جزم بانه ثقة وضبط
الكليبي بالياء المثناة تحتها والباء الموحدة وفي اكثر نسخ صه الكلبي وفي الكشي
ايضا حيث قال ابن صهيب المازني الكلبي بصري من اصحاب الصادق عليه السلم
عامي بتري والاصح الكليبي كما صرح به في الايضاح عن ابي عبد الله عليه السلم الحديث
السادس وهو التاسع والعشرون والمائة علي بن ابراهيم عن ابيه عن محمد بن يحيى
عن طلحة بن زيد قال سمعت ابا عبد الله عليه السلم يقول ان رواة الكتاب كثير
وان رعاته قليل وكم من مستنصح للحديث مستغش للكتاب فالعلماء يحزنهم ترك
الرعاية والجهلاء يحزنهم حفظ الرعاية فراع يرعى حيوته وراع يرعى هلكته فعند ذلك اختلف
الراعيان وتغاير الفريقان الشرح الرعاة جمع الراعي والرعي في الاصل مصدر
رعت الماشية ويقال الراعي للوالي والرعية العامة وفي الحديث كلكم راع
وكلكم مسئول عن رعيته ورعيت الامر نظرت الى ما يصير ورعيته لاحظته
ورعيته من مراعاة الحقوق استنصحه عده نصيحا وكل شيء خلص فقد نصح والمستنصح
للحديث المهذب له عن الغلط والتصحيف واللحن وغيرها من عيوب اللفظ وغشه
غشا فهو مغشوش اى مخلوط ولبن مغشوش اى مخلوط بالماء ودرهم مغشوش
والاستغشاش خلاف الاستنصاح والحزن خلاف السرور واحزنه غيره وحزنه ايضا
مثل اسلكه وسلكه وكذا يحزنه ويحزنه بضم الياء وكسر الزاي او بفتح الياء وضم الزاء
بمعنى واحد يعني ان رواة الكتاب وحملة الاسفار كثيرة وان رعاته وهم المتأملون

فى معناه العاملون بمؤداه قليلة والى مثله اشار تعالى فى قوله مثل الذين حملوا التورية
ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا اى حملوا صورة الفاظها وما يتعلق بالالفاظ من نكات
الفصاحة ودقايق البلاغة وصنايع فن الكلام ولم يحملوا حقايق معانيها وما لاجله غرض
الانزال والتنزيل فرب مستنصح للحديث اى معتن بتصحيحه وتلخيصه عن السقم والغلط
وهو مستغش لمعناه مخلط له بالباطل من عقايده وجهالاته ووضع ههنا المظهر موضع
المضمر للاشعار بان هذا شانه بالنسبة الى الكتاب مطلقا سواء كان
من كتب الحديث او غيره ويحتمل ان يكون المراد بالكتاب القرآن فان
كثيرا من اهل الحديث رواية وحفظا وتصحيحا يحفظون القرآن ولا يرعون حق
رعايته بل يتركونه مغشوشا وقد يفهمون من ظاهر الفاظ الحديث معانى
واحكاما خلاف ما فى القرآن لجهلهم بمعنى الآيات القرآنية وبالتوفيق بينهما
قوله عليه السلم فالعلماء يحزنهم ترك الرعاية لان همومهم وقصودهم فى تعلم الحديث
مقصورة على التفهم متعلقة بالتفقه فى الدين وسلوك منهج اليقين والوصول
الى اقصى منازل القرب والتخلص من ورطة الهلاك وعذاب البعد
والجحيم فلا جرم يحزنهم ترك الرعاية ويغمهم عدم الفهم وفقد العمل ولا يحزنهم ترك
الرواية ولا ترك ضبط الالفاظ وحفظ صورها اذ لا يهمهم ذلك الا تبعا
قوله عليه السلم والجهلاء يحزنهم حفظ الرواية هكذا فى اكثر النسخ وفى بعضها الرعاية
بدل الرواية ولعل المراد منه انه يهمهم حفظ الرواية ويحزنهم ما يتعلق بها من ترك
الحفظ ونحوه او يكون على حذف المضاف او يكون المعنى ان حفظ الرواية
يؤدى الى حزنهم فى العاقبة ويحتمل ان يكون يحزنهم بالحاء المعجمة والياء المنقوطة
تحتها

تحتها نقطتين اى الجهال اذا حفظوا الرواية دون الرعاية فذلك مما يوجب خزيهم وبوارهم
يوم القيمة قوله عليه السلم فراع يرعى حيوته يعنى ان الراعى على ضربين احدهما راع يرعى
حيوته الاخروية فانه فى علومه واحواله واقواله وافعاله يقصد الآخرة ويسلك
سبيل الهدى ويحافظ على التقوى والآخر راع يرعى هلكته اى ما يوجب هلاكه
وبه عذابه فى الآخرة لانه يقصد فيما يدركه او يقوله او يفعله غرض الدنيا وهوى النفس
واستجلاب الخلق ومراعاة العزة عند الناس وطلب الرياسة والتقرب
الى السلاطين والتشبه بهم فى الملابس والمراكب وغير ذلك من المهلكات
وقوله عليه السلم فعند ذلك اختلف الراعيان الفريقان يعنى فى الآخرة التى يظهر
وتبرز البواطن وتكشف الاغطيه ويرفع الحجب الجسمية تخالف الذاتان وتغاير
النوعان لا فى الدنيا فانها دار يتشابه فيها المتضادان ويتلابس فيها الخصمان وتوضيح
هذا المرام ان الاختلاف بين الانواع المختلفة الذوات قد يكون امورا حسية كالاختلاف
بين انواع الحيوان والنبات وغيرها من انواع النفوس والعقول والانسان
لما كانت هويته وذاته مركبة من ظاهر محسوس وباطن مستور فهو بحسب ظاهره ومحسوسه
نوع واحد متماثل الافراد واما بحسب باطنه الذى يكون فى اول الامر شيئا هيولانيا
بالقوة ثم يخرج من القوة الى الفعل فى الاحوال والملكات النفسانية فى جانبى الخيرات
والشرور فيصير انواعا مختلفة الذوات متضادة الصفات لان تلك الاحوال
اذا اشتدت وتاكدت وتجوهرت تصير فصولا ذاتيا وصورا اخروية فاذا
قامت القيمة وبعث من فى القبور وحصل ما فى الصدور يحشر الانسان انواعا
كثيرة مختلفة منه ملك عقلى ومنه شيطان او سبع او بهيمية فالانسان من بهيمة

حيث ظاهره ووجوده الطبيعي نوع واحد ومن حيث باطنه انواع كثيرة اذا تقرر ما ذكرناه
تبين ما رامه عليه السلم بقوله وعند ذلك اختلف الراعيان وتغاير الفريقان وفي القرآن
آيات كثيرة مشيرة الى هذا المعنى كقوله تعالى يومئذ يتفرقون وقوله فهم يوزعون و
قوله حتى يميز الخبيث من الطيب وقوله ذلك يوم الفصل وغير ذلك الحديث السابع
وهو الثلثون والمائة الحسين ابن محمد الاشعري عن معلى بن محمد البصري با آبا ابو الحسن
مضطرب الحديث والمذهب وقال ابن الغضائري المعلى بن محمد البصري ابو محمد
يعرف حديثه وينكر ويروي عن الضعفاء ويجوز ان يخرج شاهدا انتهى في الفهرست
والنجاشي له كتب انتهى عنه الحسين بن محمد بن عامر الاشعري عن محمد بن جمهور العمي عربي بصري
غال ضعيف في الحديث فاسد المذهب وقيل فيه اشياء الله اعلم بها روى
عن الرضا عليه السلم له كتب عنه ابنه الحسن كذا في النجاشي وقال في صه ضعيف في المذهب
فاسد في الرواية لا يلتفت الى حديثه ولا يعتمد على ما يرويه عن عبد الرحمن بن ابي نجران
عمن ذكره عن ابي عبد الله عليه السلم قال من حفظ من احاديثنا اربعين حديثا بعثه الله
يوم القيمة عالما فقيها الشرح هذا الحديث مشهور مستفيض بين الخاصة والعامة
بل قال بعضهم متواتر وقد رواه اصحابنا بطرق كثيرة مع اختلاف في اللفظ فمنها ما رواه
محمد بن علي بن بابويه القمي اعلى الله درجتهم عن احمد بن محمد عن ابيه عن علي بن اسمعيل عن
عبيد الله بن عبد الله عن موسى بن ابراهيم المروزي عن الكاظم موسى بن جعفر عليهما السلم
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من حفظ على امتي اربعين حديثا مما يحتاجون
اليه في امر دينهم بعثه الله عز وجل يوم القيمة فقيها عالما ومنها ما رواه هو ايضا
مرفوعا عن ابي الحسن عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من حفظ من
امتي

امتي اربعين حديثا فيما يحتاجون في امر دينهم بعثه الله عز وجل فقيها ومنها ما رواه في
كتاب الخصال ايضا مرفوعا عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال من حفظ
من امتي اربعين حديثا من السنة كنت له شفيعا يوم القيمة ومنها ما رواه ابو جعفر
محمد بن علي بن بابويه ايضا رفعه عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من حفظ
عني من امتي اربعين حديثا في امر دينه يريد به وجه الله عز وجل والدار الآخرة بعثه الله
يوم القيمة فقيها عالما ومنها ما روى ايضا رحمه الله عن حنان بن سدير قال سمعت ابا
عبد الله عليه السلم يقول من حفظ عنا اربعين حديثا من احاديثنا بعثه الله يوم القيمة
فقيها عالما ولم يعذبه ومنها ما رواه ايضا محمد ابن علي بن بابويه قال حدثنا علي بن
احمد بن موسى الدقاق والحسين بن ابراهيم بن احمد بن هشام المكتب ومحمد بن
احمد السناني قالوا حدثنا موسى بن عمران النخعي عن عمه الحسين بن يزيد عن اسمعيل
بن فضل الهاشمي واسمعيل بن ابي زياد جميعا عن جعفر بن محمد عن ابيه محمد
بن علي عن ابيه علي بن الحسين عن ابيه الحسين بن علي عليهم السلم قال ان رسول
الله صلى الله عليه وآله اوصى امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهما السلم فيما كان
اوصى به ان قال يا علي من حفظ من امتي اربعين حديثا يطلب بذلك وجه الله
عز وجل والدار الآخرة حشره يوم القيمة مع النبيين والصديقين والشهداء و
الصالحين وحسن اولئك رفيقا ونرجع الى الشرح قوله من حفظ قيل الظاهر
ان المراد منه الحفظ عن ظهر القلب فانه هو المتعارف المعهود في الصدر السالف
فان مدارهم كان على النقش في الخواطر لا على الرسم في الدفاتر حتى منع بعضهم
من الاحتجاج بما لم يحفظه الراوي عن ظهر القلب وقد قيل ان تدوين الحديث من المستحدثات

في المائة الثانية من الهجرة ولا يبعد ان يراد بالحفظ الحراسة عن الاندراس كما يعم
الحفظ عن ظهر القلب والكتابة والنقل من الناس ولو من كتاب وامثال
ذلك وقد يقال المراد بحفظ الحديث تحمّله على احد الوجوه الستة المقرّرة في
الاصول اعني السماع من الشيخ والقراءة عليه والسماع حال قراءة الغير والاجازة
والمناولة والكتابة وبعده ظاهرا اقول انّ للحفظ مراتب كثيرة وانّ مجامعها
ثلثة احدها حفظ صور الالفاظ على اقسامها المذكورة سواء كانت في الخيال
او في الكتابة وثانيها حفظ معانيها الاوّلية ومدلولاتها التي يصل اليها اكثر افهام
الناس وثالثها حفظ معانيها العقلية وحقايقها العرفانية ولكلّ من الحفظ استحقاق
اجر وثواب على حسب مقامه في الحفظ اذا ثبت هذا فنقول الظاهر عند من
له بصيرة قلبية ينظر الى الاشياء بنور تلك البصيرة انّ المراد بحفظ الاحاديث
ههنا الذي يستحق بها الانسان ان يبعثه الله تعالى يوم القيمة عالما فقيها هو الحفظ
بالمعنى الثالث واما غير ذلك من اقسام الحفظ فلا يبعد ان يترتب عليه
اجر وثواب ولكن ثوابه من قبيل ثواب الاعمال البدنية ونحوها ان كان
مع قصد التقرب سنزيدك ايضاحا لهذا المطلب انشاء الله وفي رواية
من حفظ على امتي الظاهر انّ على بمعنى اللام اي حفظ لاجلهم كما قالوه في قوله
تعالى ولتكبّروا الله على ما هديكم اي لاجل هدايته اياكم ويحتمل ان يكون بمعنى
من كما قيل في قوله تعالى اذا اكتالوا على الناس يستوفون ويؤيده ما في بعض
الروايات من حفظ من امّتي قوله عليه السلم من احاديثنا اي الاحاديث
التي اخذت منّا اهل البيت وفيه اشارة الى انّ تلك الاحاديث مما فيه
زيادة

ره
وامثال

زيادة اختصاص مع فضيلة وشرف ليس في غيرها مما روته العامة ويؤيد هذا
ما رواه الصدوق عن ابي عبد الله عليه السلم انه قال حديثنا صعب مستصعب
لا يحتمله الا ملك مقرب او نبي مرسل او عبد امتحن الله قلبه للايمان والحديث
في اللغة يرادف الكلام سمّي به لانه يحدث شيئا فشيئا وفي اصطلاح
عامة المحدثين كلام خاص عن النبي او الامام او الصحابي او التابعي ومن يحذو حذوه يحكي
قولهم او فعلهم او تقريرهم وعند بعض المحدثين لا يطلق اسم الحديث الا على
ما كان عن المعصوم عليه السلم قوله عليه السلم اربعين حديثا ربما تردد الذهن في
انّ هذه الاحاديث من اي باب من الامور فيحتمل عنده ان يكون مطلقا كانت
في الامور الدينية كالاعتقادات والعبادات او في الدنيوية كالتي وردت
في توسعة الرزق وفي الاطعمة والاشربة لانّ الجميع مشتركة في انتسابها الى
صاحب الشرع ولامكان التوسل بها الى تحصيل الآخرة والحق انّ المراد ما تدعوا
اليه الحاجة الدينية لا الدنيوية لما ورد في بعض الروايات مما يحتاجون اليه من
امر دينهم ولما اشرنا اليه ولعل الوجه في تعيين عدد الاربعين من جهة نور الاستبصار
على وجه التقريب لا على التعيين لانّ ذلك غير ممكن الا باقتباس نور من مشكوة
النبوة والعصمة هو انّ الانسان متى تعلّم واكتسب من المسائل الدينية التي
بعضها علمية كالعلم بالله وتوحيده وآياته وملئكته وكتبه ورسله وبالنبوة والامامة
والشريعة وبالقيمة والقبر والبعث والكتاب والصراط والميزان والجنة ونعيمها
والنار وجحيمها وبعضها عملية خلقية كالعلم بمحاسن الاخلاق ومنجياتها من العلم
والحلم والتوكل والصبر والشكر والعفة والرضا بقضاء الله والشوق الى الآخرة

ره
لا يطلق

ره
الدنيوية

صح ره
الاطعمة

صح ره
عملية

وغير ذلك وبمساوي الملكات الردية كالجهل والتكبر والغضب والتجبر والرعونة والعجب
والرياء وحب الدنيا واليأس عن الآخرة والامن من مكر الله واشباه ذلك
وكمسائل الصلوة والزكوة والصيام والحج والجهاد وواجباتها ومندوباتها وآداب
المعاشرة والمناكحة والمواخاة والمسافرة والمتاجرة وامثال هذه الامور ونحو
هذا العدد او ما يقرب به واحتفظ بها في ذهنه وعمل بموجبها فعند ذلك تحصل للنفس ملكة
علمية نورانية وللقلب قوة بصيرة كشفية باطنية يقتدر بها على استحضار غيرها من
المعلومات فيبعث يوم القيمة في زمرة العلماء الربانيين والفقهاء العارفين ومما
يؤيد ما ذكرناه في تتمة الحديث المنقول آنفاً بطريق اهل العصمة عليهم السلم عن رسول
الله صلى الله عليه وآله فيما اوصى به امير المؤمنين عليه السلم وهي بعد قوله صلى الله عليه
وآله وحسن اولئك رفيقا بهذه العبارة فقال علي عليه السلم يا رسول الله ما هذه
الاحاديث فقال ان يؤمن بالله وحده لا شريك له ويعبده ولا يعبد غيره ويقيم
الصلوة بوضوء سابغ في مواقيتها ولا يؤخرها فان في تأخيرها من غير علة غضب الرب
عز وجل ويؤدي الزكوة ويصوم شهر رمضان ويحج البيت اذا كان لك مال وكنت
مستطيعا وان لا تعق والديك ولا تأكل مال اليتيم ظلما ولا تأكل الربوا ولا تشرب الخمر
ولا شيئا من الاشربة المسكرة وان لا تزني ولا تلوط ولا تمشي بالنميمة ولا تحلف
بالله كاذبا ولا تسرق ولا تشهد شهادة الزور لاحد قريبا كان او بعيدا وان
تقبل الحق ممن جاء به صغيرا كان او كبيرا وان لا تركن الى الظالم وان كان حميما قريبا وان
لا تعمل بالهوى ولا تقذف المحصنة ولا ترائي فان ايسر الرياء شرك بالله عز وجل
وان لا تقول لقصير يا قصير ولا لطويل يا طويل تريد بذلك عيبه وان لا تسخر من خلق الله

وان تقهر

وان تصبر على البلاء والمصيبة وان تشكر نعم الله التي انعم بها عليك وان لا تأمن
عقاب الله على ذنب تصيبه وان لا تقنط من رحمته وان تتوب الى الله عز و
جل من ذنوبك فان التائب من ذنوبه كمن لا ذنب له وان لا تصر على الذنوب
مع الاستغفار فيكون كالمستهزئ بالله وآياته ورسله وان تعلم ان ما اصابك
لم يكن ليخطئك وان ما اخطاك لم يكن ليصيبك وان لا تطلب سخط الخالق برضاء
المخلوق وان لا تؤثر الدنيا على الآخرة وان تؤثر الآخرة على الدنيا لان الدنيا فانية
والآخرة باقية وان لا تبخل على اخوانك مما تقدر عليه وان تكون سريرتك كعلانيتك
وان لا تكون علانيتك حسنة وسريرتك قبيحة فان فعلت ذلك كنت من
المنافقين وان لا تكذب ولا تخالط الكذابين وان لا تغضب اذا سمعت حقا
وان تؤدب نفسك واهلك وولدك وجيرانك على حسب الطاقة وان تعمل
بما علمت ولا تعاملن احدا من خلق الله عز وجل الا بالحق وان تكون سهلا
للقريب والبعيد وان لا تكون جبارا عنيدا وان تكثر من التسبيح والتهليل
وذكر الموت وما بعده من القيمة والجنة وان تكثر من قراءة القرآن وتعمل بما
فيه وان تستغنم البر والكرامة بالمؤمنين والمؤمنات ولا تمل من فعل الخير وان
تنظر الى ما لا ترضى فعله لنفسك فلا تفعله باحد من المؤمنين ولا تثقل على احد ولا
تمن على احد اذا انعمت عليه وان تكون الدنيا سجنا عندك حتى يجعل الله لك
جنة فهذه اربعون حديثا من استقام عليها وحفظها عني من امتي دخل الجنة
برحمة الله وكان من افضل الناس واحبهم الى الله عز وجل بعد النبيين والصديقين
وحشره الله يوم القيمة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن

اولئك رفيقا قوله عليه السلم بعثه الله يوم القيمة عالما فقيها قد علمت فيما سبق ان المراد
بالفقيه عند الاوايل وفي الصدر الاول هو ما ذا وان الذي يتعارف عند الناس
الآن من العلم بالاحكام الشرعية العملية عن ادلتها التفصيلية اصطلاح مستحدث
وان الفقه اكثر ما يأتي في الحديث بمعنى البصيرة في امر الدين وان الفقيه صاحب
هذه البصيرة سواء كانت موهبية كما في الانبياء عليهم السلم وضرب من الاولياء
او كسبية كما في غيرهم من ذوي البصاير واليه الاشارة في قوله صلى الله عليه وآله
لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله وحتى يرى للقرآن وجوها
كثيرة ثم يقبل على نفسه فيكون لها اشد مقتا فعلى هذا يظهر كل الظهور ان المراد بالحفظ
المذكور في هذا الحديث ليس مجرد حفظ اللفظ كما توهمه بعض الاعلام حيث قال الظاهر
من قوله صلى الله عليه وآله من حفظ ترتب الاجر على مجرد حفظ لفظ الحديث وان معرفة
معناه غير شرط في حصول الثواب اعني البعث يوم القيمة فقيها عالما وهو غير
بعيد فان الفاظ الحديث طاعة كحفظ الفاظ القرآن وقد دعا عليه السلم لناقل
الحديث وان لم يكن عالما بمعناه كما يظهر من قوله صلى الله عليه وآله رحم الله
امرأ سمع مقالتي فوعاها فاداها كما سمعها فرب حامل فقه ليس بفقيه ورب
حامل فقه الى من هو افقه منه ولا يبعد ان يندرج يوم القيمة بمجرد حفظ اللفظ
في زمرة العلماء فان من تشبه بقوم فهو منهم انتهى كلامه لانا نقول ليس فيما
نقله من الحديث دلالة الا على كون الحافظ للحديث مرحوما لا على ان له في القيمة
درجة العلماء والثاني هو المبحوث عنه دون الاول واما قوله حفظ الفاظ الحديث
طاعة فعلى تقدير تسليمه وذلك عند سلامته عن الاغراض الدنيوية والآفات
النفسانية

النفسانية كان اجره كاجر ساير الطاعات البدنية كما مر واما قوله من تشبه بقوم
فهو منهم فعلى تقدير اجرائه في كل نوع من التشبه فلا نسلم ان التشبه ههنا متحقق
فان العلم ونحوه من الامور العقلية الباطنية وان التشبيه بالعالم بمجرد حفظ
الفاظ مسموعة ثم ان الله تعالى قد ذم في كتابه حملة الالفاظ دون المعاني وشبههم بالحمار
الذي يحمل الاسفار في قوله تعالى مثل الذين حملوا التورية الآية وايضا قال تعالى
من كان في هذه اعمى واضل سبيلا وهو عمى القلب لا عمى العين وذلك العمى
هو الجهل بالمعارف الدينية وهو لا يزول بمجرد حفظ صور الالفاظ والاقوال دون
ادراك المعاني والاحوال وبالله التوفيق الحديث الثامن وهو الحادي والثلثون
والمائة عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد عن ابيه عمن ذكره عن زيد الشحام
عن ابي جعفر عليه السلم في قول الله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه قال قلت ما طعامه
قال علمه الذي يأخذه عمن يأخذه الشرح لما علمت ان الانسان مركب من
جوهرين احدهما ظاهر محسوس هو بدنه الذي به يشارك ساير الحيوانات في الاكل
والشرب والتناكح ويحيى ويموت كساير انواع الحيوان والآخر باطن مستور عن
الحواس ثابت بالعقل والقياس وهو نفسه الناطقة التي هي لطيفة نورانية
بها يمتاز عن غيره من انواع جنسه فيعقل ويفكر ويدري في العاقبة من شأنه ان
يبقى بعد البدن ولا يموت بموته اما سعيدا او شقيا فاعلم انه كما ان للبدن صحة
ومرضا وغذاء يتقوت به ويتقوى ويزيد جثته فكذلك للنفس الناطقة المسماة
بالقلب بلسان الشريعة صحة ومرض كما قال تعالى الا من اتى الله بقلب سليم و
قال في قلوبهم مرض وموت هو موت الجهل وحيوة هي حيوة العلم ونور المعرفة كما

اشار اليه بقوله تعالى أَوَمَن كان ميتاً فاحييناه الآية وقوله تعالى انك لا تسمع الموتى
وغير ذلك من الآيات ولها ايضا غذاء يتغذى به فيتقوى به ذاتها وتكمل و
تخرج من القوة الى الفعل ومن الضعف والنقص الى القوة والكمال وغذاء كل
شيء ما يكون من جنسه وكل غذاء يشبه المغتذى به فغذاء الجسم بالجسم وغذاء
العقل بالعقل وهو المعقول بذاته ولما كانت انسانية الانسان وما به حقيقة
ذاته هو جوهره العقلي الذي هو في الاول الامر عقل بالقوة ويقال له العقل الهيولاني
لانه جوهر ناقص في باب العقل والمعقول كما ان الجنين جوهر حيواني ناقص في باب
الحيوانية وانما يصير حيوانا بالفعل تام الخلقة في الحيوانية بورود الاغذية الصالحة
حتى يزيد في قدره اللائق ويكمل في ذاته كذلك العقل بالقوة يخرج من حد النقص
الى حد الكمال العقلي بورود اغذية عقلية واطعمة صالحة مناسبة له شبيهة به وانما
هي العلوم الحقيقية والتصورات العقلية فاذا تقرر هذا فيكون معنى قوله فلينظر الانسان
الى طعامه ما ذكره عليه السلم اذ الانسان من حيث هو انسان شيء غير الحيوان
بما هو حيوان وغير الانسان من حيث هو حيوان فاذا اطلق وقيل الانسان نظر
الى كذا او فعل كذا فالاصل والظاهر ان يكون المراد به ذاته المخصوصة على وجه المخصوص
لا على الوجه الاعم الا لمانع من جهة ما ينسب اليه من الفعل او الصفة او غيرهما كما
يقال الانسان ماش او اسود وههنا ليس كذلك لان الطعام ما يتغذى به
وهو اعم من الجسماني والروحاني كما في قوله صلى الله عليه وآله ابيت عند ربي يطعمني
ويسقيني ومعلوم ان طعامه صلى الله عليه وآله عند الرب الذي يطعمه الرب
ليس من جنس طعام الحيوانات اللحمية ولا شرابه من هذه الاشربة وانما المراد

بهاطعام

بها طعام العلم وشراب المحبة فاذاً الانسان بما هو جوهر عاقل ليس غذاؤه وطعامه
الا العلم والمعرفة واذا كان كذلك فصح ان يكون معنى الآية فلينظر الانسان الى
طعامه فليلاحظ علمه الذي يأخذه عمن يأخذه اي ينبغي ان يأخذ علمه من النبي والامام
عليهم السلم لانه بمنزلة الصبي في اوان اكتسابه للعلم الذي هو غذاء روحه وهما بمنزلة
الابوين فكما لا يجوز للولدان يأخذ رزقه من غير ابويه بالتغذي ونحوه فكذلك لا يجوز للمسلم
الشيعة ان يأخذ علمه من غير كتاب الله والعترة كما في قوله صلى الله عليه وآله اني تارك
فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي الحديث التاسع وهو الثاني والثلثون والمائة محمد
بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى عن علي ابن النعمان الاعلم النخعي ابو الحسن مولاهم كوفي
روى عن الرضا عليه السلم واخوه داود اعلى منه وابنه الحسن بن علي وابنه احمد
رويا الحديث وكان علي ثقة وجها ثبتا صحيحا واضح الطريقة صه قال النجاشي له كتاب عنه
ابن ابي الخطاب عن عبد الله بن مسكان عن داود بن فرقد عن ابي سعيد الزهري
مجهول عن ابي جعفر عليه السلم قال الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في
الهلكة وتركك حديثا لم تروه خير من روايتك حديثا لم تحصه الشرح اقتحم الانسان
الامر العظيم وتقحمه اذا رمى نفسه فيه من غير روية وتثبت وفي الحديث اني آخذ
بحجزكم عن النار وانتم تقحمون فيها اي تقعون فيها لم تحصه من الاحصاء وهو العد
والحفظ ومن اسماء الله تعالى المحصي وهو الذي احصى كل شيء بعلمه واحاط به
فلا يفوته دقيق منها ولا جليل ومنه ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها
دخل الجنة اي من احصاها علما بها وايمانا وقيل احصاها اي حفظها على قلبه وفي الحديث
اكل القرآن احصيت اي حفظت وقوله للمرأة احصيها حتى نرجع اي احفظيها ومعنى الحديث

ظاهر غني عن الشرح وفي وصايا امير المؤمنين لابنه الحسن عليهما السلم ودع القول فيما لا تعرف
والخطاب فيما لا تكلف وامسك عن طريق اذا خفت ضلالته فان الكف عند حيرة
الضلال خير من ركوب الاهوال وقال ايضاً عليه السلم فيها واترك كل شايبة اولجتك
في شبهة او اسلمتك الى ضلال فاذا ايقنت ان قد صفى قلبك فخشع وتم رايك فاجتمع
وكان همك في ذلك هماً واحداً فانظر فيما فسرت لك وان انت لم يجتمع لك ما تحب
من نفسك وفراغ نظرك وفكرك فاعلم انك انما تخبط العشوا وتتورط الظلما وليس
طالب الدين من خبط ولا من خلط والامساك عن ذلك امثل فتفهم يا بني الحديث

العاشر وهو الثالث والثلثون والمائة محمد عن احمد عن ابن فضال عن ابن
بكير مجهول عن حمزة بن الطيار روى الكشي عن حمدويه وابراهيم عن محمد بن عيسى عن
ابن ابي عمير عن هشام بن الحكم عن ابي عبد الله عليه السلم الترحم عليه بعد موته والدعا
له بالنضرة والسرور وانه كان شديد الخصومة عن اهل البيت عليهم السلم ومحمد بن عيسى
وان كان فيه قول ولكن الارجح عندنا قبول روايته ثم الذي قاله الكشي حمدويه وابراهيم
عن محمد بن عيسى عن يونس عن ابي جعفر عن ابي عبد الله عليه السلم قال ما فعل ابن
الطيار فقلت توفي فقال رحمه الله ادخل الله عليه الرحمة ونضرة فانه يخاصم عنا اهل
البيت فضالة بن جعفر عن ابان عن حمزة بن الطيار ان ابا عبد الله عليه السلم اخذ بيدي
ثم عد الائمة اماماً اماماً حتى انتهى الى ابي جعفر فكف فقلت جعلت فداك لو فلقت رمانة
فاحللت بعضها وحرمت بعضها لشهدت ان ما حرمت حرام وما احللت
حلال فقال حسبك ان تقول بقوله وما انا الا مثلهم لي ما لهم وعلي ما عليهم فان اردت
ان تجي يوم القيمة مع الذين قال الله تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم فقل بقوله انه

عرض

العشوا الناقة التي لا تبصر امامها فهي تخبط بيديها كل شيء وركب فلان العشواء اذا خبط امره على غير بصيرة وفلان خابط خبط عشواء صح
محمد باقر

عرض على ابي عبد الله عليه السلم بعض خطب ابيه حتى اذا بلغ موضعاً منها قال
كف واسكت ثم قال ابو عبد الله عليه السلم لا يسعكم فيما ينزل بكم مما لا تعلمون الا
الكف عنه والتثبت والرد الى ائمة الهدى حتى يحملوكم فيه على القصد ويجلوا عنكم
فيه العمى ويعرفوكم فيه الحق قال الله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
الشرح القصد من الامور المعتدل الذي لا يميل الى احد طرفي التفريط والافراط
وفيه القصد القصد تبلغوا اي عليكم بالقصد من الامور في القول والفعل وهو الوسط
بين الطرفين وهو منصوب على المصدر المؤكد وتكراره للتاكيد وجلى الشيء وتجلى
اي وضح وانكشف وجلوته اذا كشفته والجلاء بالفتح والقصر الاثمد لانه يجلو البصر وقيل
بالكسر والمد او بالفتح ضرب من الكحل والجلا الامر الجلي وجلوت السيف جلاء صقلته
اعلم انه كما ان القران منه ما هو محكم ومنه ما هو متشابه ما قيل لا يعلم تاويله الا الله
والراسخون في العلم كذلك في احاديث النبي والائمة عليهم السلم وخطبهم ورسائلهم
قد توجد الفاظ متشابهة ماولة ليس لجمهور الناس ان يتكلموا فيها ولا لهم رخصة
ان يحكموا فيها وعليها بحكم من عند انفسهم الا من خصه الله بعلم من لدنه وهو على بينة
من ربهم وانما شانهم الكف عن الخوض فيها والسكوت عن الكلام على غير بصيرة
والرد في علمها على الائمة المعصومين عليهم السلم عن الزيغ والخطاء حتى يحملوهم من بعض وجوهها
ما يطيقون حملها ويسع اذهانهم فهمها على وجه الاقتصاد في الاعتقاد ويحجزوهم عن
الوقوع في الشبهات والتورط في الهلكات والتخبط خبط عشوات ويجلوا
عن عيون قلوبهم عمى الجهالة وكمه الضلالة ويعرفوهم فيها وجه الحق الذي يحتملونه وجهة
الضيق التي يطيقونها والمراد باهل الذكر الذين مر في الامر في هذه الاية بسؤالهم

في المجهولات المعضلات هم اصحاب المكاشفات الذين يمكنهم استفاضة العلم
من عالم الذكر الحكيم اعني اللوح المحفوظ اما بالاستقلال كالنبي صلى الله عليه وآله
او بمتابعته كاهل بيته عليهم السلم الحديث الحادي عشر وهو الرابع والثلثون والمائة
علي بن ابرهيم عن ابيه عن القاسم بن محمد عن المنقري وهو سليمان ابن داود
المنقري وقد مر ذكره عن سفيان بن عيينة قال سمعت ابا عبد الله عليه السلم يقول
وجدت علم الناس كله في اربع اولها ان تعرف ربك والثاني ان تعرف ما صنع
بك والثالث ان تعرف ما اراد بك والرابع ان تعرف ما يخرجك عن دينك
الشرح الوجه في هذا الانحصار ان العلوم الحقيقية التي لا تتغير بتغير الازمنة واتفقت
الاديان عليها ولا خلاف لاحد من اهل الحق فيها اما الغاية فيها مجرد العلم او العمل
بموجبه والاول اما متعلق باحوال المبدا او باحوال المعاد والثاني اما المطلوب فيه
اقتناء فضيلة او اجتناب رذيلة فهذه اربعة اقسام فقوله عليه السلم اولها ان
تعرف ربك اشارة الى اول قسمي الحكمة النظرية من العلوم العقلية ويندرج
فيه البحث عن معرفة ذات الله و وحدانيته ومعرفة صفاته العليا واسمائه
الحسنى ومعرفة آثاره وافعاله وقضائه وقدره وقوله عليه السلم والثاني
ان تعرف ما صنع بك اشارة الى ثاني قسمي الحكمة النظرية ويندرج فيه معرفة
النفس واحوالها ومقاماتها ومعرفة ما يعود اليه وينشأ منها وكيفية نشو الآخرة
من الدنيا ومعرفة القبر والبعث والصراط والحساب والميزان والثواب والعقاب
والجنة والنار فان جميع هذه الامور مما صنعه الله تعالى بالنفس الانسانية وفيها
ومنها وليس شيء منها خارج عن ذات النفس وقوله عليه السلم والثالث ان تعرف
ما اراد بك

ما اراد بك اشارة الى اول قسمي الحكمة العملية منها ويندرج فيها معرفة جميع الفضائل
النفسانية ليمكن اكتسابها وهي المنجيات من الاخلاق والملكات كالعلم
والكرم والجود والشجاعة والعفة والتوبة والصبر والشكر والتوكل والرضا
وما يجري مجراه وقوله عليه السلم والرابع ان تعرف ما يخرجك عن دينك اشارة
الى ثاني قسمي الحكمة العملية ويندرج فيه معرفة الرذائل النفسانية ليمكن التبري
عنها وهي اما اضداد تلك الفضائل او اضدادها فالاول كالجهل البسيط والطول
والبلاهة والجبن ونحوها والثانية كالجهل المركب والفجور والمكر والتهور والحرص
والعصبية والعناد والكبر والعجب والحسد وغير ذلك ومن اجتمعت فيه هذه
الفضائل وطهرت نفسه عن تلك الرذائل صار ملكا في صورة بشر بل كاد ان
يصير انسانا الهيا تحل طاعته بعد طاعة الله الحديث الثاني عشر وهو الخامس
والثلثون والمائة علي بن ابرهيم عن ابيه عن ابن ابي عمير عن هشام بن سالم
قال قلت لابي عبد الله عليه السلم ما حق الله على خلقه فقال ان يقولوا ما يعلمون
ويكفوا عما لا يعلمون فان فعلوا ذلك فقد ادوا الى الله حقه الشرح لعل المراد
من حق الله ميثاقه تعالى على اهل العلم والكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق
الحديث الثالث عشر وهو السادس والثلثون والمائة الحسين بن الحسن الظاهر
انه الحسني الاسود فاضل يكنى ابا عبد الله رازي عن محمد بن زكريا الغلابي مولى
بني غلاب بالغين المعجمة واللام المخففة والباء المنقطة تحتها نقطة ابو عبد الله
بن زكريا بن دينار وبنو غلاب قبيلة بالبصرة من بني نضر بن معوية قيل ليس في
غير البصرة منهم احد وكان هذا الرجل وجها من وجوه اصحابنا بالبصرة وكان اخباريا

الحسين

[illegible]

واسع العلم وصنّف كتباً كثيرة ومات سنة ثمان وتسعين ومائتين عن ابن عائشة البصري رفعه انّ امير المؤمنين عليه السّلم قال في بعض خطبه ايّها الناس اعلموا انّه ليس بعاقل من انزعج من قول الزّور فيه ولا بحكيم من رضي بثناء الجاهل عليه الناس ابناء ما يحسنون وقدر كلّ امرئ ما يحسن فتكلّموا في العلم تبيّن اقداركم الشرح ازعجه اي اقلعه وقلعه من مكانه وانزعج بنفسه ولم يستقرّ وفي رواية انس رأيت عمر يزعج ابابكر ازعاجا يوم السّقيفة اي يقيمه ولا يدعه يستقرّ حتّى بايعه والزّور الكذب والباطل والتّهمة وكلّ شيء يتّخذ ربّاً من دون الله وشهادة الزّور وهي من الكباير وفي الحديث عدلت شهادة الزّور الشّرك بالله وانّما عادلته لقوله تعالى والّذين لا يدعون مع الله الهاً آخر ثمّ قال بعده والّذين لا يشهدون الزّور والمعنى انّ العاقل من لا يزعجه قول الزّور ولا يحزنه افتراء المفترين في حقّه وانّ الحكيم من لا يرضي نفسه بثناء الجاهل عليه اذ العاقل الحكيم يعلم انّ الاوّل لا ينقص من كماله ان كان شيئاً ولا يقدح في فضله بشيء والثاني لا يزيد عليه كمالاً لم يكن ولا يفيده شرفاً وكرامة لم يحصل بل الكريم من اكرمه الله والذّليل من اذلّه الله وقوله عليه السّلم الناس ابناء ما يحسنون يعني انّ الانسان لا يصير سعيداً او لا شقيّاً الّا بما يكتسبه او يكسبه لنفسه لنفسه فالناس كانّهم اولاد انفسهم بحسب ما يصنعون ويعدّونه حسناً وقدر كلّ امرئ ما يحسن اي قدره ما يجعله حسناً وليس ذلك الّا فضيلة العلم وقيمته في الواقع بحسب همّته وحاله ما يعدّه كمالاً وفضيلة وقوله عليه السّلم فتكلّموا في العلم تبيّن اقداركم اي ظهر انّ ذمّ الذامين لا ينقص من قدر احدكم ولا مدح المادحين يزيد في قدره وظهر ايضاً انّ لا شرف الّا بالعلم فان اردتم ان يتبيّن اقداركم فتكلّموا في العلم ان كنتم من

اهله اذ

اهله اذ لا منقبة ولا فضيلة فوقه وليس يمكن لاحد انكار فضله وشرفه وان لم تكونوا من اهله فالسكوت اولى بالجاهل اذ لا منقصة فوق الجهل وكلّ عيب وآفة يرجع اليه.

الحديث الخامس عشر وهو الثامن والثلثون والمائة الحسين بن محمّد عن معلّى بن محمّد عن الوشّاء عن ابان بن عثمان عن عبد الله بن سليمان الصّيرفي مولى كوفي روى عن جعفر بن محمّد عليهما السّلم له اصل عنه جعفر بن علي كما في النجاشي وقيل لعلّه عبد الله بن سليمن العبسي الكوفي يعرف بالصّيرفي قال سمعت اباجعفر عليه السّلم يقول وعنده رجل من اهل البصرة يقال له عثمن الاعمى وهو يقول انّ الحسن البصري يزعم انّ الّذين يكتمون العلم يؤذي ريح بطونهم اهل النّار فقال ابوجعفر عليه السّلم فهلك اذن مؤمن آل فرعون ما زال العلم مكتوماً منذ بعث الله نوحاً فليذهب الحسن يميناً وشمالاً فوالله ما يوجد العلم الّا ههنا الشّرح اعلم انّ من ليس له قدم راسخ في فقه الانوار واخذ العلوم من منابعها الالهيّة ويريد ان يأخذ علمه من ظواهر الاحاديث او اخبار الرّجال فالغالب عليه في اكثر الامر الخبط والخطاء والزّلل والعمى ويقع عليه امور متناقضة لا يمكنه التّفصّي عنها فكلّ من سلك سبيل الظاهريّين والفقهاء المترسمين اذا نظر الى ظاهر الحديث المروي عن الرّسول صلى الله عليه وآله مثل ما بلغ الى الحسن وكما روي عنه صلى الله عليه وآله من علم علماً فكتمه الجمه يوم القيمة بلجام من النّار ونحو ذلك ذهب الى ظاهره واعتقده كذلك وربّما اغترّ بان لا علم الّا ما بلغه من المنقولات وما قرع سمعه ووصل اليه فهمه وعقله ولم يدر انّه ليس المراد بالنّهي عن الكتمان في كلّ علم وفي كلّ زمان وبالقياس الى كلّ متعلّم كيف ولو حمل الحديث على ظاهر عمومه وحكم على طبقه لنقض احاديث اخرى وردت في خلافه فتناقضت احاديث من لا ينطق عن الهوى ان هو الّا وحي

يوحى وقد روى عنه صلى الله وآله لا تؤتوا الحكمة غير اهلها فتظلموها وروى ايضاً عنه صلى الله
عليه وآله لا تعلقوا الجواهر في اعناق الخنازير وعنه صلى الله عليه وآله نحن معاشر الانبياء
امرنا ان ننزل الناس منازلهم فنكلم الناس على قدر عقولهم وعنه صلى الله عليه وآله
ما احد يحدث قوماً بحديث لا يبلغه عقولهم الا كان فتنة على بعضهم وعن امير المؤمنين بحديث
عليه السلم ان ههنا لعلوماً جمة لو وجدت حملة وعن علي بن الحسين عليهما السلم ابيات
مشهورة في كتمان علمه اولها انى لاكتم من علمي جواهره كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا
وامثال ذلك في طرق الخاصة والعامة وقد مر الكلام في هذا الباب مستقصى
وايضاً فقد لزم هذا الرجل من اهل الظاهر وهم الحشوية والحنابلة وكل من يجري مجراهم
من اصحاب الحديث وارباب الرواية دون الدراية ان يكون مؤمن آل فرعون
ومثله من يكتم ايمانه من الهالكين الذين يؤذي ريح بطونهم اهل النار ومن الذين
يلجمهم الله بلجام من النار لان حقيقة الايمان ليست الا باباً من العلم بل عمدة
ابواب العلم هي الايمان بالله وملئكته وكتبه ورسله واللازم باطل بالاتفاق
فكذا الملزوم واما قوله عليه السلم فليذهب الحسن يميناً وشمالاً الخ فالمراد ان
الحسن وامثاله من الوعاظ والحكواتيين واصحاب المنقول والروايات
ممن سماهم اشباه الناس علماء لكثرة محفوظاتهم ووفور رواياتهم سيما
اذا انضم اليها ما في مقدرتهم من تحسين الكلام وترويج المعنى وتبليغ العبارات
والاستعارات كثيراً ما يغترون بعلمهم وحالهم ويزعمون ان لا علم الا ما وصل يغترون
اليهم بالنقل عن الصحابة والتابعين وليس سوى ذلك علم من علوم الدين
بل لا يكون ما سواه الا من بدع المبتدعين وضلالات المتفلسفين وهذا
سفه

سفه لنفوذ واغتر به اكثر علماء الرسوم ووقعوا بهذا الجهل في مهوى المعطلين
ومحبط الجاحدين ومثوى المتكبرين فنبه عليه السلم امثاله بان الذهاب وحبط
يميناً وشمالاً والخروج الى البلدان والاطراف لطلب الحديث وتحري
الاسانيد العالية وجمع الروايات الكثيرة ورؤية الشيوخ مما لا فائدة
فيها الا مجرد تحمل الفاظ الاخبار كحملة الاسفار وليس في ذلك من النفع
ازيد من وجدان نسخة صحيحة فيكون غاية هذا السعي يميناً وشمالاً وثمرة هذا
التطواف في الاطراف والتدوار في الاقطار حصول كتاب لا حصول
علم الكتاب واما علم الكتاب فلا يحصل الا من عند الله العزيز الوهاب
او عند من اخذ من لدنه علماً من اوليائه الذين عندهم علم الكتاب فان
الذين اوتوا الكتاب ليسوا كالذين اوتوا العلم يرفع الله الذين اوتوا العلم والذين وللذين
اوتوا العلم درجات ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً باب رواية الكتب
وفضل الكتابة والتمسك بالكتب وهو الباب الثامن عشر من كتاب العقل
والعلم وفيه خمسة عشر حديثاً الحديث الاول وهو السابع والثلثون والمائة
علي بن ابرهيم عن ابيه عن ابن ابي عمير عن منصور بن يونس بزرج بضم الباء
المنقطة تحتها نقطة وضم الزاي واسكان الراء والجيم اخيراً ابو يحيى وقيل ابو سعيد
من اصحاب الكاظم عليه السلم قال الشيخ انه واقفي وقال النجاشي انه ثقة روى
عن ابي عبد الله عليه السلم والوجه عندي التوقف فيما يرويه والرد لقوله لوصف
الشيخ له بالوقف وقال الكشي عن حمدويه عن الحسن بن موسى عن محمد بن الاصبغ
عن ابرهيم عن عثمان بن القاسم بن منصور بن يونس بزرج جحد النص على الرضا

عليه السلم لاموال كانت في يده قال قلت لابي عبد الله عليه السلم قول الله جل ثناؤه
الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه قال هو الرجل يسمع الحديث فيحدث به
كما سمعه لا يزيد فيه ولا ينقص الشرح هذه الذي ذكره عليه السلم احد وجوه معاني
هذه الآية وليس اذا اخذ معنى من آية يكون شرطه ان لا يكون لها معنى سواه نعم
يجب ان لا يكون لها معنى يضاده او يناقضه والاقرب آية يكون لها معان كثيرة
غير محصورة كلها صحيحة بحسب درجات الافهام قال بعض العلماء لكل آية ستون
الف فهم وما بقي من فهمها اكثر وقال آخر القرآن نحو من سبعة وسبعين الف الف
علم ومائتي علم وقال ابن مسعود من اراد علم الاولين والآخرين فليثور القرآن
الحديث الثاني وهو الاربعون والمائة محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن ابن ابي
عمير عن ابن اذينة عن محمد بن مسلم قال قلت لابي عبد الله عليه السلم اسمع الحديث
منك فازيد وانقص قال ان كنت تريد معانيه فلا بأس الشرح انما وقع التقييد
بهذا الشرط في عدم البأس اذ ربما كان لخصوصية اللفظ مدخل في المقصود من رواية
الحديث فعند تبديله بلفظ آخر ربما فات المقصود او حصل الالتباس واعلم انه
قد وقع الاختلاف في جواز نقل الحديث بالمعنى والنزاع فيمن عارف بمواقع الالفاظ
واما غيره فلا يجوز منه اتفاقا والمختار جوازه كما يستفاد من هذا الحديث والذي
يتلوه مع ان الاولى نقله بصورته مهما امكن وقيل انما يجوز بلفظ مرادف اي بتبديل
لفظ بما يرادفها وروي عن ابن سيرين وابي بكر الرازي منعه ووجوب نقله بصورته
وروي عن بعض ائمة العامة انه كان يشدد في الباء والتاء مثل بالله تالله فلا يجوز
احدهما مكان الآخر يترادفها وتوازنها ولك ان تستدل على الجواز بوجوه الاول
بان نقطع

ذكر تفسير القرآن [illegible] معانيه وتفسيره وقراءته [illegible]

والنزاع [illegible]

بان نقطع انهم نقلوا عنه صلى الله عليه وآله احاديث في وقايع متحدة بالفاظ مختلفة
والذي قاله صلى الله عليه وآله واحد قطعا والبواقي نقل بالمعنى وتكرر ذلك
وشاع وذاع ولم ينكره احد فذلك يدل على جوازه قطعا والثاني انه روي عن
ابن عباس وغيره انهم قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وآله كذا او نحوه وذلك
تصريح بعدم تذكر اللفظ بعينه وان المروي هو المعنى فكان جايزا والا لوقع الانكار
على ذلك لكثرة وقوعه عنهم شايعا ذايعا والثالث انه اجمع على جواز تفسيره بالعجمية
فتفسيره بالعربية اولى بالجواز لانه اقرب نظما واوفى بمقصود تلك اللغة من لغة
اخرى والرابع انا نعلم ان المقصود في الحديث والتخاطب انما هو المعنى ولا عبرة
باللفظ فان قلت تجويز ذلك يؤدي الى الاخلال بمقصود الحديث فانا نجزم باختلاف
العلماء في معاني الالفاظ وتفاوت افهامهم في التنبه على المعاني فربما يشتبه بعضهم
على ما يتنبه الآخر فاذا قدر النقل بالمعنى مرتين وثلث ووقع في كل مرة ادنى تغير حصل
بالتكرار تغير كثير وانهدم المقصود بالكلية فالجواب ان فرض تغيرا ما في كل مرة مما
لا يتصور في محل النزاع فان الكلام فيمن نقل بالمعنى سواء من غير تغير فيه اصلا والا
لم يجز بالاتفاق واستدل ايضا ان في لنقل الحديث بالمعنى بانه قال صلى الله
عليه وآله نضر الله امرء سمع مقالتي فوعاها فاداها كما سمعها الجواب ان ذلك لا
يدل على مطلوبكم فانه دعا لمن نقلها بصورته لانه اولى ولم يمنع فيه النقل بالمعنى بل
يمكن ان يقال ايضا بالموجب فان من نقل المعنى اداه كما سمعه ولذلك يقول المترجم اديته
كما سمعته الحديث الثالث وهو الواحد والاربعون والمائة وعنه عن محمد بن الحسين
عن ابن سنان عن داود بن فرقد قال قلت لابي عبد الله عليه السلم اني اسمع

قاله [illegible]

الكلام منك فاريد ان ارويه كما سمعته منك فلا يجيئ قال فتتعمد ذلك قال لا فقال
تريد المعاني قلت نعم قال لا بأس الحديث الرابع وهو الثاني والاربعون والمائة
وعنه عن احمد بن محمد بن عيسى عن الحسين بن سعيد عن القاسم بن محمد عن علي
بن ابي حمزة عن ابي بصير قال قلت لابي عبد الله عليه السلم الحديث اسمعه منك
ارويه عن ابيك او اسمعه من ابيك ارويه عنك قال سواء الا انك ترويه عن
ابي احب الي وقال ابو عبد الله عليه السلم لجميل ما سمعت مني فاروه عن ابي
الشرح اما قوله عليه السلم سواء فالوجه فيه ان علومهم كلها من معدن واحد
وعين واحدة كما ان ذواتهم عليهم السلم من نور واحدة واما قوله عليه السلم ترويه
عن ابي احب الي فلعل الوجه فيه ان علو السند وقرب الاسناد من الرسول
صلى الله عليه وآله مما له رجحان عند الناس في قبول الرواية وخصوصا فيما يختلف
فيه من الائمة من الاحكام وفيه وجه آخر وهو ان من الواقفية من توقف على الاب
فلا يكون قول الابن حجة عليه فيما يناقض رأيه بخلاف العكس اذ القائل بامامة
الابن قائل بامامة الاب دون العكس كليا الحديث الخامس وهو الثالث والاربعون
والمائة وعنه عن احمد بن محمد ومحمد بن الحسين عن ابن محبوب عن عبد الله بن سنان
قال قلت لابي عبد الله عليه السلم يجيئ القوم فيستمعون مني حديثكم فاضجر ولا اقوى قال
فاقرأ من اوله حديثا ومن آخره حديثا الشرح الضجر القلق من الغم وضيق النفس
ومن وسطه حديثا
مع كلام وقد ضجر من كذا وتضجر منه فهو ضجر وضجور واضجرني فلان فهو مضجر غرضه الاستعلام
عن الحكم فيما يعرضه شيئ من العجز والضعف عند قراءة الحديث على قومه واهل مذهبه
فاجازه عليه السلم ورخصه ان يقرأ بعض الحديث اذا كان طويلا على هذه الكيفية

وهي ان

وهي ان يقرأ عليهم من اوله حديثا اي كلاما مفيدا بالاستقلال وكذا من وسطه وآخره
وهذا اذا اشتمل الحديث الواحد على احكام وجمل متعددة فلا شبهة في صحته
اي صحة الاقتصار على البعض في القراءة والرواية اذا لم يكن متعلقا بالباقي ونقل
العلامة الحلي طاب ثراه الاتفاق على ذلك كقول النبي صلى الله عليه وآله من فرج
عن اخيه كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيمة ومن كان في
حاجة اخيه كان الله في حاجته ومن ستر على اخيه ستر الله عليه في الدنيا والآخرة
والله تعالى في عون العبد ما كان العبد في عون اخيه فهذا حديث واحد مشتمل على
جمل اربع كل منها بانفراده كلام مستقل في الحكم الذي فيه يجوز الاقتصار على نقله
وعده حديثا ولا ينافي ذلك كونه جزء حديث آخر مشتمل عليه وعلى غيره واما امره
عليه السلم بقراءته حديثا من اوله وحديثا من وسطه وحديثا من آخره فهو امر استحسان
لا امر حتم ولعل وجه حسنه ان الجمل المتقاربة تكون في اكثر الامر من نوع واحد فليست
الفائدة فيها كما التي تكون في الجمل المتباعدة اذ الكلام فيها ينتقل من نوع الى نوع
يباينه فالفائدة فيها لا محالة اكثر لاحتوائها على فنون مختلفة من الاحكام كل منها نوع
آخر برأسه واما اجزاء الحديث الواحد التي يرتبط بعضها ببعض فلا يجوز الاقتصار
على نقل البعض كالاقتصار على قوله صلى الله عليه وآله لا سبق الا في نصل
من دون ان يضاف اليه او خف او حافر الحديث السادس وهو الرابع
والاربعون والمائة عنه باسناده عن احمد بن عمر الحلال بالحاء غير المعجمة واللام المشددة
كان يبيع الحل وهو الشيرج ثقة قال الشيخ رحمه الله وقال انه كان رديّ الاصل
فعندي توقف في قبول روايته لقوله هذا وكان كوفيا انماطيا من اصحاب الرضا عليه السلم

٣٦٩

ويرد عليه ان رداءة الاصل لا يرفع صحة روايته وقبولها مع ثبوت ثقته قال زين المجتهدين
رحمه الله في الحاشية ما ذكره وجها للتوقف غير جيد بعد شهادة الشيخ له بالتوثيق لان
رداءة الاصل لا تنافي الثقة وابن داود ضبط بالخاء المعجمة وذكر ان الخلال بالحاء المهملة
رجل آخر لم يرو عن الائمة نقل ذلك عن الشيخ الطوسي رحمه الله في رجاله انتهى كلام المحشي
وقال النجاشي روى عن الرضا عليه السلم وله عنه مسائل عنه عبد الله بن محمد وفي الفهرست
روى عنه محمد بن علي الكوفي قال قلت لابي الحسن الرضا عليه السلم الرجل من اصحابنا
يعطيني الكتاب ولا يقول اروه عني يجوز لي ان ارويه عنه قال فقال اذا علمت ان
الكتاب له فاروه عنه الشرح معناه واضح وهذا الذي اجازه عليه السلم يقال له
المناولة في عرف المحدثين وهي احد وجوه تحمل الحديث وروايته من الوجوه الستة
المقررة في الاصول اعني السماع من الشيخ والقراءة عليه والسماع حال قراءة الغير
عليه واجازة الشيخ له ان يروي عنه ومناولته اياه كتابا يروي عنه ما فيه او كتابته
اليه بما يرويه عنه وهذه الستة متفاوتة المراتب فالاول هو قراءة الشيخ عليه اعلى
المراتب على الاصح دون قراءته على الشيخ وتصديقه واما قراءته على الشيخ من غير ان ينكر
الشيخ عليه ولا وجود امر يوجب السكوت عنه من اكراه او تقية او ذهول او غيرها
من الامور المفروضة المانعة عن الانكار فقد اختلف في انه هل يعمل به ام لا فمنعه بعض
الظاهرية والصحيح انه معمول لانه يفهم عرفا تقريره وانه تصديق ولان في سكوته ايهام
الصحة وذلك بعيد من العدل عند عدم الصحة واما قراءة غيره على الشيخ بحضوره
بالشروط المذكورة فهو كقراءته عليه واما الاجازة وهو ان يقول اجزت لك ان
تروي عني كذا او ما صح عندك انه من مسموعاتي او لك ولغيرك فلان وفلان من الموجودين

فالاكثر على جوازها وقد منع بعض الرواية بالاجازة كابي حنيفة وابي يوسف
واما الاجازة لجميع الامة الموجودين لا لقوم معينين فالظاهر الحاقها بالاجازة
للموجودين المعينين اذ العام بمثابة تعداد الافراد ولا فرق بينهما الا بالاختصار
والتطويل ولا مدخل لاختلاف العبارة في مثل هذا المقام واما الاجازة في نسل
فلان او من يوجد في بني فلان ففي صحتها خلاف واضح وهو اولى بالمنع مما قبله
فان اجازة غير الموجود ابعد من الموجود غير المعين والمختار صحتها فان العدالة
شرط في الرواية والظاهر ان العدل لا يروي الا بعد العلم او الظن بروايته وعدالته
وقد اذن له فوجب ان يصح كغيره وايضا فان النبي صلى الله عليه وآله كان يرسل
كتبه مع الآحاد ولم يعلموا ما فيها ليعمل من رآها بموجبها وما ذلك الا الاجازة واما
المناولة والكتابة فمثل الاجازة دليلا الحديث السابع وهو الخامس والاربعون
والمائة علي بن ابراهيم عن ابيه وعن احمد بن محمد بن خالد عن النوفلي عن السكوني
عن ابي عبد الله عليه السلم قال قال امير المؤمنين عليه السلم اذا حدثتم بحديث
فاسندوه الى الذي حدثكم فان كان حقا فلكم وان كان كذبا فعليه الحديث الثامن
وهو السادس والاربعون والمائة علي بن محمد بن عبد الله عن احمد بن محمد عن
ابي ايوب المدني هذا الاسم مشترك بين رجلين احدهما الانباري المدني تحول
الى بغداد له كتاب روى عنه احمد بن ابي عبد الله كما في الفهرست والنجاشي
والثاني المدني روى عنه علي بن ماجيلويه بكتابه قاله النجاشي عن ابن ابي عمير عن
حسين الاحمسي هو ابن عثمان الثقة روى عنه ابن ابي عمير عن ابي عبد الله عليه
السلم قال القلب يتكل على الكتابة الشرح الاتكال الاعتماد وتتكل عليه اي تعتمد

عليه وفيه دليل على صحة العمل بالكتابة سواء كتبها هو او غيره ممن يعتمد عليه ويثق
بعدالته ولا يشترط في الاول كونه عدلا اذ كل احد عالم بحال نفسه في صدقه
وكذبه فاذا علم من نفسه انه الذي كتب هذه الكتابة واعتقد مدلولها فله ان يعمل
بها وهل يشترط كونه ضابطا في العمل بمكتوبه اي لا يكون سهوه اكثر من ذكره ولا
مساويا له فالظاهر اشتراطه اذ ربما يسهو عن كون مكتوبه غير صحيح ويزعمه صحيحا
وكذلك الحال عند كونه عدلا الا ان يعلم من نفسه انه لم يكتب الا الصحيح اذ كان
وقت الكتابة ايضا عدلا الحديث التاسع وهو السابع والاربعون والمائة
الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن الحسن بن علي الوشاء عن عاصم بن حميد
بضم الحاء الحناط بالنون الحنفي ابو الفضل كوفي ثقة عين صدوق روى عن ابي
عبد الله عليه السلم صه وفي الكشي الكوفي الحنفي مولاهم من اصحاب الصادق عليه
السلم مولى بني حنيفة مات بالكوفة في النجاشي له كتاب روى عنه محمد بن عبد الحميد
وفي الفهرست والسندي بن محمد عن عبد الرحمن ابي نجران عن ابي بصير قال سمعت
ابا عبد الله عليه السلم يقول اكتبوا فانكم لا تحفظون حتى تكتبوا الشرح معناه
واضح اي اكتبوا ما سمعتم من الاحاديث فانكم لستم ممن لا تنسى ولا تشتبهوا فلم يبق
ما سمعتم محفوظا لكم حتى تكتبوا فاذا كتبتموه يبقى محفوظا والا فيمكن زواله الحديث العاشر
وهو الثامن والاربعون والمائة محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن علي عن الحسن بن علي
الفضال عن ابن بكير عن عبيد بن زرارة ابن اعين الشيباني روى عن ابي عبد الله
عليه السلم ثقة ثقة عين لا لبس فيه ولا شك وكان احول صه في النجاشي له كتاب
يرويه جماعة منهم حماد بن عثمان قال قال ابو عبد الله عليه السلم احفظوا بكتبكم فانكم
سوف

سوف تحتاجون اليها الحديث الحادي عشر وهو التاسع والاربعون والمائة عدة
من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد البرقي عن بعض اصحابه عن ابي سعيد الخيبري مجهول
عن المفضل بن عمر قال قال ابو عبد الله عليه السلم اكتب وبث علمك في اخوانك
فان مت فاورث كتبك بنيك فانه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه
الا بكتبهم الشرح بث الخبر وابثه اي نشره والهرج الفتنة والاختلاط وقد
هرج الناس يهرجون اذا اختلطوا وقد تكرر في الحديث واصل الهرج الكثرة في الشيء
والاتساع امر عليه السلم بكتابة العلم ونشره في الاخوان ويحتمل ان يكون المراد اكتب
علمك ليكون مبثوثا في اخوانك بواسطة الكتاب فيكون الثاني فائدة الاول لا مطلوبا
برأسه وقوله فان مت فاورث كتبك بنيك اي اوص عند مشارفة الموت
ابنائك بكتبك لتبقى الكتب عليهم محفوظة وقوله عليه السلم يأتي على الناس الخ تعليل
للامر بصيانة الكتب وابقائها على الاول يجيء زمان هرج على الناس لا يأنسون الا
بكتبهم لفقدهم اهل العلم ومن يونس به لتسلط امراء الجور وتشبه الجهلة والارذال بصورة
العلماء والاكياس في الزي واللباس وهذا هو معنى الهرج ههنا وقد يتحقق مع كون
الزمان معمورا والناس مع سعة وخصب وعيش ودعة لكن من جهة كونهم حيوانا
ذا حس وحركة وشهوة وارادة لا من جهة كونهم انسانا ذا فكر وعقل وايمان وحكمة
فالهرج والفتنة من جهة الدنيا في الامن والسلامة من جهة اخرى الحديث الثاني عشر
وهو الخمسون والمائة وبهذا الاسناد عن محمد بن علي رفعه قال قال ابو عبد الله
ابو عبد الله عليه السلم اياكم والكذب المفترع قيل وما الكذب المفترع قال ان
يحدثك الرجل بالحديث فتتركه وترويه عن الذي حدثك عنه الشرح هذا ضرب

من الكذب وهو ان يسند الراوي حديثه الذي سمعه من رجل لا الى ذلك الرجل
بل الى من روى عنه ليوهم علو السند كما اذا حدثه ابن عباس بحديث عن رسول
الله صلى الله عليه وآله فاذا اراد ان يروي الحديث يقول قال رسول الله صلى الله
عليه وآله كذا فيتوهم انه سمع الحديث منه صلى الله عليه وآله فيكون مدلّسا كاذبا
في هذا الايهام واما اذا قال عند الرواية حدثني رسول الله صلى الله عليه وآله واخبرني
او سمعت منه فذلك كذب صريح وكذا اذا اجازه الشيخ وقال اجزت لك ان
تروي عني كذا او ما صح عندك انه من مسموعاتي او مقروّاتي فينبغي ان لا يقول عند الرواة
حدثني فلان واخبرني مطلقا بل ولا مقيدا ايضا بان يقول حدثني اجازة اذ لم يحدثه
ولكن يقول اجازني ويجوز ايضا ان يقول انبأني بالاتفاق لانه يقال في مثله عرفا انباء
وان كان هو الاخبار لغة ويقال للاعلام والايذان انباء كما قال الشاعر زعم الغراب
منبئ الانباء وبذاك نبأني الغراب الاسود ويقال هذا الفعل ينبئ عن العداوة او
او المحبة وقيل ينبئك العينان بما هو كامنة واما تسمية ذلك بالكذب المفترع فلعله
مأخوذ من الفرع بمعنى العلو قال ابن اثير في النهاية وفرع كل شيء اعلاه ومنه حديث
قيام شهر رمضان فما كنا ننصرف الا مع فروع الفجر وفي حديث علي عليه السلم
ان لهم فراعها الفراع ما علا من الارض وارتفع فكان هذا المحدث يريد ان يجعل
حديثه مفترعا اي مرتفعا بهذه الحيلة الحديث الثالث عشر وهو الواحد والخمسون
والمائة محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى عن احمد بن محمد بن ابي نصر عن جميل بن دراج
قال قال ابو عبد الله عليه السلم اعربوا حديثنا فانا قوم فصحاء الشرح الاعراب
في اللغة الايضاح يقال اعربه اي اوضحه وفي عرف النحاة الحركة او الحرف التي يختلف

آخر المعرب

آخر المعرب اسما كان او فعلا بها وانما سميت تلك الحركة او الحرف اعرابا
اذ بها يوضح المعاني المتواردة على كلمة واحدة ويتميز بعضها عن بعض فلا يشتبه
كالفاعلية والمفعولية وغيرهما ويحتمل احتمالا بعيدا ان يكون مأخوذا من عربت معدته
بالكسر عربا اي فسدت على ان يكون الهمزة للسلب فيكون بمعنى ازالة الفساد
سُمّي به آخر المعرب لانه يزيل فساد التباس المعاني بعضها ببعض والفصيح في
اللغة المنطلق اللسان في القول الذي يعرف جيد الكلام من رديه يقال رجل	المنطلق
فصيح ولسان فصيح وقد فصح فصاحة وافصح عن الشيء افصاحا اذا بيّنه وكشفه
وكل ناطق فصيح وما لا ينطق فهو اعجم وفلان تفصّح في كلامه وتفاصح تكلّف الفصاحة
فقوله اعربوا حديثنا اي لا تلحنوا في اعراب الكلمات واعطوا الكلمة اعرابها
فانا قوم فصحاء وكلامنا فصيح فاذا لحنتم فيه او غلطتم في اعرابه اختلف فصاحته	اختلت
وفات المقصود من رعايته فيكون ظلما فيه وتفويتا لحقه الحديث الرابع عشر وهو
الثاني والخمسون والمائة علي بن محمد عن سهل بن زياد عن احمد بن محمد عن عمر بن
عبد العزيز ابو حفص بن بشار المعروف بالزحل بالزاي والحاء المهملة قال الكشي
وقال محمد ابن مسعود حدثني عبد الله بن حمدويه البيهقي قال سمعت الفضل بن
شاذان يقول زحل ابو حفص يروي المناكير وليس بغال وقال النجاشي انه
عربي بصري مخلط له كتاب روى عنه محمد بن عيسى عن هشام بن سالم وحماد بن
عثمان وغيره قالوا سمعنا ابا عبد الله عليه السلم يقول حديثي حديث ابي وحديث
ابي حديث جدي وحديث جدي حديث الحسين وحديث الحسين حديث الحسن
وحديث الحسن حديث امير المؤمنين وحديث امير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله

عليه وآله وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله قول الله عز وجل الشرح ليس المراد
بهذا الاتحاد ان حديث كل من الائمة عليهم السلام حديث من سبقه من حيث جوهر
اللفظ وخصوصيته مثلا او نوعا بل من جهة العلم المندرج فيه فان علومهم كلهم لدنية
ماخوذ من عند الله وسياتي تحقيق هذا المقام في مستانف الكلام عند بيان
كونهم عليهم السلام مكلمين محدثين والله ولي الفضل والانعام الحديث الخامس
عشر وهو الثالث والخمسون والمائة عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد عن محمد بن
الحسن بن ابي خالد شينولة مجهول قال قلت لابي جعفر الثاني عليه السلام جعلت
فداك ان مشايخنا رووا عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وكانت التقية
شديدة فكتموا كتبهم فلم ترو عنهم فلما ماتوا صارت الكتب الينا فقال حدثوا بها
فانها حق الشرح معناه واضح وفيه ايضا دليل على صحة الاعتماد على الكتب والعمل
بما فيهما من الاحكام ان كانت صحيحة باب التقليد وهو الباب التاسع عشر من
كتاب العقل والعلم وفيه ثلثة احاديث الحديث الاول وهو الرابع والخمسون
والمائة عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد عن عبد الله بن يحيى يحتمل ان يكون
الكاهلي ابو محمد اخو اسحق رويا عن ابي عبد الله وابي الحسن عليهما السلام وكان عبد الله
وجيها عند ابي الحسن عليه السلام ووصى به علي بن يقطين فقال له اضمن لي الكاهلي
وعياله اضمن لك الجنة فلم يزل علي بن يقطين يجري لهم الطعام والدراهم والنفقات
حتى مات الكاهلي ولم اجد ما ينافي مدحه صحه وفي النجاشي والفهرست له كتاب
روى عنه احمد بن محمد بن ابي نصر وابن ابي عمير عن ابن مسكان عن ابي بصير عن ابي
عبد الله عليه السلام قال قلت له اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله
فقال

فقال اما والله ما دعوهم الى عبادة انفسهم ولو دعوهم ما اجابوهم ولكن احلوا لهم
حراما وحرموا عليهم حلالا فعبدوهم من حيث لا يشعرون الشرح يعني ان
ابا بصير ساله عن معنى قوله تعالى اتخذوا احبارهم الآية فقال عليه السلام معنى اتخاذهم
ورهبانهم اربابا ان القوم اطاعوا علماءهم في احكام تكليفية عليهم اخترعوها خلاف
احكام الله تعالى عليهم ومن اطاع احدا فيما يامره به خلاف ما امر الله تعالى فقد
اتخذه ربا وعبده من حيث لا يشعر فهم في اتباعهم احبارهم ورهبانهم فيما احلوا
من حرام وحرموا من حلال افتراء على الله قد اتخذوهم اربابا وعبدوهم من حيث
لا يشعرون وكذلك حال المقلدين والاتباع لغير من اخذ علمه من الله بنور الالهام
من الاولياء الكاملين الذين كلامهم قول الله وحكمهم حكم الله الحديث الثاني وهو الخامس
والخمسون والمائة علي بن محمد عن سهل بن زياد عن ابرهيم بن محمد الهمداني
وكيل الناحية كان حج اربعين حجة وروى الكشي في سنده عن ابي محمد الرازي
قال كنت انا واحمد بن ابي عبد الله البرقي بالعسكر فورد علينا رسول من الرجل
فقال لنا العاملي ثقة وايوب بن نوح وابرهيم بن محمد الهمداني ابن حمزة واحمد بن
اسحق ثقات جميعا صحه عن محمد بن ابي عبيدة قال قال لي ابو الحسن عليه السلام
يا محمد انتم اشد تقليدا ام المرجئة قال قلت قلدنا وقلدوا فقال لم اسالك عن
هذا فلم يكن عندي جواب اكثر من الجواب الاول فقال ابو الحسن عليه السلام ان المرجئة
نصبت رجلا لم تفرض طاعته وقلدوه وانتم نصبتم رجلا وفرضتم طاعته ثم لم تقلدوه
فهم اشد منكم تقليدا الشرح الارجاء على معنيين احدهما التاخير قالوا ارجه واخاه
اي امهله والثاني اعطاء الرجاء والمرجئة هم فرقة من فرق الاسلام يعتقدون ان

الفرقة الرابعة من كبار الفرق الاسلامية المرجئة لقبوا به لانهم يرجئون العمل عن النية اي يؤخرونه في الرتبة عنها وعن الاعتقاد من ارجاه اي اخره ومنه ارجه واخاه اي امهله واخره او لانهم يقولون لا تضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة فهم يعطون الرجاء وعلى هذا ينبغي ان لا يهمز لفظ المرجئة كذا في شرح المواقف

لا يضرّ مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة تسميتهم باسم المرجئة باعتبار
المعنى الاول فصحيح لانهم كانوا يؤخّرون العمل عن النيّة والاعتقاد واما باعتبار المعنى
الثاني فظاهر فانهم كانوا يقولون لا يضرّ مع الايمان معصية كما لا ينفع مع ضدّه ضدّه
وقيل الارجاء تاخير حكم صاحب الكبيرة الى يوم القيمة فلا تقضى عليه بحكم ما في الدنيا من
كونه من اهل الجنّة او من اهل النار فعلى هذا المرجئة والوعيدية فرقتان متقابلتان وقيل
الارجاء تاخير علي عم عن الدرجة الاولى الى الرابعة فعلى هذا المرجئة والشيعة فرقتان
متقابلتان قال محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في كتاب الملل والنحل المرجئة على اصناف
اربعة مرجئة الخوارج ومرجئة القدريّة ومرجئة الجبريّة ثم شرع في عدّ المرجئة الخالصة
وعدّ اصنافها قال ومن ذلك اليونسيّة اصحاب يونس النميري زعموا ان الايمان
هو المعرفة بالله تعالى والخضوع له وترك الاستكبار عليه والمحبّة بالقلب فمن اجتمعت
له هذه الخصال فهو مؤمن وما سوى المعرفة من الطاعة فليس من الايمان ولا يضرّ تركها
حقيقة الايمان ولا يعذّب على ذلك قال ومن ذلك العبيديّة حكى عنهم انهم قالوا
ما دون الشرك مغفور لا محالة وان العبد اذا مات على توحيده لم يضرّه ما اقترف من
المعاصي والآثام واجترح من السيّئات وقالوا ان علم الله لم يزل غيره وان دين
الله لم يزل غيره وزعموا ان الله على صورة انسان وحملوا عليه قوله صلى الله عليه وآله
ان الله خلق آدم على صورة الرحمن ومنها الغسّانية اصحاب غسّان الكوفي زعم
ان الايمان هو المعرفة بالله تعالى وبرسوله والاقرار بما انزل الله مما جاء به الرسول
صلى الله عليه وآله في الجملة دون التفصيل فلو قال قائل اعلم ان الله تعالى فرض الحج
الى الكعبة غير اني لا ادري اين الكعبة ولعلّها كانت بالهند كان مؤمنا ومقصوده ان

هذه

والمرجئة اي اصنافهم

عنهم
العبيدية اصحاب عبيد المكتئب زادوا على اليونسية ان الله لم يزل شيئا بنحو [illegible] وكذا [illegible] صفاته [illegible] صورة [illegible] صورة شرح مواقف

قد قدم [illegible] الدرجة [illegible]

هذه الاعتقادات امور وآراء الايمان لانها كان شكا في هذه الامور ومن العجب ان غسّان
كان يحكي ان ابي حنيفة مثل مذهبه ويعدّه من المرجئة انتهى كلام الشهرستاني وانّما
نقلنا كيفية مذهبهم وآرائهم الباطلة ليظهر اتم ظهور صدق كلامه عليه السلم ان المرجئة اشدّ
تقليدا لائمّتهم من الشيعة لائمّتهم عليهم السلم لانهم قلّدوا من لم يفرض عليه تقليده و
قلّدوه في اعتقادات فاسدة وانهم قلّدوه على الجدّ من غير اهمال بخلاف قوم لهم امام
مفترض الطاعة يأمرهم باحكام يوافق احكام الله يجب تقليده فيها ثم لم يقلّدوا احيانا
فاولئك اشدّ تقليدا من هؤلاء لكن السبب في ذلك ان ائمة المرجئة يدعون الناس
بالدعة والراحة وائمة الحق يدعونهم بالتكليف والمشقّة فتقليدهم اهون على طباع
الناس فلهذا كان مقلّدوا ائمة الضلال اشدّ تقليدا من مقلّدي ائمة الحق عليهم السلم
الحديث الثالث وهو السادس والخمسون والمائة محمد بن اسمعيل عن الفضل
بن شاذان عن ربعي بن عبد الله عن ابي بصير عن ابي عبد الله عليه السلم في قول الله
عزّ وجل اتّخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله فقال والله ما صاموا لهم
ولا صلّوا لهم ولكن احلّوا لهم حراما وحرّموا عليهم حلالا الشرح معناه كما مرّ فقوله عليه السلم
ما صاموا لهم ولا صلّوا لهم اي ما صاموا ولا صلّوا قصد العبادتهم وعبوديّتهم وطاعتهم
لكن اتّبعوهم في خلاف امر الله تعالى به واطاعوهم في ما لم يحكم به الله عزّ وجلّ فهم قد
عبدوا دون الله من حيث لا يشعرون باب البدع والرأي والمقاييس
وهو الباب العشرون من كتاب العقل والعلم وفيه ثلث وعشرون حديثا
الحديث الاول وهو السابع والخمسون والمائة الحسين بن محمد الاشعري عن
معلّى بن محمد عن الحسين بن علي بن الوشاء وعدّة من اصحابنا عن احمد بن محمد

٣٧٤

عن ابن فضال جميعا عن عاصم بن حميد عن محمد بن مسلم عن ابى جعفر عليه السلم قال
خطب امير المؤمنين عليه السلم فقال ايها الناس انما بدو وقوع الفتن اهواء
تتبع واحكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله يتولى فيها رجال رجالا فلو ان الباطل خلص لم يخف
على ذى حجى ولو ان الحق خلص لم يكن اختلاف ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن
هذا ضغث فيمزجان فيجيئان معا فهنالك استحوذ الشيطان على اوليائه ونجى
الذين سبقت لهم من الله الحسنى الشرح الفتن جمع الفتنة وهى فى الاصل
الامتحان والاختبار ويستعمل بمعنى البلاء والمصيبة وبمعنى الضلال ايضا وقد
وقد كثرت الاستعاذة من فتنة الدجال وفتنة القبر وفتنة المحيا والممات
والفاتن المضل والفتان بالفتح هو الشيطان لانه يفتن الناس عن الدين وهو
من ابنية المبالغة فى الفتنة وقوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات
قال الحسن فتنوهم بالنار اى امتحنوهم وعذبوهم والاهواء جمع الهوى وهو مصدر
هوى بالكسر يهوى اذا احب واشتهاه ثم سمى به المهوى المشتهى محمودا كان
او مذموما ثم غلب على غير المحمود فقيل فلان اتبع هواه اذا اريد ذمه وفى التنزيل
ولا تتبع الهوى ولا تتبعوا اهواء قوم ومنه فلان من اهل الاهواء وهو من زاغ
الطريقة المثلى من اهل القبلة كالحشوية والجبرية والنواصب والغلاة وغيرها و
المراد هنا من الاهواء الآراء الزايغة والبدعة الحدث فى الدين بعد الاكمال هى اسم من
ابتدع الامر اذا ابتداه واحدثه كالرفعة من الارتفاع ثم غلبت على ما هو زيادة فى الدين
او نقصان منه واكثر ما يستعمل المبتدع فى العرف فى الذم ومنه كل محدثة بدعة اى ما لم يخالف
اصول الشريعة ولا يوافق السنة والتولى من الولى وهو القرب والدنو وتولى عنه اى اعرض

عنه وتولاه

عنه وتولاه اى تبعه واحبه والحجى العقل وفلان ذى حجى وحجى بذلك والضغث قبضة من الحشيش
والشماريخ وفى التنزيل خذ بيدك ضغثا قيل انه كان حزمة من الاسل وهو نبات له
اغصان دقاق ولا ورق لها والحوذ السوق السريع وقد حذت الابل احوذها حوذا
واستحوذ عليه الشيطان غلب ذكر عليه السلم اولا ان مبدا كل فتنة وقعت فى الاسلام
او فى ساير الاديان هوى متبع وبدعة يخالف فيها كتاب الله وسنة نبيه يتبع فيها
جماعة من الجهال رجلا او رجالا وذلك لان المقصود من بعثة الرسل ووضع الشرايع
انما هو نظام احوال الخلق فى امر معاشهم ومعادهم فكان كل راى ابتدع او هوى اتبع
خارجا عن كتاب الله وسنة رسوله سببا لوقوع الفتنة وتفرق النظام فى هذا
العالم وذلك كاهواء البغاة والخوارج ونحوها ثم بين ان كل باطل وكذب ما لم يكن
فيه شبه حق لم يقبله ذو عقل كما ان كل مزيف كاسد ما لم يكن مغشوشا بنقد رايج
لم يكن رايجا فى سوق ذوى الابصار لان الباطل الصرف لا حظ له فى الوجود ولا يقع فى
تسليم ذى حجى الا اذا اقترن بشبه الحق ولا الكذب المحض مما يصدق به ذو عقل الا
اذا امتزج بالصدق فلو خلص الباطل عن لبس الحق لم يشتبه على عاقل ولو تجرد
الحق عن مخالطة الباطل اذعنه الكل ولم يوجد فيه اختلاف من الناس ولم يكن للشيطان
سبيل لكن الدنيا دار اشتباك بين النور والظلمة وامتزاج بين الحق والباطل
وكذا فى الاقوال والآراء من الاولياء والبعداء فاذا اخذ من اقوال الانبياء والاولياء
عليهم السلم التابعين للهدى ضغثا ومن اقوال البعداء المضلين المتبعين للهوى ضغثا
فيمتزجان ويتشابكان فيجيئان معا فعند ذلك يقع للشيطان بهواجسه ووساوسه
فرصة ومجال ويستحوذ على اوليائه بالاغواء والاضلال فيقع فى شبكته ممن حق

خالدون
عليهم القول بانهم لا يؤمنون وهم في النار خالدين ونجا الذين سبقت لهم العناية بالحسنى
وهم عنها مبعدون الحديث الثاني وهو الثامن والخمسون والمائة الحسين بن محمد عن
معلى بن محمد عن محمد بن جمهور القمي رفعه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله اذا
ظهرت البدع في امتي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة الله الشرح هذا
حديث متفق عليه ومعناه واضح الحديث الثالث وهو التاسع والخمسون والمائة
وبهذا الاسناد عن محمد بن جمهور رفعه قال من اتى ذا بدعة فعظمه فانما يسعى في هدم
الاسلام الشرح لان الاسلام انما يقوم بالعقايد الحقة الثابتة في نفوس المؤمنين
العارفين بالله وآياته واحكامه والذي يقوله المبتدع من عند نفسه وهواه من العقايد
الباطلة والآراء الفاسدة التي تناقض عقايد الاسلام والمناقض للشئ هادم
له فهذا المبتدع ببدعه واهوائه يريد هدم قواعد الاسلام ونقض ابنية الدين المبين
فمن اتاه وعظمه ووقره فقد سعى في خراب الدين وهدم الاسلام وان لم يشعر بذلك
بجهله بحقيقة الامر الحديث الرابع وهو الستون والمائة وبهذا الاسناد عن محمد بن
جمهور رفعه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ابى الله لصاحب البدعة بالتوبة
قيل يا رسول الله وكيف ذلك قال قد اشرب قلبه حبها الشرح اشرب في
قلبه حب كذا بصيغة المجهول اي خالطه ومنه قوله تعالى واشربوا في قلوبهم العجل يعني
ان الله تعالى لا يوفق صاحب البدعة للتوبة ولما سئل صلى الله عليه وآله عن كيفية
ذلك ومنشأه قال لان قلب المبتدع مما خالطه حب البدعة وزين الشيطان
الاستبداد بالرأي في نظره سيما اذا اتبعه جمع وصدقوه ببدعته فلا يمكنه الرجوع عنها
والانخراط في سلك ساير الناس من آحاد المسلمين اذ لا يبقى له عند ذلك رياسة

ديم

وتميز عن الاشباه والامثال ولا تفوق عليهم وقد اعتاد بذلك فقد صعب عليه
ترك البدعة اذ العادة الراسخة طبيعة ثانية الحديث الخامس وهو الواحد والستون
والمائة محمد بن يحيى عن احمد بن محمد عن الحسن بن محبوب عن معوية بن وهب
قال سمعت ابا عبد الله عليه السلم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله
ان عند كل بدعة تكون من بعدي يكاد بها الايمان وليا من اولياء الله بل مَتى
موكلا به يذب عنه ينطق بالهام من الله ويعلن به الحق وينوره ويرد به كيد
الكائدين يعبر عن الضعفاء فاعتبروا يا اولي الابصار وتوكلوا على الله الشرح
قوله صلى الله عليه وآله يكاد بها الايمان على صيغة المجهول من الكيد وهو المكر والجملة
صفة بعد صفة لبدعة اي بدعة يمكر بها الايمان ويحتمل ان يكون حالا للمستكن
في يكون ووليا اسم ان قدم عليه خبره للظرفية وقوله صلى الله عليه وآله من
اهل بيتي صفة لوليا وكذا موكلا به صفة اخرى وكذا الجملة الفعلية الخبرية صفات
متعاقبة له اعلم انه لما كان من دأب الرحمة الالهية والعناية الربانية ان لا تهمل
امرا ضروريا في باب الدين وان لا يعطل حكما من احكام سياسة الخلق اجمعين
كيف وقد كونهم اولا في دار الدنيا وهي دار الظلمة والدثور والشرور والفناء
لانشائهم الى دار الرحمة والسناء والنور والخير والبقاء فلا بد من هدايتهم
الى سبيل الهدى وردعهم عن طريق الضلالة والردى ولاجل ذلك بعث الانبياء
المؤيدين بالوحي والمعجزات صلوته عليهم لتمهيد قواعد الدين وتشييد اركان
عقايد المسلمين والمجاهدة والمحاربة مع الجحدة الكافرين المجاهرين بالكفر والجحود
والعدوان وقطع دابر الظالمين المعلنين بالظلم والعدوان فقطع دابر القوم الذين

ضروريا

ظلموا والحمد لله رب العالمين، وكذلك نصب الاولياء المؤيدين بالالهام والكرامات
لدفع حيل المنافقين ورد كيد الكائدين والذب عن الايمان بحل عقدهم الفاسدة و
ازالة شبههم المضلة وقمع اهوائهم المغوية وتنوير قلوب المؤمنين باعلان الحق واعلام
الصدق وكشف حقائق الدين واسرار اليقين وكشف الغطاء عن منهج المتقين و
لذلك كان قتال المشركين الى النبي صلى الله عليه وآله وقتال المنافقين الى علي عليه السلم
وعن هذا شبهه لعيسى عليه السلم وقال لولا ان يقول الناس فيك ما قالوا في عيسى
بن مريم لقلت فيك مقالا وقال صلى الله عليه وآله فيكم من يقاتل على تأويله كما قاتلت
على تنزيله الا وهو خاصف النعل فعلم ان التأويل وقتال المنافقين ومكالمة الجن ظهر منه
عليه السلم دون الرسول صلى الله عليه وآله اذ حكمة الرسالة اقتضت ذلك وقوله
صلى الله عليه وآله يعبر عن الضعفاء، كلام مستأنف للتنبيه على ان ذلك الولي لقوة
علمه وبرهانه يدحض حجج المبتدعين المضلين نيابة عن الضعفاء لانه في الحقيقة لسانهم
المعبر عنهم بما يحتاجون اليه من الكلام في دفع البدعة عنهم والا وهم لا يقدرون على ذلك ×
لقصور حالهم وضعف حجتهم ومقالتهم واما قوله عليه السلم فاعتبروا يا اولي الابصار وتوكلوا
على الله ففيه امر لاهل البصيرة بالاعتبار وهو العبور عن الظاهر الى الباطن والاستدلال
بالشهادة على الغيب لينكشف عليهم الحال ويرفع بذلك عنهم بدع اهل الضلال ولكن
ذلك الا بافاضة نور من الله على قلوبهم فلذلك وقع الامر بالتوكل عليه تعالى بعد الامر
الله وهو
بالاعتبار فان مجرد الفكر والنظر لا يجدي نفعا الا بهدى من نور من انوار الله به يرى الاشياء
كما هي ويحتمل ان يكون هذه العبارة من كلام الصادق عليه السلم فوقع الامر منه عليه السلم لشيعته
واصحابه بالاعتبار والتوكل ليعلموا حقيقة ما قاله النبي صلى الله عليه وآله في حال ولي كل زمان

ليعرفوا

ليعرفوا ولي زمانهم ويتكلوا عليه فيما هداهم به وامرهم وما نهاهم عنه وزجرهم اذ التوكل
على ولي الله توكل على الله. الحديث السادس وهو الثاني والستون والمائة
محمد بن يحيى عن بعض اصحابه وعلي بن ح عن مروان بن مسلم كوفي ثقة له كتاب يرويه ابراهيم
عنه علي بن يعقوب الهاشمي كما في النجاشي وحسن بن علي بن فضال كما في الفهرست
عن مسعدة بن صدقة قال الشيخ رحمه الله انه عامي وقال تبري وفي الفهرست
له كتاب روى عنه هرون بن مسلم وفي النجاشي ابن صدقة العبدي ابو محمد قاله
ابن فضال وقيل ابو بشر روى عن ابي عبد الله وابي الحسن عليهما السلم له كتب روى
عنه هرون بن مسلم عن ابي عبد الله عليه السلم وعلي بن ابراهيم عن ابيه عن ابن
محبوب رفعه عن امير المؤمنين عليه السلم انه قال ان ابغض الخلق الى الله عز وجل
رجلين رجل وكله الله الى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل مشغوف بكلام بدعة
قد لهج بالصوم والصلوة فهو فتنة لمن افتتن به ضال عن هدى من كان قبله مضل لمن
اهتدى به في حيوته وبعد موته حمال خطايا غيره رهن بخطيئته ورجل قمش جهلا في جهال
الناس عان باغباش الفتنة قد سماه اشباه الناس عالما ولم يغن فيه يوما
سالما بكر فاستكثر ما قل منه خير مما كثر حتى اذا ارتوى من آجن واكثر من غير طائل
جلس بين الناس قاضيا ماضيا ضامنا لتخليص ما التبس على غيره وان خالف
قاضيا سبقه لم يأمن ان ينقض حكمه من يأتي بعده كفعله بمن كان قبله وان نزلت
احدى المبهمات المعضلات هيأ لها حشوا من رأيه ثم قطع فهو من لبس الشبهات
في مثل غزل العنكبوت لا يدري اصاب ام اخطأ لا يحسب العلم في شيء
مما انكر ولا يرى ان وراء ما بلغ فيه مذهبا ان قاس شيئا بشيء لم يكذب نظره

وان اظلم عليه امر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه لكي لا يقال له لا يعلم ثم جسر وقضى فهو
مفتاح عشوات ركاب شبهات خباط جهالات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم
ولا يعض في العلم بضرس قاطع فيغنم يذري الروايات ذرو الريح الهشيم تبكي منه
المواريث ويصرخ منه الدماء فيستحل بقضائه الفرج الحرام ويحرم بقضائه الفرج
الحلال لا ملئ باصدار ما عليه ورد ولا هو اهل لما منه فرط من ادعائه علم الحق الشرح
قوله عليه السلم ان من ابغض الخلق الى الله عز وجل رجلين من للتبعيض اى من جملة من
ابغضهم الله تعالى رجلان والمراد بهما صنفان من الناس لا شخصان بعينهما احدهما
المفتي في دين الله بغير حق والثاني القاضي من الناس على غير هدى وكلاهما من اهل النار
اعاذنا الله تعالى منهم
وانما صارا من ابغض الخلايق عند الله لان شرهما متعد لكونهما من اصناف
العلماء وشرهما من باب العقايد الباطلة والبدع والاهواء ولا يوجد من افراد البشر
من يكون ابغض الخلق اليه تعالى الا من كان شره من باب البدع والآراء والاهواء
لانه فساد في العلم والدين فهو اكثر واقوى شرا من غيره من الكفار والفجار لان شر
كل ظالم شر في الدنيا وشر هذا شر في الدين وايضا شر كل ظالم وان تعدى الى غيره لم
يتعد الا الى الموجودين في زمانه وشرور امثال هولاء من اهل البدع والاهواء قد تسرى
الى يوم القيمة كرؤساء النواصب والخوارج والمجبرة وغيرهم من المبتدعة فقد انتشرت
ظلمات اهوائهم وشرور بدعهم وكفرهم في نفوس طائفة وبقيت على وجه الارض
الى الآن قوله عليه السلم رجل وكله الله الى نفسه اى جعل توكله عليها دونه لكونه
ممن اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وقال في امثاله اعملوا ما شئتم وذلك بسبق
اعمالهم القبيحة وسيئاتهم السيئة وجزاء بما كانوا يكسبون من الاستبداد بالرأى في

العمل

العمل بالمقاييس الفقهية وترك اتباع اهل الحق قوله عليه السلم فهو جاير عن قصد
السبيل اى مائل عن صراط الحق وطريق العدل المتوسط من الافراط و
التفريط لكونه في جانب الافراط بالجربزة والمكر مع الله مشغوف بالغين
المعجمة بكلام بدعة اى شغفه حب كلام البدعة اى بلغ شغافه وهو غلاف القلب
وهو جلده كالحجاب ومنه قوله تعالى قد شغفها حبا قال ابن عباس دخل حبه
تحت الشغاف وبغير المعجمة اذا بلغ الى شعفة قلبه وهو عند معلق النياط قد لهج
بالصوم والصلوة ليقال انه من اهل الدين والجملة يحتمل ان يكون صفة لكلام بدعة
باضمار عايد اليه واللهج بالشئ الولوع به من باب لبس وهو ان يغرى به فيثابر
عليه فهو فتنة لمن افتتن به اى مضل لمن اقتدى به ذهاب عقله ودينه ضال عن هدى
من كان قبله لانه لاغتراره بنفسه لا يقنع بتقليد من سبقه من المشايخ والمعلمين
ويريد ان يستقل بفكره ويستبد برائه مع غاية قصوره وجهله وقلة عقله وسفاهته
كما حكى الله من امثاله بقوله تعالى واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس الآية مضل
لمن اهتدى به في حيوته وبعد موته وهذا ما ذكرناه من قبل ان شره مما يتعدى الى الذي
بعده ولاجل ذلك يحمل وزر من كان بعده ايضا واليه اشار بقوله عليه السلم حمال
خطايا غيره اى وبالها وعقابها في القيمة رهن بخطيئته اى مرهون مقيد بتبعات خطيئته
وجهله من حجب الملكات الردية واغشية الهيئات النفسانية **تكملة استبصارية**
اعلم انه عليه السلم قد ذكر لكل من هذين الرجلين اوصافا عديدة ناشية عن باطنه
فذكر من خصائل هذا الرجل ثمانية امور الاول انه وكله الله الى نفسه والتوكل ماخوذ
من الوكالة يقال فلان وكل امره الى فلان اذا فوضه اليه واعتمد عليه فالتوكل عبارة

٢٧٨ عن اعتماد القلب على الوكيل وحده اذا عرفت ذلك فنقول كل من اعتقد بان نفسه
او احداً دون الله ممن له تأثير وقدرة وتمكن من الفعل وانه تام القدرة في تحصيل
مراده فان ذلك من اقوى الاسباب المعدة لان يفيض من الله على قلبه صورة اعتماد
على المتوكل عليه والمعتقد له وذلك معنى قوله وكله الله الى نفسه وكذلك معنى الوكول
الى الدنيا وذلك بحسب اعتقاد الانسان الى المال والقنيات الدنيوية وافية بمطالبه
مغنية له عما وراها فبحسب كل قوة ذلك التوكل وضعفه يكون شدة حجابه عن الله و
وبغضه تعالى اياه ورقة حجابه عنه ومحبته تعالى له وعن رسول الله صلى الله عليه وآله
من انقطع الى الله كفاه كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله
الله تعالى اليها وصورة التوكل عليه ان تثبت في نفسك بكشف او برهان ان استناد
جميع الاسباب والمسببات اليه ~~وصورة التوكل عليه~~ سبحانه وانه الفاعل المطلق
والغني الحق تام القوة والقدرة والرحمة والعطوفة والعناية والرأفة بخلقه ولم يقع في
نفسك التفات الى غيره بوجه حتى نفسك وحولك وقوتك فان لم تجد من نفسك هذه الحال
فلضعف ايمانك ويقينك او غلبة الوهم على النفس في معارضة ذلك اليقين وبحسب ضعف
ذلك الاعتقاد وقوته يكون تفاوت درجات التوكل عليه وبحسبها منازل القرب
والبعد منه الثاني كونه جايراً عن قصد السبيل وهو لازم من الاول لان من وثق على
نفسه ومن شأن النفس الخطاء والوقوع في الهوى فيضل عن الطريق الثالث كونه
مشغوفاً بكلام بدعة اي معجباً بما يخطر له ويبتدعه من الكلام الذي لا اصل له في الدين ويدعوا
الناس الى الضلالة والجور عن القصد وهذا لازم عما قبله فان من ضل عن الطريق وجار فهو
يعتقد انه على سواء السبيل فيكون مشغوفاً بما يبتدعه ويخترعه فهو كما قال الله تعالى من الاخسرين

ظ والجواز

اعمالا

اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا الرابع كونه فتنة لمن
افتتن به وهو ايضا لازم عن الوصف الثالث لان محبة القول الباطل والدعوة
اليه سبب لكونه فتنة لمن اتبعه الخامس كونه ضالا عن هدى من كان قبله وهذا
الوصف كالثاني فان الضال عن الهدى جايز عن قصد السبيل الا ان ههنا زيادة
خصوصية اذ الجايز عن القصد يتصور ان لا يكون له هدى يتبعه والموصوف ههنا
جايز وضال مع وجود هدى قبله مأمور باتباعه وهو كتاب الله وسنة نبيه صلى الله
عليه وآله واعلام الهداة الحاملون لدينه الناطقون عن مشكوة النبوة السادس كونه
مضلا لمن اقتدى به في حيوته وبعد وفاته وهذا الوصف مسبب عما قبله اذ
ضلال الانسان سبب لاضلال غيره ويفهم منه ما يفهم من الرابع مع زيادة
فان كونه فتنة لغيره هو كونه مضلا لمن اقتدى به واما الزيادة فكون ذلك الاضلال
في حيوته وبعد موته لبقاء الاعتقادات الباطلة المكتسبة عنه فهي سبب ضلال
الضالين بعده السابع كونه حمال خطايا غيره وهو لازم عن السادس فان حملة الاوزار
من يضله انما هو بسبب اضلاله اياهم الثامن كونه رهنا بخطيئته اي موثوقا بها عن
الصعود الى عالم الملكوت والجنان وحضرة جلال الله الرحمن والى هذين الوصفين
اشار القرآن الكريم بقوله ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين
يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون وقد مر في الحديث الستين ما في هذا المقام من
التحقيق والتبيين واما الرجل الثاني فعد من خصاله السيئة وعاداته القبيحة نحواً
من ستة وعشرين وصفاً وميزه بها اولها قوله عليه السلم ورجل قمش جهلا والقمش
والتقميش جمع الشيء المتفرق من ههنا وههنا ويقال للمجموع قماش وقماش البيت

ضالا

الاوزار

للمجموع

متاعه اشارة الى ان ما تلقفه من الجهالات اخذه من افواه الناس من
من الجهالات اخذه من افواه الناس من هذا شيئا ومن هذا شيئا وثانيها
كونه في جهال الناس وعبارة نهج البلاغة موضع في جهال الامة اي مطرح من جملة
الاراذل ليس من اشراف الناس وثالثها انه عان باغباش الفتنة اي اسير
في ظلمات الفتنة فان الاغباش جمع غبش بالتحريك البقية من الليل ويقال
ظلمة آخر الليل وفي رواية نهج البلاغة غار اي غافل في ظلمات الخصومات وفي اخرى
غاد اي ساع في الظلمات ورابعها انه قد سماه اشباه الناس عالما انما اراد
باشباه الناس العوام والجهال لما حققنا في كتبنا العقلية من ان نفوس اكثر الناس
ليست ناطقة مجردة عقلية بل نفوسهم نفوس خيالية من شانها ان تصير عقلا ومعقولا
باكتساب العلوم النظرية العقلية والانسان الحقيقي من له جوهر عاقل بالفعل
ونفوس ساير الناس كالهيولى بالنسبة الى ذلك الجوهر العقلي الصوري وهو
نور يفيض من الله عليها اعني الروح الاضافي الذي هو من امر الله لكن تلك النفوس
مع ذلك غير قائمة بالبدن بل هو مجردة عن عالم الطبيعة ولهذا النفير محشورة في
المعاد والتحقيق في ذلك مما يؤدي الى الاطناب وليس ههنا موضع بيانه فان
قلت اي ذنب له في ان تسميه العوام عالما قلنا كل الذنب والشقاء قد انبعث
له من هذا فانه شبه نفسه بالعلماء في اللباس والهيئة والزي والتكلم بكلامهم ليقال
انه عالم مع افلاسه عن حقيقة العلم فصار فتنة لنفسه ولغيره وخامسها انه ولم يغن
فيه يوما سالما هو بالغين المعجمة قال ابن الاثير في النهاية وفي حديث علي عليه السلام
سماه الناس عالما ولم يغن في العلم يوما سالما اي لم يلبث في العلم يوما
تاماً

تاماً من قولك غنيت بالمكان اغنى اذا اقمت به وسادسها انه بكر فاستكثر من
جمع ما قل منه خير مما كثر معناه انه وان لم يغن يوما في طلب العلم ولكن خرج من
اول الصباح في كسب الدنيا يقال بكر بالصلوة اي صلاها في اول وقتها ويحتمل
ان يكون قوله بكر وقع صفة موضحة لقوله سالما مرتبطا بما قبله والمراد انه لم يعرف
في طلب العلم يوما تماما بان يبكر في طلبه لاشتغاله بساير امور الدنيا وشهواتها
فاستكثر ما قل منه خير مما كثر اي جمع واستكثر من اسباب الدنيا ومتاعها
ما قليل منه خير من كثيره والكلام يحتاج الى اضمار اي استكثر الذي ما قل منه خير مما
كثر وذلك على فرض ان لو جمعه من وجه الحل فكيف اذا استكثر من الحرام كالرشوة
ومال اليتيم وغيرهما ويحتمل ان يكون المراد منه علمه الذي جمعه واستكثر منه وهو الانسب
بما بعده وسابعها كونه ممن ارتوى من آجن كما في قوله حتى اذا ارتوى من آجن يقال
رويت من الماء وارتويت وترويت كلها بمعنى واحد والآجن من اجن الماء
اذا تغير طعمه ولونه وقيل تغيرت رائحته من القدم وقيل غشيه الطحلب والورق
فهو آجن شبه عليه السلم علمه الباطل بالماء المتعفن كما يشبه العلم الحق بالماء
الطهور استعارة بالكناية والاستكثار منه بالارتواء من ذلك الماء العفن
ترشيحا ولا يخفى ما في هذه الاستعارة من الحسن عند اهل البصيرة وثامنها انه
اكثر من غير طائل النسخ ههنا مختلفة ففي بعضها اكتنز على وزن افتعل من الكنز
يقال كنز المال اي جمعه واكتنز الشيء اجتمع وفي بعضها اكثر على وزن افعل من الكثرة
وهو المطابق لما في رواية نهج البلاغة وفي بعضها اكثر من الكثر وهذا لا يوافق
اللغة والاول يقدر فيه الفاعل والعايد اي اكتنز له مال من غير غنى ومزية يقال

هذا الامر لاطائل فيه اذا لم يكن فيه غنى ومزية ويحتمل ان يكون كلامه عليه السلم واقعاً على
طريقة لف ونشر بان يكون قوله قمش جهلا الى قوله سالما اشارة الى علم هذا
الرجل وقوله بكر فاستكثر ما قل منه خير مما كثر اشارة الى ماله ويكون قوله حتى اذا
ارتوى من آجن ناظراً الى الاول وقوله واكثر من غير طائل ناظراً الى الثاني وتاسعها
جلس بين الناس جواب لاذا قاضياً ماماً اى حاكما نافذاً حكمه ضامناً لتخليص
ما التبس على غيره لما الزم على نفسه من عدم السكوت في جواب مسئلة ولا
الاعتراف بالقصور والجهل لمضادته لما توهمه من المنصب الجليل والجاه الرفيع
وعاشرها كونه ان نزلت به احدى المبهمات من المسائل والوقايع المعضلات اى
المشكلات كقسمة المواريث والمناسخات وغيرها هيأ لها اى اعد لبيانها و
التفصي عن اعضالها حشواً من رأيه وفي رواية حشواً رثاً من رأيه يقال عنده متاع
رث اى خلق بال ثم قطع اى جزم فيما قاله من حشو رأيه ولا يبالي وحادي عشرها انه
غزل م — من لبس الشبهات في مثل العنكبوت انه من وقوعه في الشبهات الملتبسة الواردة
عليه كوقوع الذباب ونحوه في مثل نسج العنكبوت لا يمكنه التخلص عنها وثاني عشرها
انه لا يدري اصاب ام اخطاء فيما حكم وقضى وثالث عشرها انه لا يحسب العلم في شيء
مما انكره ولم يعرفه زعمه ان المجهول عنده مجهول لغيره ايضاً ولا يرى ان وراء ما بلغ
القاصر — فيه بفهمه ان قص وذهنه القاصر مذهباً صحيحاً ورابع عشرها كونه ان قاس شيئاً بشيء بقياسه
الفاسد لم يكذب نظره بل اصر عليه ولا يرجع عنه وان نبهه احد على خطائه وخامس
عشرها انه ان اظلم عليه امر اكتتم به اى اخفاه عن غيره ولم يسئل احداً حتى يستفيد منه
وجه الصواب في ذلك الامر لما يعلم من جهل نفسه وقصور طبعه عن فهم المرام حين

افادة

افادة غيره له لكي لا يقال له لا يعلم شيئاً وان كان واضحاً في نفسه او مستوضحاً وسادس
عشرها كونه جاسراً في الدين او جاسراً وهو قوله ثم جسر اى تجاسر مع ذلك في امر القضاء — جاسراً
فقضى وفي بعض النسخ حسر بالحاء المهملة اى كل بصره وانقطع نظره عن الاصابة في الحكم
ثم يقضي مع ذلك وسابع عشرها قال فهو مفتاح عشوات اى باعثها ومنشأها و
العشوات الظلمات تشبيهاً للشبهة بالظلمة وفي بعض الروايات خباط عشوات
وهو باضمار في اى يخبط في ظلام الشبهات والالتباسات يمشي في الليل بلا مصباح
فيتحير ويضل وربما يردي في بئر او سقط على سبع قال ابن الاثير فيه احمد الله
الذي رفع عنكم العشوة يريد ظلمة الكفر وهي بالضم والكسر والفتح الامر الملتبس وان
يركب امراً بجهل لا يعرف وجهه ماخوذ من عشوة الليل وهي ظلمته ويجمع على عشوات
وثامن عشرها انه ركاب شبهات من قولهم فلان يركب الجهل اذا ركب امر الجهالة
وتاسع عشرها انه خباط جهالات الخبط الضرب على غير استواء وقد خبط البعير الارض
بيده خبطاً ضربها وخبطت الشجر خبطاً ضربتها بالعصا ليسقط ورقها ومنه خبط
عشواء وفي الدعاء واعوذ بك ان يتخبطني الشيطان اى يصرعني ويلعب بي ومنه
لا تتخبطوا خبط الجمل وهو كقولهم يخبط فلان في عمياء وعشرينها انه لا يعتذر مما لا يعلم
فيسلم فان الاعتراف بالجهل سلامة الدنيا والآخرة وهو احد العلمين ولهذا
قيل لا ادري نصف العلم وفي الخبر العلم ثلثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا ادري
والواحد والعشرون لا يعض في العلم بضرس قاطع فيغنم كناية عن قصور حظه في
باب العلم تشبيهاً للعلم بالطعام لانه غذاء الروح ولكمال القوة النظرية للرجل
وقصورها عن درك المعقولات بضرس غير قاطع الغذاء والحاصل من الفقرتين

انه لا يعترف بالجهل ليسلم عن الآفة ولا له بضاعة في العلم ليكون على بصيرة فيما
هو بصدده والثاني والعشرون يذري الروايات ذرو الريح الهشيم ذرته الريح
واذرته تذروه وتذريه اذا اطارت به ومنه انّ رجلا قال لأولاده اذا متّ
فاحرقوني ثم ذروني في الريح والهشيم من النبات اليابس المتكسّر قال تعالى
هشيما تذروه الرياح اي يسرد الروايات كما يسف الريح هشيم النبت اي
ينقلها من غير اتّساق ونظام وعلى غير مواقعها والثالث والعشرون تبكي منه
المواريث للجور الذي وقع منه في قسمتها ويحتمل المجاز العقلي في نسبة البكاء
الى الميراث مبالغة على سبيل التمثيل والتخييل كما وقع في جانب النفي قوله تعالى فما
بكت عليهم السماء والارض وكذلك ما يروى عن ابن عباس اذا مات المؤمن
بكى عليه مصلّاه وآثاره في الارض ومصاعد عمله ومهابط رزقه في السماء وعلى هذا
القياس قوله عليه السلم ويصرخ منه الدماء في الاحتمالين المذكورين والرابع والعشرون
يستحل بقضائه الفرج الحرام ويحرم بقضائه الفرج الحلال اما لخطائه في الفتوى وجهله
او لسهوه في موضع الحكم لعدم تيقظ واحتياط او لوقوع ذلك منه عمداً لرشوة او لرعاية
سلطان او غير ذلك والخامس والعشرون كونه مليّاً باصدار ما عليه ورد ملأ الاناء
ما يملأه ويسعه وفي الدعاء الحمد لله ملأ السموات والارض هذا تمثيل لانّ الكلام
لا يسع الاماكن والمراد كثرة عدده يعني لو قدّر ان يكون كلمات الحمد اجساما لبلغت
من كثرتها ان تملأ والملي بالهمزة الثقة الغني اي ليس له من العلم والثقة قدر ما يمكنه
ان يصدر عنه الخلاص ما ورد عليه من الاشكالات والشبهات والسادس والعشرون
ما اشار اليه بقوله ولا هو اهل لما منه فرط من ادعائه علم الحق اي ليس هو من اهل العلم بالحقيقة
كما يدّعيه

كما يدّعيه لما فرط منه واعلم انّ المروي منه عليه السلم في كتاب نهج البلاغة انه بعد ان
خصّ الرجلين المذكورين باوصافهما اردف ذلك بالتنفّر عنهما على الاجمال باتباعهما وغيرهما
من ساير الجهّال والضلّال من التشكّي الى الله والبراءة عنهم وذلك قوله
الى الله اشكو من معشر يعيشون جهّالاً ويموتون ضلّالاً ليس فيهم سلعة ابور من الكتاب
اذا تلي حق تلاوته ولا انفق سلعة واغلى ثمنا من الكتاب اذا حرّف عن مواضعه
ولا عندهم انكر من المعروف ولا اعرف من المنكر انتهى كلامه عليه السلم اذ فسّر الكتاب
وحمل على المعنى الذي هو حقيقة معناه وعلى الوجه الذي اعتقدوه فاسداً اطرحوه
بجهلهم عن درجة الاعتبار واذا حرّف عن مواضعه ومقاصده الاصلية على وفق اغراضهم
وحسب مقاصدهم شروه باعلى ثمن واعلى قيمة وكان من انفق السلع منهم ووجه
المشابهة في استعارة لفظ السلعة وغيرها ظاهر ومنشأ كل ذلك واصله هو الجهل
وكذلك ليس عندهم انكر من المعروف لمخالفة اغراضهم ودواعيهم ولا اعرف من المنكر
لموافقته اياها وكل ميسّر لما خلق له ومن الله العصمة والتوفيق الحديث السابع والثلث
والستون والمائة الحسين بن محمد عن معلّى بن محمد عن الحسن بن علي الوشاء عن ابان
بن عثمان عن ابي شيبة الخراساني مجهول قال سمعت ابا عبد الله عليه السلم يقول انّ
اصحاب المقاييس طلبوا العلم بالمقاييس فلم يزدهم المقاييس من الحق الا بعداً وانّ
دين الله لا يصاب بالمقاييس الشرح العلم عبارة عن معرفة الحقايق الكلية اما بطريق
المشاهدة العقلية كما هو مسلك الانبياء والاولياء صلوات الله عليهم او بطريق
الحدود والبراهين كما هو منهج الحكماء والنظّار وهذا القياس كما سبق عبارة عن معرفة
جزئي من الجزئيات بمعرفة جزئي آخر بجامع مشترك بينهما فهو ليس بعلم في عرف الاولياء

السلعة البضاعة

بجهلهم

اي ابكى المواريث

كثرتها

والحكماء وانما يسمى علماً باصطلاح آخر اعني مطلق الصورة الذهنية وانما يوجب الاشتغال
بهذه المقائيس بعداً عن الحق لان صاحبه محجوب بها عن درك الحق مشغول القلب
فيها بما يخالف منهج الدين معدول به عن مسلك اليقين ولذا قال دين الله لا يصاب
بالمقائيس هذا مع ما يلزمه من العيوب الباطنية والآفات النفسانية التي
قل من ينفك عنه من الذين في استعمال الاقيسة الفقهية واستعمال
واستنباط الفروع الدقيقة والفتاوى الغريبة بها من محبة الجاه والمباهات
والمفاخرة والعجب والكبر وطلب التفوق على الاقران بالمجادلة والمناظرة
والميل الى الشهرة والجاه وتقرب السلاطين وليست هذه الآفات
في العلوم الحقيقية الباطنية لعدم اطلاع الناس عليها ولا في العلوم النقلية الصرفة
من حفظ الاحاديث والروايات اذ لا يحصل بمجرده قوة المناظرة وملكة المجادلات
الكلامية والمراوغات البحثية ليظهر بها التفوق بالعلم عند العامة وبالجملة الآفة كل
الآفة والشر كل الشر في رجل جاهل القلب عليم اللسان لاستعماله المقائيس   عليهم السلام
الفقهية والمجادلات الكلامية ولهذا وقع المنع الشديد من استعمالها في هذه
الاحاديث المتوالية المروية عن اهل بيت العصمة سلام الله عليهم اجمعين
الحديث الثامن وهو الرابع والستون والمائة علي بن ابرهيم عن ابيه ومحمد بن
اسمعيل عن الفضل بن شاذان رفعه عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام قال كل بدعة
ضلالة وكل ضلالة سبيلها الى النار الشرح معناه واضح كما سبق الحديث
التاسع وهو الخامس والستون والمائة علي بن ابرهيم عن ابن ابي عمير عن محمد بن
حكيم قال قلت لابي الحسن موسى عليه السلام جعلت فداك فقهنا في الدين واغنانا الله
بكم

بكم عن الناس حتى ان الجماعة منا لتكون في المجلس ما يسأل رجل صاحبه تحضره المسئلة
ويحضره جوابها فيما منّ الله علينا بكم فربما يورد علينا الشيء لم يأتنا فيه عنك ولا
عن آبائك شيء فنظرنا الى احسن ما يحضرنا واوفق الاشياء بما جاءنا عنكم
فنأخذ به فقال هيهات هيهات في ذلك والله هلك من هلك يا ابن
حكيم قال ثم قال لعن الله ابا حنيفة كان يقول قال علي وقلت قال فقلت
محمد بن حكيم لهشام بن الحكم والله ما اردت الا ان يرخص لي في القياس
الشرح قوله عليه السلام فقهنا في الدين اي صيرنا فقهاء في الدين وهو
اما بصيغة الماضي المعلوم من الثلاثي او بصيغة المجهول من باب التفعيل   فقهنا
وفي دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله في حق علي عليه السلام اللهم فقهه
في الدين وعلمه التأويل اي فهمه والفقه في الاصل الفهم كما مرّ يقال فقه
الرجل بالكسر يفقه فقهاً اذا فهم وعلم وفقه يفقه بالضم اذا صار فقيهاً عالماً و
قد جعل العرف خاصاً بعلم الشريعة ثم خصصها بعلم الفروع منها وقوله حتى
ان الجماعة منا لتكون في المجلس ما يسأل رجل صاحبه يحتمل ان يكون قوله
لتكون في المجلس خبر ان وقوله ما يسأل صاحبه صفة للمجلس باضمار عايد
اليه مثل كلمة فيه او يكون جملة حالية عن المستكن في تكون وما زائدة او موصولة
وقوله تحضره المسئلة وجوابها خبر مبتداء محذوف اي واحد من الجماعة وحاصل المعنى
انه اذا اتفق ان يكون احدنا واقعاً في مجلس لم يسأل احد صاحبه مسئلة فانه يحضر
عنده اصل تلك المسئلة وجوابها لقوة فقاهته واستحضاره لكل مسئلة يتداول
بين الناس وقوله فربما يورد علينا الشيء هذا ابتداء كلامه في غرضه الذي هو

الرّخصة فى القياس وقوله فنظرنا الى احسن مايحضرنا واوفق الاشياء لما جاءنا فاخذ
به هذا اشارة الى استعمال القياس اى قد يورد علينا شئ ليس فيه نصّ من كتاب
ولا سنّة مما جاءنا عنكم اشدّ موافقة واحسنه فناخذ به وهذا عين القياس
الفقهى وقوله احسن مايحضرنا واوفق اشارة الى انّ الاشتراك وهى الجامع بين
الاصل وما يتفرّع عليه امر مناسب لهما متقرّر لا كاشتراك فى اللفظ او فى معنى عامّ
يعمّهما وساير الاشياء او فى عرض عامّ لنوعهما وغير نوعهما او فى جنس بعيد لهما ولمّا
استشعر عليه انه يريد الرّخصة فى القياس قال قال هيهات تاكيداً للمنع
بايراد كلمة التبعيد مكرّراً وهيهات مبنيّة على الفتح وناس يكسرونها وقد تبدل
الهاء الاولى همزة فيقال ايهات ومن فتح وقف بالتاء ومن كسر وقف بالهاء
قوله فى ذلك اى فى استعمال القياس هلك من هلك يابن حكيم جعل النّهى عنه
مؤكداً بهذا الخبر وما اكتفى فى صدقه مع كونه صادراً عن الذى لايحتمل فى حقه الكذب
لعصمته عن الخطاء وحتّى جعله مقروناً بالقسم زيادة فى التاكيد ومنه يستفاد انّ اهل
العذاب الدّايم منحصر فى هذا الصّنف من المنتسبين الى العلم لانّ ابليس الّذى
هو رئيس الضّالين المضلّين ما صنع شيئاً الّا القياس والاستكبار وهولاء اتبعوه
فى الامرين فانّ صاحب البدعة يلزمه الافتخار والاستكبار كما لايخفى على من له بصيرة
وقد ظهر ايضاً مما سبق من الكلام وقول ابى حنيفة قال على معناه انه جعل قول اميرالمؤمنين
عليه السلم فى حكم من الاحكام اصلاً وقاس عليه حكماً آخر يوافقه او يناسبه وبذلك
استحقّ البعد عن الله وعن دار رحمته وكرامته الحديث العاشر وهو السادس
والستون والمائة محمد بن ابى عبدالله رفعه عن يونس بن عبدالرّحمن قال قلت لابى

لعنه الله

الحسن

الحسن الاوّل عليه السلم بما اوحّد الله قال لاتكوننّ مبتدعاً من نظر برأيه هلك ومن
ترك اهل بيت نبيّه صلّى الله عليه وآله ضلّ ومن ترك كتاب الله كفر الشرح
قوله بما اوحّد اى بما استدلّ على توحيد الله وما يستحقه من النّعوت الالهيّة
لعلّ يونس اراد ان يترخّص فى القياس فنهاه عليه السلم عن ذلك على الخصوص
ثمّ ذكر الحكم الكلّى العامّ فقال من نظر برأيه فقد هلك الخ اى من استعمل القياس فى
معرفة الله ونظر فى احكام الله برأيه فهو من الهالكين ومن ترك اهل النبوة عليهم السلم
بالاخذ منهم والاستفادة من اقوالهم وآثارهم فهو من الضّالين ومن ترك كتاب الله
فهو من الكافرين والفرق بين الهالك والكافر ههنا انّ المراد بالاوّل ما هو بحسب الباطن
وبالثانى ما هو فى ظاهر الامر قال ومن ترك كتاب الله وجعله مهجوراً كما فى قوله تعالى
حكاية نبيّه صلّى الله عليه وآله يا ربّ انّ قومى اتّخذوا هذا القرآن مهجوراً فهو معدود منهم
الحديث الحادى عشر وهو السابع والستّون والمائة محمد بن يحيى عن احمد بن محمد عن
الوشّاء عن مثنّى الحنّاط عن ابى بصير قال قلت لابى عبدالله عليه السلم ترد علينا اشياء
ليس نعرفها فى كتاب الله ولا سنّة فننظر فيها قال لا امّا انّك ان اصبت لم تؤجر
وان اخطأت كذبت على الله الشرح قوله ننظر فيها الضمير فى فيها راجع الى
الاشياء الواردة التى ليست مذكورة فى كتاب الله ولا سنّة نبيّه صلّى الله
عليه وآله والفاء للتفريع اى لمّا لم نعرف لها دليل من الكتاب والسنّة فهل يجوز
لنا ان ننظر فى تلك الاشياء بان نقيسها على حكم آخر مذكور فى احدهما وقوله
عليه السلم ان اصبت لم تؤجر لايخلوا عن اشكال بحسب الظاهر فانّ المعلوم من
كلامهم عليهم غاية التشديد فى امر القياس والزجر عنه والمذمّة لصاحبه وتوجيه اللعن

اللعن عليه لكن الوجه انه لو فرض انسانا استعمل دليلا غير تام واصاب به مطلوبا
دينيا يمكن ان يوجر عليه وان اختل بعض مقدمات دليله او كلها واما عند استعمال
القياس واصابة المطلوب الشرعي به فالاثم لازم لنفس الاستعمال والاجر غير
ثابت في تلك الاصابة المطلوب من حيث نفس الاصابة بخلاف الصورة
الثانية التي ليست فيها جهة من الثواب اصلا لان صاحب هذه الاصابة لا يعلم
من جهة القياس انه مصيب ام لا وليس له ان يعمل بموجبه اذ القياس ليس بدليل حتى
يصح العمل بمؤداه فلا يوجر صاحبه اصلا بوجه من الوجوه وعليه وزر استعمال القياس
سواء اصاب او اخطأ فاذا اخطأ كان له وزران وزر الكذب على الله ووزر استعمال
القياس الحديث الثاني عشر وهو الثامن والستون والماية عدة من اصحابنا عن احمد
بن محمد بن عيسى عن علي بن الحكم عن عمر بن ابان الكلبي عن عبد الرحيم القصير كانه ابن روح
من اصحاب الباقر عليه السلم وربما ياتي في طريق الاحاديث عبد الرحيم بن عتيك القصير
يروي عن الصادق عليه السلم فتدبر عن ابي عبد الله عليه السلم قال قال رسول الله
صلى الله عليه واله كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار الشرح قد مر مثله ولكن
المذكور هناك وكل ضلالة سبيلها الى النار والمذكور ههنا وكل ضلالة في النار ولعل
النكتة ههنا الاشارة الى ان النار التي ستبرز يوم القيمة وتطلع على الافئدة موجودة
الان لكنها كامنة خافية فكل ضلالة وانحراف عن الصراط المستقيم الذي قيل انه على
متن جهنم يوجب الوقوع في الجحيم كما في قوله تعالى ان الذين لا يؤمنون عن الصراط لناكبون
يقعون في الجحيم ثم في النار يسجرون الحديث الثالث عشر وهو التاسع والستون والماية
علي بن ابراهيم عن محمد بن عيسى بن عبيد عن يونس بن عبد الرحمن عن سماعة بن مهران

ولو من جهة نفس الاصابة لصعوبة الباب في الصورة الاولى الدونية له م

بن زياد

بن زياد عبد الرحمن الحضرمي مولى عبد بن وايل بن حجر الحضرمي يكنى ابا ناشرة وقيل ابا محمد روى
عن ابي عبد الله وابي الحسن عليهما السلم مات بالمدينة ثقة ثقة وكان واقفيا
صه وقال النجاشي ذكر محمد بن الحسين ره انه وجد في بعض الكتب انه مات
سنة خمس واربعين ومائة في حيوة ابي عبد الله عليه السلم وذلك ان ابا عبد الله
عليه السلم قال له ان رجعت لم ترجع الينا فاقام عنده فمات في تلك السنة
وكان عمره نحوا من ستين سنة ولست اعلم كيف هذه الحكاية لان سماعة روى
عن ابي الحسن وهذه تتضمن انه مات في حيوة ابي عبد الله عليه السلم له كتاب روى
عنه عثمان بن عيسى عن ابي الحسن موسى عليه السلم قال اصلحك الله انا نجتمع فنتذاكر
ما عندنا فلا يرد علينا شيء الا وعندنا شيء مسطر وذلك مما انعم الله به علينا الصغير
ليس عندنا فيه شيء فينظر بعضنا الى بعض وعندنا ما يشبهه فنقيس على احسنه فقال
وما لكم وللقياس انما هلك من هلك من قبلكم بالقياس ثم قال اذا جاءكم ما تعلمون
فقولوا به وان جاءكم ما لا تعلمون فها واهوى بيده الى فيه ثم قال لعن الله ابا حنيفة
كان يقول قال علي وقلت انا وقالت الصحابة وقلت ثم قال اكنت تجلس اليه
فقلت لا ولكن هذا كلامه فقلت اصلحك الله اتى رسول الله بما يكتفون به في عهده قال
نعم وما يحتاجون اليه يوم القيمة فقال فضاع من ذلك شيء فقال لا هو عند اهله الشرح قوله
اصلحك الله دعاء له عليه السلم في صلاح حاله في امر دنياه وامامته وارشاده للخلق
وقوله فلا يرد علينا شيء اي من الامور العظيمة والاحكام الجليلة التي هي العمدة بدليل قوله
ثم يرد علينا الشيء الصغير وقوله الا وعندنا شيء مسطر اي مكتوب في الصحف
عندنا اي كلما سمعناه منكم كتبناه وضبطناه ويحتمل ان يكون المراد منه استنباطه في

ثم يرد علينا الشيء صح

لوح القيمة وصحيفة الى طرو قوله ثم يرد علينا الشئ الصغير ليس عندنا فيه شئ اى ليس عندنا
فيه نصّ من القرآن والحديث وقوله عندنا ما يشبهه اى ما يشبه هذا الامر الذى عندنا
فيه شئ من الكتاب والسنّة يعنى انّ الامر الجامع بين الاصل الموجود الثابت
بالنصّ وبين الذى ليس بثابت بنصّ هو التشابه وقوله فنقيس على احسنه اى احسن ما عندنا
من الامور الامور بهذا الامر المقيس الذى قسناه عليه وقوله عليه السلم وما لكم والقياس استفهام

واشبهها بهذا الفرع اى المقاس عليه اشبه م

على سبيل الانكار اى وما الذى جمعكم والقياس وحملكم على فعل القياس وقوله عليه السلم
انما هلك من هلك من قبلكم بالقياس يحتمل ان يكون اشارة الى ابليس فانه اوّل من
قاس وانما هلك به وقوله اذا جاءكم ما تعلمون فقولوا به اى اذا ورد عليكم شئ
مما تسئلون عنه وتستفتون فيه فان علمتموه فقولوا به وافتوا كما علمتموه وان لم تعلموه
فاسئلوا عنّى لقوله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون والى هذا المعنى اشار بقوله
فها واهوى بيده الى فيه وها حرف تنبيه واشارة والمنبّه بها المشار اليه قد يكون
امرا ملفوظا كما تقول ها انتم هؤلاء وقد يكون امرا موجودا يشار اليه بنحو حركة او
فعل عند التلفّظ بحرف التنبيه كما فعله عليه السلم ههنا حيث حرّك يده الى فيه يقال
اهوى بيده الى الشئ ليأخذه اى مدّها نحوه وامالها اليه وباقى الفاظ الحديث
واضحة لا خفاء فيها الحديث الرابع عشر وهو السبعون والمائة عن محمد عن يونس
عن ابان عن ابى شيبة الفزارى من اصحاب الصادق عليه السلم قال سمعت ابا
عبد الله عليه السلم يقول ضلّ علم ابن شبرمة عند الجامعة املاء رسول الله صلى الله
عليه وآله وخطّ علىّ عليه السلم بيده انّ الجامعة لم تدع لاحد كلاما فيها علم الحلال والحرام
وانّ اصحاب القياس طلبوا العلم بالقياس فلم يزدادوا من الحقّ الا بعدا وانّ دين الله لا يصاب بالقياس

فطلبوا العلم بالمقاييس م

الشرح

الشرح قوله ضلّ علم ابن شبرمة اى ضاع وهلك يقال قد تضلّ البراءة عنه اى يفضل
المكتوب وابن شبرمة الضبّى الكوفى كان قاضيا على سواد الكوفة لابى جعفر ولعلّه
يعمل بالقياس اى هلك وبطل علمه واضمحلّ فى جنب كتاب الجامعة ثم وصف
ذلك الكتاب باوصاف ثلثة الاوّل انه املاء رسول الله صلى الله عليه
وآله والثانى انه كتابة علىّ عليه السلم وخطّه الثالث انه مشتمل على جميع الاحكام
الشرعية الفرعية وفيها علم الحلال والحرام الذى وقع او سيقع الى يوم القيمة فلم
تدع لاحد كلاما الا ويكون مثبتا وسيجئ فى الاحاديث الآتية ذكر كتاب الجفر والجامعة
وما روى ابو بصير عن ابى عبد الله عليه السلم انه قال عندنا الجامعة قال قلت

فداك لا م

جعلت فداك وما الجامعة قال صحيفة طولها سبعون ذراعا بذراع رسول
الله صلى الله عليه وآله واملائه من فلق فيه وخطّ علىّ بيمينه فيها كل حلال وحرام
وكلّ شئ يحتاج اليه حتى الارش فى الخدش وباقى الفاظ الحديث قد مرّ بيانه
الحديث الخامس عشر وهو الواحد والسبعون والمائة محمد بن اسمعيل
عن الفضل بن شاذان عن صفوان بن يحيى عن عبد الرحمن بن الحجاج عن ابان
بن تغلب عن ابى عبد الله عليه السلم قال انّ السنّة لا تقاس الا ترى انّ
المرأة تقضى صومها ولا تقضى صلوتها يا ابان انّ السنّة اذا قيست محق الدين
الشرح محقه محقا ابطله ومحاه والمحق النقصان وذهاب البركة وقيل ان يذهب
الشئ كلّه حتى لا يرى منه اثر ومنه قوله تعالى يمحق الله الربا اى يستأصله افاد
عليه السلم انّ السنّة لا تقاس اى الاحكام الشرعية لا تعلم بالقياس ونبّه عليه
السلم بانّ القياس لو كان صحيحا فى باب السنّة والشريعة لاقتضى انّ

بهذا م الشريعة

٣٨٦

تقضي المرأة صلوتها كما تقضي صومها فانّ العقول البشرية لا تجد الفرق بينهما في وجوب القضاء وعدمه ثم افاد انّ السنّة اذا قيست اي استعمل فيها القياس لادّى ذلك الى انمحاق نور الدين واستيصال بناء الشريعة لانّ كلّ احد يرى بعقله او بهواه مناسبة وشبهاً بين الشيء وما يقيس عليه فيحكم عليه بحكمه وكذا الحكم على كلّ شيء باحكام شيء آخر فيبطل الدين بالكلية اذ ما من شيء من الممكنات الّا وبينه وبين شيء آخر مجانسة او مشاركة في كمّ او كيف او نسبة فاذا قيس بعض منها الى بعض في الاحكام الشرعية صار الحلال حراما والحرام حلالا لم يبق شيء من الدين

الحديث السادس عشر وهو الثاني والسبعون والمائة عدّة من اصحابنا عن احمد بن محمد عن عثمن بن عيسى قال سألت ابا الحسن موسى عليه السلم عن القياس فقال ما لكم والقياس انّ الله لا يسأل كيف احلّ وكيف حرّم الشرح يعني انّ الله قد احلّ لعباده اشياء وحرّم عليهم اشياء حسب ما رآها بمقتضى علمه وعناية مصلحة لهم والعقول البشرية قبل ان تكتحل بنور الولاية والمعرفة عاجزة عن البلوغ الى درك اللمّية ومعرفة الكيفية فيما احلّ او حرّم فليس لهم الّا السمع والطاعة والانقياد والتسليم دون السؤال عن كيفية احلال ما احلّ الله او تحريم ما حرّم كما ليس لاحد ان يسئله تعالى عمّا يفعل لقوله تعالى لا يسئل عمّا يفعل وهم يسئلون فظهر انّ القياس في احكام الله تعالى باطل كما في افعاله وليس يلزم من ذلك انّ لا داعي ولا مرجّح في الاحكام والافعال كما زعمه الاشاعرة ومن يحذو حذوهم من المتكلمين بل ما من ممكن فعلاً كان او قولاً او حكماً الّا وله غاية وحكمة نعم الفعل المطلق او الذي لا واسطة بينه وبين الفاعل الاوّل الحقّ لا غاية له غير ذاته تعالى لانّه لا غاية له اصلاً فانّه

تعالى

تعالى كما انّه مبدأ لكلّ شيء مجعول فكذلك غاية لكلّ شيء مصنوع

الحديث السابع عشر وهو الثالث والسبعون والمائة علي بن ابراهيم عن هرون بن مسلم بن سعدان الاصيلي كوفي تحوّل الى البصرة ثم تحوّل الى بغداد ومات بها من اصحاب العسكري عليه السلم والكاتب السرّمن رأى كان ينزلها واصله الانباري ويكنّى ابا القاسم ثقة وجه وكان له مذهب في الجبر والتشبيه لقى ابا محمد وابا الحسن عليهما السلم عن مسعدة بن صدقة قال حدّثني جعفر عن ابيه انّ عليّا عليه السلم قال من نصب نفسه للقياس لم يزل دهره في الالتباس ومن دان الله بالرأي لم يزل دهره في ارتماس قال وقال ابو جعفر عليه السلم من افتى الناس برأيه فقد دان الله بما لا يعلم فقد ضادّ الله حيث احلّ وحرّم فيما لا يعلم

عن ابيه

الشرح نصب الشيء اقامه ورفعه والدهر هو الزمان كلّه او الزمان الطويل والمراد ههنا مدّة عمر الانسان والارتماس في الماء ونحوه كالانغماس ومنه انّه كره للصائم ان يرتمس وقيل الارتماس ان لا يطيل اللبث في الماء والاغتماس ان يطيل اللبث فيه ومنه ما روى عن الشعبي يكتحل الصائم ويرتمس ولا يغتمس يعني انّ من اقام نفسه لان يحكم بالقياس كان جميع عمره في الالتباس لما علمت انّ القياس لا يفيد علماً فمن افتى بالقياس كان يلتبس عليه كلّ حكم استخرجه بالقياس بما هو يخالفه او يضادّه ثم من دان الله بالرأي اعني بما ادّى اليه الرأي والقياس كان تمام عمره في ارتماس في الهوى والانغماس في الشهوات فالاوّل وهو الالتباس بين الحقّ والباطل حاله بحسب العلم والثاني وهو الارتماس في بحر الظلمات والانغماس في مهوى الشهوات والتباعد عن الحقّ ودار الحيوة حاله بحسب العمل به واما المعنى قول ابي جعفر عليه السلم فهو قياس مركب

مفاد آخر

من موجبتين كليّتين على هيئة الضرب الاوّل من الشكل الاوّل ينتج موجبة كلية هي مفاد قولنا
كل من افتى الناس برايه فقد ضادّ الله فاذا جعل هذا القول صغرى وضمّ اليه
قولنا وكلّ من ضادّ الله كافر ملعون ينتج كل من افتى الناس برايه فهو كافر ملعون
امّا بيان صغرى القياس الاوّل وهي قوله عليه السلم من افتى الناس برايه فقد
دان الله بما لا يعلم لما علمت مرارًا انّ القياس ليس ممّا يفيد علمًا ولا ظنًّا قويًّا
فمن دان به دان الله بما لا يعلم وامّا بيان كبراه وهي قوله عليه السلم ومن دان الله بما
لا يعلم فقد ضادّ الله فهو ما اشار عليه السلم بقوله حيث احلّ وحرّم الاشياء ولا يعلم
انّ حلاله حلال احلّه الله ولا انّ حرامه حرام حرّمه الله فاذا دان به فلا شكّ انه اتّبع
هوى نفسه ولم يتّبع امر الله ولا رسوله واتّبع هواه فقد ضادّ الله الحديث الثامن
عشر وهو الرابع والسبعون والمائة عن احمد ابن محمد عن الحسن بن علي بن يقطين
عن الحسين بن مياح المدايني روى عن ابيه قال ابن الغضايري انه ضعيف غالٍ
عن ابيه عن ابي عبد الله عليه السلم قال انّ ابليس قاس نفسه بآدم فقال خلقتني من نار
وخلقته من طين ولو قاس الجوهر الذي خلق الله منه آدم بالنار كان ذلك اكثر نورًا
وضياءً من النار الشرح اعلم انّ الانسان مركّب من جوهرين احدهما ظاهره وعلنه
والآخر باطنه وسرّه امّا ظاهره فهو هذا البدن المخلوق والمركّب من عناصر متضادّة
الصفات والاحوال متخالفة الطبايع والاحياز متداعية الذوات الى الانفكاك
لكنّ الغالب منها فيه هي الارض والماء اعني الطين وهو جوهر مظلم اخسّ الجواهر المظلمة
وامّا باطنه فهو جوهر نوراني علويّ من عالم الامر فايض على هذا البدن بامر الله وقوله كن
فيكون وهو مستور عن الحواسّ غير متدنّس بالارجاس والادناس واكثره اكثر
الناس

احلّ وحرّم فيما لا يعلم يعني انّ من دان الله بما لا يعلم لم يدن بدين الله بل دان بهوى نفسه لانه حر

حقيقة آدم

الناس وهم النازلون في مهوى الحيوانات ومنزل الدوابّ ولم يحصل لهم هذا
الجوهر العقلي ولم يجعل الله لهم هذا النور فهم بعدُ في ظلمة الوهم متردّدون لما بيّنّا في
كتبنا البرهانية انّ جمهور الناس نفوسهم حيوانية خيالية وهذا الجوهر الرباني و
النور العقلي انّما يوجد في اهل الكمال العلمي من الذين خرجت نفوسهم بالعلم و
العمل من حدّ القوّة الى الفعل ومن حدود النفوس الى حدّ العقل ومن الظلمات
الى النور فاذا علمت هذه المقدّمات فاعلم انه عليه السلم اراد ان يشير الى
انّ ابليس لكونه لم يتجاوز درجة نفسه من حدّ الوهم المشوب بالحسّ الى حدّ
العقل الخالص ولم ير من حقيقة آدم الّا البدن المظلم المخلوق من الطين فقاس
نفسه النارية المخلوقة من النار فقال اللعين انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين
والنار خير من الطين فانا خير من آدم هذا نتيجة قياسه المغالطي الفاسد ومنشأ
غلطه وجوه احدها انه عليه اللعنة اخذ ما بالقوّة مكان ما بالفعل فانّ الانسان انسان
بما به موجود بالفعل لا بما به موجود بالقوّة فالبدن المخلوق من الطين هو انسان
بالقوّة لانه حامل القوّة الاستعدادية لحدوث ما به يصير انسانا بالفعل وثانيها انه
اخذ مادّة الشيء مكان صورته فالانسان انسان بصورته لا بمادّته وكذا كلّ موجود
مركّب من مادّة وصورة فالسرير سرير بصورته السريرية لا بمادّته الخشبية والسيف
سيف بحدّته الموجبة للقطع لا بحديده وعلى هذا القياس وثالثها انه اخذ ما ليس
بعلّة علّة فانّ علّة كرامة آدم واستحقاقه لمسجودية الملائكة ليست لاجل جسده المخلوق
من الطين بل انّما هما لاجل روحه الذي هو سرّ من اسرار الله ونور من انواره او لاجل
جامعيّته لجميع ما هو متفرّق في عالمي الملك والملكوت ومظهريّته لجميع الاسماء الالهية

وهي المثار اليها بقوله تعالى وعلّم آدم الاسماء كلها فقوله عليه السلم فلو قاس الجوهر
الذي خلق الخ اشارة الى ان ابليس مع كونه خالف امر الله المنصوص عليه
بالقياس وذلك غير جائز بوجه من الوجوه كما علمت غير مرة فقد غلط وخبط فيما
صنعه من قياسه حيث لم يستعمله في موقعه لانه قاس نفسه بجسد آدم وجسد آدم
ليس بآدم فقاس نفسه بغير ما هو مأمور بسجوده فليس قياسه واقعا في مقابلة
ما دل عليه النص فلا يصلح للمعارضة به فلو قاس الجوهر القدسي الذي خلق الله
منه آدم لان صورته التامية وغايته الكمالية بالجوهر الناري الذي هو نفسه الخبيثة
الشريرة ظهر عليه ان ذلك الجوهر اكثر نورا واتم ضياء من كل نار بل لا نسبة بين
النور العقلي المعنوي وغيره من انوار الحسية كنور الشمس والقمر وغيرهما من الكواكب
فضلا عن نور النار الذي يضمحل في ضوء النهار الحديث التاسع عشر وهو الخامس والسبعون والمائة
علي بن ابراهيم عن محمد بن عيسى بن عبيد عن يونس عن حريز عن زرارة قال سألت
ابا عبد الله عليه السلم عن الحلال والحرام فقال حلال محمد حلال ابدا الى يوم القيمة وحرامه
حرام ابدا الى يوم القيمة لا يكون غيره وقال قال علي عليه السلم ما احد ابتدع بدعة الا ترك بها سنة   ولا يجيء غيره م
الشرح هذا بحسب الظاهر يدل على ان لا نسخ في الحديث والجواب ان المراد ان الذي
بقي عنه صلى الله عليه وآله من غير نسخ منه مستمر الى يوم القيمة لا يعارضه شيء ولا يبطله قياس
وقوله صلى لا يجيء غيره معناه ان كل ما يحتاج اليه الناس الى يوم القيمة فهو ثابت في   الله عليه وآله / عليه السلم
الكتاب والسنة فلا يحدث شيء من الاحكام لم يكن في احدهما فظهر مما ذكره ان القياس
باطل لانه ان كان مطابقا لما في السنة فوجوده لغو اذ هو كعدمه وان كان مخالفا للسنة
فهو باطل بالضرورة فبهذا يعلم حقيقة ما قاله امير المؤمنين عليه السلم ما احد ابتدع بدعة الا ترك   فالقياس باطل م
بها

بها سنة اذ لو لم يكن مخالفة السنة لم تكن بدعة وحيث كانت متخالفة متناقضة لها
كان يلزم من اتيانها ترك سنة هي في مقابلها الحديث العشرون وهو السادس والسبعون
والمائة علي بن ابراهيم عن ابيه عن احمد بن عبد الله العقيلي عن عيسى بن عبد الله القرشي
قال دخل ابو حنيفة على ابي عبد الله عليه السلم فقال له يا ابا حنيفة بلغني انك تقيس قال نعم
قال لا تقس فان اول من قاس ابليس حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين
فقاس ما بين النار والطين ولو قاس نورية آدم بنورية النار عرف فضل ما بين النورين
وصفاء احدهما على الآخر الشرح معناه كما مر واعلم ان ابليس انما لم يقس نورية
آدم عليه السلم بنورية ناره اي نفسه التي شرر من نار قهر الله وغضبه التي تسعر بها الجحيم لانه
لم يعرف حقيقته التي هي امر من امر الله وكلمة من كلماته التامات التي كتبها بيده ونفخ   بنفخه فيه من روحه ظ
بقوله وروح اضافها الى نفسه حيث قال وكلمته القاها الى مريم وروح منه وانى لابليس   ابليس ظ
بقوته الوهمية ان يعرف حقيقة النفس الآدمية وروحها التي من عرفها فقد عرف الرب
ولو كان الشيطان عارفا بالله لم يكن مطرودا عن بابه بعيدا عن رحمته وانما شأنه
المغالطة والوسوسة وتلقي الشبهات الفاترة وابداء الوهميات الكاذبة و   الغارة نخ
المقدمات السفسطية التي توقع شكا وغرورا ووعدا بالشر وتخويفا وابعادا من
الخير كما في قوله تعالى يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا الحديث الواحد
والعشرون وهو السابع والسبعون والمائة علي عن محمد بن عيسى عن يونس عن قتيبة
قال سأل رجل ابا عبد الله عليه السلم عن مسئلة فاجاب فيها فقال الرجل ارأيت
ان كان كذا وكذا ما يكون القول فيها فقال له مه ما اجبتك فيه من شيء فهو عن رسول الله
صلى الله عليه وآله لسنا من ارأيت في شيء الشرح مه اسم مبني على السكون سمي به

النقل معناه اكفف لانه زجر يعني الذي اجبتك به فيما سألت عنه من المسئلة ليس صادرًا
عن الرأي والقياس حتى تقول أرأيت ان كان كذا فما القول فيها بل انما اجبت
فيما اجبت لما بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وآله اخذًا عن آبائي عليهم السلم منتهيًا الى رسول الله
صلى الله عليه وآله الى جبرئيل الى الله سبحانه فلسنا من أرأيت في شيء اي لسنا بحيث يسع
لاحد او يصح له ان يقول لنا أرأيت لان أرأيت سؤال واستفهام عن الرأي وما يأدّي
اليه ونحن لا نقول بالرأي في شيء اصلا تبصرة اعلم انه ليس معنى ما ذكره عليه السلم ما اجبتك فيه
من شيء فهو عن رسول الله صلى الله عليه وآله ما يفهمه الظاهريون من الناس من ان
شأنهم حفظ الاقوال خلفًا عن خلف حتى يكون فضلهم على سائر الناس في قوة الحفظ للمسموعات
او بكثرة المحفوظات بل المراد ان نفوسهم القدسية استكملت بنور العلم وقوة العرفان
بسبب اتباع الرسول عليه وعليهم الصلوة والسلم بالمجاهدة والرياضة مع زيادة استعداد
أصلي وصفاء وطهارة في الغريزة فصارت كمرآة مجلوة يحاذي بها شطر الحق بواسطة
مرآة أخرى او بغير واسطة ألا ترى ان المرآة المتعددة المتحاذية والمحاذية لمرآة اخرى
هي بحذاء الشمس تنعكس ضوء الشمس الى الجميع فهكذا حال من اتبع الرسول صلى الله عليه وآله
حق المتابعة يصير محبوب الحق تعالى كما في قوله تعالى ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
ومن يحبه الله افاض عليه من الانوار الالهية كما افاض على حبيبه صلى الله عليه وآله لكن
الفرق ثابت بين المتبوع والتابع وبالجملة يجب ان يعلم ان علوم الائمة عليهم السلم ليست
اجتهادية ولا سمعية من طرق الحواس بل علومهم كشفية لدنية يفيض على قلوبهم انوار
العلم والعرفان عن الله سبحانه لا بواسطة امر خارجي من سماع او كتابة محسوسة او رواية
او شيء من هذا القبيل ومما يدل على ما بيناه واوضحناه قول امير المؤمنين عليه السلم علمني

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وآله الف باب من العلم فانفتح لي من كل باب الف
باب وقول الرسول صلى الله عليه وآله اعطيت جوامع الكلم واعطى علي جوامع
الكلم ومعنى تعليم الرسول صلى الله عليه وآله له عليه السلم هو اعداد نفسه الشريفة
القابلة لانوار الالهية على طول الصحبة ودوام الملازمة بتعليمه وارشاده له
عليه السلم الى كيفية السلوك الى الله بتطويع النفس الحيوانية وقواها لما امرها
واستخدامها الروح العقلي الالهي وارشاده صلى الله عليه وآله الى اسباب
التطويع والرياضة حتى استعد عليه السلم للانتقاش بالامور الغيبية والاخبار
عن المغيبات وليس التعليم البشري سواء كان المعلم رسولا ام غيره هو ايجاد
العلم وان كان امرًا يلزمه الايجاد والافاضة من الله وفي قوله صلى الله عليه وآله
اعطى بصيغة البناء للمفعول دليل ظاهر على ان المعطي لعلي جوامع العلم ليس هو
النبي صلى الله عليه وآله بل الذي اعطاه ذلك هو الذي اعطى النبي صلى الله عليه
وآله جوامع الكلم وهو الحق سبحانه فافهم هذا المقام فانه من مزلة الاقدام الحديث
الثاني والعشرون وهو الثامن والسبعون والمائة عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد
بن خالد مرسلا قال قال ابو جعفر عليه السلم لا تتخذوا وليجة فلا تكونوا مؤمنين وان
كل سبب ونسب وقرابة ووليجة وبدعة وشبهة منقطع الا ما اثبته القرآن
الشرح ولج يلج اي دخل والولوج الدخول وقال ابن الاثير وفي حديث علي عليه
السلم اقر بالبيعة وادعى الوليجة وليجة الرجل بطانته ودخلاؤه وخاصته وفي القاموس
الوليجة الدخيلة وخاصتك من الرجال او من تتخذه معتمدًا عليه من غير اهله وهو وليجتهم
اي لصيق بهم والمعنى لا تتخذوا من دون الله معتمدًا تعتمدون عليه فلم تكونوا ح

مؤمنين بالله وآياته اذ المؤمن الحقيقي من لا اعتماد ولا توكل له الا على الله ولا
استعانة له الا به ومن استعان بغير الله ذل وقوله عليه السلم فان كل سبب
الخ ان جميع هذه الامور المذكورة لما كانت من الامور العرضية الاضافية فهي
منقطعة الا ما اثبته القرآن لانه البرهان وكل ما اثبته البرهان العقلي فهو لازم غير
منقطع وكل ما هو لازم ضروري من العلوم والاعتقادات المتعلقة بالامور الدينية
كالعلم بالله وصفاته وملائكته وافعاله وكتبه ورسله فذلك من قبل الله وافاضة
وجوده ولذلك لا ينقطع وكل ما ليس كذلك كالنسب والنسب الطينيين و
كالقرابة البدنية والوليجة وكذا كل بدعة وشبهة فان كلها منقطع لانها من الدنيا
واسبابها الاتفاقية وكل ما هو من الدنيا وما يتعلق بها من النفوس وادراكها
الوهمية والخيالية فهي امور دائرة زائلة منقطعة فمن اتخذها وليجة واعتمد عليها فليس
هو بمؤمن بالله وكلماته التامات وقد خالف قوله تعالى لا تتخذوا من دون
الله وليجة وتحقيق هذا المقام يحتاج الى تمهيد مقدمات احديها ان العلل والاسباب
للاشياء ذوات العلل على ضربين الضرب الاول هي العلل الذاتية وهي
التي لا تنفك عن المعلول ولا يمكن وجوده الا متقوما بها موجودا بوجودها وهي
كالفاعل والغاية وكالمادة والصورة ان كان مركبا منها الضرب الثاني العلل
العرضية وهي كالمعدات والحركات وساير الامور الاتفاقية العرضية قد لا يوجد
عند وجود المعلول فبعضها مما لا يوجد وجود المعلول الا بعد عدمها وبعضها مما
لا يشترط وجودها ولا عدمها عند حصول المعلول لكونه شرط حدوثها لا شرط فالاول
كالنطفة للانسان والثاني كالابوين له والثانية ان الانسان وان كان وجوده

(في الهامش: افاضته — وجودها ظ — المقدمة الثانية)

في هذا

في هذا العالم مشروطا بمادة بدنية لكن من شأنه ان يتجرد روحه من هذا البدن الظلماني
المركب من الاضداد المعرض للمحن والآفات والفساد الى عالم الآخرة بل سعادته
ان يستكمل بذاته ويتجرد عن الدنيا وما فيها غير متعلق بشيء من هذا العالم وانما يمكن
له ذلك بطهارة النفس عن الرذائل وتحليتها بالعلوم والفضائل الثالثة ان عالم
الآخرة ليس كعالم الدنيا دار الاتفاقات والاستعدادات العرضية والاسباب
العرضية والاسباب الخارجة وليس هناك من الاسباب الا ما هو من الجهات
الفاعلية دون الانفعالات المادية لان ذلك العالم عالم صوري ودار حيوانية
ليس فيه امر مادي سواء كانت الصورة من العقليات الصرفة وهو دار
المقربين او من التعليميات المقدارية وهو دار اصحاب اليمين وبالجملة الموجودات
التي يكون في دار الآخرة كالجنة واصحابها وجميع احوالها وافعالها وجنانها وانهارها
وحورها وغلمانها وقصورها وغرفاتها وكذا النيران ومن فيها من الامور التي
تفيض من الله تعالى على الارواح والنفوس المنتقلة من هذه الدار الى الآخرة
وجميع هذه الصور الملذة الجنانية ومقابلاتها هي من نتايج الاعمال الصالحة والسيئة
لتلك الارواح والنفوس بمنزلة الاضواء والظلال اللازمة اياها من غير مشاركة
سبب خارجي او مدخلية امر اتفاقي وقد اوضحنا ذلك في مباحث المعاد
من كتبنا وهذا معنى قوله تعالى الملك يومئذ لله وقوله لا ظلم اليوم وغير ذلك
من الآيات الكثيرة المشيرة الى هذا المعنى فاذا تقررت هذه المقدمات
فنقول ان معنى المؤمن كما يستفاد من اطلاقات لسان الشريعة هو العارف
بالله ورسله وكلماته وآياته ويكون مرجعه الى الله وملكوته وهذا المعنى لا يتحقق

الّا باستكمال ذاته بالعلوم الحقيقيّة الدّايمة الّتى لا تتغيّر ولا ينقطع والعلوم الدّايمة
لا يمكن ان يحصل الّا بالاسباب الدّايمة اذ سبب الشّئ لا يمكن ان يكون انقص
وجوداً من ذلك الشّئ وكلّ سبب لا يدوم بدوام الشّئ فهو سبب عرضى
غير حقيقىّ فالسّبب للعلوم الدّايمة لابدّ ان يكون من الامور الالهيّة والبراهين
الدّايمة وذلك لا يمكن الّا بافاضة الله امّا بذاته او بتوسط ما هو من ذاته دائما
بدوام ذاته فكلّ ما ليس كذلك فلا تعويل للمؤمن عليه ويكون حكمه حكم وليجة دون
الله من رواية او سماع او قياس او بدعة او تقليد او اجازة او كتابة او
مناولة كتاب ولكنّ الّذى اثبته القرآن او افاده الرّسول صلى الله عليه وآله
ليس بمنقطع لانّها امور ربّانيّة جاءت من قبل الله وكلماته قل لو كان البحر
مداداً لكلمات ربّى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربّى ولو جئنا بمثله مدداً

باب الرّدّ الى الكتاب والسّنّة وانّه ليس شئ من الحلال والحرام
وجميع ما يحتاج النّاس اليه الّا وقد جاء فيه كتاب وسنّة وهو الباب
التاسع العشر من كتاب العقل والعلم وفيه عشرة احاديث الحديث الاوّل
وهو التاسع والسّبعون والمائة محمّد بن يحيى عن احمد بن محمّد بن عيسى عن علىّ
بن حديد عن مرازم بضمّ الميم والرّاء قبل الالف والزّاى بعده ابن حكيم الازدى المدائنى
مولى ثقة واخواه محمّد بن حكيم وحديد بن حكيم يكنّى ابا محمّد روى عن ابى عبد الله وابى الحسن
عليهما السلم ومات فى ايّام الرضا عليه السلم صحّ قال النجاشى وهو احد من بلى باستدعاء
الرشيد واخوه احضرهما الرشيد مع عبد الحميد بن عواض فقتله وسلما وله
حديث ليس هذا موضعه له كتاب روى عنه جماعة منهم علىّ بن حديد عن ابى عبد الله
عليه السلم

احمد
عبد الحميد

عليه السلم قال انّ الله تبارك وتعالى انزل فى القرآن تبيان كلّ شئ حتّى والله
ما ترك الله شيئاً يحتاج اليه العباد حتّى لا يستطيع عبد يقول لو كان هذا انزل
فى القرآن الّا وقد انزله الله فيه الشرح يعنى انّ القرآن مجتمع علوم الاوّلين
والآخرين وقد انزل فيه تبيان كلّ شئ وبرهان كلّ علم ونور كلّ هدى وسبيل
كلّ غاية وشاهد كلّ غايب ومهيمن كلّ كتاب وجامع كلّ خطاب فما من
علم الّا وفيه اصله ودليله وما من حكم الّا ومنه بيانه وسبيله حتّى والله ما فات
القرآن الامور الجزئيّة وما ترك الله منه شيئاً يحتاج اليه العباد من الوقايع النّادرة
الواقعة فى شئ من الازمنة والاوقات فضلاً عن معظمات الامور و
الكلّيات من القواعد والاعتقادات حتّى انّه لا يسع لاحد ولا يستطيع
عبد ان يقول متمنّياً لو كان هذا الحكم الجزئى والمسئلة الفرعيّة فى القرآن اذ لا يعزب
عن علم القرآن شئ فى الارض ولا فى السّماء الّا وقد انزله الله فيه وقوله عليه
السلم الّا وقد انزله الله فيه يحتمل ان يكون استثناءً منقطعاً او استينافاً
لتأكيد ما سبق وعلى الاوّل يكون الّا حرف الاستثناء مشدّدة اللّام
مكسورة الهمزة بمعنى لكن وعلى الثانى يكون حرف التّنبيه مفتوحة الهمزة
مخفّفة اللّام نقل كلام لتوضيح مرام قال بعض المفسّرين اعلم انّه مرّ على لسانى
فى بعض الاوقات انّ هذه السّورة يعنى فاتحة الكتاب يمكن ان يستنبط
من فوايدها ونفايسها عشرة آلاف مسئلة فاستبعد هذا البعض من الحسّاد
وقوم من اهل الجهل والعناد وحملوا ذلك على ما الفوه من الكلمات الفارغة
عن المعانى والاقوال الخالية عن تحقيق المعاقد والمبانى فلمّا شرعت فى

السّورة
تحقيق

تصنيف هذا الكتاب قدمت بهذه المقدمة ليصير كالتنبيه على ان ما ذكرناه امر ممكن
الحصول قريب الوصول فنقول قولنا اعوذ بالله من الشيطان الرجيم لا شك
ان المراد منه الاستعاذة بالله عن جميع الشرور والمحظورات ولا شك
انها اما ان تكون من باب الاعتقادات او من اعمال الجوارح اما الاعتقادات
فقد جاء في الخبر المشهور قوله صلى الله عليه وآله ستفترق امتي على نيف وسبعين
فرقة كلهم في النار الا فرقة واحدة وهذا يدل على ان الاثنين والسبعين موصوفون
بالعقايد الفاسدة والمذاهب الباطلة ثم ضلال كل فرقة من اولئك الفرق
غير مختص بمسئلة واحدة بل هو حاصل في مسائل كثيرة من المباحثات المتعلقة
بذات الله تعالى وصفاته واحكامه وبافعاله واسمائه وبمسائل الجبر والقدر والتعديل
والتجويز والثواب والعقاب والمعاد والوعد والوعيد والاسماء والاحكام
والامامة واذا وزعنا عدد الفرق الضالة وهو الاثنان والسبعون الى هذه المسائل
الكثيرة بلغ العدد الحاصل مبلغا عظيما وكذلك انواع الضلالات الموجودة في فرق
الامة في جميع المسائل العقلية المتعلقة بالالهية والتوحيد والمتعلقة باحوال الذات
والصفات يبلغ المجموع مبلغا عظيما في العدد ولا شك ان قولنا اعوذ بالله يتناول
الاستعاذة به عن جميع تلك الانواع والاستعاذة عن الشيء لا يكون الا بعد معرفة
المستعاذ منه ومعرفة كونه قبيحا باطلا فظهر بهذا الطريق قولنا اعوذ بالله مشتمل
على الالوف من المسائل الحقيقية اليقينية واما الاعمال الباطلة فهي عبارة عن كل
ما ورد النهي عنه اما في القرآن او الاخبار المتواترة او في اخبار الآحاد او في الاجماع
الامة او في القياسات ولا شك ان تلك المنهيات تزيد على الالوف وقولنا
اعوذ

اعوذ بالله متناول لجميعها وجملتها فثبت بهذا الطريق قولنا اعوذ بالله مشتمل
على عشرة الآف مسئلة او ازيد او اقل من المسائل المعتبرة المهمة انتهى كلامه
اقول ان جميع ما اشار اليه هذا الرجل الفاضل المشهور بالامانة والعلم عند
الجمهور ليس من علم القرآن في شيء ولا هو بمعرفتها قد صار من اهل القرآن
وخاصة الله كما ورد اهل القرآن اهل الله وخاصته بل كل ما ذكره واشار اليه
من المسائل الجمة الكثيرة التي شحن بها كتب الكلامية والفقهية اما ماخوذة من
السماع من افواه الرجال واما تقليدات صرفة كاكثر مسائل المعاد وبعض مسائل
المبداء واما آراء كلامية وقواعد متزلزلة لا تعويل عليها في تحصيل اليقين وانما
يتذرع بها طالب المباهات وانما يحسن استعمالها عند الخصومات والمجادلات
ولهذا وضعت اول وضعها في الاسلام او مسائل اجتهادية اخذها كما ذكر
بعضها من الاخبار وبعضها من القياسات التي نحن الآن في ذمها وابطالها
وبالجملة ليس شيء من هذه المسائل الكثيرة التي يبتهج بها من علوم اهل القرآن واهل الله
في شيء وانما ذلك شيء الهمه الله ونور عقلي اجمالي افاضه الله على قلب من
يشاء من عباده به يرى الاشياء كما هي وتلك الملكة النورانية المعبر عنها
عند جماعة بالعقل البسيط او الاجمالي او العقل بالفعل وعلى لسان القرآن بالهدى
والنور والحكمة والفضل وغير ذلك وانما تحصل بالمواظبة على تدبر الآيات
وطول الرياضة والمجاهدة مع النفس والهوى والعمل بما علم فان من عمل بما
يعلم افاده الله علم ما لم يعلم وهكذا الى ان ينكشف له العلم بحقايق الاشياء وكليها
من العلم بذات الله تعالى وصفاته العليا واسمائه الحسنى وافعاله الكبرى ثم

البيع [illegible] النوع ق

لمحرره الاول

يعرف من الكليات الجزئيات ومن الحقايق رقايقها ومن الاسماء مظاهرها و
مجاليها وهكذا يعرف من الاوايل الثواني ومن البدايات النهايات ومن العلل
المعلولات ومن الاسباب المسببات كما هو طريقة الصديقين على عكس
طريقة النظار المستدلين بالآثار على المؤثرات وعند ذلك يظهر له ان ما من شئ
من العلوم الكلية والجزئية والاصول والفروع الا ويوجد في القرآن اصله وفرعه ومنشأه
وغايته ثم ان الذي ذكره ان قولنا نعوذ بالله متوقف على العلم بجميع المذاهب والآراء
الفاسدة والاعمال القبيحة ليس كذلك فان من عرف طريق الحق يعلم بالاجمال ان
غيره طريق الباطل ومن علم بالخير يعلم ان ما سواه شر فله ان يستعيذ بالله من كل
شر وآفة وضر وان لم يعلم جميع الشرور والآفات على التفصيل وهل هذا الذي ذكره
الا مثل ان يقول احد لا يمكن لي طلب الصحة من الله كما في الادعية المأثورة الا بعد
ان اعرف جميع الامراض والعلل واسبابها فجعل يشتغل طول عمره بمطالعة كتب
الطب ويتفحص كل مرض مرض وآفة آفة حتى يجوز له طلب الصحة منها في الدعاء
من الله فربما مات في اثناء المطالعة وتتبع الامراض ولم يدع ربه وايضا ان
الذي ذكره من تلك المسايل لم يستفده من قول اعوذ بالله بل استفادها
من الخارج وكان الكلام منه اولا في استنباط العلوم الكثيرة كعشرة آلاف
ونحوها من فاتحة الكتاب ومثل الذي ذكره لو كان هو بمعنى الاستنباط لامكن
ذلك النحو منه في غير كلام الله بل من كلام اكثر الناس وبالجملة ليس معنى كون
القرآن تبيانا لكل شئ ما تصوره وفضله بل شئ اجل وارفع من ذلك كما مرت
الاشارة اليه الحديث الثاني وهو الثمانون والمائة علي بن ابرهيم عن محمد بن عيسى
عن يونس

عن يونس عن حسين بن المنذر بن ابي طريفة البجلي كوفي من اصحاب الصادق
عليه السلم ثم ابن المنذر اخو ابي حسان وذكر ان الحسين ابنا منذر من اصحاب
الصادق عليه السلم وذكر في اسم منذر بن ابي طريفة ابنه الحسين روى
عنهما وقال النجاشي انه روى عن علي بن الحسين وابي جعفر وابي عبد الله عليه السلم
ولا يبعد ان يكون الحسن معروفا بابي حسان فيحتمل اتحاده وفي الكشي حمدويه عن
محمد بن الحسين عن محمد بن سنان عن الحسين بن المنذر قال كنت عند ابي عبد الله
عليه السلم جالسا فقال لي معتب خفف عن ابي عبد الله عليه السلم فقال ابو عبد الله
عليه السلم دعه فانه من فراخ الشيعة عن عمر بن قيس الماصر ويقال عمرو بالواو
بعد الراء وهو من اصحاب الباقر عليه السلم تبري عن ابي جعفر عليه السلم قال سمعته
يقول ان الله تبارك وتعالى لم يدع شيئا يحتاج اليه الامة الا انزله في كتابه وبينه
لرسوله صلى الله عليه وآله وجعل لكل شئ حدا وجعل عليه دليلا يدل عليه وجعل على
من تعدى ذلك الحد حدا الشرح افاد عليه السلم في هذا الحديث خمسة احكام
الاول ان الله تعالى انزل في كتابه يعني القرآن المجيد جميع ما يحتاج اليه هذه الامة
المرحومة فلم يدع ولم يترك شيئا من ذلك حتى الامور الجزئية والوقايع النادرة
والثاني انه بين واوضح الجميع لرسوله محمد صلى الله عليه وآله بحيث لا يخفى عليه شئ
من ذلك والثالث انه جعل لكل شئ من الحقايق العلمية والاحكام حدا اي معرفا
تاما يوجب تصوره بكنهه او بوجه يمتاز به عما سواه والرابع انه جعل عليه دليلا
وهو البرهان ونحوه يوجب التصديق بوجوده في نفسه فالحد وما يجري مجراه في
التصورات والدليل ما يجري مجراه في التصديقات والخامس انه تعالى جعل

الحسن م
عبد الله م
الباقر

تصوره لا م

على من تعدّى ذلك الحدّ الى غيره حدًّا من العقوبة او جعل على المتعدّى عن حدود الله حدًّا آخر غير الانسانيّة اذ يخرج الانسان بسبب مخالفة امر الله من حدود الانسانيّة الى حدود البهيميّة والسّبعيّة وغيرهما الحديث الثالث وهو الواحد والثمانون والمائة علىّ عن محمّد عن يونس عن ابان عن سليمان بن هرون هذا الاسم مشترك بين ثلثة رجال كلّهم من اصحاب الصّادق عليه السلم احدهم الازدى الكوفى والثانى العجلى من اصحاب الباقر عليه السّلم ايضا والثالث النخعى ابو داود وقال العلاّمة فى صه يقال له كذّاب النخع روى عن ابى عبد الله عليه السلم ضعيف جدًّا قاله ابن الغضايرى وقال فى كتابه الآخر سليمان بن عمر ابو داود النخعى يروى عن ابى عبد الله عليه السلم حدثنى احمد بن محمّد بن موسى قال حدثنا احمد بن محمّد بن سعيد قال كان ابو داود النخعى يلقّبه المحدّثون كذّاب النخع ثم قال فى هذا الكتاب حدثنى محمّد بن الحسين بن الفضل قال حدثنى عبد الله بن جعفر ابن درستوية قال قال يعقوب بن سفيان كان سليمن بن يعقوب النخعى يكذب على الوقف انتهى قال سمعت ابا عبد الله عليه السّلم يقول ما خلق الله حلالًا ولا حرامًا الّا وله حدّ كحدّ الدار فما كان من الطّريق فهو من الطّريق وما كان من الدّار فهو من الدار حتى ارش الخدش فما سواه والجلدة ونصف الجلدة الشرح يعنى انّ كلّ ما جعله الله حلالًا او جعله حرامًا فانّما له حدًّا خاصًّا كحدّ الدّار وجعل له طريقا خاصًّا كطريق الدّار ليس لاحد التّعدى عنه لا عن حدّه فى باب التّحديد والتّصوير ولا عن طريقه فى باب السّبيل والدّليل وبالجملة ليس لاحد ان يتصرّف بعقله فى شئ منها من جهة قياس او ترجيح او استحسان او غير ذلك فما اشتهر من علماء العامّة انّ حكم الله تابع لرأى

المجتهد

المجتهد وظنّه باطل وكذا ما ذكروا من انّ المتناقضات التى ادّت اليها آراء المجتهدين كلّها حكم الله يجب العمل بكلّ منها لمن اجتهد فيه ولمقلّديه وان ليس لله ان ينصب على كلّ حكم دليلا كلّ ذلك اوهام باطلة وآراء فاسدة بل الحلال حلال دائما والحرام حرام ابدًا ولكلّ منهما حدّ معيّن ودليل معيّن ابدًا وما كان من الطّريق لشئ فهو من طريقه ابدًا وما كان من حدّه فهو من حدّه ابدًا فليس لاحد تغيير الحدّ ولا الدّخول اليه الّا من طريقه كما فى قوله تعالى فأتوا البيوت من ابوابها الآية وفى ايراد لفظ خلق فى قوله عليه السّلم ما خلق الله حلالًا ولا حرامًا دون جعل ونحوه اشعار بانّ حسن الافعال وقبحها امر ذاتى لها ليس بجعل جاعل فالحلال حلال بالذات وله حدّ ذاتى والحرام حرام بالذات وله حدّ ذاتى وانّما صنع البارى سبحانه ايجاد الاشياء وافاضتها دون صيرورتها اياها اذ الذّاتى للشئ لا يعلّل ثمّ ذكر عليه السّلم من احكام الله تعالى الجزئيّة حقيرة استظهارًا وتأكيدًا لما هو بصدده من كون كلّ حكم له حدّ واليه طريق فقال حتى ارش الخدش وهو قشر الجلد بعود ونحوه يقال خدشه يخدشه خدشًا والارش ما يأخذه المشترى من البايع اذا اطّلع على عيب فى المبيع واروش الجنايات والجراحات من ذلك لانها جابرة عمّا حصل فيها من النقص وقوله فما سواه عطف على الخدش اى ارش ما سواه ممّا هو مثله او دونه فى الحقارة كما يدلّ عليه الفاء وقوله والجلدة ونصف الجلدة عطف على ارش الخدش وهى الضربة بالسّوط ونصفها وهو يتحقق امّا بكون السّوط الذى يضرب به الجانى نصف السّياط المتعارفة او يضرب على وجه يكون ايلامه نصف ايلام الجلدة

الارش الجراحة وجمعها الاروش مثل فلس وفلوس واصله الفساد مصباح

الواحدة والامام يعلم بنور القرآن والالهام درجة كل جناية وما يوجبه من الحدود
الحديث الرابع وهو الثاني والثمانون والمائة علي عن محمد بن عيسى عن يونس
عن حماد عن عبد الله بن سنان عن ابي الجارود عن ابي عبد الله عليه السلم
قال سمعته يقول ما من شيء الا وفيه كتاب او سنة الحديث الخامس
وهو الثالث والثمانون والمائة علي بن ابراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس عن
حماد عن عبد الله بن سنان عن ابي الجارود قال قال ابو جعفر عليه السلم اذا
حدثتكم بشيء فاسئلوني من كتاب الله ثم قال في بعض حديثه ان رسول الله
صلى الله عليه وآله نهى عن القيل والقال وفساد المال وكثرة السؤال فقيل يا ابن
رسول الله اين هذا من كتاب الله قال ان الله عز وجل يقول لا خير في كثير
من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وقال ولا تؤتوا
السفهاء اموالكم التي جعل لكم قياما وقال ولا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم
تسؤكم الشرح النجوى من ناجاه يناجيه فهو مناج وقد تناجيا مناجاة والمناجي
المخاطب للانسان والمحدث له ومنه حديث علي عليه السلم دعاه رسول الله
صلى الله عليه وآله يوم الطائف فانتجاه فقال الناس لقد طال نجواه فقال صلى الله
عليه وآله ما انتجيته ولكن الله انتجاه يعني اذا حدثتكم بشيء فاردتم مني دليله
فاسئلوني عن الدليل عليه من كتاب الله حتى اشير لكم الى دليله من الكتاب اي
لا تعولوا على شيء آخر من اجماع او قياس او استحسان واياكم القيل والقال فان رسول
الله صلى الله عليه وآله نهى عن ثلثة اشياء احدها القيل والقال وهو المناظرة في
العلم والمماراة والجدال في البحث والثاني فعل ما يوجب فساد المال والثالث كثرة

السؤال ثم لما ظهر من كلامه عليه السلم حيث قال اذا حدثتكم بشيء فاسئلوني من
كتاب الله ان جميع الاحكام ماخوذة من القرآن فسئلوا منه عن مدارك هذه الامور
الثلثة التي نقلها وحدثهم بها عن رسول الله صلى الله عليه وآله ومواضعها من القرآن
فتلى الآيات المذكورة فالآية الاولى وهي قوله لا خير في كثير من نجويهم دالة على
النهي عن القيل والقال وآفات المناظرة والجدال واعلم ان آفات المناظرة
وما يتولد منها من مهلكات الاخلاق ومرديات الذنوب والسيئات
كثيرة فان المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة واظهار الفضل وقصد المباهات
منبت النفاق ومنبع جميع الاخلاق المذمومة عند الله وقال بعض المحققين
ان نسبتها الى الفواحش الباطنة من الكبر والحسد والعجب والافتخار وتزكية
النفس وحب الجاه وغيرها نسبة شرب الخمر الى الفواحش الظاهرة
من الزناء والقتل والسرقة وغيرها وكما ان الذي خير بين شرب الخمر وساير الفواحش
استصغر الشرب فاقدم عليه فدعاه ذلك الى ارتكاب بقية الفواحش
في سكره فكذلك من غلب عليه حب الافحام والغلبة في المناظرة وطلب الجاه
دعاه ذلك الى اضمار الخبائث كلها في النفس وهيج فيه جميع الاخلاق المذمومة
واما الآية الثانية وهي قوله ولا تؤتوا السفهاء اموالكم الآية فصريحة في النهي
عن فساد المال وفساده معلوم انه قبيح منهي عنه عقلا وشرعا اذ المال انما
خلقه الله واعطاه لاجل ان يصرف في منافع الخلق وسد حاجاتهم ويبذل في
وجوه الخير وابواب البر فمن اضاعه وافسده كمن ضاد الحق وعاداه واما الآية
الثالثة وهي قوله تعالى ولا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم فهي للنهي عن

كثرة السؤال خصوصاً من العوام والجهال ومن لم يبلغ فهمه الى درك الحقيقة فهي افسد
شيء لدينهم وعقلهم ومن الآفات العظيمة سؤال العوام ومن يحذو حذوهم عن
صفات الله وعن كلامه وعن كيفية رؤيته وعن الحروف انها حادثة او قديمة
وعن سر القدر وعن الجبر والقدر الا ان الامساك عن السؤال ثقيل على النفوس
والفضول خفيف على القلب والعامي يفرح بان يخوض في العلم اذ الشيطان
يخيل له انك من العلماء واهل الفضل فلا يزال يحبب اليه ذلك حتى يتكلم بما هو
كفر ولا يدري وكل كبيرة يرتكبها العامي فهو اسلم من ان يتكلم في العلم لا سيما فيما
يتعلق بالله وصفاته وانما شأن العوام الاشتغال بالعبادة والايمان بما ورد به
القرآن والتسليم لما جاء به الرسول من غير بحث وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادة
سوء ادب منهم يتعرضون به لخطر الكفر وسخط الرب تعالى وهو كسؤال ساسة الدواب
عن اسرار الملوك وهو موجب العقوبة وكل من سأل عن علم غامض لم يبلغ فهمه الملوك
تلك الدرجة فهو مذموم فانه بالاضافة اليه عامي ولذلك روي انه قال رسول الله صلى الله
عليه وآله ذروني ما تركتكم فانما هلك من قبلكم بسؤالهم واختلافهم على انبيائهم ما نهيتكم عنه
فاجتنبوه وما امرتكم به فأتوا منه ما استطعتم وعن انس انه سأل رسول الله صلى الله عليه
وآله حتى اكثروا عليه واغضبوه فصعد المنبر فقال سلوني فلا تسألوني عن شيء الا انبأتكم به
فقام اليه رجل فقال يا رسول الله أفي الجنة انا او في النار قال بل في النار وقام اليه شابان
اخوان فقالا يا رسول الله من ابونا فقال ابوكما الذي تدعيان اليه فقام اليه رجل فقال من
ابي فقال ابوك حذافة وكان يدعى لغيره فلما رأى الناس غضب رسول الله صلى الله
عليه وآله امسكوا فنزلت الآية لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وروي عن رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وآله قال يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا هذا خلق الله
الخلق فمن خلق الله فاذا قالوا ذلك فقولوا الله احد حتى تختموا السورة ثم ليتفل
احدكم عن يساره ثلثاً وليستعذ بالله من الشيطان وقال جابر ما نزلت آية
التلاعن الا لكثرة السؤال وفي قصة موسى والخضر تنبيه على المنع من السؤال قبل اوان
استحقاقه اذ قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكراً
فلما سأل عن انكر عليه حتى اعتذر وقال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني
من امري عسراً فلم يصبر حتى سأل ثلثاً قال هذا فراق بيني وبينك وفارقه فسؤال
العوام عن غوامض الدين من اعظم الآفات وهو من المثيرات للفتن فيجب قمعهم
ومنعهم من ذلك وخوضهم في حروف القرآن يضاهي اشتغال من كتب اليه
الملك كتاباً ورسم فيه اموراً فلم يشتغل بشيء منها وضيع زمانه في ان قرطاس
الكتاب عتيق ام حديث فاستحق بذلك للعقوبة لا محالة فكذلك تضييع العامي
حدود القرآن واوامره ونواهيه واشتغاله بحروفه اقديم ام حادثة وكذا اشتغاله
بساير صفات الله وكذلك حكم اكثر المتكلمين الذين يخوضون في البحث عن صفات الله
وافعاله وآياته وكلماته من غير بصيرة وكشف قلب فمن اراد ان يعرف خواص
اسرار المبدأ والمعاد بهذه الصنعة المشهورة المسماة بعلم الكلام فقد استسمن ذا ورم
وهو في خطر عظيم فان طريق معرفة الله والسبيل الى فهم عجايب ملكوته واسرار
كتبه ورسله شيء آخر ليست صنعة الكلام ولا المتكلم بهذه الصنعة منه في شيء
بل انما هو بها في حجاب كثيف منه وخطر شديد الحديث السادس وهو الرابع
والثمانون والمائة محمد بن يحيى عن احمد بن محمد عن ابن فضال عن ثعلبة بن ميمون

مولى بنى اسد ثم مولى بنى سلامة كان وجهاً فى اصحابنا قارياً فقيهاً نحوياً
لغوياً راوية وكان حسن العمل كثيرة العبادة والزهد روى عن الصادق فى
الحكماء والفقهاء والاجلة فى هذه العصابة سمعه هرون الرشيد يدعو فى الوتر فحبسه
ضه قال الكشى ذكر حمدويه عن محمد عيسى ان ثعلبة بن ميمون مولى محمد بن قيس الانصارى
وهو ثقة خير فاضل مقدم معلوم فى العلماء والفقهاء الاجلة فى هذه العصابة ويقال
له ابو اسحق الفقيه وفى رجال الشيخ روى عنهما عليهما السلم عن المعلى بن خنيس
قال قال ابو عبد الله عليه السلم ما من امر يختلف فيه الاثنان الا وله اصل فى كتاب الله
ولكن لا تبلغه عقول الرجال الشرح تحقيق هذا الكلام وتبيين هذا المرام ان
الاشياء الكلية والجزئية كلها مسببة عن العلل والاوايل وهى كلها مسببة عن
السبب الاول جل اسمه الذى يتسبب منه كل موجود ممكن ويتشعب منه كل تعين
واثر وينتشر منه كل علم وخير وكل ما عرف سببه من حيث ما يقتضيه ويوجبه
فلا بد وان يعرف ذلك الشئ علماً ضرورياً دائماً وما من شئ الا وينتهى فى سلسلة
الحاجات اليه تعالى والى الاوايل الصادرة عنه واذا ترتبت الاسباب
والمسببات انتهت اوايلها الى مسبب الاسباب وانتهت اواخرها الى
الجزئيات الشخصية فكل كلى وجزئى ظاهر عن ظاهرية الاولى وقد تحقق فى العلوم
الحقيقية بالبرهان اليقينى ان العلم بسبب الشئ يوجب العلم به فمن عرف
ذاته باوصافه الكمالية ونعوته الجلالية وعرف الاوايل والغايات من العقول
القادسة ومنها الثوانى والمدبرات النفسانية والحركات السماوية للاشواق
الالهية والاغراض الكلية العقلية بالعبادات الدائمة والنسك المستمرة من غير

فتور

والكاظم عليهما السلم وكان فاضلاً متقدماً معدوداً

فتور ولغوب واعياء فى الدءوب الموجبة لان يترشح عنها صور الكاينات فيحيط
علمه بكل الامور واحوالها علماً بريئاً عن التغير والشك والغلط فيعلم من الاوايل الثوانى
ومن الكليات الجزئيات المترتبة عليها وهذه طريقة الصديقين فى معرفة الاشياء
المشار اليها فى قوله تعالى اولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد فانهم عرفوا
الله اولاً وعرفوا صفاته ومن صفاته اوايل افعاله ومن الاوايل الثوانى وهكذا
حتى علموا الكليات ومن الكليات الجزئيات ومن البسايط المركبات
فعلموا حقيقة الانسان واحوال النفس الانسانية وما يزكيها ويكملها ويسعدها
ويصعدها الى عالم القدس والربوبية ومنزل الابرار المقربين وما يدسيها و
يرديها ويشقيها ويهويها الى اسفل السافلين ومنزل الفجار والشياطين
علماً ثابتاً غير قابل للتغير ولا محتملا لتطرق الريب فهذه علوم الانبياء والاولياء حال
ومن يسلك منهاجهم كما فى قوله تعالى قل هذه سبيلى ادعوا الى الله على
بصيرة انا ومن اتبعنى وكل علم لم يحصل على هذه السبيل بل حصل من تقليد
او سماع او ظن او قياس فليس من الحق شئ ان الظن لا يغنى من الحق شيأ
فاذا تقرر ما ذكرناه فنقول ان القرآن كتاب نازل من عند الله على رسوله
صلى الله عليه وآله وهو مشتمل على اصول المعارف وعلوم الحقايق كلها فما من
حكم كلى ولا جزئى الا وفيه اصله ومبداؤه وغايته ومنتهاه ففيه جميع علوم الاولين
والاخرين الا ان اكثر العقول البشرية عاجزة عن البلوغ الى دركها من الكتاب فالقصور
من جانب العقول الضعيفة لقلة نورها لا من جانب القرآن لان آياتها ظاهرة
وانوارها ساطعة ودلايلها واضحة وحججها قاطعة الا ترى ما يلحق الخفافيش اذا نظرت

الظن

الى عين الشمس من الآفة والكلال فعلى هذا المثال مايلحق عقول الجماهير من النظر
فى آيات القرآن واشعة انوارها فعمدوا الى التأويلات البعيدة وحملوها
على المعانى المناسبة لانظارهم القشرية وآرائهم الوهمية الظلمانية وانتفاع
اكثر النفوس من القرآن كانتفاع الخفافيش من مرايا عكوس انوار الشمس
وظلالها فلذلك درج ابناء الحكمة والمعرفة الى هذا المطلب وراضوا انفسهم
بالرياضات وعالجوها بالعلاجات حتى زالت عن عيون عقولهم وبصائرهم
العمش والغشاوة والآفة حتى امكنهم ان يلحظوا الآيات القرآنية ويستضيئوا
بانوارها فيروا بنور القرآن جميع المقامات الدينية والاحوال الاخروية
والاحكام الايمانية والعلوم الالهية والآداب الخلقية والسياسات
والحدود الشرعية وهى الحكمة الممنون بها على اهلها المضنون بها على غير اهلها
وهى الخير الكثير والفوز الكبير والفضل العظيم والمن الجسيم وذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم الحديث السابع وهو الى مس والثمانون
والمائة محمد بن يحيى عن بعض اصحابه عن هرون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة
عن ابى عبد الله عليه السلم قال قال امير المؤمنين عليه السلم ايها الناس ان
الله تبارك وتعالى ارسل اليكم الرسول صلى الله عليه وآله وانزل اليه الكتاب
بالحق وانتم اميون عن الكتاب ومن انزله وعن الرسول ومن ارسله على حين فترة
من الرسل وطول هجعة من الامم وانبساط من الجهل واعتراض من الفتنة وانتقاض
من المبرم وعمى عن الحق واعتساف من الجور وامتحاق من الدين وتلظى من الحروب
على حين اصفرار من رياض جنات الدنيا ويبس من اغصانها وانتثار من ورقها

ويأس

ويأس من ثمرها واغورار من مائها قد درست اعلام الهدى وظهرت اعلام الردى
فالدنيا متجهمة فى وجوه اهلها مكفهرة مدبرة غير مقبلة ثمرتها الفتنة وطعامها الجيفة
وشعارها الخوف ودثارها السيف مزقتم كل ممزق وقد اعمت عيون
اهلها واظلمت عليها ايامها قد قطعوا ارحامهم وسفكوا دماءهم ودفنوا فى التراب
الموؤدة بينهم من اولادهم يجتاز دونهم طيب العيش ورفاهية خفوض الدنيا لا يرجون
من الله ثوابا ولا يخافون والله منه عقابا حيهم اعمى نجس وميتهم فى النار مبلس
فجاءهم بنسخة ما فى الاولى وتصديق الذى بين يديه وتفصيل الحلال من ريب الحرام
ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق لكم اخبركم عنه ان فيه علم ما مضى وعلم ما يأتى
الى يوم القيمة وحكم ما بينكم وبيان ما اصبحتم فيه تختلفون فلو سألتمونى عنه لعلمتكم الشرح
الامى فى اللغة منسوب الى امة العرب وهى لم تكن تكتب ولا تقرأ فاستعير
لكل من لا يعرف الكتابة ولا القراءة ومنه قوله تعالى بعث فى الاميين رسولا
منهم وقيل منسوب الى الام وفى الحديث انا امة امية لا نكتب ولا نحسب
ارادوا انهم على اصل ولادة امهم لم يتعلموا الكتابة والحساب فهم على جبلتهم الاولى
والفترة الزمان بين الرسولين من رسل الله عم الذى انقطعت فيه الرسالة
ومنه فترة ما بين عيسى ومحمد عليهما السلم والهجعة والهجوع النوم ليلا والانتقاض
الانهدام والانفصام من نقض البناء والحبل والعهد نقضا والمبرم من ابرمت الشى
اذا احكمته زمان والاعتساف افتعال من العسف وهو الظلم والعسوف
الظلوم والامتحاق من المحق وهو المحو والابطال وتلظى من الحروب اى تلهب من
التلهب نارها وهو تفعل من اللظى وهى اسم من اسماء النار مكفهرة من الكفهر

الرجل فهو مكفهر الوجه اذا عبس ومكفهر اللون اذا ضرب لونه الى الغبرة مع الغلظ
والممزق مصدر مثل التمزيق بمعنى الخرق ومنه قوله تعالى ومزقناهم كل ممزق والمزق
القطع من الثوب الممزوق القطعة منها خرقة والموؤدة المدفونة في التراب
حية من البنات والمبلس اسم فاعل من ابلس من رحمة الله اي يئس
ومنه ابليس وغرضه عليه السلام من هذه الخطبة الشريفة بيان حاجة الناس في
امور دينهم ودنياهم وعقايدهم واحكامهم ومنهاج عبوديتهم وسبيل طاعتهم الى
كتاب الله وان لا حجة الا به ولا طريق الا طريقه ولا ميزان قسط الا ميزانه فذكر اولا
انه من عند الله بلا شك لان الله ارسل رسوله وانزل اليه الكتاب متلبسا
بالحق وبعثه في الاميين الذين لم يقرؤا ولم يكتبوا ولم يعلموا ما الكتاب لئلا يتوهم انه
درس الكتاب او تعلم من الاحبار ثم اردفه بذكر الاحوال المذمومة التي كان الناس
عليها زمان البعثة من جهة الدين والدنيا ليتحقق ويظهر انه في مثل ذلك الوقت الذي
كان فيه الناس احوج ما كانوا الى ما يهديهم الى الصراط المستقيم ومن يدعوهم الى
الدين القويم لا بد ان يرحم الله على عباده بما ينقذهم من ورطة الردى والهلكات
وربقة العمى والجهلات وينجيهم من اسر الهوى والشهوات وما هو الا رحمة
للعالمين والكتاب الذي انزل اليه هدى للناس اجمعين واما تلك الاحوال
المذمومة بعضها بحسب الدنيا وبعضها بحسب العقبى فهي هذه الامور الاول
الفترة وظاهر ان خلو الزمان عن رسول فيه يستلزم وجود الشرور ووقوع الفتن
والهرج والمرج فيلحق ذلك الزمان من الذم بمقدار ما يلحق زمانا فيه رسول من المدح
الثاني طول هجعة من الامم وكنى عليه السلام بالهجعة عن غفلتهم في امر الآخرة ورقودهم
في مراقد

ومزقناهم كل ممزق اي فرقناهم ... كل وجه من البلاد والممزق مصدر كالتمزيق صح

في مراقد الطبيعة ومضاجع الابدان في مدة طويلة هي زمان الفترة الثالث انبساط
الجهل وكنى بانبساطه بشموله للجميع في جميع الامور الدينية التي ينبغي ان يعلم الرابع
الاعتراض من الفتنة وهو من اعترض الفرس الطريق اذا مشى عرضا من غير
قصد وهو اشارة الى ان الفتن لما كان وقوعها لاجل كون الاوضاع والاحوال
غير واقعة على قانون شرعي ونظام حكمي مصلحي لا جرم اعترضوا الطريق كالبهايم
وانحرفوا عن قصد السبيل بسبب الفتنة ففي الكلام اما تجوز في نسبة الاعتراض
الى الفتنة لعلاقة السببية واما تشبيه للفتنة لاجل وقوعها في نفسها على غير
قانون بالمعترض في الطريق من الحيوان الماشي على غير استقامته فاستعير
لها لفظ الاعتراض والخامس الانتقاض من المبرم اشارة الى زوال ما كان الخلق
عليه من نظام احوالهم بسبب الشرايع السابقة والاديان الماضية وانبرام امورهم
بوجودها وفساد ذلك النظام بتغير تلك الشرايع وانقطاعها عنهم السادس العمى
عن الحق عبارة عن بطلان بصيرتهم الباطنة بزوال استعدادها لادراك الحق بالطبع
والرين الحاصل في قلوبهم بارتكاب الشهوات واقتراف الخطيئات فعموا
عن رؤية الحق السابع الاعتساف من الجور لاستيلاء الظلمة والفظاظة
على النفوس وكثرة حجب الجهالة والضلالة على القلوب الثامن امتحاق الدين
حيث كان الناس غير متقيدين بدين ولا ملتزمين بشريعة فالعرب على عبادة
الاوثان ووأد البنات والفرس على تعظيم النيران ~~[illegible]~~ ووطي الامهات
والهند على عبادة البقر وسجود الحجر والشجر واليهود على كون عزير ابن الله وعلى
ما لها من التعسف والجحود والنصارى عبدة عيسى عليه السلام اذ ليس بوالد ولا مولود

والحرك على تخريب البلاد وتعذيب العباد وبهذا سار الفِرَق في اودية الضلال
ومهاوي النكال التاسع التلظي من الحروب وهو اشتعال نيران الخصومة
والعداوة من الناس اذ منشأ الحرب الغضب ومنشأه استيلاء كيفية
نفسانية توجب تثير نارا في القلب هي نار الغضب واذا ثار ثورانا يغلي
به دم القلب وينتشر في العروق الى ظواهر البدن ويرتفع الى اعاليه كما يرتفع الماء
الذي يغلي في القدر فينصب الدم الى الوجه فيحمر الوجه والعين والبشرة طلبا للحرب والانتقام
فلا يزال في الالتهاب والاشتعال ويقوم بها الحرب والقتال الى ان ينطفي
اما بالظفر والانتقام واما بضده كالخوف والانهزام ونحوهما مما توجب انقباض
الدم من ظاهر الجسد الى باطنه بجمود الحرارة ولهذا يصفر اللون واما بغير ذلك من
الاسباب كالوعظ والنصيحة والتفطن لما فيه مصلحة وحكمة وما يجري بهذه الامور
والحاصل ان منشأ الحروب اشتعال نار الغضب فحسن اسناد التلظي اليها
العاشر كونه مرسلا على حين اصفرار من رياض جنات الدنيا ويبس من
اغصانها وانتشار من ورقها ويأس من ثمرها واغورار من مائها شبه عليه السلم
الدنيا وبلدانها العامرة ونعيمها برياض الجنات لانها لشهواتها الحيوانية وتمتعاتها البهيمية
جنات الانعام ورياض النفوس البهيمية واستعار لفظ الاغصان والورق والثمر
والماء لمتاعها وزينتها واسباب حصول لذاتها ومواد تمتعاتها ولفظ الاصفرار
واليبس والانتشار واليأس لتغير صور تلك اللذات والتمتعات وزوال
اسبابها وبطلان موادها بالتغير اوضاع الزمان في ذلك الوقت وتبدل الاحوال سيما
على العرب وعدم انتظام امورهم وسوء معيشتهم وخشونة ملابسهم وجشوبة مطاعمهم
كما يذهب

التلظي لاحم

جشب [illegible] الخشن [illegible] ادام وكذا [illegible]

كما يذهب حسن الشجرة ورونقها وبهاؤها باصفرار ورقها ويبس اغصانها وذهاب
مائها وكذلك استعار لفظ الماء لمواد متاع الدنيا وطرق لذاتها ولفظ الاغورار لعدم
تلك المواد من قلة المكاسب والتجارات وعدم الانتفاع من الاملاك والاراضي
كل ذلك لعدم النظام العدلي والقانون الملي بين الامم وارتفاع الدين والصلاح من العالم
وانقطاع الوحي والنبوة عن وجه الارض فهذه كلها استعارات بالكناية او ترشيحات
ووجه استعارة الاغصان والاوراق انها كما ان قوة الشجرة وقوامها بالاغصان و
زينتها وحسنها بالاوراق كذلك قوة الحيوة الدنيا وقوام لذات النفوس
ورعوناتها بمتاع الدنيا وطيباتها ووجه استعارة الثمرة ان الثمر كما انه مقصود
الشجر غالبا كذلك التمتع والتلذذ من مشتهيات الدنيا من المطعم الشهي
والمشرب البهي والمسكن السني مقصود النفوس الحيوانية واما وجه استعارة
الماء فهو ان الماء كما انه مادة الشجر وبه اصل حيوتها ومادة بقائها كذلك مواد
تلك اللذات وهي المكاسب والتجارات والاقتدار على اقتناء الاموال
والعروض بالصناعات ووجوه باقي الترشيحات والتخييلات ظاهرة يطول
بذكرها الحادي عشر دروس اعلام الهدى وكنى باعلام الهدى عن ائمة الدين وكتب
المنزلة في معارف الحق واليقين التي بها يهتدي الناس لسلوك سبيل الله
وبدروسها عن موت اولئك الحجج الماضين وزوال كتبهم الالهية من بين الخلق
سيما العرب الثاني عشر ظهور اعلام الردى وهم ائمة الضلال الداعين الى
النار الثالث عشر كون الدنيا متجهمة في وجوه اهلها مكفهرة وفي رواية متجهمة لاهلها
عابسة في وجوه طلابها وكنى بذلك عن عدم صفائها لهم فان طيب العيش في الدنيا

الثمر لاحم
مشتهيات [illegible]

انما يكون مع الامنية بوجود نظام العدل والنصفة من اهلها وعدم التظالم والتعاند وذلك
في زمان الفترة كان مفقودا من العرب وهو استعارة بالكناية ووجه المشبه به ما يستلزم
المستعار عنه والمستعار له من عدم تحصيل المطلوب وفقد الانجاح معها الرابع عشر كون
الدنيا مدبرة غير مقبلة ووجه ذلك ما مر من عدم آثار الدين واندراس الكتب والشرائع
والقوانين ووقوع الهرج والمرج في ذلك الحين الخامس عشر كون ثمرها الفتنة اي
غاية سعيهم فيها على خبط في ظلمات الجهل والهوى انما يكون الفتنة اي الضلال عن سبيل
الحق والوقوع في مهوى الحيرة والنكال والظلمة والوبال وغاية كل شيء هي المقصود
منه فتشبه الثمرة التي هي مقصود الشجرة فلذلك عين لها لفظ الثمرة السادس عشر
كون طعامها الجيفة يحتمل ان يكون الجيفة استعيرة ههنا لطعام الدنيا ولذاتها ووجه المشبه به
انه لما كانت الجيفة عبارة عما انتن وتغيرت رائحته من جثة حيوان ونحوها تخبث
ماكله وتنفر الطبع عنه كذلك طعام الدنيا ولذاتها في زمان الفترة اكثر ما يكون من النهب
والغارة والسرقة وامثالها مما يخبث تناوله شرعا وينفر العقل عنه ويأباه كرائم الاخلاق
فاشبه ما يحصل من متاعها الجيفة في خبثها وسوء مطعمها وان كان احد الخبثين عقليا
والآخر حسيا فاستعير لفظها له ويحتمل ان يكنى بالجيفة عما كانوا ياكلونه في الجاهلية بالجيفة
من الحيوان غير مزكى وهو ما حرم القرآن الكريم من ذلك في قوله حرمت عليكم الميتة و
الدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله والمنخنقة والموقوذة اي المضروبة بالخشبة
حتى تموت ويبقى الدم فيها فيكون الذ واطيب عند المجوس والمتردية اي التي تردت
من علو فماتت فان كل ذلك اذا مات فكثيرا ما يتعفن ويؤكل فصدق ان
طعامهم كان الجيف السابع عشر كون شعارها الخوف الثامن عشر دثارها السيف

وهما

وهما على حذف المضاف اي شعار اهلها ودثار اهلها استعار عليه السلم
لفظي الشعار والدثار للخوف والسيف وجه الاستعارة الاولى ان
الخوف وان كان من العوارض الا انه كثيرا ما يستتبع اضطراب البدن
واصفرار لونه وانفعاله بالرعدة لاعضائه فيكون شاملا له شمول ما يتخذه الانسان
شعارا ووجه الثانية ان الدثار والسيف يشتركان في مباشرة المدثر و
المضروب والالتصاق بهما والتاسع عشر كونهم ممزقا كل ممزق يحتمل ان يكون
المراد تمزق ابدانهم بالسيوف والقتال وتقطع ارحامهم بالفسوق والفجور
والخصومة والجدال وتباعد اقربائهم في الاطراف النائية والبلدان القاصية
وتفرق آرائهم وتشتت اهوائهم كما في قوله فتقطعوا امرهم بينهم زبرا العشرون
كونها قد اعميت عيون اهلها لغلبة الظلمة والجهالة على قلوبهم واستيلاء غشاوة
الطبيعة ورين المعصية على بصائرهم الواحد والعشرون كونها قد اظلمت
عليها ايامها لكثرة الفتن والجور والظلم فيها الثاني والعشرون قطع ارحامهم بعضهم
عن بعض الثالث والعشرون سفك دمائهم بعضهم لبعض فان الزمان
اذا خلى عن قانون عدل وسلطان عادل قاهر على الناس بتأييد من عند الله
يخضعه الخلايق كلهم يرى كل احد حظ نفسه وان يكون الامر له لا عليه فيغلب على من
يقوى عليه فيأخذ عنه ما في يده وان ابى يسفك دمه وكذا من يغلب على هذا
فيقع الفساد والهرج في العالم الرابع والعشرون دفنهم في التراب الموؤدة
منهم من اولادهم كان اذا ولد لاحدهم في الجاهلية بنت دفنها في التراب وهي حية
الخامس والعشرون كونهم على حالة يجاوزونهم طيب العيش ورفاهيته خفوض

الدنيا اي يزول عنهم طيب العيش والرفاهية والخفوض جمع الخفض وهو الدعة
والراحة والسكون وفي نسخة يختار بالياء المعجمة اي يراد وفي اخرى طلب العيش
بدل طيب العيش وفي بعضها حفوظ من الحظ السادس والعشرون كونهم لا
يرجون من الله ثوابا ولا يخافون والله منه عقابا لكون رجاء الثواب وخوف
العقاب منه تعالى فرع الايمان به وباليوم الآخر وحيث لم يكن فيه احدهما فلا رجاء
لثواب ولا خوف لعقاب وقوله عليه السلم والله قسم وقع اعتراضا لزيادة
التأكيد السابع والعشرون كون حيهم اعمى نجس وميتهم في النار مبلس وهذا
كالفذلكة والنتيجة للاوصاف المذكورة والاحوال المعدودة للدنيا وابنائها
في ذلك الزمان فان الزمان اذا خلا عن اعلام الهدى وظهرت اعلام الردى
وارتفع منه انوار العلم والايمان وانتشرت فيه ظلمات الجهل والظلم والطغيان
وساير ما سبق من المذكورات كانت حال ابناء الزمان هكذا من كون الاحياء
عماة عن درك المعارف اشقياء نجسين والاموات في النار معذبين مبلسين
من رحمة رب العالمين ولفظ نجس اختلف النسخ فيه ففي بعضها بالجيم وهو من
النجاسة فيكون كناية عن الكفر لقوله تعالى انما المشركون نجس وفي بعضها بالحاء
غير المعجمة وهو من النحوسة اي الشقاوة وفي بعضها بكسر النون وسكون الجيم بمعنى الناقص
والاول اولى ثم لما فرغ عليه السلم من عد ذمايم الاحوال التي كان الناس عليها في
اوان البعثة ومن غاية حاجتهم الى النبي المبعوث والكتاب فرع عليه قوله عليه السلم
فجاءهم ما في الصحف الاولى اراد بها التورية والانجيل وصحف ابرهيم عليه السلم [بنسخة م]
وغيرها من الصحف النازلة على الانبياء عليهم السلم وهي كثيرة بل مائة صحيفة كما روا

الصدوق

الصدوق في كتاب الخصال عن ابي ذر رحمه الله انه قال قلت يا رسول الله كم انزل الله
من كتاب قال مائة كتاب واربعة كتب انزل الله على شيث خمسين
صحيفة وعلى ادريس عليه السلم ثلثين صحيفة وعلى ابرهيم عليه السلم عشرين
صحيفة وانزل التورية والانجيل والزبور والفرقان ويحتمل ان يكون المراد منها
الصحف الالهية المكتوبة بالقلم الالهي في الالواح القضائية فان القرآن نسخة من
اللوح المحفوظ جعل للقرآن اوصاف ثلثة اولها انها نسخة لما في الصحف الاولى وثانيها
انه تصديق الذي بين يديه يعني به التورية والانجيل كما قال تعالى ومصدقا لما بين
يديه من التورية وكل امر تقدم امرا منتظرا قريبا منه يقال انه جاء بين يديه وثالثها
انه تفصيل الحلال من ريب الحرام اي يتبين فيه الاحكام وينفصل به الحلال المطلق [ظ شبهة]
من شبهة الحرام فضلا عن صريحه فالوصفان الاولان للدلالة على انه كتاب مبين تنزيل
من رب العالمين والوصف الاخير لكونه فيه تفصيل كل شيء فدلت الاوصاف
الثلثة بعد ما ثبتت من المذكورات قبلها حاجة الناس الى الشريعة والكتاب
على ان هذا القرآن مما يحتاج اليه في جميع الاحكام وفيه علوم الاولين والآخرين كما نبه
عليه وليس في شيء مما سواه غنى عنه من كتاب او سماع او قياس او
غير ذلك اذ كل ما هو غير القرآن او ما ينتمي اليه من السنة فهو بدعة وسفه وهذيان
ولاجل هذا قال ذلك القرآن مشيرا اليه ثم امر باستنطاقه بقوله فاستنطقوه
وعنى به استعلام الاخبار والاحكام عنه ثم اشار الى ان ليس لكل احد ممن ينطق
له القرآن اذ لا يفهم لسانه الا اهل الله خاصة ولذلك قال ولن ينطق لكم لعدم
السمع الباطني والاذن القلبي فيكم ثم بين انه عليه السلم لسان الله الناطق عن كتبه

للخلق المخبر عن اسرار القرآن ومكنوناته فقال اخبركم وفي رواية نهج البلاغة ولكن اخبركم
عنه ونبّه على انّ في نفسه القدسيّة علم الاوّلين والاخبار القرون الماضين وعلم الخصام
والمناكحات والمواريث والحدود وساير الاحكام وبيان ما اصبح الناس مختلفين
فيه من مسائل الاعتقاديات وساير ما اشتمل عليه القرآن الكريم ثم قال فلو سألتموني
عنه لعلّمتكم واشار بايراد كلمة لو دون اذا ونحوها الى عدم من يتأهّل من غوامض مقاصد
القرآن واسرار علومه كما دلّ عليه قوله عليه السلم انّ ههنا لعلوما جمّة لو وجدت لها حملة

الحديث الثامن وهو السادس والثمانون والمائة محمد بن يحيى عن محمد بن عبد الجبار
قمّي ثقة من اصحاب الهادي عليه السلم ابن ابي الصهبان روى عنه سعد وغيره
وهو ممن لم يرو كذا في فهرست الشيخ وقال الكشي روى عن ابي بكير عن ابن فضال عن
حماد بن عثمان عن عبد الاعلى بن اعين العجلي مولاهم الكوفي من اصحاب الصادق عليه السلم
قال سمعت ابا عبد الله عليه السلم يقول قد ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله
وانا اعلم كتاب الله وفيه بدأ الخلق وما هو كائن الى يوم القيمة وفيه خبر السماء وخبر الارض
وخبر الجنة وخبر النار وخبر ما كان وما هو كائن اعلم ذلك كما انظر الى كفّي انّ الله يقول فيه
تبيان كل شيء الشرح قوله عليه السلم قد ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله يعني
بذلك انه وارث علم الرسول صلى الله عليه وآله وانّ الولد سرّ ابيه وانّ الانبياء
لم يورثوا دينارا ولا درهما بل انّما ميراثهم العلم ثم انّ الولادة على ضربين صوريّة ومعنويّة
امّا الولادة الصوريّة فظاهرة وامّا المعنويّة فهي ولادة العلم والعالم بما هو عالم فانّما يصير
العالم عالما حقيقيا بحصول نشأة اخرويّة في ذاته تغاير هذه النشأة الدنيويّة ونسبة
المعلّم والشيخ الى المتعلّم والمريد نسبة الاب الى الولد في هذه الولادة الروحانيّة

وربما

وفيه آيات الفتن وعدم ونهاية الساعة
والرجوع الى يوم القيمة والحكم ما بين الناس
وسائل العدل والحرام والدعاوى تم

وربما اجتمع الضربان من الولادة اي الصوريّة والمعنويّة لاحد بالنسبة الى شخص
واحد بان يكون والده معلّمه اذا تحقق هذا فنقول نسبة الائمة الطاهرين عليهم السلم الى
الى النبي صلى الله عليه وآله جامعة لكلتا الولادتين فهم اولاده الروحانيّة والجسمانيّة و
اجتمع في كل واحد منهم النسبتان فيكون نورا على نور فاذا ثبت انه عليه السلم
ولد الرسول صلى الله عليه وآله بكلتا الولادتين فيكون له ميراث علم الرسول صلى الله
عليه وآله وكل من كان وارث علم النبي صلى الله عليه وآله كان عالما بكتاب الله لانّ
علم النبي فيه اذ نزل من عند الله فاذن صحّ قوله وانا اعلم كتاب الله ثم اراد ان
يتبيّن انه عالم بكل الامور عارف بجميع الاحكام لانّها كلها في الكتاب فقال وفيه
بدأ الخلق الى قوله وما هو كائن اشار الى مجامع اقسام العلوم كلها لانّها امّا
علم باحوال المبدأ وما يتعلق به وامّا باحوال الكون والحدوث وما يتعلق به
وامّا باحوال المعاد وما يتعلق به والى هذه الثلثة اشار امير المؤمنين عليه السلم
بقوله رحم الله امرءا اعدّ لنفسه واستعد لرمسه وعلم من اين وفي اين والى
اين يعني انّ المعتبر من كمال القوة العمليّة فعل ما به نظام المعاش ونجاة المعاد ومن
كمال القوة النظريّة العلم بالمبدأ والمعاد وما بينهما جهة النظر والاعتبار فقوله
وفيه بدأ الخلق اشارة الى العلم بالله وصفاته العليا واسمائه الحسنى و
افعاله العظمى وملكته الكبرى وقوله ما هو كائن الى يوم القيمة اشارة الى العلم
بالامور الكائنة الفاسدة التي وقع الانسان فيها في اوسط احواله الثلثة بين
ما كان اوّلا وهو كينونيّته السابقة في مراتب البدو وفي مكامن علم الله وعالم
قضائه وقدره وبين ما سيصير اخيرا في منازل العود في القبر والبرزخ والحشر والجنة

والنار ولما كانت هذه الكاينات الى يوم القيمة متكونة من اصول ثابتة الى يوم القيمة
هي اسبابها الفاعلية والمنفعلة كالابوين اشار اليها بقوله وفيه خبر السماء والارض
وقوله وفيه خبر الجنة وخبر النار ثم اجمل في البيان بعد التفصيل ايضاحا وتاكيدا فقال
وخبر ما كان وما هو كائن ثم اشار بقوله اعلم ذلك كما انظر الى كفي الى ان علمه بالجميع
اقوى مراتب العلم واوضحها وهو العلم الشهودي الكشفي ثم اوضح البيان واقام
البرهان على ان جميع العلوم في القرآن بقوله فيه تبيان كل شيء الحديث التاسع
وهو السابع والثمانون والمائة عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن عيسى عن
علي بن النعمان عن اسمعيل بن جابر عن ابي عبد الله عليه السلم قال كتاب الله
فيه نبأ وخبر ما بعدكم وفصل ما بينكم ونحن نعلمه الشرح لما علمت ان العلوم
التي يجب ان يستكمل بها النفس الانسانية قسمان احدهما ما يتعلق بامورنا
ان نعلمها وليس لنا ان نتصرف فيها والثاني ما يتعلق بامورنا ان نعلمها لنعملها
ونتصرف فيها فالغاية في الاول حصول نفس العلم والمعرفة وفي الثاني حصول
العمل والاول قسمان هما ثمرتا ساير ابوابه وفصوله احدهما معرفة احوال المبدأ
والثاني معرفة المعاد والقرآن مشتمل على هذه الاقسام الثلثة الحكمية على
اكمل وجه فلا يبعد ان يكون مراده عليه السلم من قوله فيه نبأ ما قبلكم الى القسم الاول
من الحكمة النظرية وقوله خبر ما بعدكم الى ثاني قسميها وقوله وفصل ما بينكم اشارة
الى الحكمة العملية وحمل القبلية والبعدية على الذاتيين او ما يعمهما والزمانيين
اولى من حملهما على الزمانيين فقط ليكون الدلالة مقصورة على حكايات القرون
الماضية واللاحقة والضمير في قوله ونحن نعلمه راجع الى كتاب الله او الى المذكورات
الثلثة

الثلثة بتأويل الجميع ونحوه الحديث العاشر وهو الثامن والثمانون والمائة
عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد عن اسمعيل بن مهران عن سيف بن عميرة
عن ابي المغرا اسمه حميد بن زياد من اهل نينوى قرية الى جانب الحاير على ساكنه
السلم ثقة عالم جليل واسع العلم كثير التصانيف قاله الطوسي رحمه الله وقال النجاشي
حميد بن زياد بن حماد بن زياد الدهقان ابو القسم كوفي سكن سورا وانتقل الى
نينوى قرية على العلقمي الى جانب الحاير على صاحبه السلم كان ثقة واقفا وجها
فيهم مات سنة عشر وثلثمائة فالوجه عندي ان روايته مقبولة اذا خلت عن
المعارض صح عن سماعة عن ابي الحسن موسى عليه السلم قال قلت له اكل شيء في كتاب الله
وسنة نبيه صلى الله عليه وآله او تقولون فيه قال بل كل شيء في كتاب الله وسنة
نبيه صلى الله عليه وآله الشرح لما كان اشتمال القرآن والسنة على
كل شيء امرا غامضا دقيقا لا يتيسر لكل احد ان يعلم ذلك ويصدق به لهذا
كرر سماعة الاستفهام بشبه الانكار فاكد عليه السلم في الجواب تحقيقا لما استفهم
عنه وانت يا حبيبي ان اردت ان تعرف حقيقة هذا الامر وانكشف لك
سره على وجه الاجمال فاعلم ان العلم بالاشياء الجزئية على وجهين احدهما
ان نعلم الاشياء من الاشياء بحس او تجربة او سماع خبر او شهادة او
اجتهاد ومثل هذا العلم لا يكون الا متغيرا فاسدا محصورا متناهيا غير محيط
فانه يلزم ان نعلم في زمان وجودها علما وقبل وجودها علما آخر ثم بعده علما آخر فاذا
سئل العالم بهذا العلم عن حادث ما كالكسوف مثلا حين وجوده يجيب بجواب
فيقول مثلا انكسفت الشمس واذا سئل عنه قبل حدوثه يجيب بجواب آخر فيقول

سيكون الكسوف ثم اذا سئل بعده فيقول قد كان الكسوف فعلمه بشيء واحد تارة
كان وتارة كائن وتارة سيكون فيتغير علمه ومثل هذا العلم الانفعالي متغير فليس
بيقين اذ العلم اليقيني ما لا يتغير اصلا وثانيهما ان لا يعلم الاشياء من الاشياء بل بمباديها
واسبابها فيعلم اوايل الوجود وثوانيها وهكذا الى ان ينتهي الى الجزئيات علما واحدا
وعقلا بسيطا محيطا بكليات الاشياء وجزئياتها على وجه عقلي غير متغير فمن عرف
المبداء الاول بصفاته اللازمة وعرف انه مبداء كل وجود وفاعل كل فيض وجود وعرف
اوايل الموجودات عنه وما يتولد عنها على الترتيب السببي والمسببي كما يتولد مراتب
العدد من الواحد على الترتيب وما من شيء من الاشيا يوجد الا وقد صار من جهة
ما يكون واجبا بسببه وسببه الى ان ينتهي اليه تعالى فيكون هذه الاسباب بمصادماتها
تتادى الى ان يوجد عنها الامور الجزئية وهذا النحو من العلم انما يحصل لانسان فارقت نفسه
الاوطان والمواد والمتعلقات وهاجر الى الله تعالى كما قال عيسى عليه السلم اني مهاجر
الى ربي سيهدين فاذا ارتقى الى عالم الربوبية وافاض عليه من نوره صار عقله للاشياء
عقلا بسيطا يعقل الاشياء بعلم الله الفايض عليه فيكون مدركا للامور الجزئية من حيث
هي دايمة كلية ومن حيث لا كثرة ولا تغير فيه ونسبة علمه بالاشياء الى ساير العلوم
كنسبة القوة الباصرة الى ادراك اجزاء المبصرات بابصار واحد فما وقع عليه سهم الشعاع
البصري يكون اولا وبالذات وهو اصدق رؤية ثم ما يليه وما يليه وهكذا الى الاطراف
فهكذا حال علم الانبياء والاولياء عليهم السلم بالاشياء فان العالم كله كشخص متصل اجزاؤه
بعضها ببعض وعلمهم بها كشعور النفوس بجميع اجزاء بدنها علما واحدا متفاوتا على ترتيب الاقرب
فالاقرب والالطف فالالطف فانها شاعرة بذاتها اولا وبواسطة شعورها بذاتها

تشعر

العلم

تشعر بما يقرب ذاتها من القوى والارواح الكامنة في القلب الذي هو مثال العرش
والدماغ الذي هو مثال الكرسي ثم بواسطتها الاعضاء اللطيفة والبسيطة ثم المركبة
على ترتيب الالطف فالالطف حتى ينتهي الى الجلد والشعر والاظفار كل ذلك
بعلم واحد بسيط ولو اردنا بيان تفصيل ذلك الشعور والعلم الذي لها باجزاء
بدنها وقواها وشرعنا لما يسع له المجلدات بل لادى ذلك الى غير متناه من
العلوم وبالجملة من عرف كيفية علم الله تعالى وعلم مقربيه من الملكية بالاشياء
الجزئية الكاينة الفاسدة المتعاقبة في الكون علما كليا ثابتا دائما من غير تغير وزوال
ولا استحالة وانتقال وان كانت المعلومات جزئية كائنة مستحيلة زمانية
متجددة في انفسها وبقياس بعضها الى بعض امكنه ان يعلم حينئذ كيفية علم الانبياء
والاولياء الكاملين عليهم السلم باحوال الموجودات الماضية والمستقبلة وعلم ما سيكون
الى يوم القيمة علما كليا ثابتا غير متجدد بتجدد المعلومات ولا متكثر بتكثرها وعند ذلك
يعرف معنى قوله تعالى وفيه تبيان كل شيء ويصدق بان جميع العلوم والمعاني في
القران الكريم عرفانا حقيقيا وتصديقا يقينيا على بصيرة لا على وجه تقليد او سماع او
ما يجري مجريهما علما حقيقيا بذلك الشيء واكثر الناس لما لم يعرفوا المبداء الاول تعالى
حق معرفته ولا اوايل الموجودات والمبادي الكلية والغايات ولا عرفوا العقول
ولا النفوس ولا الطبايع الكلية واغراضها واشواقها في ذهابها وحركاتها الدورية
تقربا الى الله وطاعته وما يترشح عنها من الخيرات ونعم الله على الكاينات حتى
انهم لا يعرفوا نفوسهم التي هي اقرب شيء اليهم فلا جرم لا يمكنهم فهم ايات القران
وعجايبه واسراره وما يلزمها من الاحكام والعلوم التي لا يتناهى ولا تعد ولا تحصى ولو كان

اذ ما من امر من الامور الا وهو مذكور في الكتاب اما بنفسه او بمقوماته واسبابه ومباديه وغاياته وقد علمت ان العلم بسبب الشيء يوجب العلم به وان العلم الحقيقي بالمعلول ذي السبب لا يحصل الا من جهة العلم بسببه لهذا ليس الاحساس بالشيء ولا التجربة او ما يجري مجريها

البحر مدادا والاشجار اقلاما والافلاك بصفايحها صحايفا وكتبا واوراقا ولاجل ذلك
صار الانسان يتعجب من كون القرآن مع صغر حجمه ووجازة نظمه فيه جميع العلوم والاخبار
ولا يؤمن بالقرآن وآياته الا القليل من الناس وهم الذين خصهم الله بنوره ونور قلوبهم
بآياته وآتاهم الحكمة وفصل الخطاب ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل
العظيم **باب اختلاف الحديث وهو الباب الثاني والعشرون من كتاب العقل والعلم وفيه**
عشرة احاديث الحديث الاول وهو التاسع والثمانون والمائة علي بن ابراهيم بن
هاشم عن ابيه عن حماد بن عيسى عن ابراهيم بن عمر اليماني الصنعاني قال النجاشي
شيخ من اصحابنا ثقة روى عن ابي جعفر وابي عبد الله عليه السلم ذكر ذلك ابو العباس
وغيره وقال ابن الغضايري انه ضعيف جدا روى عن ابي جعفر وابي عبد الله عليه السلم
وله كتاب ويكنى ابا اسحق وقال العلامة والارجح عندي قبول روايته وان حصل بعض
الشك فيه واعترض عليه المحشي رحمه الله في هذا الترجيح بوجهين احدهما ان الجرح والتعديل
متعارضان فيه فيكون الترجيح مع الجرح كما تقرر عندهم والثاني ان النجاشي نقل توثيقه
عن ابي العباس وغيره كما يظهر من كلامه والمراد بابي العباس هذا اما احمد بن عقده
وهو زيدي المذهب لا يعتمد على توثيقه او ابن نوح ومع الاشتباه لا يفيد وغيره
مبهم لا يفيد فائدة يعتمد عليها عن ابان بن ابي عياش عن سليم بن قيس الهلالي
قال قلت لامير المؤمنين عليه السلم اني سمعت من سلمان والمقداد وابي ذر
شيئا من تفسير القرآن واحاديث عن نبي الله صلى الله عليه وآله غير ما في ايدي
الناس ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم ورأيت في ايدي الناس
اشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الاحاديث عن نبي الله صلى الله عليه وآله وانتم
تخالفونهم

تخالفونهم فيها وتزعمون ان ذلك كله باطل افترى الناس يكذبون على رسول الله
صلى الله عليه وآله متعمدين ويفسرون القرآن بآرائهم قال فاقبل علي فقال قد سألت
فافهم الجواب ان في ايدي الناس حقا وباطلا وصدقا وكذبا وناسخا ومنسوخا وعاما
وخاصا ومحكما ومتشابها وحفظا ووهما وقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله
في عهده حتى قام خطيبا فقال ايها الناس قد كثرت علي الكذابة فمن كذب علي متعمدا
فليتبوأ مقعده من النار ثم كذب عليه من بعده وانما اتاكم الحديث من اربعة ليس لهم
خامس رجل منافق يظهر الايمان متصنع بالاسلام لا يتأثم ولا يتحرج ان يكذب على رسول الله
صلى الله عليه وآله متعمدا فلو علم الناس انه منافق كذاب لم يقبلوا منه ولم يصدقوه ولكنهم قالوا هذا قد
صحب رسول الله صلى الله عليه وآله ورآه وسمع منه فاخذوا عنه وهم لا يعرفون
حاله وقد اخبره الله عن المنافقين بما اخبره ووصفهم بما وصفهم فقال عز وجل اذا رأيتهم
تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم ثم بقوا بعده فتقربوا الى ائمة الضلال والدعاة
الى النار بالزور والكذب والبهتان فولوهم الاعمال وحملوهم على رقاب الناس واكلوا
بهم الدنيا وانما الناس مع الملوك والدنيا الا من عصم الله فهذا احد الاربعة ورجل سمع
من رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يحفظه على وجهه ووهم فيه ولم يتعمد كذبا فهو في يده يقول
به ويعمل به ويرويه يقول انا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله فلو علم المسلمون
انه وهم لم يقبلوه ولو علم هو انه وهم لرفضه ورجل ثالث سمع من رسول الله صلى الله
عليه وآله شيئا امر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم او سمعه ينهى عن شيء ثم امر به وهو لا يعلم
فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ فلو علم انه منسوخ لرفضه ولو علم المسلمون اذ سمعوه منه
انه منسوخ لرفضوه وآخر رابع لم يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله مبغض للكذب

خوفا من الله وتعظيما لرسوله لم ينسه بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به كما سمع لم يزد
فيه ولم ينقص منه وعلم الناسخ من المنسوخ وعمل بالناسخ ورفض المنسوخ فان امر
النبي صلى الله عليه وآله مثل القرآن ناسخ ومنسوخ وخاص وعام ومحكم ومتشابه
قد كان يكون من رسول الله صلى الله عليه وآله والكلام له وجهان وكلام عام
وكلام خاص مثل القرآن قال الله عز وجل في كتابه ما آتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم
عنه فانتهوا فيشتبه على من لم يعرف ولم يدر ما عنى الله به ورسوله صلى الله عليه
وآله الكلام له وجهان وليس كل اصحاب رسول الله كان يسأله عن الشيء فيفهم و
كان منهم من لا يسأله ولا يستفهمه حتى ان كانوا ليحبون ان يجيء الاعرابي والطاري فيسأل
رسول الله صلى الله عليه وآله حتى يسمعوا وقد كنت ادخل على رسول الله صلى الله
كل يوم وكل ليلة دخلة فيخليني فيها ادور معه حيث دار وقد علم اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وآله انه لم يصنع ذلك باحد من الناس غيري فربما كان في بيتي يأتيني رسول الله
صلى الله عليه وآله اكثر من ذلك في بيتي وكنت اذا دخلت عليه بعض منازله اخلا
ني واقام عني نساءه فلا يبقى عنده غيري فاذا اتاني للخلوة معي في منزلي لم تقم عني
فاطمة عليها وآلها السلم ولا احد من بني وكنت اذا سألته اجابني واذا سكت عنه
وفنيت مسائلي ابتدأني فما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله آية من القرآن
الا اقرأنيها واملاها علي فكتبتها بخطي وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها
ومتشابهها وخاصها وعامها ودعى الله ان يعطيني فهمها وحفظها فما نسيت آية
من كتاب الله ولا علما املاه علي وكتبته منذ دعا الله لي بما دعا وما ترك شيئا علمه الله
من حلال او حرام ولا امر ولا نهي كان او يكون ولا كتاب منزل على احد قبله من طاعة
او معصية

او معصية الا علمنيه وحفظته ولا انس حرفا واحدا ثم وضع يده على صدري و
دعا الله لي ان يملأ قلبي علما وفهما وحكما ونورا فقلت يا نبي الله بابي انت وامي
منذ دعوت الله لي بما دعوت لم انس شيئا ولم يفتني شيء لم اكتبه افتتخوف علي
النسيان فيما بعد فقال لا لست اتخوف عليك النسيان والجهل الشرح
تبوّء مقعده نزله واستقر فيه ووهم بالكسر غلط وبالفتح ذهب فهمه الى الشيء
وهو يريد غيره واملاء الكتاب املاء انشاء الفاظه ومعانيه واملله واستمليته
الكتاب سألته ان يمليه علي واعلم ان الغرض من ايراد هذا الحديث بيان السبب
في اختلاف الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله في الاحاديث
المروية عنه صلى الله عليه وآله واختلافهم في تفسير الكتاب وما ترتب على ذلك من
اختلاف المذاهب والآراء وتشتت الاقوال وحدوث البدع والاهواء فانه
لما سأل سليم بن قيس امير المؤمنين عليه السلام عن ذلك بقوله اني سمعت من سلمان
الى قوله ويفسرون القرآن بآرائهم فاقبل علي عليه السلم عليه واجابه عما سأله وفك عقدة
قلبه وحل له شبهة ضميره بما اجاب فقوله عليه السلم ان في ايدي الناس الى قوله و
حفظا ووهما شروع في تمهيد الجواب وبيان السبب في الاختلاف وهو تعديد
انواع الكلام الواقع في ايدي الانام من فرق الاسلام نقلا عن رسول الله صلى الله
عليه وآله والصدق والكذب من خواص الخبر والحق والباطل اعم منهما لصدقهما على
الافعال ايضا ويقال للخبر باعتبار مطابقته لما في الواقع صدق وباعتبار مطابقة ما في
الواقع له حق وكذا القياس في اتصافه بالكاذب والباطل باعتبارين والنسخ عبارة
عن الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه

لكان ثابتاً فيقال للاحق ناسخاً وللمتقدم منسوخاً والعام قيل هو اللفظ المستغرق لما يصلح له
بوضع واحد وقال الغزالي العام اللفظ الواحد الدال من جهة واحدة على شيئين
فصاعداً ويقابله الخاص والمحكم هو الخطاب الدال على معنى لا يحتمل غيره والمتشابه
بخلافه واما الحفظ فالمراد به ههنا ما حفظ عن الرسول صلى الله عليه وآله كما هو والوهم
ما غلط فيه فتوهم مثلاً انه عام وهو خاص او بالعكس او توهم انه ثابت وهو منسوخ
او بالعكس الى غير ذلك من وجوه الاشتباه بين المتقابلات وقوله قد كذب
على رسول الله في عهده الى قوله النار تأكيد لما ذكره من كون ما في ايدي الناس ليس كله
حديثاً صحيحاً حقاً عن رسول الله بل بعضه كاذب كذب عليه صلى الله عليه وآله
بوقوع الكذب عليه في عهده وزمانه وبانه اخبر بنفسه صلى الله عن ذلك فقام خطيباً
على المنبر ~~[illegible]~~ على الناس ليعلموا ذلك ويحتاطوا في قبول الحديث
فلا يقبلوا الا عن عدل محفوظ غير واهم فذلك الكذب مثل ما روي ان رجلاً
سرق رداء النبي صلى الله عليه وآله وخرج الى قوم وقال هذا رداء محمد اعطانيه
لتمكنوني من تلك المرأة فاستنكروا ذلك فبعثوا من سأل الرسول صلى الله
عليه وآله عن ذلك فقام الرجل الكاذب فشرب ماء فلدغته حية فمات وكان
النبي صلى الله عليه وآله حين سمع بتلك الحال قال لعلي عليه السلام خذ السيف
وانطلق فان وجدته وقد كفيت فاحرقه بالنار فجاء وامر باحراقه وكان ذلك
واعلم ان العلماء ذكروا في بيان انه لا بد ان يكذب عليه دليلاً فقالوا قد نقل عنه
صلى الله عليه وآله انه قال سيكذب علي فان كان ذلك الخبر صدقاً فلا بد
ان يكذب عليه وان كان كذباً فقد كذب عليه ثم شرع عليه السلام في قسمة رجال
الحديث

الحديث وقسمهم اربعة اقسام ووجه الحصر في الاقسام الاربعة ان الناقلين
للحديث عنه صلى الله عليه وآله المتسمين بالاسلام اما منافق اولا والثاني
اما ان يكون قد وهم فيه اولا والثاني اما ان لا يكون قد عرف ما يتعلق به من شرائط
الرواية او يكون فالاول وهو المنافق ينقل كما اراد سواء كان اصل الحديث كذباً
او ان له اصلاً حرّفه او زاد فيه او نقص بحسب هواه فهو ضال مضل تعمداً وقصداً و
الثاني يرويه كما فهم ووهم فهو ضال مضل سهواً والثالث يروي ما سمع فضلاله
واضلاله عرضي والرابع يؤديه كما سمعه وكما هو عليه فهو هادي ومهدي فاشار
عليه السلام الى القسم الاول بقوله رجل منافق الى قوله فهذا احد الاربعة
وذكر من صفات المنافق انه مظهر للايمان اي مظهر لكلمة التوحيد والنبوة بلسانه
وليس كما يظهره او يقول اني مؤمن كما قالت الاعراب آمنا وقلبه مشحون
بالكفر فانه متصنع بالاسلام اي متكلف بشعار المسلمين متزي بزيهم وانه لا
يتأثم اي لا يعتقد الاثم اثماً ولا يرى لزوم العقاب عليه في الدار الآخرة ولا
يتحرج اي لا يحذر منه وانه يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمداً
على حسب ما هواه في امر دنياه لعدم ايمانه باليوم الآخر ووجه دخول الشبهة
فيه في قبول حديثه والاخذ بقوله كونه ظاهر الاسلام والصحبة للرسول صلى الله
عليه وآله وسماع الحديث منه فلو علم الناس نفاقه وكذبه لم يقبلوا منه الحديث
والرواية ثم اشار عليه السلام الى ما اخبر الله رسوله عن المنافقين بما اخبره
ووصفهم بما وصفهم ليعلموا ان استقامة الظاهر في الاقوال والاحوال وحسن
الشمايل لا ينافي فساد الباطن وتلطخه بالكفر ولا الكذب على الله ورسوله صلى الله

عليه وآله فتلى قوله تعالى واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم فقوله تعالى
تعجبك اجسامهم اشارة الى ما يكون عليه اكثر المنافقين من صباحة الوجه والتزي بزي
العدول والصلحاء وقوله وان يقولوا تسمع لقولهم الى فصاحة لسانهم وطلاقة بيانهم
وما حفظوا من الاحاديث والحكايات كما روى انه كان عبد الله بن ابي وهو رئيس
المنافقين في زمانه صلى الله عليه وآله رجلا جسيما صبيحا فصيحا ذلق اللسان وقوم
من المنافقين في مثل صفته وهم رؤساء المدينة وكانوا يحضرون مجلس رسول الله
صلى الله عليه وآله فيستندون فيه ولهم جهارة المناظر وفصاحة الالسن فكان النبي
صلى الله عليه وآله ومن حضر عنده يعجبون بهياكلهم ويسمعون لكلامهم وما هم الا اجرام
خالية عن العلم والايمان وابدان فارغة عن الخير والاحسان ولذلك شبههم الله تعالى
بالخشب في قوله كانهم خشب مسندة قال الزمخشري لان الخشب اذا انتفع به كان
في سقف او جدار او غيرهما من مظان الانتفاع وما دام متروكا فارغا غير منتفع به
اسند الى الحائط فشبهوا به في عدم الانتفاع وقوله عليه السلام ثم بقوا بعده اى بقى المنافقون
بعد الرسول صلى الله عليه وآله متقربين الى ائمة الضلال والدعاة الى النار وهم بنو امية
ودعاؤهم الى النار دعوة اتباعهم واصحابهم بما يؤدى لهم الى النار من مخالفة امر الله
ورسوله والزور والكذب والبهتان اشارة الى ما كانوا يتقربون به الى بني امية
من وضع الاخبار عن الرسول صلى الله عليه وآله في فضلهم او فيما يوافق اهواءهم واخذهم
على ذلك الاجر من اولئك الائمة وتوليتهم الاعمال والامرة على الناس ويحتمل ان يكون
المراد من قوله فولوهم الاعمال وحملوهم على رقاب الناس وكذلك قوله واكلوا بهم الدنيا
يحتمل الوجهين وقوله انما الناس مع الملوك اشارة الى علة فعل المنافقين لما فعلوا
وظاهر

ان هؤلاء المنافقين بوضعهم الاحاديث جعلوا ائمة الضلال متولين للاعمال حاملهم على رقاب الناس

الى ... وعشرون ...

وظاهر ان حب الدنيا ولذاتها هو الغالب على الناس من المنافق وغيره لقرب طباعهم
~~من المطبوع من المحسوس وجهلهم بالآخرة ونعيمها ولذاتها هو الغالب على الناس من~~
المنافق وغيره لقرب طباعهم من المطبوع من المحسوس وجهلهم بالآخرة ونعيمها
ولذاتها فانجذبوا الى الاستغراق في بحر الدنيا الا من عصمه الله وجذبه بالجذب في
طريق هدايته اليه عن محبة الامور الباطلة وفيه ايماء الى قلة المؤمنين وابناء الآخرة
كما قال تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون وقوله الا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات وقليل ما هم وانما قال ثم بقوا بعده صلى الله عليه وآله ثم حكى حالهم مع
ائمة الضلال وان كانت الائمة المشار اليهم لم يوجدوا بعده الا متراخيا لما لا بد
منه من ذلك المعلوم له منزلة الواقع واشارة الى من بقى منهم بعد الرسول صلى الله
عليه السلم الى معوية لانه اذ ذاك امام ضلالة وداع الى النار ثم اشار الى القسم الثاني
بقوله ورجل سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا اى سمع منه كلاما
فيتصور منه معنى غير ما يريده الرسول ثم لا يحفظ اللفظ بعينه فيورده بعبارته الدالة
على ما تصوره من المعنى بوهمه فلا يكون قد حفظ وتصوره على وجه المقصود للرسول
صلى الله عليه وآله فوهم فيه ولم يتعمد كذبا لوهمه فهو في يده يرويه ويعمل به على وفق
ما تصوره ويسنده الى الرسول صلى الله عليه وآله وعلة دخول الشبهة على المسلمين
فيه هى عدم علمهم بوهمه وعلة دخولها عليه في الرواية والعمل هو وهمه حين السماع
حتى لو علم ذلك لترك روايته والعمل به واشار الى القسم الثالث بقوله ورجل
سمع الى قوله لرفضه وعلة دخول الشبهة على الراوى وعلى المسلمين في هذا
القسم من الخبر عدم علمهم انه منسوخ واشار الى القسم الرابع بقوله وآخر رابع

الى قوله ورفض المنسوخ وذكر اوصافه ونعوته من كونه مبغضا للكذب خائفا من الله معظما
لرسوله صلى الله عليه وآله حافظا غير ساه ولا ناس جائيا بما سمعه كما سمعه من
غير ان يزيد فيه او ينقص عنه عالما بالناسخ من المنسوخ عاملا بالناسخ رافضا للمنسوخ
ثم اشار بقوله فان امر النبي صلى الله عليه وآله الى قوله مثل القرآن الى المشاركة
والمماثلة بين امر النبي صلى الله عليه وآله وامر الله في القرآن في الاشتمال على الاقسام
من ناسخ ومنسوخ وخاص وعام ومحكم ومتشابه وقوله قد كان يكون من رسول الله
صلى الله عليه وآله تنبيه على صحة القسم الثالث ودخول الشبهة فيه فان منهم من كان
يسمع الكلام ذي الوجهين منه خاص ومنه عام فلا يعرف ان احدهما مخصص للافراد
يسمع العام دون الخاص فينقل العام ويوجهه على غير معرفة بمعناه او انه خرج على سبب
خاص فهو مقصور عليه ولا ينقل سببه فيعتقده عاما او انه عام فيعتقده مقصورا على السبب
فلا يعمل به فيما عدا صورة السبب فيتبعه الناس في ذلك كله سيما من يعتقد
وجوب العمل بمذهب الراوي ثم اشار بقوله وقال الله عز وجل في كتابه ما آتيكم الرسول
فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا الى وجوب الاخذ بقول الرسول صلى الله عليه وآله ووجوب
طاعته بعد طاعة الله فيما امر به ونهى عنه فيؤخذ بما امر به وينتهى عما نهى عنه فترتب على ذلك
اشتباه الناس فيما يعتقدونه ويعملون به لاشتباههم وعدم معرفتهم بما عنى الله
والرسول صلى الله عليه وآله بما ورد في الكتاب والسنة وقوله وليس كل اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وآله الى قوله حتى يسمعوا جواب سؤال مقدر كأن قائلا قال كيف
يقع الاشتباه على اصحاب الرسول صلى الله عليه وآله في قوله مع كثرتهم والتفاته
بهم وتواضعه لهم ولماذا لا يسألونه فيما يشتبه عليهم فاجاب عليه السلام انهم ليسوا
باسرهم

باسرهم كانوا يسألونه لاحترامهم له واجلالهم اياه لغاية عظمته في قلوبهم وانما كان له
آحادهم حتى كانوا يحبون ان يجيء الاعرابي فيسأله حتى يسمعوا وينفتح لهم باب السؤال
ثم نبه على غاية قربه من الرسول صلى الله عليه وآله ونهاية اختصاصه وملازمته الدائمة له و
دورانه معه حيث ما دار وانه كان يستقصي في سؤاله صلى الله عليه وآله عن كل ما يشتبه
عليه ويحفظ جوابه ونبه على غاية محبة الرسول له واشفاقه عليه حتى انه عليه السلام كان اذا
سكت عن السؤال وفنيت مسائله ابتدأه صلى الله عليه وآله في الكلام فما نزلت عليه
صلى الله عليه وآله من الله آية من القرآن الا اقرأها على امير المؤمنين عليه السلام واملاها
عليه فكتبها بخطه وعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله تأويلها وتفسيرها وبين له احكام
الآيات من ناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها وغيرها كلها ودعى الله ان يعطيه
فهمها وحفظها وذكر عليه السلام سائر ما كان له وثبت في حقه من خصائص ما فعل الرسول
صلى الله عليه وآله به عليه السلام مما يتعلق بالعلم والحفظ والدراية والاحاطة بجميع ما في الكتب
الالهية النازلة على سائر الانبياء وغير ذلك من الفضائل العلمية والحكمية وما ينوط بها الى
آخر كلامه ويهتدوا بهداه ومن الله العصمة والهداية والتوفيق الحديث الثاني وهو
التسعون والمائة عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد عن عثمان بن عيسى عن ابي ايوب
الخزاز عن محمد بن مسلم عن ابي عبد الله عليه السلام قال قلت له ما بال اقوام يروون
عن فلان وفلان عن رسول الله صلى الله عليه وآله لا يتهمون بالكذب فيجيء منكم خلافه
قال ان الحديث ينسخ كما ينسخ القرآن الشرح معناه واضح بما مر ودخول الشبهة
فيما يروون اولئك الاقوام من جهة كون الراوي من القسم الثالث من الاقسام
الاربعة المذكورة في كلام امير المؤمنين عليه السلام الحديث الثالث وهو الواحد والتسعون والمائة

ليرجع الناس في سائر امور دينهم اليه عليه السلام ويقتبسوا من مشكوة علمه ويستضيئوا بانوار كلامه

علي بن ابراهيم عن ابيه عن ابن ابي نجران عن عاصم بن حميد عن منصور بن حازم
قال قلت لابي عبد الله عليه السلم ما بالي اسئلك عن المسئلة فتجيبني فيها بالجواب
ثم يجيبك غيري فتجيبه بجواب آخر فقال انا نجيب الناس على الزيادة والنقصان
قال قلت فاخبرني عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله صدقوا على محمد
ام كذبوا قال بل صدقوا قال قلت فما بالهم اختلفوا فقال اما تعلم ان الرجل كان
يأتي رسول الله صلى الله عليه وآله فيسئله عن المسئلة فيجيبه فيها بالجواب ثم
يجيبه بعد ذلك ما ينسخ ذلك الجواب فنسخت الاحاديث بعضها بعضا الشرح
كان لمنصور سؤالان سأله عليه السلم عنهما وطلب وجه التفصي عن ما اشكل عليه احدهما
اختلاف جوابه عن مسئلة واحدة لرجلين وثانيهما اختلاف اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وآله فيما نقلوا عنه فاجاب عن الاول بانهم عليهم السلم يجيبون الناس على الزيادة
والنقصان في القول حسب تفاوت حالهم في الفهم والاحتمال للقول وعن الناس بان
اختلافهم ليس لكذبهم على رسول الله صلى الله عليه وآله بل لدخول الشبهة عليهم لاجل
عدم تميز بعضهم بين ناسخ الحديث ومنسوخه وباقي الفاظ الكلام واضح الحديث
الرابع وهو الثاني والتسعون والمائة علي بن محمد عن سهل بن زياد عن ابن محبوب
عن علي بن رئاب عن ابي عبيدة عن ابي جعفر عليه السلم قال قال لي يا زياد ما تقول
لو افتينا رجلا ممن يتولانا بشيء من التقية قال قلت له انت اعلم جعلت فداك قال ان
اخذ به فهو خير له واعظم اجرا وفي رواية اخرى ان اخذ به اوجر وان تركه والله اثم ه
الشرح لما كان العمل بالتقية كبيرا على اكثر الناس لجمود قرائحهم الا من خصه الله
بنور من المعرفة وهداه الى طريق الفلاح استكشف عليه السلم عن باطن الرجل واستفهم
عن قوله

عن قوله لو افتى رجلا من الشيعة بشيء من التقية ثم لما اظهر الرجل الطاعة
والانقياد في كل ما افتى وامر قال حق القول فيها وهو وجوب العمل بالتقية
وحصول الخير وعظم الاجر في الاخذ بها ولزوم الاثم بتركها الحديث الخامس وهو
الثالث والتسعون والمائة احمد بن ادريس عن محمد بن عبد الجبار عن الحسن
بن علي عن ثعلبة بن ميمون عن زرارة بن اعين عن ابي جعفر عليه السلم قال سألته
عن مسئلة فاجابني ثم جاءه رجل فسأله عنها فاجابه بخلاف ما اجابني ثم جاءه
آخر فاجابه بخلاف ما اجابني واجاب صاحبي فلما خرج الرجلان قلت يا ابن
رسول الله رجلان من اهل العراق من شيعتكم قدما يسألان فاجبت كل واحد
منهما بغير ما اجبت به صاحبه فقال يا زرارة ان هذا خير لنا وابقى لنا ولكم ولو
اجتمعتم على امر واحد لصدقكم الناس علينا ولكان اقل لبقائنا وبقائكم قال ثم
قلت لابي عبد الله عليه السلم شيعتكم لو حملتموهم على الاسنة او على النار
لمضوا وهم يخرجون من عندكم مختلفين فاجابني بمثل جواب ابيه الشرح علل
عليهما السلم اختلاف الاجوبة عن مسئلة واحدة لشيعتهم بانهم عليهم السلم كانوا
آمرين للخمول معرضين عن الدنيا وشواغلها فلم يريدوا اتفاق الشيعة على امر
واحد لئلا يصدقهم الناس ويذعنوهم على متابعة الائمة عليهم السلم خوفا من الشهرة
الموجبة للفتنة والهلاك ولابد لك ان تعلم ان تلك الاجوبة مع اختلافها وكونها في
مسئلة واحدة كلها حق وصواب لعصمتهم عن الخطاء وذلك لان الامر الواحد
قد يكون له جهات وحيثيات وله بكل جهة وحيثية حكم آخر مخالف للحكم الذي له
بجهة وحيثية اخرى مثال ذلك الانسان الواحد كزيد مثلا يصدق عليه المقولات

العشر التي هي اجناس عالية متباينة اجتمعت كلها فيه وصدقت عليه باعتبارات
وجهات مختلفة فهو من حيث كونه حيوانا جوهر ومن حيث كونه طويلا كم و
من حيث كونه ذا لون كيف ومن كونه ابا مضاف ومن حيث انه كاتب
فاعل ومن حيث كونه متحركا منفعل وهكذا في ساير المقولات العرضية فهو من
حيث كونه جوهرا ليس بكم ولا كيف ولا غيرهما ومن حيث كونه كما ليس بجوهر
ولا كيف ولا غيرهما بل الانسان ليس من حيث هو انسان الا انسان دون
غيره من العوارض اللازمة والمفارقة فاذا سئل هل زيد كاتب او ليس بكاتب
او واحد او كثير يمكن الجواب بطرفي النقيض فعلى هذا السبيل يحمل ان احلم هذا المقام
الحديث السادس وهو الرابع والتسعون والمائة محمد بن يحيى عن محمد بن سنان
عن النضر الخثعمي قال سمعت ابا عبد الله عليه السلم يقول من عرف انا لا نقول الا
حقا فليكتف بما يعلم منا فان سمع منا خلاف ما يعلم فليعلم ان ذلك دفاع منا عنه
الشرح يعني ان الطائفة الفائزة العارفين بانهم عليهم السلم على الحق ولا يقولون
الا حقا وصوابا يجب عليهم ان يكتفوا في الاصول والفروع بما علموا منهم اخذا باليقين
فان سمعوا منهم عليهم السلم خلاف ما اعتقدوه وعلموه فيجب عليهم ان يحملوه
على التقية صيانة لشيعتهم ودفاعا منهم عليهم السلم للفتنة والفرار عنها الحديث
السابع وهو الخامس والتسعون والمائة علي بن ابراهيم عن ابيه عن
عثمن بن عيسى والحسن بن محبوب جميعا عن سماعة عن ابي عبد الله عليه السلم قال
سألته عن رجل اختلف عليه رجلان من اهل دينه في امر كلاهما يرويه احدهما يأمر
باخذه والآخر ينهاه عنه كيف يصنع قال يرجئه حتى يلقى من يخبره فهو في سعة حتى
يلقاه

يلقاه وفي رواية اخرى بايهما اخذت من باب التسليم وسعك الشرح يرجئه
اي يؤخره من ارجأت الامر اخرته ومنه المرجئة مثال المرجعة وهم الذين لا يقطعون
على اهل الكبائر بشيء من عفو ولا عقوبة بل يرجئون الحكم في ذلك اي يؤخرونه
الى يوم القيمة منهم مقاتل بن سليمان وقد تفرد مقاتل من هؤلاء بان الله سبحانه
لا يدخل احدا النار بارتكاب الكبائر وانه يغفر ما دون الكفر لا محالة وان المؤمن
العاصي ربه يعذب يوم القيمة على متن الصراط على جهنم يصيبه نفح النار ولهبها
فيتألم بذلك على مقدار المعصية ثم يدخل الجنة ويقال رجل مرجئي كمرجعي والنسبة اليه مرجئي
كمرجعي هذا اذا همزت فاذا لم تهمز قلت رجل مرج كمعط ومرجي بياء مشددة
فقط وهم المرجية لان بعض العرب يقول ارجيت واخطيت وتوضيت فلا يهمز
والضمير المنصوب راجع الى الصنع المضمر في يصنع اي يؤخر العمل فلا يعمل باحدهما حتى
يلقى من يخبره بما يعين له احدهما لكن هذا يشكل بما اذا كان الخبران متناقضين كالامر
والنهي في شيء واحد ولهذا وردت الرواية الاخيرة فالرواية الاولى لما يمكن الارجاء
والتأخير فيه والثانية لما لا يمكن وفي المقام كلام ليس ههنا موضع تحقيقه سنشير اليه
فيما سبق الحديث الثامن وهو السادس والتسعون والمائة علي بن ابراهيم
عن ابيه عن عثمن بن عيسى عن الحسين بن المختار القلانسي من اصحاب ابي الحسن موسى
عليه السلم واقفي وقال ابن عقدة عن علي بن الحسن انه كوفي ثقة والاعتماد
عندي على الاول صح وقال النجاشي ابو عبد الله كوفي مولى احمس من بجيلة واخوه
الحسن يكنى ابا محمد ذكرا فيمن روى عن ابي عبد الله وابي الحسن عليهما السلم له كتاب
يرويه عنه حماد بن عيسى انتهى وفي ارشاد المفيد رحمه الله في باب النص على الرضا

عليه السلم انه من خاصة الكاظم عليه السلم وثقاته واهل الورع والعلم والفقه من شيعته
وقال الفاضل الاسترآبادي انه في الكافي وهو هذا الكتاب قال الحسين بن
مختار قال لي الصادق عليه السلم رحمك الله وقد روى جماعة من الثقات عنه نصا
على الرضا عليه السلم وفي سند الفقيه الحسين بن المختار بيبع الاكفان روى
عن ميمون بن مهران من اصحاب امير المومنين عليه فربما كان غيره فتدبر عن بعض
اصحابنا عن ابي عبد الله عليه السلم قال ارايتك لو حدثتك بحديث العام ثم جئتني
من قابل فحدثتك بخلافه بايهما كنت تاخذ قال كنت آخذ بالاخير فقال رحمك الله
الحديث التاسع وهو السابع والتسعون والمائة وعنه عن ابيه عن اسمعيل بن
مرار روى عن يونس بن عبد الرحمن روى عنه ابراهيم بن هاشم لم يذكر كذا في
رجال الفاضل الاسترآبادي عن يونس عن داود بن فرقد عن معلى بن خنيس
قال قلت لابي عبد الله عليه السلم اذا جاء حديث عن اولكم وحديث عن آخركم
بايهما ناخذ فقال خذوا به حتى يبلغكم عن الحي فخذوا بقوله قال ثم قال ابو عبد الله عليه السلم
انا والله لا ندخلكم الا فيما يسعكم وفي حديث آخر خذوا بالاحدث الشرح دل
قوله عليه السلم انا والله لا ندخلكم الا فيما يسعكم بقرينة قوله في الحديث السابق بايهما
اخذت من باب التسليم وسعك انه جاز الاخذ والعمل بكل واحد من حديثي
السابق منهم واللاحق فعلى هذا يكون قوله خذوا بالاحدث امر استحباب لا امر
ايجاب ثم لا بد ان يعلم ان هذه الاختلافات الواقعة في الاحاديث المروية عن
اصحاب العصمة عليهم السلم اكثرها في الامور العملية الفرعية لا في الاصول الاعتقادية وما
يجري مجريها من الامور العظيمة المهمة والاختلاف في القسم الاول ليس اختلافا لا يسع
الا ان

الا ان ان ياخذ بايهما كان بعد ان يكون كلاهما ثابتا عن اهل بيت النبوة
عليهم السلم او يستندا اليهم والناس لجمود قرائحهم وعدم فرقهم في المسائل العلمية
الاصولية والعملية الفرعية صعب عليهم الامر في مثل هذا الحديث واستشكلوه
حتى جزموا بالقدح في احدى الروايتين اما من جهة الراوي وجرحه واما من
جهة المتن وحمله على التقية الحديث العاشر وهو الثامن والتسعون والمائة
محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن محمد بن عيسى عن صفوان بن يحيى عن داود
بن الحصين الاسدي مولاهم كوفي روى عن ابي عبد الله وابي الحسن
عليهما السلم قال الشيخ الطوسي رحمه الله انه واقفي وكذا قال ابن عقدة
وقال النجاشي انه ثقة والاولى عندي التوقف في روايته وفي النجاشي
ايضا انه كان يصحب ابا العباس البقباق له كتاب روى عنه العباس
بن عامر وفي الفهرست والقاسم بن اسمعيل عن عمر بن حنظلة العجلي
البكري الكوفي ويكنى ابا صخر من اصحاب الباقر عليه السلم وقد وثقه الشهيد
الثاني وفي التهذيب في اوقات الصلوة محمد بن يعقوب عن علي بن ابراهيم
عن محمد بن عيسى عن يونس عن زيد بن خيثمة قال قلت لابي عبد الله عليه السلم
ان عمر بن حنظلة اتانا عنك بوقت فقال ابو عبد الله عليه السلم اذا لا يكذب
علينا الحديث قال سألت ابا عبد الله عليه السلم عن رجلين من اصحابنا بينهما
منازعة في دين او ميراث فتحاكما الى السلطان والى القضاة ايحل ذلك قال
من تحاكم اليهم في حق او باطل فانما تحاكم الى الطاغوت وما يحكم له فانما ياخذ سحتا
وان كان حقا ثابتا له لانه اخذه بحكم الطاغوت وقد امر الله ان يكفر به قال الله

يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به قلت فكيف يصنعان
قال ينظران من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف
احكامنا فليرضوا به حكما فاني قد جعلته عليكم حاكما فاذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فانما
استخف بحكم الله وعلينا رد والراد علينا الراد على الله وهو على حد الشرك
بالله قلت فان كان كل رجل اختار رجلا من اصحابنا فرضيا ان يكونا الناظرين
في حقهما واختلفا فيما حكما وكلاهما اختلف في حديثكم قال الحكم ما حكم به اعدلهما وافقههما
واصدقهما في الحديث واورعهما ولا يلتفت الى ما يحكم به الآخر قال قلت فانهما
مرضيان عدلان عند اصحابنا لا يفضل واحد منهما على الآخر قال فقال ينظر الى
ما كان من روايتهم عنا في ذلك الذي حكما به المجمع عليه من اصحابك فان المجمع عليه لا ريب
فيه وانما الامور ثلثة امر بين رشده فيتبع وامر بين غيه فيجتنب وامر مشكل
يرد علمه الى الله والى رسول الله صلى الله عليه وآله حلال بين وحرام بين وشبهات
بين ذلك فمن ترك الشبهات نجا من المحرمات ومن اخذ بالشبهات ارتكب
المحرمات وهلك من حيث لا يعلم قلت فان كان الخبران عنكما مشهورين قد
رواهما الثقات عنكم قال ينظر فما وافق حكمه حكم الكتاب والسنة وخالف العامة
فيؤخذ به ويترك ما خالف حكمه حكم الكتاب والسنة ووافق العامة قلت جعلت فداك
ارأيت ان كان الفقيهان عرفا حكمه من الكتاب والسنة ووجدنا احد الخبرين موافقا
للعامة والآخر مخالفا لهم باي الخبرين يؤخذ قال ما خالف العامة ففيه الرشاد
فقلت جعلت فداك فان وافقهما الخبران جميعا قال ينظر الى ما هم اليه اميل حكامهم و
قضاتهم فيترك ويؤخذ بالآخر قلت فان وافق حكامهم الخبرين جميعا قال اذا كان
ذلك

فيؤخذ به من حكمنا ويترك الشاذ الذي ليس بمشهور عند اصحابك

ذلك فارجه حتى تلقى امامك فان الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام
في الهلكات الشرح قوله في دين بفتح الدال وقد مر معنى الطاغوت والسحت الحرام
وقوله الخبران عنكما لعل المراد الصادق والكاظم او الباقر عليهم السلم وكانت التثنية
في الخطاب باعتبار تثنية الخبر وفي نسخة اخرى عنهما وقوله فارجه اي فاخره ابدلت همزته
ياء وحذفت بالجزم والهاء ضمير راجع الى العمل والاخذ بقرينة المقام والاقتحام من قحم
في الامر رمى بنفسه فيه من غير روية ومعنى باقي الالفاظ ظاهر لا سترة فيه باب
الاخذ بالسنة وشواهد الكتاب وهو الباب الثالث والعشرون من ابواب كتاب
العقل والعلم وفيه اثنى عشر حديثا الحديث الاول وهو التاسع والتسعون والمائة
علي بن ابرهيم عن ابيه عن النوفلي عن السكوني عن ابي عبد الله عليه السلم قال
قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان على كل حق حقيقة وعلى كل صواب نورا
فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله ردوه الشرح تحقيق هذا
الحديث على وجهه يستدعي تمهيد مقدمات الاولى ان حقيقة كل حق هو وجوده
الثابت له في نفسه والوجود للشيء اما لذاته او لغيره والاول هو الاول تعالى
والثاني هو ما سواه فهو الحق بحقيقة هي عين ذاته وكل واحد مما سواه حق بحقيقة حاصلة
من غيره فهو في حد نفسه بنفسه باطل وبغيره حق فجميع الاشياء الممكنة باطلات
الذوات بالقياس الى انفسها وهي حقايق ثابتة من جهة غيرها الذي هو سبب
وجودها وحقيقتها ولا بد ان ينتهي اسباب وجودها ومبادي حقيقتها الى سبب
لا سبب له ومبدأ لا مبدأ له قبله دفعا للتسلسل والدور الثانية ان العلم والخبر
الصادق هو الوجود الادراكي المطابق للامر الخارجي فما في الخارج ان كان معلولا متعلقا

علي م

فدعوه نسخه

الاول ط

بغيره فالعلم به او الخبر عنه لا يحصل الا من طريق العلم بسببه ومقوم وجوده وان لم يكن
العلم علماً به ولا الخبر خبراً عنه على الوجه الذي هو عليه ولذلك قالت الحكماء ان العلم
اليقيني بذي السبب لا يحصل الا من جهة العلم بسببه وان ما لا سبب له لا يمكن العلم
الحقيقي بشيء به الا بصريح مشاهدة ذاته فالعلم بسبب الشيء هو البرهان عليه وما لا سبب
له لا برهان عليه والوجود الذي لا سبب له هو الاول جل وعلا فهو البرهان على كل شيء
اما بذاته بلا واسطة او بواسطة ما ايضاً من ذاته المقدسة اذا ثبت هذا ان كتاب الله هو النازل
من عند الله على قلب محمد صلى الله عليه وآله من طريق الوحي في الباطن فبرز من الغيب
الى الشهادة ومن السر الى العلانية وكل كتاب نزل هكذا فهو كتاب الله والمنزل
عليه كان نبياً من انبيائه عليهم السلم واما ساير الكتب فليس حصولها كذلك من عند الله
بل بواسطة اسباب خارجة من سماع او قراءة او رواية او درس وبحث
وما يشبهها فيتطرق عليها الخطاء والسهو والخلل والقصور فاذا تمهدت هذه المقدمات
نقول معنى قوله صلى الله عليه وآله على كل حق حقيقة ان كل موجود في الخارج وجوده زايد
على ذاته فله اصل نشأ منه وجوده وهو حقيقته الاصلية اذ هو به موجود وهو بذاته
اذا قطع النظر عن ذلك الاصل الى ذاته من حيث ذاته بذاته يكون باطلاً فهو بذلك الاصل
ذا حقيقة فذلك الاصل حقيقته وانما اتى بكلمة على لدلالتها على الاحاطة والاستعلاء
التي للعلة بالقياس الى معلولها وقوله وعلى كل صواب نوراً اشارة الى ان لكل
علم حقيقي بشيء وكل خبر صادق عن ثبوته او عن حال من احوال وجوده برهاناً وسمي
البرهان نوراً اذ به يظهر وجود ما يبرهن به واحواله وقوله فما وافق كتاب الله فخذوه اشارة
الى ان كتاب الله ميزان قسط لا يحيف عن الحق لسانه ونور هدى لا يطفى برهانه
فينبغي

فينبغي ان يوزن به العلوم والاخبار ويستضاء به الافكار والانظار وهو نسخة منتخبة
من اللوح المحفوظ الذي فيه صور حقايق الاشياء كلها واصول دقايق الامور و
جلايلها فما وافق كتاب الله فهو حق وصواب وهدى ونور يجب اخذه والعمل
بموجبه ومؤداه وما خالف كتاب الله فهو باطل وخطاء وزيغ وزور يجب تركه
والاجتناب عنه والله ولي الهداية والتوفيق وبيده ازمة العلم والتحقيق الحديث
الثاني وهو المائتان محمد بن يحيى عن عبد الله بن محمد عن علي بن الحكم عن ابان بن عثمان
عن عبد الله بن ابي يعفور بالياء المنقطة تحتها نقطتين والعين المهملة الساكنة
والفاء والراء بعد الواو واسم ابي يعفور واقد بالقاف وقيل وقدان يكنى
ابا محمد ثقة ثقة جليل في اصحابنا كريم على ابي عبد الله عليه السلم ومات في ايامه وكان
قارياً يقرء في مسجد الكوفة وقد سبق ذكر طرف من احواله قال وحدثني حسين بن
ابي العلاء الخفاف قال النجاشي من اصحاب الباقر عليه السلم ابو علي الكوفي العامري
مولاهم اعور من اصحاب الصادق عليه السلم ابو علي الاعور مولى بني اسد ذكر ذلك
ابن عقدة وقال احمد بن الحسين هو مولى بني عامر واخواه علي وعبد الحميد روى الجميع
عن ابي عبد الله عليه السلم وكان الحسين اوجههم وفي الفهرست له كتاب يعد في
الاصول روى عنه ابن ابي عمير وقال الكشي قال حمدويه هو ازدي وهو الحسين بن
خالد بن طهمان الخفاف وكنيته خالد ابو العلاء اخوه عبد الله بن ابي العلاء انه حضر ابن
ابي يعفور في هذا المجلس قال سألت ابا عبد الله عليه السلم عن اختلاف الحديث
يرويه من نثق به قال اذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله او
من قول رسول الله صلى الله عليه وآله والا فالذي جاءكم به اولى به الشرح جزاء
اي الراوي

ابا عبد الله
ومنهم من لا نثق بهم

الشرط الاوّل محذوف لظهوره تقديره فخذوه او نحو ذلك وجزاء الشرط الثاني المدلول
عليه بكلمة الّا هو قوله فالذي جاءكم به اولى به او هو اولى باخذه والعمل به دونكم والغرض
التاكيد في ترك العمل بما خالف كتاب الله وقول الرسول صلّى الله عليه وآله ٥
الحديث الثالث وهو الواحد والمائتان عدّة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد
عن ابيه عن النضر بن سويد عن يحيى الحلبي عن ايوب بن الحرّ مجهول قال سمعت
ابا عبد الله عليه السّلم يقول كل شيء مردود الى الكتاب والسّنة وكل حديث
لا يوافق كتاب الله فهو زخرف الحديث الرابع وهو الثاني والمائتان محمد
بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى عن ابن فضال عن علي بن عقبة بضم العين المهملة ابن خالد
الاسدي ابو الحسن مولى كوفي ثقة ثقة روى عن ابي عبد الله عليه السّلم عن ايوب بن
راشد البزاز الكوفي من اصحاب الصادق عليه السّلم عن ابي عبد الله عليه السّلم
قال ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف الشرح معنى هذين الحديثين واضح
بعد ما علمت بالبرهان العقلي كون القرآن العظيم اصل جميع العلوم الاصولية والفروعية
والزخرف كل مموّه مزوّر وهو استعارة حسن وتشبيه للمعقول بالمحسوس
ووجه الشبه فيها ترويج الامر الفاسد الكاسد بايهام الامر الرائج الحق وهو ههنا
نسبة الحديث الى السّنة الحديث الخامس وهو الثالث والمائتان محمد
بن اسمعيل عن الفضل بن شاذان عن ابن ابي عمير عن هشام بن الحكم وغيره عن ابي عبد الله
عليه السّلم قال خطب النبي صلى الله عليه وآله بمنى فقال ايها الناس ما جاءكم عني
يوافق كتاب الله فانا قلته وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم اقله الشرح قد علمت
ان القرآن اصل جميع العلوم الثابتة والاقوال الحقة فكل قول ثابت حق فهو قول الله
وقول الله

وقول الله قول رسوله صلّى الله عليه وآله حتى انه لو ادّعى احد ان الحكم بان النفي
والاثبات لا يجتمعان والقول بان الواحد نصف الاثنين وكذا العالم
حادث ونحوه من العلوم الثابتة والاقوال الحقة كلها قول الله وقول رسوله
صلى الله عليه وآله لصدق في دعواه ان جرّد النظر من خصوصية القائل والمحل
وخصوصية اللفظ الحديث السادس وهو الرابع والمائتان وبهذا الاسناد
عن ابن ابي عمير عن بعض اصحابه قال سمعت ابا عبد الله عليه السّلم يقول من
خالف كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وآله فقد كفر الشرح يعني به
اذا كانت المخالفة عمدًا او في اصول العقايد الدينية الحديث السابع وهو
الخامس والمائتان علي بن ابراهيم عن محمد بن عيسى بن عبيد عن يونس رفعه
قال قال علي بن الحسين عليهما السّلم ان افضل الاعمال عند الله ما عمل بالسّنة
وان قلّ الشرح معنى الالفاظ ظاهر والسبب فيه ان الاعمال البدنية ليس لها
كثير فضل الّا بالنيات القلبية والاعتقادات اليقينية والعمل بالسّنة منطو
فيه قصد طاعة الشرع وامتثال الامر واتّباع الرسول صلى الله عليه وآله فهو
لاشتماله على معنى الطاعة وهيئة التسليم والخضوع يكون لا محالة ثوابه اكثر وان
قلّ عدده واجره اعظم وان صغر مقداره من العمل المجرّد عن هذه الهيئات وان
كثر وعظم والى هذا المعنى اشار بقوله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن
يناله التقوى منكم نبّه تعالى على ان الاعمال الجسمانية وموضوعاتها لا يوجب نيل
القرب والمنزلة عنده تعالى ولكن التقوى لكونه عملًا قلبيًا وقصدًا عقليًا يوجب
ذلك وفي هذا المقام تحقيقات علمية يضيق المجال عن بيانها الحديث الثامن

وهو السادس والمائتان عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد عن اسمعيل
بن مهران عن ابي سعيد القماط وصالح بن سعيد ابو سعيد القماط كوفي قال النجاشي
مولى بني الاسد كوفي روى عن ابي عبد الله عليه السلم ذكره ابو العباس له كتاب روى
عنه جماعة منهم عبيس بن هشام عن ابان بن تغلب عن ابي جعفر عليه السلم انه سئل
عن مسئلة فاجاب فيها قال فقال الرجل ان الفقهاء لا يقولون هذا فقال ويحك
وهل رايت فقيها قط ان الفقيه حق الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة
المتمسك بسنة النبي صلى الله عليه وآله الشرح الذي ذكره عليه السلم في صفة
الفقيه الحقيقي من كونه زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة كانه اشارة الى ثمرة الفقه
فان اصله هو العلم بالله وملئكته وكتبه ورسله واليوم الآخر علما يقينيا ولذلك قد
ورد عنه صلى الله عليه وآله لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله
وحتى يرى للقرآن وجوها كثيرة وعن بعض التابعين في وصف الفقيه البصير بدينه
المداوم على عبادة ربه الورع الكاف عن اعراض الناس العفيف عن اموالهم
الناصح لجماعتهم ولم يذكر احد ممن يوثق بكلامه من التابعين في جملة اوصاف الفقيه
الحافظ لفروع الفتاوى والمستحضر لاحكام الدعاوى والمعاملات ولسنا
نقول ان اسم الفقيه ليس متناولا للفتاوى في الاحكام العملية الظاهرة بلى الفقه اسم
ولكن على سبيل الاستتباع وبطريق العموم والشمول وكان اكثر اطلاقهم على علم
الآخرة والمكاشفات القلبية فان مثل هذا التخصيص الذي شاع بين الناس
بعد القرون السابقة ضرب من التلبيس الذي بعث الناس على التجرد له والاعراض
عن علم الآخرة واحكام الآخرة واحكام القلب واحوال النفس سيما وقد وجدوا
على ذلك

على ذلك معينا من الطبع فان علم الباطن غامض دقيق والعمل به عسير ولخفائه
وبطونه لا يمكن التوصل به الى الجاه والمال واستجلاب القلوب وتحصيل الولاية
والقضاء فوجد الشيطان مجالا لتحسين ذلك في القلوب بواسطة تخصيص
اسم الفقيه الذي هو اسم محمود في الشرع بهذا العلم كتخصيص اسم الحكمة
بالطب الذي هو من فروع ادنى اقسامها اعني الطبيعي فيقال للطبيب الطرقي انه
حكيم فهكذا نسبة الفقه الذي هو حفظ الفتاوى الى اصل الفقه الذي كان معروفا
عند الائمة الهادين عليهم السلم ومن على سيرتهم من الذين سبقونا بالايمان والتابعين
لهم باحسان واعلم انه ذكر الغزالي في كتابه الاحياء في نشو علم الفتاوى والاحكام وسبب
تدوينه ان الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله تولاها الخلفاء وكانوا عالمين
بالاحكام الدينية مستقلين بالفتاوى في الاقضية وكانوا لا يستعينون بالفقهاء الا
نادرا في وقايع لا يستغنى فيها عن المشورة فتفرغ العلماء بعلم الآخرة وتجردوا لها
وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق باحكام الخلق من امر الدنيا واقبلوا على الله
بكنه اجتهادهم كما نقل من سيرهم فلما افضت الخلافة بعدهم الى اقوام تولوها بغير استحقاق
واستيهال واستقلال بعلم الفتاوى والاحكام اضطروا الى الاستعانة بالفقهاء
والى استصحابهم في جميع احوالهم لاستفتائهم في جميع مجاري احكامهم وكان قد بقي من
علماء التابعين من هو مستمر على الطرز الاول ومواظب على سمت علماء السلف فكانوا
اذا طلبوهم هربوا واعرضوا واضطر الخلفاء الى الالحاح في طلبهم لتولية القضاء والحكومات
فرأى اهل تلك الاعصار عز العلماء واقبال الولاة والحكام عليهم مع اعراضهم عنهم فاشرأبوا
لطلب العلم توصلا الى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة فاكبوا على علم الفتاوى وعرضوا

418

انفسهم على الولاة وتعرفوا اليهم وطلبوا الولايات والصلات منهم فمنهم من حرم ومنهم
من انجح والمنجح لم يخل عن ذل الطلب ومهانة الابتذال فاصبح الفقهاء بعد ان كانوا مطلوبين
طالبين وبعد ان كانوا اعزة بالاعراض عن السلاطين اذلة بالاقبال عليهم الا من
وفقه الله في كل عصر من علماء دينه ثم ظهر بعدهم من الصدور والامراء من سمع
مقالات الناس في قواعد العقايد ومالت نفسه الى سماع الحجج فيها
فغلبت رغبته الى المناظرة والمجادلة في الكلام فانكب الناس على علم الكلام و
اكثروا فيها التصانيف ورتبوا فيها طرق المجادلات واستخرجوا فنون المناقضات
في المقالات وزعموا ان غرضنا الذب عن دين الله والنضال عن السنة وقمع
البدعة ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض في الكلام وفتح باب المناظرة (لم يستصوب)
فيه لما تولد من فتح بابه التعصبات والخصومات الناشية من اللداد المفضية الى
تخريب البلاد ومالت نفسه الى المناظرة في الفقه وبيان الاولى من مذهب المجتهدين
فترك الناس الكلام وفنون العلم واقبلوا على المسائل الخلافية وزعموا ان غرضهم استنباط
دقايق الشرع وتقرير علل المذاهب وتمهيد اصول الفتاوى واكثروا فيها التصانيف
والاستنباط ورتبوا فيها انواع المجادلات وهم مستمرون عليه الى الآن وليس ندري
ما الذي قدر الله فيما بعدنا من الاعصار فهذا هو الباعث على الاكباب على هذا
العلم والمناظرة ولو مالت نفوس ارباب الدنيا الى علم آخر من العلوم لمالوا
ايضا اليه ولم يسكتوا عن التعلل والاعتذار بان ما اشتغلوا به علم الدين وان لا
مطلب لهم سوى التقرب الى رب العالمين الحديث التاسع وهو الثامن والمائتان
عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد عن خالد عن ابيه عن ابي اسمعيل ابراهيم بن اسحق الازدي

عن ابي عثمان

عن ابي عثمان العبدي عن جعفر عن آبائه عليهم السلم عن امير المؤمنين عليه السلم قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله لا قول الا بعمل ولا قول ولا عمل الا بنية ولا قول ولا عمل
ولا نية الا باصابة السنة الشرح اي لا يتم قول الايمان الا بعمل الاركان ولم يتم
عمل الاركان الا بنية الجنان لقوله صلى الله عليه وآله انما الاعمال بالنيات وقوله
لكل امرئ ما نوى ولم يصح نية ولا اعتقاد الا باصابة نور الهدى ومعرفة الحكمة
الالهية والكتاب والفرقان فان السنة عبارة عن طريق الحق واصابتها هي
بادراك اصول المعارف الحقيقية وشعب الايمان والعمل بموجبها الحديث العاشر
وهو التاسع والمائتان علي بن ابراهيم عن ابيه عن احمد بن النضر عن عمرو بن شمر
عن جابر عن ابي جعفر عليه السلم قال قال ما من احد الا وله شرة وفترة فمن كانت
فترته الى سنة فقد اهتدى ومن كانت فترته الى بدعة فقد غوى الشرح الشرة
غلبة الحرص على الشيء والفتور كقعود وهو الضعف والانكسار والمعنى ان
كل واحد من افراد الناس له قوة وسورة في وقت كوقت الصحة والسلامة
والتيقظ والحركة وله فترة وضعف في وقت كوقت المرض والنوم والدعة
والسكون فمن كان فتوره اي استعداده للنهوض اليها والعمل بمقتضاها فقد
اهتدى ومن كان فتوره وكلاله لطلب البدعة والسعي في تحصيلها فقد ضل
وغوى ويحتمل ان يكون المراد من قوله فمن كانت فترته الى السنة ان يكون
منشأ فترته راجعا الى السنة اي تحمل المشاق الدينية والطاعات الشرعية
صار سبب فتوره وضعفه والمراد من قوله ومن كانت فترته الى بدعة
ان يكون منشأ فترته مستندا الى بدعة كنسك الجاهلين ورهبانية المتصوفين

المبتدعين الحديث الحادي عشر وهو التاسع والمائتان علي بن محمد عن احمد بن محمد
البرقي عن علي بن حسان هو اثنان احدهما الواسطي ابو الحسين القصير المعروف بالمنمس
بالنون والسين المهملة عمره اكثر من مائة سنة وكان لا باس به روى عن ابي عبد الله
عليه السلم وثانيهما الهاشمي مولى هم ابن حسان بن كثير مولى ابي جعفر عليه السلم
ابو الحسن يروى عن عمه عبد الرحمن غال ضعيف قال الكشي سالت محمد بن مسعود
علي بن الحسن بن فضال عن علي بن حسان قال عن ايهما سالت اما الواسطي فهو
ثقة واما الذي عندنا تشير الى علي بن حسان الهاشمي يروى عن عمه عبد الرحمن
بن كثير ومن اصحابنا علي بن حسان الواسطي ثقة ثقة وذكر ابن بابويه رحمه الله
في اسناده الى عبد الرحمن بن كثير الهاشمي روايته عن محمد بن الحسن عن علي
بن حسان الواسطي عن عمه عبد الرحمن بن الهاشمي وهو يعطي ان الواسطي
هو ابن اخي عبد الرحمن واظنه سهوا من قلم الشيخ ابن بابويه او الناسخ
صحه وقال ابن الغضائري رايت له كتابا سماه تفسير الباطن لا يتعلق من الاسلام
بشيء ولا يروى الا عن عمه وفي النجاشي مولى عباس بن محمد بن علي بن عبد الله
بن عباس ضعيف جدا ذكره بعض اصحابنا في الغلاة فاسد الاعتقاد ومحمد
بن يحيى عن سلمة بن الخطاب ابو الفضل البراوستاني وبراوستان قرية
من قرى قم الازدورقاني قرية من سواد الري كان ضعيفا في حديثه كذا قال
النجاشي وقال ابن الغضائري انه يكنى ابا محمد وضعفه عن علي بن حسان
عن موسى بن بكر الواسطي اصله كوفي واقفي له كتاب روى عن ابي عبد الله
وابي الحسن عليهما السلم قال الكشي حمدويه ابن نصير قال حدثنا يعقوب بن

يزيد

يزيد عن محمد بن سنان عن موسى بن بكر الواسطي قال ارسل الي ابو الحسن عليه السلم
فاتيته فقال لي ما اراك مصفرا وقال لم آمرك باكل اللحم فقلت ما اكلت غيره
منذ امرتني فقال كيف تاكله قلت طبيخا قال كله كبابا فاكلت الى بعد
جمعة فاذا الدم قد عاد في وجهي فقال لي نعم ثم قال لي يخف عليك ان نبعثك
في بعض حوائجنا فقلت انا عبدك فمرني بما شئت فوجهني في بعض حوائجه
الى الشام عن زرارة بن اعين عن ابي جعفر عليه السلم قال كل من تعدى
السنة رد الى السنة الشرح معناه واضح الحديث الثاني عشر وهو العاشر
والمائتان علي بن ابراهيم عن ابيه عن النوفلي عن السكوني عن ابي عبد الله
عليه السلم عن آبائه عليهم السلم عن امير المؤمنين عليه السلم السنة سنتان
سنة في فريضة الاخذ بها هدى وتركها ضلالة وسنة في غير فريضة الاخذ بها فضيلة
وتركها الى غير خطيئة الشرح السنة في الاصل الطريقة وفي حديث المجوس
سنوا بهم سنة اهل الكتاب اي خذوهم على طريقهم واجروهم في قبول الجزية
مجريهم ثم خص استعمالها بطريقة الحق التي وضعها الله للناس وجاء بها الرسول
صلى الله عليه وآله ثم يقال لكل ما يعطي سلوك هذه الطريقة التي هي الصراط المستقيم
من العبد الى الرب من الفرائض والنوافل فكل عمل شرعي واعتقاد حق هو من السنة
اذ به يتقرب العبد الى الله تعالى وفي الحديث القدسي ما تقرب العبد الى الله تعالى
بشيء مثل ما افترضته عليه ولا يزال يتقرب الي بالنوافل حتى احببته الحديث
فالسنة اسم عام ومعنى مشترك بين السنتين احديهما الفريضة وهي ما الاخذ
بها هدى يوجب الثواب وتركها ضلالة يوجب العقاب اذ الاخذ بها هو طاعة

تأكله

الصراط والمرور عليه فيوجب القرب منه تعالى وكلّ من قرب منه فهو في جنّة
ونعيم وثواب وتركها هو السقوط عن الصراط والانحراف عنه فيوجب البعد
عنه وكلّما بعد عن الله وعن دار رحمته فهو في نار جحيم وعذاب اليم وثانيها
النفل وهو ما الاخذ به فضيلة زائدة اذ به وبها يكمل سلوك طريق الهدى و
الوصول الى منزل النجاة في العقبى وتركه ليس الى خطيئة توجب العذاب
في الدار الاخروى واعلم انّ اطلاق السّنة على النفل من باب تسمية الشيء
باسم جنسه الاعمّ كتسمية مقابل التصديق باسم التصوّر لانّ هناك وضعا
آخر لكنّ المتأخرين اذا اطلقوا السّنة ارادوا به ما يقابل الفرض وهو عرف
طارٍ منشؤه كثرة استعمال لفظها في المعنى الاخصّ فالواجب مقابل السّنة
في العرف الجديد ومنه حديث غسل الجمعة انه سنّة واجبة تمّ كتاب العقل والعلم
والحمد لله ربّ العالمين اوّل وله الحمد والشكر على توفيقه لاتمام شرح هذا الكتاب والعام
المعاني والرموز التي هي انوار الخطاب والصلوة والسلام على محمد وآله خزنة انوار الوحي
والتنزيل وحفظة اسرار العلم والتأويل حمداً لا حدّ له ولا منتهى صلوة لا تعدّ ولا تحصى
وكتب المؤلف الشارح بيده الجانية وآلته الفانية في شهور اربع واربعين سنة بعد الالف
حامداً لله مصلّياً مستغفراً محمد بن ابراهيم المشتهر بصدرا الشيرازي اوتي كتابه بيمينهما
بحق محمد وآله الطاهرين راقمه بيده الداثرة اقلّ الطلبة ... الاصفهاني
ابن مرحوم المغفور ... في شهر جمادى الاولى من شهور سنة ١١٩٤

طارٍ بعد [illegible]

[illegible]